أمير المؤمنين

الإمام علي بن أبي طالب

نهج البلاغة

طبعة جديدة منقحة بمخطوطة "الإسكوريال"

جمعه ونسق أبوابه

العلامة الشريف الرضي

شرحه وضبط نصوصه

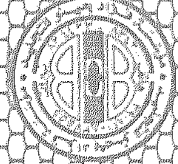
الإمام محمد عبده

١ - ٤

مؤسسة المعارف

بيروت

Bibliotheca Alexandrina
0008438



مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

مؤسسة
المعارف
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

أمير المؤمنين
الإمام علي بن أبي طالب

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

نهج البلاغة

طبعة جديدة منقّحة بمخطوطة الإسكوريال

جمعه ونسّق أبوابه
العلّامة الشريف الرّضي

شرحه وضبط نصوصه
الإمام محمد عبده

أعدّ هذه الطبعة وزاد ما كان مُغفلاً من الشرح
كما قدّم لها بدراسة مستفيضة ووضع فهارسها الجامعة
المركز اللبناني للفهرسة العلمية والدراسات الإسلامية

بإشراف الدكتورين
عبد الله أنيس الطبّاع
عمر أنيس الطبّاع

الناشر
مؤسسة المعارف للطباعة والنشر
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بيروت

يطلب من مكتبة المعارف ص ب ١١/١٧٦١ بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

من واجب الناشرين العرب ، أن يدركوا ـ والأمتان العربيّة والإسلامية تواجهان ضرباً جديداً من الخطر الاستعماري ، متجسداً بالأخطبوط الصهيوني الرابض فوق قطعة غالية من الوطن العربي . . ـ أنّ أعظم إسهام منهم في صدّ هذا العدوان المتنامي ، واستئصال شأفة هذا الدرن الخبيث الآخذ في الامتداد داخل كياننا القومي ، إنما يكمن بخلق جيل مؤمن بتراثه العريق ، مقدّس لرجالات هذا التراث ، بما في سيرتهم وأدبهم من ينابيع الفضيلة والخلق الأمثل والبطولة الصادقة التي لا تعدلها في تاريخ الأمم إلا نماذج قليلة من الفضائل والمبادىء العليا وعظمة الاستبسال . كل هذا في سبيل الذود عن حياض الشرف والمروءة بالحفاظ على أركان الدين الحنيف ، وأصول القومية التي اغتذت طويلاً بعطاء العقائد السماوية الكبرى .

إنّ مؤسسة المعارف في بيروت ـ إذ تعي جميع هذه الحقائق ، وترى أنّ الحضارة الإسلامية ـ العربية هي وحدها الكفيلة بإعداد الشباب الخليق بأن يقدم قرابين التضحية لخلاص شعوبه وإعلاء كلمة أمته ـ قد أخذت على نفسها منذ ربع قرن من الزمن ، عهداً ـ تجلّه وتعمل في سبيله ـ ألا وهو الدأب على مزيد من تكريس الجهد

لا لإحياء مواريث الإسلام وآثار العربية وحسب ، بل لدرس هذه المواريث وإخراجها إلى حيّز الوجود ، بأبهى حلّة وأنصع صورة ، إخراجاً يتفق وطبيعة هذا التراث بما فيه من أصالة ، وبما في أصالته من مقومات الالهام وعطاءات الوحي ، التي تتجاوز في أغراضها ومراميها البعيدة ، حدود العقل ومنطق الفكر الباحث المجرّب .

وانطلاقاً من هذه المسلّمات الجديرة بأن تصان وبأن يعضّ عليها بالنواجذ ، والحقيقة بالحفظ والذود ، فقد أقدمت مؤسستنا على إعداد طبعة حديثة للسفر الخالد الجامع لأدب أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب ، لأن طبعاتها العديدة السابقة التي نفدت ، لم تعد تستجيب لطبيعة العصر ، وتقنيات هذه الحقبة المعاصرة . ومن أجل الارتفاع بهذا الأثر العظيم إلى مدارج الإتقان ضبطاً وتحقيقاً وفهرسة وتقديماً فقد عهدت بهذه المهمة الدقيقة والشائكة إلى الذين تميزوا بطول باعهم في هذا التراث الذي نهلوا من كوثره وتعمقوا في درس كلمه ردحاً طويلاً من الزمن ، فكانوا جديرين بأن يتعهدوا هذا العمل المتميّز وأن ينهضوا بأسبابه وشروطه .

هذا ، وقد تبين لنا من مقدّمة العلامة الشريف الرضي ، الجامع لأدب الإمام علي ، وصاحب الفضل في حفظه بالخط والتدوين .. أنه بان له بالنظر والتأمل أن هذا التراث ـ كما قال

« يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ » وهكذا ، ولأول مرة في تاريخ نهج البلاغة ، أزمعنا أن يكون الكتاب في طبعته هذه الأكثر حداثة ، في ثلاثة أبواب ، تبعاً لنظرة الشريف الرضي ورأيه السّديد ، وهي كما أشار ، وعلى التوالي :

(١) ـ باب الخطب والأوامر .

(٢) ـ باب الكتب والرسائل .

(٣) ـ باب الحكم والمواعظ .

أما الفهارس المعدّة ، فباستثناء فهرسي الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فقد آثرنا المنهج العلمي الحديث في الفهرسة القاضي بفهرس واحد جامع شامل لكل أبواب العلم والأعلام ، دونما تخصيص أو تمييز . ففهرس هذه الطبعة يتضمن سائر القضايا الفقهية والكلامية ، ومختلف أسماء الأعلام بين إنسان وحيوان ونبات ، وكل ما يتصل بالأماكن والبلدان والأمم والقبائل . . في ترتيب هجائي ، وفق صفحات الكتاب وكما هو واضح للقارىء والباحث .

إننا نسأل الله أن يهدينا إلى أقوم السبل وأكثرها خيراً ورداً لخدمة أمتنا وتراثها الخالد ، « وقل آعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

مؤسسة المعارف

محمد منيب محيو

تصدير الطبعة الأولى

التعريف بكتاب « نهج البلاغة » و « شرحه » و « مواقف » الإمام عليّ وسياسته

*

من الثابت أن كتاب « نهج البلاغة » جوهراً وفكراً للإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، في حين أنّه تسمية وتنسيقاً : الخطب والأوامر والكتب والرسائل ، والحكم والمواعظ ، فصولاً وأبواباً للشريف الرضيّ(١) ، بينا شرحه أكثر من عالم نابه ، ولغوي متمكن ، وإمام مؤمن في طليعتهم : البحراني كمال الدين محمد ميثم ، والبيهقي ، أبي الحسن ، والرازي ، فخر الدين

---

(١) الشريف الرضيّ : هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين . . وينتهي نسبه إلى محمد الباقر بن علي زين العابدين ، الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه . وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي . وينتهي نسبه من والدته أيضاً إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٠ م) واشتغل بالعلم وتفوّق في الفقه والفرائض وبذّ أهل عصره . كان من سادات العراق يتحلّى بمحتده الشريف ، وتولّى نقابة الطالبيين بعد أبيه وفي حياته سنة ٣٨٨ (٩٤٩ م) ضمّ إليه النظر في المظالم والحج بالناس . وكان يعتزّ بحسبه حتى انه فاخر الخليفة القادر . وكان شاعراً متفوّقاً ، وأديباً بارعاً ومترسلاً بارزاً ، سعى إلى وضع كتاب خصائص الأئمة ثم اكتفى بوضع خطب ومواعظ ورسائل الإمام عليّ كرّم الله وجهه وعلى نحو منّسق بين دفتيّ كتاب سمّاه « نهج البلاغة » وهو موضوع هذه المقدمة الدراسة .

(الإمـام) والـراونـدي القـطب ، ومحمـد عبـده (الإمـام) ، والمدائني ، عزّ الدين المشهور بـابن أبي حديـد[1] ، وأكثر هؤلاء الشرّاح والدارسين اعتمدوا أصولـه = المخـطوطـة والمنسـوخـة = المحفوظة اليوم في مكتبات العالم الإسلامي وفي بعض المكتبات الأخـرى العامـة كمكتبة الفـاتيكان ، ومكتبـة الاسكـوريـال ، ودور الكتب الوطنيّة ، كمكتبة المتحف البريطاني وغيرها .

شاء جامع النهج ـ كما يبدو ـ بعد أن عزم على وضـع كتاب « خصـائص الأئمة »[2] يعـرض فيه محـاسن أخبـارهم ، وجـواهـر كـلامهم ، أن يصنّف في كلام الإمـام علي رضي الله عنه مـرجعـاً بـذاتـه ، مـا دام أمير المؤمنين ، **إمـام الأئمـة** ، **وسيّـد الكـلام** ، وصاحب الخبر ، ومثال البيان ، ومنهج البلاغـة ، وعنوان الأدب ، وغـاية الأرب ، وبقـوله ، وأدبـه ، وفكره ، سيبـدأ كتابـه وهو فيـه المرجع والمآل ، لا سيّما بعد أن صرفته عنه محـاجزات الـزمان ، وممـاطلات الأيـام ، فاكتفى بخبـره كرّم الله وجهـه عن أخبارهم ،

(١) عز الدين المعروف بابن أبي حديد كان من كبار علماء المسلمين مع تعمّقه بالـدين وحسن سيره . ويعتبـر في عصـره من كبـار الأدبـاء . تسلم الـديـوان في المملكـة المستنصرية وكـان كاتبـاً بارعـاً وعـالمـاً لغـويـاً ، ولـد في المـدائن سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) وتـوفي في بغداد ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) . وكـان من أبرز شرّاح كتـاب نهج البلاغـة (طهران) (١٨٥٣ م) فضـلاً عن كتاب « والفلك الـدائر على المثـل السائر » طبع في الهند .

(٢) راجع مقدّمة الشريف الرضيّ في كتاب نهج البلاغة في أيّة طبعة متيسّرة لديك .

وبكلامه رضي الله عنه عن كلامهم ، لأنه قطب الرّحى ، وشيخ الحضرة ، وموئل الأمة ، وخاتمة المطاف فيهم .

كان الإمام عليّ ـ وللأئمة خاصّة وهم جهابذة الأمة ، وقادة الفكر فيها والقدوة الصالحة كما يقول الشريف الرضي « **مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها** ، منه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كلّ قائل خطيب ، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ ، ومع ذلك سبق وقصّروا ، وتقدّم وتأخروا ، لأن كلامه عليه السلام ، الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة[1] من الكلام النبوي » حتّى ليس في أهل اللغة إلاّ قائل بأن كلام الإمام عليّ بن أبي طالب وهو أشرف الكلام ، وأبلغه ، وأن أدبه كرّم الله وجهه وبلاغته يليان ، بلا منازع أدب سيد الأنام محمد رسول الله (ﷺ) وبلاغته .

إن الكتاب الذي وسمه الشريف الرضي « بنهج البلاغة » عن علم ، ليس هو في رأي منسّقه ونظره وحسب «يفتح للناظر أبوابها ويقرّب عليه طلابها » بل فيه وبصدق وكما أكّد « **حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد** » حتّى انه أضحى في نظر النقد العلمي اليوم ـ وكما كان في كل عصر ومصر منهجاً للبلاغة

---

(١) عبقة : عبقا وعبقة وعباقية الطيب به : لزق به ، والمكان بالطيب ، انتشرت رائحة الطيب فيه .

ومثالاً لأصولها يحتذى ، لأن الإمام مستنبط أصول علم النحو ومحدّد أبوابه في ثلاثة : اسم ، وفعل ، وحرف ، لرهافة ذوقه ، وعجائب إبداعه ، ودقائق تصوّره ، ليحفظ كتاب الله تعالى وحديث رسول الله (ﷺ) من اللحن والتحريف ، ولما فتح الله عليه وعلّمه من العلوم اللدنية ، وكان قد أكرمه بحفظ القرآن الكريم ، وحفظ حديث سيّد المرسلين (ﷺ) .

وكتاب « نهج البلاغة » لو لم يكن - وبحق - صورة صادقة للسان العربي المبين الذي **أعزّه الله بالقرآن الكريم وحفظه** ، لفقدت آثاره ، وضاعت معالمه ، وبليت صفحاته ، كغيره من الكتب ، التي لم يبق من أسمائها إلّا عناوين باهتة - في المراجع الأمهات - أو - وفي أحسن الحالات - مجموعة أوراق على رفوف المكتبات ، في حين والحق يقال انّه « نهج البلاغة » في المعنى الجامع المانع للعربية وعلومها .

ويذهب أحمد حسن الزيّات[1] إلى أن أكثر كتاب « نهج البلاغة » « من صنع الشريف ، لما فيه من التعرض للصحابة بالأذى والهجر ، ولأن ما فيه من فلسفة الأخلاق وقواعد الاجتماع ، ودقة الوصف ، وتكلف الصنعة ، ليس في امكان ذلك العصر ولا في طبعه . والظاهر أن الشريف جمع كلّ ما نسب إلى الإمام وفيه الصحيح والمشوب »[1] .

---

(١) انظر كتاب الزيّات : « تاريخ الأدب العربي » : ط ١٤ مكتبة الانجلو المصرية : ص ٢٨٦ .

إن هذا الحكم العام بالنسبة لنهج البلاغة قد سبق إلى مثله الدكتور طه حسين بالنسبة للشعر الجاهلي ، وطبيعي أن يلقى قول أحمد حسن الزيّات في « نهج البلاغة » - خطباً وأوامر ، وكتباً ورسائل ، وحكماً ومواعظ - ما لقي قول طه حسين في الشعر الجاهلي ، الكثير من النقد والتجريح ، وغير القليل من التعليل ، وإن كنا نستدرك لنقول بضرورة أنّ تخضع نصوص « نهج البلاغة » إلى القوانين النقدية ، على نحو ما خضع لها الحديث النبويّ الشريف ، فنذود عنه بذلك شوائب الأقوال ، ونحفظه من فتن الزمان ، وأغراض العابثين وأهوائهم .

*

من المؤكد أن **الحديث النبوي الشريف** ، وهو في مقدّمة الأقوال المرويّة أهميّة دينيّة وعلميّة ، وتاريخيّة بالنسبة للإسلام - **هو أول ما دوّن وجمع** بعد القرآن الكريم في الإسلام - وكان أن أمر بجمعه الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ (٧١٠ م) . . . هذا الحديث الشريف لم يثبت منه - وبإسناد صحيح - عند الإمام أحمد بن حنبل إلاّ أحاديث قلّة - في حين جمع مع الأئمة الكبار ، ابن ماجه ، وأبي داود - والبخاري - والبيهقي - والترمذي - والدارمي - ومالك - ومسلم - والنسائي - سُننا تميّز كلّ منها باسم جامعها وشارحها . وهي لا زالت موضع ثقة السواد الأعظم من المسلمين ، أئمة ، وعامّة ، لا سيّما أولئك

الـذين يأخـذون بعلم الحديث بسبب ، وليس بين انتقـال الرسـول الأعـظم (ﷺ) إلى الـرفيق الأعـلى وبـين جمـع الحـديث وتـدوينـه من الـزمن ما كـان بين مقتل الإمـام عليّ كرّم الله وجهـه وتصنيف الشريف الرضي « نهجِ البلاغة » .

*

كـان مقتل الإمـام عليّ سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) حـدثاً بـالـغ الخطورة في الإسلام ، ليس للظرف السياسي الذي كان يعيش فيه ويعالج آثـاره ، بل لمـا كان يمثّـل من رمز في آل محمـد ، الذي لمشيئـة إلّهية كـان رأس سبطه ، **وعليـه وعلى سبطه عقـدت آمال المسلمين ، وبه وبأولاده هـام المحبون المتيّمـون بمحمد وآلـه ،** فيما الشريف الرضي توفي في العام ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) أي بعد نحو أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن على مقتل الإمام ، زخـرت بالأحداث الجسام ونهضت دولة إثر دولة ، وانتقلت فيهـا العاصمـة الإسلامية إلى أكثـر من مدينـة ، وتمّت الفتوح ودخـل في الإسلام كثيـر من شعوب العـالم الوسيط يـومـذاك أو جلّهم . هؤلاء ـ وفي الشرق الإسلامي بخاصّة ـ هم الذين علقت قلوبهم بمحمد وآله ، فـوجدوا في الإمـام وسبطه صـورة إيمـان صـادق وعقيـدة راسخـة انعكست بـآلام نفـوسهم ، وإحسـاسهم ، ويقينهم ، وشعـورهم وحبّهم ، ما جمعه الشـريف الرضي في « نهـج البلاغـة » على انه الصورة الصادقة لسيرة الإمام وأحداث عصره .

في ضوء رأي أحمد حسن الزيّات ، وتعليلنا له ، يبقى الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ في منزلته من أدب العربية وفنونها ومقدرته المتميّزة في الوصف الحسي الدقيق ، حتّى لجزئيات المخلوقات التي ما أتى على وصفها وبرع في تشابيهه ومجازاته فيها ، وكلامه في إبداع مكنوناتها ، إلاّ تأكيداً على قدرة الله وعظمته ـ المنهج الاستقرائي الذي اعتمده من بعد الجاحظ وجاراه فيه(١) ، وأبو عثمان ، وفي كتابه البيان والتبيين كان ناقداً لأدب الإمام بصيراً في لسنه ، ومعوِّلاً عليه في بلاغته(٢) .

في ضوء هذه المعطيات ، وبانتظار أن ينهض نقّادنا بمسؤوليتهم ، في دراسة نصوص « نهج البلاغة » ، على أسس مستمدّة من طرائق علم الحديث ، سنداً . . لا يسعنا الارتياب كما فعل بعض النقّاد بعزو تلك الأوصاف الحسية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، إذ لا شيء يحول ـ أيّاً كانت ظروف الإمام الخاصة ـ دون أن يهتمّ رضي الله عنه بمثل هذه الموضوعات أو ينصرف إلى دقائق الوصف ونَمْنمات التشابيه ، كتصويره الدقيق ووصفه البارع المتكامل للنملة ، ومقدرته الخارقة الفائقة في وصف الجرادة وملامح خصائصها الثانوية العلمية ، ودورة نظامها الحياتي ، وأثر ذلك في حياة الإنسان ، إلى جانب تفوّقه في

---

(١) راجع مقدّمة كتاب الحيوان للجاحظ .

(٢) راجع هذه الطبعة من نهج البلاغة

عرضه للطاووس وتصويره إيّاه وكأنه رسام طُلعة بارع في مزج الألوان ، يستعيض عنها بالعبارات القشيبة الحلوة التي تتفق وزهو الطائر نفسه ، وما في طبيعته من خيلاء ، فضلاً عن وصف النحلة والبراعة الفائقة في استحضار المحسنات اللفظية والمزينات . . . ذاك أن من كانت البلاغة في طبعه وكانت الفصاحة ركناً صميماً من أركان شخصيته ـ المتأثّرة ببيان الرسول وما أودع الله في هذا البيان من عظيم صنيعه ، وجود عطائه . . ـ لا ينال ما يحتاجه مثل هذا الوصف من عناء ، من كوامن القدرة في ذاته الخيرة الوثيقة الوشائج بينابيع الإلهام العظمى .

هذه التصاوير ، والتشابيه ـ وما فيهما من وصف حسي كانت مشاغل ومسؤوليات أمير المؤمنين ـ في نظر ذاك الفريق من النقّاد ـ تنوء دونها وتقصر عن جادتها . فقد ذهبوا ـ ومذهبهم في هذا ضعيف الحجة بل واهي البيّنة ـ إلى أن هذه التصاوير تحتاج إلى تأمّل طويل ولا تتأتى إلا لإبداع خيال عبقري قد لا يكون إلّا وليد الاستقرار ، والنفسي منه بخاصة ، بينما حياة أمير المؤمنين كرّم الله وجهه ـ كما يرون ـ دأب متّصل ، بالدعوة ، وبالعلم ، وبالجهاد ، وبالعائلة وبالخلافة ، وبالمنازعات ، وبالأحداث ، والمعارك ، والصالح العام ، والمصلحة العليا للأمة ، والحق والباطل ، والدنيا والآخرة. بلى أنّى لعليّ بن أبي طالب مثل هذا الاستقرار ! . . وإن كان هو مدخلاً لمدينة العلم[1] ، وإن تأثر

(١) جاء في حديث الرسول (ﷺ) : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » .

بأسلوب القرآن التصويري ذي الإعجاز الجامع ، فهو كما يعتقدون لم يسعه التفرّغ لصياغة خطبه ورسائله كما يفعل الكتّاب والأدباء ، أو كما أتيح من بعد عصره للشعراء والمترسلين أن يغرقوا الأدب بالمحسنات اللفظية . . .

هذا المنطق القاصر في نظرنا عن إدراك حقائق الإبداع المتصل بجوهر الإيحاء والإلهام هو الذي دفع مثل هؤلاء النقّاد إلى أن ينسبوا ما في نهج البلاغة من كدّ الصنعة ، والأناة ، وإجالة الفكرة وإحكام الصورة . . . إلى الأدباء المترسلين في العصر التالي لعصر الإمام علي ، حتى انتهت آثار الإمام إلى الصورة التي رأيناها في الكتاب الجامع لها ، عنينا « نهج البلاغة » كما زفّه العلّامة الشريف الرضي إلى العالَمين العربي والإسلامي .

*

إذا كان عليّ بن أبي طالب لم يعرف طوال حياته الإستقرار النفسي ولم يتفرّغ ليبدع وصفاً حسياً لا ينهض إلّا بالخيال العبقري المشبع بالتأمل الطويل ، كما زعم ذاك الفريق من الأدباء ، فلا يعني ذلك ـ كما خيّل للشيخ الدكتور صبحي الصالح أن خطبة الإمام والتي تعرف بـ « الشقشقيّة » قد تصوّر إلى حد بعيد نفس الإمام الشاكية التي خاضت على لسانه هادرة لأنه جاء فيها قوله : «شقشقة هدرت ثم قرت » مؤكداً بأن هذه الخطبة قد

امتلأت بألفاظ التأوّه والتوجّع والأنين[1] .

امام هكذا رأى ، فكتاب « **نهج البلاغة** » **بالحقيقة الموضوعية** ليس صورة لنفس الإمام بالنسبة لذاته ، أو بالنسبة للخلافة كمسؤولية دينية دنيوية تمثّل الإسلام ، الدين والدولة ، بل صورة **لما حلّ بالأمة الإسلامية** التي راحت أهواء السياسة الأمويّة تعصف بها مع خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والتي استطاعت أن تعيد إلى الساحة الإسلامية الروح القبلية التي دحرها الإسلام ، ردحاً من الزمن ، إلى جانب ما خلقت من نِحل ، وأوجدت من بدع .

في ضوء هذه الحقيقة فثمّة رأي قد لا يجوز تجاهله حول «نهج البلاغة» جوهراً وصيغة . وهو رأي أحمد حسن الزيّات القائل « إن الذين قرأوا حياة الإمام وألمّوا بسيرته ، وتدارسوا أحداث عصره كانوا قادرين على تصوير شعور نفسه نحو الأمة وما نزل بها ، في حين دفعتهم محبّته إلى تلوين هذا الشعور بآلام نفوسهم» . والإمام هو القائل : «هلك فيّ رجلان : محبّ غال ، ومبغض قال »[2] أو كما جاء في حديث الرسول الأعظم (ﷺ) « يهلك فيك رجلان محبّ مفرط ، وكذّاب مفتر »[3] فضلاً عمّا

---

(١) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح من طبعة نهج البلاغة ، دار الكتاب اللبناني ص ١٠

(٢) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح الآنفة الذكر ص ٣١ .

(٣) انظر رسالة في مناقب الإمام عليّ كرّم الله وجهه « كفاية الطالب لمناقب عليّ بن

قـاله لـه (ﷺ) : « تفـترق فيـك أمتي كـما افـترقت بنـو إسرائيـل في عيسى »[1] .

*

إن عهد الإمام عليّ كرّم الله وجهه لم يكن بحاجة كما رأى الشيخ صبحي الصالح إلى اصلاح يستدعي اهتمام الخليفة الجديد لأنـه.لولا الفتنـة التي أثارهـا الأمويّـون للاستيـلاء على السلطة منذ قيام مروان بن الحكم[2] ـ شيخ بني أميّة فيمـا بعد ـ بإدارة خلافـة عثمـان ، ودفعت بالبـلاد إلى حـافـة الهـاويـة بـإثـارة المنـازعـات والأحقاد ، وبالنـاس إلى اليأس حتى استبـاح الناقمـون دم الخليفة وكان قد أعلن لهم وقبل معركة صفين ، وقبل أن يقـوم في الدولـة أمـران : «إنّما همـا اثنتان ، امّـا أن تقيموا رجلين من المسلمين ، أو يميني بـالله الـذي لا إلّـه إلاّ هـو انـه كـان ينقش الخـاتم على الخـاتم »[3] ، الأمـر الـذي يؤكّـد تسلّط الأمـويين على الـدولـة وتصـرّفهم بشؤونها دون الـرجـوع إلى الخليفـة ورأيـه ! وفي قـول الخليفة عثمان هذا تكمن حقيقة الواقع المؤلم ! .

= أبي طالب » لمحمد حبيب الله الشنقيطي ، مطبعـة الإستقامـة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م شارع أم العلام رقم ١٤ بالحسين (القاهرة) .

(١) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح الآنفة الذكر ص ١٠٥ أيضاً .

(٢) انظر : العقد الفريد ، القـاهرة مـطبعة لجنة التأليف والتـرجمة والنشـر ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م ، ج ١ ص ٣٢ ، ج ٤ ص ١٨ ، ج ٤ ص ٤٤ .

(٣) عثمان بن عفان انـظر : العقد الفـريد المصـدر السابق ج ١ ص ٢٢ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٢٢٣ ج ٢ ص ١١٠ ج ٢ ص ١١٨ ، ٣٩١ .

... كانت السياسة الأمويّة ترمي إلى واحد من أمرين ، إمّا الاستيلاء على السلطة ، وإمّا تقسيم الدولة . فعندما عجزت عن تحقيق غايتها في عهد الأموي الخليفة عثمان بن عفان هيّأت الظروف لمقتله لتبرّر المسعى ، وكان تقسيم الدولة ، ثم كانت لهم السلطة من بعد نحواً من قرن .

إذاً لولا الفتنة فليس ما يعكّر الحياة الإسلامية ولا ما يستدعي إصلاحاً كما يرى الدكتور الشيخ صبحي الصالح[1] لأن الفتوح المرتقب والذي بدأ في إفريقيا كان قادراً على امتصاص نقمة الذين حرّكتهم السياسة الأموية المرسومة ، عندما خصّت الأمويين ببعض مناصب المسؤولية في الدولة الفتيّة ، لإثارة النفوس والإيقاع بين المسلمين ، وتحقيق أهداف السياسة الأموية .

لئن تذمّر الإمام من تفرّق أصحابه عنه ـ على حقّهم ـ وإجتماع أصحاب معاوية[2] معه ـ على باطلهم ـ وكما يقول الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، وفي ضوء الكلام الثابت والمعروف عن الإمام كرّم الله وجهه ، كان حريّاً بالشيخ الصالح كناقد ودارس ، أن يستجلي ما وراء هذا القول ليضع الأمور في

---

(١) انظر مقدمة الشيخ الدكتور صبحي الصالح لكتاب نهج البلاغة : ط (٣ ـ ١٩٨٣) ص ١٠ سطر ١١ « وخابت آماله في تحقيق الإصلاح » .

(٢) انظر المقدمة السابقة ص ١٠ سطر ١٧ .

نصابها ويقرّب بين وجهات نظر المسلمين ليأتي نداؤه لأمة[1] الإسلام عقلانياً لا عاطفياً ، وإن كان مخلصاً صادقاً في ندائه .

*

إن نقد بعض النصوص ، هو من حق التاريخ لأنه علم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق ، وإلّا فعل المؤرخ لا يخرج عن النقل والإملاء مع تكرار الدرس والبحث فيزاد اللبس غموضاً ، والرتق اتّساعاً ، والأفكار الشائعة ثبوتاً ، وهي قد لا تكون في الصورة التي يراد لها أن تكون . .

لا شكّ أن عدم **استجلاء** ما وراء بعض العبارات المعروفة والشائعة وبعد أربعة عشر قرناً ، **لا يسيء إلى أصحاب الإمام عليّ كرّم الله وجهه وحدهم** ، وهم أنصاره وأحبّاؤه ويضعهم في غير مكانتهم من الإمام وسبطه ، **بل يسيء إلى الأمة كلّها التي ما من مؤمن فيها إلّا مشايع لعليّ وآل بيته** على حد تعريف الشهرستاني للعبارة ، ومعترفاً بحقهم في خلافة رسول الله (ﷺ) وفي نظام البيعة والشورى .

الحقيقة التي لا تقبل الردّ أن خطة الأمويين في الانقلاب على الخلافة كانت على جانب كبير من الدهاء والدقة ، والتماسك

---

(١) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح طبعة دار الكتاب اللبناني المصدر السابق ص ٢٩ .

والتحطيط ، منذ اسلام أبي سفيان الذي مرّ ذات يوم بقبر حمزة عمّ النبي (ﷺ) فقال له : « لقد قاتلتنا على أمر صار لنا »[1] ثم في السياسة الأمويّة وبخاصّة في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي ضوء ما أشرنا إليه باقتضاب ، هذه السياسة التي أثارت الفتن ، وحرّضت الناس على واحد منهم ، وبالتالي دفعت بالأوضاع إلى الأزمة ، حتى أقدم من أقدم من الناس على قتل الخليفة عثمان ، بعد أن تجرّأ محمد بن أبي بكر على أن يقبض على لحيته رضي الله عنه . . .

إن معاوية بن أبي سفيان كان عقل بني أميّة وفكرهم المخطّط والمدبّر ، كما كان ـ وبحق ـ **أحد دهاة العرب الأربع**[2] وإن بذّهم جميعاً باللين والصبر والأناة .

كيف لا يكون معاوية بن أبي سفيان في هذه المنزلة العالية من الدهاء والسياسة التي هي « فن حكم الشعب » ؟ ـ وهل هناك أعظم في نظر العامّة من المسلمين ، من أنصاره في الشام ، ومن أصحاب الإمام عليّ كرّم الله وجهه في العراق من رجل فذّ ، والٍ وليس بخليفة يطالب علناً بدم الخليفة الشهيد الذي قتل وهو في محرابه يقرأ القرآن الكريم ، وان بعضاً من أصابعه قطعت ، وإن

---

(١) انظر العقد الفريد المصدر السابق ج ٢ : ص ١٦٤ وما يليها .

(٢) دهاة العرب الأربع : معاوية بن أبي سفيان ، عمرو بن العاص ، زياد بن أبيه ، المغيرة بن شعبة .

صفحات القرآن تلطّخت بالدم الزكيّ الطاهر ، وإنه كاد يقطع جسده ، ويجتز رأسه لو لم تتلق امرأته نائلة بنت الفرافصة ضربة السيف القاتلة عنه . .

قلت كيف لا يكون معاوية في نظر العامّة من المسلمين . . . هذا الرجل الفذ الذي ساقه الله للحق فيما الخليفة وفي نظر العامّة من المسلمين أيضاً قد أخمد معركة الجمل التي كانت تقودها أم المؤمنين السيدة عائشة ، زوج النبيّ ﷺ وابنة أبي بكر ، وبين رجالها طلحة بن عبيدالله(١) والزبير بن العوام(٢) من مجلس الشورى الستة الذين سمّاهم عمر بن الخطاب ، لتكون الخلافة في واحد منهم ، لأن السيدة عائشة أعلنت انتصارها لدم عثمان كما فهمها السواد الأعظم من الناس دون أن يستجلوا ما كان من خلاف عائلي وشخصي بين أم المؤمنين رضي الله عنها والإمام عليّ كرّم الله وجهه اثر حادثة الإفك(٣) ، ودون أن يدركوا كوامن التطاحن على الخلافة نفسها بين بعض أعضاء مجلس الشورى . بالطبع كان من الصعب ، بل من المستحيل على الغالبيّة المطلقة من المسلمين في أنحاء الدنيا الإسلامية يومذاك أن يتبيّنوا الحقيقة ، وهي أن الخليفة الشهيد قدم

---

(١) كان طلحة بن عبيدالله كبير بني تميم .
(٢) أمّا الزبير بن العوام فصهر أبي بكر الصدّيق زوج ابنته أسماء ذات النطاقين وزعيم بني أسد .
(٣) انظر مقدمة كتابنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . المصدر السابق ص ٦ .

فداء للخلافة الأموية المرتقبة ، وانتقال السلطة من يد آل هاشم إلى الأمويين أصحاب التجارة والنفوذ في الجاهلية ، « الذين وكما قال أبو سفيان قاتلوا المسلمين الأولين حتى يعود لهم نفوذهم » ، « لقد قاتلتنا على أمر صار لنا » .

كان كل شيء عند معاوية بن أبي سفيان بحسبان وقدر وتخطيط : فهو بعد أن عبّأ الرأي العام الإسلامي وشحنه لمناصرته وتأييده ، في موقفه من المطالبة بدم الخليفة الشهيد ـ تمكن من أن يبثّ سموم الفرقة والخلافة بين أصحاب الإمام عليّ ، وأن يتبلّد الناس من حوله حتى يتخاذلوا ، ويستكينوا ، وإلا كيف نفسر قول الإمام كرّم الله وجهه في خاصته : «يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال » أو كما سمّاهم « الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم » ؟

ألا يؤكّد هذا أن والي الشام تقدّم ـ ان لم يكن قد انتصر ـ في الحرب النفسية التي شنّها على الشرعيّة الإسلامية بعد أن خرج عن حدود الولاية وتجاوز مقتضيات المسؤولية ؟ ومن حقّنا أن نتساءل : هل كان دم عثمان يعنيه أكثر مما يعني الخليفة نفسه وهو هو الذي دفع بالخليفة إلى ما دفعه إليه تحقيقاً لمطامحه وسعياً وراء أهدافه المرسومة ؟

لقد رأينا معاوية من بعد ـ وفي المعركة الفاصلة ، والتي كاد فيها الضحّاك بن يوسف الفهري قائد الإمام كرّم الله وجهه أن ينزل

الهزيمة العسكرية بأهل الشام ومن والاهم ـ يعرض وبإحكام ودقة الفصل الثاني من الخطة الأكثر إثارة ، والأقوى تأثيراً على الموقف حين أهاب بجنده أن يرفعوا المصاحف ليكون كتاب الله المرجع الذي يفصل في الخلاف ويقيم الحق ويثبت القسطاس .. بمثل هذه البراعة في التدبير رفع معاوية مكانته من وال للشام ، يأتمر بأمر الخليفة إلى مساو له في المنزلة والنفوذ ، وان لم يسم نفسه بعد خليفة(١) .

هذا ، حتى إذا أحكمت الخطّة فصولاً وأعلنت نتائج التحكيم ـ على ما هو مشهور في التاريخ الإسلامي ـ كان معاوية بن أبي سفيان قد فاز بإعلان شرعي كان بمثابة تمهيد لتحقيق مطمعه ، وقد انتزع ذلك من ممثل الإمام عينه ، فيما أضاع الإمام ـ بسبب هذا الدهاء الخطير ـ الحق الشرعي الأصيل ... الذي لا مرية فيه ولا شبهة ..

كثرة هم الكتّاب والدارسون الذين كتبوا في خلافة رسول الله (ﷺ) ، منهم من أصاب ، ومنهم من لم يصب ـ وان لم يخطىء ـ ومنهم من وقع في وهم وتعليلات المفسّرين والمستشرقين بخاصة ، فحمّلوا هذه القضية فوق ما تحمل من

(١) بوسع القارىء أن يعود إلى المراجع التاريخية للوقوف على طبيعة هذا الموقف الذي أحكم معاوية أمر تمثيله بدعم من عمرو بن العاص ، والذي أدّى إلى قبول الإمام عليّ مبدأ التحكيم .

الدراسات والبحوث والاجتهاد ، والتعليق : كلّ في ضوء فهمه ، أو غايته التي يسعى إليها .

الحقيقة أن أمر الإسلام « شورى » ، فلا نصّ ولا تعيين ولا خلافة كملك عضود ، وهذا لا يطعن في الوصاية والوصية وهو الأمر الملحوظ زمن النبيّ والراشدين . حقيق بالمسلمين أن يتعظوا ويعتبروا من حياة الرسول (ﷺ) ، ومن الحكمة الإلٓهية في وفاة ولديه (ﷺ) ، القاسم وإبراهيم في حياته ، وحزنه وأسفه عليهما كأب . . . وإلّا لكان أحدهما بعد الآخر هو خليفة أبيه في أمر الإسلام ، ولتحوّل الإسلام إلى أسرة حاكمة ، وإلى ملك ، وعرش ، ودولة عائلية .

الدارسون لحقبة ما بعد انتقال الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى (ﷺ) يرون **أن الإشكال الذي وقع بين المهاجرين والأنصار** لم يلبث أن حلّ وبكلمة واحدة : « منا الأمراء ومنكم الوزراء » . وكان إجماع على بيعة الصدّيق ، ربّما لا لشيء مع كثرة الأشياء التي تعنيه في أمر الخلافة ، وفي هذا كلّه يظهر أمر الشورى ، وتتجلّى بالتالي الحكمة الإلٓهية من وفاة القاسم وإبراهيم في حياة النبيّ ، ومحمد هو هو القريب من ربّه ، ومن رحمته .

كان من حقّ الإمام عليّ كرّم الله وجهه ـ وقد علم أن الأمة قد بايعت أبا بكر ، أن يداخله شعور الممتعض المغبون ، لا لأنه

ينكر على أبي بكر أن يبايع ، بل لأن المبايعة تمّت وهو منشغل بمراسم دفن النبي الكريم ، وكان في قرارته - وهو على حق - يرى واجباً أن يكون في قلب الأزمة التي نشأت بانتهاء عهد النبوّة وبدء عهد الخلافة نظراً لأمرين : لمكانته من رسول الله (ﷺ) أولاً ، ومنزلته في الإسلام ثانياً . إلا أن العديد من المؤرخين كانوا يرون للمبايعين ظروفهم وعذرهم ، ولا سيما في حرصهم على الإسلام ورسالته ، وهو ما يوضحه ترديد عمر بن الخطاب ﴿ وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾[1] .

وربّما كانت الردّة التي حصلت في عدد من القبائل العربية خير دليل على سلامة موقف المبايعين من مكانة الإمام ومنزلته ويقينهم بأنه لو استشير لما ابطأ في الموافقة . أو أن المبايعين جميعاً كانوا على علم بموقف الإمام من كبار صحابة الرسول الأعظم (ﷺ) فعليّ رضي الله عنه ألم يسم ثلاثة من أبنائه الذكور باسم ، أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، فكيف لا يبايع ؟

ثمّة فريق يأخذ برأي غير ما تقدم وهؤلاء - كما يبدو - حرصوا على اثارة هذه الناحية وعوّلوا على قول المستشرق كارل بروكلمن ولم يمعنوا في دراسة النصوص الإسلامية ويحيطوا

---

(١) آل عمران ١٤٤ .

بظروف الوقائع يومئذ . فقول عمر ، وحرب الردّة التي اطفأها الخليفة يكشفان عن حقيقة ظروف الدولة الإسلامية ، فلولا وجود خليفة على رأس السلطة يعلن الموقف الحازم لما توالى على الخلافة رجال حفظوا الإسلام ، وأقاموا له الدولة بعد أن نشروا تعاليمه كدين ، وأرسوا قواعد الرسالة في كلّ مكان وصقع .

*

في الخلافة ليس المهم ـ كما يقول الشيخ الصالح ـ أنه « بدا للناس يومذاك أن بني هاشم كانوا يريدون الخلافة فيهم ، ويرون عليّاً أحقّ الصحابة بها لمكانته العظمى من الرسول الكريم ، وسعة علمه ومواقفه الخالدة في نصرة الإسلام » ، أو كما كان يريد غير بني هاشم .. فهذه قضية أضحت في ذمة التاريخ ويجب أن لا نتوقف عندها إلا في حدود الموضوعية التاريخية ، ولا سيما ونحن حريصون في غمرة المشاغل الإسلامية على عدم اثارة تفاضل بين الصحابة ، ولا سيّما بعد أن شددنا على الحكمة الإلٓهية ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ولأن الإسلام دين قبل أن يكون دولة ، وإنِ كان ديناً ودولة في آن .

لا بد لدارس « نهج البلاغة » من أن يلمّ بهذه الحقائق التي عرضنا ، ليدرك نفسيّة أولئك الذين تألموا لأحداث تلك الحقبة وشعروا بمعاناة الإمام عليّ كرّم الله وجهه ، وهو يواجه بدء الفتنة

التي أحكمت عرضاً وإثارة وتخطيطاً وتنفيذاً . وأنّه كرّم الله وجهه - مع رجولته ، وشجاعته ، وعلمه ، وإخلاصه - لم يقو على الوقوف في وجه التيّار الزاحف هذا ، لأن مثله العليا حالت بينه وبين الإنزلاق في متاهات السلطة فيما كان خصمه على نقيض في ذلك ، الأمر الذي دفع قريش إلى القول : « ان ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب » . . لأن الحرب التي تعنيهم إنّما هي تلك التي تحملهم إلى مراتب السلطة وترفعهم إلى سؤدد الدنيا وأمجادها ، وليست في أي حال محاربة الأهواء ومجاهدتها التي كان الإمام يضحّي بحقه الشرعي في الخلافة ، لينادي بها ، وكان قبوله بالتحكيم - رغم علمه بخديعة معاوية وبطانته - أعظم دليل على إيثار شأن الأمة على أيّ عرض من أعراض المجد الزائل . .

وهكذا فالحرب التي كانت تعنيها قريش هي « **الحرب الخدعة** » ، السياسة ، الحرب النفسية ، **تأليب الناس بكلّ الوسائل** ، وكل المعطيات دون الحق ، هذه الحرب التي فهمها الإمام عليّ كرّم الله وجهه ، رجولة وعزة وإقداماً ودعماً للحق وتخطيطاً حيث قال : « فقيّموا الدّارع ، وأخّروا الحاسر ، وعضّوا على الأضراس ، فانه أنبى للسيوف عن الهام . . . » ، أو تمرساً ، وشجاعة ونزالاً وطعاناً وهو من شهد مع الرسول الأعظم (ﷺ) جميع مغازيه إلا تبوك إذ خلفه النبي عند أهله وعوضه عن أجرها

وثوابها بقـوله (ﷺ) : « أمـا ترضى أن تكـون منّي بمنزلـة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي »[1] .

لقد كان الإمام يدرك طبيعة الحرب التي عنتها قريش لـذلك ردّ قائلاً : «لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيهـا مقـاماً منّي ! لقد نهضت فيها ومـا بلغت العشـرين ، وهـأنـذا قـد ذرفت على الستين . . ولكنّ لا رأي لمن لا يطاع . .

ربّما حكمة الإمام في قوله : « ولكن لا رأي لمن لا يطاع » تسفر عن جوهر الصراع بين المعسكرين وتجسّد شعـور العامّـة في هذه الحرب بخاصّة ، في معسكر الإمام علي كـرّم الله وجهه بعـد أن انتصـر معاويـة في الحرب النفسيـة وفي المطالبـة بدم الخليفـة الشهيد ، عثمان ذي النورين قريب رسول الله (ﷺ) مرتين .

*

فـإذا انتقلنـا من إطـار النبـذة التـاريخيّـة الـوجيـزة المتّصلة بـ« نهـج البلاغـة » من ناحيـة ، وعدد من مـواقف الإمام عليّ في سيرته ، وتـاريخه المتـألق في المثاليّـة والترفّـع ونبل المقصـد في الـذود عن العقيدة ، من نـاحية ثـانية . . إذا انتقلنـا من ذلـك إلى هـذه الطبعـة الجديـدة من طبعات هـذا السفر المتربّع فـوق سدّة البلاغة خلال الحقب المتوالية أمكن القول بانها صـورة أدق وأوفى

---

(١) انظر : مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب المصدر السابق ص ٤٥ .

وأبعد عن الخلل والخطل وأنأى عن التحريف والتشويه ، من أيّة طبعة أخرى من طبعات « نهج البلاغة » بشرح الإمام عبده ، الذي لا يضاهيه في القديم إلا شرح ابن أبي حديد ، الذي بات اليوم مُسْتَعْصياًعلى رغبة عصرنا فيما هو أيسر تناولاً وأقرب منهلاً .

وليس شيء ادلّ على استمرار الضياء المشع من شرح الإمام الشيخ محمد عبده لأدب الإمام الذي يضمّه الكتاب ـ النهج الذي جمعه الشريف الرضي وبوّبه على نحو ما تقدم في مطلع هذه المقدمّة .. من اعتراف الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، رحمه الله ، بتفوّقه وتقدّمه ، على العديد من الشروح في تاريخ « نهج البلاغة » إذ إليه « **يرتدّ الفضل في انتشار هذا الكتاب العظيم** الذي بات لا يجهله أحد من الأدباء والمتأدبين » . واضح أن الدكتور الصالح في هذا الرأي إنّما ينوّه باستناد مئات الطبعات التي نشرت بنهج البلاغة في الشرق والغرب ، و « إلى عهد قريب » إلى النصّ الذي أثبته الإمام محمد عبده وقام بشرحه .

أمّا ما يلاحظ في المقابلة ، التي عقدها الشيخ صبحي الصالح بين شرح الإمام محمد عبده وشرحه هو لنهج البلاغة ، من إضطراب في الأحكام إلى درجة التناقض ، وما يستنتج من هذه المماثلة من حملة سافرة حيناً وخفية حيناً آخر على الأستاذ محمد عبده ، ممّا لا يسعنا الخوض فيه ، لما يحيط به من الأسباب الآنية والمآرب العاجلة العابرة ، التي تبقى واهية عاجزة

عن النيل من مقام محمد عبده العريق في تاريخ الإسلام الحديث . . . إن ما يلاحظ ليس في اعتقادنا قناعة الدكتور الصالح بعلوّ صرحه الفكري فوق صرح الإمام محمد عبده ، ولكنّه من فعل العرض الدنيوي الذي يستولي في بعض الحالات على الروح البشري ، فيوقعه في مزالق الإنفعال ويدفعه إلى الشطط في الأحكام ، وأحياناً إلى الإعجاب بنشوة الشموخ والكبر .

ولئن كنّا لا ننكر على المغفور له الأستاذ صبحي الصالح التفاته إلى قيمة الفهارس ، في أيّ أثر من آثار السلف لأنها تضيء الطريق أمام المتأدبين والباحثين ، **فمأخذنا من هذه الناحية عدم أخذه بالفهرسة العلمية الجامعة** التي لا تضاهيها في أيّ حال من الأحوال أساليب الفهرسة التقليدية التي عفا عليها التطور التقني المعاصر .

فمن أجل كنوز « نهج البلاغة » وتعريفاً بمفردات حملت من البلاغة قطوفاً يانعة ومن الفصاحة جلاء ووضوحاً ، ومن البيان رونقاً وتبييناً ، إلى جانب ما ذخر به هذا الأثر الباقي المتطاول على عاديات الزمان من علوم ، ومعارف ، ووقائع ، وأيام وأحداث ، تثبتها آيات بيّنات ، وتشرحها وتؤولها أحاديث نبوية كريمة ، وفي ضوء علم الفهارس ومناهجها وطرائقها ، أعددنا لهذه الطبعة فهرساً علمياً متطوراً متميّزاً لم يسبق إليه نرجو أن

يكون جامعاً مانعاً ، وفاتحة طيّبة في التراث ، وخدمة نسديها لمحبّي العربيّة وآدابها ، وتشجيعاً للمهتمّين بالتراث وإحيائه . **فقد شدّد صاحب مؤسسة المعارف في بيروت على أن يكون الأول في بابه ، والأحدث في نوعه ومنواله تعزيزاً لهذه الطبعة من « نهج البلاغة » ، التي قوبل متنها على مخطوط مكتبة الإسكوريال** ، في حين روجع الشرح ، على عدّة طبعات تميّزت بدقتها وفخرت بالإمام الكبير محمد عبده وعلمه شارحاً ودارساً ، واعتزت بأدبه المستساغ لأن خير الكلام ما قلّ ودلّ ولأن محمداً سيّدنا رسول الله (ﷺ) تقدم موكب الأنبياء يوم « أوتي جوامع الكلم واختصر له العلم اختصاراً » ، والله نسأل أن يجعل عملنا خالصاً له وأن يعرفنا قيمة أنفسنا ومنزلتها بالتواضع ولين الجانب ، وهو يهدي السبيل .

بيروت في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق ١٤ نيسان «ابريل» ١٩٨٨

المركز اللبناني للفهرسة العلمية
والدراسات العربية والإسلامية

مقدمة

بقلم الدكتور عمر فاروق الطبّاع

(١)

في سيرة الإمام عليّ بن أبي طالب وشخصيّته وأدبه

*

عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلّب ، هاشمي من قريش ، وكنيته **أبو الحسن** ، وهو ابن عم النبيّ ، وأول من أسلم على يده من الفتيان في رأي أكثر المؤرخين .

كانت ولادته ، رضي الله عنه وعلى آله ، قبل الدعوة الإسلامية بسنوات ، في نحو السنة ٦٠٤ م ، وأصابه اليتم وهو في السادسة ، فنشأ في رعاية الرسول وكنفه ، يخلص له الحب ، ويصدقه المودّة ويتفانى في سبيل العقيدة . يدافع عنها بسيفه ، ويذود بلسانه ، وظلّ كذلك طوال حياته ، إلى أن قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة ، (٦٦١ م) وله من العمر ثمان وخمسون سنة .

ومهما تضاربت الآراء حول موقفه من الخلافة ، فقد كان

زاهداً فيها ، مع أنه من أحقّ الناس بها ، لمكانته من النبيّ ، ومنزلته في الإسلام ، وجدارته بقيادة المسلمين ، والحفاظ على مقدّرات العقيدة وتعاليمها ، وقد ظلّ هذا شأنه ، يلتزم الحكمة ، ويؤثر اجتماع الكلمة أثناء خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان رضي الله عنهم ، حتى اضطرّ إلى النهوض بأعبائها ، بعد مقتل عثمان الخليفة الراشدي الثالث ، رضي الله عنه ، وبعد مبايعة الصحابة له سنة ٣٥ هـ ـ ٦٥٦ م .

*

استلم الإمام عليّ شؤون الخلافة ، في أكثر الظروف حرجاً ، وأحلك الأوقات ظلاماً ، والمسلمون قد انقسمت صفوفهم ، والاثرة قد خلبت قلوب بعضهم ، فلم ينكص ، ولم يتراجع عن إقامة الحق ، وتسديد الخطى نحو الجادة . ورام أن يصلح ما وقع فيه الخليفة عثمان من خطأ في السياسة والإدارة ، ليقضي على المعارضة ويعود بالمسلمين إلى الجامعة الواحدة ، فكان حازماً في عدل ، وشديداً في رفق ، وقاسياً في حق ، لا يهادن الباطل ، ولا يتوانى عن أمر فيه الصلاح والخير ، وخنق الفتنة وقطع دابر الخلفة . ولكن الأحداث جاءت سريعة متتالية ، حتى تفاقم خطرها ، وطما موجها ، وداهم الأمة مدّها ، والمطامع أبدت نواجذها ، والشهوات أفلت زمامها ، واسترخى عنانها ، فكانت « معركة الجمل » ، وجاءت في أعقابها « معركة صفين » ،

فخاضهما الإمام على هدى الدين وقرآنه الكريم بقوّة إيمان ، وثبات جنان ، وقد نذر نفسه لإزهاق الباطل ، وكاد النصر النهائي يعقد له اللواء ، لولا الحيلة التي تجلّت عند معاوية في حمل المصاحف يوم صفين ، حين رأى الهزيمة محدقة به ، وما تلا ذلك من أمر التحكيم على ما هو مشهور . وقد انتقل الإمام عليّ من حرب معاوية إلى حرب الخوارج ـ الذين نشأ حزبهم بسبب اقرار الإمام عليّ بمبدأ التحكيم ـ وظلّ الإمام أميناً لرسالته حتى استشهاده من أجل مثل الإسلام العليا .

شخصيته :

الإمام علي بن أبي طالب من أعظم الشخصيات الملهمة في الإسلام ، فقد جمع إلى صباحة الخلق جمال الأخلاق والآداب ، وصفات العلماء والبلغاء ، ومزايا الخطباء والحكماء . حدّث الجاحظ فقال : سئل الحارث بن أبي ربيعة عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال : كم كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم بكتاب الله والفقه بالسنة . . والبسطة في العشيرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون[1] .

وكان تقياً ورعاً يحب التواضع ، ويكره الادعاء وكان يقول : « أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج »[2] . وحدّث

---

(١) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٤٥ .
(٢) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٦٨

بعضهم فقال : « دعا رجل علي بن أبي طالب إلى طعام فقال : « نأتيك على أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك » .

وسئل الحسن البصري عن علي فقال : « كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه ، وربّاني هذه الأمة - لم يكن بالنعامة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مؤنقة » .

ومن عظيم خصاله ، الدعوة للعمل ، والإجتهاد في السعي ، ومواجهة الدنيا بالصبر على مكارهها . وقد سمع رجلاً يذم الدنيا فقال يصفها : « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها ، ومهبط وحي الله ومصلّى ملائكته ومسجد أنبيائه وحجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة »[1] .

ومع ذلك لم يكن لزخرف الدنيا أثر في نفسه ، وحين كان عائداً من صفين مرّ على بعض المقابر فقال في خطابه لها : لو نطق الموتى في هذه القبور لقالت : « خير الزاد التقوى »[2] . **وكان لا يأنف من كلمة الصدق أنّى وجدها** وفي هذا قوله : « خذ الحكمة أنّى اتتك[3] ، فان الحكمة تكون في صدر المنافق

(١) البيان والتبيين : ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٢) البيان والتبيين : ج ٣ ص ١٣٩ .
(٣) البيان والتبيين : ج ٢ ص ٢٩٣ .

تتلجلج في صدره ، حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها » . وكان يقيس قدر الناس على قدر أخلاقهم ومروءتهم ويقول : « اعرف الحق تعرف أهله »(١) .

وكان خبيراً بنفوس من حوله ، يكره التملق والرياء ، حدث الأصمعي فقال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، فأفرط ، فقال علي : « أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك » وقال : « قيمة كل إنسان ما يحسن »(٢) .

ولا تتجلّى عظمة هذه الشخصية في شيء كما تتجلّى في وصيته لقومه حين قال : « أوصيكم بخمس : لا يرجونّ أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه . وآعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان » .

ولا نعجب بعد ذلك ان لا يفوز علي بن أبي طالب في معركة السياسة لأن مثالية هذه الشخصية كانت أرفع من أن تنزل إلى حمأتها .

---

(١) البيان والتبيين : ج ٣ ص ١٨٧ .

(٢) البيان والتبيين : ج ٢ ص ٧٢ .

أدب الإمام علي

وإذا تجاوزنا الجانب الأخلاقي من شخصيته إلى الجانب الأدبي، طالعتنا من آثاره كنوز دفينة لا تنفد، أفنى النقاد والأدباء حيزاً كبيراً من حياتهم، في توضيح معالمها، وجلاء روائعها وإبراز قيمتها، ولا نخالهم وفقوا في الإحاطة بكل طاقات العطاء فيها. فهو في الأدب على نواحيه خطابة، وحكماً، وأمثالاً، وفي البلاغة وأساليبها، وفي علم الكلام وجوهره، ينبوع لا ينضب، دافق لا يتوقف جريه وزاخر لا يحدّ انصبابه. وكل هذا يبين اعتزاز العربية بهذه الآثار الجليلة، واهتمامها بسبر اغوارها، وشموخها ببنيان الكلم الراسخ الأركان فيها، والذي لا يطاله الزمن مهما تألّبت أحداث التاريخ، أو تقلبت الأيام:

(١) - حكمه وأمثاله:

الحكمة والأمثال في تراث الإمام عليّ، ميدان واسع الجنبات، فسيح الأرجاء يزخر بفيض عقله، ويجيش بموّار شعوره، جمع فيه فأوعى، وجال فصال، وخاض ساحته فأبلى، ونثر فيه كنانته فإذا هي كجعبة الدهر، كل سهم منها يصيب من حياتنا مرمى، ويبلغ هدفاً: بعضها أخلاقي، وبعضها اجتماعي وفي هذا وذاك، طابع من سياسة المرء نفسه، يدبر بها شؤونه وينظم أحواله، ينهج عليها فيفلح، ويترسّمها فلا يضلّ. تعلمه أين يضع قدمه من مسالك الحياة، وكيف يبتغي الصلاح،

ويتجنب الشرّ ، ويحيد عن الباطل . والحكمة منذ وجدت هذه سنتها وتلك غاياتها الأخذ بناصر الإنسان للوصول به إلى محجة الأمن ، ليحقق رغائبه في الوجود على أساس الفضيلة ، فيسعد ولا يشقى ويعزّ نفسه فلا يذلّ ، ويقطف جنى الخير فلا يعرف إثم الضغينة ولا سموم الفتنة والنميمة .

وعليّ عليه السلام ، في هذا كلّه غارس نشيط تربته القلب وبذوره مكارم الأخلاق يتعهدها برعايته ، لا يبخل عليها بجهد ، ولا يضن بسقاية ، وجدها أولاً في نفسه قد آتت أُكلها التي طالعتنا خيراتها في حياته الجليلة المهيبة ، فأراد أن ينفعنا بما وهب فحصدها ، فصاغها حجارة كريمة من معدن العقل وجوهر الضمير وذوب الإنسانية في قوالب من لغة تتجلى فيها سمة البلاغة ، وطابع البيان ، وقد نَثَرها في تضاعيف خطبه ، وبين طيّات كلمه ، فغاص عليها ذوو الفضل ، فجمعوها في كتب ورسائل ، ونقدوها في أبواب وفصول فإذا لنا فيها مرجع ، وعليها المعول .

نجد بعض هذه الحكم في نهج البلاغة ، وقد صنّفها الباحثون في مجموعات عديدة منها « نثر اللآلى » و « بعض الأمثال »(١) ، و « طفافة بعض الأمثال » و « بعض الحكم »(٢) .

---

(١) جمعها النيسابوري .

(٢) نشرها الأب لويس شيخو .

(٢) - رسائله :

وتشكّل الرسائل الجانب الثاني من تراث الإمام علي ، وهي الكتب التي كان يرسلها إلى عماله وولاته في الأمصار ، أو يتبادلها مع صحبه ، أو يبعث بها إلى أهل الكوفة والبصرة ، ومنها كتبه إلى معاوية ، وجميع هذه الكتب تتصل بتلك الشخصية التي حددنا بعض عناصرها ، وتتناول شؤون الإدارة والسياسة وهي وثيقة العلاقة بالأحداث التي نشأت بعد مقتل عثمان ، وتوليه مقاليد الخلافة وشؤونها .

(٣) - الخطابة في أدب الامام :

وهي القسم الثالث من آثاره ، وأكثرها اتساعاً ، تحدّث عنها المسعودي فذكر أنها نحو أربعمائة ونيّف وثمانين خطبة « يوردها - الامام - على البديهة »[١] وقد ظلت هذه الخطب متداولة بين الناس حتى نهض الشريف الرضي أو المرتضي (٣٥٩ - ٤٠٤ م) بجمعها في كتاب « نهج البلاغة » الذي ضم بالإضافة إليها وصايا الإمام وكتبه .

وقد شك بعض المؤرخين في نسبة صحة « نهج البلاغة » إلى الإمام علي ، وكان ابن خلكان أول من اثار هذه المسألة بين الأقدمين ، واعتبر نهج البلاغة من تأليف جامعه .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، الجزء الرابع ص ٤٤١ .

وذهب المستشرق كليمان هيوار إلى انه من تأليف علي بن طاهر المرتضى[1] . أمّا أسباب الشك في نظر النقّاد فكثيرة من أهمها ، أسلوب الكتاب المنمّق ، وما فيه من ضروب الصناعة - ولا سيما السجع - التي لا تتفق مع طبيعة النثر في صدر الإسلام ، واحتواء بعض الخطب والرسائل على ألوان من التعريض بالصحابة والتهجّم عليهم واستبعاد هذا الخلق عن الإمام لما عهد فيه من الصفات الحميدة ونبل الخلال . ومن أبرز دواعي الشك ظاهرة التقسيم العددي في الكلام[2] ، التي لم تعرف إلّا في مطلع العصر العباسي بعد بدء حركة الترجمة ، وهي من خصائص الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية المحدثة ، وقد استبعد النقاد صدورها عن الإمام علي لأنها غريبة عن طوابع الأدب في الحقبة التي عاش فيها .

على أن هذه الأسباب لا تحتم الشك بكل ما جاء في هذا الكتاب ، ولكنها تؤكد أن غير قليل من محتوياته قد تعرض لطرق شتّى من التحريف ، بعضها من قبيل السهو والخطأ ، وبعضه من قبيل القصد ، لأغراض مختلفة وغايات متباينة . يقول صاحب الروائع في معرض الكلام على الكتاب : « **ويمكن أن يكون الشريف الرضي نفسه أتم بعض تراكيبه ، أو زاد في بعض**

---

(١) وهو اخو الشريف الرضي .

(٢) الروائع : الحلقة ١ ص ٢٣ .

شروحه لا إفساداً لكلام جدّه ، أو دسّا في أقواله . . بل لتوسيع فكر غامض ، أو شرح حكمة كثيرة الإيجاز وهناك النساخ وأيّ كتاب يأمن عثراتهم ، وكل هذه الأمور لا يتجاوز ضررها على الغالب ، بعض الجمل والتعابير مما لا يؤبه له » . إلا أن بعض الدارسين يُخالف هذا الرأي لأن إدخال طريقة التقسيم الرياضي الفيثاغورية ، وأصول المنطق ، ومباحث علم الكلام على الكتاب ليس مجرد توسيع لفكر غامض ومن شأنه أن يدفع إلى الشك بقسم لا يستهان به . وصاحب الروائع نفسه يقول بعد إظهاره عدم المبالاة بما وقع في الكتاب من تحريف : « وإذا علمنا أن إدخال الأعداد في الحكمة الأخلاقية ، وفي ترتيب المجردات والمعقولات ، له الدور المهم في المذاهب المتشعبة عن الطريقة الفيثاغورية . . . وإذا علمنا أن العرب لم يعرفوا هذه الفلسفة إلا بترجمة كتب اليونان في العصر العباسي الأول ، وإذا علمنا أن الشريف الرضي كان من الحكماء الاجلاء والعلماء المعروفين وانه عاش في العصر العباسي الثالث ، ساغ لنا هذا الشك » .

على أن فريقاً آخر من الدارسين ، لم يوسع نطاق الشك بحيث يشمل كل محتويات الكتاب ، بل حصروه في الخطب ذات الطابع الماورائي ، وفي تلك التي تبدو شديدة التكلف ، وقالوا : « وأكثر ما صحّ من خطبه متصل بالسياسة »[1] .

---

(١) طه حسين ، وأحمد أمين . . في كتاب المجمل في تاريخ الأدب العربي ص ٨٦- ٨٨ .

اتجاهات الخطابة عند علي :

للخطابة عند الإمام نفس الإتجاهات التي يتضمنها تراثه الأدبي عامة . ولعلّ أصدق تصوير لهذا التراث ما قاله الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه لنهج البلاغة : «كنت كلّما انتقلت من موضع إلى موضع ـ من الكتاب ـ أحسّ بتغير المشاهد وتحوّل المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحي إليها رشادها ، وتقوّم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزالّ إلى جواد الفضل والكمال . وطوراً كانت تتكشفّ لي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور ، قد تحفّزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبع وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى ، وآنات كأني اسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الإرتياب ، ويحذرهم مزالق الإضطراب ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات

الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير » .

وكأني بالشيخ لم يصف الكتاب بمجمله وحسب بل وصف أيضاً ناحية الخطب فيه على ضروبها وطوابعها . **والدارس لهذه الخطب يجدها قسمين متميزين : دينية ، وسياسية .**

(١) ـ الخطب الدينية :

وهي ضربان : **أخلاقية ، وكلامية ، مصدرها آداب الإسلام وتعاليمه ، ومنبتها القرآن وسنة الرسول .**

فالأخلاقية دعوة صادقة إلى العمل الصالح ، وحثّ على الفضائل ، والسمو بالنفس عن الصغائر ، والأخذ بها إلى دروب وضروب من عظمة الذات وصفاء الأعماق . ومن خلالها تبرز شخصية الإمام في خلقها المثالي ، وتبدو متّشحة باثواب الورعين الأتقياء الذين يعرفون الخير في جوانحهم فيريدونه للناس ، يهدونهم إليه ، ويدفعونهم نحوه ، ويغرونهم به ، ويصورون ما فيه من سعادة الروح ، وهناءة القلب ، وطمأنينة الضمير ، وهدأة الجوارح ، واستكانة الغرائز ، في عالم يسوده الأمل ، ويكتنفه الرجاء ، ويغنيه الزهد ، ويعمره الإيمان وتزينه العبادة الخالصة للبارىء الكريم ، لا يعرف المؤمن فيه شوك المطامع ، أو ثورة الأنانية ، أو وطأة الندم .

وقد يصل الإمام إلى هذه المعاني في إطار التنديد والردع ،

والتبكيت والزجر ، فيثير مشاعر الخوف من الزلل ، فيهوّل على سامعيه ، ويحيطهم بأجواء من الرهبة ويصوّر لهم الدنيا حقيرة فانية ، وتافهة زائلة كقوله من خطبة : « أيها الناس انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها ، الصارفين عنها ، فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن ، وتفجع المترف الآمن ، لا يرجع ما تولى منها فأدبر ، ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر ، سرورها مشوب بالحزن ، وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن » .

وتراه يذكر باستمرار بالآخرة ، ويعظّم يوم الحساب ، حين ينساق الناس بين يدي الباري ينالون جزاء أعمالهم ، يلبس الضالون من ضلالتهم أثواب الذلة والاستكانة ، كقوله من خطبة : « حتى إذا تصرمت الأمور ونقضت الدهور وأزف النشور أخرجهم من ضرائح القبور وأوكار الطيور . . سراعاً إلى أمره مهطعين إلى معاده رعيلاً صموتاً ، قياماً صفوفاً . . عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلّة » .

ويلاحظ أن هذه الخطب الدينية الأخلاقية ذات نسق ونظام ، يتشابه سياق أجزائها ، وتتقارب معانيها وصفاتها ، وغالباً ما تشتمل على الأفكار الرئيسة الآتية :

١ ـ **ذكر صفات الله وتعظيمه** .

٢ ـ **الدعوة إلى التقوى والعمل الصالح** ، والترغيب بالآخرة ونعيمها .

٣ ـ **ذم الدنيا وتحقيرها** ، والتذكير بالحساب ، والتحذير من العاقبة والمنقلب السيء .

وأما الكلامية ، فقد قصدنا بها تلك الخطب التي تظهر فيها طوابع علم الكلام ، لأنها تدور حول موضوع الإلهيات ، وتمجيد الله وذكر صفاته الكمالية ، على نحو ما نجد في تاريخ الفرق الإسلامية وخاصة المعتزلة .

وهذه الخطب ذات الصبغة الماورائية التجريدية ليست موضع يقين الباحثين كما أشرنا لأن أسلوبه بما فيه من خصائص الجدل والمنطق وروح الفلسفة والكلام عن الأئمة يجعلها أقرب ، في نظرهم إلى طبيعة العصر العباسي ، الذي تبلورت فيه فلسفة الفرق الشيعية حول الإمامة . ومن هذه الخطب قوله : « الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ، وبمحدث خلقه على أزليته ، وباشتباههم على أن لا شبه له ولا تحجبه السّواتر ، لافتراق الصانع والمصنوع ، والحادّ والمحدود ، والرب والمربوب الأحد لا بتأويل عدد ، والخالق لا بمعنى حركة ونصب ، والسميع لا بأداة ، والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسّة ، والبائن لا بتراخي مسافة ، والظاهر لا برؤية ، والباطن لا بلطافة . بان من الأشياء بالقهر لها ، والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه بالخضوع له ، والرجوع إليه . من وصفه فقد حدّه ، ومن حدّه ، فقد عدّه ، ومن حدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف ، استوصفه ، ومن قال : أين : فقد حيّزه . . . وإنما الأئمة قوّام الله على خلقه ،

وعرفاؤه على عباده ، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكره وانكروه . . . » . فالمتأمل لهذا الكلام يلاحظ فيه أثر العقيدة الإسلامية المتفلسفة ، والإشارات الواضحة إلى بعض الفرق كالمشبهة ، وملامح البعض الآخر كالصوفية ، ومعاني التوحيد ، وتنزيه الله عن التجسيم ، والحكمة من خلق العالم التي أفاضت فرق المعتزلة والشيعة فيها .

(٢) ـ الخطب السياسية :

وهذه تتصل بالظروف التي رافقت مبايعته بالخلافة والفترة التي امتدت فيها هذه الخلافة . وهذه الخطب منها ما يتعلق بالسياسة الدينية ، وهي لذلك تتسم بسمة الوعظ والإرشاد إلى سبل الخير والصلاح المستمدة من تعاليم العقيدة . ومنها ما يتصل بالأحداث والفتن التي قامت . وهذه الأخيرة تشتمل على معان رئيسة ، من أهمها : ملابسات مقتل عثمان ، وموقفه من معاوية ، وتفنيد أقوال مناوئيه ومنافسيه وحثّ أصحابه على القتال وتبيان حقه في الخلافة . وقد نجد فيها دلالات كثيرة على تاريخ تلك الحقبة الأخيرة من صدر الإسلام منذ خلافة الإمام ، ومعركة الجمل ، وموقعة صفين وذيولهما . وتتخلل الخطب السياسية خطوط واضحة تنصّ على مثالية الحكم ، في نصرة الحق ، وتدعيم مبادىء العدل ، وتحديد واجبات الحاكم ومسؤولياته تجاه الأمة ، وما ينبغي على الأمة تجاه حكامها . وكان لا بدّ أن تتجلى

في هذه الخطب روح الجدل والحجاج ودحض الأقاويل ، وردّ الافتراءات ، وإبطال الذرائع المغلوطة والآراء السقيمة . وهي على الجملة انعكاس صادق لتلك الفترة الخطيرة في تاريخ الإسلام .

شخصية الامام السياسية :

تجمع هذه الشخصية بين صفتين : **الرفق والحزم** ، وتمزج بين اللين والعنف ، بين ما في الدين من تسامح ونبل وسمو ، وبين ما تتطلبه الإدارة والمصلحة العامة للمسلمين من ضرب على يد المفسدين والمغرضين الذين يدسون سموم التفرقة بين الصفوف لتحقيق مآربهم ونيل مغانم السيادة . وهي لذلك عودة إلى سياسة الخليفة الراشدي الثاني ، عمر بن الخطاب ، بعد أن أفضت سياسة عثمان إلى بلبلة الخواطر وإثارة النقمة وقيام المعارضة القوية التي أدت إلى مقتل عثمان بالذات ، لما كان فيها من المحاباة والاستعانة بالأقرباء والتهاون في تطبيق مبادىء الشريعة .

ولعلّ خطبة الإمام عليّ الأولى التي قالها في المدينة بعد مبايعته ، تكاد تكون صورة واضحة لتلك السياسة . ومن أبرز ما جاء فيها :

١ ـ التحذير من عواقب الضلال :

« فلا يدّعين مدّع إلا على نفسه . هلك من ادعى ، وردي من اقتحم » .

٢ ـ النصح بالتوسط في أمور الدين : اقراراً لمبادىء الكتاب والسنة :

« اليمين والشمال مضلّة والوسطى الجادّة ، منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة » .

٣ ـ اظهار التشدّد في أمور الدين :

« إن الله يداوي هذه الأمة بدواءين : السوط والسيف . . . من أبدى صفحته للحق هلك» .

٤ ـ اصلاح ذات البين بالتغافل عما مضى والسعي لما هو أجدى :

« عفا الله عمّا سلف . . . وما علينا إلا الاجتهاد » .

*

خصائص خطابة الإمام :

لعل ما ذكره الشريف الرضي ، في مقدمة « نهج البلاغة » ، خير ما وصف به أدب الإمام عليّ في جليل معانيه وروعة مبانيه ، وما تضمنت « من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية . . . **إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ »** .
وقد عبّر بعضهم عن هذه المزايا الكثيرة في عبارة جامعة وصفت

أدبه بأنه : « دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق » . ولا بدّ أن نكشف عن جوانب هذه البلاغة على ضوء خطبه ، تفصيلاً لما أجمله المتقدمون ، وتفنيداً لما أوجزوه وتعداداً لما اكتفوا معه بالإشارة والقول الجامع .

ترتكز بلاغة الإمام في خطبه على عناصر مختلفة ، في مقدمتها تفقهه بالدين ، ورسوخ قدمه في تعاليمه ، وطول باعه في معرفة أوامره ونواهيه ، وغوامضه وخفاياه ، وأسرار حكمته ، وروائع معانيه ، وفصيح تعابيره . وهو لذلك لا يفتأ يستوحيه في كل ما يقول ، واعظاً منبهاً ، أو زاجراً رادعاً ، أو محذراً مخوفاً ، أو معنّفاً متشدّداً ، بحيث تظهر غيرته على العقيدة وإخلاصه في الذود عن حياضها ودفع الأخطار المحدقة بالإسلام ، فتتعانق عنده السماحة بالشدة ، والرفق بالصلابة واللين بقوة المراس .

وتتكشف التعاليم الإسلامية في خطب الإمام عن عاطفة دينية عميقة ، تهون إزاءها كل مطامع السياسة ، وشهوات الدنيا وزخرف الحياة ، فإذا هو يأسر سامعه بخوالج قلبه المؤمن ، وعظمة ذاته الورعة ، ويزين كلامه بجلال التقوى ويلبس معانيه ثواب الزهد ، في صدق بالغ ، يمتلك به مشاعر جمهوره ، فتقع عباراته في النفوس وقعاً رفيقاً هادئاً . وقد يلجأ إلى العنف والشدة بدوافع هذه العاطفة نفسها ، وهو في هذا الأسلوب وذاك لا يكتفي بمنطق الشعور ، وإنما له من منطق العقل ردف وعون ، فهو

يهيىء بالأول وجدان السامع ويغزو بالثاني عقله . فيصل إلى مرامي بعيدة من الاقناع بحيث لا يجد أحد عليه مأخذاً ، فتخشع القلوب أمام لمسات قلبه الكبير ، وتنصاع العقول أمام مدّ عقله النافذ . وإذا الكلمة في خطبه سحر يمتلك الجوانح وحكمة تستكين لها الأفئدة ، وحجة بالغة تغلّ كيد الخصوم وتقارع أقاويل الأعداء وتدحض أباطيل المنافسين . ولئن لم تعط هذه البلاغة ثمارها العملية في ردّ الحق إلى نصابه وإرجاع الأمور إلى ينابيعها الأصيلة فلأن الأحداث جاءت متلاحقة ، ولأن النفوس ضلّت في متاهات الدنيا ، وأعمتها زخارف الحياة . وقد آثر الإمام أن يظلّ منهج العمل عنده متفقاً مع منهج النظر ، والشكل مؤتلفاً مع الجوهر ، وسياسة الدين مقدّمة على سياسة الدنيا ، وقد كان ذلك في تاريخ تلك الحقبة من صدر الإسلام عودة إلى البدء من انطلاقة الشعلة في الإسلام وإشراقة جديدة في حدثه العظيم تلك الاشراقة التي غابت أنوارها قليلاً في عتمة الظروف ولكنها عادت فيما بعد لتبقى خالدة العطاء .

وقيم التعبير في تراث الإمام الخطابي خير اداء معجز للقيم المعنوية شعورية وجدانية ومنطقية عقلية ، في هذا التراث بالذات ، حتى الحرف في عبارته له مركزه في هذا البناء ، الشامخ في صلابة وقوة على أعمدة البيان ، وأسس الإفصاح . فهو يتعانق مع اللفظة ، فينسجمان في العبارة اللينة حتى كأنها

همس ، والصاخبة حتى كأنها جلجلة وهدير ، المنسابة حيناً في إيحاءات علوية ، والدافقة حيناً كسيل جارف لا يصدمه شيء ولا تعوقه حواجز . **انه الكلام الذي قد ينتقص الوصف من روعته ، لأن البليغ** من القول قد يصعب تحديده . ومن أبرز مظاهر العبارة عند الإمام ، **الكيفية المتنوّعة ، والنوعية المتكيّفة ، الخالقة لأجواء من التناغم ، البعيد عن الرتابة والتزويق والصناعة ، المليء بالالتفاتات الرائعة** ، في وضوح وتأكيد وجزم تارة ، وفي إشارة وتلميح ورمز ثانية ، وفي انتقال دائم بين الصيغ ، من الإنشاء إلى الإخبار ، فتراه يأمر وينهى ، ويثبت وينفي ، وهو دائماً يحسن الانتقاء ، في المعاني والبيان ، ولا يلح على ثمار البديع إلا ما دان له من قطوف رياضها ، ينساق له في طواعية لا تنفر ، وعفوية لا تؤذي الذوق ، حتى يخرج الكلام من بين يديه مرسلاً في نظام بديع ، ويبدو لك جامعاً ، ويغدو على الألسنة أمثالاً وحكماً ، تبصر وتوقظ ضمائر الهجّع ، وتلذع لتقرّع وتندّد ، استنهاضاً للعزائم الفاترة والهمم المتقاعسة ، فإذا هي تجرح لتشفي ، وما أبلغ الكلمة إذا كانت مبضعاً لا يقسو إلا ليرحم .

*

وبعد فهذا غيض من فيض في الكشف عن بلاغة الإمام علي وسحر بيانه وعميق فكره ونبيل ما في وجدانه وشعوره من قيم الحق والخير . وفي بعض ما ذكرنا من روائع كلمه أقباس من

الهداية لمن رام جادة الحق والصواب ، وأعـلام مشعّة بـالنور لمن تطلع إلى ثمرات الهدى والإيمان وعطاء الأفئدة النضـاحة بـالبديـع البهي الذي لا يبلوه كرّ الجديدين .

(٢)

أضواء على سيرة الإمام محمد عبده

*

يحتلّ الإمام محمد عبده، في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث، منزلة مرموقة لا يضاهيه في شموخها ورفعتها بين أعلام عصر الإنبعاث ، سوى نفر قليل من أقطاب الحركة الإصلاحيّة ، الذين رأوا بثاقب نظرهم وعميق فكرهم وواسع ثقافتهم ، أن النهوض بالأمة الإسلامية ، بل الخروج بالشرق العربي من ديجور التخلّف والإنحطاط إلى معارج الرقيّ والتقدّم . . لا يكون إلّا بالثورة على التقليد والجمود ، وتحطيم أثر القرون الطويلة من الخمول الذهني وتوقف البحث العقلي والإجتهاد .

فهو في هذا المضمار الصعب الذي سقط دون بلوغ محجته كثير من فرسان النهضة ، لا يجاريه إلا كوكبة من العلماء الذين لا تكتمل في أعينهم فضيلة العلم إلّا إذا كانت مقرونة بفضيلة العمل والجهاد وجبه معاقل الإنحلال ، ومحاربة الطغيان والإستبداد . . وبين هؤلاء محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وخير الدين التونسي ، والشيخ حسين الجسر ومن سار على خطاهم وعمل بهديهم ، وعلى رأسهم رشيد رضا ، والأمير شكيب ارسلان ، ومحمد بيرم التونسي ، وطاهر الجزائري ، وعبد القادر المغربي ، ومحمد كرد علي .

إن العديد من هؤلاء العلماء الأجلّاء ، الذين تزعّموا النهضة الثقافية في العواصم الإسلامية والعربية ، في القاهرة ودمشق وبيروت وطرابلس ، وفي بغداد وتونس ، لم يعاصروا الإمام محمد عبده وحسب ، بل كانت تشدّهم إليه أواصر دقيقة فكريّة وأدبيّة ، لا سيّما وجلّهم من تلامذته ومريديه ، **الذين رأوا فيه المثل الأعلى في الإيمان بالحق والقدوة الصالحة نحو منابت العزّة** ، والدرب الصاعدة إلى منبلج الوعي ، والمنهج القويم إلى مبادىء الحياة الكريمة وأسباب اليقظة الوطنية والقومية . **كما تمثّلوا فيه القيادة الحكيمة** التي تأخذ بيدهم للتغلّب على أسباب الضعف في ربوع أوطانهم ، والقضاء على الرجعية المقيتة التي تتحكّم في نفوس مواطنيهم ، لتجعلها مسرحاً للأباطيل والضلالات ، وميداناً للغواية والجهالة ، وفريسة سائغة لدعايات المستعمرين ، وأهدافاً سهلة للمغرضين المتحاملين على العقيدة السمحة ، المفتّنين في بثّ سموم الفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، بإثارة الفتن السياسيّة ، أو إذكاء العصبيّة الدينية . فقد كان الإمام محمد عبده في حياته وتعاليمه الخصم العنيد للأفئدة المتهافتة ، والعقول القاصرة المحدودة آفاقها ، العاجزة عن النهوض من حالة الهجوع والانكفاء ، إلى واقع أمثل ومستقبل أفضل .

*

كانت ولادة محمد عبده بن عبده بن حسن خير الله عام

١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) بناحية من نواحي إقليم البحيرة في مصر تعرف بـ « **محلة نصر** » . أمّا نشأته الأولى فكانت في بيئة ريفيّة من تلك البيئات التي تحتضنها منطقة **الدلتا المصريّة** . ولئن كان الواقع الماديّ في كنفه العائلي وسطاً بين اليسر والحاجة ، فانه من حيث المكانة الإجتماعية **ينتسب إلى أسرة مشهورة بمكانتها العلميّة وسيرتها الخلقيّة** . وفي جذوره عراقة تركيّة من ناحية الأب وأصاله دينيّة إسلاميّة من ناحية الأم . فالنسّابون يربطون أصل أمه بعدد من رجالات الإسلام القدامى الذين سجّل لهم التاريخ مآثر في الذود عن حياض الدين ، وبطولة في ساحات الجهاد . إلاّ أن **النسب الأعظم الذي تطلّع إليه محمد عبده** منذ طفولته وحداثته **كان شرف العلم والسيرة الحميدة** . وقد دأب لذلك على حفظ القرآن الكريم ، في مدرسة القرية الصغيرة صبيًا ، وتحمّل صعاب الأسلوب التعليمي الديني في الجامع الأحمدي في مدينة طنطا يافعاً ، وفي رحاب الأزهر الشريف فتى وشاباً . وذكر الزيّات انه « **مني في أول دراسته بمعلمين غير أكفاء** » فكاد أن يصاب بالسأم لولا رعاية صالحة ونصح دؤوب من خاله الشيخ درويش ، ولولا جدّ ضاحك أعانه على وصل خطاه بخطى أستاذ الجيل الأكبر آنذاك عنينا **جمال الدين الأفغاني** . فقد اتّصل به محمد عبده اثناء زيارته الأولى إلى القاهرة قبل أن يستأنف الأفغاني سفره إلى الآستانة . ثم انقطع إليه بعد عودته إلى الديار المصرية في العام

١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . وظلّ يرشف من مناهله السخيّة ، ويتـزوّد من علمه الجمّ وأدبه العالي وخلقه الكريم حتى علا كعبه في علوم الأوائل وزاد شغفه بالثقافة الحديثة ولا سيّما تاريخ الحضارة الأوروبيّة . ويجمع الذين عنوا بالترجمة لحياة الأفغاني وسيرته على أن محمد عبده كان آثر تلامذة الأفغاني إلى نفسه وأعظمهم حظوة عنده ، وحين غادر مصر قرّظ الأستاذ تلميذه قائلاً « إني خلّفت في مصر خيراً كثيراً في علم الشيخ محمد عبده » .

*

حين بلغ محمد عبده الثامنة والعشرين (عام ١٢٩٤ هـ) فاز بالدرجة العالمية بعد أن أضنته رحلة الطّلب في سعي حثيث وراء مختلف العلوم من دينيّة ولغويّة وعقليّة . واستحق بنجاحه في طور الأستاذيّة لقب الأستاذ الإمام . فقد أظهر براعة وتفوّقاً في تدريس الآداب والتاريخ ومختلف العلوم اللسانية بدار العلوم وهي إحدى الكليّات الحديثة التي انتدب محمد عبده للتدريس فيها . وكانت محاضراته في إعداد طلّابه من المؤهّلين للتدريس والقضاء ، تتناول فيما تتناول من الثقافة النيّرة ، فلسفة التاريخ والإجتماع عند ابن خلدون وتاريخ الحضارة الغربية للمؤرخ « غيزو » ، وفلسفة النفس والأخلاق لابن مسكويه . وكان هذا ايذاناً بعهد جديد في التعليم الأزهري وبداية سياسة جديدة في التربية العقلية ؛ إيماناً مبكراً من الإمام الأستاذ بضرورة تطوير

مناهج التعليم الديني ونفحها بنفحة من العصريّة والحداثة . **ولم يقتصر محمد عبده على مناوأة الرجعيّة الفكريّة ، فقد كان ضالعاً في مناوأة الرجعيّة السياسيّة** « وكان ـ في مقدّمة ـ من شايع وبايع **وأفتى بخلع الخديوي توفيق** » ، مؤثّراً في هذا الإتجاه بقيام الثورة العرابية ، ومتأثّراً بنتائج فشلها ، فقد أفاد محمد عبده عندما عيّن رئيساً لتحرير صحيفة « **الوقائع** » ، من مركزه النافذ ، **فمزج كلمته** ، بالإضافة إلى الأصالة العربيّة **بالفكر السياسي الذي رضعه على يد الأفغاني** . ونفح النفوس بعدد من المقالات الإجتماعيّة والتربويّة الناقدة حتى غدا في طليعة الزعماء القوميّين ، المؤسسين لحركة « المقاومة الشعبية » . وعندما استتبّ للانكليز احتلال مصر وآنهار النضال القومي بعودة الخديوي توفيق إلى الحكم « سجن ـ محمد عبده ـ وعومل معاملة سيّئة . . . ثم حكم عليه بالنفي لمدة ثلاث سنوات » ، فقدم إلى سورية **وأقام مدة في بيروت قبل أن يوافي الأفغاني في باريس** ، ليكون ساعده في تنظيم حركته النضالية **وبث روح الثورة على الأنظمة البالية ومعاقل الطغيان** ، فأصدرا معاً مجلة « **العروة الوثقى** » التي شغلت بمنبرها الحرّ الداوي أذهان الناس في سائر الأقطار الإسلامية الناطقة بالضاد .

وقد قنص الإمام محمد عبده السانحة ، بوجوده في العاصمة الفرنسيّة فقبس طويلاً وعميقاً ، من روافد اللغة الفرنسية وآدابها ، **وأضفى من هذا الرداء الحضاري على آدابه العربيّة روحاً ظليلة**

بقيت على الدوام حافزاً له على الجدّة في الرأي ، والانطلاق في العقيدة إلى معارج الإجتهاد وحومة الإرتقاء . يسعفه في ذلك عقل نيّر وطموح متوثّب ، وبيان واضح . فلما عاد إلى ربوع الوطن تألق نجمه في القضاء والتدريس على السواء فكان ألمعياً كمستشار في محكمة الإستئناف ، كما كان ناصع الحجة في عضويّة المجلس التشريعي ، وفي منصب الافتاء وكرسي الأستاذيّة حتى بات « درسه مجمعاً لرجال القانون والأدب والصحافة والتعليم » .

*

وأبرز ما في فلسفته الإصلاحيّة أنّه كان من ألدّ أعداء الإنحطاط الإجتماعي والعقليّة التقليديّة في شتّى مجالاتها ، فقد هاله تقدّم الغرب ورسوف الشرق - في المقابل - مغلولاً بالأوهام والأباطيل . فقد أراد أن تكون معاهد التعليم في مصر والعالم الإسلامي هي التي تحتضن الثورة على التخلّف فدعا إلى التفاعل بين الأصالة والحداثة ، وبين جوهر القديم وروح العلم الحديث وكان شعاره في ثورته الفكريّة ضرورة تغيّر الشرائع والأحكام بمعيار تغير الأمم والشعوب . ولم يكن محمد عبده بهذا الشعار من دعاة تغريب الشرق ، أو جعل المجتمع المصري على غرار المجتمع الغربي الحديث ، لأن إيمانه بالتطوّر كان من الناحية العمليّة رهناً بقاعدة طرديّة ، فأحوال الأمم حين تتبدّل تستتبع تبدّلاً

أو تغيّراً في الشرائع ، وليس العكس . وعلى نحو آخر ، كان محمد عبده يقول أن الشرائع لا تكون ذات فاعليّة ما لم تتّصل بالأوضاع والأحوال والقيم الخاصة ببلد من البلدان أو مجتمع من المجتمعات . يقول البحّاثة ألبرت حوراني في دراسته للفكر الإصلاحي في أدب محمد عبده « كان هدف محمد عبده في جميع أعماله وكتاباته . . سدّ الثغرة القائمة في المجتمع الإسلامي بغية تقوية جذوره الخلقيّة . ولبلوغ هذا الهدف رسم طريقاً واحدة هي عدم الرجوع إلى الماضي وتوقيف مجرى التطوّر الذي بدأه محمد علي ، بل الإعتراف بالحاجة إلى التغيير وربط هذا التغيير بمبادىء الإسلام ، وذلك بإثبات أن هذا التغير الحاصل ليس مما يجيزه الإسلام وحسب ، بل إنّما هو من مستلزماته الضروريّة إذا فهم على حقيقته ، وأن الإسلام يمكنه أن يشكّل في الوقت نفسه ، المبدأ الصالح للتغيير والرقابة السليمة عليه » . ويلخّص الأستاذ أحمد حسن الزيّات أثر محمد عبده في اللغة والأدب والعلم والدين بقوله : « كانت اللغة في عهده فريسة العجمة رهينة البلى فجاهد في إنقاذها وإحيائها حق جهاده . . . ورأى أفق الدين ـ غائماً ـ بسحب البدع والأضاليل ، فأطلع الأستاذ من فكره وعلمه نوراً بدّد غيوم الباطل ، وجدّد رسوم الحق . . ورأى العلم قد أخذ ينغّض إلى الدين رأسه[1] ، فوقف بينهما موقف المؤلّف

---

(١) نغض : بتشديد الغين : حرّك ، والعبارة كناية عن محاولة افساد الدين والعقيدة .

الموفّق كما فعل ابن سينا وابن رشد من قبل . . . وجملة القول أن الإمام . . . كان من أولئك الأعلام المجتهدين والعلماء المحقّقين الذين يصطفيهم الله من خلقه لنصرة حقه ، فيجدّدون حبل الدين ، ويشيدون أركان العلم ، ويدفعون عن الأرض الفساد » . وقد أسهب الدكتور أحمد أمين في تعداد مناقب الإمام في الوطنيّة والتعليم والإصلاح فأعجب بمواقفه في ميدان العلم والعمل ونوّه بآثاره وأبرزها « شرح نهج البلاغة ، ومقامات بديع الزمان . . وتفسير القرآن الكريم » ، ونضيف إليها كتابه في « الإسلام والردّ على منتقديه » و « رسالة التوحيد » .

ولم يغفل أحمد أمين أثر محمد عبده في الحركة العلميّة ببيروت ، فقال : « ودعي للتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت فأصلح برامجها ونقلها إلى درجة أرقى بكثير ممّا كانت ، نقلها من شبه مدرسة أوليّة إلى شبه مدرسة عالية ، وشغل نفسه في التدريس فيها . . . فكان يدرّس التوحيد والمنطق والبلاغة والتاريخ الإسلامي والفقه . . واتخذ بيته ندوة للحديث العلمي والأدبي . . وكان لبقاً في دروسه وأحاديثه ، يشتاق إليها المسلم والنصراني » .

*

تلك نبذة ـ إن لم تكن مستفيضة ـ عن شخصيّة الإمام ودوره في الإحياء والتجديد ، فهي كافية ذات دلالة ناصعة على وزنه الراجح في مختلف ميادين الحياة ومرافق العلم والإجتماع ، في

اللغة والدين والتشريع والافتاء ، والصحافة والنقد ، والسياسة والأدب . إنّ هذه الذخيرة الحيّة من المعرفة والإخلاص ، والأصالة في العقيدة ، والبعد عن الدجل والختل والمكر ، والتشبث بالحق والصراحة ، والصدق والأمانة ـ مهما كانت العواقب ، وأيّاً كانت المخاطر ـ أعظم شاهد على جدارته بخوض بحر البلاغة الزاخر وعبابه الغامر ، وهو يقبل على شرح كتاب « نهج البلاغة » الممثّل لتراث أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب وهو من هو في دوحة البيت النبوي ، وهو من هو في بنيان الإسلام جهاداً واجتهاداً ، فقد كان محمد عبده على غرار الإمام عليّ ذابّاً عن حمى الدين وذائداً ، وفي ترسيخ أصوله منافحاً ونافحاً ، وفي الخروج به إلى معترك التعامل والتمرّس قدوة ومثالاً .

*

فلا يداخلنّ أحداً العجب ، ولا ينالنّ من إنسان الذهول أو الغربة ، حين نؤكّد بأن شرح الإمام عبده لتراث الإمام علي الفكري في العصر الحاضر ، ظلّ المنارة المشعّة التي تسعى إلى ضوئها سفائن المبحرين في محيط البلاغة الطالبية خلال نحو من نصف قرن ، وسيظلّ هذا الشرح إلى جوار شروحات الأوائل **وعلى رأسهم ابن أبي حديد** الينبوع الدافق والكوثر العذب الذي لا يدانيه في دقته وسموّه وفصاحته وإصابته الحقيقة ، شرح

الشارحين المتطّفلين على موائد الإبداع ، الذين ليسوا عالّة على البلغاء وحسب بل أولئك الذين ، بصلفهم وادّعائهم ، عالّة على القيم ، كلّ القيم[1] .

بيروت الأول من ربيع الأول ١٤٠٩
الموافق ١١ تشرين الأول ١٩٨٨
عمر . ف . الطبّاع

---

(١) لمزيد من الالمام بشخصيّة الإمام محمد عبده وآثاره وفلسفته الإصلاحية انظر :
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين .
- تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيّات .
- الفكر العربي في عصر النهضة لألبرت حوراني .
- الإمام محمد عبده (من ديوان النهضة) - دار العلم للملايين .

مقدمة الأستاذ الإمام محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدٌ لله سياج النعم ، والصلاة على النبي وفاء الذمم ، واستمطار الرحمة على آله الأولياء ، وأصحابه الأصفياء ، عرفان الجميل ، وتذكار الدليل .

وبعد ، فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب « نهج البلاغة » مصادفة بلا تعمل : أصبته على تغير حال ، وتبلبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال ، فحسبته تسلية ، وحيلة للتخلية ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملا من عباراته ، من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرقات ، فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شنت ، وأن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة(١) وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الأبلج(٢) والقويم الأملج ، وتمتلج المهج برواضع الحجج ، فتفل من دعارة الوساوس (٣) وتصيب مقاتل الخوانس . فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ، ومرج الشك في خمود(٤) وهرج الريب في ركود .

---

(١) العرامة : الشراسة . والدعارة : سوء الخلق . والجحافل : الجيوش ، والكتائب : الفرق منها . والذرابة : حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخييل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والأوهام .

(٢) تنافح : تضارب أشد المضاربة ، والصفيح : السيف ، والأبلج : اللامع البياض ، والقويم : الرمح ، والأملج الأسمر . وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القويمة المبددة للوهم وإن خفي مدركها . وتمتلج : أي تمتص ، والمهج : دماء القلوب ، والمراد لا تبقى للأوهام شيئاً من مادة البقاء .

(٣) فل الشيء : ثلمه ، والقوم هزمهم . والخوانس : خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء .

(٤) المرج : الاضطراب ، والهرج : هيجان الفتنة .

وإن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية : توحي إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزال ، إلى جواد الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضّت للاختلاب . فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الانساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس .

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرِّفهم مواقع الصواب ، ويبصِّرهم مواضع الارتياب ، ويحذِّرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة . ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي ، رحمه الله ، من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم « نهج البلاغة » ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه ، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما

ستراه في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة تفرض عَلينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على إحسانه ، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة ، من فنون الفصاحة ، وما خص به من وجوه البلاغة . خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه .

إلا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا ، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا ، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد ، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول إلى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل ، وليس ذلك ضعفاً في اللفظ ، أو وهناً في المعنى ، وإنما هو قصور في ذهن المتناوَل .

ومن ثم همّت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة ، والمشارفة بالمكاشفة ، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً ، وبعض جمله تفسيراً ، وشيء من إشاراته تعييناً ، واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت ، موجزاً في البيان ما استطعت ، معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة ، والمعروف من صحيح الأخبار . ولم أتعرض لتعديل ما روي عن الامام في مسألة الامامة أو تجريحه ، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى أصول المذاهب المعلومة فيها ، والأخبار المأثورة الشاهدة عليها . غير أني لم أتحاش تفسير العبارة وتوضيح الاشارة . لا أريد في وجهي هذا إلا حفظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ تصوناً من النسيان ، وتحرزاً من الحيدان ، ولم أتطلب من وجه الكتاب إلا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام . وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي .

وقد عني جماعة من جلة العلماء بشرح الكتاب ، وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الأسرار . وكل يقصد تأييد مذهب ، وتعضيد مشرب . غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد على شروحهم ، إلا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب . فان وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق ، وإن كنت

خـالفتهم فإلى صـواب فيما أظن ،عـلى اني لا أعـد تعليقي هـذا شرحـاً في عـداد الشروح ، ولا أذكره كتابـاً بين الكتب ، وإنمـا هو طـراز لنهج البـلاغة ، وعلم توشى به أطرافه .

وأرجو أن يكون فيـما وضعت من وجيز البيـان ، فائـدة للشبان من أهـل هذا الزمان . فقد رأيتهم قيـاما عـلى طريق الـطلب ، يتدافعـون الى نيل الأرب من لسـان العرب . يبتغـون لأنفسهم سلائق عـربية ، وملكـات لغويـة . وكل يطلب لساناً خاطباً ، وقلماً كاتباً . لكنهم يتوخون وسائل ما يـطلبون في مـطالعة المقامات وكتب المـراسلات ممـا كتبه المـولدون ، أو قلدهم فيـه المتأخـرون . ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات ، وانسجـام السجعات ، وما يشبه ذلـك من المحسنات اللفـظية ، التي وسمـوها بـالفنون البـديعة . وإن كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، أو فاقدة الأساليب الرفيعة .

على أن هذا النوع من الكلام بعض ما في اللسان العربي ، وليس كل مـا فيـه ، بل هـذا النوع إذا انفـرد يعد من أدنى طبقـات القـول ، وليس في حـلاه المنوطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه الى درجة الوسط . فلو أنهم عدلوا الى مدارسة ما جاء عن أهل اللسان ، خصوصاً أهل الطبقة العليا منهم ، لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت إليه أعناقهم ، واستعدت لقبوله أعراقهم . وليس في أهل هذه اللغـة إلا قائل بـأن كلام الامـام علي بـن ابي طـالـب هو أشرف الكـلام وأبلغه ـ بعـد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ـ وأغزره مادة ، وأرفعه اسلوباً ، وأجمعه لجلائل المعاني .

فـأجدر بـالطالبـين لنفائس اللغـة ، والطامعـين في التدرج لمـراقيها ، ان يجعلوا هـذا الكتاب أهم محفـوظهم ، وأفضل مـأثورهم . مـع تفهم معانيـه في الأغـراض التي جاءت لأجلهـا . وتأمـل ألفاظـه في المعاني التي صيغت للدلالـة عليها ، ليصيبوا بذلك أفضل غاية ، وينتهوا الى خـير نهاية . وأسـأل الله نجاح عملي وأعمالهم ، وتحقيق أملي وآمالهم .

***

ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب وطرفاً من خبره .

فهو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه .

ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذَّ أهل زمانه في العلم والأدب .

قال صاحب اليتيمة : هو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادات العراق ، يتحلّى ـ مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ـ بأدب طاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحامد وافر . تولى نقابة نقباء الطالبيين بعد أبيه في حياته سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وضمت إليه ، مع النقابة ، سائر الأعمال التي كان يليها أبوه : وهي النظر في المظالم ، والحج بالناس . وكان من سمو المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر من قصيدة طويلة : ـ

عطفاً أمير المؤمنين فإننا ... في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً ، كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فانني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويروى أن القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم أنفك الشريف . ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله ـ

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ... أبداً ينازع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل ... ضجراً : دواء الفارك التطليق

وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل .

قال صاحب اليتيمة : وهو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر ، على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق .

وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان شاعراً مفلقاً ، فصيح النظم ، ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرفاً في فنونه : إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشقّ له فيه غبار ، وإن قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الأنفاس . وكان مع هذا مترسلا ، كاتباً ، بليغاً ، متين العبارات ، سامي المعاني .

وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعةٌ . وأجود ما جمع منه مجموع أبي حكيم الخيري وهو ديوان كبير يدخل في أربعة مجلدات ، كما ذكره صاحب اليتيمة . وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم ، قالوا : يتعذر وجود مثله ، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين . وله كتاب في مجازات القرآن . وكان عليَّ الهمة ، تسمو به عزيمته إلى أمور عظام ، لم يجد من الأيام عليها معيناً ، فوقفت به دونها حتى قضى وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها إلى النهاية : لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ، حتى إنه رد صلات أبيه . وقد اجتهد بنو بويه في قبوله صلاتهم فلم يقبل ، وكان يرضى بالاكرام ، وصيانة الجانب ، وإعزاز الأتباع والأصحاب . حكى أبو حامد محمد بن محمد الاسفرائيني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) أبو الحسن فأعظمه وأجلَّ مكانه ورفع من منزلته وخلّى ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو قاسم (أخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الاكرام . وتشاغل عنه برقاع يقرأها فجلس قليلا ، ثم سأله أمراً فقضاه ثم انصرف ، قال أبو حامد : فقلت : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الأمثل والأفضل منهما ، وإنما أبو الحسن شاعر ؟

قال : فقال لي : إذا انصرف النـاس وخلا المجلس أجبتـك عن هذه المسـألة . قـال : وكنت مجمعاً على الانصراف فعرض من الأمـر مـا لم يكن في الحسـاب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوّض الناس . وبعد أن انصرف عنه أكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري . قالَ لخادم لـه : هات الكتـابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك بوضعهما في السفط الفلاني . فـأحضرهما ، فقـال : هذا كتاب الرضي اتصل بي أنه قـد ولد لـه ولد فـأنفذت إليـه ألف دينار ، وقلت : هذا للقابلة ، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى ذوي مودتهم مثل هذا في مثـل هذه الحـال . فردهـا ، وكتب إليّ هذا الكتـاب فاقـرأه . فقرأتـه فاذا هـو اعتـذار عن الرد ، وفي جملتـه : « إننا أهـل بيت لا يـطلع عـلى أحـوالنـا قـابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا ، ولسن ممن يأخذون أجـرة ، ولا يقبلن صلة » قال : فهذا هذا ، وأما المـرتضى فانـا كنا وزعنـا وقسّطنـا على الأملاك ، ببعض النواحي ، تقسيـطاً نصرفه في حفـر فوهـة النهر المعـروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد. وقد كتب منذ أيام في هذا المعنى منهذا الكتاب فاقرأه ، وهـو اكثر من مـائة سـطر ، يتضمن من الخشوع والخضـوع والاستمالـة والهزء والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يـطول شرحه . قـال فخـر الملك فأيهـما ترى أولى بـالتعـظيم والتبجيـل ؟ هـذا العـالم المتكلم الفقيـه الأوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسـه تلك الـنفس ؟ فقلت : وفق الله سيـدنا الـوزير ، والله مـا وضـع الأمـر إلا في موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

وتـوفي الرضي في المحـرم سنـة أربـع وأربعـمائـة ، ودفن في داره بمسجـد الأنباريين بالكرخ ، ومضى أخوه المرتضى من جـزعه عليـه إلى مشهد مـوسى بن جعفـر عليه السـلام ، لأنه لم يستـطع أن ينظر إلى تـابوتـه ودفنه ، وصـلى عليه الـوزيـر فخـر الملك أبـو غـالب ومضى بنفسـه آخـر النهـار إلى المشهـد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره .

ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها : ـ

يا للرجال لفجعة جذمت يدي | وودت لو ذهبت علي براسي
ما زلت أحذر وردها حتى أتت | فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً ، فلما صممت | لم يثنها مطلي وطول مكاسي
لله عمرك من قصير طاهر | ولرب عُمْر طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء انه رأى في مجموع أن بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان ، وذهبت بهجتها ، وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد بكيت على ربوعهم | وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب | نِضوى ، ولج بعذليَ الركب
وتلفتت عيني ، فمذ خفيت | عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص ، وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب الأبيات الشريف الرضي ! فعجب كلاهما من حسن الاتفاق .

وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي ما لو تقصّيناه لطال الكلام ، وإنما غرضنا أن يلم القارىء بسيرته بعض الالمام ، والله أعلم .

تنبيه لمديري المدارس

قد اعتنينا عند تصحيح الكتاب بضبط ألفاظه اللغوية ضبطاً صحيحاً ، ونعيد ما ذكرناه في المقدمة زيادة في التنبيه من ان الكتاب حاو جميع ما يمكن ان يعرض للكاتب والخاطب من أغراض الكلام : فقد تعرض للمدح ، وللعذل الأدبي ، وللترغيب في الفضائل وللتنفير من الرذائل ، وللمحاورات السياسية ، والمخاصمات الجدلية ، ولبيان حقوق الراعي على الرعية ، وحقوق الرعية على الراعي ، وأتى على الكلام في أصول المدنية وقواعد العدالة ، وفي النصائح الشخصية ، والمواعظ العمومية ، وعلى الجملة فلا يطلب الطالب طلبة إلا ويرى فيه أفضلها ، ولا تخالج فكره رغيبة إلا وجد فيه أكملها . والله الموفق للصواب .

مقدمة العلامة الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمدُ الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومعاذاً من بلائه، وسبيلاً[١] الى جنانه، وسبباً لزيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة. المنتخب من طينة الكرم[٢] وسلالة المجد الأقدم. ومَغْرِس الفخار المُعْرِق[٣] وفرع العَلاء المثمر المورق. وعلى أهل بيته مصابيح الظُلَم، وَعِصَم الأمم[٤] ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكون إزاء لفضلهم[٥] ومكافأة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنار فجر ساطع، وخَوَى نجم طالع[٦]. فإني كنت في عنفوان السن[٧] وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام: يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية

---

(١) في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة، وهي ما يتقرب، ورواية سبيلا أحسن.

(٢) طينة الكرم: أصله، وسلالة المجد: فرعه.

(٣) الفخار: قال بعضهم بالكسر، ويغلط من يقرأ بالفتح لأنه مصدر فاخر، والمصدر من فاعل الفعال بكسر أوله، غير أنه لا يبعد أن يكون مصدر فخر، والثلاثي إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحاً.

(٤) العصم جمع عصمة: وهو ما يعتصم به، والمنار: الاعلام واحدها منارة، والمثاقيل جمع مثقال وهو: مقدار وزن الشيء، تقول: مثقال حبة، ومثقال دينار، فمثاقيل الفضل: زناته، أي: أن الفضل يعرف بهم مقداره.

(٥) إزاء لفضلهم: أي مقابلة له.

(٦) خوى النجم: سقط، وخوت النجوم: أمحلت فلم تمطر كأخوت وخوت بالتشديد.

(٧) عنفوان السن: أولها.

الكتاب محاجزات الزمان[1] ومماطلات الأيام ، وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً ، وفصلته فصولاً ، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والأمثال والآداب ، دون الخطب الطويلة ، والكتب المبسوطة . فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ، ومتعجبين من نواصعه[2] وسألوني عن ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غضونه : من خطب ، وكتب ، ومواعظ ، وآداب . علماً ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام[3] ولا مجموع الأطراف في كتاب ، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَع الفصاحة وموردها[4] ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب[5] ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصّروا ، وتقدم وتأخروا ، ولأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مَسْحَة من العلم الإلَهي[6] وفيه عَبْقة من الكلام النبوي ، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ، ومَنْشُور الذكر ، ومذخور الأجر . واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة ، مُضَافَة إلى المحاسن الدّثْرَة ، والفضائل الجمة[7] . وأنه ، عليه السلام ، انفرد ببلوغ غايتها عن

---

(١) محاجزات الزمان : ممانعاته . ومماطلات الأيام : مدافعتها .

(٢) النواصع : الخالصة ، وناصع كل شيء خالصه .

(٣) الثواقب : المضيئة ، ومنه الشهاب الثاقب . ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول إلى ما دلت عليه فيهتدي بها إليه .

(٤) المشرع ؛ تذكير المشرعة : مورد الشاربة كالشريعة .

(٥) حذا كل قائل : اقتفى واتبع .

(٦) عليه مسحة من جمال ، أي : علامة أو أثر .وكأنه يريد بهاء منه وضياء ،والعبقة : الرائحة .

(٧) اعتمدت : قصدت ، والدثرة بفتح فسكون : الكثيرة .

جميع السلف الأولين الذين إنما يُؤْثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد[١] . وأما كلامه فهو من البحر الذي لا يُسَاجل[٢] والجم الذي لا يحافل[٣] .

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام ، بقول الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جَمَعَتْنا ،يا جرير ،المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها : الخطب والأوامر ، وثانيها : الكتب والرسائل ، وثالثها : الحكم والمواعظ ، فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ،[٤] ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والأدب . مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ، ومفصلاً فيه أوراقاً ، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ، ويقع إليَّ آجلاً ، وإذا جاء شيء من كلامه ، عليه السلام ،الخارج في أثناء حوار[٥] أو جواب سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض ـ في غير الأنحاء التي ذكرتها ، وقررت القاعدة عليها ـ نسبته إلى أليق الأبواب به ، وأشدها ملامحة لغرضه[٦] . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير مُتسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ، لأني أورد النكت واللُّمَع ، ولا أقصد التتالى والنسق .

ومن عجائبه ، عليه السلام ، التي انفرد بها ، وأمن المشاركة فيها ، أن كلامه عليه السلام ، الوارد في الزهد والمواعظ ، والتذكير والزواجر ، إذا تأمله المتأمل ، وفكر فيه المتفكر ، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ، ونفذ أمره ، وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لاحظ له

---

(١) يؤثر : أي ينقل عنهم ويحكي .

(٢) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء .

(٣) لا يغالب في الكثرة ، من قولهم : ضرع حافل ، أي : ممتلىء كثير اللبن .

(٤) أجمع عليه : عزم ، والمحاسن : جمع حسن على غير قياس .

(٥) بالفتح وبالكسر : المحاورة .

(٦) الملامحة : الأبصار والنظر ، والمراد هنا المناسبة ، لأن من ينظر إلى شيء ويبصره كان كأنه يميل إليه ويلائمه .

في غير الزَّهادة ، ولا شغل لـه بغير العبـادة ، قد قَبَـعَ في كسرِ بيت(1) أو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إلا حسَّه ، ولا يـرى إلا نفسه ، ولا يكـاد يوقن بـأنه كلام من ينغمس في الحرب مُصلتـاً سيفه(2) فيقط الـرقاب ، ويجـدل الأبطال(3) ويعود به يَنْطِفُ دماً ، ويقطر مُهَجاً . وهو مع تلك الحال زاهد الـزهاد ، وبـدل الأبدال(4) . وهذه من فضائله العجيبة ، وخصائصه اللطيفة ، التي جمع بها بين الأضـداد وألَّف بين الأشتـات(5) . وكثيراً مـا أذاكر الإخـوان بهـا ، وأستخـرج عجبهم منها ، وهي موضع للعبرة بها ، والفكرة فيها .

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردَّد ، والمعنى المكـرر . والعذر في ذلك ان روايات كلامه تختلف اختـلافاً شـديداً : فـربما اتفق الكـلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعاً غـير وضعه الأول : إمـا بزيـادة مختارة ، أو بلفظ أحسن عبـارة ، فتقتضي الحال أن يعـاد ،

---

(1) قبع القنفذ ، كمنع : أدخل رأسه في جلده ، والرجل أدخل رأسه في قميصه أراد منه : انزوى . وكسر البيت : جانب الخباء ، وسفح الجبل : أسفله .

(2) أصلت سيفه : جرده من غمـده ، ويقط الرقـاب : يقطعهـا عرضـاً . فان كـان القطع طـولاً ، قيل : يقـد . قال ابن عـائشة : كـانت ضربات عـلي أبكاراً إن اعتـلى قد وإن اعترض قط . ومنه قط القلم .

(3) يجدل الأبطال : يلقيهم عـلى الجدالـة كسحابـة : وهي وجه الأرض وينـطف من نطف كنصر وضرب ، نطفا وتناطفا : سال ، والمهج : جمع مهجة ، وهي دم القلب .

(4) الأبدال : قوم صـالحون لا تخـلو الأرض منهم ، إذا مات منهم واحـد أبدل الله مكـانه آخر .

(5) موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغـامرة والجـرأة يكونـون في العـادة قسـاة فتاكين متمردين جبارين . والغـالب على أهـل الزهـد وأعداء الـدنيا وهـاجري مـلاذها المشتغلين بـالوعظ والنصيحـة والتذكـير أن يكونـوا ذوي رقة ولـين وضعف قلوب وخور طباع ، وهاتـان حالتـان متضادتـان فاجتـاعهما في أمـير المؤمنين عـلي كرم الله وجهـه مما يوجب العجب : فكان كرم الله وجهه أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم ، وأزهـدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا ، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً وأشـدهم اجتهاداً في العبـادة ، وكان أكرم الناس أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة .

استظهاراً للاختيار ، وغيرة على عقائل الكلام[1] ، وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً ، لا قصداً واعتماداً .

ولا أدعي ـ مع ذلك ـ اني أُحيط باقطار جميع كلامه عليه السلام[2] حتى لا يشذ عني منه شاذ ، ولا يند ناد . بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي[3] وما عليّ إلا بذل الجهد ، وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل[4] ورشاد الدليل ، إن شاء الله .

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ « نهج البلاغة » إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ، ويقرب عليه طِلاَبَها ، فيه حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد . ويمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ، ما هو بِلال كل غلة[5] وجلاء كل شبهه .

ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة ، وأتنجز التسديد والمعونة ، وأستعيذه من خطأ الجنان ، قبل خطأ اللسان ، ومن زلة الكلام ، قبل زلة القدم . وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) عقائل الكلام : كرائمه . وعقيلة الحي . كريمته .
(٢) أقطار الكلام : جوانبه . والناد : النافر .
(٣) الربقة : عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة .
(٤) نهج السبيل : إبانته وإيضاحه .
(٥) الغلة : العطش ، وبلالها : ما تبل به وتروي .

البَابُ الأوَّل

المختار من خطب امير المؤمنين
الامام علي بن ابي طالب عليه السلام

١

من خطبة له عليه السلام

يَذْكرُ فيها ابتداء خَلْقِ ٱلسَّماءِ وَٱلأرض ، وخلقِ آدمَ ، وفيها ذكرُ الحجّ .

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ (١) وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ(٢) الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ(٣) وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ : فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ(٤) أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ(٥) وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ

---

(١) أي : أن همم النظار وأصحاب الفكر ، وإن علت وبعدت ، فانها لا تدركه تعالى ولا تحيط به علماً .

(٢) والفطن : جمع فطنة ، وغوصها : استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط دور الحقيقة وهي وإن بعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الاقدس .

(٣) فرغ من الكلام في الذات وامتناعها عن العقول إدراكاً ، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة ، فكل صفات الممكن لها في أثرها حد تنقطع إليه ، كما نجده في قدرتنا وعلمنا مثلاً ، فان لكل طوراً لا يتعداه . أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولها ، وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية . والنعت يقال لما يتغير ، وصفاتنا لها نعوت ، فحياتنا مثلاً لها أطوار : من طفولة ، وصبا ، وما بعدهما ، وقوة ، وضعف ، وتوسط ، وقدرتنا كذلك . وعلمنا له أدوار نقص وكمال ، وغموض ووضوح . أما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هي أزلية أبدية ، لا تعد الأوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ، ولا تضرب لها الآجال .

(٤) الميدان : الحركة ، ووتد بالتخفيف والتشديد ، أي : ثبت ، أي : سكن الأرض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة في أديمها ، وهو يشير إلى أن الأرض كانت مائرة مضطربة قبل جمودها .

(٥) أساس الدين معرفة الله ، وهو يعرف بانه صانع العالم ، وليس منه ، بدون تنزيه ، =

التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ. وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ(١) وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ(٢)، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ(٣) مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ

= وهي معرفة ناقصة، وكمالها التصديق به ذاته: لصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره، وهي وجوب الوجود، ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد، لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الإلٓهيات والكلام ولا يكمل التوحيد إلا بتمحيض السر له دون ملاحة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه إليه واستشراق نوره. ولا يكون هذا الاخلاص كاملاً حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات، لأن معرفة الذات الأقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها، فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً، فالصفات المنفية بالاخلاص صفات المصنوعين، وإلا فللامام علي كلام قد ملىء بصفاته سبحانه، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف.

(١) جهلة: أي: جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات، مقدس عن مضارعة المركبات، وهذا الجهل يستلزم القول بالشخص الجسماني، وهو يستلزم صحة الإشارة إليه، تعالى الله عن ذلك.

(٢) إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة، فأنت تتوجه إليها باشارتك وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها، فيكون محدوداً ـ أي: له طرف ينتهي إليه ـ فمن أشار إليه فقد حده، ومن حد فقد عد ـ أي: أحصى وأحاط بذلك المحدود ـ لأن الحد حاصر لمحدوده. وإذا قلت لشيء «فيم هو» فقد جعلته في ضمن شيء، ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه. وإذا قلت «على أي شيء» فأنت ترى انه مستعل على شيء بعينه وما عداه خال منه.

(٣) الحدث: الابداء، أي: هو موجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد. والفقرة الثانية =

شَيءٍ لاَ بِمُقَارنة، وَغيْر كلِّ شَيءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ[١] فَاعِلٌ لاَ بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ[٢] مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ[٣] أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَٱبْتَدَأَهُ ٱبْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا[٤] وَلاَ تَجْرِبَةٍ ٱسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْسٍ ٱضْطَرَبَ فِيهَا[٥] أَحَالَ الأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا[٦] وَلأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا[٧] وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا[٨] وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[٩] عَالِماً بِهَا قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَٱنْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا[١٠] ثُمَّ

= لازمة لهذه، لأنه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم.

(١) المزايلة: المفارقة والمباينة.

(٢) أي: بصير بخلقه قبل وجودهم.

(٣) العادة والعرف على أنه لا يقال «متوحد» إلا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده، فانفرد عنه. والله متوحد مع التنزه عن السكن.

(٤) الروية: الفكر، وأجالها: أدارها ورددها. وفي نسخة: أحالها ـ بالمهملة ـ أي: صرفها.

(٥) همامة النفس ـ بفتح الهاء ـ اهتمامها بالأمر، وقصدها إليه.

(٦) حولها من العدم إلى الوجود في أوقاتها، أو هو من «حال في متن فرسه» أي: وثب. وأحاله غيره: أوثبه. ومن أقر الأشياء في أحيانها صار كمن أحال غيره على فرسه.

(٧) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادي.

(٨) الغرائز: جمع غريزة، وهي: الطبيعة وغرز الغرائز كضوأ الأضواء، أي: جعلها غرائز، والمراد أودع فيها طبائعها.

(٩) الضمير في «أشباحها» للغرائز، أي: ألزم الغرائز أشباحها، أي: أشخاصها لأن كل مطبوع على غريزة فانها تلازمه: فالشجاع لا يكون خواراً مثلاً.

(١٠) جمع حنو بالكسر، أي: الجانب. أو ما اعوج من الشيء بدنا كان أو غيره كناية عما خفي. أو من قولهم أحناء الأمور، أي: مشتبهاتها، وقرائنها ما يقترن بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة عنها.

أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ(١) وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ(٢) فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ(٣) مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ . فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ(٤) وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ . الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ(٥) وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا(٦) وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ،

---

(١) ثم أنشأ الخ الترتيب والتراخي في قول الامام لا في الصنع الإلهي كما لا يخفى. والأجواء : جمع جو ، وهو هذا الفضاء العالي بين السماء والأرض . واستفيد من كلامه أن الفضاء مخلوق ، وهو مذهب قوم ، كما استفيد منه أن الله خلق في الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكاناً له ، ثم خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى سلطها عليه فموجته تمويجاً شديداً حتى ارتفع فخلق منه الاجرام العليا وإلى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الاسكندري ، يقولون : إن الماء ـ أي : الجوهر السائل ـ أصل كل الأجسام كثيفها من متكاثفة ولطيفها من شفائفه . والأرجاء : الجوانب واحدها رجا .

(٢) السكائك : جمع سكاكة ـ بالضم ـ وهي : الهواء الملاقي عنان السماء وبابها نحو ذؤابة وذوائب .

(٣) التيار : الموج ، والمتراكم : ما يكون بعضه فوق بعض ، والزخار : الشديد الزخر ـ أي : الامتداد والارتفاع ـ والريح العاصفة الشديدة الهبوب، كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها ، وكذلك الزعزع ، كأنها تزعزع كل ثابت ، وتقصف ـ أي : تحطم كل قائم .

(٤) أمرها برده ، أي : منعه من الهبوط ، لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوي والسقوط ، وسلطها على شده ، أي : وثاقه ، كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة إلى السفل التي هي من لوازم طبعه ، وقرنها إلى حده ، أي : جعلها مكاناً له أي : جعل حد الماء المذكور ، وهو سطحه الأسفل ، مماساً لسطح الريح التي تحمله أو أراد من الحد المنع ، أي : جعل من لوازمها ذلك .

(٥) الفتيق : المفتوق ، والدفيق : المدفوق .

(٦) اعتقم مهبها : جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً وكذلك كانت هذه ، لأنها انشئت لتحريك الماء ليس غير ، والمرب مصدر ميمي من « أرب بالمكان » مثل الب به ، أي : لازمه ، فأدام مربها ، أي : ملازمتها أو أن أدام =

وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ(١) وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ(٢) . حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ . وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ(٣) فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً(٤) وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً ، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً ، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ، وَلاَ دِسَارٍ يَنْظِمُهَا(٥) ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ(٦) وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً(٧) وَقَمَراً مُنِيراً : فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ(٨) ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمٰوَاتِ

= من أدمت الدلو ملأتها ، والمرب ، بكسر أوله : المكان والمحل .

(١) تصفيقه : تحريكه وتقليبه ، ومخضته : حركته بشدة كما يمخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده ، والسقاء : جلد السخلة يجذع فيكون وعاءللبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وآساق . و« عصفت به الخ » الريح إذا عصفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع . وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذي يكون لها لو لم يكن مانع .

(٢) الساجي : الساكن ، والمائر : الذي يذهب ويجيء ، أو المتحرك مطلقاً . وعب عبابه : ارتفع علاه . وركامه : أثبجه ، وهضبته ، وما تراكم منه بعضه على بعض .

(٣) المنفهق : المفتوح الواسع .

(٤) المكفوف : الممنوع من السيلان ، ويدعمها : يسندها ويحفظها من السقوط .

(٥) الدسار : واحد الدسر ، وهي المسامير ، أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه .

(٦) الثواقب : المنيرة المشرقة .

(٧) مستطيراً : منتشر الضياء ، وهو الشمس .

(٨) الرقيم : اسم من أسماء الفلك : سمي به لأنه مرقوم بالكواكب ، ومائر : متحرك ، ويفسر الرقيم باللوح ، وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر .

الْعُلاَ ، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مِلاَئِكَتِهِ[1] مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ ، وَصَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ ، وَمُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ . لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ ، وَلاَ سَهْوُ الْعُقُولِ ، وَلاَ فَتْرَةُ الأَبْدَانِ ، وَلاَ غَفْلَةُ النِّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ؛ وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنَانِهِ . وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ . وَالْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ[2] مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ ،

---

(١) جعل الملائكة أربعة أقسام : الأول : أرباب العبادة ، ومنهم الراكع ، والساجد ، والصاف ، والمسبح . وقوله « صافون » أي : قائمون صفوفاً . لا يتزايلون أي : لا يتفارقون . والقسم الثاني : الأمناء على وحي الله لانبيائه ، والألسنة الناطقة في أفواه رسله ، والمختلفون بالأقضية إلى العباد : بهم يقضي الله على من شاء بما شاء . والقسم الثالث : حفظة العباد ، كأنهم قوة مودعة في أبدان البشر ونفوسهم ، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة ، ومنهم سدنة الجنان ، جمع سادن : وهو الخادم ، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته . والقسم الرابع : حملة العرش ، كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه : مركزه حدود مسيره في مداره ، فهي المخترقة له ، النافذة فيه ، الآخذة من أعلاه إلى أسفله ، ومن أسفله إلى أعلاه . وقوله « المارقة من السماء » المروق : الخروج ، وقوله « الخارجة من الأقطار أركانهم » : الأركان الأعضاء والجوارح ، والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر .

(٢) الضمير في « دونه » للعرش كالضمير في « تحته » ومتلفعون : من تلفعت بالثوب إذا التحفت به .

وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ، وَلاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَلاَ يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ ، وَلاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ .

صِفَةُ خَلْقِ آدمَ عليهِ السّلامُ

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[1] تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلاَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ[2] فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ[3] وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ[4]

---

(١) الحزن ـ بفتح فسكون ـ : الغليظ الخشن ، والسهل ما يخالفه ، والسبخ : ما ملح من الأرض . وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الإنسان إلى أنه مركب من طباع مختلفة ، وفيه استعداد للخير والشر ، والحسن والقبيح .

(٢) سن الماء : صبه . والمراد صب عليها ، أو « سنها » هنا بمعنى مسلها كما قال : ـ

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون .

وقوله « حتى خلصت » أي : صارت طينة خالصة ، وفي بعض النسخ « حتى خضلت » بتقديم الضاد المعجمة على اللام ، أي : ابتلت ولعلها أظهر . لاطها : خلطها وعجنها ، أو هو من لاط الحوض بالطين : ملطه وطينه به ، والبلة بالفتح : من البلل . ولزب ـ ككرم ـ : تداخل بعضه في بعض وصلب ، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد .

(٣) الأحناء : جمع حنو وهو ـ بالكسر والفتح ـ : كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج ، واللحى ، والضلع ، أو هي الجوانب مطلقاً . وجبل : أي خلق .

(٤) أصلدها : جعلها صلبة ملساء متينة ، وصلصلت : يبست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها رياح ، وذلك هو الصلصال ، واللام في قوله « لوقت » متعلقة بمحذوف ، كأنه قال : حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم . ويمكن أن تكون متعلقة بجبل ، أي : جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي بيوم القيامة .

لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا[١] ، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا[٢] ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ[٣] وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ ؛ وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ[٤] وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ[٥] وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ

---

(١) مثل ، ككرم : قام منتصباً . والأذهان : قوى التعقل ، ويجيلها : يحركها في المعقولات .

(٢) يختدمها : يجعلها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك وتستعملهم في شؤونك كلها ، والأدوات : جمع أداة ، وهي الآلة ، وتقليبها : تحريكها في العمل بها فيما خلقت له .

(٣) معجوناً صفة « إنساناً » ، والألوان المختلفة : الضروب والفنون ، وتلك الألوان هي التي ذكره من الحر والبرد والبلة والجمود .

(٤) استأدى الملائكة وديعته : طلب منهم أداءها ، والوديعة هي عهده إليهم بقوله ﴿ إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ويروى الخنوع بالنون بدل الخشوع وهو بمعنى الخضوع . وقوله « فقال اسجدوا الخ » عطف على استأدى .

(٥) الشقوة ـ بكسر الشين وفتحها ـ ما حتم عليه من الشقاء . والشقاء : ضد السعادة ، وهو النصب الدائم والألم الملازم ، وتعززه بخلقه النار : استكباره مقدار نفسه بسبب انه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال ، والصلصال : الطين الحر خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفاً . والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي خلق آدم عليه السلام منها ، وجوهر ما خلق منه الجن ـ وهم من الجواهر اللطيفة ـ =

وَٱسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ ؛ فَأَعْطَاهُ ٱللهُ النَّظِرَةَ ٱسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ ، وَٱسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ ، وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ ؛ فَقَالَ ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَٱغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ(١) فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَٱسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً(٢) ، وَبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً . ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ . وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ(٣) ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ(٤) ،

= أعلى من جوهر ما خلق منه الإنسان ، وهو مجبول من عناصر الأرض ، والنظرة ـ بفتح فكسر ـ : الانتظار به حياً ، ما دام الإنسان عامراً للأرض متمتعاً بالوجود ، فيكون من الشيطان في هذا الامد ما يستحق به سخط الله وما تتم بـه بلية الشقـاء عليه ، ويكـون الله جل شأنه قد أنجز وعده في قوله : ﴿ إنك لمن المنظرين ﴾ .

(١) اغتر آدم عدوه الشيطان ، أي : انتهز منه غرة فأغواه ، وكـان الحامـل للشيطان علـى غواية آدم حسده على الخلود في دار المقام ، ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار .

(٢) أدخل الشيطان عليه الشك في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهي الله له عن تناوله ما يوجب له اليقين بحظره عليه ، وكانت العزيمـة في الوقـوف عندمـا أمر الله فاستبد بها الوهن الذي أفضى إلى المخالفة ، والجذل ـ بالتحريك ـ الفرح ، وقد كان في راحة الأمن بالأخبات إلى الله وامتثال الأمر، فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخـوف من خلول العقوبـة ، وقد ذهبت عنـه الغرة ، وانتبـه إلى عاقبـة مـا اقـترف ، فاستشعر الندم بعد الاغترار .

(٣) أهبـطه من مقام مـرشده فيـه الالهام الإلٓهي الخـالص من الشـوائب لانسيـاق قـواه إلى مقتضى الفطرة السليمة الأولى، إلى مقر قد خلط له فيه الخير والشر، واختلط له فيه الـطريقان ، ووكـل إلى نـظره العقـلي ،وابـتـلي بـالتمييـز بـين النجـدين . واختيـار أي الطريقين ، وهو العناد الذي تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين .

(٤) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التي أنزل الله فيها آدم ، وهو بماابتـلي به =

وَٱصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ(١) ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ آللهِ إِلَيْهِمْ(٢) ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَٱتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ(٣) وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ(٤) وَٱقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ(٥) لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ(٦) وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ(٧)

= الإنسان امتحاناً لقوته على التربية ، واقتداره على سياسة من يعولهم ، والقيام بحقوقهم ، وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم .

(١) أخذ عليهم الميثاق ان يبلغوا ما أوحى إليهم ، ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له . وأخذ عليهم ألا يشرعوا للناس إلا ما يوحى اليهم .

(٢) عهد الله إلى الناس هو ما سيأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة .

(٣) الأنداد : الأمثال ، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى .

(٤) اجتالتهم - بالجيم - صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم ، وأصله من الدوران ، كأن الذي يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا ، تقول : اجتال فلان فلانا ، واجتاله عن كذا ، واجتاله على كذا ، أي : أداره عليه ، يحسن له فعله ، ويغريه به ، ويزينه له .

(٥) واتر إليهم أنبياءه : أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة ، لا بمعنى أرسلهم تباعاً بعضهم يعقب بعضاً .

(٦) كأن الله تعالى - بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى ، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى - قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له ، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه ، لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات ، فبعث اليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق ، أي : ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم، وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم .

(٧) دفائن العقول : أنوار العرفان التي تكشف للانسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى الايقان بصانع الموجودات ، وقد تحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام ، وحجب من الخيال ، فيأتي النبيون لاثارة تلك المعارف الكامنة ، وإبراز تلك الأسرار الباطنة .

وَيُرُوهُمُ الآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ : مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ[1] وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ؛ وَلَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ[2] : رُسُلٌ لاَ تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ : مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْغَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ[3] . عَلَى ذٰلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ[4] ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآبَاءُ وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ آللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ آللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لإِنْجَازِ عِدَتِهِ[5] وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ[6] كَرِيماً مِيلاَدُهُ . وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي آسْمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى

---

(١) السقف المرفوع : السماء ، والمهاد الموضوع : الأرض ، والأوصاب : المتاعب .

(٢) المحجة : الطريق القويمة الواضحة .

(٣) من سابق : بيان للرسل ، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة ، وفي القرآن الكريم ان عيسى عليه السلام بشر بخاتم الرسل ﷺ والغابر : الذي يأتي بعد أن يبشر به السابق ، جاء معروفاً بتعريف من قبله .

(٤) نسلت ـ بالبناء للمجهول ـ ولدت ، وبالبناء للفاعل : مضت متتابعة .

(٥) الضمير في « عدته » لله تعالى ، لأن الله وعد بارسال محمد ﷺ على لسان أنبيائه السابقين ، وكذلك الضمير في « نبوته » لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحياً لأنبيائه ، فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة : ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة إليه ، هكذا نسب للامام ، ولكن الأظهر أن الضمير في « نبوته » عائد إلى النبي ﷺ .

(٦) سماته : علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به .

غَيْرِهِ[1] ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ . ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً : بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ[2] كِتَابَ رَبِّكُمْ : مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ[3] وَفَرَائِضَهُ

---

(١) الملحد في اسم الله الذي يميل به عن حقيقة مسماه ، فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها ، والمشير إلى غيره : الذي يشرك معه في التصرف إلهاً آخر فيعبده ويستعينه .

(٢) العلم - بفتحتين - ما يوضع ليهتدى به ، أي : أن الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم ، وقد كان من محمد ﷺ مثل ما كان منهم ، فانه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاوياً لجميع ما يحتاجون إليه في دينهم .

(٣) حلاله كالأكل من الطيبات ، وحرامه كأكل أموال الناس بالباطل ، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة ، وفضائله كنوافل الصدقات التي يعظم الأجر فيها ولا حرج على من لا يؤديها ، وناسخه : ما جاء قاضياً بمحو ما كان عليه الضالون من العقائد ، أو إزالة السابق من الأحكام لحكمة إلهية اقتضت تغييره وإن خفيت على بعض العقول كقوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه ﴾ الآية ، ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الأحكام كقوله : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ الآية ، ورخصه كقول : ﴿ فمن اضطر في مخمصة ﴾ وعزائمه كقوله : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ وخاصه كقوله : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها ﴾ الآية ، وكقوله ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ وعامه ، كقوله : ﴿ يا أيها النبي اذا طلقتمّ النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾ . والعبر كالآيات التي تخبر عما أصاب الأمم الماضية من النكال ، وعما نزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان . والأمثال كقوله ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ﴾ الآية ، وقوله ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ وأشباه ذلك كثيرة ، والمرسل : المطلق ، والمحدود : المقيد ، والمحكم كآيات الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها ، والمتشابه كقوله ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ والموسع على العباد في جهله كالحروف المفتتحة بها السور نحو آلمّ والّر، والمثبت في الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه نحو قوله تعالى : ﴿ فامسكوهن في =

وَفَضَائِلَهُ ، ونَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ ، وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ فِي عِلْمِهِ ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ(١) : مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ . وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ(٢) .

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ الحجِّ

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ ،

= البيوت حتى يتوفاهن الموت ﴾ فانه نسخ بما سنه عليه السلام من رجم الزاني المحصن . وكالصلاة ، فانها فرضت على الذين من قبلنا ، غير أن السنة بينت لنا الهيئة التي اختصنا الله بها ، وكلفنا أن نؤدي الصلاة عليها فالفرض في الكتاب ، وتبيين نسخة لما كان قبله في السنة ، والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوصاً على عينه ، بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله : ﴿ فاقرأوا ما تيسر منه ﴾ ، وقد عينته السنة بسورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ، ولو بقينا عند مجمل الكتاب لكان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازاً لا مؤاخذة معه ، والواجب بوقته الزائل في مستقبله كصوم رمضان يجب في جزء من السنة ولا يجب في غيره.

(١) و « مباين بين محارمه » ، بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وليس مجروراً بالعطف على الأقسام التي سبق تفصيلها ، أي : والكتاب قد فرق بين المحارم التي حظرها : فمنها كبير أوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس ، ومنها صغير أرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها ، ومنهم من رواه « مبايناً » منصوباً على أنه صفة من صفات الكتاب .

(٢) رجوع إلى تقسيم الكتاب ، والمقبول في أدناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين وموسع في كسوتهم وعتق الرقبة .

يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ ٱلْحَمامِ[1] جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَٱخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ : يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلاَمِ عَلَماً ، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً ، فَرَضَ حَجَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[2] فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

٢ ومن خطبة له بعد انصرافه من صفين[3]

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ ، وَٱسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ ، وَٱسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ ، إِنَّهُ لاَ يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ، وَلاَ يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ[4] ، وَلاَ يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ . فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ[5] ،

---

(١) يألهون إليه : أي يفزعون إليه أو يلوذون به ، ويعكفون عليه ، وروي « يولهون » بفتح اللام ، من الوله ، وهو شدة الوجد حتى يكاد العقل يذهب .

(٢) الوفادة : الزيارة .

(٣) صفين كسجين : محلة عدها الجغرافيون من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا ، وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء . وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا .

(٤) وأل يئل : خلص .

(٥) الضمير في «فإنّه» للحمد المفهوم من « أحمده » .

وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَـهَ إِلَّا آللهُ وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا ، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا(١) نَتَمَسَّكُ بِهَـا أَبَداً مَـا أَبْقَانَا ، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيـلِ مَا يَلْقَـانَا(٢) ، فَـإِنَّهَا عَـزِيمَةُ الْإِيمَـانِ ، وَفَـاتِحَةُ الْإِحْسَـانِ ، وَمَـرْضَـاةُ الـرَّحْمٰنِ ، وَمَـدْحَـرَةُ الشَّيْـطَانِ(٣) . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ(٤) وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْـذِيراً بِـالآيَاتِ ، وَتَخْـوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، وَآلنَّـاسُ فِي فِتَنٍ آنْجَذَمَ فِيهَـا حَبْـلُ الـدِّينِ(٥) وَتَـزَعْـزَعَتْ سَـوَارِي الْيَقِينِ(٦) وَآخْتَلَفَ النَّجْـرُ(٧) وَتَشَتَّتَ آلْأَمْـرُ ، وَضَـاقَ آلمَخْرَجُ، وَعَمِيَ آلمَصْـدَرُ(٨) فَـالْهُـدَى خَـامِـلٌ ، وَآلْعَمَى شَـامِـلٌ : عُصِيَ الـرَّحْمٰنُ ، وَنُصِـرَ الشَّيْـطَانُ ، وَخُـذِلَ

---

(١) مصاص كل شيء خالصه .

(٢) الأهاويل : جمع أهوال ، وأهوال جمع هول ، فهي جمع الجمع .

(٣) مدحرة الشيطان أي تبعده وتطرده.

(٤) العلم ـ بالتحريك ـ ما يهتدي به ، وهو هنا الشريعة الحقة ، والمأثور : المنقول عنه .

(٥) إنجذم : إنقطع .

(٦) السواري : جمع سارية ، وهي العمود والدعامة .

(٧) النجر ـ بفتح النون وسكون الجيم : الأصل ، أي : اختلفت الأصول فكل يرجع إلى أصل يظنه مرجع حق ، وما هو من الحق في شيء .

(٨) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة ، خفية غير ظاهـرة : فلا عن بينة يعتقدون ، ولا إلى غاية صالحة ينزعون .

آلْإيمانُ ، فَانْهارَتْ دَعائِمُهُ[1] ، وَتَنَكَّرَتْ مَعالِمُهُ[2] وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ[3] وَعَفَتْ شُرُكُهُ . أَطاعُوا الشَّيْطانَ فَسَلَكُوا مَسالِكَهُ ، وَوَرَدوا مَناهِلَهُ[4] ، بِهِمْ سارَتْ أَعْلامُهُ وَقامَ لِواؤُهُ ، في فِتَنٍ داسَتْهُمْ بِأَخْفافِها ، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِها[5] وَقامَتْ عَلى سَنابِكِها ، فَهُمْ فيها تائِهونَ حائِرونَ جاهِلُونَ مَفْتونونَ ، في خَيْرِ دارٍ ، وَشَرِّ جيرانٍ[6] . نَوْمُهُم سُهادٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُموعٌ ، بِأَرْضٍ عالِمُها مُلْجَمٌ ، وَجاهِلُها مُكَرَّمٌ .

---

(١) إنهارت : هوت وسقطت ، والدعائم : جمع دعامة ، وهي : ما يستند إليه الشيء ويقوم عليه . ودعامة السقف ، مثلاً : ما يرتفع عليه من الأعمدة .

(٢) التنكر : التغير من حال تسر إلى حال تكره ، أي : تبدلت علامته وآثاره ، بما أعقب السوء وجلب المكروه .

(٣) درست ، كاندرست ، أي : انطمست . والشرك قال بعضهم : جمع شراك ككتاب ، وهي الطريق . والذي يفهم من القاموس انها بفتحات جواد الطريق أو ما لا يخفي عليك ولا يستجمع لك من الطرق اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وعفت بمعنى درست .

(٤) المناهل : جمع منهل ، وهو : مورد الشاربة من النهر .

(٥) الأظلاف : جمع ظلف ـ بالكسر ـ للبقر والشاة ، وشبههما ، كالخف للبعير والقدم للإنسان . السنابك : جمع سنبك كقنفذ ، وهو : طرف الحافر .

(٦) خير دار : هي مكة المكرمة ، وشر الجيران : عبدة الأوثان من قريش . وقوله « نومهم سهاد الخ » كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة ، فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع . والعالم ملجم لأنه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لانتاشوه ونهشوه ، والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايع لهم في أهوائهم : فمنزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم ، وهي في المقام الأعلى من نفوسهم ، وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ .

ومِنْها يَعْني آلَ النبيّ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ :

مَـوْضِعُ سِـرِّهِ ، وَلَجَـأُ أَمْـرِهِ[1] ، وَعَيْبَـةُ عِلْمِـهِ[2] ، وَمَـوْئِـلُ حِكَمِـهِ ، وَكُهُوفُ كُتُبِـهِ ، وَجِبالُ دِينِـهِ ، بِهِمْ أَقامَ آنْحِنـاءَ ظَهْـرِهِ ، وَأَذْهَبَ آرْتِعادَ فَرائِصِهِ[3] .

ومنها يعني قوماً آخرين :

زَرَعـوا آلْفُجورَ ، وَسَقَـوْهُ آلْغُرورَ ، وَحَصَـدوا الثُّبُـورَ[4] ، لا يُقاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ آلأُمَّةِ أَحَـدٌ ، وَلا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَـرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْـهِ أَبَـداً . هُمْ أَسـاسُ آلـدِّينِ ، وَعِمـادُ آلْيَقينِ ، إِلَيْهِمْ يَفـيءُ آلغَـالِـي ، وَبِهِـمْ يُلْحَـقُ التّـالـي[5] وَلَهُـمْ

---

(١) اللجأ ـ محركة ـ : الملاذ وما تلتجىء اليه كالوزر ـ محركة ـ ما تعتصم به .

(٢) العيبة ـ بالفتح ـ : الوعـاء . والموئـل : المرجـع أي : أن حكمه وشرعـه يرجـع إليهم وهم حفـاظ كتبه ـ يحوونها كما تحـوي الكهـوف والـغيران مـا يكـون فيهـا . والكتب القرآن ، وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ، ويـزيد عليهـا ما خص الله بهذه الأمة .

(٣) كنى بانحناء الظهر عن الضعف ، وباقامته عن القوة . وبهم آمنه من الخوف ترتعد منه الفرائص .

(٤) جعـل ما فعلوا من القبـائح كـزرع زرعـوه ، ومـا سكنت إليـه نفـوسهم من الإمهـال واغترارهم بذلك بمنزلة السقي ، فان الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه ، ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور ، وهو الهلاك .

(٥) يـريد أن سـيرتهم صراط الدين المستقيم : فمن غـلا في دينه وتجـاوز بالافـراط حـدود الجادة فانما نجاتـه بالـرجوع إلى سـيرة آل النبي وتفيؤ ظلال أعـلامهم . وقولـه « وبهم يلحق التـالي » يقصد بـه أن المقصر في عمله المتبـاطىء في سيره الـذي أصبح وقد سبقه السابقون إنما يتسنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم .

خَصائِصُ حَقِّ ٱلْوِلايَةِ ، وَفِيهِمُ ٱلْوَصِيَّةُ وَٱلْوِراثَةُ . الآنَ إِذْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلى أَهْلِهِ(١) وَنُقِلَ إِلى مُنْتَقَلِهِ .

٣ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ(٢)

أَمَّا وَٱللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ(٣) وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْها مَحَلُّ ٱلْقُطْبِ مِنَ ٱلرَّحى : يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ(٤) وَلا يَرْقى إِلَيَّ الطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ دونَها ثَوْباً(٥) ، وَطَوَيْتُ عَنْها كَشْحاً . وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذّاءَ(٦) أَوْ أَصْبِرَ عَلى طَخْيَةٍ عَمْياءَ(٧)

---

(١) « الآن » ظرف متعلق برجع ، و « إذ » زائدة للتوكيد ، سوغ ذلك ابن هشام في نقله عن أبي عبيدة . أو أن « إذ » للتحقيق بمعنى قد ، كما نقله بعض النحاة .

(٢) لقوله : فيها : « انها شقشقة هدرت ثم قرت » كما يأتي .

(٣) الضمير يرجع إلى الخلافة ، وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه .

(٤) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي ، وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فانما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله . وعلى ذلك قوله « ولا يرقى الخ » ، غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة .

(٥) فسدلت الخ : كناية عن غض نظره عنها ، وسدل الثوب : أرخاه . وطوى عنها كشحاً : مال عنها ، وهو مثل ، لأن مَن جاع فقد طوى كشحه ، ومن شبع فقد ملأه . فهو قد جاع عن الخلافة ، أي : لم يلتقمها .

(٦) وطفقت الخ : بيان لعلة الإغضاء ، والجذاء بالجيم والذال المعجمة وبالحاء المهملة والدال المهملة أيضاً بدلاً من الجيم والذال المعجمتين : بمعنى المقطوعة . ويقولون : رحم جذاء ، أي : لم توصل ، وسن جذاء أي متهتمة . والمراد هنا ليس ما يؤيدها . كأنه قال : تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً .

(٧) طخية ـ بطاء فخاء بعدها ياء ، ويثلث أولها ـ أي : ظلمة ، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي ، وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق ، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها .

يَهْرَمُ فيها ٱلْكَبيرُ ، وَيَشيبُ فيها الصَّغيرُ ، وَيَكْدَحُ فيها مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقى رَبَّهُ[1] فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلى هاتا أَحْجى[2] فَصَبَرْتُ وَفي ٱلْعَيْنِ قَذىً ، وَفي ٱلْحَلْقِ شَجاً[3] أَرى تُراثي نَهْباً ، حَتَّى مَضى ٱلأَوَّلُ لِسَبيلِهِ ، فَأَدْلَى بِها إِلى فُلانٍ بَعْدَهُ[4] (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلأَعشى) :

شَتَّانَ ما يَوْمي عَلى كُورِها ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخي جابِرِ[5]

---

(١) يكدح : يسعى سعي المجهود .

(٢) أحجى : ألزم ، من حجي به كرضي : أولع به ولزمه . ومنه هو حجي بكذا أي : جدير ، وما أحجاه وأحج به ، أي : أخلق به ، وأصله من الحجا بمعنى العقل فهي أحجى أي أقرب إلى العقل ، وهاتا بمعنى هذه ، أي : رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير .

(٣) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . والتراث : الميراث .

(٤) أدلى بها : ألقى بها إليه .

(٥) الكور بالضم : الرحل أو هو مع أداته ، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل في قوله :

وقد أسلي الهم إذ يعتري ... بجسرة دوسرة عاقر

والجسرة : العظيم من الابل ، والدوسرة : الناقة الضخمة . وحيان : كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم ، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس ، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة ، وكان الأعشى ينادمه ، والأعشى هذا : هو الأعشى الكبير أعشى قيس ، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

وجابر : أخو حيان أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته ، فان الأول كثير العناء شديد الشقاء ، والثاني وافر النعيم وافي الراحة . ويتلو هذا البيت أبيات منها :

=

فَيا عَجَباً !! بَيْنا هُوَ يَسْتَقيلُها في حَياتِهِ[1] إِذْ عَقَدَها لآخَرَ بَعْدَ وَفاتِهِ ، لَشَدَّ ما تَشَطَّرا ضَرْعَيْها[2] فَصَيَّرَها في حَوْزَةٍ خَشْناءَ يَغْلُظُ كُلامُها[3] ، وَيَخْشُنُ مَسُّها ، وَيَكْثُرُ الْعُثارُ فيها ، وَالاعْتِذارُ مِنْها ، فَصاحِبُها كَراكِبِ الصَّعْبَةِ[4] إِنْ أَشْنَقَ لها خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ

= في مجدل شيد بنيانه ... يزل عنه ظفر الطائر

ما يجعل الجد الظنون الذي ... جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي إذا ما طما ... يقذف بالبوصي والماهر

(المجدل ، كمنبر : القصر ، والجد بضم أوله : البئر القليلة الماء ، والظنون : البئر لا يدري أفيه ماء أم لا . واللجب : المراد منه السحاب لاضطرابه به وتحركه ، والفراتي : الفرات . وزيادة الياء للمبالغة . والبوصي : ضرب من السفن معرب بوزي . والماهر السابح المجيد) ووجه تمثل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل .

(١) رووا أن أبا بكر قال بعد البيعة «أقيلوني فلست بخيركم » وأنكر الجمهور هذه الرواية عنه ، والمعروف عنه : « وليتكم ولست بخيركم » .

(٢) لشد ما تشطر ضرعيها : جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين فالفاء في فصيرها عطف على عقدها . وتشطر مسند إلى ضمير التثنية . وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة . وقالوا إن للناقة في ضرعها شطرين كل خلفين شطر . ويقال : شطر بناقته تشطيراً ، صر خلفيها وترك خلفين . والشطر أيضاً : أن تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطرا أي : أخذ كل منهما شطراً . وسمي شطري الضرع ضرعين مجازاً : وهو ههنا من أبلغ أنواعه حيث إن من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تاماً، ويجوز أن يترك منه لغيره سهماً ، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والاقتسام ، كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر ، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل .

(٣) الكلام - بالضم - الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها . وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول : خشونتها تجرح جرحاً غليظاً .

(٤) الصعبة من الإبل : ما ليست بذلول ، وأشنق البعير ، وشنقه : كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتىء خلف الاذن) بقادمة الرحل ، أو رفع رأسه وهو راكبه ، واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس . وأسلس : أرخى ، وتقحم : رمى بنفسه

لَهَـا تَقَحَّمَ ، فَمُنِيَ النَّاسُ - لَعَمْرُ اللهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَـاسٍ (١) وَتَلَوُّنٍ وَٱعْتِرَاضٍ ، فَصَبَرْتُ عَلى طُولِ ٱلْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ ٱلْمِحْنَةِ ، حَتَّى إِذَا مَضى لِسَبيلِهِ جَعَلَهَـا في جَمَـاعَـةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَـدُهُمْ ، فَيَـا للهِ وَلِلشُّورَى(٢) مَتى ٱعْتَرَضَ ٱلرَّيْبُ فِيَّ مَعَ ٱلأَوَّلِ حَتَّى صِـرْتُ أُقْرَنُ

في القحمة ، أي الهلكة ، وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب ، وراكب الصعبة : إما أن يشنقها فيخرم انفها ، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته .

(١) مني الناس : إبتلوا وأصيبوا ، والشماس - بالكسر - إباء ظهر الفرس عن الركوب ، والنفار والخبط : السير : على غير جادة . والتلون : التبدل والاعتراض : السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً يقال : بعير عرضي ، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته ، وفي فلان عرضية ، أي : عجرفة وصعوبة .

(٢) إجمال القصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه إستشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبدالله فقال : لا يليها (أي الخلافة) إثنان من ولد الخطاب ، حسب عمر ما حمل ! ثم رأى أن يكل الأمر إلى رأي ستة قال : إن النبي ﷺ مات وهو راض عنهم واليهم بعد التشاور أن يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين والستة رجال الشورى هم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم . وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة ، وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان ، لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمه ، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما ، على ما ذكره بعض رواة الأثر . وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر، وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا ، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان ، والزبير إلى علي ، وسعد إلى عبد الرحمن . وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشوري فوق ثلاثة أيام ، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال : إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن . فأقبل عبد الرحمن على علي وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب =

إِلَى هٰذِهِ النَّظائِرِ[1] !! لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا[2] وَطِرْتُ إِذْ طاروا ، فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُم لِضِغْنِهِ[3] وَمالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ[4] مَعَ هَنٍ وهَنٍ[5] إلى أَنْ قامَ ثالِثُ الْقَوْمِ نافِجاً حُضْنَيْهِ[6] بَيْنَ نَثيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ ، وَقامَ مَعَهُ بَنو أَبيهِ يَخْضِمونَ مالَ الله خَضْمَةَ الإِبْلِ

= الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده . فقال علي : أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي ، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك ، فأجابه بنعم . فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال : اللهم اسمع واشهد . اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان ، وصفق بيده في يد عثمان . وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه . قالوا : وخرج الإمام واجداً ، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن : والله لقد تركت علياً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون . فقال : يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين . فقال المقداد : والله إني لأعجب من قريش ، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه . فقال عبد الرحمن : يا مقداد ، إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله . ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن : هذا عمل يديك ، فقال : ما كنت أظن هذا به ! ولكن لله علي أن لا أكلمه أبداً ، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، حتى قيل : إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه ! والله أعلم ، والحكم لله يفعل ما يشاء .

(١) المشابه بعضهم بعضاً دونه .

(٢) أسف الطائر : دنا من الأرض ، يريد أنه لم يخالفهم في شيء .

(٣) صغى صغياً وصغا صغواً : مال ، والضغن : الضغينة يشير إلى سعد .

(٤) يشير إلى عبد الرحمن .

(٥) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها .

(٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر القضية . ونافجاً حضنيه : رافعاً لهما ، والحضن : ما بين الابط والكشح . يقال للمتكبر : جاء نافجاً حضنيه . ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً . والنثيل : الروث . والمعتلف : من مادة علف موضع العلف وهو معروف ، أي : لا هم له إلا ما ذكر .

نبتَةَ آلرَّبيعِ (١) إلى أَنْ آنْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ(٢) وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ(٣) فَما راعَني إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ(٤) يَنْثالونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، حَتّى لَقَدْ وُطِئَ آلْحَسَنانِ، وَشُقَّ عِطْفايَ، مُجْتَمِعينَ حَوْلي كَرَبيضَةِ آلْغَنَمِ(٥) فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخرى، وَقَسَطَ آخَرُونَ(٦) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعوا كَلامَ آللهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ تِلْكَ آلدَّارُ آلآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدونَ عُلُوًّا في آلْأَرْضِ وَلا فَساداً وَآلْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ ﴾ بَلَى! وَآللَّهِ لَقَدْ سَمِعوها وَوَعَوْها، وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ آلدُّنْيا في أَعْيُنِهِمْ(٧)، وَراقَهُمْ

---

(١) الخضم، على ما في القاموس: الأكل مطلقاً، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، أو خاص بالشيء الرطب. والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم. والنبتة ـ بكسر النون ـ كالنبات في معناه.

(٢) إنتكث فتله: إنتقض. وأجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح، وذففت عليه.

(٣) البطنة ـ بالكسر ـ البطر والأشر والكظة (أي: التخمة والاسراف في الشبع)، وكبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

(٤) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وينثالون: يتتابعون مزدحمين، والحسنان: ولداه الحسن والحسين، وشق عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية «شق عطافي» والعطاف: الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

(٥) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

(٦) الناكثة: أصحاب الجمل، والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون ـ أي الجائرون ـ أصحاب صفين.

(٧) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليها. والزبرج: الزبرج الزينة من وشى أو جوهر.

زِبْـرِجُها ، أَمَـا وَالَّذي فَلَقَ الْحَبَّـةَ ، وَبَـرَأَ النَّسَمَـةَ(١) لَـوْلا حُضُـورُ الْحَـاضِرِ(٢) وَقِيَـامُ الْحُجَّةِ بِـوُجُـودِ النَّـاصِـرِ ، وَمـا أَخَـذَ اللهُ عَلى الْعُلَمـاءِ أَنْ لا يُقـارُّوا عَلى كِـظَّةِ ظـالِمٍ ، وَلا سَغَبِ مَـظْلومٍ(٣) ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَـا عَلى غارِبِهـا(٤) ، وَلَسَقَيْتُ آخِـرَهَـا بِكَـأْسِ أَوَّلِهَا ، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدُ عِنْدي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ(٥) .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد(٦) عند بلوغه الى هذا الموضع من خـطبته فنـاوله كتـاباً ، فـأقبل ينـظر فيه ، قـال له ابن عباس رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، لو أَطْرَدْتَ خطبتك من حيث أفضيت .

فَقـالَ : هَيْهاتِ يابْنَ عَبَّاسٍ ، تِلْكَ شِقْشِقَـةٌ(٧) هَـدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ

---

(١) النسمة ـ محركة ـ الروح ، وبرأها : خلقها .

(٢) من حضر لبيعته ، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره .

(٣) والنـاصر : الجيش الـذي يستعين بـه علـى إلـزام الخـارجين بـالـدخـول في البيعـة الصحيحة ، والكظة : ما يعتري الآكـل من امتلاء البـطن بالـطعام ، والمراد : استئثار الظالم بالحقوق . والسغب : شدة الجوع ، والمراد منه : هضم حقوقه .

(٤) الغارب : الكاهل ، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر .

(٥) عـفطة العنز : ما تنثره من أنفها ، تقول : عـفطت تعفط من باب ضرب ، غـير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة . والأشهر في العنز النفطة بالنون ، يقال : ما له عافط ولا نافط ، أي : نعجة ولا عنز . كما يقال : ما لـه ثاغيـة ولا راغية . والعفـطة الحبقة أيضاً ، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم .

(٦) السـواد : العـراق ، وسمي سـواداً لخضرتـه بـالـزرع والأشجـار ، والعـرب تسمي الأخضر أسود . قال الله تعالى ﴿مـدهامتان﴾ يريد الخضرة ، كما هو ظاهر .

(٧) الشقشقـة ـ بكسر فسكون فكسر ـ شيء كـالرئـة يخرجـه البعـير من فيه إذا هـاج ، =

قال ابن عباس : فوالله ما أسفْتُ على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

(قوله « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه اذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها . يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنقها ايضاً، ذكر ذلك ابن السكيت في « إصلاح المنطق ». وانما قال : « أشنق لها » ولم يقل « أشنقها » لانه جعله في مقابل قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : ان رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها) .

٤ ومن خطبة له عليه السلام

بِنا ٱهْتَدَيتُمْ في الظَّلْمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمُ ٱلْعَلْيَاءَ(١) وَبِنا ٱنْفَجَرْتُمْ

= وصوت البعير بها عند إخراجها هدير ، ونسبة الهدير اليها نسبة إلى الآلة ، قال في القاموس : والخطبة الشقشقية العلوية ، وهي هذه .

(١) تسنمتم العلياء : ركبتم سنامها وارتقيتم إلى أعلاها ، والسرار ـ كسحاب وكتاب ـ آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر . وانفجرتم : دخلتم في الفجر ؛ والمراد كنتم في ظلام حالك ، وهو ظلام الشرك والضلال ، فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا ، والضمير لمحمد ﷺ ، والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته ، ويروى « أفجرتم » بدل « إنفجرتم » وهو أفصح وأوضح ، لأن انفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلا =

عَنِ السَّرارِ . وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ ٱلْواعِيَةَ(١) وَكَيْفَ يُراعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصْمَتْهُ الصَّيْحَةُ(٢) . رُبِطَ جَنانٌ لَمْ يُفارِقْهُ ٱلْخَفَقانُ(٣) ما زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَواقِبَ ٱلْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ ٱلْمُغْتَرِّينَ(٤) سَتَرَني عَنْكُمْ جِلْبابُ الدِّينِ(٥) وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلى سَنَنِ ٱلْحَقِّ في جَوادِّ ٱلْمَضَلَّةِ(٦) حَيْثُ تَلْتَقونَ وَلا دَليلَ ، وَتَحْتَفِرونَ وَلا

= نادراً ، أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء إلى حال لم يكن عليها ، كقولهم : أجرب الرجل : إذا صارت إبله جربى ، وأمثاله كثير .

(١) الواعية : الصاخة والصارخة والصراخ نفسه ، والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر ، ووقرت أذنه فهي موقورة ، ووقرت كسمعت : صمت ، دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر .

(٢) الصيحة هنا : الصوت الشديد ، والنبأة : أراد منها الصوت الخفي ، أي : من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأة فيراعيها ، ويشير بالصيحة إلى زواجر كتاب الله ومقال رسوله . وبالنبأة إلى ما يكون منه رضي الله عنه . وقد رأينا هذا أقرب مما أشرنا إليه في الطبعة السابقة .

(٣) ربط جأشه رباطة بكسر الراء : إشتد قلبه ، ومثله رباطة الجنان ، أي : القلب ، وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن يثبت ويستمسك .

(٤) ينتظر بهم الغدر : يترقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وانهم لا يميزون بين الحق والباطل ، ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس من الحق على مثل حاله ، والحلية هنا : الصفة .

(٥) جلباب الدين : ما لبسوه من رسومه الظاهرة ، أي : ان الذي عصمكم مني هو ما ظهرتم به من الدين وإن كان صدق نيتي قد بصرني ببواطن أحوالكم وما تكنه صدوركم ، وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى سرائر النفوس فتستخرجها .

(٦) المضلة ـ بكسر الضاد وفتحها ـ الأرض يضل سالكها . وللضلال طرق كثيرة ، لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل وللحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال ، لهذا قال : أقمت لكم على سنن الحق ، وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة ، وطرقها المتشعبة حيث يلاقي بعضكم بعضاً وكلكم تائهون ، فلا فائدة في التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل .

تُميهُونَ[1] . اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ اَلْعَجْماءَ ذاتَ اَلْبَيانِ[2] غَرَبَ رَأْيُ آمْرِىءٍ تَخَلَّفَ عَنِّي[3] ما شَكَكْتُ في اَلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ . لَمْ يُوجِسْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ خِيفَةً عَلى نَفْسِهِ[4] أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ اَلْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلالِ . اَلْيَوْمَ تَوافَقْنا عَلى سَبيلِ اَلْحَقِّ وَاَلْباطِلِ ، مَنْ وَثِقَ بِماءٍ لَمْ يَظْمَأْ .

٥ ومن خطبة له عليه السلام

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في ان يبايعا له بالخلافة .

أَيُّها النَّاسُ ، شُقُّوا أَمْواجَ اَلْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَريقِ اَلْمُنافَرَةِ وَضَعُوا تِيجانَ اَلْمُفاخَرَةِ[5] أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَناحٍ ،

---

(١) تميهون : تجدون ماء ، من أماهوا أرضهم: أنبطوا ماءها : أو تستقون ، من أماهوا دوابهم : سقوها .

(٢) أراد من العجماء رموزه وإشاراته ، فانها وإن كانت غامضة على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، لهذا سماها ذات البيان مع انها عجماء .

(٣) غرب : غاب ، أي : لا رأي لمن تخلف عني ولم يطعني .

(٤) يتأسى بموسى عليه السلام ، إذ رموه بالخيفة ، ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون ، فانه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل ، كما كان من نبي الله موسى ، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى : ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره .

(٥) قلب قصد به المبالغة ، والقصد ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم . وكأنه يقول :

أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَراحَ(١) ، هٰذا مَاءٌ آجِنٌ(٢) وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُها . وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إيناعِها كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ(٣) فَإِنْ أَقُلْ يَقولوا : حَرَصَ عَلى ٱلْمُلْك ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقولوا : جَزِعَ مِنَ ٱلمَوْتِ(٤) هَيْهاتَ بَعْدَ ٱللَّتَيَا وَالَّتي(٥) وَٱللهِ لٱبْنُ أَبي طالِبٍ آنَسُ بِالموْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ ٱنْدَمَجْتُ عَلى مَكْنونِ عِلْمٍ لَوْ

= طأطئوا رؤوسكم تواضعاً ، ولا ترفعوها بالمفاخرة إلى حيث تصيبها تيجانها . ويروى وضعوا تيجان المفاخرة بدون لفظ « عن » وهو ظاهر ، وعرج الطريق : مال عنه وتنكبه .

(١) المفلح أحد رجلين : إما ناهض للأمر بجناح ، أي : بناصر ومعين يصل بمعونته إلى ما نهض اليه ، وإما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل ، وذلك عند عدم الناصر . وهذا ينحو نحو قول عنترة لما قيل له : إنك أشجع العرب ، فقال : لست بأشجعهم ، ولكني أقدم إذا كان الإقدام عزماً وأحجم إذا كان الإحجام حزماً .

(٢) الآجن : المتغير الطعم واللون لا يستساغ ، والإشارة إلى الخلافة ، أي : أن الأمرة على الناس والولاية على شؤونهم مما لا يهنأ لصاحبه ، بل ذلك أمر يشبه تناول الماء الآجن ، ولا تحمد عواقبه : كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها .

(٣) يشير إلى أن ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر ، فلو نهض اليه كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها ، وهو لا ينتفع بما جنى كما أن الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع .

(٤) إن تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف قصده بالحرص على السلطان ، وإن سكت ـ وهم يعلمونه أهلاً للخلافة ـ يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه .

(٥) أي : بعد ظن من يرمتيني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها ، قيل : إن رجلاً تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها ، ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة ، فكان شقاؤه بها أشد ، فطلقها ، وقال : لا أتزوج بعد اللتيا والتي ، يشير بالأولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة ، فصارت مثلاً في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها . وقوله « هيهات الخ » : نفي لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته .

بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرابَ الأَرْشِيَةِ في الطَّوِيِّ البَعيدَةِ(١) .

٦ ومن كلام له لما اشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال[٢]

وَاللّهِ لا أَكُونُ كالضَّبُعِ : تَنامُ عَلى طُولِ اللَّدْمِ (٣) ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْها طالِبُها ، وَيَخْتِلَها راصِدُها ، وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالمُقْبِلِ إِلى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطيعِ الْعاصِيَ المُريبَ أَبَداً ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمي . فَوَاللهِ ما زِلْتُ مَدْفوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثِراً عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذا .

٧ ومن خطبة له عليه السلام

اتَّخَذُوا الشَّيْطانَ لأَمْرِهِمْ مِلاَكاً(٤) وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً ،

---

(١) أدمجه : لفه في ثوب ، فاندمج ، أي : انطويت على علم والتففت عليه ، والأرشية : جمع رشاء ، بمعنى الحبل . والطوى : جمع طوية ، وهي البئر . والبعيدة بمعنى العميقة ، أو هي بفتح الطاء كعلي ، بمعنى السقاء : ويكون البعيدة نعتاً سببياً ، أي : البعيدة مقرها من البئر : أو نسبة البعد اليها في العبارة مجاز عقلي .

(٢) يرصد : يترقب ، أو هو رباعي من الأرصاد بمعنى الإعداد أي : ولا يعد لهما القتال .

(٣) اللدم : الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته : قال أبو عبيد : يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضرباً غير شديد ، وذلك هو اللدم ، ثم يقول خامري أم عامر ، بصوت ضعيف ، يكررها مراراً ، فتنام الضبع على ذلك ، فيجعل في عرقوبها حبلاً ويجرها فيخرجها ، وخامري أي : استتري في حجرك . ويقال : خامر الرجل منزله ، إذا لزمه .

(٤) ملاك الشيء ـ بالفتح ، ويكسر ـ قوامه الذي يملك به ، والأشراك : جمع شريك =

فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ(١) وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ(٢) فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَرَكِبَ بِهِمُ ٱلزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلْخَطَلَ(٣) فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ ٱلشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

٨ ومن كلام له عليه السلام

يعني به الزبير في حالٍ اقتضت ذلك

يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ ، وَٱدَّعَى ٱلْوَلِيجَةَ(٤) فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

٩ ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هٰذَيْنِ ٱلْأَمْرَيْنِ ٱلْفَشَلُ ؛ وَلَسْنَا

= كشريف وأشراف ، فجعلهم شركاءه أو جمع شرك . وهو ما يصاد به ، فكأنهم آلة الشيطان في الإضلال .

(١) باض وفرخ : كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها ، لأن الطائر الأبيض لا يبيض إلا في عشه ، وفراخ الشيطان : وساوسه .

(٢) دب ودرج الخ : أي تربى في حجورهم كما يربى الطفل في حجر والديه حتى يبلغ فتوته ويملك قوته .

(٣) الخطل : أقبح الخطأ . والزلل : الغلط والخطأ .

(٤) الوليجة : الدخيلة . وما يضمر في القلب ويكتم، البطانة .

نَرْعَدُ حَتَّى نُوقِعَ(١) وَلَا نَسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

١٠ ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ ، وَرَجْلَهُ ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي : مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ . وَٱيْمُ ٱللهِ لا أُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ(٢) لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ(٣) .

١١ ومن كلام له عليه السلام

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ ! عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ(٤) ، أَعِرِ ٱللّهَ

(١) وإذا أوقعنا بعدو أو عدنا بآخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه ، وإذا أمطرنا أسلنا ، أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر ، وهو محال غير موجود ، فهم كالعدم فيما به يوعدون .

(٢) أفرطه : ملأه حتى فاض ، والماتح : من متح الماء ، أي : نزعه ، أي : أنا نازع ماءه من البئر فمالىء به الحوض ، وهو حوض البلاء والفناء ، أو أنا الذي أسقيهم منه .

(٣) أي : أنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ، ولا يصدرون عنها ، ومن نجا منهم فلن يعود اليها .

(٤) النواجذ : أقصى الأضراس ، أو كلها أو الأنياب ، والناجذ واحدها ، قيل إذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصي به عند الشدة ليقوى ، والصحيح ان ذلك كناية عن الحمية ، فان من عادة الإنسان إذا حمي واشتد غيظه على =

جُمْجُمَتَكَ تِدْ فِي ٱلْأَرْضِ قَدَمَكَ(١) ، ٱرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى ٱلْقَوْمِ وَغُضَّ بَصَرَكَ(٢) وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ .

١٢ ومن كلام له عليه السلام

لما أظفره الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك .

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا(٣) ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَدْ شَهِدَنَا . وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ وَأَرْحَامِ ٱلنِّسَاءِ ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ ٱلزَّمَانُ(٤) ، وَيَقْوَى بِهِمُ ٱلْإِيمَانُ .

١٣ ومن كلام له عليه السلام

في ذم أهل البصرة

كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ(٥) : رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ

= عدوه عض على اسنانه . وأعر : أمر من أعار ، أي : ابذل جمجمتك لله تعالى ، كما يبذل المعير ماله للمستعير .

(١) أي : ثبتها ، من وتد يتد .

(٢) ارم ببصرك الخ ، أي : أحط بجميع حركاتهم ، وغض النظر عما يخيفك منهم ، أي : لا يهولنك منهم هائل .

(٣) هوى أخيك : أي ميله ومحبته .

(٤) يرعف بهم ، أي : سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف : يأتي بهم على غير انتظار .

(٥) يريد الجمل . ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعد ما بايعا أمير المؤمنين فارقاه في =

فَهَـرَبْتُمْ ، أَخْـلاَقُكُمْ دِقَـاقٌ(١) وَعَهْـدُكُمْ شِقَـاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَـاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ(٢) وَٱلْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُـرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِـذَنْبِهِ ، وَٱلشَّـاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُـؤِ سَفِينَةٍ(٣) قَـدْ بَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهَا ٱلْعَـذَابَ مِنْ فَوْقِهَـا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَـرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا .

وفي روايـة : وَٱيْمُ ٱللّهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَـأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُـؤِ سَفِينَةٍ ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ(٤) .

= المدينة وأتيا مكة مغاضبين ، فالتقيا بعائشة زوجة النبي ﷺ ، فسألتهما الأخبار ، فقالا : إنا تحملنا هرباً من غوغاء العرب بالمدينة ، وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ، ولا ينكرون باطلاً ، ولا يمنعون أنفسهم . فقالت : ننهض إلى هذه الغوغاء أو نأتي الشام ؟ فقال أحد الحاضرين : لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم أمرها معاوية فلنأت البصرة ، فان لأهلها هوى مع طلحة ، فعزموا على المسير، وجهزهم يعلى بن منبه ، وكان والياً لعثمان على اليمن وعزله علي كرم الله وجهه ، وأعطى للسيدة عائشة جملاً اسمه عسكر ، ونادى مناديها في الناس بطلب ثأر عثمان ، فاجتمع نحو ثلاثة آلاف ، فسارت فيهم إلى البصرة ، وبلغ الخبر علياً فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة ، فلم ينجح النصح ، فتجهز لهم وأدركهم بالبصرة، وبعد محاولات منه كثيرة كان يبغي بها حقن الدماء نشبت الحرب بين الفريقين ، واشتد القتال ، وكان الجمل يعسوب البصريين : قتل دونه خلق كثير من الفئتين ، وأخذ خطامه سبعون قرشياً ما نجا منهم أحد . وانتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الجمل . وفيها قتل طلحة والزبير ، وقتل سبعة عشر الفاً من اصحاب الجمل ، وكانوا ثلاثين الفاً ، وقتل من أصحاب علي الف وسبعون .

(١) دقة الأخلاق : دناءتها .

(٢) زعاق : مالح .

(٣) الجؤجؤ : الصدر .

(٤) من « جثم » إذا وقع على صدره ، أو تلبد بالأرض وقد وقع ما أوعد به أمير=

وفي رواية : كَجُؤْجُـؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

وفي رواية أخرى : بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ آللهِ تُرْبَـةً : أَقْرَبُهَا مِنَ آلْمَـاءِ وَأَبْعَدُهَـا مِنَ آلسَّمَاءِ ، وَبِهَـا تِسْعَةُ أَعْشَـارِ آلشَّرِّ ، آلْمُحْتَبَسُ فِيهَـا بِذَنْبِـهِ وَآلْخَارِجُ بِعَفْـوِ آللهِ ، كَأَنِّي أَنْـظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰـذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا آلْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ آلْمَسْجِـدِ كَأَنَّـهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

١٤ ومن كلام له عليه السلام

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ آلْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ آلسَّمَاءِ ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَـابِلٍ[1] ، وَأُكْلَةٌ لِآكِـلٍ ، وَفَرِيسَـةٌ لِصَائِلٍ .

١٥ ومن كلام له عليه السلام

فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه[2]

وَآللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ آلنِّسَاءُ ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَـاءُ ، لَرَدَدْتُـهُ

= المؤمنين ، فقد غرقت البصرة ، جاءهـا الماء من بحـر فارس من جهـة الموضـع المعروف بجـزيرة الفـرس ، ومن جهـة الجبـل المعروف بجبـل السنام ولم يبق ظـاهـراً منهـا إلا مسجـدها الجـامع . ومعني قـولـه « أبعـدهـا من السـماء » : انها في أرض منخفضـة ، والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع .

(١) الغرض : ما ينصب ليرمى بالسهام . والنابل : الضارب بالنبل .

(٢) قطائع عثمان : ما منحه للناس من الأراضي .

فَإِنَّ فِي ٱلْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ ٱلْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ(١) .

١٦ ومن كلام له عليه السلام

لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ(٢) وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ ٱلْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْمَثُلَاتِ(٣) حَجَزَتْهُ ٱلتَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ ؛ أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ ٱللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٤) وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً ،

---

(١) أي : أن من عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد عجزاً ، فان الجور مظنة أن يقاوم ويصد عنه . وهذه الخطبة رواها الكلبي مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس أنّ علياً خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة فقال: ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج الخ .

(٢) الذمة : العهد ، تقول : هذا الحق في ذمتي ، كما تقول في عنقي . وذلك كناية عن الضمان والالتزام والزعيم الكفيل ، يريد أنه ضامن لصدق ما يقول ، كفيل بانه الحق الذي لا يدافع .

(٣) العبر ـ بكسر ففتح ـ جمع عبرة بمعنى الموعظة ، والمثلات : العقوبات ، أي : من كشف له النظر في احوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التي نزلت بالامم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان ، وما لبسوا من جهل وفساد أحوال ، ملكته التقوى وهي التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها ، فان الشبه مظنة الخطيئة ، والخطيئة مجلبة العقوبة .

(٤) إن بلية العرب التي كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هي بلية الفرقة ، ومحنة الشتات : حيث كانوا متباغضين متنافرين ، يدعوا كل منهم إلى عصبيته وينادي

وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ ٱلْقِدْرِ(١) حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا ، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا(٢) وَٱللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً(٣) وَلاَ كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا ٱلْمَقَامِ وَهٰذَا ٱلْيَوْمِ ؛ أَلاَ وَإِنَّ ٱلْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي ٱلنَّارِ(٤) أَلاَ وَإِنَّ

= نداء عشيرته ، يضرب بعضهم رقاب بعض ، فتلك الحالة التي هي مهلكة الأمم قد صاروا اليها بعد مقتل عثمان : بعثت العداوات التي كان قد قتلها الدين ، ونفخت روح الشحناء بين الأمويين والهاشميين وأتباع كل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) «لتبلبلن» أي : لتخلطن من نحو « تبلبلت الألسن » اختلطت ، « ولتغربلن » أي : لتقطعن من غربلت اللحم ، قطعته و « لتساطن » من السوط ، وهو ان تجعل شيئين في الإناء . وتضربهما بيدك حتى يختلطا . وقوله « سوط القدر » أي : كما تختلط الأبزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ، وكل ذلك حكاية عما يؤولون اليه من الاختلاف وتقطع الأرحام وفساد النظام .

(٢) ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله إليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا أسبق الناس إليه .

(٣) الوشمة : الكلمة : وقد كان رضي الله عنه لا يكتم شيئاً يحوك بنفسه : كان أماراً بالمعروف ، نهاء عن المنكر ، لا يحابي ، ولا يداري ، ولا يكذب ولا يداجي ، وهذا القسم توطئة لقوله : ولقد نبئت بهذا المقام ، أي : أنه قد أخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بأن سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم .

(٤) الشمس ـ بضمتين وبضم فسكون ـ جمع شموس وهي من « شمس » كنصر أي منع ظهره أن يركب ، وفاعل الخطيئة إنما يقترفها لغاية زينت له يطلب الوصول اليها ، فهو شبيه براكب فرس يجري به إلى غايته ، لكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا ، فانها اعتساف عن السبيل واختباط في السير ، لهذا شبهها بالخيل الشمس التي قد خلعت لجمها ، لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتتقحم به في النار . وتشبيه التقوى بالمطايا الذلل ظاهر ، فان التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة ، فصاحبها على الجادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية . والذلل : جمع ذلول ، وهي المروضة الطائعة السلسلة القياد .

ٱلتَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ ٱلْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ[1] فَلَئِنْ أَمِرَ ٱلْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ ، وَلَئِنْ قَلَّ ٱلْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ[2] .

قال الشريف : أَقُولُ : إِنَّ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ ٱلْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ ٱلْإِحْسَانِ ، مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ ٱلِاسْتِحْسَانِ ، وَإِنَّ حَظَّ ٱلْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ ٱلْعَجَبِ بِهِ ، وَفِيهِ ـ مَعَ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي وَصَفْنَا ـ زَوَائِدُ مِنَ ٱلْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ ، وَلَا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ[3] ، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ[4] ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ** ﴾ .

---

(١) أي : أن ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين : الحق ، والباطل ، ولا يخلو العلم منهما . ولكل من الأمرين أهل : فللحق أقوام ، وللباطل أقوام ، ولئن أمر الباطل ـ أي : كثر بكثرة أعوانه ـ فلقد كان منه قديماً لأن البصائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها . ولئن كان الحق قليلاً بقلة انصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ، ولعله يقهر الباطل ويمحقه .

(٢) هذه الكلمة صادرة من ضجر نفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ... ذوى نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت : إلى أن يرجع النهر جارياً ... ويوشب جنباه تموت الضفادع

(٣) « لا يطلع » من قولهم : أطلع الأرض ، أي : بلغها ، والفج : الطريق الواسع بين جبلين في قبل من أحدهما .

(٤) العرق : الأصل ، أي : سلك في العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها على أصولها وقواعدها .

ومن هذه الخطبة :

شُغِلَ مَنِ ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ أَمَامَهُ(١) سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا(٢) ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي ٱلنَّارِ هَوَى ، ٱلْيَمِينُ وَٱلشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَٱلطَّرِيقُ ٱلْوُسْطَى هِيَ ٱلْجَادَّةُ(٣) عَلَيْهَا بَاقِي ٱلْكِتَابِ وَآثَارُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ ٱلسُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ ٱلْعَاقِبَةِ ، هَلَكَ مَنِ ٱدَّعَى ، وَخَابَ مَنِ ٱفْتَرَى ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ(٤) وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ

---

(١) « شغل » مبني للمجهول نائب فاعله « من » ، والجنة والنار مبتدأ خبره أمامه ، والجملة صلة من ؛ أي : كفى شاغلاً أن تكون الجنة والنار أمامك ومن كانت أمامه الجنة والنار ـ على ما وصف الله سبحانه ـ فحري به أن تنفذ أوقاته جميعها في الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدي إلى النار .

(٢) يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : الأول : الساعي إلى ما عند الله السريع في سعيه ، وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها ، ولا شاقها عن سهلها . والثاني : الطالب البطيء له قلب تعمره الخشية ، وله ميل إلى الطاعة ، لكن ربما قعد به عن السابقين ميل إلى الراحة فيكتفي من العمل بفرضه ، وربما انتظر به غير وقته ، وينال من الرخص حظه ، وربما كانت له هفوات ، ولشهوته نزوات على أنه رجاع إلى ربه ، كثير الندم على ذنبه ، فلذلك الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهو يرجو أن يغفر له . والقسم الثالث : المقصر ، وهو الذي حفظ الرسم ونسي الاسم ، وقال بلسانه انه مؤمن ، وربما شارك الناس فيما يأتون من اعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما ، وظن أن ذلك كل ما يطلب منه ، ثم لا توردِه شهوته منهلاً الا عب منه ، ولا يميل به هواه إلى أمر إلا انتهى اليه ، فذلك عبد الهوى ، وجدير به أن يكون في النار هوى .

(٣) اليمين والشمال مثال لما زاغ عن جادة الشريعة والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة ، ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى وهي سبيل النجاة، جاء الكتاب هادياً إليها ، والسنة لا تنفذ إلا منها ، فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب ، ولهذا يقول : خاب من ادعى ، أي : من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه إلا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة .

(٤) الرواية الصحيحة هكذا : من أبدى صفحته للحق هلك ، أي : من كاشف الحق =

لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ ، لَا يَهْلَكَ عَلَى ٱلتَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ(١) ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَٱلتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

١٧ ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إِنَّ أَبْغَضَ ٱلْخَلَائِقِ إِلَى ٱللهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ ٱللهُ إِلَى نَفْسِهِ(٢) فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ ٱفْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ

= مخاصماً له مصارحاً له بالعداوة هلك . ويروي من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى : من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم ـ وهم أعوان الباطل ـ فهلك .

(١) السنخ المثبت ، يقال : ثبتت السن في سنخها ، أي : منبتها ، والأصل لكل شيء : قاعدته وما قام عليه بقيته ، فأصل الجبل مثلاً أسفله الذي يقوم عليه اعلاه وأصل النبات جذره الذاهب في منبته ، وهلاك السنخ فساده حتى لا تثبت فيه أصول ما اتصل به ، ولا ينمو غرس غرس فيه . وكل عمل ذهبت أصوله في أسناخ التقوى كان جديراً بأن تثبت أصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله ، وهو التقوي وكما أن التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها تستمد الأعمال غذاءها وتستقي ماءها من الاخلاص ، وجدير بزرع يسقي بماء التقوى أن لا يظمأ و« عليها » في الموضعين : في معنى معها . وقد يقال في قوله سنخ أصل : إنه هو على نحو قول القائل : إذا خاض عينيه كرى النوم . والكرى هو النوم ، والسنخ هو الأصل ، والأليق بكلام الامام ما قدمناه .

(٢) وكله الله إلى نفسه : تركه ونفسه ، وهو كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع =

قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ ٱقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ(١) .

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً(٢) مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ ٱلْأُمَّةِ(٣) عَادٍ فِي أَغْبَاشِ ٱلْفِتْنَةِ ، عَمٍ بِمَا فِي عِقْدِ ٱلْهُدْنَةِ(٤) وَقَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ ٱلنَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ

= إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب ، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته . والمشغوف بشيء : المولع به ، وكلام البدعة : ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين .

(١) هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعي إلى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها ، وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه ، كما قال تعالى : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** ﴾ .

(٢) قمش جهلاً : جمعه ، والجهل هنا بمعنى المجهول ، كما يسمى المعلوم علماً . بل قال قوم : ان العلم هو صورة الشيء في العقل ، وهو المعلوم حقيقة ، كذلك يسمى المجهول جهلاً بل الصورة التي اعتبرت مثالاً لشيء وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق . فالجهل المجموع : هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي ولا واقع لها .

(٣) « موضع في جهال الأمة » مسرع فيهم بالغش والتغرير : وضع البعير: أسرع، وأوضعه راكبه فهو موضع به ، أي مسرع به . وقوله « عاد في أغباش الفتنة » الأغباش : الظلمات ، واحدها غبش بالتحريك ، وأغباش الليل بقايا ظلمته . وعاد : بمعنى مسرع في مشيته ، أي : أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما ظنه الجهلة علماً وليس به ، ويروى « غار في أغباش الفتنة » : من غره «يغره» إذا غشه وهو ظاهر .

(٤) عم : وصف من العمى ، أي : جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح ، وقد يراد بالهدنة إمهال الله له في العقوبة وإملاؤه في أخذه، ولو عقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه ، وأوغل في النظر لفهم دقائقه ، ونصح الله ولرسوله وللمؤمنين .

مِمَّا كَثُرَ[1]. حَتَّى إِذَا آرْتَـوَى مِنْ آجِنٍ ، وَآكْتَنَزَ مِنْ غَيْـرِ طَائِـلٍ[2] ، جَلَسَ بَيْنَ آلنَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا آلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ[3] ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى آلْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ[4] ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ آلشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ آلْعَنْكَبُوتِ[5] : لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ : فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ . عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ[6] لَمْ يَعَضَّ عَلَى آلْعِلْمِ بِضِرْسٍ

---

(١) بكر : بادر إلى الجمع كالجاد في عمله يبكر إليه من أول النهار ، فاستكثر : أي : احتاز كثيراً « من جمع » بالتنوين ، أي : مجموع قليله خير من كثيره ، إن جعلت ما موصولة ، فان جعلتها مصدرية كان المعنى : قلته خير من كثرته . ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية ، أي : من جمع شيء قلته خير من كثرته .

(٢) الماء الآجن : الفاسد المتغير الطعم واللون ، شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات ، وهي تشبه العلم في انها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه ، كما ان الآجن من نوع الماء ، لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفىء من الأوار . والآجن يجلب العلة ويفضي بشاربه إلى البوار . واكتنز : أي عد ما جمعه كنزاً ، وهو غير طائل ، أي دون ، خسيس .

(٣) التخليص : التبيين ، والتبس على غيره اشتبه عليه .

(٤) المبهمات ؛ المشكلات لأنها أبهمت عن البيان ، كالصامت الذي لم يجعل على ما في نفسه دليلاً . ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة. والحشو: الزائد الذي لا فائدة منه. والرث : الخلق البالي ضد الجديد ، أي : انه يلاقي المبهمات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً ، بل هو حشو لا فائدة له في تبينها ثم يزعم بذلك أنه بينها .

(٥) الجاهل بالشيء : من ليس على بينة منه فاذا اثبته عرضت له الشبهة في نفيه واذا نفاه عرضت له الشبهة في اثباته . فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفاً ، ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والاصابة فاذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطىء وقد جاء الامام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه .

(٦) خباط ؛ صيغة مبالغة من خبط الليل اذا سار فيه على غير هدى ، ومنه خبط عشواء . =

قَاطِعٍ (١) يُذْرِي ٱلرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ ٱلرِّيحِ ٱلْهَشِيمَ(٢) لَا مَلِيءٌ وَٱللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِما فُوِّضَ إِلَيْهِ(٣) لَا يَحْسَبُ ٱلْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ ٱكْتَتَمَ بِهِ(٤) لِما يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ ٱلدِّمَاءُ ، وَتَعِجُّ مِنْهُ ٱلْمَوَارِيثُ(٥) إِلَى ٱللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً(٦) ، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ

= وشبه الجهالات بالظلمات التي يخبط فيها السائر ، وأشار إلى التشبيه بالخبط والعاشي : الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام ، فيكون كالتأكيد لما قبله والعشوات : جمع عشوة مثلثة الأولى ، وهي ركوب الأمر على غير هدى .

(١) من عادة عاجم العود - أي مختبره ليعلم صلابته من لينه - ان يعضه فلهذا ضرب المثل في الخبرة بالعض بضرس قاطع . أي : انه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيال ، ولم يعرض على محض الخبرة ليتبين احق هو ام باطل .

(٢) الهشيم : ما يبس من النبت وتفتت ، واذرته الريح إذراءً : اطارته ففرقته . ويروى يذرو الروايات كما يذرو الريح الهشيم ، وهي افصح ، قال الله تعالى : ﴿ فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ وكما ان الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه ، كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم .

(٣) المليء بالقضايا : من يحسنه ويجيد القيام عليه ، وهذا لاملىء باصدار القضايا التي ترد عليه وارجاعها عنه مفصولاً فيها النزاع ، مقطوعاً فيها الحكم . أي : غير قيم بذلك ، ولا عناء فيه لهذا الأمر الذي تصدر له . وروى ابن قتيبة بعد قوله لا ملىء والله باصدار ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أي : مدح به - بدل ولا هو أهل لما فوض إليه .

(٤) اكتتم به : أي كتمه وستره .

(٥) العج : رفع الصوت . وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور .

(٦) إلى الله متعلق بأشكو . وفي رواية اسقاط لفظ اشكو فيكون إلى الله متعلقاً بتعج . وقوله من معشر : يشير إلى اولئك الذين قمشوا جهلاً .

مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ (١) وَلَا سِلْعَةُ أَنْفَقَ بَيْعاً ، وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ .

١٨ ومن كلام له عليه السلام

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ ٱلْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ ٱلْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ ٱلْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ ٱلْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ ٱلْإِمَامِ ٱلذِي ٱسْتَقْضَاهُمْ (٢) فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ، وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ! أَفَأَمَرَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ ٱللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ ٱلرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وَذَكَرَ أَنَّ ٱلْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَأَنَّهُ لَا ٱخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

---

(١) تلى حق تلاوته : اخذ على وجهه وما يدل عليه في جملته وفهم كما كان النبي ﷺ واصحابه يفهمونه . وابور من بارت السلعة : كسدت . وانفق : من النفاق ـ بالفتح ـ وهو الرواج . وما أشبه حال هذا المعشر بالمعاشر من اهل هذا الزمان .

(٢) الامام الذي استقضاهم : الخليفة الذي ولا هم القضاء .

غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ . وَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ[1] وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِ غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

١٩ ومن كلام له عليه السلام

قَالَهُ لِلأَشْعَثِ بنِ قيسٍ وهو على منبرِ ٱلكوفةِ يخطبُ ، فمضى في بعضِ كلامه شيءٌ اعترضَهُ الأشعثُ فقال : يا أميرَ ٱلمؤمنين هذا عليكَ لا لك[2] فخفضَ عليه السَّلامُ إليه بصرَه ثمّ قال :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللهِ وَلَعْنَةُ ٱللَّاعِنِينَ ، حَائِكٌ ٱبْنُ حَائِكٍ[3] مُنَافِقٌ ٱبْنُ كَافِرٍ[4] وَٱللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ ٱلْكُفْرُ مَرَّةً وَٱلْإِسْلَامُ أُخْرَى[5] . فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ

---

(١) انيق : حسن معجب ، وآنقني الشيء : اعجبني .

(٢) كان امير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق باحدى يديه على الأخرى ، وقال : هذا جزاء من ترك العقيدة، فقال الأشعث ما قال ، وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وألجأتموني لقبول الحكومة .

(٣) قيل : ان الحائكين أنقص الناس عقلاً ، وأهل اليمن يعيرون بالحياكة . والأشعث يمني من كندة . قال خالد بن صفوان في ذم اليمانيين : ليس فيهم إلا حائك برد ، أو دابغ جلد ، أو سائس قرد ، ملكتهم امرأة واغرقتهم فأرة ، ودل عليهم هدهد .

(٤) كان الأشعث في أصحاب علي كعبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله ﷺ كل منهما رأس النفاق في ذمته .

(٥) أسر مرتين : مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيساً الأشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالباً بثأر أبيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على =

وَلَا حَسَبُكَ ، وَإِنَّ آمْرَءاً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ آلسَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ آلْحَتْفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ آلْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنَهُ آلْأَبْعَدُ(١) .

٢٠ ومن كلام له عليه السلام

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ(٢) وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا ،

= أحدها كبش بن هانىء ، وعلى أحدها القشعم بن الأرقم ، وعلى احدها الأشعث بن الأشج ، وفدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي قبله ولا بعده ، فمعنى قول أمير المؤمنين « فيها فداك » لم يمنعك من الأسر . وأما أسر الإسلام له فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الأنصاري فجأوا إلى الأشعث مستنصرين به فقال : لا أنصركم حتى تملكوني ، فتوجوه كما يتوج الملك من قحطان ، فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زياداً بالمهاجرين أبي أمية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياماً ثم نزل اليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقاربه حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه ، وفتح لهم الحسن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث إلا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانماية ثم حملوه أسيراً مغلولاً إلى أبي بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه اخته أم فروة بنت أبي قحافة .

(١) دلالة السيف ـ على قومه ـ وسوق الحتف اليهم تسليمهم لزياد بن لبيد ، وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم وإن كان الذي ينقل عن الشريف الرضي ان ذلك إشارة إلى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حرب المرتدين باليمامة ، وان الأشعث دل خالداً على مكامن قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فان ما نقله الشريف لا يتم إلا إذا قلنا أن بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة . وشاركت أهل الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل . وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوماً على ألسنة الناس المسلمين والكافرين ، وكان نساء قومه يسمينه عرف النار ، وهو اسم للغادر عندهم .

(٢) الوهل : الخوف : من وهل يوهل .

وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ ٱلْحِجَابُ[١] وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبصَرْتُمْ ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ، وَهُدِيتُمْ إِنِ ٱهْتَدَيْتُمْ . بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ ٱلْعِبَرُ[٢] وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ ٱللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ ٱلسَّمَاءِ إِلَّا ٱلْبَشَرُ[٣] .

٢١ ومن خطبة له أخرى

فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ أَمَامَكُمْ[٤] وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[٥] فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[٦] .

---

(١) ما مصدرية ، أي قريب طرح الحجاب ، وذلك عند نهاية الأجل ، ونزول المرء في أول منازل الآخرة .

(٢) جاهرتكم العبر : انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب اموركم ، والعبر : جمع عبرة ، والعبرة : الموعظة ، لكن أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازاً ، فان العبر التي جاهرتهم إما قوارع الوعيد المبعثة عليهم من السنة الرسل الإلهيين وخلفائهم . وإما ما يشهدونه من تصاريف القدرة الربانية ومظاهر العزة الإلهية .

(٣) رسل السماء : الملائكة ، أي : إن قلتم لم يأتنا عن الله شيء فقد اقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته .

(٤) الغاية : الثواب أو العقاب ، والنعيم والشقاء . فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم اليها ، ولا تستبطئوها فان الساعة التي تصيبونها فيها وهي يوم القيامة ـ آزفة إليكم فكأنها ـ في تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها وبينكم ـ بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه .

(٥) سبق سابقون بأعمالهم إلى الحسنى ، فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من اثقال الشهوات واوزار العناء في تحصيل اللذات ، ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق باللذين فازوا بعقبى الدار . وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه .

(٦) أي : إن الساعة لا ريب فيها ، وإنما ينتظر بالأول مدة لا يبعث فيها حتى يرد الآخرون=

قال الشريف أقول : ان هذا الكلام لو وزن ، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، بكل كلام لمال به راجحاً ، وبرَّز عليه سابقاً . فأما قوله عليه السلام « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً وما أبعد غورها من كلمة ، وأنفع نطفتها من حكمة[1] ، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها .

٢٢ ومن خطبة له عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين ببيعته

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ[2] ، وَٱسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ . لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ[3] . وَٱللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفاً[4] . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلتَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ! يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ[5] وَيُحْيُونَ

= وينقضي دور الإنسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا ، وذلك يوم يبعثون .

(١) من قولهم ماء ناقع ونقيع أي ناجع أي اطفاء العطش ، والنطفة : الماء الصافي .

(٢) حثهم : وحضهم من قولهم « ذمر فلاناً بكذا » من بابي ضرب ونصر ، إذا اغراه والجلب ـ بالتحريك ـ ما يجلب من بلد إلى بلد ، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب ، وجمع الجلب اجلاب .

(٣) النصاب ـ بكسر النون ـ الاصل ، أو المنبت وأول كل شيء .

(٤) النصف ـ بالكسر ـ العدل أو المنصف ، أي : لم يحكموا العدل بيني وبينهم ، أو لم يحكموا عادلاً .

(٥) إذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى ارضاعها وذهب لبنها ، يمثل به طلب الأمر بعد فواته .

بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ ، يَا خَيْبَةَ ٱلدَّاعِي !! مَنْ دَعَا ؟ وَإِلاَمَ أُجِيبَ ؟[1] وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللّٰهِ عَلَيْهِمْ ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ . فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ . وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ ، هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ[2] لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِٱلْحَرْبِ ، وَلَا أُرَهَّبُ بِٱلضَّرْبِ ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

٢٣ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ : إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ[3] فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ ٱلْبَرِيءَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُغْرَى بِهَا لِئَامُ ٱلنَّاسِ ، كَانَ كَٱلْفَالِجِ ٱلْيَاسِرِ[4]

---

(١) من : استفهامية ، وما المحذوفة الألف لدخول إلى عليها كذلك ، وهذا استفهام عن الداعي ودعوته تحقيراً لهما ، والكلام في اصحاب الجمل . والداعي هو أحد الثلاثة الذين تقدم ذكرهم في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة .

(٢) هبلتهم : ثكلتهم ، والهبول ـ بالفتح ـ من النساء التي لا يبقى لها ولد ، وهو دعاء عليهم بالموت ، لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم ، فالموت خير لهم من حياة جاهلية .

(٣) غفيرة : زيادة وكثرة .

(٤) الفالج : الظافر ، فلج يفلج ـ كنصر ينصر ـ ظفر وفاز . ومنه المثل : من يأت الحكم وحده يفلج ، والياسر : الذي يلعب بقداح اليسر أي : المقامر . وفي الكلام تقديم وتأخير ، ونسقه كالياسر الفالج كقوله تعالى ﴿ وغرابيب سود ﴾ ، وحسنه ان اللفظتين =

ٱلَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ ٱلْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ ٱلْمَغْرَمُ ، وَكَذٰلِكَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْبَرِيءُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللَّهِ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْن : إِمَّا دَاعِيَ ٱللَّهِ فَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وإِمَّا رِزْقَ ٱللَّهِ ، فإذا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . إِنَّ ٱلْمَالَ وَٱلْبَنِينَ حَرْثُ ٱلدُّنْيَا ، وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ حَرْثُ ٱلْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللَّهُ لِأَقْوَامٍ ، فَٱحْذَرُوا مِنَ ٱللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَٱخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ (١) وَٱعْمَلُوا مِنْ غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللَّهِ يَكِلْهُ ٱللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ(٢) نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَمُعَايَشَةَ ٱلسُّعَدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لا يَسْتَغْنِي ٱلرَّجُلُ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ ، عَنْ

= صفتان وإن كانت إحداهما إنما تأتي بعد الأخرى إذا صاحبتها ، يريد أن المسلم إذا لم يأت فعلاً دنيئاً يخجل لظهوره وذكره ، ويبعث لئام الناس على التكلم به ، فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة ، فهو شبيه بالمقامر الفائز في لعبة لا ينتظر إلا فوزاً . أي : أن المسلم إذا برىء من الدناءات لا ينتظر إلا إحدى الحسنيين : إما نعيم الآخرة ، أو نعيم الدارين فجدير به أن لا يأسف على فوت حظ من الدنيا فانه إن فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة ، وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير رزاقها ، فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزق ساقه الله إليه . وقوله « **فاحذروا ما حذركم الله من نفسه** » : يريد احذروا الحسد ، فان مبعثة انتقاض صنع الله تعالى واستهجان بعض أفعاله ، وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمته فقال : ﴿ **وإياي فارهبون ، وإياي فاتقون** ﴾ وما يفوق الكثرة من الآيات الدالة على ذلك .

(١) مصدر عذر تعذيراً لم يثبت له عذر ، أي : خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار .

(٢) العامل لغير الله لا يرجو ثواب عمله من الله وإنما يطلبه ممن عمل له ، فكأن الله قد تركه إلى من عمل له وجعل أمره اليه .

عَشِيرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ حِيطَةً مِنْ وَرَائِهِ(١) وَأَلَمُّهُمْ لِشَعْثِهِ ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِّثُهُ(٢) غَيْرَهُ .

ومنها : أَلاَ لاَ يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُم عَنِ ٱلْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا ٱلْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لاَ يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلاَ يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ(٣) ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ، وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ ٱلْمَوَدَّةَ .

قال الشريف : أقول ؛ ٱلغفيرةُ ههنا الزيادةُ وَالكثرةُ، من قولِهم للجمعِ الكثير : الجمُّ الغفيرُ ، والجماءُ الغفير . ويُروى « عِفوة من أهلٍ أو مالٍ » والعِفوةُ الخِيارُ منَ ٱلشيء ، يقال : أكلتُ عِفوةَ ٱلطعام ، أي : خيارَه، وما أحسنَ المعنى الذي أراده عليه

(١) حيطة كبيعة أي : رعاية وكلاءة ، ويروى حيطة ـ بكسر الحاء كبنية ، وسيكون الياء ـ مصدر حاطه يحوطه ، أي : صانه ، وتعطف ، عليه وتحنن ، الشعث ـ بالتحريك ـ : التفرق والانتشار .

(٢) لسان الصدق : حسن الذكر بالحق ، وهو في القرابة أولى وأحق .

(٣) الخصاصة : الفقر والحاجة الشديدة ، وهي مصدر خص الرجل ـ من باب علم ـ خصاصاً وخصاصة ، وخصاصاء ـ بفتح الخاء في الجميع ـ إذا احتاج وافتقر ، قال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ وقال الشاعر ـ وإذا تصبك خصاصة فتحمل ـ ينهى أمير المؤمنين عن إهمال القريب إذا كان فقيراً ، ويحث على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة . فان ما يبذل في سد حاجة القريب لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزده في غناه أو في جاهه شيئاً ، ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك . ومعنى أهلكه : بذله .

السلام بقوله : « ومن يقبض يده عن عشيرته » الى تمام الكلام فَإِنَّ ٱلْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا ٱحْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَٱضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ(١) قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ ٱلأَيْدِي ٱلْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضَ ٱلأَقْدَامِ ٱلْجَمَّةِ .

٢٤ ومن خطبة له عليه السلام

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ ٱلْحَقَّ ، وَخَابَطَ الغَيَّ ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ(٢) فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَفِرُّوا إِلَى اللهِ مِنَ اللهِ ، وَٱمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ(٣) . فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً ، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوه عَاجِلاً(٤) .

٢٥ ومن خطبة له عليه السلام

وقد تواترت(٥) عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على

---

(١) المرافدة : المعاونة .

(٢) الادهان : المنافقة والمصانعة ، ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والمغش . والايهان : الدخول في الوهن ، وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة ، وقد يكون مصدر أوهنته بمعنى أضعفته ، أي : لا يعرض علي فيه ما يضعفني . وخابط الغي والغي يخبطه وهو أشد اضطراباً ممن يخبط في الغي .

(٣) عصبه بكم من باب ضرب ربطه بكم أي : كلفكم به ، وألزمكم أداءه . ونهجه لكم : أوضحه وبينه .

(٤) لفلجكم ، أي لظفركم وفوزكم .

(٥) تواترت عليه الأخبار : مثل ترادفت وتواصلت وتتابعت ، ومن الناس من زعم أنّ =

البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن ، وهما عبيدالله بن العبّاس وسعيد بن نُمْرَان لما غلب عليهما بُسْرُ بن أبي أَرْطَاة[١]. فقام عليه السلام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي ، فقال : مَا هِيَ إلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا[٢] ، إنْ لَمْ تَكُونِي إلَّا أَنْتِ ، تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ[٣] فَقَبَّحَكِ ٱللهُ .

= التواتر لا يكون إلا مع فترات بين أوقات الاتيان ، وزعم أن قوله تعالى ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ يدل على ذلك لأنه بين كل نبيين فترة .

(١) يقال بسر بن أبي أرطاة ، وهو عامري من بني عامر بن لؤي بن غالب ، سيره معاوية إلى الحجاز بعسكر كثيف ، فأراق دماء غزيرة ، واستكره الناس على البيعة لمعاوية . وفر من بين يديه والي المدينة أبو أيوب الأنصاري . ثم وجه والياً على اليمن فتغلب عليها ، وانتزعها من عبدالله بن العباس ، وفر عبيدالله ناجياً من شره ، فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما ، وباء بإثمهما ، قبح الله القسوة وما تفعل ، ويروى أنهما ذبحا في بني كنانة أخوالهما ، وكان أبوهما تركهما هناك ، وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله : -

يا من أحس بابني اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابني اللذين هما ... قلبي وسمعي ، فقلبي اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة ... على صبيين ذلا إذ غدا السلف
خبرت بسراً وما صدقت ما زعموا ... من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أنحى ع: ودجى ابني مرهفة ... مشحوذة ، وكذاك الاثم يقترف

وتروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص .

(٢) أقبضها وأبسطها ؛ أي : أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو يبسطه .

(٣) الأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود ، أو كل ريح فيها العصار : وهو الغبار الكثير . إن لم يكن لي ملك الكوفة على ما فيها من الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله ؛ وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لاثارتها التراب وإفسادها الأرض .

وتمثل بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضَرٍ، مِنْ ذَا الإِنَاءِ، قَلِيلِ [(١)]

ثم قال عليه السلام :

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ ٱطَّلَعَ ٱلْيَمَنَ[(٢)] وَإِنِّي وَٱللهِ لأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ : بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ[(٣)] ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ ٱلأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ ، وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعَلَاقَتِهِ[(٤)] ! ٱللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ، ٱللَّهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ ٱلمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ[(٥)] ، أَمَا وَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ[(٦)] .

---

(١) الوضر ـ بالتحريك ـ : غسالة السقاء والقصعة ، وبقية الدسم في الانـاء وتقول . وضر الاناء ـ من باب طرب ـ إذا اتسخ بالدسم أو اللبن .

(٢) اطلع اليمن : بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه .

(٣) سيدالون منكم : ستكون لهم الدولة بدلكم ، بذلك السبب القوي ، وهو اجتماع كلمتهم ، وطاعتهم لصاحبهم ، وأداؤهم الأمانة ، وإصلاحهم بلادهم . وهو يشير إلى أن هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ، ومتى فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه . فالحق ضعيف بتفرق أنصاره ، والباطل قوي بتضافر أعوانه .

(٤) القعب ـ بالضم ـ القدح الضخم ـ وعلاقته ـ بكسر العين ـ ما يعلق منه من ليف أو نحوه .

(٥) مث قلوبهم (بصيغة الأمر) : أذبها ، ماثه يمثه : دافه ، أي : أذابه .

(٦) بنو فراس بن غنم بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، أو هم بنو فراس بن =

هُنَالِكَ، لَوْ دَعَوْتَ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلْحَمِيم

ثم نزل عليه السلام من المنبر .

قال الشريف : أقول : الأرميةُ جمع رَميٍّ وهو ٱلسَّحابُ ، والحميمُ ههنا : وقتُ الصيف ، وإنما خصَّ الشاعرُ سحابَ الصَّيفِ بالذكر لأنه أشدُ جفولا وأسرعُ خفوفاً[1] لأنه لا ماءَ فيه . وإنما يكونُ السحابُ ثقيلَ السير لإمتلائه بِالماءِ ، وذلكَ لا يكونُ في الأكثرِ إلا زمانَ الشتاء ، وإنما أراد الشاعرُ وصفَهم بالسُّرعةِ إذا دُعوا ، والإغاثة إذا استغيثُوا ، والدليلُ على ذلك قولُه : « هنالكَ لو دعوتَ أتاكَ منهم » .

٣٦ ومن خطبة له عليه السلام

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَار ، مُتنخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ[2]

= غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهور بالشجاعة ، ومنهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم ، حامي الظعن حياً وميتاً ، ولم يحم الحريم أحد وهو ميت غيره : عرض له فرسان من بني سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهن وحده فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه وأشار إليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحي وبنو سليم قيام ينظرون إليه لا يتقدم أحد منهم نحوه خوفاً منه حتى رموا فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتاً .

(١) مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً ، والمصدر المعروف خفا .

(٢) الخشن : جمع خشناء من الخشونة ، ووصف الحيات بالصم لأنها أخبثها إذ لا تنزجر ، =

تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ[1] ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ[2] .

ومنها . فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَأَغْضَيْتُ عَنِ الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ[3] وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ .

ومنها : وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً[4] فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا ، وَعَلاَ سَنَاهَا ، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

= وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ ، فأكثر أراضيها حجارة خشنة ، غليظة ، ثم إنه يكثر فيها الأفاعي والحيات ، فأبدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها .

(١) الجشب : الطعام الغليظ ، أو ما يكون منه أدم .

(٢) معصوبة : مشدودة تمثيل للزومها لهم ، وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة .

(٣) الكظم بالتحريك وبضم فسكون : الحلق ، أو الفم ، أو مخرج النفس ، والكل صحيح ههنا . والمراد أنه صبر على الاختناق ، وأغضيت : غضضت طرفي على قذى في عيني ، وما أصعب أن يغمض الطرف على قذى في العين . والشجا : ما يعترض في الحلق . وكل هذا تمثيل للصبر على المضض الذي ألم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه .

(٤) ضمير يبايع إلى عمرو بن العاص ، فانه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تم له الأمر .

٢٧ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّـا بَعْـدُ ، فَـإِنَّ ٱلْجِهَـادَ بَـابٌ مِنْ أَبْـوَابِ ٱلْجَنَّـةِ فَتَحَـهُ ٱللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ ٱلتَّقْوَى ، وَدِرْعُ ٱللهِ ٱلْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُـهُ ٱلْوَثِيقَةُ(١) فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ ٱللهُ ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَشَمْلَةَ ٱلْبَلَاءِ ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ(٢) وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِـهِ بِالْأَسْدَادِ(٣) ، وَأُدِيلَ ٱلْحَقُّ مِنْـهُ بِتَضْيِيعِ ٱلْجِهَادِ، وَسِيمَ ٱلْخَسْفَ(٤) وَمُنِعَ ٱلنِّصَفَ ، أَلَا وَإِنِّي قَـدْ دَعَـوْتُكُمْ إِلَى قِتَـالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَـوْمِ لَيْـلاً وَنَهَـاراً ، وَسِـرًّا وَإِعْلَاناً ، وَقُلْتُ لَكُمْ : أُغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَٱللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا(٥) فَتَوَاكَلْتُمْ ، وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ ٱلْغَارَاتُ

---

(١) جنته ـ بالضم ـ وقايته .

(٢) ديث مبني للمفعول من ديثه ؛ أي : ذلله ، وقموء الرجل كجمع وككرم قمأة وقماءة بزنة رحمة وسحابة ـ أي : ذل وصغر .

(٣) الأسداد جمع سد ، يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد . قال الله ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لايبصرون ﴾ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي : حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة .

(٤) أديل الحق منه ، أي : صارت الدولة للحق بدله ، وسيم الخسف ؛ أي : أولى الخسف وكلفه ، والخسف : الذل والمشقة أيضاً . والنصف بالكسر وبالتحريك ـ العدل ومنع مجهول ، أي : حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه .

(٥) عقر الدار ـ بالضم ـ وسطها وأصلها . وتواكلتم وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه ، أي : لم يتوله أحد منكم . بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل ، أي : العاجز ، لأنه يكل أمره إلى غيره . وشنت الغارات : فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعة بعد دفعة . وما كان إرسالاً غير متفرق يقال فيه : سن بالمهملة .

عَلَيْكُمْ ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَوْطَـانُ . وَهٰذَا أَخُـو غَامِـدٍ وَقَـدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ[1] وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانٍ ٱلْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[2] وَلَقَـدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُـلَ مِنْهُمْ كَانَ يَـدْخُلُ عَلَى ٱلْمَـرْأَةِ ٱلْمُسْلِمَةِ ، وَٱلأُخْرَى ٱلْمُعَـاهِدَةِ ، فَيَنْتَـزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَـا وَقَلَائِـدَهَا وَرِعَاثَهَا[3] مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالإِسْتِرْجَاعِ وَٱلإِسْتِرْحَامِ[4] ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِـرِينَ[5] مَـا نَـالَ رَجُـلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ؛ فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً ، بَـلْ كَانَ بِـهِ عِنْـدِي جَـدِيـراً ؛ فَيَـا عَجَبـاً ـ وَٱللّٰهِ ـ يُمِيتُ ٱلْقَلْبَ وَيَجْلِبُ ٱلْهَمَّ مِن ٱجْتِمَاعُ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَـرَحاً[6] حِينَ صِـرْتُمْ غَرَضـاً يُـرْمَى : يُغَـارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيـرُونَ ،

---

(١) أخو غامد : هو سفيان بن عوف ، من بني غامد ، قبيلة من اليمن من أزد شنوءة ، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله ، والأنبار : بلدة على الشاطىء الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت .

(٢) جمع مسلحة ـ بالفتح ـ وهي الثغر والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء ، وفي الحديث : « كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب » .

(٣) المعاهدة : الذمية ، والحجل ، بالكسر ، وبالفتح وبكسرين ـ خلخالها ، والقلب ، بالضم كقفل : سوارها . والرعاث : جمع رعثة ـ بالفتح ويحرك ـ بمعنى القرط . ويروى رعثها ـ بضم الراء والعين ـ جمع رعاث ، وجمع رعثة .

(٤) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء . والاسترحام : أن تناشده الرحم .

(٥) وافرين : تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم ، والكلم ـ بالفتح ـ الجرح .

(٦) ترحا ـ بالتحريك ـ أي : هماً وحزناً أو فقرا ، والغرض : ما ينصب ليرمي بالسهام ونحوها . فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون وقوله « ويعصى الله » : يشير إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة .

وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى ٱللهُ وَتَـرْضَوْنَ . فَـإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِـالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَـارَّةُ ٱلْقَيْظِ(١) أَمْهِلْنَا يُسَبِّخْ عَنَّا الْحَـرُّ(٢) وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِـالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَـاءِ قُلْتُمْ : هٰذِهِ صَبَـارَّةُ ٱلْقُرِّ(٣) أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا ٱلْبَرْدُ ، كُـلُّ هٰذَا فِـرَاراً مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْقُـرِّ ، فَـأَنْتُمْ وَٱللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ ، يَـا أَشْبَاهَ الـرِّجَـالِ وَلَا رِجَـالَ ! حُلُومُ ٱلْأَطْفَـالِ ، وَعُقُـولُ رَبَّـاتِ ٱلْحِجَـالِ(٤) لَـوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ! مَعْرِفَةٌ وَٱللهِ جَرَّتْ نَدَماً ، وَأَعْقَبَتْ سَدَماً(٥) قَاتَلَكُمُ ٱللهُ !! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً ، وَجَرَّعْتُمُـونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً(٦) وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِـذْلَانِ ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَـالِبٍ رَجُلٌ شُجَـاعٌ ، وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ .

للهِ أَبُـوهُمْ !! وَهَلْ أَحَـدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسـاً ، وَأَقْدَمُ فِيهَـا

---

(١) حمارة القيظ ـ بتشديد الراء ، وربما خففت في ضرورة الشعر ـ شدة الحر .

(٢) التسبيخ ـ بالخاء المعجمة ـ التخفيف والتسكين .

(٣) صبارة الشتاء بتشديد الراء : شدة برده ، والقر ـ بالضم ـ البرد ، وقيل : هو برد الشتاء خاصة ؛ أما البرد فعام فيه وفي الصيف ؛ وتقـول : قر يـومنا ـ من بـاب ضرب ـ أي : برد ؛ وتقول قر فلان ـ مبني لما لم يسم فاعله ـ قـرا ـ بفتح القـاف وكسرها ـ إذا أصـابه القر وهو البرد .

(٤) حجال : جمع حجلة وهي القبة ، وموضع يزين بالستور ، والثياب للعروس ، وربـات الحجال : النساء .

(٥) السـدم ـ محركـة ـ الهم مع أسف أو غيظ وفعله كفـرح ، والقيح : مـا في القـرحـة من الصديد ، وفعله كباع ، وشحنتم صدري : ملأتموه .

(٦) النغب : جمع نغبة كجرعة وجرع لفظاً ومعنى ، والتهمام ـ بالفتـح ـ الهم ، وكل تفعـال فهو بالفتح ، إلا التبيان والتلقاء فانها بالكسر . وأنفاساً : أي جرعة بعد جرعة .

مَقاماً مِنّي[1] ؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ ٱلْعِشْرِينَ ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ[2] ، وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ !!

٢٨ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ ،[3] وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ ، أَلَا وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ الْمِضْمَارَ[4] وَغَداً السِّبَاقَ ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ[5] وَٱلْغَايَةُ النَّارُ ؛ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ

---

(١) مراسا : مصدر مارسه ممارسة ومراسا ، أي : عالجه وزاوله وعاناه .

(٢) ذرفت على الستين : زدت عليها ، وروى المبرد « نيفت » وهو بمعناه وفي الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف في المعنى ، وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ ، انظر الكامل للمبرد .

(٣) آذنت : أعلمت ، وإيذانها بالوداع إنما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول ، فأول نظرة من العاقل إليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها ، وليس وراء الدنيا إلا الآخرة ، فان كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة ، والاطلاع : من « اطلع فلان علينا » أتانا فجأة .

(٤) المضمار : الموضع والزمن الذي تضمر فيه الخيل وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل . وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني ، وإطلاقه على الأول لأنه مقدمة للثاني ، وإلا فحقيقة التضمير : إحداث الضمور ، وهو الهزال وخفة اللحم ، وإنما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق ، كما أننا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الأخرى .

(٥) السبقة ـ بالتحريك ـ الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها وبالفتح المرة من السبق . والشريف رواها في كلام الامام بالتحريك أو بالفتح وفسرها بالغاية المحبوبة ، أو المرة من السبق . وهو مطلوب لهذا ، وروى الضم بصيغة رواية أخرى . ومن معاني السبقة ـ بالتحريك ـ الرهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق ، أي : الجعل الذي يأخذه السابق . إلا أن الشريف فسرها بما تقدم .

قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ(١) ؟ أَلاَ وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ (٢) مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَضَرَّهُ أَجَلُهُ ، أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ(٣) ، أَلاَ وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا(٤) ، أَلاَ وَإِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعْهُ الْحَقُّ يَضْرُرْهُ الْبَاطِلُ(٥) ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرَّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى الرَّدَى ، أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(٦) ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ ، تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا

---

(١) البؤس بالضم : اشتداد الحاجة ، وسوء الحالة ، ويوم البؤس : يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة ، والعامل له هو الذي يعمل الصالح لينجو من البؤس في ذلك اليوم .

(٢) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة .

(٣) الرهبة ـ بالفتح ـ هي مصدر رهب الرجل ـ من باب علم ـ رهبا ، بالفتح وبالتحريك ورهباناً ـ بالتحريك وبالضم ـ ومعناه : خاف ، أي : اعملوا لله في السراء كما تعملون له في الضراء لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه .

(٤) من أعجب العجائب الذي لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها ، وأن ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها أسباب الشقاء .

(٥) النفع الصحيح كله في الحق . فان قال قائل : إن الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضرراً له ، ومن لم يستقم به الهدى المرشد إلى الحق ـ أي : لم يصل به إلى مطلوبه من السعادة ـ جرى به الضلال إلى الردى والهلاك .

(٦) الظعن ـ بالفتح ، وبالتحريك ـ الرحيل عن الدنيا ، وفعله كقطع ، وأمرنا به أمر تكوين ، أي كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى ، والزاد الذي دلنا عليه : هو عمل الصالحات ، وترك السيئات .

تُحْرِزونَ أَنْفُسَكم بِهِ غداً(١) .

قال الشريف : أقول : لو كانَ كلامٌ يأخذُ بالأَعناق إلى آلزُّهْدِ في آلدّنيا ويضطرُ إلى عمل الآخرة لكانَ هذا الكلام ، وكفى به قاطعاً لعلائقِ الآمال ، وقادحاً زنادَ الاتعاظ والازدجار ، ومن أعجبه قوله عليه السلام « ألاَ وَإِنَّ آلْيَوْمَ المِضْمَار وَغداً آلسِّبَاقَ وَآلسَّبَقَةُ آلْجَنَّةُ وَآلْغَايَةُ آلنَّارُ » فإن فيه ـ مع فخامةِ اللفظ ، وعظمِ قدر المعنى ، وصادقِ التمثيل ، وواقعِ التشبيه ـ سراً عجيباً ، ومعنىً لطيفاً ، وهو قولُه عليه السلام : « والسَّبَقةُ الجنة ، والغايةُ النار » فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، ولم يقل « السَّبقةُ النار » كما قال « السَّبقةُ الجنة » ؛ لأن الاستباقَ إنما يكونُ إلى أمرٍ محبوبٍ ، وغَرضٍ مطلوبٍ ، وهذه صفةُ آلجنّةِ وليس هذا المعنى موجوداً في النار نعوذ باللهِ منها ، فلم يجزْ أنْ يقولَ « والسَّبقةُ النار » بل قال « والغايةُ النار » ؛ لأن الغايةَ ينتهي إليها من لا يسرُّه الانتهاءُ ومن يسرّه ذلك ، فصلحَ أن يعبَّرَ بها عن الأمرين معاً ، فهي في هذا الموضعِ كالمصيرِ والمآل ، قالَ اللَّهُ تعالى : ﴿ **قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مصيرَكُمْ إلى النّار** ﴾ ولا يجوزُ في هذا الوضعِ أن يُقال سبقتم ـ بسكون الباء ـ إلى النار ، فتأمَّلْ ذلك فباطنُهُ عجيبٌ

---

(١) تحرزون أنفسكم : تحفظونها من الهلاك الأبدي ، ويقال : حرز نفسه ـ كنصر ـ أو هذا إبدال والأصل حرس بالسين فأبدلت زايا ، وتقول : حرز فلان ككرم ، إذا تحصن ، وحرز كفرح ، إذا كثر ورعه .

وغـوُره بعيـدٌ . وكـذلـك أكثـرُ كـلامـه عليـه السَّـلامُ ، وفي بعض النُّسـخ ، وقـد جـاء في روايـةٍ أخـرى « والسُّبَقـةُ الجنـة » ـ بضم السين ـ والسبقـة عنـدهم : اسم لمـا يجعـل للسَّـابق إذا سُبقَ من مالٍ أو عرض ، وآلمعنيان مُتقارِبـان لأن ذلك لا يكـونُ جزاءً على فعل آلأمرِ المذموم ، وإنما يكونُ جزاءً على فعل آلأمرِ المحمود

٢٩ ومن خطبة له عليه السلام

أَيُّهَـا آلنَّاسُ آلْمُجْتَمِعَـةُ أَبْـدَانُهُمْ ، آلْمُخْتَلِفَـةُ أَهْـوَاؤُهُمْ(١) ، كَلَامُكُمْ يُوهِي آلصُّمَّ آلصِّلَابَ(٢) وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فيكم آلْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي آلْمَجَـالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَـإِذَا جَـاء آلْقِتَـالُ قُلْتُمْ : حِيـدِي حِيَـادِ(٣) ! مَـا عَـزَّتْ دَعْـوَةُ مَنْ دَعَـاكُمْ ، وَلَا آسْتَـرَاحَ قَلْبُ مَنْ

---

(١) أهواؤهم : آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم والأهـواء : جمع هـوى ، بالقصر ـ وأصله إرادة النفس وما تميل إليه محموداً كان أو مذموماً ، ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود .

(٢) الصم : جمـع أصم ، وهـو من الحجـارة الصلب ، والصـلاب : جمـع صليب ، والصليب : الشديد ، وبابه ظريف وضعيف وضعاف : ويوهيها : يضعفها ويـفتتهـا . يقال : وهي الثوب ووهى يهي وهيا ـ من باب ضرب وحسب ـ تخرق ونشق ، وأوهاه يوهيه إيهاء : شقة وخرقة : أي : تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوتـه ، ثم يكون فعلكم ، من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو !! .

(٣) كيت وكيت بكسر آخرها ـ كلمتان لا تستعملان إلا مكررتين : إمـا مع واو العـطف ، وإما بدونها . وأصل تائهما هاء ، وربما قيل « كيه كيه » ومعناهما كذا وكذا ، وقيـل كيت كيت كناية عن الحديث وذيت ذيت كنايـة عن الفعل ، وكـذا وكذا كنـاية عن العـدد ، تقـول : قال فـلان كيت كيت ، وفعل ذيت ذيت ، وأخـذ كذا وكـذا درهما . وحيـدي

قَاسَاكُمْ(١) أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ ، دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ(٢) لَا يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ . وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَٱللهِ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ(٣) ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ(٤) أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ،

حياد : كلمة يقولها الهارب ، كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه ، من الحيدان ، وهو الميل والانحراف عن الشيء ، وحياد : مبني على الكسر كما في قولهم : فيحي فياح ، أي : اتسعي ، وحمي حمام : للداهية ، أي : أنهم يقولون في المجلس : سنفعل بالأعداء ما نفعل ، فاذا جاء القتال فروا وتقاعدوا .

(١) أي : من دعاهم وحملهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم ، فان قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه . والأعاليل : إما جمع أعلال جمع علل جمع علة ، أو جمع أعلولة . كما أن الأضاليل جمع اضلولة . والأضاليل متعلقة بالأعاليل ، أي : أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى لها .

(٢) أي أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه ، والمطول : الكثير المطل ، وهو تأخير أوان الدين بلا عذر . وقوله « لا يمنع الضيم ـ الخ » أي : أن الذليل الضعيف البأس الذي لا منعه له لا يمنع ضيماً ، إنما يمنع الضيم القوي العزيز .

(٣) فاز بكم : من « فاز بالخير » إذا ظفر به ، أي : من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الأخيب ، وهو من سهام الميسر الذي لا حظ له .

(٤) الأفوق من السهام : مكسور الفوق ، والفوق ، موضع الوتر من السهم ، والناصل : العاري عن النصل ، أي : من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى ، به وإن لم يصب مقتلاً إلا إذ لا نصل له . وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند إغارة الضحاك بن قيس ، فان معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدت من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له خيلاً أو مسلحة فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى . ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها وسرحه في ثلاثة آلاف ، فأقبل الضحاك فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب ؛ ثم لقي عمر بن عميس بن مسعود الذهلي فقتله ـ وهو =

وَلاَ أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلاَ أُوعِدُ ٱلْعَدُوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ ! مَا دَوَاؤُكُمْ ! مَا طِبُّكُمْ ! ٱلْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ ! أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ؟ وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ ؟! .

٣٠ ومن كلام له عليه السلام

في معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً ؛ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً[١] غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي[٢] وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ : ٱسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ ٱلْأَثَرَةَ وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ ٱلْجَزَعَ[٣] وَلِلّٰهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي ٱلْمُسْتَأْثِرِ وَٱلْجَازِعِ .

= ابن أخي عبدالله بن مسعود ـ ونهب الحاج ، وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة ، فساء ذلك أمير المؤمنين ، وأخذ يستنهض الناس إلى الدفاع عن ديارهم ، وهم يتخاذلون ، فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة ، ثم دعا بحجر بن عدي فسيره إلى الضحاك في أربعة آلاف ، فقاتله ، فانهزم فاراً إلى الشام يفتخر بأنه قتل ونهب .

(١) يقول : إنه لم يأمر بقتل عثمان ، وإلا كان قاتلاً له ، مع انه بريء من قتله ، ولم ينه عن قتله ـ أي : لم يدافع عنه بسيفه ، ولم يقاتل دونه ـ وإلا كان ناصراً له . اما نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت ، وهو الذي أمر الحسن والحسين أن يذبا الناس عنه .

(٢) أي : إن الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه ؛ لهذا لا يستطيع ناصره أن يقول : اني خير من الذي خذله ، ولا يستطيع خاذله أن يقول : إن الناصر خير مني ، يريد أن القلوب متفقة على أن ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه .

(٣) أي : أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد ، وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم ، وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع ، أي : لم ترفقوا في جزعكم ، ولم تقفوا عند الحد =

٣١

ومن كلام له عليه السلام

لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل[١]

لا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فإنَّكَ إنْ تَلْقَهُ تجِدْهُ كالثَّوْرِ عاقِصاً قَرْنَهُ[٢] يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ. وَلٰكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً[٣] فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خالِكَ: عَرَفْتَني بِالْحِجازِ وَأَنْكَرْتَني بِالْعِراقِ، فَما عَدا مِمَّا بَدا[٤].

قال الشريف: أقولُ: هو أوّلُ من سمعتُ منهُ هذه الكلمةَ، أعني «فما عَدا مِمّا بدا».

= الأولى بكم. وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا في الاساءة إلى حد القتل. ولله حكمه في المستأثر وهو عثمان، وفي الجازع وهو أنتم: فاما آخذه وآخذكم، أو عفا عنه وعفا عنكم، والأثرة ـ بفتحات ـ الاسم من قولهم «استأثر بالشيء» إذا استبد به وخص نفسه به.

(١) «يستفيئه» أي: يسترجعه.

(٢) ويروى «إن تلقه تلفه» الأولى بالقاف والثانية بالفاء من «ألفاه يلفيه»، وهي بمعنى تجده و«عاقصا قرنه» من «عقص العشر» إذا ظفره وفتله ولواه، وهو تمثيل له في تغطرسه وكبره وعدم انقياده و«يركب الصعب» يستهين به يزعم أنه ذلول سهل.

(٣) العريكة: الطبيعة، وعرفه بالحجاز: أطاعه فيه حيث عقد له البيعة. وأنكره بالعراق حيث خرج عليه وجمع لقتاله.

(٤) عداه الأمر: صرفه، وبدا: ظهر، و«من» هنا بمعنى عن. نقل ابن قتيبة «حدثني فلان من فلان» أي: عنه، و«نهيت من كذا» أي: عنه، أي: ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك.

٣٢ ومن خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ(١) يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُوّاً. لاَ نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحِلَّ بِنَا(٢). فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ إِلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ ، وَكَلاَلَةُ حَدِّهِ ، وَنضيضُ وَفْرِهِ (٣) وَمِنْهُمْ المصلتُ لِسَيْفِهِ ، والمُعلِنُ بشرِّه، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَق دِينَهُ ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ(٤) . وَلَبِئْسَ

---

(١) العنود : الجائر من « عند يعند » كنصر ، جار عن الطريق وعدل : والكنود : الكفور ، ويروى « وزمن شديد » أي : بخيل كما في قوله تعالى ﴿ وإنه لحب الخير لشديد﴾ أي : الإنسان ـ لأجل حبه للمال ـ بخيل والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر ، وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً .

(٢) القارعة : الخطب يقرع من ينزل به ، أي يصيبه . والداهية العظيمة .

(٣) القسم الأول من يقعد به عن طلب الامارة والسلطان حقارة نفسه ، فلا يجد معيناً ينصره ؛ وكلالة حده ، أي : ضعف سلاحه عن القطع في اعدائه يقال : كل السيف كلالة ، إذا لم يقطع . والمراد إعوازه من السلاح ، أو لضعفه عن استعماله ونضيض وفره قلة ماله . وكان مقتضى النسق أن يقول : ونضاضة وفره : لكنه عدل إلى الوصف تفنناً ، والنضيض : القليل ، والوفر : المال .

(٤) القسم الثاني الذي يطلب الامارة ما هي من حقه ، ويجهر بذلك فهو مصلت لسيفه ـ أي : سال له ـ على أعناق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل ، والمعلن : المظهر ، والمجلب بخيله : من « أجلب القوم » أي : جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب ، والرجل : جمع راجل ، كالركب جمع راكب والصحب جمع صاحب ، وهو قليل ، و « أشرط نفسه » أي : هيأها وأعدها للشر والفساد في الأرض ، أو للعقوبة وسوء العاقبة و « أوبق دينه » أهلكه . والحطام : المال ، وأصله ما تكسر من اليبس . =

الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً ، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلاَ يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا : قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سَتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ[1] ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ،[2] وانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدىً . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ[3] ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ[4] ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَثَكْلاَنَ مُوجَعٍ . قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ[5] وَشَمَلَتْهُمُ

= ينتهزه يغتنمه أو يختلسه ، والمقنب : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وإنما يطلب قود المقنب تعززا على الناس وكبرا ، وفرع المنبر ـ بالفاء ـ أي علاه في علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد أضاع دينه وافسد الناس في طلب هذه الشهوات المذكورة .

(١) الذريعة : الوسيلة ، وهذا قسم ثالث .

(٢) الضؤولة بالضم ـ : الضعف ، وهذا هو القسم الرابع ، وليس من الزهادة في ذهاب ولا إياب ، أي : لا فعل ولا ترك .

(٣) هذا قسم خامس للناس مطلقاً ، والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة . فقوله فيما سبق : « فالناس أربعة أصناف » إنما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلي ناساً ، أما الرجال الذين غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفاً من الآخرة وتذكراً لمعادهم فهؤلاء لا يعرفون عند العامة ، وإنما يتعرف أحوالهم امثالهم ، فكأنهم في نظر الناس ليسوا بناس .

(٤) الناد : الهارب من الجماعة إلى الوحدة ، والمقموع : المقهور . والمعكوم : من « كعم البعير » شد فاه لئلا يأكل أو يعض ، وما يشد به كعام ككتاب : والثكلان : الحزين .

(٥) أخمله : أسقط ذكره حتى لم يعدله بين الناس نباهة . والتقية : اتقاء الظلم بإخفاء =

ٱلـذِّلَّـةُ ، فَهُمْ فِي بَحْـرٍ أُجَاجٍ ، أَفْـوَاهُهُمْ ضَـامِـزَةٌ(١) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ ، وَقَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا(٢) ، وَقُهِـرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلْتَكُنِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِـكُمْ أَصْغَـرَ مِنْ حُثَالَـةِ ٱلْقَرَظِ وَقُـرَاضَةِ ٱلْجَلَمِ (٣) وَٱتَّعِـظُوا بِمَنْ كَـانَ قَبْلَكُمْ ، قَـبْـلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَـنْ بَعْدَكُمْ ، وَٱرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ؛ فَإِنَّها رَفَضَتْ مَنْ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ (٤) .

قال الشريف : أقولُ : هذهِ الخـطبةُ ربمـا نسبَها منْ لا علمَ له إلى معاويـةَ ، وهي من كلامِ أميـرِ آلمؤمنين عليه السّـلامُ الذي لا يُشَـكُّ فيه ، وأينَ الـذَّهَبُ من الرَّغـام(٥) والعذبُ من الأجـاجِ ؟ وقد دل على ذلك الدليل الخِرِّيت(٦) ونقده الناقدُ البصيـر عمرو بن بحر الجاحظُ ؛ فإنه ذكـرَ هذه الخـطبة في كتـابِ البيان والتبيين ،

= الحال، والأجـاج : الملح : أي : أنهم في النـاس كمن وقـع في البحـر الملح لا يجد مـا يطفيء ظمأه أو ينقع غلته .

(١) ضامزة : ساكنة ، من « ضمز يضمز » بالزاي المعجمة ـ كنصر وضرب ـ سكت يسكت والقرحة ـ بفتح فكسر ـ المجرحة .

(٢) أي : أنهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم .

(٣) الحثـالة ـ بـالضم ـ القشارة ومـا لا خير فيـه ، وأصله مـا يسقط من قشر الشعيـر والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا نقي . والقرظ ـ محركـة ـ ورق السم أو ثمر السنط يـدبغ بـه ، والجلم ـ بالتحريك ـ مقراض يجز به الصوف ، وقراضتـه : ما يسقط منـه عند القـرض والجز . وإنما طالبهم باحتقال الدنيـا بعد التقسيم المتقـدم لما ثبت من أن أهـل الدنيـا لم تصف إلا للأشرار . أما المتقون الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها إلا العناء ، وكل مـا كان من شأنه أن يأوي إلى الأشرار ويجافي الأخيار فهو اجدر بالإحتقار .

(٤) أي : من كان أشد تعلقاً بها منكم .

(٥) الرغام ـ بالفتح ـ : التراب ، وقيل : هو الرمل المختلط بالتراب .

(٦) الخريت ـ بوزن سكيت ـ الحاذق في الدلالة ، وفعله كفرح .

وذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم قال : هِيَ بكلامِ عليٍّ عليه السلامُ أشبهُ وبمذهبِه في تصنيفِ النّاس ، وبالإخبار عما هُمْ عليه من القهرِ والإذلال ، ومن التقيَّةِ والخوفِ ـ أليقُ[1] قال : ومتى وجدنا معاوية في حالٍ من الأحوال يسلكُ في كلامِهِ مسلكَ الزهاد ، ومذاهبَ العباد ؟؟ !! .

٣٣ ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه لقتال أهل البصرة[2]

قال عبدالله بن العباس : دخلتُ على أميرِ المؤمنين عليه السّلامُ بذي قار[3] وهو يخصفُ نعلَه[4] فقال لي : ما قيمةُ هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمةَ لها . فقال عليه السّلامُ : واللّهِ لهيَ أحبُّ إليَّ من إمْرَتِكُمْ إلا أن أُقيمَ حقاً ، أو أدفعَ باطلاً ، ثم خرجَ فخطبَ الناس فقال : ـ

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ ٱلنَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ

---

(١) تصنيف الناس : تقسيمهم ، وتبيين أصنافهم .

(٢) في وقعة الجمل .

(٣) بلد بين واسط والكوفة ، وهو قريب من البصرة ، وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الإسلام .

(٤) يخصف نعله يخرزها .

مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ(١) فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ(٢) ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ . أَمَّا وَٱللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا(٣) حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا : مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا(٤) فَلَأَنْقُبَنَّ ٱلْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ ٱلْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ(٥) مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ ! وَٱللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ ؛ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ ٱلْيَوْمَ ! . (وَٱللهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلا أَنَّ ٱللهَ ٱخْتَارَنَا

---

(١) بوأهم محلتهم أي : أنزلهم منزلتهم ، فالناس قبل الإسلام كأنهم كانوا غرباء مشردين والإسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف ، فالنبي ﷺ ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الإسلام الذي كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك .

(٢) القناة : العود ، والرمح ، والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم ، الصفاة : الحجر الصلد الضخم ، وأراد به مواطىء اقدامهم . والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل اقدامهم .

(٣) « إن كنت الخ » . إن هذه هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف ، والأصل « إنه كنت الخ » والمعنى قد كنت ، والساقة : مؤخر الجيش السائق لمقدمه ، و« ولت بحذافيرها » : بجملتها وأسرها ، ويقال : « أخذه بحذفاره » بكسر الحاء وسكون الذال ـ و « أخذه بحذفوره » ـ بضم فسكون ـ و « أخذه بحذافيره » والضمائر في « ساقتها » و « ولت بحذافيرها » عائدة إلى الحادثة المفهومة من الحديث وهي ما أنعم الله به من بعثة النبي ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الذلة للعزة . وقال الشارح ابن أبي الحديد : الضمائر للجاهلية المفهومة من الكلام ، وكونه في ساقها أنه طارد لها . ويضعفه أن ساقة الجيش منه لا من مقاتليه ، فلو كان في ساقة الجاهلية لكان من جيشها ، نعوذ بالله ، ويمكن تصحيح كلام الشارح بجعل الساقة جمع سائق ، أي : كنت في الذين يسوقونها طرداً حتى ولت .

(٤) أي : أنه يسير إلى الجهاد في سبيل الحق .

(٥) الباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن الحق ، ويقوم حجاباً مانعاً للبصيرة عن الحقيقة ، فكأنه شيء اشتمل على الحق فستره ، وصار الحق في طيه ، والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق ، وحال الامام في كشف الباطل واظهار الحق .

عَلَيْهِمْ فأَدْخلناهُمْ في حَيِّزنا فكانوا كما قالَ الأَوّلُ :

أَدَمْتَ لَعَمْـرِي شُـرْبَـكَ ٱلمحْضَ صَـابحـاً
وأَكْـلَكَ بِـالـزُّبْـدِ ٱلْمُقَـشَّـرَةَ ٱلْبُـجْـرا
وَنَـحْـنُ وَهَـبْـنـاكَ ٱلْـعَـلاءَ وَلَمْ تـكُـنْ
عَلِيّـاً وحُـطْنـا حَـوْلَـكَ ٱلجُـرْدَ وَالسُّمْـرا

٣٤ ومن خطبة له عليه السلام

في استنفار الناس إلى أَهل الشام

أُفٍّ لَكُمْ ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ !! أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ ٱلـدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِـرَةِ عِوَضـاً ؟ وَبِالـذُّلِّ مِنَ ٱلْعِزِّ خَلَفاً ؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَـادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلْمَـوْتِ في غَمْرَةٍ(١) وَمِنَ الـذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ(٢) فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَـأْلُوسَـةٌ(٣) فَـأَنْـتُـمْ لاَ تَـعْـقِـلُونَ ، مَـا أَنْـتُـمْ لِـي بِـثِـقَـةٍ سَـجِـيسَ

(١) دوران الأعين : اضطرابها من الجزع ، ومن غمـرة الموت يـدور بصره ، فانهم يـريدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي إليه ، يشير إلى قولـه تعالى : ﴿ ينـظرون إليك نـظر المغشي عليه من الموت ﴾ .

(٢) الحوار ـ بالفتح وربما كسر ـ هو مراجعة الكلام و « يـرتج » بمعنى يغلق ، وتقـول : رتج الباب ـ كضرب ـ أي : أغلقه ، أي : لا تهتدون لفهمه ، فتعمهـون : مضارع عمـه ـ كعلم وقطع ـ أي : تتحيرون وترددون .

(٣) المألوسة : المخلوطة بمس الجنون .

آللَّيَالِي(1) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلاَ زَوَافِرِ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ(2) مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ آنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ، لَبِئْسَ ـ لَعَمْرُ آللهِ ـ سُعْرُ نَارِ آلْحَرْبِ أَنْتُمْ(3) تُكَادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ(4) لاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَآللهِ آلْمُتَخَاذِلُونَ. وَأَيْمُ(5) آللهِ إِنِّي لأَظُنُّ بِكُمْ، أَنْ لَوْ حَمِسَ آلْوَغَى وَآسْتَحَرَّ آلْمَوْتُ قَدِ آنْفَرَجْتُمْ عَنِ آبْنِ أَبِي طَالِبٍ آنْفِرَاجَ آلرَّأْسِ(6). وَآللهِ إِنَّ امْرَءاً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ(7)، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ(8).

---

(١) سجيس ـ بفتح فكسر ـ كلمة تقال بمعنى أبدا، «وسجيس الماء» من سجس بمعنى تغير وكدر، وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها، أي: ما دام الليل ليلاً. ويقال سجيس لا وجس ـ بفتح الجيم وضمها ـ و«وسجيس عجيس»، كل ذلك بمعنى أبداً أي ليسوا بثقاة عنده يركن إليهم أبداً.

(٢) الزافرة من البناء: ركنه، ومن الرجل عشيرته. وقوله «يمال بكم» أي: يمال على العدو بعزكم وقوتكم.

(٣) السعر: أصله مصدر سعر النار ـ من باب نفع ـ أوقدها، أي: لبئس ما توقد به الحرب أنتم، ويقال: إن «سعر» جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب.

(٤) امتعض: غضب.

(٥) غلب ـ مبني للمجهول ـ والمتخاذلون الذين يخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون.

(٦) حمس ـ كفرح ـ اشتد وصلب في دينه فهو حمس كفرح وحذر، والوغى: الحرب، واستحر: بلغ في النفوس غاية حدته، وقوله «انفراج الرأس» أي: انفراجاً لا التئام بعده، فان الرأس اذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شدقيه عن الآخر لم يعد للالتئام.

(٧) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم، وفراه يفريه: مزقه يمزقه.

(٨) ما ضمت عليه الجوانح: هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية، والجوانح:

أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ(١) فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ ٱلْهَامِ ، وَتَطِيحُ ٱلسَّوَاعِدُ وَٱلْأَقْدَامُ(٢) وَيَفْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ(٣) ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ .

٣٥ ومن خطبة له عليه السلام

بعد التحكيم

أَلْحَمْدُ للهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ(٤) وَالْحَدَثِ

= الضلوع تحت الترائب ، والترائب : ما يلي الترقوتين من عظم الصدر، أوما بين الثديين والترقوتين ، يريد ضعيف القلب .

(١) يمكن أن يكون خطاباً عاماً لكل من يمكن عدوه من نفسه . ويروى أنه خطاب للأشعث بن قيس عندما قال له « هلا فعلت فعل ابن عفان » فأجابه بقوله : إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ، وإن أمرءاً الخ .

(٢) أي : لا يمكن عدوه من نفسه حتى لا يكون ذلك ضرب بالمشرفية ، وهي السيوف التي تنسب إلى مشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . ولا يقال في النسبة إليها مشارفي ؛ لأن الجمع ينسب إلى واحدة ؛ ويقال : إن المشرفية نسبة إلى موضع في بلاد اليمن لا إلى مشارف الشام، وفراش الهام : العظام الرقيقة التي تلي القحف ، و « تطيح السواعد » أي : تسقط وفعله كباع وقال .

(٣) الفيء : الخراج وما يحويه بيت المال .

(٤) من فدحه الدين ـ كقطع ـ أي : أثقله وعاله وبهظه ، والحدث ـ بالتحريك ـ الحادث .

الْجَلِيلِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَمَّـا بَعْدُ ، فَـإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّـاصِحِ الشَّفِيقِ ٱلْعَـالِمِ الْمُجَـرِّبِ تُـورِثُ الْحَيْـرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّـدَامَـةَ . وَقَـدْ كُنْتُ أَمَـرْتُكُمْ فِي هٰـذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي[1] لَـوْ كَانَ يُـطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْـرٌ[2] فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَـاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَـاةِ ، وَٱلْمُنَابِذِينَ ٱلْعُصَـاةِ ،

---

(١) الحكومة : حكومة الحكمين : عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري وذلك بعدما وقف القتال بين علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة ؛ فان جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله ، وكانت الحرب أكلت من الفريقين ، فانخدع القراء وجماعة تتبعوهم من جيش علي ، وقالوا دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه ، فقال لهم أمير المؤمنين : إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها ، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها ، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن نقطع دابر الذين ظلموا ، فخالفوا واختلفوا ، فوضعت الحرب أوزارها وتكلم الناس في الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله ، فاختار معاوية عمرو بن العاص ، واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري ، فلم يرض أمير المؤمنين واختار عبدالله بن عباس فلم يرضوا ، ثم اختار الأشتر النخعي فلم يطيعوا ، فوافقهم على أبي موسى مكرهاً بعد أن أعذر في النصيحة لهم فلم يذعنوا ، فقد نخل لهم ؛ أي أخلص رأيه في الحكومة أولاً وآخراً . ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبي موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو وبعده وإثباته معاوية وخلفه أمير المؤمنين . وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه .

(٢) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش ، وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .

حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ(١) وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

٣٦ ومن خطبة له عليه السلام

(في تخويف أهل النهروان(٢))

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ ، وَبِأَهْضَامِ

---

(١) يريد بالناصح نفسه ، أي : أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك في نصيحته وظن أن النصح غير نصح ، وأن الصواب ما أجمعوا عليه وتلك سنة البشر : إذا كثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه . وقوله « ضن الزند بقدحه » أي : أنه لم يعد بعد ذلك رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم ، وهكذا المشير الناصح إذا اتهم واستغش عشت بصيرته وفسد رأيه . « وأخو هوازن » هو دريد بن الصمة ، ومنعرج اللوى : اسم مكان ، وأصل اللوى من الرمل : الجدد يعد الرملة . ومنعرجه : منعطفه يمنة ويسرة وفي هذه القصيدة : =

فلما عصوني كنت منهم ، وقد أرى غوايتهم ، وانني غير مهتدي
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

(٢) النهروان : اسم لأسفل نهر بين الخافيق، وطرفاء، على مقربة من الكوفة في طرف صحراء حروراء . ويقال لأعلى ذلك النهر « تامر » ، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعته، وجهروا بعداوته، وصاروا له حرباً، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع ، وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا فيها كانت تسمى حروراء ، وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوس بن زهير السعدي ، ويلقب بذي الثدية (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن مقالتهم ، والعودة إلى بيعتهم ، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه ، فأمر بقتالهم ، وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه .

هٰذَا ٱلْغَائِطِ[1] عَلَى غَيْـرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ : قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ[2] وَٱحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ ٱلْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ[3]، حَتَّى صَـرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ[4] ، سُفَهَاءُ الْأَحْـلَامِ وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[5] ، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا .

---

(١) صرعى : جمع صريع ، أي : طريح ، أي : إني أحـذركم من اللجاج في العصيـان فتصبحـوا مقتولـين مطروحـين : بعضكم في أثناء هـذا النهر ، وبعضكم بـأهضام هـذا الغـائط . والأهضام : جمـع هضم وهو المـطمئن من الوادي . والغـائط : ما سفـل من الأرض والمراد منها المنخفضات .

(٢) أي : صرتم في متـاهة ومضلة ، لا يـدع الضلال لكم سبيـلاً إلى مستقـر من اليقـين ، فأنتم كمن رمت به داره وقذفته . ويقـال : « تطوحت بـه النوى » أي : تـرامت . وقد يكـون المعنى أهلكتكم دار الدنيـا ، كما اخـترناه في الـطبعـة الأولى . والمقـدار : القـدر الإلهي ، واحتبلهم : أوقعهم في حبـالتـه ـ فهم مقيـدون للهـلاك لا يستـطيعـون منـه خروجاً .

(٣) نهاهم عن إجـابة أهـل الشام في طلب التحكيم بقـولـه : « إنهم مـا رفعـوا المصـاحف ليرجعوا إلى حكمها ـ إلى آخر ما تقدم في الخطبة السابقة » . وقد خالفوه بقولهم : دعينا إلى كتاب الله فنحن أحق بالاجابة إليه ، بل أغلظوا في القول حتى قال بعضهم : لئن لم تجبهم إلى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك .

(٤) الهام : الرأس وخفتها كناية عن قلة العقل .

(٥) البجر ـ بالضم ـ : الشر والأمـر العظيم والـداهية ، وقـال الراجـز * أرمى عليها وهي شيء بجر * أي : داهية ويقال « لقيت منه البجاري » وهي الدواهي ، واحدها بجرى مثل قمري وقماري .

(٦) هذا الكلام ساقه الرضي كأنه قطعة واحدة لغرض واحد ، وليس كذلك ، بل هو قـطع غير متجاورة ، كل قطعة منها في معنى غير ما لـلاخرى ، وهـو أربعة فصـول الأول من قوله : فقمت بالأمر إلى قوله : واستبددت برهانها ، والفصل الثاني من قولـه : كالجبـل لا تحركه العواصف إلى قوله : حتى آخذ الحق منه . والفصل الثالث من قولـه : رضينا من الله قضاءه ، إلى قوله : فلا أكون أول من كذب عليه . والفصل الرابع ما بقي . =

٣٧

ومن كلام له عليه السلام

(يجري مجرى الخطبة)

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا[١] وَنَطَقْتُ حِينَ تَمَنَّعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ ٱللهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفَضَهُم صَوْتاً[٢] وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً[٣] فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَٱسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا[٤] كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ ٱلْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ ٱلْعَوَاصِفُ : لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ[٥] وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ ، ٱلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ لَهُ ، وَٱلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُ ،

---

(١) يصف حاله في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام الأحداث ، أي : أنه قام بانكار المنكر حين فشل القوم ، أي : حين جبنهم وخورهم ، والتقبّع : الاختباء ، والتطلع : ضده ، ويقال : امرأة طلعة قبعة : تطلع ثم تقبع رأسها ، أي تدخله كما يقبع القنفذ ، أي : يدخل رأسه في جلده وقبيع الرجل : أدخل رأسه في قميصه . أي : أنه ظهر في إعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبىء القوم من الرهبة ، ويقال : « تقبع فلان في كلامه » إذا تردد من عي و حصر، فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه، والقوم يترددون ولا يبنون .

(٢) كناية عن ثبات الجأش ، فان رفع الصوت عند المخاوف إنما هو من الجزع ، وقد يكون كناية عن التواضع أيضاً .

(٣) الفوت : السبق .

(٤) هذا الضمير وسابقه يعودان إلى الفضيلة المعلومة من الكلام : فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو يمثل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة ، والعنان للفرس معروف ، وطار به : سبق به . والرهان : الجعل الذي وقع التراهن عليه .

(٥) الهمز والغمز : الوقيعة ، أي : لم يكن في عيب أعاب به وهذا هو الفصل الثاني ، يذكر حاله بعد البيعة ، أي أنه قام بالخلافة كالجبل الخ . وقوله الذليل عندي ـ الخ » أي : إنني أنصر الذليل فيعز بنصري ، حتى إذا أخذ حقه رجع إلى ما كان عليه قبل الانتصار بي . ومثل ذلك يقال فيما بعده .

رَضِينَا عَنِ ٱللَّهِ قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا للهِ أَمْرَهُ(١) ، أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَٱللَّهِ لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ . فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا ٱلْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي(٢) .

٣٨ ومن خطبة له عليه السلام

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ ٱلْحَقَّ : فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ ٱللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ ٱلْهُدَى(٣) وَأَمَّا أَعْدَاءُ ٱللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلاَلُ ، وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى ، فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلاَ يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ .

٣٩ ومن خطبة له عليه السلام

مُنِيتُ بِمَنْ لاَ يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ(٤) وَلاَ يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لاَ أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلاَ حَمِيَّةٌ

---

(١) قوله « رضينا ـ الخ » كلام قاله عندما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به من أنباء الغيب .

(٢) قوله « فنظرت الخ » هذه الجملة قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ . بين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه ، فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فبايعهم امتثالاً لما أمره النبي به من الرفق ، وإيفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك .

(٣) سمت الهدى : طريقته ، وقوله « فما ينجو من الموت الخ » ليس ملتئماً مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر ضمه إلى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة .

(٤) منيت : بليت .

تُحْمِشُكُمْ(١) أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً ، فَلاَ تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلاَ تُطِيعُونَ لِي أَمْراً ، حَتَّى تَكَشَّفَ ٱلأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ ٱلْمَسَاءَةِ(٢) فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ ٱلْجَمَلِ ٱلأَسَرِّ ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ ٱلنِّضْوِ ٱلأَدْبَرِ(٣) ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾(٤) .

قال الشريف : أقول : قولُه عليه السّلامُ : « متذائب » أي : مُضْطَرب ، من قولهم تذاءبتِ الريحُ ، أي : اضطربَ هبوبُها . ومنه يسمى الذئبُ ذئباً ؛ لاضطرابِ مِشيته .

٤٠

ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا لله » ، قال عليه السلام

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا ٱلْبَاطِلُ !! نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ ، وَلَكِنْ

---

(١) حمشه ـ كنصره ـ جمعه وحمش القوم : ساقهم بغضب . أو من أحمشه : بمعنى أغضبه ، أي : تغضبكم على أعدائكم ، والمستصرخ : المستنصر ، و« متغوثا » أي قائلاً « واغوثاه » .

(٢) تكشف : مضارع حذف تاءه ، والأصل تتكشف ، . أي أنكم لا تزالون تخالفونني وتخذلونني حتى تنجلي الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوءنا ولا تسرنا .

(٣) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته ، والأسر : المصاب بداء السرر ، وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة . والنضو : المهزول من الابل والأدبر : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدبرة ـ بالتحريك ـ وهي العقر والجرح من القتب ونحوه .

(٤) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين في غارة النعمان بن بشير الانصاري على عين التمر من أعمال أمير المؤمنين ، وعليها إذ ذاك من قبله مالك بن كعب الأرحبي .

هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَا إِمْرَةَ إِلَّا للَّهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ[١] يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ ٱلْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا ٱلْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ ٱللَّهُ فِيهَا ٱلْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ ٱلْفَيْءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ ٱلْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ ٱلسُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ .

وفي روايةٍ أُخرى أنه عليه السَّلامُ لما سمعَ تحكيمَهم قال : حُكْمَ ٱللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ .

وقال : ـ أَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا ٱلتَّقِيُّ ، وَأَمَّا ٱلْإِمْرَةُ ٱلْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا ٱلشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ .

٤١ ومن خطبة له عليه السلام

إِنَّ ٱلْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ[٢] وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ . وَلَا يَغْدِرُ

---

(١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا إمرة إلا لله بأن البداهة قاضية أن الناس لا بد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم ، وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لاحراز دينه ودنياه ، وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة، وتجري سائر المصالح المذكورة . ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار ، وبالكافر الأمير الفاجر ، كما تدل عليه الرواية الأخرى . وقوله « أما الإمرة البرة الخ » .

(٢) التوأم : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد ، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود ولا في المنزلة : والجنة ـ بالضم ـ الوقاية ومن علم أن مرجعه إلى الله ، وهو سريع الحساب ، لا يمكن أن يعدل عن الوفاء إلى الغدر .

مِنْ عَلِمَ كَيْفَ ٱلْمَـرْجِعُ . وَلَقَـدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَـانٍ قَدِ ٱتَّخَـذَ أَكْثَـرُ أَهْلِهِ ٱلْغَدْرَ كَيْساً(١) وَنَسَبَهُمْ أَهْـلُ ٱلْجَهْلِ فِيـهِ إِلَى حُسْنِ ٱلْحِيلَةِ ، مَـا لَهُمْ ؟ قَاتَلَهُمُ ٱللهُ ! قَـدْ يَرَى ٱلْحُـوَّلُ ٱلْقُلَّبُ وَجْهَ ٱلْحِيلَةِ وَدُونَـهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ وَنَهْيِهِ فَيَـدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْـدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَـا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي ٱلدِّينِ(٢) .

٤٢ ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَـا ٱلنَّـاسُ ، إِنَّ أَخْـوَفَ مَـا أَخَـافُ عَلَيْكُمُ ٱثْنَـانِ : ٱتِّبَـاعُ ٱلْهَوَى ، وَطُولُ ٱلْأَمَـلِ(٣) ، فَأَمَّـا ٱتِّبَاعُ ٱلْهَـوَى فَيَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ ٱلْأَمَلِ فَيُنْسِي ٱلْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَـدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ(٤)

---

(١) الكيس ـ بالفتح ـ العقل ، وأهل ذلك الزمان يعدون الغـدر من العقل وحسن الحيلة ، كأنهم أهل السياسة من بني زماننا ، وأمير المؤمنين يعجب من زعمهم ، ويقول : ما لهم قـاتلهم الله يـزعمـون ذلـك مـع أن الحـول والقلب ـ بضم الأول وتشـديـد الثـاني من اللفظين ، أي : البصير بتحويل الأمور وتقليبها ـ قد يرى وجـه الحيلة في بلوغ مراده ، لكنه يجد دون الأخذ به مانعاً من أمر الله ونهيه ، فيـدع الحيلة وهو قـادر عليها ، خـوفاً من الله ، ووقوفاً عند حدوده .

(٢) الحريجة : التحرج ، أي : التحرر من الآثام .

(٣) طـول الأمل : هـو استفساح الأجـل ، والتسويف بـالعمل ، طلباً للراحـة العـاجلة ، وتسلية للنفس بامكان التدارك في الأوقـات المقبلة ، وهذا من أقبـح الصفات ، أمـا قوة الأمـل في نجاح الأعـمال الصالحـة ، ثقة بـالله ويقيناً بعـونه ، فهي حيـاة كل فضيلة ، وسائقة لكل مجد ، والمحرومون منها آيسون من رحمـة الله ، تحسبهم أحياء وهم أمـوات لا يشعرون .

(٤) الحذاء ـ بالتشديد ـ الماضية السريعة .

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صَبَابَةٌ[١] كَصَبَابَةِ ٱلْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا ، أَلَا وَإِنَّ ٱلآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ ، وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ .

قال الشريف : أقول : الحذاء . السريعة ، ومن الناس من يرويه جذاء[٢] .

٤٣ ومن كلام له عليه السلام

وقد أشارَ على أصحابهِ بالاستعدادِ للحربِ بعد إرساله جريراً بن عبدالله البجلي إلى معاوية :

إِنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلاَّ مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً . وَٱلرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ ٱلْأَنَاةِ ، فَأَرْوِدُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ ٱلْإِعْدَادَ[٣] وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا ٱلْأَمْرِ

---

(١) الصبابة ـ بالضم ـ البقية من الماء واللبن في الاناء . و« اصطبها صابها » كقولك : أبقاها مبقيها ، وأتركها تاركها .

(٢) جذاء ـ بالجيم ـ أي : مقطوع خيرها ودرها .

(٣) يقول أمير المؤمنين إنه أرسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام في البيعة له ، والدخول في طاعته ، ولم ينقطع الأمل منهم ، فاستعداده للحرب ، وجمعه الجيوش ، وسوقها إلى أرضهم ؛ إغلاق لأبواب السلم على أهل الشام ، وصرف لهم عن الخير إن كانوا =

وَعَيْنَهُ(١) ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا ٱلْقِتَالَ أَوِ ٱلْكُفْرَ . إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ إِحْدَاثاً ، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالاً ، فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا(٢) .

٤٤ ومن كلام له عليه السلام

لما هرب مصقلةُ بن هُبَيْرَةَ الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع سَبْيَ بني ناجية من عاملِ أمير المؤمنين عليه السلامُ وأَعتقهم(٣)

= يريدونه ، فالرأي الأناة ، أي : التأني ، ولكنه لا يكره الاعداد ، أي : أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج إليه في الحرب من سلاح ونحوه ، ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعي إليها لم يبطىء في الاجابة ، ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها . وقوله « أرودوا » أي : سيروا برفق .

(١) مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر ، وإنما خص الأنف والعين لأنها أظهر شيء في صورة الوجه ، وهما مستلفت النظر . والمراد من الكفر بكلامه الفسق ، لأن ترك القتال تهاون بالنهي عن المنكر ، وهو فسق لا كفر .

(٢) يريد من الوالي الخليفة الذي كان قبله ، وتلك الأحداث معروفة في التاريخ ، وهي التي أدت بالقوم إلى التألب على قتله ، ويروى : « قال » بالقاف بدل « وال » ؛ ولا أظنها إلا تحريفاً ، وإن كنت أتيت على تفسيرها في الطبعة الأولى .

(٣) كان الخريت بن راشد الناجي ـ أحد بني ناجية ـ مع أمير المؤمنين في صفين ، ثم نقض عهده بعد صفين ، ونقم عليه في التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، ويدعوهم للخلاف ، فبعث إليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي ، لقتاله هو ومن انضم إليه ، فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس ؛ وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدت عليه ، فقتل وقتل معه كثير من قومه ، وسبي من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان ؛ فكانوا خمسمائة أسير . ولما رجع معقل بالسبي مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان عاملاً لعلي على أردشير ، خرج فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم ، فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ، ثم=

فلما طالَبه بالمال خاسَ به وهرب الى الشام[١] : -

قَبَّحَ ٱللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ ٱلسَّادَاتِ ، وَفَرَّ فِرَارَ ٱلْعَبِيدِ ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ[٢] وَٱنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ[٣] .

٤٥ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ للَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ٱلَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ . وَٱلدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا ٱلْفَنَاءُ[٤] ، وَلأَهْلِهَا مِنْهَا ٱلْجَلاَءُ ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[٥]، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ[٦] وَٱلْتَبَسَتْ بِقَلْبِ ٱلنَّاظِرِ ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ ٱلزَّادِ[٧] ، وَلاَ تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ ٱلْكَفَافِ[٨] وَلاَ

= امتنع من أداء المبلغ . ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل .

(١) خاس به : خان .

(٢) ميسوره : ما تيسر له .

(٣) وفوره : زيادته .

(٤) منى لها الفناء ـ ببناء الفعل للمجهول ـ أي : قدر لها ، والجلاء : الخروج من الأوطان .

(٥) تمثيل لها بما يألفه الذوق ، ويروق النظر .

(٦) عجلت للطالب : أسرعت والتبست بقلب الناظر : اختلطت به محبة وعلقة .

(٧) أحسن ما بحضرتكم ، أي : أفضل الأشياء الحاضرة عندكم ؛ وذلك فاضل الأخلاق ، وصالح الأعمال .

(٨) الكفاف : ما يكفيك ـ أي : يمنعك ـ عن سؤال غيرك ، وهو مقدار القوت .

تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْبَلَاغِ (١) .

٤٦ ومن كلام له عليه السلام

عندَ عزمِه على ٱلمسير إلى الشام(٢)

أَللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ ٱلسَّفَرِ(٣) ، وَكَآبَةِ ٱلْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ ٱلْمَنْظَرِ فِي ٱلأَهْلِ وَٱلْمَالِ . أَللهُمَّ أَنْتَ ٱلصَّاحِبُ فِي ٱلسَّفَرِ ، وَأَنْتَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ٱلأَهْلِ وَلاَ يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لأَنَّ ٱلْمُسْتَخْلَفَ لاَ يَكُونُ مُسْتَصْحَباً ، وَٱلْمُسْتَصْحَبَ لاَ يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً .

٤٧ ومن كلام له عليه السلام

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ ٱلأَدِيمِ ٱلْعُكَاظِيِّ(٤) تُعْرَكِينَ

---

(١) البلاغ : ما يتبلغ به ، أي : يقتات به .

(٢) وذلك بعد حرب الجمل حيث اختلف عليه معاوية بن أبي سفيان ، ولم يدخل في بيعته ، وقام للمطالبة بدم عثمان ، واستهوى أهل الشام ، واستنصرهم لرأيه فعززوه على الخلاف ، وسار إليه أمير المؤمنين ، والتقيا بصفين ، واقتتلا مدة غير قصيرة ، وانتهى القتال بتحكيم عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري .

(٣) الوعثاء : المشقة ، والكآبة : الحزن . والمنقلب : مصدر بمعنى الرجوع ، وأول الكلام مروي عن رسول الله ﷺ في الكتب الصحيحة ، وأتمه أمير المؤمنين بقوله : « ولا يجمعهما غيرك ـ الخ » . وذات الله تستوي عندها الأمكنة كما تستوي الأزمنة : فالحضر والسفر عندها سواء ، وليس هذا الشأن لغير الذات الأقدس .

(٤) العكاظي : نسبة إلى عكاظ ـ كغراب ـ وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخلة والطائف ، يجتمعون اليه من بداية شهر ذي القعدة ليتعاكظوا ـ أي : =

بِالنَّوَازِلِ ، وَتُرْكَبِينَ بِالـزَّلَازِلِ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَـا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ٱبْتَلَاهُ ٱللَّهُ بِشَاغِلٍ ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ .

٤٨ ومن خطبة له عليه السلام

عند المسير الى الشام

ٱلْحَمْدُ لله كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ(١) ، وَٱلْحَمْدُ لله كُلَّمَـا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ(٢) ، وَٱلْحَمْـدُ لله غَيْرَ مَفْقُـودِ ٱلْإِنْعَامِ وَلَا مُكَـافِىءِ ٱلْإِفْضَالِ .

أَمَّـا بَعْـدُ ، فَقَـدْ بَعَثْتُ مُقَـدِّمَتِي(٣) وَأَمَـرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰـذَا ٱلْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ ٱلنُّطْفَـةَ إِلَى

= يتفاخروا ـ كل بما لديه من فضيلة وأدب ، ويستمر إلى عشرين يوماً ، وليتبايعوا أيضاً ، وأكثر ما كـان يبـاع الأديم بتلك السوق فنسب إليها ، والأديم : الجلد المدبوغ ، وجمعه أدم ـ بفتحتين ، وضمتين ـ ، وأدمة ـ كأرغفة ـ وقوله « تمدين ـ الخ » : تصوير لما ينالها من العسف والخبط ، و« تعركين » : من « عركتهم الحرب » إذا مارستهم ، والنوازل : الشدائد ، والزلازل : المزعجات من الخطوب .

(١) وقب : دخل ، وغسق : اشتدت ظلمته .

(٢) خفق النجم : غاب ، ولاح : ظهر .

(٣) أراد بمقدمته صدر جيشه ومقدمة الإنسان ـ بفتح الدال ـ صدره ، والملطاط : حافة الوادي وشفيره وساحل البحر ، والسمت أي : الطريق ، وقول الشريف « يعني بالملطاط السمت» تبيين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه ، لا تفسيراً للفظ في نفسه ، وقوله « وهو شاطىء الفرات » : بيان للسمت : أي : الطريق ، وقوله :=

شِـرْذِمَـةٍ مِنْكُمْ مُـوطِّنِينَ أَكْنَـافَ دَجْلَةَ(١) فَـأُنْهِضَهُمْ مَعَكُـمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ ٱلْقُوَّةِ لَكُمْ(٢) .

قال الشريف : أقولُ : يعني عليه السلامُ بالمِلْطاط السَّمتَ الذي أمرَهم بنزوله وهو شاطئُ الفرات ، ويقال ذلك لشاطئِ البحر ، وأصلُه ما آستوى من الأرض . ويعني بالنُّطفَةِ ماءَ الفرات . وهو من غريبِ العبارات وأعجبِها .

٤٩ ومن كلام له عليه السلام

أَلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ ٱلْأُمُورِ(٣) ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ ٱلظُّهُورِ ، وَٱمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ ٱلْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ :(٤) سَبَقَ فِي ٱلْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ .

= « ويقال ذلك » أي : لفظ الملطاط ، تفسير للفظ الملطاط في استعمال اللغويين ، فاندفع بهذا ما أورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى .

(١) الشرذمة : النفر القليلون ، والأكناف : الجوانب و« موطنين الأكناف » أي : جعلوها وطناً ، يقال : أوطنت البقعة .

(٢) الأمداد : جمع مدد ، وهو ما يمد به الجيش لتقويته ، وهذه الخطبة نطق بها أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين .

(٣) بطن الخفيات : علمها والأعلام : جمع علم ـ بالتحريك ـ وهو ما يهتدى به ، ثم سّم المنار في كل ما دل على شيء وأعلام الظهور : الأدلة الظاهرة التي بظهورها تظهر غيرها .

(٤) كان الأليق بعد قوله « وامتنع على عين البصيرة » يفسره ما جاء في رواية أخرى ، وهو « فلا قلب من لم يره ينكره ولا عين من أثبته تبصره » وما جاء في الكتاب معناه أن من لم يره لا ينكره اعتماداً على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه ، ومن أثبته لا يستطيع اكتناه حقيقته .

وَقَـرُبَ فِي ٱلدُّنُـوِّ فَلاَ شَيْءَ أَقْـرَبُ مِنْهُ(١) فَـلاَ ٱسْتِعْلاَؤُهُ بَـاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِـهِ ، وَلاَ قُرْبُـهُ سَـاوَاهُمْ فِي ٱلْمَكَـانِ بِـهِ : لَمْ يُـطْلِعِ ٱلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِـهِ ، فَهُوَ ٱلَّـذِي تَشْهَدُ لَـهُ أَعْلاَمُ ٱلْـوُجُودِ ، عَلَى إِقْـرَارِ قَلْبِ ذِي ٱلْجُحُودِ(٢) تَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يَقُولُ ٱلْمُشَبِّهُونَ بِهِ ، وَٱلْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيراً .

٥٠ ومن كلام له عليه السلام

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَـعُ ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَـدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً(٣) عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ، فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلُصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَـادِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلُصَ مِنَ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ لاَنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَـانِدِينَ(٤) وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ(٥) فَيُمْزَجَانِ ! فَهُنَالِكَ

---

(١) عـلا كل شيء بـذاته وكـماله وجـلاله . وقـرب من كل شيء بعلمـه وإرادتـه وإحـاطتـه وعنايته ، فلا شيء إلا وهو منه ، فأي شيء يبعد عنه ؟

(٢) إن قلب الجاحد إن أنكره فما إنكاره إلا افتعال مما عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته وظهور أعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد ، فلا مناص له من الإقرار في الواقع ، وإن ظهر الجحود في كلامه وبعض أعماله .

(٣) يستعين عليها رجال برجال .

(٤) المرتادين : الطالبين للحقيقة ، أي : لو كان الحق خالصاً من ممازجة الباطـل ومشابهتـه لكان ظاهراً لا يخفى على من طلبه .

(٥) الضغث ـ بالكسر ـ قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب بـاليابس ، يـريد أنـه إن أخذ الحق من وجه لم يعدم شبيهاً له من البـاطل يلتبس بـه ، وإن نظر إلى البـاطل لاح كـان =

يَسْتَوْلِي ٱلشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْحُسْنَى .

٥١ ومن خطبة له عليه السلام

لما غلبَ أصحابُ معاويةَ أصحابَه عليه السلامُ على شريعةِ[1] الفراتِ بصفّين ومنعوهُمْ من الماء

قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ القِتَالَ[2] فَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ؛ أَوْ رَوُّوا ٱلسُّيُوفَ مِنَ ٱلدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ ٱلْمَاءِ ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَٱلْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ ٱلْغُوَاةِ[3] ، وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَرَ[4] حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ ٱلْمَنِيَّةِ .

= عليه صورة الحق فاشتبه به ، فذلك ضغث الحق ، وهذا ضغث الباطل ومصادر الأهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن إنما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل .

(١) الشريعة : مورد الشاربة من النهر .

(٢) طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال « فلان يستطعمني الحديث » أي : يستدعيه مني . وقوله « فأقروا الخ » أي : إما تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة ، وإما أن ترووا سيوفكم الخ .

(٣) اللمة ـ بضم اللام وتشديد الميم ـ الأصحاب في السفر ، وبتخفيفها : الجملة القليلة مطلقاً ، أو من الثلاثة إلى العشرة . والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية ، ومن الثاني على الحقيقة الصريحة ، وفي الأول الاشارة إلى أنهم ليسوا بأهل حرب .

(٤) عمس الكتاب والخبر ـ كنصر ـ أخفاه و« عمست عليه » أي : أريته أنك لا تعرف الأمر وأنت به عارف ، والأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف .

٥٢ ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ(١) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا(٢) وَتَحْدُرُ بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ(٣) أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً(٤) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ ٱلْإِدَاوَةِ(٥) أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ ٱلْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا ٱلصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ(٦) فَأَزْمِعُوا عِبَادَ ٱللهِ ٱلرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ ٱلدَّارِ ٱلْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا ٱلزَّوَالُ(٧) وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ

---

(١) حذاء: مسرعة، ورحم حذاء: مقطوعة غير موصولة، وفي رواية «جذاء» - بالجيم - أي: مقطوعة الدر والخير.

(٢) تحفزهم: تدفعهم وتسوقهم، حفزه يحفزه: دفعه من خلفه أو هو بمعنى تطعنهم من «حفزه بالرمح» إذا طعنه.

(٣) تحدر - بالراء، من باب نصر وضرب - أي: تحوطهم بالموت، وفي رواية - وهي الصحيحة - «تحدو» بالواو بعد الدال، أي: تسوقهم بالموت إلى الهلاك، فكون الفقرة في معنى سابقتها مؤكدة لها.

(٤) أمر الشيء: صار مراً، وكدر كدراً - كفرح فرحاً - وكدر - بالضم كظرف - كدورة: تعكر: وتغير لونه، واختلط بما لا يستساغ هو معه.

(٥) السملة - محركة بقية الماء في الحوض، والإداوة: المطهرة، وهي إناء الماء الذي يتطهر به، والمقلة - بالفتح - حصاة يضعها المسافرون في إناء، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها، فيتناول كل منهم مقدار ما غمره، لا يزيد أحدهم عن الآخر في نصيبه: يفعلون ذلك إذا قل الماء، وأرادوا قسمته بالسوية.

(٦) التمزز: الامتصاص قليلاً قليلاً، والصديان العطشان، وقوله «لم ينفع» أي: لم يرو.

(٧) فأزمعوا الرحيل: أي أعزموا عليه، يقال: أزمع الأمر، ولا يقال أزمع عليه، وجوزه الفراء بمعنى عزم عليه وأجمع، والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له.

فِيهَا ٱلْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ ٱلْأَمَدُ ، فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُم حَنِينَ ٱلْوُلْهِ ٱلْعِجَالِ (١) وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ (٢) وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ ٱلرُّهْبَانِ(٣) وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ، ٱلْتِمَاسَ ٱلْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ(٤) ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ . وَٱللهِ لَوِ ٱنْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ ٱنْمِيَاثاً(٥) وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ـ مَا ٱلدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ـ(٦) مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُم ، وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جَهْدِكُمْ ، أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمْ ٱلْعِظَامُ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ(٧) .

٥٣

ومن كلام له عليه السلام

في ذكر يوم النحر

وَمِنْ كَمَالِ ٱلْأُضْحِيَةِ ٱسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا(٨) وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا

---

(١) كل أُنثى فقدت ولدها فهي واله وواهة ، والعُجُول من الإبل : التي فقدت ولدها .

(٢) هديل الحمام : صوته في بكائه لفقد إلفه .

(٣) جأرتم : رفعتم أصواتكم ، والجؤار : الصوت المرتفع ، أي : تضرعتم إلى الله بأرفع أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل ، والمتبتل : المنقطع للعبادة .

(٤) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد .

(٥) انماثت : ذابت .

(٦) « ما الدنيا باقية » أي : مدة بقائها .

(٧) قوله « ما جزت » جواب « لو انماثت » وقوله « ولو لم تبقوا شيئاً ـ الخ » اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي والجواب ، وقوله « وهداه اياكم » عطف على أنعمه : من عطف الخاص على العام ؛ فان الهداية إلى الإيمان من أكبر النعم .

(٨) الأضحية : الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى =

سَلِمَتِ ٱلْأُذُنُ وَٱلْعَيْنُ سَلِمَتِ ٱلْأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ ٱلْقَرْنِ(١) تجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى ٱلْمَنْسَكِ(٢) .

قال الشريف الرّضي : وٱلمَنْسَكُ هنا المَذْبَحُ .

٥٤ ومن خطبة له عليه السلام

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ ٱلْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا(٣) قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا(٤) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ ، بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ ٱلْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٥) فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ ٱلْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ

= واستشراف الأذن ؛ تفقدها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة . وفي الحديث : « أمرنا أن نستشرف العين والأذن » ، أي : نتفقدها . وذلك من كمال الأضحية ، أي : من كمال عملها وتأدية سنتها . وتكون سلامة عينها عطفاً على أذنها . وقد يراد من استشراف الأذن طولها وانتصابها يقال : « أُذن شرفاء » أي : منتصبة طويلة ، فسلامة عينها عطف على استشراف . والتفسير الأول أمس بقوله « فاذا سلمت الأذن » .

(١) عضباء القرن : مكسورته .

(٢) « تجر رجلها إلى المنسك » أي : عرجاء . والمنسك ، المذبح : وفى صفات الأضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من كتب الفقه .

(٣) تداكوا : تزاحموا عليه ليبايعوه رغبة فيه ، والهيم : العطاش ، ويوم وردها : يوم شربها .

(٤) جمع المثناة ـ بفتح الميم وكسرها ـ حبل من صوف أو شعر يعقل به البعير .

(٥) قتال البغاة من الواجب على الامام ؛ فان لم يقاتلهم ـ على قدرة منه ـ كان منابذاً لأمر الله في ترك ما أوجبه عليه ؛ فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله ﷺ .

ٱلْعِقَابِ ، وَمَوْتَاتُ ٱلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ ٱلْآخِرَةِ .

٥٥ ومن كلام له عليه السلام

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلَّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ ٱلْمَوْتِ ؟! فَوَٱللّٰهِ مَا أُبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى ٱلْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ ٱلْمَوْتُ إِلَيَّ(١) . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ ٱلشَّامِ ! فَوَٱللّٰهِ مَا دَفَعْتُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي ، وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي ، وَذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا .

٥٦ ومن كلام له عليه السلام

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَـ

---

(١) روي أن أمير المؤمنين بعد ما ملك الماء على أصحاب معاوية ساهمهم فيه ؛ رجاء أن يعطفوا إليه ، ولزوماً للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه منه شيء ، واستبطأ الناس إذنه في قتال أهل الشام واختلفوا في سبب التريث ، فقال بعضهم : كراهة الموت ، وذهب بعضهم إلى الشك في جواز قتال أهل الشام ؛ فأجابهم : أما الموت فلم يكن ليبالي به وأما الشك فلا موضع له ، وإنما يرجو بدفع الحرب أن ينحازوا إليه بلا قتال ، فان ذلك أحب إليه من القتال على الضلال ، وإن كان الاثم عليهم ، وتبوء بآثامها : ترجع بها ، وتعشو إلى ضوئه : تستدل عليه ـ وان كان ببصر ضعيف ـ في ظلام الفتن فتهتدي اليه . عشا إلى النار وعشاها ـ من باب نصر ـ عشوا ـ بفتح فسكون كقول ـ وعشو ـ بضمتين مثل سمو ـ أي أبصرها ليلاً ببصر ضعيف فقصدها مستضيئاً راجياً الهدى أو القرى .

وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا : مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ(١) وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا(٢) أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ : فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ(٣) وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ(٤) ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَايْمُ اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً(٥) وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً .

٥٧ ومن كلام له عليه السلام

لأصحابه

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ، مُنْدَحِقُ

---

(١) اللقم ـ بالتحريك وبوزن صرد أيضاً ـ : معظم الطريق أو جادته ، ويقال عليك بلقم الطريق فالزمه ، ويقال أيضاً : لقم الطريق ـ من باب نصر ـ إذا سد فمه . ومضض الألم : لذعته وبرحاؤه .

(٢) يتخالسان : كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر ، والتصاول : أن يحمل كل قرن على قرنه .

(٣) الكبت : الذل والخذلان ، وفعله من باب الضرب .

(٤) جران البعير ـ بالكسر ـ مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره وجمعه جرن ـ بوزن كتب ـ وأجرنة ـ بوزن أغربه ـ وإلقاء الجران : كناية عن التمكن .

(٥) الاحتلاب : استخراج ما في الضرع من اللبن ، والضمير المنصوب يعود إلى أعمالهم =

ٱلْبَطْنِ[1] يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ؛ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ[2] أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُـرُكُمْ بِسَبِّي وَٱلْبَرَاءَةِ مِنِّي : أَمَّـا ٱلسَّبُّ فَسُبُّونِي ؛ فَـإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ ؛ وَأَمَّا ٱلْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي ؛ فَـإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى ٱلْإِيمَانِ وَٱلْهِجْرَةِ[3] .

٥٨ ومن كلام له عليه السلام

كلَّم به الخوارج[4]

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ[5] ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ . أَبَعْدَ إِيمَـانِي بِاللهِ

= المفهومة من قوله « ما أتيتم » واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سـوء العاقبـة من أعمالهم ، وسيتبعون تلك الأعمال بالندم عندما تصيبهم دائرة السوء أو تحلّ قريباً من دارهم .

(١) مندحق البطن : عظيم البطن بارزه ، كأنـه لعظمـه مندلق من بـدنه يكـاد يبين عنـه ، وأصل « اندحق » بمعنى اندلق ، وفي الرحم خاصة . والدحوق ـ من النوق ـ التي يخرج رحمها عند الـولادة ، ورحب البلعـوم : واسعـه ، يقـال : عنى بـه زيـاداً ، وبعضهم يقول : عنى المغيرة بن شعبة ، والبعض يقول : معاوية .

(٢) أمرهم أولاً بقتله ؛ لأنه يستحق ذلك ، ثم أخبر أنهم ليسوا بقاتليه ، وأنهم سيخالفـون هذا الأمر .

(٣) قـد تسب شخصاً وأنت مكـره ، ولحبه مستبـطن ، فتنجـو من شر من أكـرهـك ، ومـا أكرهك على سبه إلا مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب . أما البراءة من شخص فهي : الانسـلاخ من مذهبـه ويقـال : بـرىء من فـلان ـ من بـاب علم ـ براءة ، أي : تخلص منه .

(٤) زعم الخوارج خطأ الامام في التحكيم وغلوا فشرطوا في العودة إلى طاعته أن يعترف بأنه كان قد كفر ثم آمن ، فخاطبهم بكلام منه هذا الكلام .

(٥) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء ، وقيل : وهـو ما تنـاثر من دقـاق الثلج =

وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ ٱللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ ، وَٱرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ ٱلْأَعْقَابِ ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاًّ شَامِلاً وَسَيْفاً قَاطِعاً وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا ٱلظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً(١) .

قال الشريف : قولهُ عليهِ السَّلامُ « ولا بقيَ منكم آبِرٌ » يروى بالباء والراء من قولِهم للذي يـأبرُ النخلَ ـ أي : يُصلحه ـ ويروى « آثر » وهو الذي يأثر الحديثَ ، أي : يَرْويه ويَحْكيه ، وهو أصحُّ الوجوهِ عندي ، كأنَّهُ عليه السلام قال : لا بقيَ منكمْ مُخبِّر . ويروي « آبز » ـ بالزاي المعجمة ـ وهو الواثب . والهالك أيضاً يقال له آبز .

٥٩ وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له : إنهم قد عبروا جسر النهروان :

مَصَارِعُهُمْ دُونَ ٱلنُّطْفَةِ ، وَٱللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ(٢) وَلَا

= والبرد ، وفي التنزيل ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ والجملة دعاء عليهم بالهلاك .

(١) « أوبوا شر مآب » انقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم ، وارتدوا على أعقابكم بفساد هواكم ، فلن يضرني ذلك شيئاً وأنا على بصيرة في أمري . ثم أنذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب والأثرة والاستبداد فيهم ، والاختصاص بفوائد الملك دونهم ، وحرمانهم من كل حق لهم ، وتقول : استأثر بالشيء على غيره ، إذا استبد به ، وخص به نفسه ، والاسم منه الأثَرة ـ بفتحات .

(٢) انه ما نجا منهم إلا تسعة تفرقوا في البلاد ، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا ثمانية .

يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ .

قال الشريف : يعني بالنطفةِ ماءَ النهر ، وهو أفصحُ ، كناية عن الماء وإن كانَ كثيراً جمّاً .

ولما قُتِلَ الخوارجُ قيل له : يا أميرَ المؤمنين ، هلكَ القومُ بأجمعِهم !

قال عليه السلام :

كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ ، وَقَرَارَاتِ ٱلنِّسَاءِ[1] كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ .

وقال عليه السلام :

لَا تَقْتُلُوا ٱلْخَوَارِجَ بَعْدِي ، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ ٱلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعني معاوية وأصحابه[2]) .

---

(١) « قرارات النساء » كناية عن الأرحام ، و« كلما نجم منهم قرن » أي : كلما ظهر وطلع منهم رئيس قتل ، حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين لا يقومون بملك ، ولا ينتصرون إلى مذهب ، ولا يدعون إلى عقيدة ، شأن الأشرار الصعاليك الجهلة ، ويقال : نجم القرن ـ مثل نصر ـ إذا نبت .

(٢) الخوارج من بعده ـ وإن كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه ، إلا أن ضلتهم لشبهة تمكنت من نفوسهم : فاعتقدوا الخروج عن طاعة الامام مما يوجبه الدين عليهم ، فقد طلبوا حقاً وأرادوا تقريره شرعاً فأخطأوا الصواب فيه ـ لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غلب على الإمرة بغير حق ، وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلاً فأدركوها وليسوا من أهلها ، فالخوارج على ما بهم أحسن حالاً منهم .

٦٠

ومن كلام له عليه السلام

لما خوِّف من الغيلة(١)

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ ٱللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً(٢) فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي ٱنْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي ، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ ٱلسَّهْمُ ، وَلَا يَبْرَأُ ٱلْكَلْمُ(٣) .

٦١

ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا(٤) وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا(٥) : ٱبْتُلِيَ ٱلنَّاسُ فِيهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ(٦) وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ،

---

(١) الغيلة : القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل .

(٢) الجنة ـ بالضم ـ الوقاية ، والملجأ والحصن .

(٣) طاش السهم عن الهدف ـ من باب باع ـ أي : جاوره ولم يصبه . الكلم بالفتح فسكون ـ الجرح وجمعه كلوم وكلام ، مثل جرح وجروح وجراح .

(٤) أي : من أراد السلامة من محنتها فليهيىء وسائل النجاة وهو فيها ، إذ بعد الموت لا يمكن التدارك ، ولا ينفع الندم : فوسائل النجاة إما عمل صالح ، أو إقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح ، وكلاهما لا يكون إلا في دار التكاليف وهي دار الدنيا .

(٥) أي : لا نجاة بعمل يعمل للدنيا ؛ إذ كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة معه .

(٦) « ما أخذوه منها لها » كالمال يدخر للذة ، ويقتنى لقضاء الشهوة ، و « ما أخذوه لغيرها » كالمال ينفق في سبيل الخيرات ، يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم .

فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ كَفَيْءِ ٱلظِّلِّ[1] : بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ[2] ، وَزَائداً حَتَّى نَقَصَ .

٦٣ ومن خطبة له عليه السلام

وَٱتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ[3] ، وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ[4] وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ[5] ، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ[6] وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَٱنْتَبِهُوا[7] وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَٱسْتَبْدَلُوا . فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) إضافة « الفيء » إلى « الظل » إضافة الخاص للعام ؛ لأن الفيء لا يكون إلا بعد الزوال ، أما الظل فعام في كل وقت ، وقيل : الظل بالغداة ، والفيء بالعشيّ ، وقيل : كل موضع تكون فيه الشمس ثم تزول عنه فهو ظل .

(٢) سابغاً : ممتداً ساتراً للأرض ؛ وقلص : انقبض ، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج ، أي : إن غاية سبوغه الانقباض ، وغاية زيادته النقص .

(٣) « بادروا الآجال بالأعمال » أي : سابقوها وعاجلوها بها ، أي : استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم .

(٤) ابتاعوا : اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدي ، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية .

(٥) « الترحل » الانتقال ، والمراد منه هنا لازمه ، وهو : إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل ، والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس إلا زاد التقوى وقوله « فقد جد بكم » أي : فقد حثثتم وأزعجتم إلى الرحيل ، أو فقد أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون .

(٦) الاستعداد للموت : إعداد العدة له ، أو طلب العدة للقائه ، ولا عدة له إلا الأعمال الصالحة . وقوله « فقد أظلكم » أي : قرب منكم حتى كأن له ظلاً قد ألقاه عليكم .

(٧) أي : كونوا قوماً حذرين إذا استنامتهم الغفلة وقتاً ما ، ثم صاح بهم صائح الموعظة ؛ =

سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى(١) ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ ٱلْجَنَّةِ أَوِ ٱلنَّارِ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ(٢) وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا ٱللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا ٱلسَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ ٱلْمُدَّةِ(٣) وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ ٱلْجَدِيدَانِ : ـ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ـ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ(٤) وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ وَالشَّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ ٱلْعُدَّةِ ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا ، مِنَ الدُّنْيَا ،

= انتبهوا من نومهم ، وهبوا لمطلب نجاتهم وقوله « وعلموا ـ الخ » أي : عرفوا الدنيا ، وأنها ليست بدار بقاء وقرار ، فاستبدلوها بدار الآخرة ، وهي الدار التي ينتقل إليها .

(١) تعالى الله أن يفعل شيئاً عبثاً وقد خلق الإنسان ، وآتاه قوة العقل التي تصغر عندها كل لذة دنيوية ، ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما علت رتبته ، فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه في هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها ؛ فهذا الباعث الفطري لم يوجده الله تعالى عبثاً ، بل هو الدليل الوجداني المرشد إلى ما وراء هذه الحياة ، و« سدى » أي : مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم ويسوقكم إلى ما ينفعكم وأصل السدى ـ بضم السين ، وتفتح ـ الابل المهملة بلا راع ، ويقال بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ، ورعاتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم .

(٢) « أن ينزل به » في محل رفع بدل من الموت ، أي : ليس بين الواحد منا وبين الجنة إلا نزول الموت به ان كان قد أعد للجنة عدتها ، ولا بينه وبين النار إلا نزول الموت به إن كان قد عمل بعمل أهلها ، فما بعد هذه الحياة إلا الحياة الأخرى ، وهي إما شقاء وإما نعيم .

(٣) تلك الغاية هي الأجل . و« تنقصها » أي : تنقص أمد الانتهاء إليها ، وكل لحظة تمر فهي نقص في الأمد بيننا وبين الأجل ، والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد ، وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة .

(٤) ذلك الغائب هو الموت . ويحدوه : يسوقه ، والجديدان : الليل والنهار ؛ لأن الأجل المقسوم لك لو كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بكرورهما عليك يسوقان اليك ذلك المنتظر على رأس الألف ، وما أسرع مرهما ، والانتهاء إلى الغاية ، وما أسرع أوبة ذلك الغائب الذي يسوقانه إليك ـ أي : رجوعه ـ والموت هو ذلك القادم إما بفوز وإما بشقوة ، وعدته الأعمال الصالحة ، والملكات الفاضلة .

مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غداً(١) فَاتَّقى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصح نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ(٢) فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ : يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا(٣) إذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا(٤) فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً(٥) ، وَأَنْ تُؤَدِّيهِ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ، نَسْأَلُ آللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ(٦) وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ ، وَلَا تَحِلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ .

٦٣ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً(٧) فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ

---

(١) « ما تحرزون به انفسكم » أي : تحفظونها به ، وذلك هو تقوى الله في السر والنجوى ، وطاعة الشرع ، وعصيان الهوى .

(٢) قوله « فاتقى عبد ربه » وما بعده : أوامر بصيغة الماضي ، ويجوز أن يكون بياناً للتزود المأمور به في قوله « فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم » أو بياناً لما يحرزون به أنفسهم .

(٣) « يسوفها» أي : يؤجلها ، ويؤخرها .

(٤) قوله « أغفل ما يكون » حال من الضمير في « عليه » . والمنية : الموت أي : لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون في مستقبل العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه .

(٥) يكون عمره حجة عليه لأنه أوتي فيه المهلة ، ومكن فيه من العمل ، فلم ينشط له .

(٦) لا تبطره النعمة : لا تطغيه ، ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه .

(٧) مالله من وصف فهو كذاته يجب بوجوبها ، فكما ان ذاته ـ سبحانه ـ لا يدنو منها التغير والتبدل ، فكذلك اوصافه هي ثابتة له معاً : لا يسبق منها وصف وصفاً ، وإن كان مفهومها قد يشعر بالتعاقب ـ إذا اضيفت إلى غيره ـ فهو أول وآخر أزلا وأبدا ، أي : هو السابق بوجوده لكل موجود ، وهو بذلك السبق باق لا يزول . وكل وجود سواه =

أَنْ يَكُونَ آخِراً ، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً ، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ(١) ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الأَصْوَاتِ ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا(٢) وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ(٣) ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلاَ تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلاَ آسْتِعَانَةٍ عَلَى

= فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو ، في ظهوره بأداة وجوده ، باطن بكنهه : لا تدركه العقول ، ولا تحوم عليه الأوهام .

(١) الواحد : أقل العدد ، ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً لضعفه ، ساقطاً لقلة أنصاره ، أما الوحدة ـ في جانب الله ـ فهي علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال وتفردها بالعظمة والسلطان ، وفناء كل ذات سواها إذا اعتبرت منقطعة النسبة إليها ، فوصف غير الله بالوحدة تقليل ، والكمال في عالمه أن يكون كثيراً ، إلا الله : فوصفه بالوحدة تقديس وتنزيه . وبقية الأوصاف ظاهرة .

(٢) السامعون من الحيوان والإنسان : لقوى سمعهم حد محدود ، فما خفي من الأصوات لا يصل إليها ، فهي صماء عنه ، فيصم ـ بفتح الصاد ـ مضارع « صم » ـ من باب علم ـ إذ أصيب بالصم ، وفقد السمع ، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف الذي يستطاع احتماله يحدث فيها الصم بصدعه لها ، فيصم ـ بكسر الصاد ، وصم حرف المضارعة ـ مضارع « أصم » وما بعد من الأصوات عن السامع ـ بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت إليه ـ ذهب عن تلك القوى فلا تناله . كل ذلك في غيره سبحانه . أما هو ـ جل شأنه ـ فيستوي عنده الخفي والشديد ، والقريب والبعيد : لأن نسبة الأشياء إليه واحدة . ومثل ذلك يقال في البصر والبصراء .

(٣) الباطن هنا غيره فيما سبق ، أي : كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته ؛ أي : لا وجود له في نفسه ، فهو معدوم بحقيقته ، وكل باطن سواه فهو بهذا المعنى ، فلا يمكن أن يكون ظاهراً بذاته ، بل هو باطن أبداً .

نِدٍّ مُشَاوِرٍ(1) ، وَلاَ شَرِيكٍ مُكَابِرٍ ، وَلاَ ضِدٍّ مُنَافِرٍ ؛ وَلٰكِنْ خَلاَئِقُ مَرْبُوبُونَ ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ(2) ، لَمْ يَحْلُلْ فِي ٱلْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ(3) لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ٱبْتَدَأَ(4) وَلاَ تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ(5) ، وَلاَ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ(6) . بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ(7) . ٱلْمَأْمُولُ مَعَ ٱلنِّقَمِ ، وَٱلْمَرْهُوبُ مَعَ ٱلنِّعَمِ .

٦٤ ومن كلام له عليه السلام

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

مَعَاشِرَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، ٱسْتَشْعِرُوا ٱلْخَشْيَةَ(8) وَتَجَلْبَبُوا ٱلسَّكِينَةَ ،

---

(1) النـد ـ بكسر النون ـ النـظير ، والمثل ولا يكـون إلا مخالفاً ، وجمعه أنـداد ، مثل حمـل وأحمال ، ويقال : فلان ند فلان . والمثاور : المـواثب والمحارب . والشريـك المكاثـر : أي المفاخر بالكثرة ، هذا إذا قرىء بالثاء المثلثة . ويروى المكابر ـ بالباء الموحدة ـ أي المفاخر بالكبر والعظمة ، و« الضد المنافر » أي : المحاكي في الرفعة والحسب ، يقال : نافرته في الحسب فنفرته ، أي : غلبته وأثبت رفعتي عليه .

(2) مـربوبـون : أي مملوكون ، وداخـرون : أذلاء ، من قـولهم « دخـر » ـ من بـاب قـطع وعلم ـ دخراً ـ بالتحريك ـ ودخوراً ، أي ذل وصغر ، وفي التنـزيل ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي : مقهورين أذلاء .

(3) « لم ينأ عنها » أي : لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن ، أي : منفصل .

(4) « يؤده » أي : لم يثقله ، تقـول آده الأمـر يؤوده ، أودا ـ مثـل قـال يقـول قولاً ـ أي : أثقله ، وأتعبه ، وبلغ منه الجهد ، وفي التنزيل ﴿ ولا يؤوده حفظهما ﴾ .

(5) ذرأ ـ كقطع ـ أي : خلق .

(6) ولجت عليه : دخلت .

(7) أي محتوم ، وأصله من « أبرم الحبل » جعله طاقين ، ثم فتله . وبهذا أحكمه .

(8) استشعـر : لبس الشعار ، وهـو ما يـلي البدن من الثيـاب . وتجلبب : لبس الجلباب ،=

وَعَضُّوا عَلَى ٱلنَّوَاجِذِ(١) فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ ، وَأَكْمِلُوا ٱللَّأْمَةَ(٢) وَقَلْقِلُوا ٱلسُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا(٣) ، وَٱلْحَظُوا ٱلْخَزْرَ(٤) وَٱطْعَنُوا ٱلشَّزْرَ(٥) وَنَافِحُوا بِٱلظُّبَا(٦) ، وَصِلُوا ٱلسُّيُوفَ بِٱلْخُطَا(٧) . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ٱللهِ(٨) ، وَمَعَ ٱبْنِ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا ٱلْكَرَّ وَٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱلْفَرِّ(٩)

= وهو ما تغطي به المرأة ثيابها من فوق ؛ ولكون الخشية ـ أي : الخوف من الله ـ غاشية قلبية عبر في جانبها بالاستشعار ، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأنها عارضة تظهر في البدن ، كما لا يخفى .

(١) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو : أقصى الأضراس . ولكل إنسان أربعة نواجذ ، وهي بعد الأرحاء . ويسمى الناجذ ضرس العقل ؛ لأنه ينبت بعد البلوغ . وإذا عضضت على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة السيف ، فكان أنبى عنها ، وأبعد عن التأثير فيها ، والهام : جمع هامة ، وهي الرأس .

(٢) اللأمة : الدرع . وإكمالها أن يزاد عليها البيضة ونحوها . وقد يراد من اللامة آلات الحرب والدفاع ، وإكمالها على هذا : استيفاؤها .

(٣) مخافة أن تستعصى عن الخروج عند السل .

(٤) الخزر ـ محركة ـ النظر ، كأنه من أحد الشقين ، وهو علامة الغضب ، وفعله من باب تعب .

(٥) اطعنوا ـ بضم العين ـ فإذا كان في النسب مثلاً كان المضارع مفتوحها وقد يفتح فيهما . والشزر ـ بالفتح ـ الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً .

(٦) نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والظبا ـ بالضم ـ جمع ظبة ، وهي طرف السيف وحده .

(٧) « صلوا » من الوصل ، أي : اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا أعدائكم جمع خطوة ، أو إذا قصرت سيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم .

(٨) « بعين الله » أي : ملحوظون بها .

(٩) الفر : الفرار ، وهو عار في الأعقاب ؛ أي : في الأولاد ؛ لأنهم يعيرون بفرار آبائهم . وقوله « وطيبوا عن أنفسكم نفساً » أي : أرضوا ببذلها فانكم تبذلونها اليوم لتحرزوها غداً .

فَإِنَّهُ عَـارٌ فِي ٱلْأَعْقَابِ ، وَنَـارٌ يَوْمَ ٱلْحِسَـابِ ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسـاً وَٱمْشُوا إِلَى ٱلْمَـوْتِ مَشْياً سُجُحـاً[1] ، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا ٱلسَّـوَادِ ٱلْأَعْـظَمِ ، وَٱلرِّوَاقِ ٱلْمُـطَنَّبِ[2] فَٱضْـرِبُوا ثَبَجَـهُ[3] فَـإِنَّ ٱلشَّيْـطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ[4] ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً ، وَأَخَّـرَ لِلنُّكُوصِ رِجْـلاً ، فَصَمْـداً صَمْـداً[5] حَتَّـى يَنْجَلِيَ لَـكُمْ عَـمُـودُ ٱلْحَقِّ ﴿ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ، وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ[6] ﴾ .

٦٥ ومن كلام له عليه السلام

في مَعْنى الأنصـار ، قالـوا : لمـا انتهتْ إلى أميـرِ المؤمنين عليـه السلامُ أنبـاءُ السَّقيفة[7] بعـد وفاة رسـول الله صلى اللَّهُ عليه

---

(١) السجح ـ بضمتين ـ السهـل اللين ، ومثله السجيح ، وهما من قـولهم « سجح خـد فلان » ـ من باب فرح ـ سجحا وسجاحة ، إذا سهل ولان وطال في اعتدال .

(٢) الـرواق ـ ككتاب وغـراب ـ الفسطاط ، والمطنب : المشدود بـالأطناب ، جمع طنب ، ـ بضمتـين ـ وهو حبـل يشـد بـه سرادق البيت . وأراد بـالسـواد الأعـظم جمهـور أهـل الشام ، والرواق : رواق معاوية .

(٣) الثبج ـ بالتحريك ـ الوسط .

(٤) كسره ـ بالكسر ـ شقه الأسفل ، كناية عن الجوانب التي يفر اليها المنهزمون ، والشيطان الكامن في الكسر : مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع ، فان جبنتم مد يده للوثبـة ، وان شجعتم أخر للنكوص والهزيمة رجله .

(٥) الصمد : القصد ، وتقول : صمده ، وصمد له ، وصمد إليه ، وبـابه ضرب ونصر ، أي : فاثبتوا على قصدكم .

(٦) لن ينقصكم شيئاً من جزائها .

(٧) سقيفة بني ساعدة : اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لاختيار خليفة له .

وآله وسلم قال عليه السلام : ما قالتِ الأنصارُ ؟ قالوا : قالت : مِنّا أميرٌ ومنكُمْ أمير ، قال عليه السّلامُ :

فَهَلَّا آحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ آللهِ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؟! .

قالوا : وَما في هَذا مِن آلحجّةِ عليهم ؟

فقال عليه السلام :

لَوْ كَانَتِ آلْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ آلْوَصِيَّةُ بِهِمْ !!

ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : آحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا آلثَّمَرَةَ(١) .

٦٦ ومن كلام له عليه السلام

لما قَلّدَ محمّدَ بنَ أبي بكر مصرَ فمُلكَتْ عليه فقُتِل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ آلْعَرْصَةَ(٢) ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ آلْفُرْصَةَ ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ

(١) يريد من الثمرة آل بيت الرسول ﷺ .

(٢) العرضة : كل بقعة واسعة بين الدور . والمراد ما جعل لهم مجالاً للمغالبة . وأراد بالعرصة عرضة مصر ، وكان محمد قد فر من عدوه ظناً منه أنه ينجو بنفسه ، فأدركوه وقتلوه .

أَبِي بَكْرٍ[1] وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً ، وَكَانَ لِي رَبِيباً[2] .

٦٧ ومن كلام له عليه السلام

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى آلْبِكَارُ آلْعَمِدَةُ[3] ، وَآلثِّيَابُ آلْمُتَدَاعِيَةُ !؟[4] كُلَّمَا حِيصَتْ[5] مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ ؟ أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ آلشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ ، وَآنْجَحَرَ آنْجِحَارَ آلضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا ، وَآلضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا ؟![6] ، آلذَّلِيلُ وَآللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[7] . وَإِنَّكُمْ ، وَآللَّهِ ، لَكَثِيرٌ فِي آلْبَاحَاتِ[8] قَلِيلٌ تَحْتَ آلرَّايَاتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ

---

(١) « بلا ذم لمحمد ـ الخ » : لما يتوهم من مدح عتبة .

(٢) قالوا : ان أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمداً ، ثم تزوجها علي بعده ، وتربى محمد في حجره ، وكان جارياً مجرى أولاده ، حتى قال علي كرم الله وجهه : محمد ابني من صلب أبي بكر .

(٣) البكار ـ ككتاب ـ جمع بكر : الفتى من الابل . والعمدة ـ بفتح فكسر ـ التي انفضح داخل سنامها من الركوب ، وظاهره سليم .

(٤) المتداعية : الخلقة المتخرقة ، ومداراتها : استعمالها بالرفق التام .

(٥) حيصت : خيطت ، وتهتكت : تخرقت .

(٦) المنسر ـ كمجلس ومنبر ـ القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير ، وأطل : أشرف ، وانجحر : دخل الجحر والوجار ـ بالكسر ـ جحر الضبع وغيرها .

(٧) الأفوق من السهام : ما كسر فوقه ، أي : موضع الوتر منه . والناصل : العاري من النصل ، والسهم إذا كان مكسور الفوق عارياً عن النصل لم يؤثر في الرمية ، فهم في ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية بعدوهم أشبه به .

(٨) الباحات : الساحات .

أَوَدَكُمْ(١) وَلٰكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي ! أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ(٢) ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ(٣) ، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ .

٦٨ وقال عليه السلام

في سحرة اليوم الذي ضرب فيه(٤)

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ(٥) فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ ؟ فَقَالَ : « ادْعُ عَلَيْهِمْ » فَقُلْتُ : أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال الشريف : (يعني بِالأَود الاعِوجاجَ ، وباللَّدد الخصامَ . وَهذا من أَفصحِ الكلام) .

٦٩ ومن خطبة له عليه السلام

في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ! حَمَلَتْ

---

(١) أودكم ـ بالتحريك ـ اعوجاجكم .
(٢) أي : أذل الله وجوهكم .
(٣) وأتعس جدودكم . أي : حط من حظوظكم والتعس : الانحطاط والهلاك والعثار .
(٤) السحرة ـ بالضم ـ السحر الأعلى من آخر الليل .
(٥) ملكتني عيني : غلبني النوم ، وسنح لي رسول الله : مر بي كما تسنح الظباء والطير .

فَلَمَّـا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ[1] وَمَـاتَ قَيِّمُهَـا ، وَطَـالَ تَـأَيُّمُهَـا ، وَوَرِثَهَـا أَبْعَدُهَا[2] أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُـمُ ٱخْتِيَـاراً ، وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقـاً[3] وَلَقَدْ بَلَغَنِـي أَنَّكُمْ تَقُـولُونَ : عَلِيٌّ يَكْـذِبُ ! قَاتَلَكُمُ ٱللهُ فَعَلَى مَنِ ٱلْكَذِبُ ؟ أَعَلَى ٱللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَـا أَوَّلُ مَنْ صَـدَّقَهُ[4] . كَلَّا وَٱللّٰهِ، وَلٰكِنَّهَا لَهْجَـةٌ غِبْتُم عَنْهَا[5] وَلَمْ تَكُـونُوا مِنْ أَهْلِهَـا . وَيْلُ أُمِّهِ كَيْـلاً بِغَيْـرِ ثَمَنٍ[6] ! لَـوْ كَـانَ لَـهُ وِعَـاءٌ .

---

(١) أملصت : ألقت ولدها ميتاً .

(٢) قيمها : زوجها ، وتأيمها : خلوهـا من الأزواج ، يريـد أنهم لما شـارفوا استئصـال أهل الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم ، فكـان مثلهم مثل المرأة الحامل ، لما أتمت أشهر حملها ، ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي ؛ بل بالحادث العارضي كالضربة والسقطة ، وقلما تلقيه كذلك إلا هالكاً ، ولم يكتف في تمثيل خيفتهم في ذلك حتى قال : ومات مع هذه الحالة زوجها ، وطال ذلها بفقـدها من يقـوم عليها ، حتى إذا هلكت عن غير ولـد ورثها الأبـاعد السـافلون في درجة القـرابة ممن لا يلتفت إلى نسبه .

(٣) يقسم أنه لم يأت العراق مستنصراً بأهله اختياراً لتفضيله إيـاهم على من سـواهم ، وإنما سيق إليهم بسائق الضرورة ؛ فانه لولا وقعـة الجمل لم يفـارق المدينـة المنورة . ويـروى هـذا الكلام بعبـارة أخرى وهي « مـا أتيتكم اختياراً ولا جئت إليكم شـوقـاً » بـالشـين المعجمة .

(٤) كان كرم الله وجهه كثيراً ما يخبرهم بمـا لا يعرفـون ، ويعلمهم ما لم يكـونوا يعلمـون ، فيقـول المنافقـون من أصحابـه : إنه يكـذب ! كما كـان المنافقـون يقـولـون مثـل ذلـك للنبي ﷺ ، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجـترىء على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة ايمانه وكـمال يقينه ؟ ولا يجتمـع كذب وايمـان صحيح ! .

(٥) « لهجة غبتم عنها » أي : ضرب من الكلام أنتم في غيبةٍ عنة ، أي : بعد عن معنـاه ، ونبو طبع عما حواه ، فلا تفهمونه ؛ ولهذا تكذبونه .

(٦) ويلمه : كلمة استعظام تقال في مقام المدح وان كان أصل وضعها لضده ، ومثـل ذلك=

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام ٧٠

علّم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

اَللّٰهُمَّ دَاحِيَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ(١) ، وَدَاعِمَ ٱلْمَسْمُوكَاتِ ، وَجَابِلَ ٱلْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا(٢) شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا : ٱجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ

= معروف في لسانهم يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه «لا أبا لك» وفي الحديث «فاظفر بذات الدين تربت يداك» وفي كلام الحسن يحدث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويعظم أمره : وما لك والتحكيم ، والحق في يديك ، ولا أبا لك ؟ وأصل الكلمة . ويل أمه . وقوله «كيلا» مصدر يقع مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أي : أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً بلا ثمن ، لو أجد وعاء أكيل فيه ؛ أي : لو أجد نفوساً قابلة ، وعقولاً عاقلة .

(١) «داحي المدحوات» أي : باسط المبسوطات ، وأراد منها الأرضين ، وبسطها أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالاً للبشر وسائر الحيوان ، تتصرف عليها هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت إليها ، بهادي الغريزة كما هو المشهود لنظر الناظر ، وان كانت الأرض في جملتها كروية الشكل . «وداعم المسموكات» : مقيمها وحافظها ، تقول : دعمه ـ كمنعه ـ : أقامه وحفظه . والمسموكات : المرفوعات ، وهي السموات ، وتقول : سميت الشيء سمكاً ـ كنصرته نصراً ـ فسمك هو سموكاً ـ كخرج خروجاً ـ يتعدى ويلزم ، ومعناه رفعته وقد يراد من هذا الوصف المجعول لها سمكاً يفوق كل سمك ، والسمك : الثخن المعروف في اصطلاح أهل الكلام بالعمق ، ودعمه للسموات إقامته لها ، وحفظها من الهوى بقوة معنوية ، وإن لم يكن ذلك بدعامة حسية . قال صاحب القاموس : المسموكات لحن ، والصواب مسمكات ، ولعل هذا في إطلاق اللفظ اسماً للسموات ، أما لو أطلق صفة كما في كلام الإمام فهو صحيح فصيح ، بل لا يصح غيره ؛ فان الفعل سمك لا أسمك .

(٢) «جابل القلوب» : خالقها ، وطابعها عليه ، وتقول : جبلنا الله ـ من بابي نصر وضرب ـ والفطرة ـ بكسر فسكون ـ : أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء =

وَنَـوَامِيَ بَرَكَـاتِكَ عَلَى مُحَمَّـدٍ عَبْدِكَ وَرَسُـولِـكَ(١) : ٱلْخَـاتِمِ لِمَـا سَبَقَ ، وَٱلْفَـاتِحِ لِمَـا ٱنْغَلَقَ ، وَٱلْمُعْلِنِ ٱلْحَقَّ بِـالْحَقِّ ، وَٱلـدَّافِـعِ جَيْشَـاتِ ٱلْأَبَاطِيـلِ ، وَٱلدَّامِـغِ صَوْلَاتِ ٱلْأَضَـالِيلِ ، كَمَـا حُمِّـلَ فَاضْطَّلَعَ(٢) قَائِماً بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَـرْضَاتِـكَ ، غَيْرَ نَـاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ(٣) وَاعِياً لِوَحْيِـكَ ، حَافِـظاً لِعَهْدِكَ ، مَـاضِياً عَلَى نَفَـاذِ أَمْـرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ ٱلْقَـابِسِ ، وَأَضَـاءَ ٱلـطَّرِيـقَ

= وجوده ، وهي للانسان : حالته خالياً من الآراء والأهواء والديانات والعقائد وقوله « شقيها وسعيدها » بدل من القلوب ، أي : جابل الشقي والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التي هو بها كاسب محض : فحسن اختياره يهديه الى السعادة ، وسوء تصرفه يضلله في طرق الشقاوة .

(١) الشرائف : جمع شريفة ، والنوامي : الزوائد ، والخاتم لما سبق : أي لما تقدمه من النبوات ؛ والفاتح لما انغلق : كانت أبواب القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وآله وسلم بآيات نبوته ، وأعلن الحق ، وأظهره بالحق والبرهان ، والأباطيل ، جمع باطل على غير قياس ، كما أن الأضاليل جمع ضلال على غير قياس ، وجيشاتها : جمع جيشة ـ بفتح فسكون ـ من جاشة القدر ، إذا ارتفع غليانها ، والصولات : جمع صولة ، وهي السطوة ، والدامغ : من دمغه إذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه ، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل ، والكاسر لشوكة الضلال وسطوته ، وذلك بسطوع البرهان ؛ وظهور الحجة .

(٢) أي : أعلن الحق بالحق ، وقمع الباطل ، وقهر الضلال ، كما حمل تلك الأعمال الجليلة بتحمله أعباء الرسالة ، فاطلع ـ أي : نهض بها قوياً ـ والضلاعة : القوة ، والمستوفز : المسارع المستعجل ، وقد تكون الكاف في « كما حمل » للتعليل كما في قوله : ـ

فقلت له أبا الملحاء خذها ... كما أوسعتنا بغيا وعدوا

(٣) الناكل : الناكص والمتأخر ، أي : غير جبان يتأخر عند وجوب الأقدام ، والقدم ـ بضمتين ـ المشي الى الحرب ، ويقال : مضى قدماً ، أي : سار ولم يعرج والواهي : الضعيف . واعياً : أي حافظاً وفاهماً ؛ تقول : وعيت الحديث ، إذا حفظته وفهمته . و« ماضياً على نفاذ أمرك » أي : ذاهباً في سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه .

لِلْخَابِطِ(١) وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ ٱلْفِتَنِ ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلَامِ ، وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ(٢) ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ(٣) وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ(٤) ، وَرَسُولُكَ إِلَى ٱلْخَلْقِ . ٱللّٰهُمَّ ٱفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ(٥) ، وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . ٱللّٰهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ(٦) ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ ، وَٱجْزِهِ

---

(١) يقال : ورى الزند ـ كوعى ـ وروى ـ وولى ـ يرى وريا ورياً ورية فهو وار : خرجت ناره ، وأوريته ووريته واستوريته . والقبس : شعلة من النار ، والقابس : الذي يطلب النار ، يقال : قبست ناراً فأقبسني ، أي : طلبت منها فأعطاني والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه وإشراق النفوس المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره ، والخابط : الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة ، فأضاء الطريق له : جعلها مضيئة ظاهرة ، فاستقام عليها سائراً الى الغاية ، وهي السعادة فكان من ذلك أن هديت به القلوب الى ما فيه سعادتها ؛ بعد أن خاضت الفتن أطواراً ، واقتحمها مراراً ، والخوضات : جمع خوضة ، وهي المرة من الخوض ، كما قال : « هديت به القلوب ـ الخ » . والأعلام : جمع علم ـ بالتحريك ـ وهو يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه ، والأعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها .

(٢) العلم المخزون : ما اختص الله به من شاء من عباده ، ولم يبح لغير أهل الحظوة به أن يطلعوا عليه ، وذلك مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية .

(٣) شهيدك ؛ شاهدك على الناس ، كما قال تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ .

(٤) «بعيثك » ، أي : مبعوثك ، فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح .

(٥) افسح له : وسع له : ما شئت أن توسع « في ظلك » أي : إحسانك وبرك ، فيكون الظل مجازاً ، ومضاعفات الخير : أطواره ودرجاته .

(٦) أراد من بنائه : ما شيده ﷺ بأمر ربه : من الشريعة العادلة ، والهدى الفاضل ، مما يلجأ إليه التائهون ويأوي إليه المضطهدون ، فالإمام يسأل الله أن يعلي بناء شريعته على جميع الشرائع ؛ ويرفع شأن هديه فوق كل هدي لغيره ؛ وإكرام المنزلة باتمام النور . والمراد من إتمام النور : تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ، ويظهر على الدين كله ، =

مِنَ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ ، وَمَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ[1] ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ . ٱللَّهُمَّ ٱجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرَارِ ٱلنِّعْمَةِ[2] وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ ٱللَّذَاتِ ، وَرَخَاءِ ٱلدَّعَةِ ، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ ، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ[3] .

٧١ ومن كلام له عليه السلام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أخذَ مروانُ بن الحكم أسيراً يومَ الجمل ، فاستشفعَ الحسنُ والحسينُ عليهما السلام[4] إلى أميرِ المؤمنينَ عليه السَّلامُ فكلَّماه فيه ، فخلَّى سبيله ، فقالا له : يبايعُك يا أميرَ المؤمنينِ ؟

= كما وعده بذلك ، وإكرام المنزلة في الآخرة قد تقدم في قوله « افسح له ، واجزه مضاعفات الخير » .

(١) أي : اجزه على بعثتك له إلى الخلق وقيامه بما حملته ، واجعل ثوابه ـ على ذلك ـ الشهادة المقبولة ، والمقالة المرضية يوم القيامة : وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه ، وهو ذو منطق عدل ، و« خطة » أي : أمر فاصل . ويروى « خطبة » ـ بزيادة باء بعد الطاء ـ أي : مقال فاصل . وقد روى أنه ﷺ يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمته وعلى غيرها من الأمم فيكون كلامه الفصل .

(٢) تقول العرب « عيش بارد » أي : لا حرب فيه ولا نزاع لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة ، قرار النعمة : مستقرها حيث تدوم ولا تفنى .

(٣) منى : جمع منية ـ بالضم ـ وهي ما يتمنى الإنسان لنفسه ، والشهوات : ما يشتهيه ، يدعو بأن يتفق مع النبي ﷺ في جميع رغباته وميله والرخاء : من قولهم « رجل رخي البال » أي : واسع الخيال . والدعة : سكون النفس واطمئنانها ، والتحف : جمع تحفة ، وهي ما يكرم الإنسان من البر واللطف وقد كان ﷺ من أرخى الناس بالاً ، وألزمهم للطمأنينة ، وأعلاهم منزلة في القلوب فالإمام يطلب من الله أن يدنيه منه في جميع هذه الصفات الكريمة .

(٤) استشفعهما إليه : سألهما أن يشفعا له عنده وليس من الجيد قولهم : استشفعت به .

فقال عليه السَّلامُ :

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي قَبْلَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ(١) لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ(٢) أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ ٱلْكَلْبِ أَنْفَهُ(٣) ، وَهُوَ أَبُو ٱلْأَكْبُشِ ٱلْأَرْبَعَةِ(٤) وَسَتَلْقَى ٱلْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ ! .

٧٣ ومن كلام له عليه السلام

لما عزموا على بيعة عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَٱللهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ٱلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ(٥) .

---

(١) « كف يهودية » أي غادرة ماكرة لا يستقيم لها عهد ، ولا يدوم لها وفاء ، ولا تستقر على أمان ، ولا يطول لها أمد الولاء .

(٢) السبت ـ بالفتح ـ الاست ، وهو مما يحرص الإنسان على إخفائه ، وكنى به عن الغدر الخفي ، واختاره لتحقير الغادر . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحبقون عند ذكره استهزاء .

(٣) تصوير لقصر مدتها ، وكانت تسعة أشهر .

(٤) جمع كبش ، وهو من القوم : رئيسهم ، وفسروا الأكبش ببني عبد الملك بن مروان هذا ، وهم : الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، قالوا : ولم يتولَّ الخلافة أربعة إخوة سوى هؤلاء . ويجوز أن يراد بهم بنو مروان لصلبه ، وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وبشر ، ومحمد ، وكانوا كباشاً أبطالاً : أما عبد الملك فولي الخلافة ، وولي محمد الجزيرة ، وعبد العزيز مصر ، وبشر العراق .

(٥) يقسم بالله ليسلمن الأمر في الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظاً لهم من الفتنة ؛ طلباً لثواب الله على ذلك، وزهداً في الإمرة التي تنافسوها ـ أي : رغبوا =

٧٣ ومن كلام له عليه السلام

لمّا بلغهُ اتهامُ بني أميةَ له بالمشاركة في دَمِ عُثمان

أَوَ لَمْ يَنْهَ نبي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي(١) ؟ أَوَ مَا وَزَعَ ٱلْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي ! وَلَمَا وَعَظَهُمُ ٱللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي(٢) ! أَنَا حَجِيجُ ٱلْمَارِقِينَ(٣) وَخَصِيمُ ٱلْمُرْتَابِينَ وَعَلَى كِتَابِ ٱللهِ تُعْرَضُ ٱلأَمْثَالُ(٤) وَبِمَا فِي ٱلصُّدُورِ تُجَازَى ٱلْعِبَادُ .

= فيها ـ وإن كان في ذلك جور عليه خاصة . وأصل الزخرف : الذهب وكذلك الزبرج ـ بكسرتين ، بينهما سكون ـ ثم أطلق على كل مموه مزور ، وأغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وشي أو جوهر ، و« من زخرفه » ليس للبيان ، ولكن حرف الجر للتعليل ، أي : إن الرغبة إنما كان الباعث عليها الزخرف والزبرج ، ولولا لزوم ذلك للامارة ما كان فيها التنافس .

(١) قرفه قرفاً ـ بالفتح ـ : عابه ، و« علمها » فاعل « ينه » و« أمية » مفعول . أي : ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين والتحرج من سفك الدماء بغير حق ما ينهاهم عن أن يعيبوني بالاشتراك في دم عثمان ؟ خصوصاً وقد علموا أني كنت له لا عليه ، ومن أحسن الناس قولاً فيه ، و« سابقته » حاله المعلومة لهم مما تقدم . ووزع بمعنى : كف ، والتهمة ـ بفتح الهاء بعد ضم التاء ـ : رميه بعيب الاشتراك في دم عثمان .

(٢) « ولما ـ الخ » : اللام هي التي للتأكيد ، « وما » موصول مبتدأ . و« أبلغ » خبره . والله قد وعظهم في الغيبة بأنها في منزلة أكل لحم الأخ ميتاً .

(٣) « حجيج المارقين » أي : خصيمهم ، والمارقون : الخارجون من الدين ، والمرتابون : الذين لا يقين لهم ، وهو ـ كرم الله وجهه ـ قارعهم بالبرهان الساطع فغالبهم .

(٤) الأمثال : متشابهات الأعمال والحوادث : تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع ، وما خالفه فهو الباطل الممنوع ، وهو ـ كرم الله وجهه ـ قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله ، فليس للغامز عليه بمطعن ، ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب .

٧٤ ومن خطبة له عليه السلام

رَحِمَ آللهُ امْرَءاً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا[١] وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا[٢] : رَاقَبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ خَالِصاً ، وَعَمِلَ صَالِحاً ، آكْتَسَبَ مَذْخُوراً[٣] وَآجْتَنَبَ مَحْذُوراً ، رَمَى غَرَضاً ، وَأَحْرَزَ عِوَضاً[٤] كَابَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ ، جَعَلَ آلصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَآلتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، رَكِبَ آلطَّرِيقَةَ آلْغَرَّاءَ[٥] ، وَلَزِمَ آلْمَحَجَّةَ آلْبَيْضَاءَ ، آغْتَنَمَ آلْمَهَلَ[٦] وَبَادَرَ آلْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ آلْعَمَلِ .

٧٥ ومن كلام له عليه السلام

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى آللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

---

(١) الحكم هنا : الحكمة ، قال الله تعالى : ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ ووعى : حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه ، ودنا : قرب من الرشاد الذي دعى إليه .

(٢) الحجزة ـ بالضم ـ : معقد الازار ، ومن السراويل موضع التكة . والمراد الاقتداء والتمسك ، يقال : أخذ فلان بحجزة فلان ، إذا اعتصم به ، ولجأ إليه .

(٣) اكتسب مذخوراً : كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويعده لوقت حاجته في الآخرة ، وتقول : ذخر الشيء ـ وزان قطع ـ ذخراً ـ بفتح الذال وسكون الخاء ـ إذا خبأه لوقت يحتاجه فيه ، والذخر ـ بضم فسكون الاسم من ذلك .

(٤) رمى غرضاً : قصد إلى الحق فأصابه . وكابر هواه : غالبه . ويروى « كاثر » بالمثلثة ـ أي : غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه .

(٥) الغراء : النيرة الواضحة ، والمحجة : جادة الطريق ومعظمه ، والطريقة الغراء والمحجة البيضاء : سبيل الحق ومنهج العدل .

(٦) المهل هنا : مدة الحياة مع العافية ، فانه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت ، أو تحل به بائقة عذاب ، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لآخرته ، فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل .

تَفْوِيقاً ، لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ ٱللَّحَّامِ ٱلْوِذَامَ ٱلتَّرِبَةَ .

ويروى « الترابَ الوَذِمَةَ » . وهو على القلب(١) .

قال الشريف : وقولهُ عليه السَّلامُ « ليفوقونني » أي : يُعطونَني من المالِ قليلاً كفُواقِ النَّاقةِ ، وهو الحَلْبةُ الواحدةُ من لَبَنِها . والوِذام : جمع وَذَمة وهي : الحُزَّةُ من الكَرِش أو الكبِد تقع في التراب فَتُنفَض(٢) .

٧٦ ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها

ٱللّٰهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي(٣) ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي(٤) . ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ ٱلْأَلْحَاظِ ، وَسَقَطَاتِ ٱلْأَلْفَاظِ ، وَشَهَوَاتِ ٱلْجَنَانِ ، وَهَفَوَاتِ ٱللِّسَانِ(٥) .

---

(١) على القلب ، أي : إن الحقيقة « الوذام التربة » كما في الرواية الأولى ، لا « التراب الوذمة » إذا لا معنى له ، فهذه الرواية يراد منها مقلوبها .

(٢) الحزة ـ بالضم ـ القطعة ، وفسر صاحب القاموس « الوذمة » بمجموع المعي والكرش .

(٣) وأيت : وعدت ، وأى ـ كوعى ـ وعد وضمن ، وإذا عزمت على عمل خير فكأنك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فان لم توف به فكأن الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته ، فتكون قد أخلفته ، ومخلف الوعد مسيء ، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الاساءة .

(٤) تقرب باللسان مع مخالفة القلب ، كأن يقول : الحمد لله على كل حال ، ويسخط على أغلب الأحوال ، أو يقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، وهو يستعين بغير الله ، ويعظم أشباهاً ممن دونه .

(٥) رمزات الألحاظ : الاشارة بها ، وتقول : رمز إليه ـ من بابي نصر وضرب ـ رمز ، أي : أشار ، وقيل : أومأ بشفتيه ، أو عينيه ، أو حاجبه ، أو فمه ، وقيل : هو خاص =

٧٧ ومن كلام له عليه السلام

قالَهُ لِبعضِ أصحابِه لمـا عزمَ على المسيـرِ إلى الخوارجِ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، إن سـرتَ في هذا الـوقتِ خشيتَ أن لا تظفرَ بمُرادِك ، من طريقِ علمِ النجوم .

فقال عليه السلام :

أَتَـزْعُـمُ أَنَّـكَ تَهْـدِي إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فيها صُرِفَ عَنْهُ ٱلسُّـوءُ ؟ وَتُخَـوِّفُ مِنَ ٱلسَّـاعَـةِ ٱلَّتِي مَنْ سَـارَ فِيهَـا حَـاقَ بِـهِ ٱلضُّـرُّ[١] ؟ فَمَنْ صَـدَّقَ بِهٰـذَا فَقَـدْ كَـذَّبَ ٱلْقُـرْآنَ ، وَٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ ٱلْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ ٱلْمَكْرُوهِ ؛ وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ ٱلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ ؛ لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِـكَ أَنْتَ ـ هَدَيْتَهُ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي نَالَ فِيهَا ٱلنَّفْعَ وَأَمِنَ ٱلضُّرَّ ! !

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ ٱلنجومِ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِـهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْـرٍ[٢] فَإِنَّهَـا تَـدْعُـو إِلَى ٱلْكَهَـانَـةِ ، وَٱلْمُنَجِّمُ كَـالْكَـاهِنُ[٣] .

= بالشفة ، والألحاظ : جمع لحظ ، وهو باطن العين : أما اللحاظ ـ وهو مؤخر العين ـ فلا أعـرف له جمعـاً إلا لحظ ـ بضمتين ـ وسقـطات الألفـاظ : لغـوهـا ؛ والجنـان القلب ، واللب ،وشهـواته : ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة ،وهفوات اللسان : زلاته .

(١) حاق به الضر : أحاط به .

(٢) طلب لتعلم علم الهيئة الفلكية وسـير النجوم وحـركاتهـا للاهتـداء بها ، وإنمـا ينهى عما يسمى علم التنجيم ، وهو : العلم المبني على الاعتقاد بـروحانيـة الكواكب ، وأن لتلك الروحانية العلوية سلطاناً معنوياً على العوالم العنصرية ، وأن من يتصل بأرواحها ـ بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة ـ تكاشفه بما غيب من أسرار الحال والاستقبال.

(٣) الكـاهن : من يـدعي كشف الغيب ، وكـلام أمـير المؤمنـين حجـة حـاسمـة لخيـالات =

وَٱلْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَٱلسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَٱلْكَافِرُ فِي ٱلنَّارِ . سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ .

٧٨ ومن خطبة له عليه السلام

بعد حرب الجمل ، في ذم النساء

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ ، إِنَّ ٱلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلْإِيمَانِ(١) ، نَوَاقِصُ ٱلْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ ٱلنِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ(٢) .

= المعتقدين بالرمل ، والجفر ، والتنجيم ، وما شاكلها ، ودليل واضح على عدم صحتها ، ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية .

(١) خلق الله النساء ، وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معينة لا تكاد تنتهي حتى تستعد لحمل وولادة ، وهكذا ، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية . فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته ، وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة ، فكنّ ـ في أحكامه ـ غير لاحقات للرجال ، لا في العبادة ، ولا الشهادة ولا الميراث .

(٢) لا يريد أن يترك المعروف لمجرد أمرهن به ؛ فان في ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة، خصوصاً أن كان المعروف من الواجبات، بل يريد أن لا يكون فعل المعروف صادراً عن مجرد طاعتهن ، فإذا فعلت معروفاً فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالاً للمرأة . ولقد قال الإمام قولاً صدقته التجارب في الأحقاب المتطاولة ، ولا استثناء مما قال ، إلا بعضاً منهن وهبن فطرة تفوق في سموها ما استوت به الفطن ، أو تقاربت ، =

٧٩ ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، ٱلـزَّهَادَةُ قِصَـرُ ٱلْأَمَلِ ، وَٱلشُّكْـرُ عِنْدَ ٱلنِّعَمِ ، وَٱلْوَرَعُ عِنْدَ ٱلْمَحَارِمِ (١) فَإِنْ عَـزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَـلَا يَغْلِبِ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ، وَلَا(٢) تَنْسَوْا عِنْـدَ ٱلنِّعَمِ شُكْرَكُمْ ، فَقَـدْ أَعْذَرَ ٱللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ ٱلْعُذْرِ وَاضِحَةٍ(٣) .

= أو أخذت بسلطان من التربية طباعهن على خلاف ما غرز فيها وحولتها إلى غير ما وجهتها إليه .

(١) الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات ، يقال : ورع الرجل ـ من باب علم وقطع وكرم وحسب ـ ورعا ، مثل وعد ، وورعا ـ بفتحتين كطب ـ وروعا ، أي : جانب الاثم ، وكف عن المعاصي ، وترك الشبهات . أي : إذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشتبه به ، فضلاً عنه . والشكر عند النعم : الاعتراف بأنها من الله ، والتصرف فيها على وفق ما شرع ، وقصر الأمل : يوجس الموت والاستعداد له بالعمل ، وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة .

(٢) عزب عنكم ـ من باب ودخل ـ عزوباً ، بضمتين كدخول ـ أي : بعد عنكم ، وفاتكم ، والاشارة إلى ما تقدم من قصر الأمل ، أي : فان عسر عليكم أن تقصروا آمالكم ، وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم ؛ فلا يغلب الحرام صبركم ؛ أي يفتكم الركنان الآخران ، وهما : شكر النعم ، واجتناب المحرم ؛ فان نسيان الشكر يجر إلى البطر ، وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والعادية ، والبطر والفساد مجلبة للنقم في الدنيا والشقاء في الآخرة .

(٣) أعذر : بمعنى أنصف ، وأصله مما همزته للسلب ، فأعذرت فلاناً سلبت عذره ، أي : ما جعلت له عذراً يبديه لو خالف ما نصحته به ويقال « أعذرت إلى فلان » أي : أقمت لنفسي عنده عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة ، حيث حذرته ، ويصح أن تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى أيضاً ، بل هو الأقرب من لفظ « إليكم » =

٨٠

ومن كلام له عليه السلام

في صفة الدنيا

مَـا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَـاءٌ ، وَآخِرُهَـا فَنَاءٌ ، فِي حَـلاَلِهَـا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنِ ٱسْتَغْنَى فِيهَـا فُتِنَ ، وَمَنِ ٱفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ[(١)] وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَـرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ[(٢)] ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ .

قَالَ ٱلشَّرِيفُ : أَقُولُ : وَإِذَا تَأَمَّـلَ ٱلْمُتَأَمِّـلُ قَوْلَـهُ عَلَيْهِ ٱلسَّـلاَمُ « مَنْ أَبْصَـرَ بِهَا بَصَّـرَتْهُ » وَجَـدَ تَحْتَهُ مِنَ ٱلْمَعْنَى ٱلْعَجِيبِ وَٱلْغَـرَضِ

= ويكون الكلام على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له منزلة قيام العذر لنا . والمسفرة : الكاشفة عن نتائجها الصحيحة ، و « بارزة العذر » ظاهرته .

(١) من جرى معها في مطالبها ، والقصد بذلك أنه اهتم بها وجد في طلبها . وقوله « فاتته » أي : سبقته ؛ فانه كلما نال شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها ، فلا يكاد يقضي مطلوباً واحداً حتى يهتف به ألف مطلوب ، وقوله « ومن قعد عنها واتته » يريد به أن من قوم اللذائد الفانية بقيمتها الحقيقية ، وعلم أن الوصول إليها إنما يكون بالعناء ، وفواتها يعقب الحسرة عليها ، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم فقد وافقته هذه الحياة وارا حته ؛ فانه لا يأسف على فائت منها ، ولا يبطر لحاضر ، ولا يعاني ألم الانتظار لمقتبل .

(٢) « أبصر بها » أي : جعلها مرآة نيرة : تجلو لقلبه آثار الجد في عظائم الأعمال ، وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين ، وتنكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين ؛ فقد صارت الدنيا له بصراً وحوادثها عبراً . وأما من أبصر إليها واشتغل بها فانه يعمى عن كل خير فيها ويلهو عن الباقيات بالزائلات وبئس ما اختار لنفسه !

ٱلْبَعِيدِ مَا لاَ تُبْلَغُ غَايَتُهُ وَلاَ يُدْرَكُ غَوْرُهُ ، وَلاَ سِيَّمَا إِذَا قَرَنَ إِلَيْهِ قَوْلَهُ « وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ » ، فَإِنَّهُ يَجِدُ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ « أَبْصَرَ بِهَا » وَ « أَبْصَرَ إِلَيْهَا » وَاضِحاً نَيِّراً وَعَجِيباً بَاهِراً .

٨١ ومن خطبة له عليه السلام

وهي الخطبة العجيبة وتسمى الغراء

ٱلْحَمْدُ للَّهِ ٱلَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ(١) ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ(٢) ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ(٣) أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ(٤) ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً(٥) ، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً

---

(١) « علا بحوله » أي عزّ وارتفع عن جميع ما سواه ؛ لقوته المستعلية بسلطة الايجاد على كل قوة .

(٢) « دنا بطوله » أي : إنه مع علوه ، سبحانه ، وارتفاعه في عظمته فقد دنا وقرب من خلقه بطوله ، أي : عطائه وإحسانه .

(٣) الأزل ـ بالفتح ـ الضيق والشدة ، وكاشف الشدة : المنقذ منها ، كما ان مانح الغنيمة : معطيها المتفضل بها .

(٤) العواطف : ما يعطفك على غيرك ، ويدنيه من معروفك . وصفة الكرم في الجناب الإلهي ، وخلقه في البشر ؛ مما يعطف الكريم على موضع الاحسان وسوابغ النعم : كواملها ، من سبغ الظل : إذا عم وشمل .

(٥) أولاً بادياً : موضعه من سابقه كموضع « قريباً هادياً » وما جاء به بعده من سوابقها ؛ فهي أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله سبحانه وتعالى ، فيكون « أول » صفة نصبت على الحال من ضمير به ، أي : أصدق بالله حال كونه سابق كل شيء في الوجود ، فهو البادي: أي: الظاهر بذاته المظهر لغيره ، ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به ريبة . والقريب الهادي جدير بأن تطلب منه الهداية ، والقادر القاهر حقيق بأن يستعان به ؛ لأنه قوي على المعونة ، والكافي الناصر حري بأن يتوكل عليه .

هَادِياً ، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِراً قَاهِراً ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ[1] وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ[2] . أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ بِتَقْوَى ٱللَّهِ ٱلَّذِي ضَرَبَ ٱلْأَمْثَالَ[3] ، وَوَقَّتَ لَكُمُ ٱلْآجَالَ وَأَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ ٱلْجَزَاءَ ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ ٱلسَّوَابِغِ ، وَٱلرِّفَدِ ٱلرَّوَافِغِ وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ ٱلْبَوَالِغِ ، وَأَحْصَاكُمْ عَدَداً ، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ

---

(١) إنهاء عذره : إبلاغه ، والعذر هنا ، كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أقيمت ببعثة النبي ﷺ على أن من خالف شريعة الله استحق المعقاب ، ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب .

(٢) النذر : جمع نذير ، أي : الأخبار الإلّهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال أو هو مفرد بمعنى الانذار .

(٣) ضرب الأمثال : جاء بها في الكلام ؛ لإيضاح الحجج ، وتقريرها في الأذهان ، و « وقّت الآجال » جعلها في أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر ، والرياش : ما ظهر من اللباس ، ووجه النعمة فيه أنه ساتر للعورة واق من الحر والبرد . وقد يراد بالرياش الخصب والغنى ، فيكون « ألبسكم » على المجاز و « أرفغ لكم » أي : أوسع ، يقال : رفغ عيشه ـ بالضم ـ رفاغة ، أي : اتسع ، و « أحاطكم بالاحصاء » أي : جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها عملاً كالسور : لا تنفذون منه ولا تتعدونه ، ولا تشذ عنه شاذة ، و « أرصد لكم الجزاء » أعده لكم فلامحيص عنه ، والرفد : جمع رفدة ـ ككسرة وكسر ـ وهي : العطية، والصلة والروافغ؛ الواسعة والحجج البوالغ: الظاهرة البينة ، و « وظف لكم مدداً » أي : قدر لكم ، والمدد : جمع مدة ، أي : عين لكم أزمنة تحيون فيها « في قرار خبرة » أي : في دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا ، وفيها الاعتبار والاتعاظ ، والحساب عليها ، أي : على ما نؤتى من خير وشر .

ٱلـدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْـرَبُهَا(١) رَدِغٌ مَشْـرَعُهَـا : يُـونِقُ مَنْـظَرُهَـا(٢) وَيُـوبِقُ مَخْبَرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ(٣) وَضَوْءٌ آفِلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَـائِلٌ(٤) حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَـافِرُهَـا ، وَٱطْمَأَنَّ نَـاكِرُهَـا ؛ قَمَصَتْ بِـأَرْجُلِهَـا(٥) ، وَقَنَصَتْ بِـأَحْبُلِهَـا ، وَأَقْصَـدَتْ بِـأَسْهُمِهَـا ، وَأَعْلَقَتِ ٱلْمَـرْءَ أَوْهَـاقَ ٱلْمَنِيَّةِ(٦) قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْـكِ ٱلْمَضْجَعِ(٧) ، وَوَحْشَـةِ ٱلْمَرْجَـعِ ، وَمُعَـايَنَـةِ ٱلْمَحَـلِّ(٨) ، وَثَـوَابِ ٱلْعَمَـلِ . وَكَـذَلِـكَ ٱلْخَلَفُ يَعْقُبُ

---

(١) رنق ـ كفرح ـ كدر ، والأصل أنه يقال « عيش رنق » ـ بكسر النون أي : كدر ، ويقال « ماء رنق » بسكون النون ـ أي : كدر ، ويقال رنق الماء رنقاً ـ بوزان طرب طرباً ـ وقد رويت هذه الكلمة بروايتين : الأولى بكسر النون وهي المشهورة فيكون على الاستعمال الأول ، ووضع المشرب موضع العيش ، والثانية بسكون النون وهي على حقيقتها .
وردغ : كثير الطين والوحل . والمشرع : مورد الشاربة للشرب ، ويقال « مشرع ردغ » إذا كان ذا طين ووحل .

(٢) يونق : يعجب ، ويوبق يهلك .

(٣) حائل : اسم فاعل من « حال » إذا تحول وانتقل ، أي : إن شأنها الغرور الذي لا بقاء له وسقط من بعض الروايات قوله « وضوء آفل » أي : غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب .

(٤) السناد ـ بالكسر ـ ما يستند إليه ، أو دعامة يسند بها السقف ، وناكرها : اسم فاعل من « نكر الشيء » ـ من باب علم ـ أي : جهله فأنكره .

(٥) قمص الفرس وغيره يقمص ـ من باب ضرب ونصر ـ قمصاً وقماصاً ، أي : استن ؛ وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجب وفي المثل المضروب لضعيف لا حراك به وعزيز ذل « ما بالعير من قماص » وإنما قال « أرجل » وليس للدابة إلا رجلان لأنه نزل اليدين لها منزلة الأرجل ؛ لأن المشي على جميعها . وروى « بأرحلها » بالحاء ـ جمع رحل الناقة ، و « قنصت بأحبلها » أي : اصطادت وأوقعت من اغتر بها في شباكها وحبالها ، و « أقصدت » قتلت مكانها من غير تأخير .

(٦) أعلقت به : ربطت بعنقه ؛ وأوهاق المنية : جمع وهق ـ بالتحريك ـ أو بفتح فسكون ، كما يقال نهر ونهر ، أي : حبال الموت .

(٧) ضنك المضجع : ضيق المرقد ، والمراد القبر .

(٨) معاينة المحل : مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم ، وثواب العمل : جزاؤه الأعم من =

ٱلسَّلَفَ : لَا تُقْلِعُ ٱلْمَنِيَّةُ ٱخْتِرَاماً(١) وَلَا يَرْعَوِي ٱلْبَاقُونَ ٱجْتِرَاماً(٢) يَحْتَذُونَ مِثَالاً ، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً ، إِلَى غَايَةِ ٱلانْتِهَاءِ ، وَصَيُّورِ ٱلْفَنَاءِ(٣) حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ ٱلْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ ٱلدُّهُورُ ، وَأَزِفَ ٱلنشُورُ(٤) أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ ٱلْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ ٱلطيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ ٱلسِّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ ٱلْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ(٥)

= شقاء وسعادة ، والخلف : المتأخرون ، والسلف : المتقدمون . و « يعقب السلف » أي : يتبع ، ويروي « بعقب » بباء الجر ـ فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد ، وأصله جرى الفرس بعد جريه ، يقال : لهذا الفرس عقب حسن .

(١) « لا تقلع » أي : لا تكف المنية عن اخترامها ، أي : استئصالها للأحياء .

(٢) « لا يرعوي الباقون » أي : لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات وثلاثي « ارعوى » رعى يرعو ، أي : كف ، ويقال : فلان حسن الرعوة والرعاء والرعوى والارعواء . و « الاجترام » افتعال من الجرم ، وهو الذنب والجريرة ، ويقال : جرم وأجرم بمعنى واحد . و « يحتذون مثالاً » أي: يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ، ويقتدون بهم و « يمضون ارسالاً » جمع رسل بالتحريك ـ وهو القطيع من الإبل والغنم والخيل يقال : جاءت الغنم ارسالاً ، أي قطيعاً قطيعاً .

(٣) صيور الأمر ـ كتنور ـ مصيره وما يؤول إليه، يريد الإمام من ذلك أن الدنيا لا تزال تغر بنيها ، حتى يأنسوا إليها بالارتياح إلى لذائذها ، واستسهال احتمال آلامها ، ثم تنقلب بهم إلى ما لا بد منه ، وهم في غفلة لاهون .

(٤) « أزف النشور » قرب البعث ، والضمير في « أخرجهم » إلى البعث على سبيل المجاز ، أو إلى الله تعالى ، والضرائح جمع ضريح وهو الشق وسط القبر وأصله من « ضرحه » أي : دفعه وأبعده فان المقبور مدفوع منبوذ ، وهو أبعد الأشياء عن الأحياء ، والأوكار : جمع وكر ، وهو مسكن الطير وجمع الكثرة وكور ، والأوجرة : جمع وجار ـ ككتاب وسحاب ـ وهو الجحر والذين يبعثون من الأوكار والأوجرة هم الذين افترستهم الطيور الصائدة والسباع الكاسرة .

(٥) « مهطعين » أي : مسرعين إلى معاده ، سبحانه ، الذي وعد أن يعيدهم فيه . وقوله : « رعيلاً صموتاً » الرعيل : القطعة من الخيل ؛ شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل ـ أي : الجملة القليلة منها ـ لأن الاسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر ؛ =

رَعِيلاً صُمُوتاً ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يُنْفِذُهُمُ ٱلْبَصَرُ(١) وَيُسْمِعُهُمُ ٱلدَّاعِي ، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ ٱلِاسْتِكَانَةِ(٢) ، وَضَرَعُ ٱلِاسْتِسْلَامِ وَٱلذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ ٱلْحِيَلُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ وَهَوَتِ ٱلْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً(٣) ، وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً ، وَأَلْجَمَ ٱلْعَرَقُ ، وَعَظُمَ ٱلشَّفَقُ ، وَأُرْعِدَتِ ٱلْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ ٱلدَّاعِي إِلَى فَصْلِ ٱلْخِطَابِ(٤) وَمُقَايَضَةِ ٱلْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ ٱلْعِقَابِ ، وَنَوَالِ ٱلثَّوَابِ ، عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ ٱقْتِدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ ٱقْتِسَاراً(٥) ، وَمَقْبُوضُونَ ٱحْتِضَاراً ، وَمُضَمَّنُونَ

= فان الانفراد من الابطاء ، ولا يدعهم يجتمعون جماً ، فان التضام والالتفاف إنما يكون من الاطمئنان .

(١) « ينفذهم البصر » يجاوزهم ، أي يأتي عليهم ويحيط بهم ، أي : لا يعزب واحد منهم عن بصر الله .

(٢) اللبوس ـ بالفتح ـ : ما يلبس ، والاستكانة : الخضوع ، والضرع ـ بالتحريك ـ : الوهن والضعف والخشوع ، هذا لو جعلنا « عليهم » متعلقاً بمحذوف خبر عن « لبوس وضرع » ، فان جعلناه متعلقاً بالداعي ـ بمعنى المنادي والصائح عليهم ـ جعلنا لبوس جملة مبتدأة ويكون « لبوس » جمع لابس ، وضرع ـ محركة ـ اسم جمع للضريع بمعنى الذليل .

(٣) « هوت الأفئدة » خلت من المسرة والأمل من النجاة ، « كاظمة » أي : ساكنة كاتمة لما يزعجها من الفزع ، و« مهينمة » أي : متخافية ، والهينمة : الكلام الخفي ، و« ألجم العرق » كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق ، وكان كاللجام ، والشفق ـ محركة ـ الخوف .

(٤) أرعدت : عرتها الرعدة ؛ و« زبرة الداعي » : صوته وصيحته ، ولا يقال « زبرة » إلا إذا كان فيها زجر وانتهار ؛ فإنها واحدة الزبر ـ أي : الكلام الشديد ـ والمقايضة : المعاوضة ، أي : مبادلة الجزاء الخير بالخير ، والشر بالشر .

(٥) « مربوبون » : مملوكون ، والاقتسار : الغلبة والقهر ، أي : إنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته ، فهم مملوكون له بسطوة عزته ، لا خيرة لهم في ذلك ، وإذا جاء الأجل قبضت أرواحهم إليه ، بما يحضر عند الأجل من مزهقات الأرواح والقوى المسلطة على =

أَجْـدَاثاً ، وَكَـائِنُونَ رُفَـاتاً ، وَمَبْعُـوثُونَ أَفْـرَاداً ، وَمَـدِينُـونَ جَـزَاءً ، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً ، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ ٱلْمَخْرَجِ(١) ، وَهُدُوا سَبِيـلَ الْمَنْهَـجِ ، وَعُمِّـرُوا مَهْـلَ ٱلْمُسْتَعْتِـبِ ، وَكُشِـفَ عَنْـهُمْ سَـدَفُ ٱلرِّيَبِ (٢) وَخلوا لِمِضْمَارِ ٱلْجِيَادِ(٣) وَرَوِيَةِ الإِرْتِيَادِ ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ ٱلْمُـرْتَادِ(٤) فِي مُـدَّةِ ٱلأَجَلِ ، وَمُضْـطَرَبِ ٱلْمَهَلِ ، فَيَـا لَهَا أَمْثَـالاً

= الفناء ، و « احتضر فلان » حضرته الملائكة تقبض روحه . وكـانت العرب تقـول « لبن محتضر » أي : فـاسد ، يعنـون أن الجن حضرته ، يقـال : اللبن محتضر فغط إنـاءك ، والأجـداث . جمع جـدث ـ بفتحتين ـ : وهـو القبر واجتـدث الرجـل-: اتخذ جـدثـاً ، ويقال : جدف ـ بـالفاء ـ و « مضمنـون الأجداث » مجعـولون في ضمنهـا ، والرفـات : الحـطام ، ويقال : رفتـه ـ كنصر وضرب ـ أي : كسره ودقه ، أي فتـه بيـده كـما يفت المدر والعظم البالي ، و « مبعوثون أفراداً » أي : كل يسأل عن نفسه ، لا يلتفت لرابطة تجمعه مع غيره ، و « مدينون » أي : مجزيون ، والدين : الجزاء ، قال : ﴿ مالك يـوم الدين ﴾ ، و « مميزون حساباً » كـل يحاسب عـلى عمله منفصلاً عمن سـواه : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

(١) المخـرج : المخلص من ربقة المعصيـة بالتـوبة والانـابـة المخلصـة ، والمنهج : الـطريق الـواضحة التي دلت عليهـا الشريعة المـطهرة والمستعتب : المسـترضي ، ويقـال أيضـاً : « استعتبـه » إذا أناله العتبى ، وهي : الرضا ، وإنما ضرب المثل بمهل المستعتب لأنـك إذا استرضيت شخصاً وطلبت منه أن يرضى فلا ترهقه في المطالبـة ، بل تفسـح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه . أي : إن الله أفسح لهم في الآجال حتى يتمكنوا من إرضائـه ، وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتبى ـ أي : الرضا ـ لو أحسن العمل : استعتبه : أناله العتبى ، فهو المستعتب ، والمفعول مستعتب .

(٢) السدف : جمع سدفة ـ بالفتح ـ وهي : الظلمة ، والـريب : جمع ريبـة . وهي الشبهة وإبهام الأمر ، وكشف ذلك بما أتى من البراهين الواضحة .

(٣) خلوا : تـركوا في مجـال يتسابقـون فيه إلى الخـيرات . والجيـاد من الخيـل : كـرامهـا ، والمضمار : المكان الـذي تضمر فيـه الخيل ، والمـدة التي تضمر فيهـا أيضـاً ، والـروية : إعمال الفكر في الأمر ليأتي على أسلم وجوهه . الارتياد هنا : طلب ما يراد .

(٤) الأناة : الانتظار والتؤدة ، والمقتبس : المرتاد ، أي : الـذي أخذ بيـده مصباحـاً ليرتـاد =

صَائِبَةً ، وَمَواعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَآرَاءً عَازِمَةً ، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً ، فَاتَّقُوا تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ(١) وَوَجِلَ فَعَمِلَ ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ(٢) ، وَرَجَعَ فَتَابَ ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى ، وَأُرِيَ فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِباً ، وَنَجَا هَارِباً ، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً(٣) ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَاداً ، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً(٤) لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ ، وَحَالِ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ(٥) ، وَاحْذَرُوا

= على ضوئه شيئاً غاب عنه، ومثل هذا يتأنىٰ في حركته خوف أن يطفأ مصباحه، وخشية أن يفوته في بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع ، فلذا ضرب المثل به . والمضطرب : مدة الاضطراب . أي : الحركة في العمل .

(١) اقترف : اكتسب ، ومثله « قرف يقرف لعياله » أي : كسب يكسب وفي التنزيل : ﴿ وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾ وقال صاحب اللسان : واقترف المال اقتناه . واقترف الذنب أتاه . ووجل خاف ، وجلا وموجلاً ـ بفتح الميم والجيم ـ وبادر سارع ، وعبر ـ مبني للمجهول مشدد الباء ـ أي : عرضت عليه العبر مراراً كثيرة فاعتبر ، أي : اتعظ ، وحذر ـ مبني للمجهول أيضاً ـ أي : خوف من عواقب الخطايا فازدجر ، أي امتنع عنها . ويروي « وحذر فحذر ، وزجر فازدجر » .

(٢) أجاب داعي الله إلى طاعته فأناب إليه ؛ أي : رجع ، و « احتذى » شاكل بين عمله وعمل مقتداه ؛ أي : أحسن القدوة ، و « أرى ـ بضم الهمزة مبني للمجهول أي : أرته الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية ، فرأى ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل .

(٣) أفاد الذخيرة : استفادها واقتناها ، وهو من الاضداد .

(٤) « استظهر زادا » حمل زادا حمله ظهر راحلته إلى الآخرة ، والكلام تمثيل ، ووجه السبيل : المقصد الذي يركب السبيل لأجله .

(٥) الجهة ـ مثلثة ـ الناحية والجانب ، وهو ظرف متعلق بحال من ضمير « اتقوا » أي : متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم ، الباقي أثره لأخلافكم .

مِنْهُ كُنْهَ مَـا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِـهِ (١) وَٱسْتَحِقُّوا مِنْـهُ مَا أَعَـدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّـزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ (٢) وَٱلْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

ومنها: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَـا وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوا عَنْ عَشَـاهَا (٣) ، وَأَشْـلَاءً جَامِعَـةً لِأَعْضَائِهَـا مُلَائِمَـةً لِأَحْنَائِهَـا (٤) : فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا ، وَمَدَدِ عُمُرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِـأَرْفَاقِهَـا (٥) وَقُلُوبٍ رَائِـدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِـهِ (٦) وَمَوجِبَـاتِ مِنَنِهِ ، وَحَـوَاجِزِ عَافِيَتِهِ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ

---

(١) حـذرنا من نفسـه سبحانـه أن نتعرض لما يغضبه بمخالفة أوامـره ونواهيـه ؛ و « كنـه ذلـك » : غايتـه ونهايتـه ، أي : احـذروا نهايـة مـا حـذركم ، ولا تقعـوا في شيء مما يغضبه . وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هـو البحث عن كنهه ؛ وحقيقتـه ، فيأمـرنا الإمام بالتقوى والبعد عن البحث في حقيقته وكنهه ؛ فان الوصول إلى كنه ذاته محال .

(٢) « تنجز الوعد » طلب وفائه على عجل وتنجز ما وعد الله إنما يكون بـالعمل لـه ، وبهذا التنجز العملي يستحق ما أعد الله للصالحين ، والحذر معطوف على التنجز .

(٣) عنـاها : أهمهـا ، وتعيه : تحفـظه ، وتجلو : من « جـلا عن المكـان » إذا فـارقـه أي : تخلص من عماها ، أي : لتبصر ، ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الأبصـار حركـة إلى نـافع ؛ وانقبـاضاً عن ضـار ، والأشلاء : جمع شلو ـ بـالكسر ـ وهـو الجسـد ، أو العضو ، وعلى الثاني يكون المعنى أن كل عضو فيه أعضاء : باطنة أو صغيرة .

(٤) الأحناء جمع حنو ـ بالكسر ـ : وهـو كل مـا اعوج من البـدن ، وملاءمة الأعضاء لهـا ؛ تنـاسبها معهـا ، وقد يـراد من الأحناء : الجهـات والجوانب ؛ و « مـلاءمـة » حـال من الأعضاء وملاءمة الأعضاء للجهات التي وضعت فيها : أن يكون العضو في تلك الجهـة أنفع منه في غيرها : فتكون العين في مـوضعها المعـروف أنفع من كـونها في قمة الـرأس مثـلاً . وقولـه « تركيب صـورها » أي : آتيـة في صورهـا المركبـة ، كما تقـول ركب في سلاحه ، أي : متسلحاً .

(٥) الأرفـاق جمع رفق ـ بـالكسر ـ : المنفعة ، أو مـا يستعان بـه عليها ، و « رائـدة » أي : طالبة .

(٦) مجللات ـ على صيغة اسم الفاعل ـ من « جلله » بمعنى غـطاه ، أي : عامـرات نعمه ، يقولون : سحاب مجلل ، أي : يطبق الأرض .

ٱلْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ أَرْهَقَتْهُمُ ٱلْمَنَايَا دُونَ ٱلْآمَالِ ، وَشَذَّ بِهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ ٱلْآجَالِ ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ ٱلْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ ٱلْأَوَانِ(١) ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ ٱلشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ ٱلْهَرَمِ ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ ٱلصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ ٱلسَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ ٱلْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ ٱلْفَنَاءِ(٢) مَعَ قُرْبِ ٱلزِّيَالِ (٣) وَأُزُوفِ ٱلِانْتِقَالِ ، وَعَلَزِ ٱلْقَلَقِ ، وَأَلَمِ ٱلْمَضَضِ ، وَغُصَصِ ٱلْجَرَضِ ، وَتَلَفُّتِ ٱلِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ ٱلْحَفَدَةِ وَٱلْأَقْرِبَاءِ وَٱلْأَعِزَّةِ وَٱلْقُرَنَاءِ ، فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتِ ٱلنَّوَاحِبُ(٤) وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ رَهِيناً(٥) وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً ، قَدْ هَتَكَتِ ٱلْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ(٦) وَأَبْلَتِ ٱلنَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ ، وَعَفَتِ ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا ٱلْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ(٧) وَصَارَتِ

---

(١) الخلاق : النصيب الوافر من الخير ، والخناق ـ بالفتح ـ : حبل يخنق به ، وبالضم : داء يمتنع معه نفوذ النفس . وأرهقتهم : أعجلتهم : وأنف ـ بضمتين ـ يقال : أمر أنف ، أي مستأنف لم يسبق به قدر . والأنف أيضاً : المشية الحسنة ، وتقدير الكلام : خلف لكم عبراً من القرون الماضية : منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم ، ومنها فسحة خناقهم وطول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة .

(٢) البضاضة : رخص الجلد ورقته وامتلاؤه . والغضارة : النعمة والسعة والخصب .

(٣) الزيال : مصدر زايلة مزايلة وزيالاً ، أي : فارقه .

(٤) الأزوف : الدنو والقرب ، والعلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر . والمضض : بلوغ الحزن من القلب ، والجرض : الريق ، والحفدة : البنات وأولاد الأولاد والأصهار .

(٥) غودر : ترك ، وبقي ، ورهيناً : حبيساً .

(٦) هتكت : جذبت جلدته فقطعتها ، والهوام : الحيات وكل ذي سم يقتل .

(٧) النواهك : من قولهم « نهكه السلطان » إذا بالغ في عقوبته ، و « عفت » أي : محت ، والعواصف : الرياح الشديدة ، والمعالم : جمع معلم ، وهو ما يستدل به .

ٱلْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا ، وَٱلْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا(١) وَٱلْأَرْوَاحُ مُرْتَهِنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا(٢) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّءِ زَلَلِهَا(٣) أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَٱلْأَقْرِبَاءَ ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ(٤) وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ! كَأَنَّ ٱلْمَعْنِيَّ سِوَاهَا(٥) وَكَأَنَّ ٱلرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى ٱلصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ(٦) فَاتَّقُوا ٱللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ ٱلتَّفَكُّرُ

---

(١) الشحبة ـ بفتح فكسر ـ ، أي : الهالكة ؛ تقول شحب الرجل يشحب ـ مثل علم يعلم ـ إذا هلك ، وفيه لغة أخرى من باب نصر ، وتقول : شحبه الله يشحبه ، يتعدى ويلزم ، البضة هنا : الواحدة من البض ؛ وهو : مصدر بض الماء إذا ترشح قليلاً قليلاً ، أي : بعد امتلائها حتى كأن الماء يترشح منها ، ونخرة : بالية .

(٢) الأعباء : الأثقال ، جمع عبء ، أي : حمل ، وموقنة بغيب أنبائها ، أي : منكشفاً لها ما كان غائباً عنها من أخبارها ، وما أعد لها في الآخرة .

(٣) « لا تستزاد ـ الخ » أي : لا يطلب منها زيادة العمل ، فانه لا عمل بعد الموت ، « ولا تستعتب» مبني للمفعول ـ أي: لا يطلب منها تقديم العتبى، أي: التوبة من العمل القبيح ، أو مبني للفاعل ، أي : يمكنها أن تطلب الرضا والاقالة من خطئها السيىء .

(٤) القدة ـ بكسر فتشديد ـ الطريقة ، و« وتطأون جادتهم » تسيرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء ، أي : يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت .

(٥) « كأن المعني » أي : المقصود بالتكاليف الشرعية ، والموجه إليه التحذير والتبشير ، غيرها . وقوله « كأن الرشد ـ الخ » أي : مع أن الرشد لم ينحصر في هذا ، بل الرشد كل الرشد إحراز الآخرة لا الدنيا .

(٦) « أن مجازكم ـ الخ » أنكم تجوزون على الصراط مع ما فيه من مزالق الدحض ، والدحض : هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار ، والزلل . هو انزلاق القدم ، والتارات : النوب والدفعات .

عُلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ ٱلْخَوْفُ بَدَنَهُ(١) ، وَأَسْهَرَ ٱلتَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ ٱلرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ ٱلزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وَأَرْجَفَ ٱلذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ ٱلْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ ٱلْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ ٱلسَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ ٱلْمَسَالِكِ إِلَى ٱلنَّهْجِ ٱلْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ ٱلْغُرُورِ(٢) وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ ٱلْأُمُورِ ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرَى ، وَرَاحَةِ ٱلنُّعْمَى(٣) فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمَنِ يَوْمِهِ ، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعَاجِلَةِ حَمِيداً(٤) وَقَدَّمَ زَادَ ٱلْآجِلَةِ سَعِيداً ، وَبَادَرَ

---

(١) « أنصب الخوف بدنه » أتعبه .

(٢) والغرار ـ بالكسر ـ : القليل من النوم وغيره، و « أسهره التهجد » أي : أزال قيام الليل نومه القليل ، فأذهبه بالمرة . و « أظمأ الرجاء ـ الخ » أي : أظمأ نفسه في هاجرة اليوم ، والمعنى : صام رجاء الثواب . و « ظلف الزهد ـ الخ » أي : منعها وظلف : منع ، و « أرجف الذكر » تقول : « أرجف به » أي : حركه . ويروى « أوجف » بالواو ـ أي : أسرع ، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها ، و « إبان الشيء » بكسر فتشديد ـ وقته الذي يلزم ظهوره فيه أي : إنه خاف في الوقت الذي ينفع فيه الخوف ، ويروى « لأمانه » أي : خاف في الدنيا ليأمن في الآخرة ، و « تنكب الشيء » مال عنه ، والمخالج : الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه ، والوضح ـ محركة ـ الجادة ، و « عن وضح متعلق » بالمخالج ، أي : تنكب المائلات عن الجادة ، وأقصد المسالك : أقومها . ولم«تفتله الخ » أي : لم ترده ولم تصرفه ، و « لم تعم عليه » أي : لم تخف عليه الأمور المشتبهة حتى يقع فيها بحذر على غير بصيرة .

(٣) النعمى ـ بالضم ـ : سعة العيش ونعيمه « ظافراً » حال من الضمائر السابقة العائدة على « ذي لب » ، و « في أنعم » متعلق براحة النعمى ، وجعل اتصافه بتلك الأوصاف في حال الظفر تمثيلاً لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها إياها .

(٤) العاجلة : الدنيا ، وسميت معبراً لأنها طريق يعبر منها إلى الآخرة ، وهي الآجلة . « بادر من وجل » أي : سبق إلى خير الأعمال خوفاً من لقاء الأهوال و«أكمش» أسرع ، ومثله أنكمش ، وكمشته تكميشاً : أعجلته ، والمراد جد السير في مهلة الحياة .

مِنْ وَجَـلٍ ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَـلٍ ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ(١) وَرَاقَبَ فِـي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ(٢) فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَـوَابـاً وَنَـوَالاً ، وَكَفَى بِـالنَّـارِ عِقَـابـاً وَوَبَـالاً ، وَكَفَى بِـالله مُنْتَقِمـاً وَنَصِيراً ، وَكَفَى بِالْكِتَـابِ حَجِيجاً وَخَصِيمـاً(٣) أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ ، وَٱحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ(٤) وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي ٱلصُّـدُورِ خَفِيًّـا ، وَنَفَثَ فِي ٱلْآذَانِ نَجِيًّـا(٥) فَـأَضَـلَّ وَأَرْدَى وَوَعَـدَ فَمَنَّى ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ ٱلْجَرَائِمِ ، وَهَـوَّنَ مُوبِقَـاتِ ٱلْعَظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا ٱسْتَـدْرَجَ قَـرِينَتَـهُ(٦) ، وَٱسْتَغْلَقَ رَهِينَتَـهُ ؛ أَنْكَـرَ مَـا زَيَّنَ(٧) ؛ وَٱسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

---

(١) أي : رغب فيما ينبغي طلبه ، وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه .

(٢) القدم ـ بفتحتين ـ السابق ، أي : نظر إلى ما يتقدم أمامه من الأعمال ويروي قدماً ـ بضمتين ـ وهو المضي إلى أمام ، أي : مضى متقدماً .

(٣) الكتاب : القرآن ، و«حجيجاً وخصيماً» أي مقنعاً لمن خالفه بأنه قد جلب الهلاك على نفسه ، وقد يراد من الكتاب ما أحصى من الأعمال على العامل إذا عرض عليه يوم الحساب .

(٤) أعذر بما أنذر ، « ما » مصدرية ، أعذر : أي سلب عذر المعتذر بانذاره إياه بعواقب العمل ، وقامت له الحجة على الضالين بما نهج ووضح من طرق الخير والفضيلة .

(٥) ذلك العدو هو الشيطان ، و« نفذ في الصدور ـ الخ » : تمثيل لدقة مجاري وسوسته في الأنفس ؛ فهو فيما يسوله يجري مجرى الأنفاس ، ويسلك بما يأتي من مسالك الأصدقاء كأنه نجي يسارك ، وينفث في أذنك بما تظنه خيراً لك ، وأردى أهلك ، و« وعد فمنى » صور الأماني كذباً .

(٦) القرينة : النفس التي يقارنها بالوسوسة ، واستدرجها : أنزلها من درجة الرشد إلى درجته من الضلالة ، واستغلق الرهن : جعله بحيث لا يمكن تخليصه .

(٧) « أنكر ـ الخ » بيان لعمل الشيطان وبراءته ممن أغواه عندما تحق كلمة العذاب .

ومنها في صفة خلق الانسان :

أَمْ هٰذَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ[1] وَشُغُفِ ٱلْأَسْتَارِ ؛ نُطْفَةً دِهَاقاً[2] وَعَلَقَةً مُحَاقاً ، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً ، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، وبصراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرُ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذَا قَامَ ٱعْتِدَالُهُ، وَٱسْتَوَى مِثَالُهِ[3] نَفَرَ مُسْتَكْبِراً ، وَخَبَطَ سَادِراً[4] مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ[5] كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[6] وَلَا

---

(١) « أم » بمعنى بل الانتقالية ، بعد ما بين وصف الشيطان انتقل لبيان صفة الإنسان . و « شغف الأستار » : جمع شغاف ـ مثل سحاب وسحب ـ وهو في الأصل غلاف القلب ، استعاره للمشيمة .

(٢) دهاقاً : متتابعاً « دهقها » أي : صبها بقوة . وقد تفسر الدهاق بالممتلئة ، أي : ممتلئة من جراثيم الحياة ، و « علقة محاقاً » أي : خفي فيها ومحق كل شكل وصورته ، والجنين : الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه ، واليافع : الغلام راهق العشرين ، وأصل اليافع المرتفع ، ويقال : أيفع فهو يافع ، وهو من النوادر ، ومثله أمحلت الأرض فهي ماحل ، ويقصر : يكف عن الرذائل ممتنعاً عنها بالعقل والروية .

(٣) « استوى مثاله » أي : بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو .

(٤) خبط البعير : إذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئاً ، والسادر : المتحير والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٥) متح الماء : نزعه وهو في أعلى البئر ، والماتح الذي ينزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو ، والغرب : الدلو العظيمة ، أي : لا يستقي إلا من الهوى ، والكدح : شدة السعي ، والبدوات : جمع بدأة وهي ما بدا من الرأي ، أي : ذاهباً فيما يبدو له من رغائبه ، غير متقيد بشريعة ، ولا ملتزم حدود فضيلة .

(٦) « ولا يحتسب رزية » أي : لا يظنها ، ولا يفكر في وقوعها ، ولا يخشع من التقية والخوف من الله تعالى ، وغريراً ـ براءين مهملتين ـ أي : مغروراً ، ويروى « عزيزاً » ـ بمعجمتين ـ أي : شاباً ، وهي رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم و « عاش في =

يَخْشَعُ تَقِيَّةً ، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً ، لَمْ يُفِدْ[1] عِوَضاً ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً . دَهِمَتْهُ[2] فَجَعَاتُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، فَظَلَّ سَادِراً[3] وَبَاتَ سَاهِراً ، فِي غَمَرَاتِ ٱلْآلَامِ وَطَوَارِقِ ٱلْأَوْجَاعِ وَٱلْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً ، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً[4] وَٱلْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ ، مُلْهِيَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[5] وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً[6] وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى ٱلْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ[7] وَنِضْوَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ ٱلْوِلْدَانِ[8] وَحَشَدَةُ ٱلْإِخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعِ

= هفوته ـ الخ » : عاش في أخطائه وخطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب زمناً يسيراً ؛ وهو مدة الأجل . ويروى « أسيراً » .

(1) « لم يفد » أي : لم يستفد ثواباً .

(2) دهمته : غشيته ، وغبر ـ بضم فتشديد ـ جمع غابر ، أي : باق ، أي : في بقايا تعنته على الحق ، وعدم انقياده له ، والسنن : الطريقة ، والمرح : شدة الفرح والبطر .

(3) « ظل سادراً » أي : حائراً ، وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية ، وهي عوارض الأمراض المهلكة التي تفضي إلى الموت .

(4) اللادمة : الضاربة .

(5) الغمرة : الشدة تحيط بالعقل والحواس ، والكارثة القاطعة للآمال ، أو من « كربه الغم » إذا اشتد عليه ، والأنة ـ بفتح فتشديد ـ الواحدة من الأن ، أي : التوجع ، و « جذبة مكربة » أي : جذبات الأنفاس عند الاحتضار ، والسوقة : من ساق المريض نفسه عند الموت سوقاً وسياقاً ، وسيق ـ على المجهول ـ أسرع في نزع الروح .

(6) أبلس يبلس : يئس ، فهو مبلس ، و « سلساً » أي : سهلاً لعدم قدرته على الممانعة .

(7) الرجيع من الدواب : ما رجع به من سفر إلى سفر فكل ، والوصب : التعب ، ونضو ـ بالكسر ـ مهزول .

(8) الحفدة : الأعوان ، والحشدة : المسارعون في التعاون .

زَوْرَتِهِ[1] حَتَّى إِذَا ٱنْصَرَفَ ٱلْمُشَيِّعُ ، وَرَجَعَ ٱلْمُتَفَجِّعُ ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ ٱلسُّؤَالِ ، وَعَثْرَةِ[2] ٱلْامْتِحَانِ ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ ٱلْحَمِيمِ[3] ، وَتَصْلِيَةُ ٱلْجَحِيمِ ، وَفَوْرَاتُ ٱلسَّعِيرِ ، وَسَوْرَاتُ ٱلزَّفِيرِ ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ[4] وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ ، بَيْنَ أَطْوَارِ ٱلْمَوْتَاتِ[5] وَعَذَابِ ٱلسَّاعَاتِ ! إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ .

عِبَادَ ٱللَّهِ ، أَيْنَ ٱلَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا[6] وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا ، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا[7] وَسُلِّمُوا فَنَسُوا[8] ؟ أُمْهِلُوا طَوِيلًا ، وَمُنِحُوا جَمِيلًا ، وَحُذِّرُوا أَلِيماً ، وَوُعِدُوا جَسِيماً ! ٱحْذَرُوا ٱلذُّنُوبَ

---

(١) منقطع الزورة : حيث لا يزار .

(٢) النجي : من تحادثه سراً ، والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكلمين له ، وبهته السؤال ؛ حيّره .

(٣) الحميم في الأصل : الماء الحار ، والتصلية الاحراق . والمراد هنا دخول جهنم ، والسورة : الشدة ، والزفير ؛ صوت النار عند توقدها .

(٤) الفترة : السكون ، لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم ، ولا تكون دعة ـ أي : راحة ـ حتى تزيح ما أصابه من التعب ، وليست له قوة تحجز عنه ، وترد غواشي العذاب ، ولا بموته يجد موتة حاضرة تذهب باحساسه عن الشعور ، بتلك الآلام ، والناجز : الحاضر ، والسنة بالكسر والتخفيف ـ أوائل النوم ، مسلية ملهية عن الألم .

(٥) « أطوار الموتات ـ الخ » كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها ، وأطوار هذه الموتات : ألوانها ، وأنواعها .

(٦) « عمروا ـ الخ » عاشوا فتنعموا .

(٧) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل ، وذلك بعد أن علموا ففهموا ، وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة ، ويضيعوا الفرصة .

(٨) سلمت عاقباتهم وأرزاقهم فنسوا نعمة الله في السلامة .

ٱلْمُورِّطَةَ ، وَٱلْعُيُوبَ ٱلْمُسْخِطَةَ(١) .

أُولِي ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ ، وَٱلْعَافِيَةِ وَٱلْمَتَاعِ ، هل مِنْ مَنَاصٍ ، أَوْ خَلَاص ، أَوْ مَعَاذٍ ، أَوْ مَلَاذٍ ، أَوْ فِرَارٍ ، أَوْ مَحَارٍ(٢) ؟ أَمْ لَا ؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(٣) ! أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَٱلْعَرْضِ قِيدُ قَدِّهِ(٤) مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ . ٱلْآنَ عِبَادَ ٱللَّهِ وَٱلْخَنَاقُ مُهْمَلٌ(٥) وَٱلرُّوحُ مُرْسَلٌ ؛ فِي فَيْنَةِ ٱلْإِرْشَادِ(٦) وَرَاحَةِ ٱلْأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ ٱلِاحْتِشَادِ(٧) وَمَهَلِ ٱلْبَقِيَّةِ ، وَأُنُفِ ٱلْمَشِيَّةِ(٨) وَإِنْظَارِ ٱلتَّوْبَةِ ، وَٱنْفِسَاحِ ٱلْحَوْبَةِ(٩) قَبْلَ ٱلضَّنْكِ وَٱلْمَضِيقِ ، وَٱلرَّوْعِ وَٱلزُّهُوقِ(١٠) وَقَبْلَ قُدُومِ ٱلْغَائِبِ ٱلْمُنْتَظَرِ(١١) وَأَخْذَةِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُقْتَدِرِ .

---

(١) المورطة : المهلكة .

(٢) « محار » أي : مرجع إلى الدنيا بعد فراقها .

(٣) تؤفكون : تقلبون ، أي : تنقلبون .

(٤) قيد قده ـ بكسر القاف وفتحها من الثاني ـ مقدار طوله ، يريد مضجعه من القبر .

(٥) الخناق: الحبل الذي يخنق به ، وإهماله : عدم شده على العنق مدى الحياة ، أي : وأنتم في قدرة من العمل وسعة من الأمل .

(٦) الفينة ـ بالفتح ـ الحال والساعة والوقت ويروى « فينة الارتياد » بمعنى الطلب .

(٧) باحة الدار : ساحتها ، والاحتشاد : الاجتماع ، أي : أنتم في ساعة يسهل عليكم فيها التعاون على البر بالاجتماع بعضكم إلى بعض .

(٨) أنف ـ بضمتين ـ مستأنف المشيئة ، أي : لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة لأمكنكم .

(٩) الحوبة : الحالة أو الحاجة .

(١٠) الروع : الخوف ، والزهوق الاضمحلال .

(١١) الغائب المنتظر : الموت .

قال الشريف : وفي الخبرِ أنّهُ لمّا خطبَ بهذهِ الخطبةِ اقشعرَّتْ لها الجلودُ ، وبكتِ ٱلعيونُ ، ورجفتِ ٱلقلوبُ . ومن النَّاسِ مِن يُسمّي هذه الخطبةَ : « الغَرّاء » .

٨٣ ومن كلام له عليه السلام

في ذكر عمرو بن العاص

عَجِبْنَا لِابْنِ ٱلنَّابِغَةِ(١) يَزْعُمُ لِأَهْلِ ٱلشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً(٢) وَأَنِّي ٱمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ : أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ(٣) لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً ، وَنَطَقَ آثِماً . أَمَا وَشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٤) وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ ، وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ ٱلْإِلَّ(٥) فَإِذَا كَانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَا لَمْ تَأْخُذِ ٱلسُّيُوفُ مَآخِذَهَا(٦) فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ ٱلْقِرْمَ

---

(١) النابغة : المشهورة فيما لا يليق بالنساء ، من «نبغ » إذا ظهر .

(٢) الدعابة ـ بالضم ـ المزاح واللعب ، وتلعابه ـ بالكسر ـ كثير اللعب .

(٣) أعافس : أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً ، ويقال : المعافسة : معالجة النساء بالمغازلة ، والممارسة كالمعافسة .

(٤) « فيلحف » أي : يلح و « يسأل » ها هنا مبني للفاعل و « يسأل » في الجملة بعدها مبني للمفعول .

(٥) الال ـ بالكسر ـ القرابة ، والمراد أنه يقطع الرحم .

(٦) أي : إنه في الحرب زاجر وآمر عظيم ، أي : محرض حاث ، ما لم تأخذ السيوف مآخذها ؛ فعند ذلك يجبن كما قال « فإذا كان ذلك الخ » .

سُبَّتَهُ[1] أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحَقِّ نِسْيَانُ ٱلْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً ، وَيَرْضَخَ له عَلَى تَرْكِ ٱلدِّينِ رَضِيخَةً[2] .

٨٣ ومن خطبة له عليه السلام

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : ٱلْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَٱلْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ ٱلْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تُعْقَدُ ٱلْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ[3] وَلَا تَنَالُهُ ٱلتَّجْزِئَةُ وَٱلتَّبْعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَٱلْقُلُوبُ .

ومنها: فَٱتَّعِظُوا عِبَادَ ٱللَّهِ بِٱلْعِبَرِ ٱلنَّوَافِعِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِالْآيِ ٱلسَّوَاطِعِ[4] وَٱزْدَجِرُوا بِٱلنُّذُرِ ٱلْبَوَالِغِ[5] وَٱنْتَفِعُوا بِٱلذِّكْرِ وَٱلْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ ٱلْمَنِيَّةِ ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ ٱلْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ ٱلْأُمُورِ[6] وَٱلسِّيَاقَةُ إِلَى ٱلْوِرْدِ

---

(١) السبة ـ بالضم ـ الاست . تقريع له بفعلته عندما نازل أمير المؤمنين في واقعة صفين ، فصال عليه وكاد يضرب عنقه ، فكشف عورته ، فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه .

(٢) الأتية : العطية ، ورضخ له : أعطاه قليلاً ، والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر .

(٣) تقعد : مجاز عن استقرار حكمها ، أي : ليست له كيفية فتحكم بها .

(٤) الآي : جمع آية ، وهي الدليل . والسواطع : الظاهرة الدلالة .

(٥) البوالغ : جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط . والنذر : جمع نذير ، بمعنى الإنذار ، أو المخوف ، والمراد إنذار المنذرين .

(٦) المفظعات : من « أفظع الأمر » إذا اشتد ، ويقال : أفظع الرجل ـ مبنياً للمجهول ـ إذا نزلت به الشدة .

ٱلْمَـوْرُودِ[1] فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَـا سَائِقٌ وَشَهِيـدٌ : سَـائِقٌ يَسُـوقُهَـا إِلَى مَحْشَرِهَا ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

ومنها في صفة الجنة :

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا[2] ،

٨٤ ومن خطبة له عليه السلام

قَدْ عَلِمَ ٱلسَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ ٱلضَّمَائِرَ ، لَهُ ٱلإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَٱلْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَٱلْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّـامِ مَهَـلِهِ قَبْـلَ إِرْهَـاقِ أَجَلِهِ[3] ، وَفِي فَـرَاغِـهِ قَبْـلَ أَوَانِ شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفَّسِـهِ قَبْـلَ أَنْ يُؤْخَـذَ بِكَـظَمِـهِ[4] وَلْيُمَهِّـدْ لِنَفْسِـهِ

---

(١) الورد - بالكسر - الأصل فيه الماء يورد به الموت أو المحشر .

(٢) بئس - كسمع - اشتدت حاجته .

(٣) المهل - بفتحتين - المهلة والتؤدة ، والارهاق : مصدر « أرهق الرجل » تقول : « أرهقه قرنه في الحرب » إذا غشيه ليقتله ، ومعنى « إرهـاق الأجل » : أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاته من العمـل ، أي : يحول بينه وبينه والكلام من أول قولـه « فليعمـل العامل » إلى قوله « لدار إقامته » مأخوذ من قول رسـول الله ﷺ في خطبتـه المشهورة ، وهي أيها الناس ، إن لكم معالم فـانتهـوا إلى معالمكم ، وإن لكم غـايـة فـانتهـوا إلى غايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، وأجـل قـد بقي لا يدري مـا الله قـاض فيـه ، فليـأخـذ العبـد من نفسـه لنفسـه ، ومن دنيـاه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت ، فـوالـذي نـفس محمـد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار » .

(٤) « في متنفسـه » أي : في سعـة وقتـه ، يقـال : « أنت في متنفس من أمـرك » أي : في=

وَقُدُومِهِ ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ فَاللَّهَ اللَّهَ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللهَ ، سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلاَ عَمىً : قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ(١) وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً(٢) حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ ، عَلَى لِسَانِهِ ، مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ(٣) وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ(٤) ؛ فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ ، وَلاَ تُرَخِّصُوا لأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ(٥)

= سعة . والكظم - بالتحريك - الحلق ، أو مخرجُ النفس ، والأخذ بالكظم : كناية عن التضييق عند مداركة الأجل .

(١) بين لكم أعمالكم وحددها .

(٢) عمر نبيه : مد في أجله .

(٣) محابه : مواضع حبه ، وهي الأعمال الصالحة .

(٤) « اصبروا أنفسكم » اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ ويقال : « صبر فلان نفسه على كذا » أي حبسها عليه ، يتعدى فينصب بنفسه .

(٥) الظلمة : جمع ظالم ، وقد نهى عن الأخذ برخص المذاهب لأنه لا يجوز للواحد من العامة أن يقلد كلا من أنفسكم في ترك تشديد المعصية ، ولا تسامحوها وترخصوا لها في ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر ؛ لأن من مرن على =

وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُم(١) ٱلْإِدْهَانُ عَلَى ٱلْمُصِيبَةِ . عِبَادَ ٱللَّهِ ، إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنْ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ، وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ(٢) وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ(٣) وَٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ(٤) وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ(٥) وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ . جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ ، ٱلصَّادِقُ عَلَى شُرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ ؛ وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ(٦) وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ(٧) فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

= أمر تدرج من صغيرة إلى كبيرة ، فتسوء العاقبة ، وتقعوا فيما وقع فيه الظلمة من قبلكم .

(١) المداهنة : النفاق ، والمصانعة : إظهار خلاف ما في الطوية ، والادهان : مثله قال الله تعالى : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .

(٢) المغبون : المخدوع .

(٣) والمغبوط : المستحق لتطلع النفوس إليه ، والرغبة في نيل مثل نعمته .

(٤) الرياء : أن تعمل ليراك الناس ، وقلبك غير راغب فيه .

(٥) « منساة للإيمان » : موضع لنسيانه ، وداعية للذهول عنه ، و« محضرة للشيطان » : مكان لحضوره ، وداع له .

(٦) « فانها » أي : المباغضة « الحالقة » أي الماحية لكل خير وبركة .

(٧) الأمل الذي يذهل العقل وينسى ذكر الله وأوامره ونواهيه : هو استقرار النفس على ما وصلت إليه غير ناظرة إلى تغير الأحوال ولا آخذة بالحزم في الأعمال .

٨٥ ومن خطبة له عليه السلام

عِبَادَ ٱللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَٱسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ ، وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ(١) ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ بِهِ(٢) ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ(٣) : نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ(٤) ، وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سَهُلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً(٥) ، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً(٦) ، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ(٧) فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ ٱلْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ

---

(١) استشعر : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من اللباس ، وتجلبب : لبس الجلباب ، وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، والحزن : العجز عن الوفاء بالواجب ، وهو قلبي لا يظهر له أثر في العمل الظاهر . أما الخوف فيظهر أثره في البعد عما يغضب الله ، والمبادرة للعمل فيما يرضيه ، وذلك أثر ظاهر ، وزهر مصباح الهدى : تلألأ وأضاء .

(٢) القرى ـ بالكسر ـ : ما يهيأ للضيف ، وهو هنا العمل الصالح يهيئه للقاء الموت وحلول الأجل .

(٣) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية ، والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية ، وذلك هو الشديد .

(٤) ذكر الله فاستكثر من العمل في رضاه ، والعذب والفرات: مترادفان .

(٥) النهل : أو الشرب ، والمراد أخذ حظاً لا يحتاج معه إلى العمل ، وهو الشرب الثاني ، وقال ابن أبي الحديد : « يجوز أن يكون أراد بقوله نهلاً المصدر من نهل ينهل نهلاً ـ مثل طرب يطرب طرباً ـ أي : شرب حتى روي ، ويجوز أن يريد بالنهل الشرب الأول خاصة ، ويريد أنه اكتفى بما شربه أولاً فلم يحتج إلى العلل » أو ببعض إيضاح .

(٦) الجدد ـ بالتحريك ـ : الأرض الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ، ومثلها يسهل السير فيه .

(٧) الهم الواحد : هو هم الوقوف عند حدود الشريعة .

ٱلْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ ٱلْهُدَى ومَغَالِيقِ أَبْوَابِ ٱلرَّدَى ، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ(١) ، وٱسْتَمْسَكَ مِنَ ٱلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ ٱلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ : قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ للّٰهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ فِي أَرْفَعِ ٱلأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ(٢) مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ(٣) ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ(٤) ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ : قَدْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ فَٱسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ ، قَد أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ ٱلْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلاَّ أَمَّهَا(٥) ، وَلَا مَظِنَّةً إِلاَّ قَصَدَهَا(٦) ، قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ(٧) فَهُوَ قَائِدُهُ

---

(١) جمع غمر ـ بالفتح ـ وهو معظم البحر ، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة .

(٢) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق سر الله في ذلك ، فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه ، ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله .

(٣) عشاوات : جمع عشاوة ، وهي سوء البصر أو العمى ، أي : إنه يكشف عن ذوي العشاوات عشاواتهم . ويروى « عشوات » : جمع عشوة ـ بتثليث الأول ـ وهي الأمر الملتبس ، والمعضلات : الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها .

(٤) الفلوات : جمع فلاة ، وهي الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق .

(٥) أمها : قصدها .

(٦) « مظنة » أي : موضع ظن لوجود الفائدة .

(٧) الكتاب : القرآن ، وأمكنه من زمامه : تمثيل لانقياده لأحكامه ، كأنه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء .

وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[1] وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ .

وَآخَرَ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ[2] فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ؛ وَعَطَفَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ، يُؤَمِّنُ[3] مِنَ ٱلْعَظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ يَقُولُ : « أَقِفُ عِنْدَ ٱلشُّبُهَاتِ » وَفِيهَا وَقَعَ ؛ « وَأَعْتَزِلُ ٱلْبِدَعَ » وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلَا بَابَ ٱلْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ ؛ فَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ وَأَنَّي تُؤْفَكُونَ ؟[4] وَٱلْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ! وَٱلْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ! وَٱلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ! فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ[5] بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ ٱلدِّينِ ، وَأَلْسِنَةُ ٱلصِّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ

---

(١) ثقل المسافر ـ محركة ـ : متاعه وحشمه ، وثقل الكتاب : ما يحمل من أوامر ونواه .

(٢) « وآخر ـ الخ » : هذا عبد آخر غير العبد الذي وصفه بالأوصاف السابقة ، يخالف في وصفه وصفه ؛ واقتبس : استفاد . جهائل : جمع جهالة ، ويراد منها هنا تصور الشيء على غيرحقيقته ، ولا يستفاد من الجهال إلا ذلك ، والأضاليل الضلالات ، جمع ضلال على غير قياس ، أو هو جمع أضلولة ، ويقال : لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر ، والضلال ـ بضم فتشديد ـ : جمع ضال .

(٣) « عطف الحق ـ الخ » : حمل الحق على رغباته ، أي : لا يعرف حقاً إلا إياها .

(٤) تؤفكون : تقلبون وتصرفون ـ بالبناء للمجهول ـ والأعلام الدلائل على الحق من معجزات ونحوها ، والمنار : جمع منارة ، والمراد هنا ما أقيم علامة على الخير والشر .

(٥) يتاه بكم : من التيه بمعنى الضلال والحيرة ، وتعمهون : تتحيرون وعترة الرجل : نسله ورهطه .

ٱلْقُرْآنِ(١) وَرِدُوهُمْ وُرُودَ ٱلْهِيمِ ٱلْعِطَاشِ(٢) .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، خُذُوهَا مِنْ خَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينَ صَلَّى ٱللَّه عَلَيْهِ وَعَلى وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ(٣) وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ » فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ(٤) وَٱعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا هُوَ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ(٥) ؟ وَأَتْرُكْ فِيكُمْ ٱلثَّقَلَ ٱلْأَصْغَرَ ، قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ ٱلْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ ٱلْحَلَالِ وَٱلْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ ٱلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي(٦) وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا ٱلرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ٱلْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ ٱلْفِكَرُ .

ومنها: حَتَّى يَظُنَّ ٱلظَّانُّ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ(٧)

---

(١) أي : أحلو عترة النبي من قلوبكم محل القرآن من التعظيم والاحترام ، وإن القلب هو أحسن منازل القرآن .

(٢) هلموا إلى بحار علوّمهم مسرعين كما تسرع الهيم - أي : الابل العطشى - إلى الماء .

(٣) خذوا هذه القضية عنه ، وهي « إنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت » لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور .

(٤) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها ، وأشد الحقائق دقائق .

(٥) الثقل هنا : بمعنى النفيس من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي قال : « تركت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي » أي : النفيسين ، وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر ، وهو القرآن ، وترك الثقل الأصغر - وهو ولداه ، ويقال : عترته - قدوة للناس .

(٦) فرشتكم : بسطت لكم .

(٧) مقصورة عليهم ، مسخرة لهم ، كأنهم شدوها بعقال كالناقة « تمنحهم درها » أي : لبنها .

تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ سَوْطُهَا ، وَلاَ سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ ٱلظَّانُّ لِذٰلِكَ ؛ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ (١) يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَها جُمْلَةً .

٨٦ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ(٢) إِلاَّ بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلاَّ بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلاَءٍ ، وَفِي(٣) دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ، وَمَا ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ! وَمَا(٤) كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلاَ كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ ، فَيَا عَجَبِي ، وَمَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ ، مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ! لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلاَ

---

(١) مجة ـ بضم الميم ـ واحدة المج ـ بضمها أيضاً ـ وهي نقط العسل أي : قطرة عسل تكون في أفواههم كما تكون في فم النحلة يذوقونها زماناً ثم يقذفونها وهذا التفسير أفضل من تفسير المجة ـ بالفتح ـ بالواحدة من مصدر « مج الشراب من فيه » إذا رمى به .

(٢) يقصم : يهلك ، وحد القصم الكسر .

(٣) جبر العظم : طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً ، والأزل ـ بالفتح ـ الشدة .

(٤) العتب ـ بسكون التاء ـ يريد منه عتب الزمان ، مصدر « عتب عليه » إذا وجد عليه ، وإذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقهره ، والأصح أنه بتحريك التاء : إما مفرد بمعنى الأمر الكريه والفساد ، أو جمع عتبة ـ بالتحريك ـ بمعنى الشدة . يقال : « ما في هذا الأمر رتبة ولا عتبة » أي : شدة . أي : إنكم لجديرون أن تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف أمركم وأقل من الخطب العظيم الذي مر بكم ، فكيف بمثل هذه الأمور الجسام فأنتم أجدر أن تعتبروا بها؟؟

يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ(١) يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ ، ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَٱلْمُنْكَرِ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا(٢) ، مَفْزَعُهُمْ فِي ٱلْمُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي ٱلْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرىً ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ .

٨٧ ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلأُمَمِ ، وَٱعْتِزَامٍ مِنَ ٱلْفِتَنِ(٣) ، وَٱنْتِشَارٍ مِنَ ٱلأُمُورِ ، وَتَلَظٍّ مِنَ ٱلْحُرُوبِ(٤) ، وَٱلدُّنْيَا كَاسِفَةُ ٱلنُّورِ، ظَاهِرَةُ ٱلْغُرُورِ ، عَلَى حِينِ ٱصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا(٥) ، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَٱغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا ،

---

(١) ولا يعفون ـ بكسر العين وكسر الفاء ـ « من عففت عن الشيء » إذا كففت عنه .

(٢) أي : يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع إلى دليل بين . أو شريعة واضحة : يثق كل منهم بخواطر نفسه ، كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى ، على ما بها من جهل ونقص .

(٣) الفترة بين الرسل : انقطاع الرسالة والوحي . والهجعة ـ بفتح فسكون ، فهي الهيئة كالجلسة من الجلوس « اعتزام » من قولهم « اعتزم الفرس » إذا مر جامحاً ، أي : وغلبة من الفتن . ويروى « اعترام » بالراء المهملة من العرام ، وهو الشرة ، ويقال : اعترمت الفرس ، إذا سقطت ومالت ، ويروى « اعتراض » بالضاد المعجمة بدل الميم .

(٤) و « تلظ » أي : تلهب وفي التنزيل ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظّى ﴾ .

(٥) هذا وما بعده تمثيل لتغير الدنيا ، وإشرافها على الزوال ، ويأس الناس من التمتع =

قَـدْ دَرَسَتْ مَنَارُ ٱلْهُـدَى ، وَظَهَرَتْ أَعْـلَامُ ٱلـرَّدَى ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَـةٌ لِأَهْلِهَـا(١) عَابِسَـةٌ فِي وَجْـهِ طَـالِبِهَـا ، ثَمَـرُهَـا ٱلْفِتْنَـةُ ، وَطَعَـامُهَـا ٱلْجِيفَةُ ، وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ ، وَدِثَارُهَا ٱلسَّيْفُ(٢) . فَٱعْتَبِرُوا ، عِبَـادَ اللهِ ، وَٱذْكُرُوا تِيكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَـا مُرْتَهَنُـونَ(٣) وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ . وَلَعَمْـرِي مَا تَقَـادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ ٱلْعُهُودُ ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَٱلْقُرُونُ(٤) وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ . وَٱللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ ٱلرَّسُـولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَـا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَـارُ ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِـكَ ٱلْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَـا فِي هٰذَا ٱلـزَّمَانِ . وَٱللَّهِ مَـا بَصُرْتُمْ بَعْـدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِـهِ وَحُرِمُـوهُ وَلَقَدْ نَـزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَـائِلًا

= بها أيام الجاهلية . واغورار الماء : ذهابه ، ويروى « إعوار مائها » بالمهملة ـ من قولهم « فلا عوراء » لا ماء بها .

(١) من « تجهمه » أي : استقبله بوجه كريه .

(٢) « ثمرها الفتنة » أي : ليست لها نتيجة سوى الفتن والجيفة : إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار ، والشعار من الثياب : ما يلي البدن ، والدثار : فوق الشعار . ولما كان الخوف بتقدم السيف كان الخوف شعاراً والسيف دثاراً ، وأيضاً فالخوف باطن والسيف ظاهر .

(٣) « تيك » إشارة إلى سيئات الأعمال وبواطن العقائد ، وقبائح العادات ، و« هم بها مرتهنون » أي : محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذل والضعف .

(٤) الأحقاب : جمع حقب ـ بالضم وبضمتين ـ قيل : ثمانون سنة ، وقيل : أكثر ، وقيل : هو الدهر .

(٥) يريد أن حالهم كحال من سبقهم ، وأن من السابقين من اهتدى بهدى الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه ، ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل . والامام اليوم =

خِطَامُهَا(١) رَخْواً بِطَانُهَا ، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

٨٨ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(٢) ، ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً ؛ إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَلاَ حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ(٣) وَلاَ لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلاَ بَحْرٌ سَاجٍ ، وَلاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلاَ فَجٌّ ذُو ٱعْوِجَاجٍ ، وَلاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ، وَلاَ خَلْقٌ ذُو ٱعْتِمَادٍ : ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ ٱلْخَلْقِ وَوَارِثُهُ(٤) وَإِلٰهُ ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ ، وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ(٥) : يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ

= مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك ، وحال السامعين في المدارك كحال السابقين ، وليسوا هؤلاء مختصين بشيء حرمه أولئك ، ولا عالمين بأمر جهلوه ، « أصفيتم » أي : خصصتم ، مبني للمجهول .

(١) الخطام ـ ككتاب ـ : ما جعل في أنف البعير لينقاد به ، وجولان الخطام : حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود . والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة تأخذ فيهم مآخذها : لا مانع لها ولا مقاوم ، وبطان البعير : حزام يجعل تحت بطنه ، ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط .

(٢) روية : فكر ، وإمعان نظر .

(٣) الأرتاج : جمع رتج ـ بالتحريك ـ وهو الباب العظيم ، والداجي : المظلم ، والساجي : الساكن ، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين والمهاد ـ بزنة كتاب ـ الفراش . والخلق : بمعنى المخلوق « ذو اعتماد » أي : بطش وتصرف بقصد وإرادة .

(٤) مبتدع الخلق : منشئه من العدم المحض ، ووارثه : الباقي بعده .

(٥) دائبان : تثنية دائب ، وهو المجد المجتهد ، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان ، وذلك كما أراد الله سبحانه .

وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ[1] وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[2] وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ ، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَأَهُ ، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ[3] ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا[4] وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ[5] وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا

---

(١) « من الضمير » بيان لما تخفي الصدور ، وذلك أخفى من خائنة الأعين ، وهي : ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل ، وتلك اخفى مما قبلها من الارحام والظهور ، أي : فيها . أو تكون « من » للتبغيض ، أي ؛ الجزء الذي كانوا من أرحام الامهات وظهور الآباء .

(٢) عازه : رام مشاركته في شيء من عزته ، وشاقه : نازعه ، وناوأه : خالفه .

(٣) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض ، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين ؛ إظهاراً لتحقق الجزاء على العمل . قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ .

(٤) يقول : اعتبروا اعمالكم وأنتم مختارون قادرون على استدراك الفارط قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم وأنتم لا تقدرون على استدراك ما يكون قد فرط منكم .

(٥) العنف ـ بضم فسكون ـ ضد الرفق ، ويقال . عنف عليه ، وعنف به ـ من باب كرم فيهما ـ وأصل العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل ، وجمعه عنف ـ وتقول أيضاً : =

وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلاَ وَاعِظٌ[1] .

٨٩ ومن خطبة له عليه السلام

تُعرَفُ بخطبةِ الأشباحِ ، وهيَ من جلائِلِ خُطَبِهِ عليه السَّلامُ ، وكانَ سألهُ سائلٌ أن يصفَ الله حتى كأنَّه يراهُ عِياناً ، فغضبَ عليه السلامُ لذلك .

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لاَ يَفِرُهُ ٱلْمَنعُ وَٱلْجُمُودُ[2] ، وَلاَ يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَٱلْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ ، وَهُوَ ٱلْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ ٱلنِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ ٱلْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ ، عِيَالُهُ ٱلْخَلْقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ ٱلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَٱلطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ ، ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَٱلْآخِرُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ ؛ وَٱلرَّادِعُ أَنَاسِيَّ ٱلْأَبْصَارِ عَنْ

= اعتنفت الأمر ، إذا أخذته بقوة وعنف ، أي : انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا إليه بالعنف الشديد .

(١) « من لم يعن » ـ مبني للمجهول ـ أي : من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره ، ويجوز أن يكون مبنياً للفاعل ، أي : من لم يعن الزواجر على نفسه ، والتذكير والاعتبار ؛ لم تؤثر فيه .

(٢) لا يفره ، لا يزيد ما عنده البخل والجمود ـ وهو أشد البخل ـ ولا يكديه » أي لا يفقره ، ولا ينفد خزائنه ، ويقال : كدت الأرض تكدى فهي كادية ، إذا أبطأ نبتها وقلّ خيرها ، وتقول : أكديت الأرض ، إذا جعلتها كادية ، ويقال : أكدى الرجل ، إذا قل خيره وفي التنزيل ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ .

أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ(١) مَا آخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ ٱلْحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ ٱلْإِنْتِقَالُ؛ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ ٱلْجِبَالِ(٢) وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ ٱلْبِحَارِ ، مِنْ فِلِزِّ ٱللُّجَيْنِ وَالعِقْيَانِ(٣) وَنُثَارَةِ ٱلدُّرِّ وَحَصِيدِ ٱلْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ ٱلْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ ٱلْأَنَامِ(٤) ، لِأَنَّهُ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ ٱلسَّائِلِينَ(٥) وَلَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ ٱلْمُلِحِّينَ . فَٱنْظُرْ أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ(٦) ، وَٱسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ ٱلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي ٱلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ ٱلْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى ٱللّٰهِ

---

(١) أناسي : جمع إنسان ، وإنسان البصر : هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها .

(٢) أبدع الامام في تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفسا ؛ فان أغلب ما يكون من ذلك ، بل كله، عن تحرك المواد الملتهبة في جوف الأرض إلى الخارج ؛ وهي في تبخرها أشبه بالنفس ، كما أبدع في تسمية انفتاح الصدف عن الدر ضحكا .

(٣) الفلز ـ بكسر الفاء واللام ـ الجوهر النفيس ، واللجين : الفضة الخالصة ، والعقيان : ذهب ينمو في معدنه ونثارة الدر ـ بالضم ـ منثورة ، وفعالة ـ بالضم ـ فاش كثير الورود فيما كان موضوعاً للجيد المختار: كالخلاصة ، أو الساقط المتروك : كالقلامة ، وحصيد المرجان : محصوده ، يشير إلى أن المرجان نبات ، وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها .

(٤) أنفده : بمعنى أفناه ـ ونفد ـ كفرح ـ أي : فنى .

(٥) يغيض ـ بفتح حرف المضارعة ـ من « غاض » المتعدي يقال : غاض الماء لازما ، وغاضه الله متعدياً . ويقال : أغاضه أيضاً ، وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده ، ويبخله ـ بالتخفيف ـ من « أبخلت فلاناً » وجدته بخيلاً . أما بخله ـ بالتشديد ـ فمعناه رماه بالبخل .

(٦) « ائتم » أي : اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به .

سُبْحَانَهُ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهى حَقِّ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ هُمُ ٱلَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ ٱلسُّدَدِ ٱلْمَضْرُوبَةِ دُونَ ٱلْغُيُوبِ ، ٱلإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَحْجُوبِ(١) فَمَدَحَ ٱللّٰهُ ٱعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً ، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذٰلِكَ ، وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ . هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ ٱلأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ(٢) وَحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ ٱلْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ ٱلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ(٣) وَتَوَلَّهَتِ ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ(٤) لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ(٥) وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ ٱلصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ(٦) رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ ٱلْغُيُوبِ(٧) مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ، سُبْحَانَهُ ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ

---

(١) السدد : جمع سدة ، وهي باب الدار ، والاقرار : فاعل « أغناهم » .

(٢) ارتمت الأوهام : ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها ، ومنقطع الشيء : ما إليه ينتهي .

(٣) « مبرأ ـ الخ » أما الملابس لهذه الخطرات فمعلوم أنه لا يصل إلى شيء لوقوفه عند وساوسه .

(٤) تولهت القلوب إليه : إشتد عشقها حتى أصابها الوله ـ وهو الحيرة ـ وقوى ميلها لمعرفة كنهه .

(٥) لتجري الخ : لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته ، أو كيف اتصف سبحانه بها .

(٦) « وغمضت ـ الخ » أي : خفيت طرق الفكر ودقت ، وبلغت في الخفاء وللدقة إلى حد لا يبلغه الوصف .

(٧) « ردعها ـ الخ » جواب للشرط في قوله « إذا ارتمت ـ الخ » وردعها : كفها وردها ، والمهاوي : المهالك ، والسدف ـ بضم ففتح ـ جمع سدفة ، وهي القطعة من الليل المظلم ، وجبهت : من جبهة إذا ضرب جبهته ، والمراد ردت بالخيبة .

بِجَـوْرِ ٱلْاعْتِسَافِ كُنْـهُ مَعْرِفَتِـهِ(١) وَلَا تَخْـطُرُ بِبَـالِ أُولِي ٱلـرَّوِيَّـاتِ خَـاطِرَةٌ مِنْ تَقْـدِيرِ جَـلَالِ عِزَّتِـهِ(٢) ٱلَّذِي ٱبْتَـدَعَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْـرِ مِثَالٍ ٱمْتَثَلَهُ(٣) وَلَا مِقْدَارٍ ٱحْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَـانَ قَبْلَهُ ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُـدْرَتِهِ ، وَعَجَـائِبِ مَا نَـطَقَتْ بِهِ آثَـارُ حِكْمَتِهِ ، وَٱعْتِـرَافِ ٱلْحَاجَـةِ مِنَ ٱلْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَـاكِ(٤) قُوَّتِـهِ ، مَا دَلَّنَا بِٱضْطِرَارِ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَظَهَـرَتْ فِي ٱلْبَدَائِـعِ ٱلَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ مَـا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْـهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً ، فَحُجَّتُهُ بِـالتَّدْبِيـرِ نَاطِقَـةٌ ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى ٱلْمُبْدِعِ قَـائِمَةٌ . وَأَشْهَـدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَـايُنِ أَعْضَاءِ

---

(١) الجور: العدول عن الطريق، والاعتساف: سلوك على غير جادة وسلوك العقول في أي طريق طلبا لاكتناه ذاته ، وللوقوف على مـا لم يكلف الوقـوف عليه من كيفيـة صفاتـه ، يعد جوراً أو عدولاً عن الجادة ؛ فان العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهلها للاحاطة بالحقائق الأزلية ، اللهم الا ما دلت عليه الآثار وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنة ، و« كنه معرفته » نائب فاعل « ينال » .

(٢) الرويات : جمع روية ، وهي الفكر .

(٣) ابتـدع الخلق : أوجده من العـدم المحض على غـير مثال سـابق « امتثله » أي : حـاذاه و « لا مقدار سابق احتذى عليه » أي : قاس وطبق عليه ، وكـان ذلك المثـال أو المقدار من خالق معروف سبقه بالخلقة ، أي : لم يقتد بخالق آخر في شيء من الخلقـة ؛ إذ لا خالق سواه .

(٤) المساك ـ كسحاب ، ويكسر ـ مـا به يمسـك الشيء كالملاك ما بـه يملك ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ وقـد جعل الحـاجة الـظاهـرة من المخلوقـات إلى إقـامـة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به ، وقوله « باضـطرار » متعلق يدلنا ، و « على معرفته » متعلق به أيضاً ، أي : دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجـة اضطرنا لذلك . و « ما دلنا » مفعول لأرانا ، و « ظهرت في البدائع الخ » معـطوف على « أرانا » .

خَلْقِكَ ، وَتَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ[١] ٱلْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ[٢] وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ ٱلْيَقِينَ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ ٱلتَّابِعِينَ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ : ﴿ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ بِكَ[٣] إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ ٱلْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[٤] . وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ ٱلْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى ٱلْخِلْقَةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوَى[٥] بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَٱلْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ ٱلَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي ٱلْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً[٦] وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[٧]

---

(١) الحقاق : جمع حق ـ بضم الحاء ـ وهو رأس العظم عند المفصل ، واحتجاب المفاصل : استتارها باللحم والجلد ، وذلك الاستتار مما له دخل في تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقه الأبدان ، والمراد من شبهه بالإنسان ونحوه .

(٢) غيب الضمير : باطنه ، والمراد منه هنا العلم واليقين ، أي : لم يحكم بيقينه في معرفتك بما أنت أهل له .

(٣) العادلون بك : الذين عدلوا بك غيرك ، أي : سووه بك وشبهوك به .

(٤) نحلوك : اعطوك ، وحلية المخلوقين :صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها ، أي : وصفوك بصفات المخلوقين ، وذلك إنما يكون من الوهم الذي لا يصل إلى غير الأجسام ولواحقها ، دون العقل الذي يحكم فيما وراء ذلك .

(٥) قدروك قاسوك .

(٦) أي : لم تكن متناهياً محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفية مخصوصة .

(٧) « مصرفاً » أي : تصرفك العقول بافهامها في حدودك .

ومنها : قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِوَجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ ٱلِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ[١] وكيف وَإِنَّمَا صَدَرَتِ ٱلْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ؟ الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا[٢] وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ ٱلدُّهُورِ[٣] وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِىءِ[٤] وَلَا أَنَاةُ ٱلْمُتَلَكِّىءِ[٥] فَأَقَامَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[٦] وَنَهَجَ حُدُودَهَا[٧] ، وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[٨] وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ

---

(١) استصعب المركوب : لم ينقد في السير لراكبه ، وكل مخلوق خلقه الله لأمر أراده بلغ الغاية مما أراد الله منه ولم يقصر دون ذلك منقاداً غير مستصعب .

(٢) غريزة : طبيعة ومزاج ، أي : ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى الفعل ، بل هو انفعال بماله بمقتضى ذاته ، لا بأمر عارض .

(٣) أفادها : استفادها .

(٤) « لم يعترض دونه » أي : دون الخلق وإجابة دعوة الله ، والريث : التثاقل عن الأمر ، أي : أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت إليه فطرته بدون مهل .

(٥) الأناة : تؤدة يمازجها روية في اختيار العمل وتركه والمتلكىء : المتعلل ، يقول : أجاب العبد ربه طائعاً مقهوراً بلا تلكؤ .

(٦) أودها : أعوجاجها .

(٧) نهج : عين ورسم .

(٨) قرائنها : جمع قرينة ، وهي : النفس ، أي : وصل حبال النفوس ـ وهي من عالم النور ـ بالأبدان ، وهي من عالم الظلمة .

وَٱلأَقْدَارِ وَٱلْغَرَائِزِ وَٱلْهَيْئَاتِ(١) . بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا(٢) وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا .

ومنها في صفة السماء :

وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا(٣) ، وَلاَحَمَ صُدُوعَ ٱنْفِرَاجِهَا(٤) ، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا(٥) . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَٱلصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا(٦) ، نَادَاهَا

---

(١) الغزائز : الطبائع .

(٢) بدايا : جمع بدىء أي : مصنوع .

(٣) رهوات : جمع رهوة ، أي : المكان المرتفع . ويقال للمنخفض أيضاً ، فهو من الأضداد ، والفرج : جمع فرجة ـ بضم فسكون ـ وهي المكان الخالي ، يقول : قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الأجرام السماوية ، ونظمها على ذلك سماء ، بدون تعليق إحداها بالأخرى ، وربطها بها بآلة حسية .

(٤) لاحم أي : ألصق ، والصدوع : جمع صدع ، وهو الشق ، أي ما كان الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه ، وأصلحه فسواه ، وذلك كما كان في بدء خلقه الأرض ، وانفصالها عن الأجرام السماوية ، وانفراج الأجرام عنها ، فما تصدع بذلك أصلحه الله : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾ .

(٥) « وشج » بالتضعيف ـ أي : شبك من « وشج حمله » إذا شبكه بالأربطة حتى لا يسقط منه شيء ، وتقول « وشجت الغصون » بالتخفيف ـ أي : اشتبكت ، وتقول : « بيننا رحم واشجة » أي : مشتبكة ، أي : أنه سبحانه شبك بين كل سماء وأجرامها ، وبين أزواجها ـ أي : أمثالها وقرنائها ـ من الأجرام الأخرى ، في الطبقات العليا والسفلى عنها ، بالروابط الماسكة المعنوية العامة ، وهي من أعظم المظاهر لقدرته .

(٦) الهابطين والصاعدين : الأرواح العلوية والسفلية ، والحزونة : الصعوبة ؛ وقوله « ناداها ـ الخ » : رجوع إلى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم ، يقول : كانت السموات هباء مائراً أشبه بالدخان منظراً ، وبالبخار مادة ، فتجلّى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى اشراجها ، والأشراج : جمع شرج ـ بالتحريك ـ : وهو العروة ، هي مقبض الكوز والدلو وغيرهما ، وتقول « اشرجت العيبة » أي : أقفلت =

بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ،فَٱلْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الإِرْتِقَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا(١) . وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ ٱلشُّهُبِ ٱلثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا(٢) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ ٱلْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ(٣) ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا(٤) وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا(٥)فَأَجْرَهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا(٦) ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا : مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيهَا وَمَصَابِيحِ

= اشراجها ، وتسمى مجرة السماء شرجاً ، تشبيهاً بشرج العيبة ، وأشراج الوادي ما انفسح منه ، على التشبيه ، وأشار باضافة العرى للأشراج إلى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به ؛ فكل ماسك وكل ممسوك : فكل عروة وله عروة .

(١) بعد أن كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه ، وفصلها إلى أجرام بينها فرج وأبواب ، وأفرغ ما بينها بعد ما كانت صوامت ، أي : لا فراغ فيها .

(٢) النقاب جمع نقب ، وهو الخرق ، « والشهب الثواقب » أي : الشديدة الضياء والرصد : القوم يرصدون كالحرص . وكون الرصد من الشهب في أصل تكوين الخلقة كما قال الامام : دليل على ما أثبته العلم من أن الشهب مغذيات لبعض أجرام الكواكب بما نظمه لها من التفاتق ، فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب ، وذلك أمر آخر غير ما جاء في الكتاب بمعنى آخر .

(٣) « وأمسكها من أن تمور » أي : تضطرب في الهواء « بأيده » أي : بقوته : « وأمرها أن تقف » أي : تلزم مراكزها لا تفارق مداراتها ؛ لا بمعنى أن تسكن .

(٤) « مبصرة » أي : جعل شمس هذه الأجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً .

(٥) ممحوة : يمحى ضوؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر ، وفي جميع الليل أياماً منه ، ومناقل مجراهما الأوضاع التي ينقلان فيها من مداريهما .

(٦) فلكها : هو الجسم الذي ارتكزت فيه ، وأحاط بها ، وفيه مدارها و« ناط بها » أي :

كَوَاكِبِهَا(١) وَرَمَى مُسْتَرِقِي ٱلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا(٢)

ومنها في صفة الملائكة :

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ ٱلصَّفِيحِ ٱلْأَعْلَى(٣) مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا(٤) وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ ٱلْفُرُوجِ زَجَلُ ٱلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ ٱلْقُدْسِ ، وَسُتُرَاتِ ٱلْحُجُبِ ، وَسُرَادِقَاتِ ٱلْمَجْدِ(٥) وَوَرَاءَ ذٰلِكَ ٱلرَّجِيجِ ٱلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ

= علق بها وأحاطها ، ودراريها : كواكبها وأقمارها . والأدلال : جمع دل ـ بالكسر ـ وهو محجة الطريق ، أي : على الطرق التي سخرها فيها .

(١) نجومها الصغار .

(٢) نحوسها وسعودها : من إقفار بعضها في عالمه ، وريع بعضها على كونه .

(٣) الصفيح : السماء ويقال لوجه كل شيء عريض : صفيح ، وصفحة . الفروج الأماكن الخالية ، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، وحائطين .

(٤) الأجواء : جمع جو ، وأصله ما اتسع من الأودية ، ويقال لما بين السماء والأرض من الفضاء «جو» وروى في مكانه «أجوابها» بالباء موحدة ـ وهو جمع جوبة ، وهي الفرجة في السحاب وغيره .

(٥) الزجل . رفع الصوت ، والحظائر : جمع حظيرة وهي المواضع يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والابل توقياً من البرد والريح ، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة ، والقدس ـ بضم فسكون ، أو بضمتين ـ الطهر ، والتقديس : التطهير ، والأرض المقدسة : المطهرة . والسترات : جمع سترة ، وهي ما يستر به ، والسرادقات : جمع سرادق ، وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه .

ٱلْأَسْمَاءُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا[١] فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا[٢]. وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ ، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا ٱنْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ ٱلْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ ٱلشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ ٱلْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ ٱلسَّكِينَةِ[٣] وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً[٤] إِلَى تَمَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ[٥] لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ ٱلْآثَامِ[٦] وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامِ[٧] وَلَمْ تَرْمِ ٱلشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا

---

(١) الرجيج : الزلزلة والاضطراب ، وتستك منه أي : تصم منه الآذان لشدته ، « وسبحات نور » أي : طبقات نور ، وأصل السبحات الأنوار نفسها .

(٢) خاسئة : مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها .

(٣) الاخبات : الخضوع والخشوع .

(٤) جمع ذلول : خلاف الصعب .

(٥) قال بعض أهل اللغة : إن منارة تجمع على منار ، وإن لم يذكره صاحب القاموس ، وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المسرجة ، وهي : ما يوضع فيه المصباح ، والأعلام : ما يقام للاهتداء به على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض ، والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشفت لهم سر توحيده .

(٦) مثقلاتها ، مأخوذ من الاصر ، وهو الثقل .

(٧) ارتحله : وضع عليه الرحل ليركبه ، والعقب : جمع عقبة ، وهي النوبة ، والليل والنهار لتعاقبهما ؛ أي : لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أو يغيرهم .

عَـزِيمَةَ إِيمَـانِهِمْ[١] وَلَم تَعْتَرِكِ ٱلـظُّنُونُ عَلى مَعَـاقِـدِ يَقِينِهِمْ[٢] وَلاَ قَـدَحَتْ قَادِحَـةُ ٱلإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ[٣] ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ ٱلْحَيْـرَةُ مَـا لاَقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَـائِرِهِمْ[٤] وَمَـا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِـهِ وَهَيْبَةِ جَـلاَلَتِهِ فِي أَثْنَـاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَـطْمَعْ فِيهِمُ ٱلْـوَسَاوِسُ فَتَقْتَـرِعَ بِرَيْنِهَـا عَلَى فِكْـرِهِمْ[٥] . مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ ٱلْغَمَـامِ ٱلدُّلَّـحِ[٦] وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَـالِ ٱلشُّمَّـخِ ، وَفِي قَتْـرةِ ٱلظَّـلاَمِ ٱلأَبْهَمِ[٧] ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَـرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُـومَ ٱلأَرْضِ ٱلسُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَايَـاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ٱلْهَوَاءِ[٨] وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَـةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ ، قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَـالُ عِبَـادَتِهِ[٩]

---

(١) النوازع : جمع نـازعة وهي النجم أو القـوس ، وعلى الأول المـراد منها الشهب ، وعلى الثاني تكوين الباء في بنوازعها بمعنى من ، وروى في مكانه « بنوازغها » بالغين المعجمة ـ وهو مأخوذ من « نزغ بينهم » أي : أفسد .

(٢) جمع معقد : محل العقد ، بمعنى الاعتقاد .

(٣) الاحن : جمع إحنة ، وهي الحقد والضغينة .

(٤) لاق : لصق ، و « أثناء صدورهم » جمع ثنى ، وهي التضاعيف .

(٥) تقـترع : يروي بـالقاف المثنـاة ـ من الاقتراع ، بمعنى ضرب القـرعة ، ويـروي بـالفـاء الموحدة ، أي . تعلو بـرينها فـرعه ، أي عـلاه ، والرين ـ بفتـح الراء ـ الـدنس ، وما يطبع على القلب من حجب الجهالة وفي التنزيل ﴿ كـلا بل ران على قلوبهم ﴾ .

(٦) جمع دالح ، وهو : الثقيل بالماء من السحاب .

(٧) القتـرة هنا : الخفـاء والبطون ، ومنهـا قـالـوا : أخـذه عـلى قتـرة ، أي : من حيث لا يـدري ، والأبهم ـ بباء مـوحدة بعـد الهمزة ـ أصله من لا يعقـل ولا يفهم ، وصف به الليل وصفا للشيء بما ينشيء عنه ؛ فان الظلام الحالك يوقع في الحيرة ، ويأخـذ بالفهم عن رشاده .

(٨) مواضع ما خرقت أقدامهم .

(٩) جعلتهم فارغين من الأشتغال بغيرها .

وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَى ٱلْوَلَهِ إِلَيْهِ[1] وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ ، قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ ٱلرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ[2] وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ[3] وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ[4] فَحَنَوْا بِطُولِ ٱلطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ ٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ[5] وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ ٱلزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ[6] ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ ٱسْتِكَانَةُ ٱلْإِجْلَالِ[7] نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ ٱلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ[8] فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ[9] ، وَلَا مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ ٱلْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ[10] وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ

---

(١) شدة الشوق إليه .

(٢) الروية : التي تروي وتطفىء العطش .

(٣) محل الروح الحيواني من مضغة القلب .

(٤) الوشيجة : أصلها عرق الشجرة ، أراد منها هنا بواعث الخوف من الله .

(٥) أي : إن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذللهم .

(٦) جمع ربقة ـ بالكسر والفتح ـ وهي : العروة من عرى الربق ـ بكسر الراء ـ وهو : حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم .

(٧) الاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ، ثم استعملت في الخضوع .

(٨) دأب في العمل : بالغ في مداومته حتى أجهده .

(٩) الأسلات : جمع أسلة ، اللسان : طرفه ، أي : لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره .

(١٠) الهمس : الخفي من الصوت ، والجؤار : رفع الصوت بالتضرع ، أي : لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والاخفاء وخفض جؤارهم بالدعاء إليه .

ٱلطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ(١) ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ ٱلتَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ، وَلَا تَعْدُوا(٢) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ ٱلْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ ٱلشَّهَوَاتِ(٣) قَدِ ٱتَّخَذُوا ذَا ٱلْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ(٤) . وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْخَلْقِ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ(٥) لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ ٱلِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ(٦) إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ(٧) لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ ٱلشَّفَقَةِ مِنْهُمْ(٨) فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ(٩) وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ ٱلْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ ٱلسَّعْيِ عَلَى ٱجْتِهَادِهِمْ(١٠) وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوِ ٱسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ لَنَسَخَ ٱلرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ(١١) وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِٱسْتِحْوَاذِ ٱلشَّيْطَانِ

---

(١) المقاوم : جمع مقام ، والمراد الصفوف .

(٢) لا تسطو .

(٣) انتضلت الابل : رمت بأيديها في السير سرعة . وخدائع الشهوات للنفس منها ، أي : لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً إلى هممهم فتفترها .

(٤) حاجتهم .

(٥) يمموه : قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطعت الخلق سواهم إلى المخلوقين .

(٦) الاستهتار : التولع .

(٧) مواد : جمع مادة ، أصلها من « مد البحر » إذا زاد ، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة ، ويريد بها البواعث المعينة على الأعمال ، أي : كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة .

(٨) الشفقة : الخوف .

(٩) ونى يني : تأنى .

(١٠) وشيك السعي : مقاربه وهينه ، أي : إنه لا طمع لهم في غيره فيختاروا هين السعي على الاجتهاد الكامل .

(١١) الشفقات : تارات الخوف وأطواره ، وهو فاعل نسخ ، والرجاء : مفعول . والوجل : الخوف أيضاً .

عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ ٱلتَّقَاطُعِ ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ ٱلتَّحَاسُدِ ، وَلاَ شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ ٱلرِّيَبِ(١) وَلاَ ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ ٱلْهِمَمِ(٢) فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ ، وَلاَ عُدُولٌ وَلاَ وَنىً وَلاَ فُتُورٌ(٣) وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ ٱلسَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ(٤) إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ(٥) يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ ٱلطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً .

ومنها في صفةِ الأرض ودحوِها على الماء(٦)

كَبَسَ ٱلأَرْضَ(٧) عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ(٨) تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا(٩) وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا(١٠)

---

(١) شعبتهم : فرقتهم صروف الريب : جمع ريبة ، وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .

(٢) جمع خيف ـ بالفتح ـ وهو في الأصل : ما انحدر عن سفح الجبل ، والمراد هنا سواقط الهمم ؛ فان التفرق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهمة ، بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك ، وقد يكون الخيف بمعنى الناحية ، أي : متطرفات الهمم .

(٣) الونى : مصدر ونى ـ كتعب ـ اي تأنى .

(٤) جلد حيوان .

(٥) خفيف ، سريع .

(٦) دحوها بسطها .

(٧) كبس النهر والبئر ، أي : طمهما بالتراب ، وعلى هذا كان حق التعبير كبس بها مور أمواج . لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل . والمور : التحرك الشديد ، والمستفحلة : الهائجة التي يصعب التغلب عليها .

(٨) ممتلئة .

(٩) جمع آذي ، وهو أعلى الموج .

(١٠) اصطفقت الأشجار : اهتزت بالريح والأثباج : جمع ثبج ـ بالتحريك ـ وهو في الأصل =

وَتَـرْغُـوا زَبَـداً كَـالْفُحُـولِ عِنْـدَ هِيَـاجِهَـا ، فَخَضَـعَ جِمَـاحُ ٱلْمَـاءِ ٱلْمُتَـلَاطِمِ لِثِقَـلِ حَمْلِهَـا ، وَسَكَنَ هَيْـجُ آرْتِمَـائِـهِ إِذْ وَطِئَتْـهُ بِكَلْكَلِهَا(١) ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً(٢) إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا(٣) فَأَصْبَحَ بَعْـدَ آصْطِخَـابِ أَمْوَاجِـهِ(٤) سَاجِيـاً مَقْهُوراً(٥) ، وَفِي حَكَمَـةِ ٱلذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً(٦) وَسَكَنَتِ ٱلأَرْضُ مُدْحُوَّةً فِي لُجَّـةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَآعْتِـلَائِهِ(٧) وَشُمُـوخِ أَنْفِهِ وَسُمُـوِّ غُلَوَائِهِ(٨) وَكَعَمَتْـهُ(٩) عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ(١٠) فَهَمَدَ بَعْدَ نَـزَقَاتِهِ(١١) وَلَبَـدَ بَعْدَ زَيَفَـانِ وَثَبَاتِـهِ(١٢) فَلَمَّا سَكَنَ هَيْـجُ ٱلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا(١٣) وَحَمْلِ شَوَاهِقِ ٱلْجِبَالِ

= ما بين الكاهل والظهر ، أو صدر القطاة ، استعاره لأعالي الموج ، التي يقذف بعضها بعضاً .

(١) هو في الأصل الصدر ، استعاره لما لاقى الماء من الأرض .

(٢) منكسراً ، مسترخياً .

(٣) من « تمعكت الدابة » أي : تمرغت في التراب .

(٤) اصطخاب : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

(٥) ساجياً : ساكناً .

(٦) الحكمة ـ محركة ـ ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذران .

(٧) الكبر ، والزهو .

(٨) بضم الغين وفتح اللام : النشاط وتجاوز الحد .

(٩) كعم البعير ـ كمنع ـ شد فاه لئلا يعض أو يأكل ، وما يشد به كعام ككتاب .

(١٠) الكظة ـ بالكسر ـ ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ويراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع .

(١١) النزق والنزقان الطيش .

(١٢) الزيفان : التبختر في المشية ، ولبد ـ كفرح ونصر ـ أي : قام ووثب .

(١٣) نواحيها .

الشُّمَّخِ ٱلْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا[1] فَجَّرَ يَنَابِيعَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا[2] ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا[3] وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا[4] وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ[5] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[6] فَسَكَنَتْ مِنَ ٱلْمَيَدَانِ[7] لِرُسُوبِ ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا[8] وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا[9] وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا[10] وَفَسَحَ بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا[11]

---

(١) البذخ بمعنى الشمخ ، جمع شامخ وباذخ ، أي عال ورفيع غير أني أجد من لفظ الباذخ معنى أخص وهو للفخامة مع الارتفاع وحمل : عطف على أكتاف .

(٢) عرانين : جمع عرنين ـ بالكسر ـ وهو ما صلب من عظم الأنف والمراد اعالي الجبال ، غير أن الاستعارة من الطف أنواعها في هذا المقام .

(٣) السهوب : جمع سهب ـ بالفتح ـ أي : الفلاة ، والبيد : جمع بيداء ، والأخاديد : جمع أخدود ، وهي الحفر المستطيلة في الأرض ، والمراد منها مجاري الأنهار .

(٤) الضمير للأرض ، كما يظهر من بقية الكلام ، والجلاميد : جمع جلمود ، وهو الحجر الصلد .

(٥) الشناخيب : جمع شنخوب ، وهو رأس الجبل ، والشم : الرفيعة .

(٦) جمع صيخود ، وهو : الصخرة الشديدة .

(٧) بالتحريك : والاضطراب .

(٨) سطحها .

(٩) التغلغل : المبالغة في الدخول ، و« متسربة » أي : داخلة ، والجوبات : جمع جوبة ، بمعنى الحفرة ، والخياشيم : جمع خيشوم ، وهو منفذ الأنف إلى الرأس ، أو مارق من الغراضيف الكائنة فوق قصبة الأنف متصلة بالرأس وضمير « تغلغلها » للجبال ، و« خياشيمها » للأرض ، والمجاز ظاهر .

(١٠) ركوب الجبال أعناق السهول : استعلاؤها عليها ، وأعناقها : سطوحها ، وجرائيمها : ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية ، واستعلاء الجبال عليها ظاهر .

(١١) مرافق البيت : ما يستعان به فيه ، وما يحتاج إليه في التعيش ، خصوصاً ما يكون من =

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ (١) ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا(٢) وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا(٣) حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا (٤) وَتَسْتَخْرِجَ نَبَاتَهَا ، أَلَّفَ غَمَامَهَا ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ (٥) وَتَبَايُنِ قُزَعِهِ(٦) حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ(٧) وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ(٨) ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ(٩) وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكاً(١٠)، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ(١١)

= الأماكن ، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصاب المياه والطرق الموصلة إليه والأماكن التي لا بد منه للساكنين فيه لقضاء حاجاتهم وما يشبه ذلك .

(١) الأرض الجرز ـ بضمتين ـ التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .

(٢) مرتفعاتها .

(٣) ذريعة : وسيلة .

(٤) الموات من الأرض : ما لا يزرع .

(٥) جمع لمعة ـ بضم اللام ـ وهي في الأصل القطعة من النبات مالت لليبس ، استعارها لقطع السحاب للمشابهة في لونها وذهابها إلى الاضمحلال ، لولا تأليف الله لها مع غيرها .

(٦) جمع قزعة ـ محركة ـ وهي : القطعة من الغيم .

(٧) تمخضت : تحركت تحركاً شديداً كما يتحرك اللبن في السقاء بالمخض ، والضمير في « فيه » راجع إلى المزن ، . أي : تحركت اللجة التي يحملها المزن فيه ، ويصح أن يرجع للغمام في أول العبارة .

(٨) جمع كفة ـ بضم الكاف ـ وهي الحاشية والطرف لكل شيء ، أي : جوانبه .

(٩) نامت النار : عمدت ، والوميض : اللمعان ، والكنهور ـ كسفرجل ـ القطع العظيمة أو المتراكم منه . والرباب ـ كسحاب ـ الأبيض المتلاحق منه . أي : لم يهمد لمعان البرق في ركام هذا الغمام .

(١٠) سحاً : متلاحقاً متواصلاً .

(١١) أسف الطائر : دنا من الأرض ، والهيدب ـ كجعفر ـ السحاب المتدلي ، أو ذيله . وقوله « تمريه » من « مرى الناقة » أي : مسح على ضرعها ليحلب لبنها . والدرر ـ =

تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ(١) فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا(٢) ، وَبِعَاعَ مَا ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ(٣) مِنَ ٱلْعِبْءِ ٱلْمَحْمُولِ عَلَيْهَا (٤) أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ ٱلْأَرْضِ ٱلنَّبَاتَ(٥) وَمِنْ زُعْرِ ٱلْجِبَالِ ٱلْأَعْشَابَ(٦) فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا(٧) وَتَزْدَهِي(٨) بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ (٩) أَزَاهِيرِهَا(١٠)وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ(١١)مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا(١٢)

= كعلل جمع درة ـ بالكسر ـ وهي اللبن ، والاهاضيب : جمع أهضاب ، وهو جمع هضبة ـ كضربة ـ وهي المطرة ، أي : دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء ، وريح الجنوب تستدر الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة ؛ فان الريح تحركه فيصب ما فيه .

(١) جمع شؤبوب ، وهو ماينزل من المطر بشدة .

(٢) البرك ـ بالفتح ـ في الأصل : ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبركة ، والبواني : هي أضلاع الزور ، وشبه السحاب بالناقة إذا بركت وضربت بعنقها على الأرض ولاطمتها بأضلاع زورها . واشتبه ابن أبي الحديد في معنى البرك والبواني فأخرج الكلام عن بلاغته .

(٣) و « بعاع » عطف على « برك » والبعاع ـ بالفتح ـ ثقل السحاب من الماء ، وألقى السحاب بعاعة : أمطر كل ما فيه .

(٤) العبء : الحمل .

(٥) الهوامد من الأرض : ما لم يكن بها نبات .

(٦) زعر ـ بالضم ـ جمع أزعر ، وهو الموضع : القليل النبات . والأنثى زعراء ،

(٧) بهج ـ كمنع ـ : سر وأفرح .

(٨) تعجب .

(٩) جمع ريطة ـ بالفتح ـ وهو كل ثوب رقيق لين .

(١٠) جمع أزهر الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات .

(١١) « سمط » من « سمط الشيء » أي : علق عليه السموط ، وهي : الخيوط تنظم فيها القلادة .

(١٢) الأنوار : جمع نور ـ بفتح النون وهو الزهر بالمعنى المعروف أي : حلية القلائد التي علقت عليها من أزهار نباتها ، وفي رواية « شمطت » بالشين وتخفيف الميم ـ من =

وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلَاغاً لِلأَنَامِ (١) وَرِزْقاً لِلأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ ٱلْعِجَاجِ فِي آفَاقِهَا ، وَأَقَامَ ٱلْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا .

فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ(٢) ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، ٱخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ (٣) وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ (٤) وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ٱلتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَٱلْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ ـ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ـ فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ ٱلتَّوْبَةِ ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْناً فَقَرْناً ، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ ٱلْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ (٥) ، وَقَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَّمَهَا عَلَى ٱلضِّيقِ وَٱلسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا

= « شمطه » إذا خلط بلون آخر ، والشميط من النبات : ما كان فيه لون الخضرة مختلطاً بلون الزهر .

(١) البلاغ : ما يتبلغ به من القوت .

(٢) مهد أرضه : سواها وأصلحها ، ومنه المهاد ، وهو الفراش ، وتقول : مهدت الفراش ـ من باب قطع ـ أي : بسطته وسويته .

(٣) يجوز في خيرة أن تكون بكسر الخاء وفتح الياء ـ بوزان عنبة ـ وهو الاسم من قولك : اختار الله محمداً ، ويجوز أن تكون بكسر الخاء والياء ساكنة .

(٤) خلقته .

(٥) المقطع : النهاية التي ليس وراءها غاية .

لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا وَلِيخْتَبِرَ بِذٰلِكَ ٱلشُّكْرَ وَٱلصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا ، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا[١] وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا[٢] غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[٣] وَخَلَقَ ٱلْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا[٤] وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا[٥] ، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا[٦] عَالِمُ ٱلسِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ ٱلْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى ٱلْمُتَخَافِتِينَ[٧] وَخَوَاطِرِ رَجْمِ ٱلظُّنُونِ[٨] وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ ٱلْيَقِينِ[٩] وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ ٱلْجُفُونِ[١٠]

---

(١) العقابيل : الشدائد . جمع عقبولة ـ بضم العين ـ وأصل العقابيل قروح صغار تخرج بالشفة من آثار المرض ، والفاقة : الفقر .

(٢) الفرج : فرجة ، وهي التفصي من الهم .

(٣) جمع ترح ـ بالتحريك ـ وهو الغم والهلاك .

(٤) حبالها .

(٥) خالجاً : جاذباً لأشطانها جمع شطن ـ كسبب ـ وهو الحبل الطويل ، شبه به الأعمار الطويلة .

(٦) المرائر : جمع مريرة ، وهو الحبل يفتل على أكثر من طاق ، أو الشديد الفتل ، والأقران : جمع قرن ـ بالتحريك ـ وهو الحبل يجمع به بعيران وذكره لقوته أيضاً ، وإضافة المرائر للأقران بعد استعالها في الشديدة بلا قيد أن تكون حبالاً .

(٧) التخافت : المكالمة سراً .

(٨) رجم الظنون : ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان .

(٩) العقد : جمع عقدة ؛ وهو ما يرتبط القلب بتصديقه : لا يصدق نقيضه ، ولا يتوهمه والعزيمات : جمع عزيمة ؛ وهو ما يوجب البرهان الشرعي أو العقلي تصديقه والعمل به .

(١٠) جمع مسرق : مكان مسارقة النظر أو زمانها ، أو البواعث عليها ، أو من « فلان يسارق فلاناً النظر » ، أي : ينتظر منه غفلة فينظر إليه . والإيماض اللمعان ، وهو أحق أن ينسب إلى العيون لا إلى الجفون ، ونسبته إلى الجفون لأنه ينبعث من بينها .

وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ ٱلْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ ٱلْغُيُوبِ(١) وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ ٱلْأَسْمَاعِ (٢) وَمَصَائِفِ ٱلذَّرِّ(٣) وَمَشَاتِي ٱلْهَوَامِ (٤) وَرَجْعِ ٱلْحَنِينِ مِنَ ٱلْمُوَلَّهَاتِ (٥) وَهَمْسِ ٱلْأَقْدَامِ (٦) وَمُنْفَسَحِ ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ ٱلْأَكْمَامِ (٧) وَمُنْقَمَعِ ٱلْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا (٨) ، وَمُخْتَبَإِ ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا(٩) وَمَغْرِزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ(١٠) وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ(١١) وَنَاشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا ، وَدُرُورِ قَطْرِ ٱلسَّحَابِ فِي

---

(١) ضمنته : حوته ، والأكنان : جمع كن ـ بالكسر ـ وهو كل ما يستتر فيه ؛ وغيابات الغيوب : أعماقها .

(٢) استراق الكلام : استماعه خفية ، والمصائخ : جمع مصاخ ، وهو مكان الإصاخة ، وهو ثقبة الأذن .

(٣) الذر : صغار النمل ، ومصائفها : محل إقامتها في الصيف ، وهو وما بعده عطف على ضمائر المضمرين .

(٤) مشاتيها : محل إقامتها في الشتاء .

(٥) المولهات : الحزينات ، ورجع الحنين : ترديده .

(٦) الهمس : أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض .

(٧) منفسح الثمرة : مكان نموها ؛ من الولائج : جمع وليجة ، بمعنى البطانة الداخلية . والغلف : جمع غلاف . والأكمام جمع كم ـ بالكسر ـ وهو غطاء النوار ووعاء الطلع .

(٨) منقمع الوحوش : موضع انقماعها ـ أي اختفائها ـ والغيران : جمع غار .

(٩) سوق : جمع ساق ، وهو أسفل الشجرة تقوم عليه ، فروعها ، والألحية : جمع لحاء ، وهو قشر الشجرة .

(١٠) الغصون .

(١١) الأمشاج : النطف : جمع مشيج ـ مثل يتيم وأيتام ـ وأصله مأخوذ من « مشج » إذا خلط ، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن . ومسارب الأصلاب : جمع مسرب ، وهي : ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند تكونه .

مُتَرَاكِمِهَا ، وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا[1] وَتَعْفُو ٱلْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا[2] وَعَوْمِ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ ٱلرِّمَالِ[3] وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ[4] الْجِبَالِ وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ ٱلْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ ٱلْأَوْكَارِ[5] ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ٱلْأَصْدَافُ[6] وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ[7] وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[8] أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ[9] ، وَمَا ٱعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ ٱلدَّيَاجِيرِ[10] وَسُبُحَاتُ ٱلنُّورِ . وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[11] وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ[12] أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ[13] أَوْ نُقَاعَةِ

---

(١) سفت الريح التراب : ذرته أو حملته ، والأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود .

(٢) تعفو : تمحو .

(٣) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل .

(٤) الذرى : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء ، والشناخيب : رؤوس الجبال واحدها شنخوب أو شنخوبة كعصفور وعصفورة .

(٥) تغريد الطائر : رفع صوته بالغناء ، وهو نطقه ، والدياجير : جمع ديجور ، وهو الظلمة .

(٦) أوعبته : جمعته .

(٧) حضنت عليه : ربته فتولد في حضنها ، كالعنبر ونحوه .

(٨) سدفة : ظلمة .

(٩) ذر : طلع .

(١٠) اعتقبت : تعاقبت وتوالت ، والأطباق : الأغطية ، والدياجير : الظلمات ، وسبحات النور : درجاته وأطواره .

(١١) هماهم : هموم « مجاز من الهمهمة » : وهي ترديد الصوت في الصدر من الهم .

(١٢) « عليها » أي : على الأرض . (١٣) قرارتها : مقرها .

دَمٍ وَمُضْغَةٍ[1] أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ ، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ ، وَلاَ ٱعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ٱبْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ [2] ، وَلاَ ٱعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ ٱلأُمُورِ وَتَدْبِيرِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ[3] بَلْ نَفَذَ فِيهِم عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

ٱللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ ، وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ[4] إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ ، وَإِنْ تُرجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ . ٱللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ ٱلرِّيْبَةِ[5] وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلآدَمِيِّينَ وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ . ٱللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ[6] مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ ٱلرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ . ٱللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ ٱلَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهٰذِهِ ٱلْمَحَامِدِ وَٱلْمَمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ

---

(١) نقاعة : عطف على نطفة ، ونقاعة الدم : ما ينقع منه في أجزاء البدن ، والمضغة عطف على نقاعة ، أي : يعلم مقر جميع ذلك .

(٢) هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله .

(٣) اعتورته : تداولته وتناولته .

(٤) المبالغة في عد كمالاتك إلى ما لا ينتهى .

(٥) هم المخلوقون .

(٦) ثواب وجزاء .

فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ(١) ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

٩٠ ومن خطبة له عليه السلام

لمّا أرادهُ الناسُ على البيعةِ بعدَ قتلِ عثمانَ رضيَ الله عنهُ

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ ، لَا تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ(٢) وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ(٣) ، وَٱلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً .

---

(١) الخلة ـ بالفتح ـ الفقر ، والمن : الاحسان .

(٢) لا تصبر له ولا تطيق احتماله .

(٣) أغامت : غطيت بالغيم ، والمحجة : الطريق المستقيمة . و « تنكرت » أي : تغيرت علائمها فصارت مجهولة ، وذلك أن الأطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس ، على عهد عثمان رضي الله عنه ، بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء ؛ فلا يسهل عليهم ـ فيما بعد ـ أن يكونوا في مساواة مع غيرهم ، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه ، وطلبوا طائشة الفتنة ، طمعاً في نيل رغباتهم ، وأولئك هم أغلب الرؤساء في القوم ، فان أقرهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلماً ، وخالف شرعاً ، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة : إن لم ينالوها تحرشوا للفتنة ، فأين المحجة للوصول إلى الحق على أمن من الفتن ؟؟ وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها .

٩١ ومن خطبة له عليه السلام

أَمّـا بَعْدُ أَيُّهَـا آلنّاسُ ؛ فَـأَنَـا فَقَـأْتُ عَيْنَ آلْفِتْنَـةِ[١] وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُؤَ عَلَيْهَا أَحَـدٌ غَيْرِي بَعْـدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَـا[٢] وَآشْتَدَّ كَلَبُهَـا[٣] فَآسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِـدُونِي ، فَوَالَّـذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْـأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آلسّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مائَةً وَتُضِلُّ مائَةً إِلاَّ أَنْبَأْتُكُمْ بِناعِقِهَا[٤] وَقائِدِهَا ، وَسائِقِهَا . وَمُناخِ رِكابِهَـا ، وَمَحَطِّ رِحالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْـلاً ، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَـوْتاً ، وَلَـوْ قَدْ فَقَـدْتُمُونِي وَنَـزَلَتْ بِكُمْ كَرائِـهُ آلْأُمُـورِ[٥] وَحَـوازِبُ آلْخُـطُوبِ[٦] لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ آلسّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ آلْمَسْؤُولِينَ ، وَذٰلِـكَ إِذا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ[٧] وَشَمَّرَتْ عَنْ ساقٍ ، وَضاقَتِ آلدُّنْيا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَـهُ أَيّامَ آلْبَـلاءِ عَلَيْكُمْ حَتّى يَفْتَـحَ آللّٰهُ لِبَقِيَّـةِ آلْأَبْـرارِ

---

(١) شفقتها وقلعتها : تمثيل لتغلبه عليها ، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج .

(٢) الغيهب : الظلمة ، وموجها : شمولها وامتدادها .

(٣) الكلب ـ محركة ـ داء معروف يصيب الكلاب ، فكل من عضته أصيب بـه فجن ومات ، شبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته .

(٤) ناعقها : الداعي إليها ، مأخوذ من « نعق بغنمه » : إذا صاح بها لتجتمع .

(٥) الكرائه : جمع كريهة .

(٦) الحوازب : جمع حازب ، وهو الأمر الشديد ، تقول : « حزبه الأمر » إذا اشتد عليه .

(٧) قلصت ـ بتشديد اللام ـ تمادت ، واستمرت ، وبتخفيفها : وثبت .

مِنْكُمْ ؛ إِنَّ ٱلْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شُبِّهَتْ(١) وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ(٢) : يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمْنَ حَوْلَ ٱلرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً ، أَلاَ إِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطَّتُهَا(٣) وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا(٤) وَأَخْطَأَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا ، وَٱيْمُ ٱللّٰهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ ٱلضَّرُوسِ(٥) : تَعْذِمُ بِفِيهَا ، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ، لاَ يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ ، وَلاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلاَّ كَٱنْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَٱلصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ(٦) تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً(٧) وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً ، وَلاَ عَلَمٌ يُرَى(٨) نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ(٩) وَلَسْنَا فِيهَا

---

(١) اشتبه فيها الحق بالباطل .

(٢) لأنها تعرف بعد انقضائها ، وتنكشف حقيقتها فتكون عابرة .

(٣) الخطة ـ بالضم ـ الأمر ، أي : شمل أمرها ؛ لأنها رئاسة عامة ، وخصت بليتها آل البيت ؛ لأنها اغتصاب لحقهم .

(٤) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية .

(٥) الناب : الناقة المسنة ، والضروس : السيئة الخلق تعض حالبها ، وتعذم : من « عذم الفرس » إذا أكل بخفاء أو عض ، و « تزبن » أي : تضرب ، ودرها : لبنها ، والمراد خيرها .

(٦) التابع من متبوعه ، أي انتصار الأذلاء ، وما هو بانتصار .

(٧) شوهاء : قبيحة المنظر ، ومخشية : مخوفة مرعبة .

(٨) دليل يهتدي به .

(٩) بمكان النجاة من إثمها .

بِدُعَاءٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا ٱللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ ٱلأَدِيمِ[1] : بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً[2] وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ[3] لاَ يُعْطِيهِمْ إِلاَّ ٱلسَّيْفَ ، وَلاَ يُحْلِسُهُمْ إِلاَّ ٱلْخَوْفَ[4] ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً ، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ[5] لأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ ٱلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِي .

٩٢ ومن خطبة له عليه السلام

فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ ، وَلاَ يَنَالُهُ حُسْنُ ٱلْفِطَنِ ، ٱلأَوَّلُ ٱلَّذِي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ ، وَلاَ آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ .

منها في وصفِ الأنبياء :

فَٱسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ ٱلأَصْلاَبِ[6] إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلأَرْحَامِ ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللَّهِ خَلَفٌ ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللَّهِ

(١) كما يسلخ الجلد عن اللحم .

(٢) يلزمهم ذلاً ، وقوله « بمن » متعلق بيفرجها .

(٣) مملوءة إلى أصبارها ، جمع صبر ـ بالضم ، والكسر ـ بمعنى الحرف ، أي : إلى رأسها .

(٤) « أحلس البعير » إذا ألبسه الحلس ـ بكسر الحاء المهملة ـ وهو : كساء يوضع فوق ظهره تحت البرذعة ، أي : لا يكسوهم إلا خوفاً .

(٥) الجزور : الناقة المجزورة ، أو هو البعير مطلقاً : والشاة المذبوحة ؛ أي : ولو مدة ذبح البعير أو الشاة .

(٦) تناسختهم : تناقلتهم .

سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً(١) وَأَعَزِّ ٱلْأُرُومَاتِ مَغْرِساً(٢) مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ(٣) ، وَٱنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ(٤) عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ(٥) وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ ٱلشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ(٦) لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى ، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ، سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ(٧) وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ ، وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ ، وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسلِ(٨) وَهَفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ(٩) وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ .

ٱعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ(١٠) يَدْعُو إِلَى دَارِ ٱلسَّلَامِ وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ(١١)،

---

(١) كمجلس : موضع النبات ينبت فيه .

(٢) الأرومات جمع أرومة : وهي الأصل ، والمغرس : موضع الغرس .

(٣) صدع فلاناً : قصده لكرمه ، أي : اختصهم بالنبوة من بين فروعها ، وهي شجرة إبراهيم عليه السلام .

(٤) انتخب : اختار .

(٥) عترته : آل بيته ، وأسرة الرجل : رهطه الأدنون .

(٦) بسقت : ارتفعت .

(٧) الاستقامة .

(٨) الفترة : الزمان بين الرسولين .

(٩) هفوة : زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الانبياء السابقين .

(١٠) واضح ، قويم ، ويدعو إلى دار السلام : يوصل إليها .

(١١) مستعتب ـ بفتح التاءين ـ طلب العتبى ، أي : الرضا من الله بالأعمال النافعة .

وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَٱلتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَٱلْأَعمالُ مَقْبُولَةٌ .

٩٣ ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ ٱلْكِبْرِيَاءُ(١) وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلَاءُ(٢) . حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ ، فَبَالَغَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلنَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ .

٩٤ ومن خطبة أخرى

ٱلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَٱلآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ، وَٱلظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَٱلْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ

---

(١) استزلتهم : أدت بهم للزلل والسقوط في المضار ، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة ، وفي رواية « واستزلهم الكبراء » أي : اضلهم كبراؤهم وسادتهم .

(٢) استخفتهم : طيشتهم ، والجاهلية : حالة العرب قبل نور العلم الإسلامي والجهلاء : وصف لها للمبالغة .

ٱلْكَـرَامَةِ ، وَمَمَـاهِدِ ٱلسَّـلاَمَةِ(١) قَـدْ صُرِفَتْ نَحْـوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلأَبْـرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْـهِ أَزِمَّـةُ ٱلأَبْصَـارِ(٢) ، دَفَنَ بِـهِ ٱلضَّغَـائِنَ(٣) وَأَطْفَـأَ بِـهِ ٱلثَّوَائِرَ(٤) ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانـاً(٥) أَعَزَّ بِـهِ ٱلذِّلَّـةَ(٦) ، وَأَذَلَّ بِهِ ٱلْعِزَّةَ ، كَلاَمُهُ بَيَانٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ .

٩٥ ومن خطبة له عليه السلام

وَلَئِنْ أَمْهَلَ ٱلظالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ(٧) وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَـازِ طَرِيقِـهِ ، وَبِمَوْضِـعِ ٱلشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِـهِ(٨) أَمَا وَٱلَّـذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَـرَنَّ هٰؤُلاَءِ الْقَـوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ لِإِسْـرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِـلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْـطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ ٱلأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا ، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ

---

(١) المماهد : جمع ممهد ـ كمقعد ـ ما يمهد ، «أي : يبسط ، فيه الفراش ونحوه ، أي : إنه ولد في اسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح .

(٢) الأزمة ـ كائمة ـ جمع زمام ، وانثناء الأزمة إليه عبارة عن تحولها نحوه .

(٣) الأحقاد ، فهو رسول الالفة ، وأهل دينه المتآلفون المتعاونون على الخير ، ومن لم يكن في عروة الالفة منهم فهو ـ والله أعلم ـ خارج عنهم .

(٤) جمع ثائرة : وهي العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضره إن لم يقتله .

(٥) وفرق به أقران الالفة على الشرك .

(٦) ذلة الضعفاء من أهل الفضل المستترين بحجب الخمول ، وأذل بـه عزة الشرك والـظلم والعدوان .

(٧) لا يذهب عنه أن يأخذه .

(٨) الشجى : مـا يعترض في الحلق من عـظم وغيره ، ومسـاغ الـريق ؛ ممره من الحلق ، والكلام تمثيل لقرب السطوة الإلٰهية من الظالمين .

ظُلْمَ رَعِيَّتِي : ٱسْتَنْفَـرْتُكُمْ لِلْجِهَـادِ فَلَمْ تَنْفِـرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِراً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُـوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا . أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ[(١)] وَعَبِيـدٌ كَأَرْبَـابٍ ؟! أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْـلِ ٱلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ ٱلْقَـوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَـرِّقِينَ أَيَـادِي سَبَـا[(٢)] تَـرْجِعُـونَ إِلَى مَجَـالِسِكُمْ وَتَتَـدَاعُـونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ ٱلْحَيَّةِ[(٣)] عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ ، وَأَعْضَلَ ٱلْمُقَوَّمُ[(٤)] .

أَيُّهَـا ٱلشَّـاهِـدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، ٱلْغَـائِبَـةُ عُقُـولُهُمْ ، ٱلْمُخْتَلِفَـةُ أَهْـوَاؤُهُمْ ، ٱلْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَـرَاؤُهُمْ صَـاحِبُكُمْ يُـطِيـعُ ٱللّٰهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُـونَهُ ، وَصَـاحِبُ أَهْـلِ ٱلشَّـامِ يَعْصِي ٱللّٰهَ وَهُمْ يُـطِيعُـونَـهُ ؟! لَوَدِدْتُ وَٱللّٰهِ أَنَّ مُعَاوِيَـةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَـرْفَ ٱلدِّينَـارِ بِالـدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ .

يَـا أَهْـلَ ٱلْكُـوفَـةِ ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَـلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ : صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَـارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِـدْقٍ

(١) شهود : جمع شاهد ، بمعنى الحاضر ، وغياب ؛ جمع غائب .

(٢) قالوا : إن سبأ هو أبو عرب اليمن ، كان له عشرة أولاد : جعل منهم ستة يميناً له ، وأربعة شمالاً : تشبيهاً لهم باليدين ، ثم تفرق أولئك الأولاد أشد التفرق .

(٣) أراد القوس لأنه معوج .

(٤) أعضل : استعصى ، واستعصب ، وأعيا .

عِنْدَ ٱللِّقَاءِ(١) ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلْبَلاَءِ .

يَا أَشْبَاهَ ٱلإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ؛ كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تفرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَٱللّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ(٢) أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى ، وَحَمِيَ ٱلضِّرَابُ ، وَقَدِ ٱنْفَرَجْتُم عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا(٣) وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي ، وَإِنِّي لَعَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً(٤) ٱنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَٱلْزَمُوا سَمْتَهُمْ (٥) وَٱتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا فَٱلْبُدُوا(٦) ، وَإِنْ نَهَضُوا فَٱنْهَضُوا ، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَداً مِنْكُمْ يُشْبِهُهُمْ ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً(٧) وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ

---

(١) هاته وما بعدهما الثنتان ، وما قبلها هي الثلاثة .

(٢) إخال : أظن ، وحمس ـ كفرح ـ اشتد والوغى : الحرب .

(٣) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة ، أوعندما يشرع عليها سلاح ، والمشابهة في العجز والدناءة في العمل .

(٤) اللقط : أخذ الشيء من الأرض ، وإنما سمى اتباعه المنهاج الحق لقطاً لأن الحق واحد ، والباطل الوان مختلفة ، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل .

(٥) السمت ـ بالفتح ـ طريقهم ، وحالهم ، أو قصدهم .

(٦) لبد ـ كنصر ـ أقام ، أي : إن أقاموا فأقيموا .

(٧) شعثاً : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس ، والغبر : جمع أغبر ، والمراد أنهم كانوا متقشفين .

وَخُدُودِهِمْ[١] وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ ٱلْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ ٱلْمِعْزَى[٢] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ! إِذَا ذُكِرَ ٱللّٰهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ ٱلشَّجَرُ يَوْمَ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفِ ، خَوْفاً[٣] مِنَ ٱلْعِقَابِ ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ .

٩٦ ومن كلام له عليه السلام

وَٱللّٰهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلّٰهِ مُحَرَّماً إِلَّا ٱسْتَحَلُّوهُ[٤] وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ[٥] وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ[٦] وَحَتَّى يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانْ : بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ : إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ ، وَحَتَّى

---

(١) المراوحة بين العملين: أن يعمل هذا مرة وهذا مرة، وبين الرجلين: أن يقوم بالعمل كل منهما مرة ، وبين جباههم وخدودهم : أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض ، خضوعاً لله وسجوداً .

(٢) ركب : جمع ركبة ؛ وهي موصل الساق من الرجل بالفخذ ، وإنما خص ركب المعزي ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة ، أي : إنهم لطول سجودهم يطول سهودهم ، وكان بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم النوم والاستراحة .

(٣) مادوا : اضطربوا ، وارتعدوا .

(٤) الكلام في بني أمية ، والمحرم : ما حرمه الله ، واستحلاله استباحته .

(٥) بيوت المدر : المبنية من طوب وحجر ونحوها وبيوت الوبر : الخيام .

(٦) أصله من « نبا به المنزل » إذا لم يوافقه فارتحل عنه ، وإن البيوت يستولي عليها سوء الحكمة فتكون عنها بمنجاة فيخسر العمران ، ولا تتبوأ الحكومة الظالمة إلا خرابا تنعق فيه فلا يجيبها إلا صدى نعيقها .

يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنّاً ، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَأَقْبِلُوا ؛ وَإِنِ ٱبْتُلِيتُم فَٱصْبِرُوا ، فَإِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

٩٧ ومن خطبة له عليه السلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ ٱلْمُعافَاةَ فِي ٱلأَدْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ ٱلْمُعافَاةَ فِي ٱلأَبْدَانِ .

عِبَادَ ٱللَّهِ ؛ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلتَارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَٱلْمُبْلِيَةِ لأَجْسَامِكُمْ ، وَإِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ[١] ، وَأَمُّوا عِلْماً[٢] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى ٱلْمُجْرِي إِلَى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِي إِلَيْهَا[٣] حَتَّى يَبْلُغَهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ؟ وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا[٤] ؟فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا ؛ فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ ،

---

(١) السفر ـ بفتح فسكون ـ جماعة المسافرين ، أي : إنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق ، فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها ؛ لأنها محدودة .

(٢) أموا : قصدوا .

(٣) الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة ، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته ؟ يحدوه : يتبعه ، ويسوقه .

(٤) في بعض النسخ « وطالب حثيث من الموت يحدوه ، ومزعج في الدنيا عن الدنيا حتى يفارقها ، فلا تنافسوا الخ » .

وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمهَا إِلَى زَوَالٍ وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ[1] ، وَكُلَّ مُـدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَـاءٍ ، وَكُلَّ حَيٍّ فِيهَـا إِلَى فَنَاءٍ ، أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَـارِ ٱلأَوَّلِينَ مُزْدَجَـرٌ[2] وَفِي آبَـائِكُمُ المَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَـرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ؟ ! أَوَ لَمْ تَـرَوْا إِلَى ٱلْمَـاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَـرْجِعُـونَ ؟ وَإِلَى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَـاقِينَ لَا يَبْقُـونَ ؟ أَوَ لَسْتُمْ تَـرَوْنَ أَهْلَ ٱلـدُّنْيـا يُصْبِحُـونَ وَيُمْسُـونَ عَلَى أَحْـوَالٍ شَتَّى : فَمَيِّتٌ يُبْكَى ، وَآخَـرُ يُعَزَّى ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ[3] وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُـولٍ عَنْـهُ ؟ ! وَعَـلَى أَثَـرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي .

أَلَا فَـٱذْكُـرُوا هَـادِمَ ٱللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَـوَاتِ ، وَقَـاطِعَ ٱلأُمْنِيَاتِ ، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ لِلأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ[4] وَٱسْتَعِينُـوا ٱللّٰهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

٩٨ ومن خطبة له أخرى

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلنَّاشِرِ فِي ٱلْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَٱلْبَاسِطِ فِيهِمْ بِـالْجُودِ

---

(١) فناء .

(٢) مكان للانزجار والارتداع .

(٣) من « جاد بنفسه » إذا قارب أن يقضي نحبه ، كأنه يسخو بها ويسلمها إلى خالقها .

(٤) « عند » متعلق باذكـروا ، والمساورة المـواثبة . كـأن العمل القبيـح ـ لبعده عن مـلاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلّهية ـ ينفر من مقترفه كما ينفـر الوحش فـلا يصل إليـه المغبون إلا بالوثبة عليه ، وهو ، في غائلته على مجترمه ـ كـالضاريـات من الوحـوش : فهو يثب على مواثبه ليهلكه ، فما الطف التعبيربالمساورة في هذا الموضع .

يَدَهُ . نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ : أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً[(١)] ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً ، فَأَدَّى أَمِيناً ، وَمَضَى رَشِيداً . وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ ٱلْحَقِّ : مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ[(٢)] ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ[(٣)] ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلَامِ[(٤)] بَطِيءُ ٱلْقِيَامِ ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ ٱلْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللّٰهُ ، حَتَّى يُطْلِعَ ٱللّٰهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ[(٥)] فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ[(٦)] وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ ؛ فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَىٰ قَائِمَتَيْهِ[(٧)] وَتَثْبُتَ ٱلْأُخْرَى ، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً .

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَثَلِ

---

(١) فالقاً به جدران الباطل ، فهادمها .

(٢) خرج عن الدين ، والذي يتقدم الحق هو من يزيد على ما شرع الله اعمالاً وعقائد يظنها مزينة للدين ومتممة له ، ويسميها بدعة حسنة .

(٣) اضمحل وهلك .

(٤) رزين في قوله : لا يبادر به عن غير روية ، بطيء القيام . لا ينبعث للعمل بالطيش ، وإنما يأخذ عدة إتمامه ، فإذا أبصر منه وجه الفوز قام فمضى إليه مسرعاً وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه .

(٥) يصل متفرقكم .

(٦) الاقبال والادبار في الجملتين لا يتواردان على جهة واحدة : فالمقبل بمعنى المتوجه إلى الأمر الطالب له الساعي إليه ، والمدبر بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الخيبة في عمله وإن كان لم يزل طالباً .

(٧) رجليه .

نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ[1] فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللَّهِ فِيكُمُ ٱلصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

٩٩ ومن خطبة له أخرى

ٱلأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَٱلآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ . بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا ٱلسِّرُّ ٱلإِعْلَانَ ، وَٱلْقَلْبُ ٱللِّسَانَ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي[2] وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي[3] فَوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ ٱلنَّسْمَةَ، إِنَّ ٱلَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا كَذَبَ ٱلْمُبَلِّغُ، وَلَا جَهِلَ ٱلسَّامِعُ. وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ[4] قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ[5] فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ[6] .

---

(١) خوي : غاب .

(٢) لا يكسبنكم ، والمفعول محذوف ، أي : خسرانا ، أي : لا تشاقوني فيكسبكم الشقاق خسراناً ، ولا تعصوني فيتيه بكم عصياني في ضلال وحيرة .

(٣) لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامزا بالانكار لما أقول .

(٤) ضليل ـ كشرير شديد الضلال مبالغ في الضلال .

(٥) من « فحص القطا التراب » إذا اتخذ فيه أفحوصاً ـ بالضم ـ وهو مجثمه ، أي : المكان الذي يقيم فيه عندما يكون على الأرض ، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها في الأرض مراكز .

(٦) هي الكوفة ، أي : إنه كاد يصل الكوفة حيث إن راياته انتشرت على بعض بلدان من حدودها ، وهو ما أشار إليه بالضواحي .

فَـإِذَا فَغَـرَتْ فَـاغِـرَتُـهُ[١] وَٱشْتَـدَّتْ شَكِيمَتُـهُ[٢] وَثَقُـلَـتْ فِي ٱلأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، عَضَّتِ ٱلْفِتْنَـةُ أَبْنَاءَهَـا بِأَنْيَـابِهَا ، وَمَـاجَتِ ٱلْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَـا ، وَبَدَا مِنَ ٱلأَيَّـامِ كُلُوحُهَا[٣] وَمِنَ ٱللَّيَـالِي كُدُوحُهَـا[٤] فَـإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُـهُ[٥] وَقَامَ عَلَى يَنْعِـهِ[٦] وَهَدَرَتْ شَقَـاشِقُهُ ، وَبَـرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عُقِـدَتْ رَايَاتُ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُعْضِلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَـٱللَّيْلِ ٱلْمُـظْلِمِ ، وَٱلْبَحْرِ ٱلْمُلْتَطِمِ ، هٰذَا ، وَكَمْ يَخْرِقُ ٱلْكُـوفَةَ مِنْ قَـاصِفٍ[٧] وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ ٱلْقُرُونُ بِٱلْقُرُونِ[٨] وَيُحْصَـدُ ٱلْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ ٱلْمَحْصُودُ .

١٠٠ ومن كلام له

يَجْرِي مَجْرَى ٱلْخُطْبَةِ

وَذٰلِـكَ يَـوْمٌ يَجْمَـعُ ٱللّٰهُ فِيـهِ ٱلأَوَّلِينَ وَٱلآخِـرِينَ لِنَقَـاشِ

---

(١) فغر الفم ـ كمنع ـ انفتح ، وفغرته . فهو لازم ومتعد أي : إذا انفتحت فاغـرته ، وهي فمه .

(٢) الشكيمة : الحديـدة المعترضـة في اللجام في فم الـدابة ، ويعـبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الإنقياد .

(٣) عبوسها .

(٤) جمع كدح ـ بالفتح ـ وهو الخدش ، وأثر الجراحات .

(٥) نضج ، وحان قطافه .

(٦) حالة نضجه .

(٧) هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرهما ، والعاصف : ما اشتد من الريح ، والمراد مزعجات الفتن .

(٨) يكـون الاشتباك بـين قواد الفتنـة وبـين أهـل الحق كـما تشتبـك الكبـاش بقـرونها عنـد =

ٱلْحِسَابِ[1] وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً ، قِيَاماً ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ؛ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً ، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً .

ومنه : فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، وَلَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ[2] وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً : يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا ، وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ[3] ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ ، فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللّٰهِ لَا رَهَجَ لَهُ ، وَلَا حَسَّ[4] ، وَسَيُبْتَلَى

= النطاح ، وما بقي من الصلاح قائماً يحصد ، وما كان قد حصد يحطم ويهشم ؛ فلا يبقى إلا شر عام وبلاء تام إن لم يقم للحق أنصار .

(١) نقاش الحساب : الاستقصاء فيه .

(٢) لا تثب لمعارضتها قائمة خيل ، وقوائم الفرس : رجلاه ، أو أنه لا يتمكن أحد من القيام لها وصدها ، وقوله « مزمومة مرحولة » قادها وزمها وركبها برحلها أقوام زحفوا بها عليكم ، يحفزونها ـ أي : يحثونها ـ ليقروا بها في دياركم ، وفيكم يحطون الرحال .

(٣) السلب ـ محركة ـ : ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب ، أي : ليسوا من أهل الثروة .

(٤) الرهج ـ بسكون الهاء ، ويحرك ـ الغبار ؛ والحس ـ بفتح الحاء ـ الجلبة والأصوات المختلفة ، قالوا : يشير إلى فتنة صاحب الزنج ، وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم ، من بني عبد القيس ، أدعى أنه علوي من ابناء محمد بن أبي عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ، وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي البصرة ، وخرج بهم على المهتدى العباسي ، في سنة خمس وخمسين ومائتين ، واستفحل امره وانتشر اصحابه في أطراف البلاد للسلب والنهب ، وملك أبلة عنوة ، وفتك بأهلها ، واستولى على عبادان والأهواز ، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز وسلم عاصمة ملكه ، وكان سماها المختارة بعد محاصرة شديدة ، وقتله الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين ، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم .

أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ ٱلأَحْمَرِ ، وَٱلْجُوعِ ٱلأَغْبَرِ .

١٠١ ومن خطبة له عليه السلام

أُنْظُرُوا إِلَى ٱلدُّنْيَا نَظَرَ ٱلزَّاهِدِينَ فِيهَا ، ٱلصَّادِفِينَ عَنْهَا[١] ، فَإِنَّهَا وَٱللّٰهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ ٱلثَّاوِيَ ٱلسَّاكِنَ[٢] وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ ٱلآمِنَ[٣] لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ ، وَلاَ يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ ، وَجَلَدُ ٱلرِّجَالِ فِيهَا إِلَى ٱلضَّعْفِ وَٱلْوَهَنِ ، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا ، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَٱعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ[٤] وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ .

ومنها : ٱلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لاَ يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ ٱلرِّجَالِ إِلَى ٱللّٰهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ ٱللّٰهُ إِلَى

---

(١) الصادفين : المعرضين .

(٢) الثاوي : المقيم .

(٣) المترف ـ بفتح الراء المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع .

(٤) فان الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن ، وإن الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنه كائن لم يزل ، فكأنه ـ وهو في الدنيا ـ من سكان الآخرة .

نَفْسِهِ! جَائِراً عَنْ قَصْدِ آلسَّبِيلِ ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ آلدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ آلآخِرَةِ كَسِلَ ! كَأَنَّ ما عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ[1] وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ[2] .

ومنها : وَذٰلِكَ زَمَنٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ[3] : إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ آلْهُدَى ، وَأَعْلَامُ آلسُّرَى[4] لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ ، وَلَا آلْمَذَايِيعِ آلْبُذُرِ ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ آللّٰهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا آلنَّاسُ ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ آلإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ آلإِنَاءُ بِمَا فِيهِ ! أَيُّهَا آلنَّاسُ ، إِنَّ آللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ[5] وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ .

قَالَ آلشَّرِيفُ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ » فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ آلْخَامِلَ آلذِّكْرِ القَلِيلَ آلشَّرِّ ، وَآلْمَسَايِيحُ : جَمْعُ مِسْيَاحٍ ، وَهُوَ آلَّذِي يَسِيحُ بَيْنَ آلنَّاسِ بِآلْفَسَادِ وَالنَّمَائِمِ ، وَآلْمَذَايِيعُ : جَمْعُ

---

(١) ما عمل هو حرث الدنيا :

(٢) ونى فيه : تراخى فيه وهو حرث الآخرة .

(٣) نومة ـ بضم ففتح ـ : كثير النوم ، يريد به البعد عن مشاركة الأشرار في شرورهم ، فإذا رأوه لا يعرفونه منهم ، وإذا غاب لا يفتقدونه .

(٤) السرى ـ كالهدى ـ : السير في ليالي المشاكل ، وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب .

(٥) ليتبين الصادق من الكاذب ، والمخلص من المريب ، فتكون لله الحجة على خلقه .

مِـذْيَاعٍ ، وَهُـوَ ٱلَّذِي إِذَا سَمِـعَ لِغَيْـرِهِ بِفَـاحِشَـةٍ أَذَاعَهَـا وَنَـوَّهَ بِهَـا ، وَٱلْبُذُرُ : جَمْعُ بَذُورٍ : وَهُوَ ٱلَّذِي يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ(١) .

١٠٣ ومن خطبة له عليه السلام

وقدْ تقدَّم مختارُها بخلافِ هذهِ الروايةِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَـإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَـهُ بَعثَ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَـرَبِ يَقْـرَأُ كِتَـاباً ، وَلاَ يَـدَّعِي نُبُـوَّةً وَلاَ وَحْياً ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَيُبَـادِرُ بِهِمُ ٱلسَّـاعَـةَ أَنْ تَنْـزِلَ بِهِمْ ، يَحْسِـرُ ٱلْحَسِيـرُ(٢) وَيَقِفُ ٱلْكَسِيـرُ ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ ، إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْـرَ فِيهِ ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَـاتَهُمْ ، وَبَـوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، فَـٱسْتَـدَارَتْ رَحَـاهُمْ(٣) وَٱسْتَقَـامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَٱيْمُ ٱللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي سَـاقَتِهَا حَتَّى تَـوَلَّتْ بِحَذَافِيـرِهَا ، وَٱسْتَـوْثَقَتْ قِيَـادَهَـا : مَـا ضَعُفْتُ وَلاَ جَبُنْتُ ، وَلاَ خُنْتُ ، وَلاَ

---

(١) الذي في القاموس أن البذور ـ بالفتح ـ كالبذير : هو النمام .

(٢) من « حسر البعير » كضرب ـ إذا أعيا وكـل ، والكسير : المكسـور ، أي : إن من ضعف اعتقـاده ، أو كلت عزيمتـه ، فتراخى في السير على سبيـل المؤمنين ، أو طـرقتـه الوساوس فهشمت قوائم همته بزلزال في عقيدته ؛ فان النبي ﷺ كان يقيم على ملاحظته وعـلاجـه حتى ينصـل من مـرضـه هـذا ويلحق بـالمخلصيـن ، إلا من كـان نـاقص الاستعداد ؛ خبيث العنصر ؛ فلا ينجح فيه الدواء ، فيهلك .

(٣) كناية عن وفرة ارزاقهم ، فانّ الرحا إنما تدور عـلى ما تـطحنه من الحب ، أو كنـاية عن قـوة سلطانهم على غـيرهم ، والرحـا . رحا الحرب يطحنـون بها ، والقنـاة الـرمـح ، واستقامتها : كناية عن صحة الاحوال وصلاحها .

وَهَنْتُ ، وَآيْمُ ٱللَّهِ لأَبْقَرَنَّ ٱلْبَاطِلَ[١] حَتَّى أُخْرِجَ ٱلْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ .

١٠٣ ومن خطبة له عليه السلام

حَتَّى بَعَثَ ٱللَّهُ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، شَهِيداً ، وَبَشِيراً ، وَنَذِيراً ، خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً ، وَأَنْجَبُهَا كَهْلاً ، أَطْهَرُ ٱلْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً ، وَأَجْوَدَ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[٢] فَمَا آحْلَوْلَتْ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا ، وَلاَ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلاَفِهَا[٣] إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا[٤] قَلِقاً وَضِينُهَا ، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ ٱلْمَخْضُودِ[٥] ، وَحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ ، وَصَادَفْتُمُوهَا ، وَٱللَّهِ ، ظِلاًّ ، مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ ، فَٱلأَرْضُ

---

(١) البقر ـ بالفتح ـ : الشق ، أي : لأشقن جوف الباطل : بقهر أهله ، فأنتزع الحق من أيدي المبطلين ، والتمثيل في غاية اللطف .

(٢) الديمة ـ بالكسر ـ المطر يدوم في سكون ، والمستمطر ـ بفتح الطاء ـ : من يطلب منه المطر ، والمراد هنا النجدة والمعونة . فالنبي أغزر الناس فيضاً للخير على طلابه .

(٣) جمع خلف ـ بالكسر ـ : وهو حلمة ضرع الناقة .

(٤) الخطام ـ ككتاب ـ : ما يوضع في انف البعير ليقاد به ، والوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون المرحل ، كالحزام للسرج ، وجولان لخطام وقلق الوضين : أما كناية عن الهزال ، واما كناية عن صعوبة القياد ؛ فان الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه ، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه : لاضطراب الرحل بقلق الوضين .

(٥) السدر ـ بالكسر ـ : شجر النبق ، والمخضود : المقطوع شوك ، أو متثني الأغصان من ثقل الحمل ، والتشبيه غاية في اللذة .

لَكُمْ شَاغِرَةٌ(١) وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ . وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً(٢) وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً ، وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَٱلْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ(٣) ، وَهُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَأُقْسِمُ بِٱللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ . أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى ٱلتَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، ٱسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ ، وَٱمْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ ٱلْكَدَرِ(٤) .

عِبَادَ ٱللَّهِ ، لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ ؛ فَإِنَّ ٱلنَّازِلَ بِهٰذَا ٱلْمَنْزِلِ(٥) نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، يَنْقُلُ ٱلرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ(٦) لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ

---

(١) أي : بعد بعثة النبي شغرت لكم الأرض ؛ أي : لم يبق فيها من يحميها دونكم . ويمنعكم من خيرها .

(٢) ثأره فهو ثائر ، أي : طلب بدمه ، وقتل قاتله .
الطالب بدمائنا ينال ثأره حتماً ، كأنه هو القاضي بنفسه لنفسه ، ليس هناك من يحكم

(٣) عليه فيمانعه عن حقه .

(٤) امتاحوا : استقوا ، وانزعوا الماء لري عطشكم ، من عين صافية صَفَتْ من الكدر ، وهي عين علومة عليه السلام .

(٥) منزل الركون إلى الجهالة والانقياد للهوى ، وشفا الشيء : حرفه ، والجرف ـ بضمتين ـ : ما جرفته السيول ، وأكلته من الأرض ، والهاري كالهائر : المتهدم ، أو المشرف على الانهدام ، أي : إنه بمكان التهور في الهلكة .

(٦) أي : إنه إذا نقل حمل المهلكات فإنما ينقله من موضع من ظهره إلى موضع آخر منه ، =

بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لاَ يَلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبُ مَا لاَ يَتَقَارَبُ ، فَاللَّهَ ٱللَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ[١] . وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى ٱلإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، إِلاَّ ٱلإِبْلاَغُ فِي ٱلْمَوْعِظَةِ ، وَٱلاجْتِهَادُ فِي ٱلنَّصِيحَةِ ، وَٱلإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ ٱلْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ ٱلسُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا[٢] : فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[٣] وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ[٤] وَٱنْهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ؛ فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ ٱلتَّنَاهِي .

١٠٤ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي شَرَعَ ٱلإِسْلاَمَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ،

= فهو حامل لها دائماً ، وإنما يتعب في نقلها من أعلاه لوسطه وأسفله بآرائه وبدعه ، فهو في كل رأي يتنقل من ضلالة إلى ضلالة ، حيث إن مبنى الكل على الجهالة والهوى .

(١) يقال « أشكاه » إذا أزال مشكاه ، والشجو : الحاجة ؛ يقول : إن ما تسوله لكم الجهالات والأهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها ، ولا تشكوها إليّ ؛ فاني لا أتبع أهواءكم ، ولا أقضي هذه الرغبات الفاسدة ، ولا أستطيع أن أنقض برأيي ما أبرم لكم في الشريعة الغراء .

(٢) السهمان ـ بالضم ـ : جمع سهم ، بمعنى الحظ والنصيب ، وإصدار السهمان : إعادتها إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئاً . وسماه إصداراً لأنها كانت منعتها أربابها بالظلم في بعض الأزمان ثم ردت إليهم ، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء إلى أعطانها .

(٣) التصويح : التجفيف ، أي : سابقوا إلى العلم وهو في غضارته ، قبل أن يجف فلا تستطيعوا إحياءه بعد يبسه .

(٤) مستثار: اسم مفعول بمعنى المصدر، والاستثارة: طلب الثور، وهو السطوع والظهور.

وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ[١] وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ[٢] وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُوراً لِمَنِ ٱسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنِ ٱتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ[٣] فَهُوَ أَبْلَجُ ٱلْمَنَاهِجِ[٤] وَوَاضِحُ ٱلْوَلَائِجِ[٥] مُشْرَفُ ٱلْمَنَارِ[٦] مُشْرِقُ ٱلْجَوَادِّ[٧] مُضِيءُ ٱلْمَصَابِيحِ ، كَرِيمُ ٱلْمِضْمَارِ[٨] رَفِيعُ ٱلْغَايَةِ ، جَامِعُ ٱلْحَلْبَةِ[٩] مُتَنَافِسُ ٱلسُّبْقَةِ[١٠] شَرِيفُ ٱلْفُرْسَانِ : ٱلتَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَٱلصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَٱلْمَوْتُ غَايَتُهُ[١١] وَٱلدُّنْيَا مِضْمَارُهُ[١٢]

---

(١) علقه ـ كعلمه ـ تعلق به .

(٢) من دخله لا يحارب .

(٣) جنة ـ بالضم ـ أي : وقاية وصوناً .

(٤) أشد الطرق وضوحاً وأنورها .

(٥) الولائج : جمع وليجة ، وهي : الدخيلة ، وهي المذهب .

(٦) مشرف ـ بفتح الراء ـ : هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء ، ومنار الدين : هي دلائله من العمل الصالح يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق .

(٧) جمع جادة ، وهي : الطريق الواضح .

(٨) « كريم المضمار » أي : إذا سوبق سبق .

(٩) الحلبة : خيل تجمع من كل صوب للنصرة ، والإسلام جامعها : يأتي إليه الكرائم والعتاق .

(١٠) السبقة ـ بالضم ـ جزاء السابقين .

(١١) يريد بالموت عن الشهوات البهيمية ،والحياة بالسعادة الأبدية ، كما يعلم من قوله « رفيع الغاية » وإلا فالموت المعروف غاية كل حي .

(١٢) لأنها مزرعة الآخرة : من سبق فيها سبق في الأخرى .

وَٱلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَٱلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ[١] .

منها في ذكرِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم :

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ[٢] وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[٣] فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً[٤] ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . ٱللَّهُمَّ ٱقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ[٥] وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. ٱللَّهُم أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ[٦] وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَآتِهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ ٱلسَّنَاءَ وَٱلْفَضِيلَةَ[٧] ، وَٱحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا[٨] وَلاَ نَادِمِينَ ، وَلاَ نَاكِبِينَ[٩] وَلاَ نَاكِثِينَ[١٠] وَلاَ ضَالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ ، وَلاَ مَفْتُونِينَ .

---

(١) سبقته : جزاء السابقين به .

(٢) أورى : أوقد ، والقبس ـ بالتحريك ـ الشعلة من النار تقتبس من معظم النار ، والقابس : آخذ النار من النار . والمراد أن النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه .

(٣) الحابس : من حبس ناقته وعقلها ، حيرة منه : لا يدري كيف يهتدي فيقف عن السير ، و « أنار له علماً » أي : وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حيرته .

(٤) بعيثك : مبعوثك .

(٥) المقسم ـ كمقعد ومنبر ـ النصيب والحظ .

(٦) النزل ـ بضمتين ـ ما هيىء للضيف لأن ينزل عليه .

(٧) السناء ـ كسحاب ـ الرفعة .

(٨) خزايا : جمع خزيان ، من « خزى » ـ من باب علم ـ إذا خجل من قبيح ارتكبه .

(٩) عادلين عن طريق الحق .

(١٠) ناكثين : ناقضين للعهد .

قال الشريف : وقـدْ مضى هذا الكـلامُ فيما تقـدّمَ ، إلا أنّا كرّرناه هَهُنا لِما في آلروايتين منَ آلاختلاف .

ومنها في خطاب أصحابه :

وَقَـدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَـةِ آللّهِ لَكُمْ مَنْزِلَـةً تُكْـرَمُ بِهَـا إِمَـاؤُكُمْ ، وَيُـوصَلُ بِهَـا جِيرَانُكُمْ وَيُعَـظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْـهِ ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْـدَهُ ، وَيَهَـابُكُمْ مِنْ لاَ يَخَـافُ لَكُمْ سَـطْوَةً ، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْـهِ إِمْـرَةٌ ، وَقَدْ تَـرَوْنَ عُهُودَ آللّهِ مَنْقُـوضَةً فَـلاَ تَغْضَبُـونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَـائِكُمْ تَـأْنَفُـونَ ، وَكَـانَتْ أُمُـورُ آللّهِ عَلَيْكُمْ تَـرِدُ ، وَعَنْكُمْ تَصْـدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِـعُ ، فَمَكَّنْتُمُ آلـظَّلَمَـةَ مِنْ مَنْـزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْـلَمْتُـمْ أُمُـورَ آللّهِ فِـي أَيْـدِيهِـمْ ، يَعْـمَلُونَ فِـي آلشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي آلشَّهَوَاتِ وَآيْمُ آللّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُـلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ آللّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ(١) .

١٠٥ ومن كلام له عليه السلام

وَقَـدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ ، وَآنْحِيَـازَكُمْ عَنْ صُفُـوفِكُمْ ، تَحُـوزُكُمُ آلْجُفَاةُ آلطَّغَـامُ(٢) وَأَعْرَابُ أَهْـلِ آلشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَـامِيمُ آلْعَرَبِ(٣)

---

(١) أي : إنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ، ولن يكون في طاقتهم أن يفرقوكم ، حتى لو شتتوكم تشتيت الكواكب في السماء لاجتمعتم لقتالهم ، وقيل : إنه يريد أن البلاء سيعم ، حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب ـ طلباً لخلاصكم من البلاء ـ لجمعكم الله لشر يوم لهم حتى يأخذهم البلاء كما يأخذكم .

(٢) الطغام ـ كجراد ـ أوغاد الناس .

(٣) لهاميم : جمع لهميم ـ بالكسر ـ وهو السابق الجواد من الخيل والناس .

وَيَآفِيخُ آلشَّرَفِ[١] وَالأَنْفُ آلْمُقَدَّم وَآلسَّنَامُ آلأَعْظَمُ، وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي[٢] أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ[٣] تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ؛ حَسًّا بِالنِّضَالِ[٤] وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ[٥] تَرْكَبُ أُولاَهُمْ كَالإِبِلِ آلْهِيمِ آلْمَطْرُودَةِ[٦] تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

١٠٦ ومن خطبة له عليه السلام

وهيَ مِنْ خُطَبِ آلمَلاَحِم

آلْحَمْدُ لِلّهِ آلْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَآلظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ آلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ إِذْ كَانَتِ آلرَّوِيَّاتُ لاَ تَلِيقُ إِلاَّ بِذَوِي الضَّمَائِرِ. وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ آلسُّتُرَاتِ[٧] وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ آلسَّرِيرَاتِ.

---

(١) اليآفيخ: جمع يأفوخ، وهو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره.

(٢) الوحاوح: جمع وحوحة: وهي صوت معه بحح يصدر عن المتألم، والمراد حرقة الغيظ.

(٣) الأخرة ـ محركة ـ آخر الأمر، وجملة «أن رأيتكم» فاعل «شفى».

(٤) الحس ـ بالفتح ـ القتل، والنضال، المباراة في الرمي، وفي رواية «النصال» بالصاد.

(٥) الشجر ـ كالضرب ـ الطعن.

(٦) الهيم ـ بالكسر ـ العطاش، وتذاد: تمنع.

(٧) جمع سترة، وهي ما يستر به أياً كان.

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ٱخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَمِشْكَاةِ ٱلضِّيَاءِ(١) ، وذُؤَابَةِ ٱلْعَلْيَاءِ(٢) وَسُرَّةِ ٱلْبَطْحَاءِ(٣) وَمَصَابِيحِ ٱلظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ ٱلْحِكْمَةِ .

ومنها : طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ : قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ(٤) يَضَعُ مِنْ ذٰلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ : مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ ، وَآذَانٍ صُمٍّ ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ ٱلْحِكْمَةِ(٥) وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ ، فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ ٱلسَّائِمَةِ وَٱلصُّخُورِ ٱلْقَاسِيَةِ قَدِ ٱنْجَابَتِ ٱلسَّرَائِرُ لِأَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ(٦) ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ ٱلْحَقِّ لِخَابِطِهَا (٧) وَأَسْفَرَتِ ٱلسَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ ٱلْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا . مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ ،

---

(١) المشكاة : كل كوة غير نافذة ، ومن العادة أن يوضع فيها المصباح .

(٢) الذؤابة : الناصية ، أو منبتها من الرأس .

(٣) البطحاء : ما بين أخشبي مكة ، وكانت تسكنه قبائل من قريش ، ويقال لهم « قريش البطاح » .

(٤) مواسمه : جمع ميسم ـ بالكسر ـ وهو المكواة ، ويجمع على مواسم ومياسم .

(٥) قوله « لم يستضيئوا » يحكى حال من لم ينفع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقومات أمزجتهم .

(٦) « انجابت » من قولهم « انجابت الناقة » إذا مدت عنقها للحلب ، أي : إن السرائر خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها ، وأهل البصائر يصرفون السرائر إلى ما يريدون .

(٧) خابطها : السائر عليها .

وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ ، وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ ، وَأَيْقَاظاً نُوَّماً ، وَشُهُوداً غُيَّباً ، وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ ؟ رَأَيْتُ ضَلاَلَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا(١) وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا(٢) تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا(٣) وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا(٤) قَائِدُهَا خَارِجٌ عَنِ ٱلْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى ٱلضَّلَّةِ ، فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ(٥) ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ(٦) تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلأَدِيمِ(٧) وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ(٨) وَتَسْتَخْلِصُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ ٱسْتِخْلاَصَ ٱلطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ(٩) مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ ، وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ؟ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ ، فَٱسْتَمِعُوا مِنْ

---

(١) « قامت على قطبها » تمثيل لانتظام أمرها ، واستحكام قوتها .

(٢) جمع شعبة ، أي : انتشرت بفروعها .

(٣) « تكيلكم » أي : تأخذكم للهلاك جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب .

(٤) « تخبطكم » من « خبط الشجرة » أي : ضربها بالعصي ليتناثر ورقها ، أو من « خبط البعير بيده الأرض » أي : ضربها وعبر بالباع ليفيد استطالتها عليهم ، وتناولها لقريبهم وبعيدهم .

(٥) الثفالة ـ بالضم ـ كالثفل والثافل : ما استقر تحت الشيء من كدرة ، وثفالة القدر : ما يبقى في قعرها من عكارة . والمراد الأرذال والسفلة .

(٦) النفاضة : ما يسقط : بالنفض ، والعكم ـ بالكسر ـ العدل ـ بالكسر أيضاً وهو سفط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسجه فينفض لينظف .

(٧) العرك ـ كالنصر ـ شديد الدلك ، وعركه : حكه حتى عفاه ، والأديم : الجلد .

(٨) المحصود .

(٩) البطينة : السمينة .

رَبَّانِيِّكُمْ(١) وأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ(٢) وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ(٣) وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ ؛ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرْزَةِ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ ٱلصَّمْغَةِ(٤) فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ ٱلطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ ٱلدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ ٱلدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ ، وَهَدَرَ فَنِيقُ ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ (٥) ، وَتَوَاخَى ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ ، وَتَحَابُّوا عَلَى ٱلْكَذِبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى ٱلصِّدْقِ فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً(٦) وَٱلْمَطَرُ قَيْظاً ، وَتَفِيضُ ٱللِّئَامُ فَيْضاً ، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً(٧) ، وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً ، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً ، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً ، وَغَارَ ٱلصِّدْقُ ، وَفَاضَ ٱلْكَذِبُ ، وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَتِ ٱلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ ، وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً ، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً ، وَلُبِسَ ٱلْإِسْلَامُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً .

---

(١) الرباني ـ بتشديد الباء ـ المتأله ، والعارف بالله عز وجل .

(٢) صاح بكم .

(٣) الرائد : من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ، ويتعرف سهولة الوصول إليها من صعوبته وفي المثل : « لا يكذب الرائد أهله » يأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون عنه ، ويوصيهم بالصدق في النصيحة .

(٤) « قرف الصمغة » قشرها ، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة إذا قشرت لا يبقى لها أثر ، كذا قالوا .

(٥) الفنيق : الفحل من الابل و « بعد كظوم » أي : إمساك وسكون .

(٦) يغيظ والده لشبوبه على العقوق ويكون المطر قيظاً لعدم فائدته ؛ فان الناس منصرفون عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى إضرار بعضهم ببعض ، وما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان .

(٧) تغيض : من « غاض الماء » إذا غار في الأرض وجفت ينابيعه .

١٠٧ ومن خطبة له عليه السلام

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ : غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَمَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ ، لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ، لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ ، وَلاَ ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلاَ يَسْبِقُكَ مِنْ طَلَبْتَ ، وَلاَ يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ(١) وَلاَ يَنْقِصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلاَ يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلاَ يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ ، أَنْتَ ٱلأَبَدُ لاَ أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهَى لاَ مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ لاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نَعِيمِ ٱلآخِرَةِ .

منها : مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمٰوَاتِكَ ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا

---

(١) لا يفلتك : لا ينفلت منك .

ٱلْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(١) وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ(٢) وَإِنَّهُمْ ـ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ـ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ(٣) ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .

سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً ، بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ(٤) خَلَقْتَ دَاراً ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً(٥) : مَشْرَباً ، وَمَطْعَماً ، وَأَزْوَاجاً ، وَخَدَماً ، وَقُصُوراً ، وَأَنْهَاراً ، وَزُرُوعاً ، وَثِمَاراً ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا ٱلدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ ٱشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ ٱفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَٱصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ(٦) وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ ٱلشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ ٱلدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا : حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ ٱللهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَى ٱلْمَأْخُوذِينَ

---

(١) المهين : الحقير ، يريد النطفة .
(٢) المنون : الدهر ، والريب : صرفه ، أي لم تفرقهم صروف الزمان .
(٣) زرى عليه ـ كرمى ـ عابه .
(٤) البلاء : يكون نعمة ويكون نقمة ويتعين الأول باضافة الحسن إليه ، أي : ما عبدوك إلا شكراً لنعمك عليهم .
(٥) المأدبة ـ بفتح الدال ، وضمها ـ : ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه ، والمراد منها نعيم الجنة .
(٦) أعشاه : أعماه .

عَلَى ٱلْغِرَّةِ(١) ـ حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ وَحَسْرَةُ ٱلْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً(٢) فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ـ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ـ يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا: أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا(٣) وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا(٤) وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا: تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُون فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ ٱلْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ(٥) وَٱلْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ(٦). وَٱلْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا(٧) فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ(٨)، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ ٱلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا

---

(١) «على الغرة» ـ بالكسر ـ بغتة وعلى غفلة.

(٢) ولوجا، دخولاً، وفعله كوعد.

(٣) أغمض: لم يفرق بين حلال وحرام كأنه أغمض عينيه فلا يميز، أو «أغمض» أي: طلبها من أدق الوجوه وأخفاها، فضلاً عن اظهرها واجلاها.

(٤) تبعاتها ـ بفتح فكسر ـ: ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله، من منع حقه منها، وتخطى حدود شرعه في جمعها.

(٥) المهنأ: ما أتاك من خير بلا مشقة.

(٦) العبء: الحمل، والثقل.

(٧) غلقت رهونه: استحقها مرتهنها، وأعوزته القدرة على تخليصها، كناية عن تعذر الخلاص.

(٨) أصحر له: إذا برز في الصحراء، أي: على ما ظهر له وانكشف من أمره.

دُونَهُ فَلَمْ يَزَلِ ٱلْمَوْتُ يُبَالِغُ في جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ(١) ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ : يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنظَرِ في وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلاَ يَسْمَعُ رَجْعَ كَلاَمِهِمْ . ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوتُ ٱلْتِيَاطاً(٢) فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ ٱلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ : قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِه ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً ، وَلاَ يُجِيبُ دَاعِياً . ثُمَّ حَمَلوهُ إلَى مَخَطٍّ في ٱلأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوا فِيهِ إلَى عَمَلِهِ ، وٱنْقَطَعُوه عَنْ زَوْرَتِهِ(٣) حَتَّى إذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ وَٱلأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ آللهِ مَا يُرِيدُهُ : مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ؛ أَمَادَ ٱلسَّمَاءَ وَفَطَرَهَا(٤) ، وَأَرَجَّ ٱلأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ أَخْلاَقِهِمْ(٥) وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا ٱلأَعْمَالِ ، وَخَبَايَا ٱلأَفْعَالِ ؛ وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ : أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلاَءِ ، وَٱنْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلاَءِ : فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ

---

(١) « خالط لسانه سمعه » : شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته .

(٢) « التياطاً » أي : التصاقاً به .

(٣) زيارته .

(٤) « أماد » جواب « إذا بلغ الكتاب ـ الخ » وأمادها : حركها على غير انتظام ، وفطرها : صدعها .

(٥) أخلاقهم ـ بالفتح ـ : من قولهم « ثوب أخلاق » إذا كانت الخلوقة شاملة له كله ، والخلوقة : البلى ، ونقول : خلق الثوب ـ بالضم ـ فهو خلق ـ بوزان بطل وحسن ـ أي بلي ، و« أخلق الثوب » بالهمز لغة فيه ، وتقول « أخلقه صاحبه » فذو الهمزة لازم ومتعد .

فَأَثَابَهُم بِجَوَارِهِ ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ ٱلنُّزَّالُ . وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ ٱلْحَالُ ، وَلَا تَنُوبُهُمُ ٱلْأَفْزَاعُ[1] وَلَا تَنَالُهُمُ ٱلْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ ٱلْأَسْفَارُ[2] ؛ وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِيَ إِلَى ٱلْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ ٱلنَّوَاصِيَ بِٱلْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ[3] وَمُقَطَّعَاتِ ٱلنِّيرَانِ[4] فِي عَذَابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ[5] وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ[6] ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا ، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[7] لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم :

قَدْ حَقَّرَ ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا عَنْهُ ٱخْتِيَاراً[8] ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا

---

(١) لا تنوبهم الأفزاع : جمع فزع ـ بفتحتين ـ بمعنى الخوف .
(٢) أشخصه : أزعجه .
(٣) السربال : القميص ، والقطران : معروف .
(٤) المقطعات : كل ثوب يقطع كالقميص والجبة نحوها ، بخلاف ما لا يقطع كالإزار والرداء ، والمقطعات أشمل للبدن ، وأشد استحكاماً في احتوائه .
(٥) عبر بالكلب ـ محركاً من هيجانها ، واللجب ـ بالتحريك أيضاً ـ الصوت المرتفع ، وأصله اضطراب موج البحر ، وتقول : جيش ذو لجب ، إذا كان ذا جلبة وصياح ، وباب فعله فرح .
(٦) القصيف : أشد الصوت .
(٧) جمع كبل ـ بفتح فسكون ـ وهو : القيد ، وتفصم : تنقطع .
(٨) زواها : قبضها .

يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[1] أَوْ يَرْجُو فِيهَا مُقاماً ، بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[2] وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِراً ، وَدَعَا إِلَى آلْجَنَّةِ مُبَشِّراً .

نَحْنُ شَجَرَةُ آلنُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ آلرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ آلْمَلائِكَةِ[3] وَمَعَادِنُ آلْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ آلْحِكَمِ ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ آلرَّحْمَةَ ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ آلسَّطْوَةَ .

١٠٨ ومن خطبة له عليه السلام

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ آلْمُتَوَسِّلُونَ إِلى آللّهِ ، سُبْحَانَهُ ، آلإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَآلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ آلإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ آلإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا آلْفِطْرَةُ ، وَإِقَامُ آلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا آلْمِلَّةُ ، وَإِيتَاءُ آلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ آلْعِقَابِ ، وَحَجُّ آلْبَيْتِ وَآعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ آلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ آلذَّنْبَ[4] ، وَصِلَةُ آلرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي آلْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي آلأَجَلِ[5] وَصَدَقَةُ آلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ آلْخَطِيئَةَ ، وَصَدَقَةُ آلْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ آلسُّوءِ ، وَصَنَائِعُ آلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ آلْهَوَانِ .

---

(١) الرياش : اللباس الفاخر .

(٢) معذراً : مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره .

(٣) مختلف الملائكة ـ بفتح اللام ـ محل اختلافهم ، أي : ورود واحد منهم بعد آخر فيكون الثاني كأنه خلف للأول ، وهكذا .

(٤) رحضه ـ كمنعه ـ : غسله .

(٥) منسأة : مطال فيه ومزيد .

أَفِيضُوا في ذِكْرِ آللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ آلذِّكْرِ ، وَآرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ آلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ آلْوَعْدِ، وَآقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ آلْهَدْيِ ، وَآسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّها أَهْدَى آلسُّنَنِ ، وَتَعَلَّمُوا آلْقُرآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ آلْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ آلْقُلُوبِ ، وَآسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ آلصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ آلْقَصَصِ ، فَإِنَّ آلْعَالِمَ آلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ آلْحَائِرِ آلَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ، بَلِ آلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَآلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ آللهِ أَلْوَمُ(١) .

١٠٩ ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ آلدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ ؛ لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا (٢) وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا ، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ(٣) نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ(٤) ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ (٥) لاَ تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ آلرَّغْبَةِ فِيهَا وَآلرِّضَاءِ بِهَا(٦) أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ آللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ آلسَّمَاءِ

---

(١) ألوم : أشد لوماً لنفسه بين يدي الله ؛ لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد .
(٢) الحبرة ـ بالفتح ـ السرور والنعمة .
(٣) حائلة : متغيرة .
(٤) نافذة : فانية « بائدة » ، أي : هالكة .
(٥) غوالة : مهلكة .
(٦) أي : إنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله في قوله « كماء ـ الخ » فقوله « أن تكون » مفعول لتعدو .

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ[1] وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلاَّ أَعْقَبَتْهُ عَبْرَةً[2] وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً[3] إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً ، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ[4] إِلاَّ هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ ، وَحَرِيٌّ ، إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً ، أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[5] لاَ يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً[6] إِلاَّ أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً[7] ، وَلاَ يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلاَّ أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ[8] غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا لاَ خَيْرَ شَيْءٍ مَنْ أَزْوَادِهَا إِلاَّ التَّقْوَى ، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[9] وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ ، كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ[10] وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً[11] وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ

---

(١) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

(٢) بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر ، أو الحزن بلا بكاء .

(٣) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار .

(٤) الطل : المطر الضعيف ، وطلت السماء : أمطرته ، والديمة : مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه ، والرخاء : السعة ، وهتنت المزن : انصبت .

(٥) أوبى : صار كثير الوباء ، والوباء : هو المعروف بالريح الأصفر .

(٦) الغضارة : النعمة والسعة ، والرغب ـ بالتحريك ـ : الرغبة ، والمرغوب .

(٧) أرهقته التعب : ألحقته به .

(٨) القوادم : جمع قادمة ، وهي الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي القوادم .

(٩) يهلكه .

(١٠) أوجعته بفقد ما يعز عليه .

(١١) أبهة ـ بضم فتشديد ـ : عظمة .

رَدَّتْهُ ذَلِيلاً(١) ؟ سُلْطَانُهَا دُوَلٌ(٢) ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ(٣) وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ(٤) وَحُلْوُهَا صَبِرٌ(٥) وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ(٦) وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ(٧) حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ(٨) ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ(٩) أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً ، وَأَبْقَى آثَاراً ، وَأَبْعَدَ آمَالاً ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ جُنوداً : تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ ؛ ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ ، وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ(١٠) ؟ ! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ(١١) أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً ؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ(١٢)

---

(١) النخوة ـ بالفتح ـ : الافتخار .

(٢) جمع دولة ، وهي : انقلاب الزمان .

(٣) رنق ـ بفتح فكسر ـ كدر .

(٤) مالح شديد الملوحة .

(٥) الصبر ـ ككتف ـ : عصارة شجر مر .

(٦) جمع ـ سم ـ مثلث السين ـ وهو من المواد : ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .

(٧) جمع رمة ـ بالضم ـ وهي : القطعة البالية من الحبل ، أي : ما يتمسك به منها فهو بال منقطع .

(٨) موفورها : ما كثر منها مصاب بالنكبة ، وهي المصيبة أي : في معرض لذلك .

(٩) من حربه حرباً ـ بالتحريك ـ : إذا سلب ماله .

(١٠) ظهر قاطع : راحلة تركب لقطع الطريق .

(١١) أي : سخت نفسها لهم بفداء .

(١٢) أرهقتهم : غشيتهم بالقوادح ـ بالقاف ـ جمع قادح ، وهو : أكال يقع في الشجر والأسنان ، أي : بما ينهكهم ويمزق اجسادهم وفي نسخة « الفوادح » بالفاء ـ من « فدحه الأمر » إذا أثقله .

وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَاسِبِ(١) وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ(٢) وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ(٣) وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا(٤) حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا(٥) لِفِرَاقِ الْأَبَدِ(٦) وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ(٧) أَوْأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ(٨) أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ(٩) أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ فَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ، فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا ، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا ، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً(١٠) وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ(١١) فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ(١٢) وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ(١٣) وَمِنَ الرُّفَاتِ

---

(١) ضعضعتهم : ذللتهم .

(٢) كبتهم على مناخرهم في العفر ، وهو التراب .

(٣) جمع منسم ، وهو مقدم خف البعير ، أو الخف نفسه .

(٤) دان لها : خضع .

(٥) ركن إليها .

(٦) أي : فراق مدته لا نهاية لها .

(٧) السغب ـ محركة ـ : الجوع .

(٨) الضنك : الضيق .

(٩) « أو نورت لهم ـ الخ » : لم يكن لهم مما ظنوه نوراً لها إلا الظلام .

(١٠) لا يقال لهم ركبان ، جمع راكب ؛ لأن الراكب من يكون مختاراً وله التصرف في مركوبه .

(١١) القبور .

(١٢) الصفيح : وجه كل شيء عريض ؛ والمراد وجه الأرض ، والاجنان : جمع جنن ـ محركة ـ : وهو القبر .

(١٣) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب .

جِيـرَانٌ[1] فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُـونَ دَاعِيـاً ، وَلَا يَمْنَعُـونَ ضَيْمـاً ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْـدَبَةً : إِنْ جِيـدُوا لَمْ يَفْرَحُـوا[2] وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَـطُوا : جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيـرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مُتَـدَانُـونَ لَا يَتَـزَاوَرُونَ[3] وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[4] وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ؛ آسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ آلْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ، وَبِالْأَهْـلِ غُرْبَـةً وَبِالنُّـورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا[5] حُفَاةً عُرَاةً ، قَـدْ ظَعَنُوا عَنْهَـا بِأَعْمَـالِهِمْ إِلَى آلْحَيَاةِ آلدَّائِمَةِ ، وَآلدَّارِ آلْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَـانَهُ : ﴿ كَمَـا بَدَأْنَـا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

١١٥ ومن خطبة له عليه السلام

ذكر فيها مَلَكَ آلموتِ

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً ؟ أَمْ هَـلْ تَرَاهُ إِذَا تَـوَفَّى أَحَداً ؟

---

(١) الرفات : العظام المندقة المحطومة .

(٢) جيدوا : مطروا .

(٣) متقاربون لا يزور بعضهم بعضاً .

(٤) لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر .

(٥) جاءوا إلى الأرض ، واتصلوا بها ، بعد ما فارقوها ، وانفصلوا عنها ، في بدء خليقتهم ؛ فانهم خلقوا منها كما قال تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ وقوله : « قد ظعنوا عنها » يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار كما يرشد إليه الإستشهاد بالآية .

بَـلْ كَيْفَ يَتَـوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَـطْنِ أُمِّـهِ؟ أَيَلِجُ عَلَيْـهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا(١) أَمِ ٱلـرُّوحُ أَجَابَتْـهُ بِإِذْنِ رَبِّهَـا؟ أَمْ هُوَ سَـاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ !؟

١١١ ومن خطبة له عليه السلام

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ(٢)، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ(٣) قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارُها هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا: فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَـا بِمُرِّهَـا: لَمْ يُصْفِهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَـائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَـا عَلَى أَعْدَائِـهِ، خَيْرُهَـا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ(٤)، وَجَمْعُهَـا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَـا يُسْلَبُ وَعَامِـرُهَا يَخْـرَبُ، فَمَا خَيْـرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ؟ وَعُمُـرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَـاءَ ٱلزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْـرِ؟! ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَـرَضَ ٱللّٰهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ(٥) وَٱسْـأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّـهِ مَا سَـأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُـوا دَعْـوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَـا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُـوا، وَيَشْتَدُّ حُـزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُـوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ

---

(١) يلج: يدخل.

(٢) القلعة ـ كهمزة، وطرفة، ودجنة ـ من لا يثبت على السرج، أو من يـزل قدمـه عند الصراع، أي: هي منزل من لا يستقر.

(٣) النجعـة ـ بـالضم ـ طلب الكـلأ في مـوضعـه، أي: ليست محط الـرحـال، ولا مبلغ الآمال.

(٤) حاضر.

(٥) مطلوبكم، أي: اجعلوا الفرائض من مطالبكم التي تسعون لنيلها، واسألوا الله أن يمنحكم ما سألكم من أداء حقه، أي: يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه.

أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ اغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا(١) قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلآجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلآمَالِ ، فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ، وٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللّهِ : مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ : فَلَا تَوَازَرُونَ ، وَلَا تَنَاصَحُونَ ، وَلَا تَبَاذَلُونَ ، وَلَا تَوَادُّونَ !! مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ، وَلَا يَحْزُنُكُمْ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ ، وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ(٢) ؟ ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ !! وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ إِنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ ٱلآجِلِ ، وَحُبِّ ٱلعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ(٣) صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ عَنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ !

١١٣ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلْوَاصِلِ ٱلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ ، وَٱلنِّعَمَ بِالشُّكْرِ ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ

---

(١) اغتبطوا : غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق .

(٢) قلة صبركم : عطف وجوهكم . وزوي : من « زواه » إذا نحاه .

(٣) عبر باللعقة عن الاقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته .

آلنفُوسِ آلْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ[1] آلسِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ[2] . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ آلْغُيُوبَ ، وَوَقَفَ عَلَى آلْمَوْعُودِ : إِيمَاناً نَفَى إِخْلاصُهُ آلشِّرْكَ ، وَيَقِينُهُ آلشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ آللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى آللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ آلْقَوْلَ ، وَتَرْفَعَانِ آلْعَمَلَ : لاَيَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ ، وَلاَ يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ آللهِ بِتَقْوَى آللَّهِ آلَّتِي هِيَ آلزَّادُ ، وَبِهَا آلْمَعَادُ ، زَادٌ مُبَلِّغٌ ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ[3] فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا ، وَفَازَ وَاعِيهَا .

عِبَادُ آللَّهِ ، إِنَّ تَقْوَى آللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ آللَّه مَحَارِمَهُ[4] ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[5] فَأَخَذُوا آلرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[6] وَآلرِّيَّ بِالظَّمَإِ ، وَآسْتَقْرَبُوا

---

(1) البطاء ـ بالكسر ـ جمع بطيئة ، والسراع : جمع سريعة .
(2) غير تارك شيئاً إلا أحاط به .
(3) وعاها : فهمها وحفظها .
(4) حمى الشيء : منعه ، أي منعتهم ارتكاب محرماتهم .
(5) أظمأتها بالصيام .
(6) التعب .

ٱلأَجَلَ ، فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَكَذِّبُوا ٱلأَمَلَ ، فَلاَحِظُوا ٱلأَجَلَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ : فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ(١) لاَ تُخْطِىءُ سِهَامُهُ ، وَلاَ تُؤْسَى جِرَاحُهُ(٢) يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَٱلصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ ، وَٱلنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ ؛ آكِلٌ لاَ يَشْبَعُ ، وَشَارِبٌ لاَ يَنْقَعُ(٣) وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ ٱلْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لاَ يَأْكُلُ ، وَيَبْنِي مَا لاَ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللّهِ لاَ مَالاً حَمَلَ ، وَلاَ بِنَاءً نَقَلَ ، وَمِنْ غِيَرِها(٤) أَنَّكَ تَرَى ٱلْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً ، وَٱلْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً ، لَيْسَ ذٰلِكَ إِلاَّ نَعِيماً زَلَّ(٥) وَبُؤْساً نَزَلَ ، وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ ، فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ ، فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ ، وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ ! فَسُبْحَانَ ٱللّهِ !! مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا ، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا ، وَأَضْحَى فَيْئَهَا(٦) ، لاَ جَاءٍ يُرَدُّ(٧) وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ ! فَسُبْحَانَ ٱللّهِ !! مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لانْقِطَاعِهِ عَنْهُ .

---

(١) فمن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه ليرمي بها ابناءه .

(٢) تؤسي : تداوي ، من « أسوت الجرح » إذا داويته .

(٣) لا ينقع ـ كينفع ـ : لا يشتفى من العطش بالشرب .

(٤) غيرها ـ بكسر ففتح ـ تقلبها ، والمرحوم : الذي ترق له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ما تجدد له من نعمة .

(٥) من « زل فلان زليلاً وزلولاً » إذا مر سريعاً ، والمراد انتقل . أو هو الفعل اللازم من « أزل إليه نعمه » أسداها .

(٦) أضحى كضحا ، ـ كدعا ـ برز للشمس ، والفيء : الظل بعد الزوال ، أو مطلقاً .

(٧) الجائي : يريد به الموت .

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سِمَاعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّمَاعُ ، وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَزَادَ فِي ٱلدُّنْيَا ؛ فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٌ وَمَزِيدٍ خَاسِرٌ . إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ ، قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ ، فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى[1] بِكُمْ مِنَ ٱلْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ ، وَٱللّٰهِ ، لَقَدِ ٱعْتَرَضَ ٱلشَّكُّ وَدَخِلَ ٱلْيَقِينُ[2] حَتَّى كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ ! فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلْأَجَلِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمْرِ مَا يُرْجَى رَجْعَةِ ٱلرِّزْقِ[3] مَا فَاتَ مِنَ ٱلرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ . ٱلرَّجَاءُ مَعَ ٱلْجَائِي ، وَٱلْيَأْسُ مَعَ ٱلْمَاضِي فـ ﴿ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

---

(١) طلبه : مبتدأ خبره « أولى » وجملتهما خبر « يكون » .

(٢) دخل ـ كفرح ـ خالطه فساد الأوهام .

(٣) الذي يفوت من العمر لا يرجى رجوعه ، بخلاف الذي يفوت من الرزق ، فانه يمكن تعويضه .

١١٣ ومن خطبة له عليه السلام

في ٱلاسْتِسْقاء

ٱللهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا(١) ، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا ، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا ، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ ٱلثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَمَلَّتِ ٱلتَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَٱلْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا . ٱللهُمَّ فَٱرْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ ، وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ . ٱللهُمَّ فَٱرْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا(٢) ٱللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَت عَلَيْنَا حَدَابِيرُ ٱلسِّنِينَ ، وَأَخْلَفَتْنا مَخَايِلُ ٱلْجَوْدِ(٣) ؛ فَكُنْتَ ٱلرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ(٤) وَٱلْبَلاغَ لِلْمُلْتَمِسِ : نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ ، وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ ، وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ(٥) أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخُذَنَا

---

(١) انصاحت : جفت أعالي بقولها ، ويبست من الجدب ، وليس من المناسب « انصاحت » بانشقت إلا أن يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى اتقد باطن الأرض ناراً ، وتنفست في الجبال فانشقت ، وتفسير بقية الألفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب .

(٢) مداخلها في المرابض .

(٣) مخايل : جمع مخيلة ـ كمصيبة ـ وهي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر والجود ـ بالفتح ـ المطر :

(٤) الذي مسته البأساء والضراء ، والبلاغ : الكفاية .

(٥) جمع سائمة : وهي البهيمة الراعية من الابل ونحوها .

بِذُنُوبِنَا ، وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ[1] وَٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ[2] وَٱلنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ[3] سَحاً وَابِلاً[4] تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . ٱللَّهُمَّ سُقْياً مِنْكَ ، مُحْيِيَةً ، مُرْوِيَةً ، تَامَّةً ، عَامَّةً ، طَيِّبَةً ، مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً ، مَرِيعَةً[5] زَاكِياً نَبْتُهَا[6] ، ثَامِراً فَرْعُهَا ، نَاضِراً وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا ٱلضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي بِهَا ٱلْمَيْتَ مِنْ بِلَادِكَ . ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[7] وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[8] وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا[9] ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا[10] مِنْ بَرَكَاتِكَ ٱلْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ ٱلْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ ٱلْمُرْمِلَةِ[11] وَوَحْشِكَ ٱلْمُهْمَلَةِ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَةً[12]

---

(١) « انبعق المزن » : انفرج عن المطر كأنما هو حي انشقت بطنه فنزل ما فيها .

(٢) أغدق المطر : كثر ماؤه .

(٣) من « آنقني » إذا أعجبني ، أو من « آنقه » : إذا سره وأفرحه .

(٤) سحاً : صباً ، والوابل : الشديد من المطر الضخم القطر .

(٥) المريعة ـ بفتح الميم ـ : الخصيبة .

(٦) زاكياً : نامياً ، وثامراً : مثمراً آتياً بالثمر .

(٧) جمع نجد : وهو ما ارتفع من الأرض ، والوهاد : جمع وهدة ، وهو ما انخفض منها .

(٨) الجناب : الناحية .

(٩) القاصية : الناحية ايضاً أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا ، في مقابلة « جنابنا » .

(١٠) ضاحية المال : التي تشرب ضحى ، والضواحي : جمعها .

(١١) بصيغة الفاعل-: الفقيرة .

(١٢) مخضلة : من « أخضله » إذا بله .

مِـدْرَاراً هَاطِلَةً يُـدَافِعُ ٱلْـوَدْقُ مِنْهَا ٱلْـوَدْقَ(١) ، وَيَحْفِزُ ٱلْقَـطْرُ مِنْهَـا ٱلْقُـطْرَ(٢) غَيْرُ خُلَّبٍ بَـرْقُهَا(٣) وَلاَ جَهَـامٍ عَـارِضُهَـا(٤) وَلاَ قَـزَعٍ رَبَـابُهَـا(٥) ، وَلاَ شَفَّـانٍ ذِهَـابُهَـا(٦) حَتَّى يُخْصِبَ لإِمْـرَاعِهَـا ٱلْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا ٱلْمُسْنِتُونَ(٧) فَإِنَّكَ تُنْزِلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ .

قَالَ ٱلشَّرِيفُ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ « ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا » أَيْ : تَشَقَّقَتْ مِنَ ٱلْمُحُولِ ، يُقَالُ ، ٱنْصَاحَ ٱلثَّوْبُ ، إِذَا ٱنْشَقَّ . وَيُقَالُ أَيْضاً : ٱنْصَاحَ ٱلنَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ . وَقَوْلُهُ « وَهَامَتْ دَوَابُّنَا » أَيْ : عَطِشَتْ ، وَالْهُيَامُ : ٱلْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : « حَدَابِيرُ السِّنِينَ » جَمْعُ حِدْبَارٍ : وَهِيَ ٱلنَّاقَةُ ٱلَّتِي أَنْضَاهَا ٱلسَّيْرُ فَشَبَّهَ بِهَا ٱلسَّنَةَ ٱلَّتِي فَشَا فِيهَا ٱلْجَدْبُ ، قَالَ ذُو ٱلرُّمَةِ : ـ

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً
عَلَى ٱلْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْراً

---

(١) الودق : المطر .

(٢) يحفز : يدفع .

(٣) البرق الخلب : ما يطمعك في المطر ولا مطر معه .

(٤) الجهام ـ بالفتح ـ : السحاب الذي لا مطر فيه ، والعارض : ما يعرض في الأفق عن السحاب .

(٥) الرباب : السحاب الأبيض .

(٦) جمع ذهبة ـ بكسر الذال ـ : المطرة القليلة ، وهو المراد باللينة في تفسير صاحب الكتاب .

(٧) المقحطون .

وَقَوْلُهُ « لاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا » : الْقَزَعُ : اَلْقِطَعُ اَلصِّغَارُ اَلْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ اَلسَّحَابِ ، وَقَوْلُهُ «ولاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا » فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ : وَلاَ ذَاتِ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا ، وَاَلشَّفَّانُ : اَلرِّيحُ اَلْبَارِدَةُ ، وَاَلذِّهَابُ : اَلأَمْطَارُ اَللَّيِّنَةُ ، فَحَذَفَ « ذَاتَ » لِعِلْمِ اَلسَّامِعِ بِهِ .

١١٤ ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى اَلْحَقِّ ، وَشَاهِداً عَلَى اَلْخَلْقِ ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ ، غَيْرَ وَانٍ وَلاَ مُقَصِّرٍ[١] ، وَجَاهَدَ فِي اَللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلاَ مُعَذِّرٍ[٢] ، إِمَامُ مَنِ اَتَّقَى وَبَصَرُ مَنِ اَهْتَدَى .

ومنها: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى اَلصُّعُدَاتِ[٣] تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ[٤] ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا ، وَلاَ خَالِفَ عَلَيْهَا[٥]

---

(١) وان : متباطىء متثاقل ، وتقول : ونى في الأمر ونى ونيا ـ من بابي تعب ووعد ـ إذا ضعف وفتر ، فهو وان ، وفي التنزيل : ﴿ ولا تنيا في ذكري ﴾

(٢) واهن : ضعيف ، وتقول : وهن وهنا ـ من باب وعد ـ إذا ضعف فهو وان : في الأمر والعمل والبدن ، وتقول : وهنته ، إذا اضعفته يتعدى ويلزم ، والأجود تعديته بالهمزة ، ووهن يهن ـ بالكسر فيهما ـ لغة ، وجاء مصدره بالتحريك ، . والمعذر : من يعتذر ولا يثبت له عذر .

(٣) الصعدات ـ بضمتين ـ : جمع صعيد بمعنى الطريق ، والصعيد : التراب ، ويقال : هو وجه الأرض . ويجمع على صعد وصعدات ، وطريق وطرق وطرقات أي : لتركتم منازلكم وهمتم في الطرق من شدة الخوف .

(٤) الالتدام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة .

(٥) الخالف : من تتركه في أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب .

وَلَهَمَّتْ كُلَّ آمْرِىءٍ نَفْسُهُ[1] لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ[2] ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ آللّٰهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ : قَوْمٌ ، وَآللّٰهِ ، مَيَامِينُ آلرَّأْيِ[3] مَرَاجِيحُ آلْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ ، مَضَوْا قُدُماً[4] عَلَى آلطَّرِيقَةِ ، وَأَوْجَفُوا عَلَى آلْمَحَجَّةِ[5] فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى آلدَّائِمَةِ ، وَآلْكَرَامَةِ آلْبَارِدَةِ[6] أَمَا وَآللّٰهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ آلذَّيَّالُ آلْمَيَّالُ[7] : يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ !

---

(١) همته : حزنته وشغلته ، ويروى « ولأهمت كل امرىء ـ الخ » وهو أفصح من الرواية المذكورة ، تقول : أهمني الأمر ، أي : أحزنني .

(٢) تقول : تاه عن فلان رأيه ، أي : عزب ، وغاب ، وضل .

(٣) ميامين : جمع ميمون ، وهو المبارك ، « مراجيح » : أي : حلماء من « رجح » إذا ثقل ومال بغيره ، والمراد الرزانة ، أي : رزناء الحلم ـ بكسر الحاء ـ وهو العقل ، ومقاويل : جمع مقوال ، وهو من يحسن القول ، ومتاريك : جمع متراك ، وهو المبالغ في الترك .

(٤) القدم ـ بضمتين ـ : المضي إلى أمام ، أي : سابقين .

(٥) الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل ، وأوجف خيله : سيرها بهذا النوع ، أي : أسرعوا على الطريق المستقيمة .

(٦) من قولهم : « عيش بارد » أي : هنيء ويقال « غنيمة باردة ، وكرامة باردة » إذا كانت قد أخذت بغير حرب ولا عنف ، وذلك أن المأخوذ بالحرب جار في المعنى ؛ لما يلاقيه كاسه وان في تحصيله .

(٧) الذيال : الطويل القد ، الطويل الذيل ، المتبختر في متيته ، وأصله من « ذال » إذا تبختر وجر ذيله على الأرض تيهاً وعجباً ، وجر الذيول من اعمال المتكبرين أو « الميال » : الجائر الظالم العادل عن طريق الحق والعدل ، و« يأكل خضرتكم » أي اموالكم ، و« يذيب شحمتكم » مثله ، وكلتا الجملتين استعارة . . .

قَالَ ٱلشَّرِيفُ : أَقُولُ : ٱلْوَذَحَةُ : ٱلْخُنْفَسَاءُ . وَهٰذَا ٱلْقَوْلُ يُومِىءُ بِهِ إِلَىٰ ٱلْحَجَّاجِ وَلَهُ مَعَ ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ .

١١٥ ومن كلام له عليه السلام

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا ، تَكْرُمُونَ بِاللّٰهِ عَلَى عِبَادِهِ(٢) ، وَلَا تُكْرِمُونَ ٱللّٰهَ فِي عِبَادِهِ ، فَٱعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَٱنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ .

١١٦ ومن كلام له عليه السلام

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ ، وَٱلْجُنَنُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ(٣) وَٱلْبِطَانَةُ دُونَ ٱلنَّاسِ(٤) بِكُمْ أَضْرِبُ ٱلْمُدْبِرَ ،

---

(١) قالوا : أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها ، فعادت ثم طردها فعادت ، فأخذها بيده فلسعته ، فورمت يده ، وأخذته حمى من اللسعة فأهلكته ، قتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها ، وأصل الوذح : ما يتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف ، وسميت الخنفساء وذحة على التشبيه بالبعرة .

(٢) كرم الشيء ـ كحسن يحسن ـ أي : عز ونفس ، أي : إنكم تصيرون أعزاء بنسبتكم للإيمان بالله ، ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالإحسان إلى عباده .

(٣) الجنن ـ بضم ففتح ـ : جمع جنة ـ بالضم ـ وهي الوقاية ، والبأس : الشدة .

(٤) بطانة الرجل : خواصه ، وأصحاب سره .

وَأَرْجُو طَاعَةَ ٱلْمُقْبِلِ(١) فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ ؛ سَلِيمَةٍ مِنَ ٱلرَّيْبِ ، فَوَٱللّٰهِ إِنِّي لَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِالنَّاسِ .

١١٧ ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ جمعَ الناسَ وحضَّهمْ عَلى ٱلجهاد فسكتُوا مليا(٢)

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ : أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ :

مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ(٣) وَلاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ؟ أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي أَنْ أَخْرُجَ ؟! إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ ٱلْمِصْرَ ، وَٱلْجُنْدَ ، وَبَيْتَ ٱلْمَالِ ، وَجِبَايَةَ ٱلأَرْضِ وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱلنَّظَرَ فِي حُقُوقِ ٱلْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ ٱلْفَارِغِ(٤) . وَإِنَّمَا أَنَا

---

(١) أما ضربه بهم المدبر فظاهر ، وأما رجاء طاعة المقبل فلأن من ينضوي إليه من المخالفين إذا رأى ما عليه شيعته وبطانته من الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة أطاعه بقلبه باطناً ، بعد أن كان انضواؤه إليه على الظاهر .

(٢) قال بعضهم : إن أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان يغير أهل الشام على أطراف أعماله بعد واقعة صفين ، وقوله « سكتوا ملياً » أي : ساعة طويلة ، وتقول : مضى ملي من النهار ، وفي التنزيل : ﴿ واهجرني ملياً ﴾ وكذلك تقول : أقمت عند فلان ملاوة من الدهر ـ والميم مثلثة ـ أي : حيناً وبرهة .

(٣) سدده : وفقه للسداد .

(٤) القدح ـ بالكسر ـ : السهم قبل أن يراش وينصل ، والجفير : الكنانة توضع فيها =

قُطْبُ ٱلرَّحَى ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ ٱسْتَحَارَ(١) مَدَارُهَا ، وَٱضْطَرَبَ ثُفَالُهَا(٢) هٰذَا ـ لَعَمْرُ ٱللّٰهِ ـ ٱلرَّأْيُ ٱلسُّوءُ !! وَٱللّٰهِ لَوْلَا رَجَائِي ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ(٣) ؛ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي (٤) ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ(٥) مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ٱلَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ(٦) مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى ٱلنَّارِ .

١١٨ ومن كلام له عليه السلام

تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ(٧) وَتَمَامَ

= السهام ، وقيل : الحفير وعاء للسهام أوسع من الكنانة ، وإنما خص القدح لأنه يكون أشد قلقلة من السهم المراش ، حيث إن حد الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها .

(١) استحار : تردد ، واضطراب .

(٢) الثفال ـ كغراب ، وكتاب ـ : الحجر الأسفل من الرحى ، وككتاب : ما وقيت به الرحي من الأرض ، وهو جلد يبسط ثم توضع الرحى فوقه ويطحن ؛ ليسقط عليه الدقيق .

(٣) حم : قدر .

(٤) حزمت إبلي وأحضرتها للركوب « وشخصت » أي : بعدت عنكم ، وتخليتُ عن أمر الخلافة .

(٥) الغناء ـ بالفتح والمد ـ : النفع .

(٦) الذي حتم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلته ، وإنما قال « الطريق الواضح » فذكر الطريق ، ثم قال « لا يهلك عليها » فأنث ؛ لأنه يذكر ويؤنث .

(٧) جمع عدة ـ بكسر العين ـ وهي الوعد ، وقوله « لقد علمت » يروي الفعل مبنياً للمعلوم =

ٱلْكَلِمَاتِ ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ أَبْوَابُ ٱلْحِكَمِ ، وَضِيَاءُ ٱلأَمْرِ ، أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ(١) مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ .

ٱعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ ، وَتُبْلَى فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ(٢) وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ(٣) وَٱتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ(٤) .

أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ ، يَجْعَلُهُ ٱللّٰهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ(٥) .

١١٩ ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ

= مخفف الحشو ، ويروى للمجهول مشدد اللام ، والرواية الثانية أصح وأوفق وإتمام العدات : إنجازها والوفاء بها .

(١) مستقيمة : أو قريبة سهلة ، يقال : بيننا وبين الماء ليلة قاصدة .

(٢) عازبه : غائبه ، أي : من لم ينتفع بعقله الموهوب له الحاضر في نفسه ، فأولى به أن لا ينتفع بعقل غيره الذي هو غائب عن نفسه ، أي : ليس من صفاتها ، بل من صفات الغير ، والمراد أن من لم يكن له من نفسه ومن ذاته واعظ وزاجر يردعه عن فعل القبيح وإتيان ما يلحقه العار بسببه ؛ فبعيد أن يرتدع بعظة غيره أو ينزجر بزجره ، كما قيل : من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ .

(٣) عوز الشيء ـ كفرح ـ أي : لم يوجد .

(٤) الصديد : ماء الجرح الرقيق والحميم .

(٥) اللسان الصالح : الذكر الحسن .

أَمَرْتَنا بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ ٱلأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ ؟ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى ٱلأُخْرَى ثُمَّ قَالَ :

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ(٢) أَمَا وَٱللّٰهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللّٰهُ فِيهِ خَيْراً : فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقَى ، وَلٰكِنْ بِمَنْ ؟ وَإِلَى مَنْ ؟ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا(٣) .

ٱللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا ٱلدَّاءِ ٱلدَّوِيِّ(٤) وَكَلَّتِ ٱلنَّزَعَةُ

---

(١) هذه احدى شبه الذين خرجوا على الإمام رضي الله عنه ، يريدون بذلك أن يحكموا بأنه مخطىء لا محالة ؛ لأنه قد نهاهم أول الأمر عن الحكومة ثم أمرهم بها وسوغها : فإن كانت الحكومة مصلحة فقد أخطأ في بادىء الأمر حين نهاهم عنها ، وإن كانت الأخرى فقد أخطأ حين رجع عن رأيه الأول وجوزها . وهذا كلام من لا يعرف الحق ولا يذعن له إن ظهر ؛ فإن لإمام المؤمنين أن يأمرهم بما يغلب على ظنه أنه مصلحة ، ولا يمنعه ذلك من أن يغير أمره لمصلحة تظهر بعد خفاء .

(٢) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة ، حتى يكون الظفر أو الهزيمة .

(٣) الضلع ـ بتسكين اللام ـ الميل ، وأصل المثل : « لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها » يضرب للرجل يخاصم آخر ، ويستعين عليه بمن هو من قرابته ، أو أهل مشربه ، ونقش الشوكة : إخراجها من العضو تدخل فيه ومعنى المثل : لا تستخرج الشوكة الناشبة في رجلك بشوكة مثلها ؛ فإن إحداهما في القوة والضعف كالأخرى : فكما أن الأولى انكسرت لما وطئها فدخلت في لحمك ، فالثانية إذا حاولت استخراج الأولى بها تتكسر وتلج في لحمك .

(٤) الدويّ ـ بفتح فكسر ـ المؤلم الشديد .

بِأَشْطَانِ ٱلرَّكِيِّ(١) أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ؟ وَقَرَأُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَهُيِّجُوا إِلَى ٱلْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا(٢) وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً ؟ بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا ! لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ(٣) وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَى ، مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ(٤) خُمْصُ ٱلْبُطُونِ(٥) مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ(٦) صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ(٧) وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ(٨) فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ(٩) وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ(١٠) .

---

(١) كلت : ضعفت ، والنزعة : جمع نازع ، وهو الذي يستقي الماء ، والأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل ، والركي : جمع ركية ؛ وهي البئر ، أي : ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة .

(٢) اللقاح : جمع لقوح ، وهي الناقة ، و « ولها إلى أولادها » فزعها إليها إذا فارقتها .

(٣) إذا قيل لهم : نجا فلان فبقي حياً لا يفرحون ؛ لأن أفضل الحياة عندهم حياة السعادة الأبدية .

(٤) مره ـ بضم فسكون ـ جمع أمره ، من « مرهت عينه » إذا فسدت ، أو ابيضت حماليقها .

(٥) خمص البطون : ضوامرها .

(٦) ذبلت شفته : جفت ويبست لذهاب الريق .

(٧) يسني : يسهل .

(٨) يعطيكم الفرقة بدل الجماعة ، كأنه يبيعهم الثانية بالأولى .

(٩) فاصدفوا : أي فأعرضوا عن وساوسه.

(١٠) اعقلوها : احبسوها على انفسكم لا تتركوها فتضيع منكم .

١٢٠

ومن كلام له عليه السلام

قَالَهُ لِلْخَوَارِجِ ، وَقَدْ خَرَجَ إلى مُعَسْكَرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلى إنكارِ آلْحُكومَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالوا : منا من شهد ومنا من لم يشهد ، قَالَ : فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّيْنَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً ، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ بِكَلاَمِهِ ؛ وَنَادَى آلنَّاسَ فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ آلْكَلاَمِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إلَيَّ ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل منه :

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ آلْمَصَاحِفَ ـ حِيلَةً، وَغِيلَةً ، وَمَكْراً ، وَخَدِيعَةً ـ إخْوَانُنَا ، وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا : آسْتَقَالُونَا ، وَآسْتَرَاحُوا إلَى كِتَابِ آللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ آلْقَبُولُ مِنْهُمْ ، وَآلتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ : هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ ، فَأَقِيمُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ ، وَآلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى آلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ ، وَلاَ تَلْتَفِتُوا إلَى نَاعِقٍ نَعَقَ إنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ آلْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا[1] وَآللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلاَ حَمَّلَنِي آللَّهُ ذَنْبَهَا ، وَوَآللَّهِ إنْ جِئْتُهَا إنِّي لَلْمُحِقُّ آلَّذِي يُتَّبَعُ ، وَإنَّ آلْكِتَابَ لَمَعِيَ : مَا

---

(١) أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم .

فَـارَقْتُهُ مُـذْ صَحِبْتُهُ : فَلَقَـدْ كُنَّا مَـعَ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ ٱلْقَتْـلَ لَيَدُورُ عَلَىٰ ٱلآبَـاءِ وَٱلأَبْنَاءِ وَٱلإِخْـوَانِ وَٱلْقَرَابَـاتِ فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُـلِّ مُصِيبَةٍ وَشِـدَّةٍ إِلَّا إِيمَانـاً ، وَمُضِيّـاً عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَتَسْلِيماً لِلأَمْرِ ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ ٱلْجِـرَاحِ ، وَلٰكِنَّا إِنَّمَـا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ ٱلـزَّيْغِ وَٱلإِعْـوِجَاجِ وَٱلشُّبْهَةِ وَٱلتَّأْوِيـلِ ، فَإِذَا طَمِعْنَـا فِي خَصْلَةٍ[1] يَلُمُّ ٱللَّهُ بِهَا شَعْثَنَـا ، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

١٢١ ومن كلام له عليه السلام

قَالَهُ لأَصْحَابِهِ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ

وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَـأْشٍ عِنْدَ ٱللِّقَـاءِ[2] وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْـوَانِـهِ فَشَـلاً[3] ، فَلْيَـذُبَّ عَنْ أَخِيـهِ بِفَضْـلِ نَجْـدَتِهِ ٱلَّتِي فُضِّـلَ بِهَا عَلَيْـهِ ، كَمَا يَـذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ . فَلَوْ شَـاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ ٱلْمَـوْتَ طَـالِبٌ حَثِيثٌ[4] : لَا يَفُـوتُـهُ ٱلْمُقِيمُ وَلَا

---

(١) المراد من الخصلة ـ هنا : الوسيلة ، ولم شعثه : جمع أمره ، ونتـداني : نتقـارب إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

(٢) أحس : علم ، ووجـد ، ورباطـة الجأش ـ ككتابة ـ قـوة القلب عند لقـاء الأعـداء ، قـال ابن أبي الحديـد : والماضي « ربط » كـأنه يـربط نفسـه عن الفـرار ، والمـروى « ورباطة » بالكسر، ولا أعـرفه نقـلاً ، ولكن القياس لا يـأباه ، مثـل : عمر عمـارة ، وخلب خلابة .

(٣) الفشل : الضعف ، وقوله « فليذب » أي : فليدفع ، النجدة ـ بالفتح ـ الشجاعة .

(٤) الحثيث : السريع . قـال الشارح : وفي بعض الـروايات « فليـذب » بالادغـام ، وفي =

يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ وَٱلَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى ٱلْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللَّهِ .

منه : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُم تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ(١) لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً ! قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ(٢) . فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ .

١٢٣ ومن كلام له عليه السلام

فِي حَثِّ أَصْحَابِهِ عَلَى القِتَالِ

فَقَدِّمُوا ٱلدَّارِعَ(٣) ، وَأَخِّرُوا ٱلْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى

= بعضها « فليذب » بفكه . والميتة ـ بالكسر ـ هيئة الميت كالجلسة والركبة لهيئة الجالس والراكب ، ويقال : مات فلان ميتة حسنة ، والمروي في أكثر الروايات بالكسر ، وقد روى « من موته » بالفتح وهو المرة الواحدة ، وهو الأليق ؛ ليقع في مقابلة « ألف ضربة » في سبيل الحماية عن الحق ورد كيد الباطل عنه .

(١) كشيش الضباب : صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم عند الهزيمة ، وقال الشارح : الكشيش . صوت يشوبه خور مثل الخشخشة ، وكشيش الأفعى صوتها من جلدها لا من فمها ، قال الراجز :

كشيش أفعى أجمعت لعض ... وهي تحك بعضها ببعض

(٢) قد خلي بينكم وبين طريق الآخرة ، فمن اقتحم أخطار القتال ورمى بنفسه إليها فقد نجا ، ومن تلوم ـ أي : توقف وتباطأ ـ فقد هلك .

(٣) الدارع : لابس الدرع ، والحاسر : من لا درع له . ولا مغفر ، وقد أمرهم بذلك لأن سورة الحرب تصادف الأول المتقدم .

ٱلْأَضْرَاسِ ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ (١) وَٱلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ (٢) فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ . وَغُضُّوا ٱلْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ ، وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا ، وَلَا تُخِلُّوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَٱلْمَانِعِينَ ٱلذِّمَارَ مِنْكُمْ (٣) فَإِنَّ ٱلصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ (٤) ، هُمُ ٱلَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ ، وَيَكْتَنِفُونَهَا : حِفَافَيْهَا ، وَوَرَاءَهَا ، وَأَمَامَهَا ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا .

أَجْزَأَ ٱمْرُؤٌ قِرْنَهُ (٥) وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى

---

(١) «أنبى» من « نبا السيف » إذا وقفته الصلابة من موقعه فلم يقطع .

(٢) إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسنتها . « وأمور » . أي : أشد فعلاً للمور ، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ ، وإنما أمرهم بغض الأبصار في الحرب لأن الغاض بصره في الحرب أحرى ألا يدهش ولا يرتاع لهول ما ينظر . وإنما أمرهم بإماتة الأصوات وإخفاءها لأنه أطرد للفشل وأذهب للجبن والخوف ، كما قال ، وذلك لأن الجبان يرعد ويبرق والشجاع صامت لا يتكلم وإنما يفعل .

(٣) الذمار ـ بالكسر ـ ما يلزم الرجل حفظه وحمايته : من ماله ، وعرضه . أمرهم ألا يجعلوا رايتهم بيد الجبناء وذوي الهلع منهم لأن هؤلاء يخيمون ويجبنون فإذا فعلوا ذلك انهزم الجمع .

(٤) جمع حاقة ، وهي النازلة الثابتة ، و« يحفون بالرايات » أي : يستديرون حولها ، ويكتنفونها : يحيطون بها ، وحفافيها : جانبيها .

(٥) « أجزأ » وما بعده : أفعال ماضية في معنى الأمر ، أي : فليكف كل منكم قرنه ـ أي كفؤه وخصمه ـ فيقتله ، وليواس أخاه ، آساه يواسيه : قواه ، رباعي ثلاثية « أسى البناء » إذا قوي ، ومنه الأسية للمحكم من البناء والدعامة ، ولا يترك خصمه إلى أخيه فيتجمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه .

أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَآيْمُ ٱللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ[1] وَٱلسَّنَامُ ٱلأَعْظَمُ . إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ ٱللَّهِ[2] وَٱلذُّلَّ ٱللاَّزِمَ ، وَٱلْعَارَ ٱلْبَاقِيَ ، وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمْرِهِ ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ . ٱلرَّائِحُ إِلَى ٱللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ ٱلْمَاءَ . ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي[3] ، ٱلْيَوْمَ تُبْلَى ٱلأَخْبَارُ[4] ، وَٱللَّهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . ٱللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا ٱلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ[5] ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ[6] يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلنَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ

---

(١) لهاميم : جمع لهميم بالكسر ـ الجراد السابق من الإنسان والخيل ، وقيل : للواحد لهموم ، وقوله « والسنام الأعظم » يريد شرفهم وعلو أنسابهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير ، فهو على طرق الاستعارة .

(٢) موجدته : غضبه وسخطه. وقوله « والذل اللازم » يروى بالزاي وبالذال ، وهما بمعنى واحد ، تقول: لذمت المكان ولزمته ، بمعنى .

(٣) العوالي : الرماح ، وهذا المعنى مأخوذ من قوله ﷺ « الجنة تحت ظلال السيوف » ويروى أن رجلاً من الأنصار سمع النبي ﷺ يقول ذلك يوم أُحد ، وكان في يده تميرات يأكلها ، فقال بخ بخ ، ليس بيني وبين الجنة سوى هذه التميرات ، ثم قاتل حتى قتل .

(٤) تبلى : تمتحن أخبار كل امرىء عما في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان فيتبين الصادق من الكاذب ، وهذا مأخوذ مما في التنزيل : ﴿ ونبلوا أخباركم ﴾ .

(٥) أبسله : أسلمه للهلكة ، فهو مبسل ، وقال الله تعالى : ﴿ أن تبسل نفس . أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ﴾ أي : أسلموا للهلاك لأجل ما اكتسبوه من الإثم . قال الشارح وهذه الألفاظ كلها لا يتلو بعضها بعضاً وإنما هي منتزعة من كلام طويل : انتزعها الرضي واطرح ما عداها .

(٦) دراك ـ ككتاب ، متتابع متوال ، بفتح في أبدانهم أبواباً يمر منها النسيم .

يَفْلِقُ ٱلْهَامَ ، وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ ٱلسَّوَاعِدَ وَٱلأَقْدَامَ[1] ، وَحَتَّى يُرْمَوْا بِٱلْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ[2] ، وَيُرْجَمُوا بِٱلْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا ٱلْحَلاَئِبُ[3] وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلاَدِهِمُ ٱلْخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ[4] وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ[5] .

قَالَ **الشريفُ** : أَقُولُ : الدَّعْقُ : الدَّقُ ، أَي : تَدُقُّ ٱلْخُيولُ بِحَوَافِرِها أرضَهُمْ . وَنَواحِرُ أَرضِهم : مُتَقابلاتُها . يُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فلانٍ تتناحَرُ ، أي : تتقابَلُ .

١٢٣ ومن كلام له عليه السلام

فِي التَّحْكِيمِ

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ ٱلرِّجَالَ ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا ٱلْقُرْآنَ ، وَهٰذَا ٱلْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ ٱلدَّفَّتَيْنِ[6] لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ

---

(١) « يندرها » ـ بوزن يهلكها أي يسقطها.

(٢) المناسر: جمع منسر ـ كمجلس، القطعة من الجيش تكون امام الجيش الأعظم .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، وهي من المائة إلى الألف ، والحلائب جمع حلبة وهي ـ على ما في القاموس ـ الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة ، والخميس : الجيش العظيم ، وقيل : من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً .

(٤) دعق الطريق ـ كمنع وطئه وطئاً شديداً ، ودعق الغارة : بثها .

(٥) أعنان الشيء : أطرافه ، والمسارب : المذاهب للرعي .

(٦) الدفتان : صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف ، والترجمان ـ بفتح التاء =

تَرْجُمَانٍ ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ ٱلرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَانَا ٱلْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا ٱلْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ ٱلْفَرِيقَ ٱلْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ ٱللّٰهِ تَعَالَى ، وَقَدْ قَالَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللّٰهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ فَرَدُّهُ إِلَى ٱللّٰهِ : أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللّٰهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِهِ(١) ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي ٱلتَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ ٱلْجَاهِلُ ، وَيَتَثَبَّتَ ٱلْعَالِمُ ، وَلَعَلَّ ٱللّٰهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ ٱلْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا(٢)

= وسكون الراء وضم الجيم ، وربما ضموا التاء اتباعاً لضم الجيم ـ هو من يفسر اللغة بلسان آخر ، قال الراجز: كالترجمان لقي الأنباطا* وقال الآخر: قد احوجت سمعي إلى ترجمان* يقول عليه السلام : لا اعتراض عليَّ في التحكيم ؛ وقول الخوارج « حكمت الرجال » كلام غير صحيح ؛ لأنني إنما حكمت القرآن ، ولكن القرآن لا ينطق بنفسه ، فلا بد له ممن يترجم .

(١) يريد أنه دعي إلى التحكيم لم يرد أن يكون من الذين قال الله عزَّ وجلَّ في شأنهم : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ بل أجاب عملاً بما ذكره من النص ، ولو حكموا بالحق في هذه الواقعة لوجدوه أحق بتدبير أمر الأمة .

(٢) الأكظام : جمع كظم ـ محركة ـ وهو مخرج النفس ، والأخذ بالأكظام : المضايقة والاشتداد بسلب المهلة ، يقول : كرهت أن أعجل القوم عن التبين والاهتداء ، فيكون إرهاقي لهم وتركي التنفيس عن خناقهم ادعى إلى فسادهم وأحرى أن يحملهم على ركوب متن الغي وألا يقلعوا عما هم عليه من القبيح .

فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ .

إِنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللّٰهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ، وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ(١) ، مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ؟ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ؟ ٱسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ ٱلْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ(٢) لَا يَعْدِلُونَ بِهِ! جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ ، نُكُبٍ عَنِ ٱلطَّرِيقِ(٣) ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا(٤) وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا(٥) ، لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ(٦) أُفٍّ

---

(١) كرثه ـ كنصره وضربه ـ اشتد عليه الغم بحكم الحق؛ فإن الحزن بالحق مسرة لديه ، والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم . وقوله « من الباطل » متعلق بأحب إليه .

(٢) « أين يتاه بكم » معناه أين تذهبون في التيه ، يعني في الحيرة ، ويروى « فأنى يتاه بكم » وقوله « ومن أين أتيتم؟ » معناه من أي المداخل دخل عليكم الشيطان أو الشبهة؟ ومن الموالج ولج التلبيس إليكم؟ وقوله « موزعين » : من « أوزعه » أي : أغراه ؛ وقوله « لا يعدلون به » أي : أي لا يستبدلونه بالعدل .

(٣) الجفاة جمع جاف ؛ وهو النابي البعيد عن الشيء ، أي : قد تباعدوا عن الكتاب فلا هو يلائمهم ولا هم يجنحون إليه ، ونكب : جمع ناكب ؛ وهو الحائد عن الطريق .

(٤) أي بعروة وثيقة يستمسك بها . وقال الشارح « أي : بذي وثيقة ، فحذف المضاف ، والوثيقة : الثقة ، يقال : قد أخذت في أمر فلان بالوثيقة ؛ أي : بالثقة ، والثقة مصدر » اهـ.

(٥) زافرة الرجل : أنصاره وأعوانه .

(٦) الحشاش : جمع حاش ، من « حش النار » أي : أوقدها ، أي لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم ، وروي حشاش ـ بزنة غراب ـ وهو ما توقد به النار ، وروي حشاش بفتح الحاء كسحاب ـ وهو الحطب الذي يلقى في النار قبل الحطب الجزل ، قاله ابن أبي الحديد .

لَكُمْ ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحاً(١) !! يَوْماً أُنَادِيكُمْ ؛ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ! فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلنَّجَاءِ(٢) .

١٢٦ ومن كلام له عليه السلام

لما عوتبَ على التَّسويَةِ فِي ٱلْعَطَاءِ

أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ ٱلنَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ؟ وَٱللّٰهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ(٣) وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي ٱلسَّمَاءِ نَجْماً(٤) لَوْ كَانَ ٱلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ؛ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا ٱلْمَالُ مَالُ ٱللّٰهِ ! أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ ٱلْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ فِي ٱلآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي ٱلنَّاسِ ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ ، وَلَمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ

---

(١) برحا ـ بالفتح : شراً أو شدة .

(٢) النجاء : الافضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر . وهو مصدر ناجيته ، مثل قاتلته وناديته .

(٣) ما أطور به : من « طار يطور حول الشيء » أي : ما آمر به ، ولا أقاربه ، مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون . و« ما سمر سمير » أي : مدى الدهر . وهو مثل ، والمشهور فيه « ما سمر ابنا سمير » قالوا . السمير هو الدهر وابناه الليل والنهار ، وقيل السمير هو السمر ، وجعل الليل والنهار بينه لأنه يسمر فيهما ، وربما قالوا : « لا أفعله السمر والقمر » أي : ما دام الناس في ليالي القمر ، وقد يقولون « لا أفعله سمير لليالي » ومنه قول الشنفرى في بعض رواياته : .

هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر

(٤) أي : ما قصد نجم نجماً .

حَـرَمَهُ ٱللّهُ شُكْـرَهُمْ ، وَكَانَ لِغَيْـرِهِ وُدُّهُمْ ، فَإِنْ زُلَّتْ بِـهِ ٱلنَّعْلُ يَـوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ(١) وَأَلأَمُ خَلِيلٍ .

١٢٥ ومن كلام له عليه السلام

فَـإِنْ أَبِيتُمْ إِلاَّ أَنْ تَـزْعُمُـوا أَنِّي أَخْـطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَـامَّـةَ أُمَّـةِ مُحَمَّـدٍ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ، بِضَـلاَلِي ، وَتَـأْخُـذُونَهُمْ بِخَـطَئِي وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِـذُنُـوبِي؟! سُيُـوفُكُمْ عَلَى عَـوَاتِقِكُمْ تَضَعُـونَهَـا مَـوَاضِـعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُـذْنِبْ ، وَقَـدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُـولَ ٱللّهِ ، صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ، رَجَمَ ٱلـزَّانِي ثُمَّ صَلَّى عَلَيْـهِ ، ثُمَّ وَرَّثَـهُ أَهْلَهُ ، وَقَتَـلَ ٱلْقَـاتِـلَ وَوَرَّثَ مِيـرَاثَـهُ أَهْلَهُ ، وَقَـطَعَ ٱلسَّـارِقَ وَجَلَدَ ٱلـزَّانِيَ غَيْـرَ ٱلْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَـا مِنَ ٱلْفَيْءِ ، وَنَكَحَـا ٱلْمُسْلِمَاتِ فَـأَخَذَهُمْ رَسُـولُ ٱللّهِ ، صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ، بِـذُنُـوبِهِمْ، وَأَقَـامَ حَقَّ ٱللّهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلإِسْـلاَمِ ، وَلَم يُخْـرِجْ أَسْمَـاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ(٢) ثُمَّ أَنْتُمْ شِـرَارُ

(١) خدين : صديق ، وأصل هذه المسألة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يسوي بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات ، فلما أفضت الخلافة إلى أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضل السابقين من المهاجرين على غيرهم ، وجمهور المهاجرين على الأنصار ، والعرب على العجم ، فلما كان عهد الإمام علي رجع إلى سنة أبي بكر .

(٢) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر ، فأراد الإمام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

آلنَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ آلشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[١] .

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ آلْحُبُّ إِلَى غَيْرِ آلْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ آلْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ آلْحَقِّ ، وَخَيْرُ آلنَّاسِ فِيَّ حَالاً آلنَّمَطُ آلأَوْسَطُ فَآلْزَمُوهُ ، وَآلْزَمُوا آلسَّوَادَ آلأَعْظَمَ ، فَإِنَّ يَدَ آللَّهِ مَعَ آلْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَآلْفُرْقَةَ فَإِنَّ آلشَّاذَّ مِنَ آلنَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ آلشَّاذَّ مِنَ آلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ ! أَلاَ مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا آلشِّعَارِ فَآقْتُلُوهُ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ[٢] .

وَإِنَّمَا حُكِّمَ آلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا آلْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ آلْقُرْآنُ ، وَإِحْيَاؤُهُ آلاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ : فَإِنْ جَرَّنَا آلْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ آتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا آتَّبَعُونَا ، فَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[٣] وَلاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ[٤] وَلاَ لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا آجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى آخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لاَ يَتَعَدَّيَا آلْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا آلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ آلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ آسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي آلْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ ،

---

(١) سلك به في بادية ضلاله .

(٢) الشعار : علامة القوم في الحرب والسفر ، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً . قيل : كان شعار الخوارج «لا حكم إلاّ لله» ، وقيل : المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة . فيريد الإمام أن كل خارج عن رأي الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه ، فهو واجب القتل ، وإلاّ كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين .

(٣) البجر ـ بالضم ـ : الشر ، والأمر العظيم .

(٤) ختلتكم : خدعتكم ، والتلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحق فيه .

وَٱلصَّمْدِ لِلْحَقِّ ، سُوءَ رَأْيِهِمَا(١) وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

١٢٦ ومن خطبة له عليه السلام

فِيمَا يخبرُ بِهِ عن ٱلملاحمِ بِالبَصْرة(٢)

يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ ٱلَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ(٣) وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ(٤) يُثِيرُونَ ٱلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ ٱلنَّعَامِ .

قال الشريف : يومِئُ بِذَلِكَ إِلى صَاحِبِ الزِّنْجِ . ثمّ قَالَ عَلَيهِ السَّلامُ : وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ ٱلْعَامِرَةِ(٥) ، وَٱلدُّورِ ٱلْمُزَخْرَفَةِ ٱلَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ ٱلنُّسُورِ(٦) وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ ٱلْفِيَلَةِ ، مِن

---

(١) الصمد : القصد ، « وسوء » مفعول لاستثناؤنا .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ، وهي الواقعة العظيمة .

(٣) اللجب : الصياح واللجم : جمع لجام . وقعقعتها : ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل .

(٤) الحمحمة : صوت البرذون عند الشعير ، ومر الفرس ـ أي صوته ـ عندما يقصر من الصهيل ويستعين بنفسه .

(٥) جمع سكة ، وهي الطريق المستوي ، وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من تخريب ما حواليها من البنيان على يد صاحب الزنج ، وقد تقدم خبره في قيامه وسقوطه فراجعه .

(٦) أجنحة النسور: رواشنها على التشبيه بأجنحة الطير ، وقيل : إن الجناح والروشن يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله ، وإلاّ فهو الساباط ويختلفان في أن الجناح يوضع له أعمدة من الطريق بخلاف الروشن ، وخراطيمها ما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف =

أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ(١) وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ ؟ أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا .

منه : ويُومِىءُ بذلكَ إلى وَصْفِ ٱلأَتْراكِ :

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ(٢) ، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ وَٱلدِّيبَاجَ(٣) وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ(٤) وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى(٥) يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ

= لوقاية الغرف عن الأمطار وشعاع الشمس . والخراطيم : هي الميازيب تطلى بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد .

(١) أولئك أصحاب الزنجي ، وإنما لا يندب من يقتل منهم لأن أكثرهم كانوا عبيد الدهاقين البصرة ، ولم يكونوا ذوي زوجات وأولاد ، بل كانوا على هيئة الشطار عزاباً فلا نادبة لهم . وقوله «ولا يفتقد غائبهم» يريد أنهم كثير فكلما قتل منهم قتيل سد غيره مسده ، فلا يظهر أثر فقده . وقوله «أنا كاب الدنيا لوجهها» قد روي مثل ذلك عن عيسى ابن مريم عليه السلام قال «أنا الذي كببت الدنيا على وجهها، ليس لي زوجة تموت ، ولا بيت يخرب ، وسادي الحجر ، وفراشي المدر ، وسراجي القمر » والعبارة كناية عن الزهادة في الدنيا والصدف عنها .

(٢) المجان : جمع مجن ـ بكسر الميم ـ وهو الترس، وإنما سمي مجناً لأنه يستتر به، والجنة ـ بالضم ـ السترة ، وجمعها جنن ـ بوزان غرفة وغرف ـ والمطرقة ـ بسكون الطاء وفتح الراء ـ التي أطرق بعضها إلى بعض أي : ضمت طبقاتها فجعل بعضها يتلو بعضاً ، ويقال : جاءت الإبل مطاريق ، أي : يتلو بعضها بعضاً . وقال الشيخ الإمام رضي الله عنه : في القاموس « أي : التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة ـ أي : المخصوفة ـ وهو عجز عن التعبير ، والأحسن أن يقال : أي التي ألزق بها الطراق ـ ككتاب وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به .

(٣) السرق ـ بالتحريك ـ شقق الحرير الأبيض ، أو هو الحرير عامة . واحدتها سرقة .

(٤) يعتقبون : يحتبسون كرائم الخيل يمنعونها غيرهم ، وقال ابن أبي الحديد : « يعتقبون الخيل ، أي : يجنبونها لينتقلوا من غيرها إليها »اهـ.

(٥) استحرار القتل : اشتداده. وتقول : حر القتل ، واستحر ، وهما بمعنى واحد ، قال

آلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ آلْمَأْسُورِ .

فقال له بعض أصحابه : لقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ المؤْمِنين عِلْمَ الغيبِ ! فضحِكَ عَليه السَّلامُ ، وَقَالَ للرجلِ وَكَان كَلْبيّاً :

يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ ! وَإِنَّمَا عِلْمُ آلْغَيْبِ عِلْمُ آلسَّاعَةِ ، وَمَا عَدَّده آللّٰهُ وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ آللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ آلسَّاعَةِ ﴾ فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي آلأَرْحَامِ : مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي آلنَّارِ حَطَباً أَوْ فِي آلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً ، فَهٰذَا عِلْمُ آلْغَيْبِ آلَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا آللّٰهُ ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ آللّٰهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي(١) .

١٢٧ ومن خطبة له عليه السلام
فِي ذِكْرِ آلمَكَاييل

عِبَادَ آللّٰهِ ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هٰذِهِ آلدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ

= ابن الزبعرى :

حيث ألقت بقباء بركها واستحر القتل في عبد الأشل

(١) تضطم : هو افتعال من الضم ، أي : وتنضم عليه جوانحي ، والجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، وانضمامها عليه : اشتمالها على قلب يعيها .

مُـؤَجَّلُونَ(١) ، وَمَدِينُـونَ مُقْتَضَوْنَ أَجَـلُ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَـلٌ مَحْفُوظٌ ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ(٢) وَرُبَّ كَـادِحٍ خَاسِـرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ ٱلْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا ٱلشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالاً، وَلَا ٱلشَّيْطَانُ فِي هَـلَاكِ ٱلنَّـاسِ إِلَّا طَمَعـاً . فَهٰذَا أَوَانٌ قَـوِيَتْ عُـدَّتُـهُ(٣) وَعَمَّتْ مَكِيـدَتُـهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَـرِيسَتُـهُ(٤) . إِضْـرِبْ بِـطَرْفِـكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلنَّـاسِ : هَلْ تُبْصِـرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَـابِدُ فَقْـراً ، أَوْ غَنِيًّا بَـدَّلَ نِعْمَـةَ ٱللَّهِ كُفْـراً ، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَـذَ ٱلْبُخْـلَ بِحَقِّ ٱللَّهِ وَفْـراً(٥) ، أَوْ مُتَمَـرِّداً كَـأَنَّ بِـأُذُنِـهِ عَنْ سَمْـعِ ٱلْمَـوَاعِظِ وَقْـراً ؟ أَيْنَ خِيَـارُكُمْ وَصُلَحَـاؤُكُمْ ؟

---

(١) أثـويـاء : جمـع ثـوى ـ كغنى ـ وهـو الضيف ، و« مؤجلون » مؤرخـون إلى أجـل معلوم ، و« مـدينـون » مقـرضـون ، تقـول : دنت الـرجـل ، أي : أقـرضتـه ، فهـو مـدين ، وربما قيـل مـديـون على الأصـل المهجـور في الفصيـح ، وتقـول : دنت ، بمعنى استقرضت وصار عليك دين فأنت دائن ، وقال الشاعر :

ندين ويقضي الله عنا، وقد نرى   مصـارع قوم لا يدينـون ضعيفـا

وقوله « مقتضـون » هو جمـع مقتضى ـ اسم مفعول من اقتضى ـ أي: مـطالبون بـأداء الدين .

(٢) الدائب : المداوم في العمل ، والكادح : الساعي لنفسه بجهـد ومشقة ، والمـراد من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا .

(٣) الضمير للشيطان .

(٤) « أمكنت الفريسة » أي : سهلت وتيسرت .

(٥) « أضـرب بطرفـك » أي : انـظر في عـامـة مـا يحيط بـك من النـواحي ، ومثله قـول الشاعر :

اضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى إلّا بخيلاً

والـوفر ـ بفتـح فسكون ـ المـال الكثير . والـوقر ـ بـالقاف المثنـاة ـ ثقل الأذن ، وقلة سمعها ، قال الشاعر :

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه   كـأن بـه عن كل فاحشـة وقـرا

وَأَحْـرَارُكُمْ وَسُمَحَـاؤُكُمْ ؟ وَأَيْنَ ٱلْمُتَـوَرِّعُـونَ فِي مَكَـاسِبِهِمْ ؟ وَٱلْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَـذَاهِبِهِمْ ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُـوا جَمِيعاً عَنْ هٰـذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلـدَّنِيَّةِ وَٱلْعَـاجِلَةِ ٱلْمُنَغِّصَةِ ؟ وَهَـلْ خُلِقْتُمْ إِلاَّ فِي حُثَالَـةٍ(١) لاَ تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ ٱلشَّفَتَانِ ٱسْتِصْغَـاراً لِقَدْرِهِمْ ، وَذَهَـاباً عَنْ ذِكْـرِهِمْ ، فَإِنَّـا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ : ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ ! أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللّٰهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ؟ وَتَكُـونُوا أَعَـزَّ أَوْلِيَائِـهِ عِنْـدَهُ ؟! هَيْهَـاتَ ! لاَ يُخْـدَعُ ٱللّٰهُ عَنْ جَنَّتِـهِ وَلاَ تُنَـالُ مَـرْضَـاتُـهُ إِلاَّ بِـطَاعَتِهِ . لَعَنَ ٱللّٰهُ ٱلآمِـرِينَ بِالْمَعْـرُوفِ ٱلتَّارِكِينَ لَـهُ ، وَٱلنَّاهِينَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْعَامِلِينَ بِهِ .

١٢٨ ومن كلام له عليه السلام

لأبي ذَرّ رحمه الله لمّا خَرَجَ إلى الرَّبذة(٢)

يَـا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّـكَ غَضِبْتَ لِلّٰهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَـهُ . ان ٱلْقَـوْمَ

---

(١) الحثالة ـ بالضم ـ الرديء من كل شيء والمراد أقزام الناس ، وصغار النفوس .

(٢) الـربذة ـ محـركة ـ مـوضع على قـرب من المدينـة المنـورة فيـه قبـر أبي ذر الغفـاري رضي الله عنـه ، والذي أخـرجه إليـه الخليفـة الثـالث رضي الله عنـه ، قـال ابن أبي الحديد : واقعـة أبي ذر وإخراجـه إلى الربـذة أحد الأحـداث التي نقمت على عثمان رضي الله عنـه . وقد روى هـذا الكلام أبـو بكر أحمـد بن عبدالعـزيز الجـوهـري في كتـاب السقيفة عن عبـدالرزاق عن أبيـه عن عكرمـة عن ابن عباس قـال : لما أخـرج أبـو ذر إلى الربـذة أمر عثمـان فنودي في النـاس ألا لا يكلم أحد أبـا ذر ولا يشيعـه ، وأمـر مـروان بن الحكم أن يخـرج بـه ، فخـرج بـه مـروان ، وتحـامـاه النـاس ، إلاَّ علي بن أبي طـالب وعقيلاً أخـاه وحسناً وحسينـاً ولديـه وعماراً ؛ فـإنهم خرجـوا معـه =

خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَٱهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً ، وَٱلْأَكْثَرُ حُسَّداً؟! وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ ٱتَّقَى ٱللّٰهَ لَجَعَلَ ٱللّٰهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً ، لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا ٱلْحَقُّ وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا ٱلْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ(١) .

١٢٩ ومن كلام له عليه السلام

أَيَّتُهَا ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ وَٱلْقُلُوبُ ٱلْمُتَشَتِّتَةُ ، ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ! أَظْأَرُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ(٢) وَأَنْتُمْ

= يشيعونه ، فجعل الحسن يكلم أبا ذر ، فقال له مروان : إيها يا حسن ، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك ، فحمل علي رضي الله عنه على مروان : فضرب بالسوط بين أذني راحلته ، وقال له : تنح لحاك الله إلى النار ، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان ، فأخبره الخبر ، فتلظى على علي ، ووقف أبو ذر فودعه الناس ، فقال له علي : يا أبا ذر ، إنك غضبت لله ـ الخ .

(١) لو قرضت منها لو قطعت جزءاً وخصصت به نفسك : أي لو رضيت أن تنال منها .

(٢) أظأركم : أعطفكم ، وتقول : ظأرت الناقة أظأرها وهي ناقة مظؤورة ، إذا عطفتها على ولد غيرها ، وفي أمثالهم « الطعن يظأره » أي : يعطفه على الصلح ، وتقول أيضاً : ظأرت الناقة تظأر ، إذا عطفت على البو ، فهو فعل يتعدى ويلزم . والوعوعة : الصوت وكذلك الوعواع .

تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ ٱلأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ ٱلْعَدْلِ(١) ، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ .

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلاَ ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ ، وَلٰكِنْ لِنَرِدَ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ ٱلإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ ، فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ .

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ : لَمْ يَسْبِقْنِي إِلاَّ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بِالصَّلاَةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلْفُرُوجِ ، وَٱلدِّمَاءِ ، وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلأَحْكَامِ ، وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ(٢) وَلاَ ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلاَ

---

(١) السرار ـ كسحاب وكتاب ـ في الأصل : آخر ليلة من الشهر، والمراد الظلمة، أي أن اطلع بكم شارقاً يكشف عما عرض على العدل من الظلمة ، كما يدل على هذا قوله: « وأقيم اعوجاج الحق » فإن الحق لا اعوجاج فيه ولكن قوماً خلطوه بالباطل فهذا ما أصابه من اعوجاج . قال ابن أبي الحديد : ويمكن عندي أن يفسر على وجه آخر ، وهو أن يكون السرار ههنا بمعنى السرر ، وهي خطوط مضيئة في الجهة ، وقد نص أهل اللغة على أنه يجوز فيها سرور وسرار ، فيكون معنى كلامه عليه السلام هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل وتنجلي أرصاده ، ويبرق وجهه . ويمكن فيه وجه آخر ، وهو أن ينصب سرار ههنا على الظرفية ويكون التقدير : هيهات أن اطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه ، وفيه حذف المفعول ، وحذفه أكثر من أن يرشد إليه .

(٢) النهمة ـ بالفتح ـ إفراط الشهوة والمبالغة في الحرص .

ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلاَ ٱلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ (١) فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ ، وَلاَ ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِٱلْحُقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ (٢) وَلاَ ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلأُمَّةَ .

١٣٠ ومن خطبة له عليه السلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَٱبْتَلَى(٣) ٱلْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ(٤) وَٱلْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، ٱلْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ ٱلصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ ٱلْعُيُون ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ(٥) شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا ٱلسِّرُّ ٱلإِعْلاَنَ وَٱلْقَلْبُ ٱللِّسَانَ .

ومنها : فَإِنَّهُ وَٱللَّهِ ٱلْجِدُّ لاَ ٱللَّعِبُ ، وَٱلْحَقُّ لاَ ٱلْكَذِبُ ، وَمَا

---

(١) الحائف : من الحيف ؛ أي : الجور والظلم ، والدول جمع دولة ـ بالضم ـ : وهي المال ؛ لأنه يتداول ـ أي : ينتقل من يد ليد وفي التنزيل : ﴿ كيلا يكون دُولة بين الأغنياء منكم ﴾ ـ والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفضل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل .

(٢) المقاطع : الحدود التي عينها الله لها .

(٣) الإبلاء : الإحسان والإنعام ، تقول : قد أبلاه الله بلاء حسناً ، أي : أعطاه ، وقال زهير بن أبي سلمى المزني :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

والابتلاء : الامتحان ، وأصل الابتلاء إنزال مضرة بالإنسان على سبيل الاختيار كالمرض والفقر ، وقد يكون الابتلاء الاختبار بالخير ، إلاَّ أن أكثر ما يستعمل في الشر، وقال الله تعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ .

(٤) الباطن : العالم ، تقول: بطنت الأمر، أي: خبرته وعرفت بواطنه .

(٥) مصطفاه ومبعوثه .

هُوَ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ[1] وَأَعْجَلَ حَادِيهِ ، فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ ٱلنَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ[2] فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ ، وَحَذِرَ ٱلْإِقْلَالَ ، وَأَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ ؛ طُولَ أَمَلٍ [3] وَٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ؛ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ ٱلْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ ٱلْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ ٱلرِّجَالُ ٱلرِّجَالَ حَمْلاً عَلَى ٱلْمَنَاكِبِ ، وَإِمْسَاكاً بِٱلْأَنَامِلِ [4] أَمَا رَأَيْتُمُ ٱلَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً ، وَيَبْنُونَ مَشِيداً ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً ، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً ، وَمَا جَمَعُوا بُوراً[5] ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ؟! فَمَنْ

---

(١) أي : إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حي ؛ فلا حي إلا وهو يعلم أنه يموت و « أعجل حاديه » أي : إن الحادي لسير المنايا إلى منازل الأجسام ـ لإخلائها من سكنة الأرواح ـ قد أعجل المدبرين عن تدبيرهم وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم ، و « من » في قوله « فلا يغرنك سواد الناس من نفسك » إما أن تكون بمعنى الباء ، أي : لا يغرنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد الموت اغتراراً بذلك ، فتكون حينئذٍ متعلقة بغير ، وإما أن تكون على أصلها وحينئذٍ فهي متعلقة بمحذوف تقديره متمكناً من نفسك وراكناً إليها .

(٢) لا تغتر بكثرة الاحياء فكلما رأيت حياً زعمت أنك باق مثله .

(٣) طول : مفعول لأجله، أي: كان منه ذلك لطول الأمل الخ .

(٤) أعواد المنايا : النعش ، و « يتعاطى به الرجال » أي : يتداولونه : تارة على أكتاف هؤلاء ، وتارة على أكتاف هؤلاء . وقد فسره بما بعده من قوله « حملاً على المناكب وإمساكاً بالأنامل » .

(٥) المشيد ـ بوزن المبيع والمعيب ـ اسم مفعول من « شاده » إذا بناه بالشيد ، وهو الجص ، وفي التنزيل : ﴿ وقصر مشيد ﴾ والبور : الفاسد الهالك ، و« قوم بور » أي : هلكى ، وقال الله تعالى : ﴿ وكنتم قوماً بوراً ﴾ والبور: جمع ، واحده بائر ، مثل حائل وحول .

أَشْعَرَ ٱلتَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ[1] وَفَازَ عَمَلُهُ ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا وَٱعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا[2] فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا ٱلأَعْمَالَ إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ[3] ، وَقَرِّبُوا ٱلظُّهُورَ لِلزِّيَالِ .

١٣١ ومن كلام له عليه السلام

يُعَظِّمُ فيها اللَّهَ سبحَانَهُ

وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا[4] ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ ٱلأَشْجَارُ ٱلنَّاضِرَةُ ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا ٱلنِّيرَانَ ٱلْمُضِيئَةَ[5] وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ ٱلثِّمَارُ ٱلْيَانِعَةُ .

---

(١) « يستعتبون » رواه قوم بالبناء للمجهول ، ومعناه حينئذٍ أنهم لا يعاتبون على فعل سيئة صدرت منهم أيام حياتهم ، أو لا يستطيعون وهم موتى أن يفعلوا ما يعاتبون عليه . ورواه قوم بالبناء للمعلوم ، ومعناه حينئذٍ مأخوذ من قولهم « استعتب فلان » إذا طلب أن يعتب ، أي : يرضى ، وقوله « فمن أشعر التقوى قلبه » معناه جعلها ملازمة له كما يلازم الشعار الجسد ، وتقول : « برز الرجل على أقرانه » أي : أنهم . والمهل : التقدم في الخير ، أي : فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره .

(٢) « اهتبل الصيد » : طلبه . واهتبل كلمة الحكمة : اغتنمها ، والضمير في « هبلها » للتقوى لا للدنيا ، أي : اغنموا خير التقوى .

(٣) الوفز ـ بسكون الفاء ، ويحرك ـ : العجلة ، وجمعه أوفاز ، أي : كونوا منها على استعجال ، والظهور : ظهور المطايا ، أي : أحضروها للزيال ، أي : فراق الدنيا .

(٤) مقاليدها : جمع مقلاد ، وهو المفتاح .

(٥) أي : إن الأشجار أشعلت النيران المضيئة من قضبانها ـ أي : أغصانها ـ وقوله « بكلماته » أي : بأوامره التكوينية ، والضمائر لله سبحانه .

ومنها يذكر القرآن : وَكِتَابُ ٱللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَى لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

ومنها يذكر النبي : أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ ، فَقَفَّى بِهِ ٱلرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي ٱللهِ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَٱلْعَادِلِينَ بِهِ .

ومنها يعظ الناس : وَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ ٱلْأَعْمَى(١) لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَٱلْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّارَ وَرَاءَهَا ، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَٱلْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ ، وَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَٱلْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

ومنها : وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ وَيَمَلَّهُ ، إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً(٢) وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ ، وَفِيهَا

---

(١) يشير إلى أن من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً ، فهو بمنزلة الأعمى .

(٢) « لا يجد في الموت راحة » حيث لم يهيء من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت . قال : « وإنما ذلك » أي : شعور الإنسان بخيفة ما بعد الموت ، بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور ، وتبعثه إلى خير العمل . ثم بعد بيانه لما يجده الإنسان في نفسه ـ من خيفة ما وراء الموت ، ولما يرشد إليه ذلك الوجدان ـ أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى المنجاة مما يخشاه القلب وتتوجس منه النفس ، وأنها التمسك بكتاب الله الذي بين أوصافه ، وبهذا التفسير التأم الكلام ، واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام . وقوله « كتاب ـ الخ » جملة مستأنفة ، أي : هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون إليه مما هدتكم الفطرة إلى طلبه .

ٱلْغِنَى كُلُّهُ وَٱلسَّلَامَةُ : كِتَابُ ٱللّٰهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي ٱللّٰهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللّٰهِ . قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى ٱلْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ[1] وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ ٱلْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ ، لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكُمُ ٱلْخَبِيثُ[2] وَتَاهَ بِكُمُ ٱلْغُرُورُ ، وَٱللّٰهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

١٣٣ ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ شاوَرَه عمرُ بنُ الخطّاب في ٱلخروجِ إلى غَزْوِ الرّوم بنفسِهِ

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللّٰهُ لِأَهْلِ هٰذَا ٱلدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ[3] وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ ، وَٱلَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ

---

(١) الغل : الحقد ، والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه في النفوس ، وقوله « نبت المرعى على دمنكم» : تأكيد وتوضيح للجملة قبلها ، والدمن ـ بكسر ففتح ـ جمع دمنة ـ بالكسر ـ وهي الحقد القديم ، ونبت المرعى عليه : استتاره بظواهر النفاق وزينة الخداع ، وأصل الدمن : السرقين وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها ، وسميت بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها قد تنبت عليها الخضر وهي على ما فيها من قذر، وهذا كلام ينعي به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الإلهام .

(٢) استهام : أصله من « هام على وجهه » إذا خرج لا يدري أين يذهب ، أي : أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء الشريعة إلى ظلمات الضلال والحيرة .

(٣) الحوزة : ما يحوزه المالك ويتولى حفظه ، وإعزاز حوزة الدين : حمايتها من تغلب أعدائه .

قَلِيلٌ لاَ يَمْتَنِعُونَ . حَيٌّ لاَ يَمُوتُ(١) .

إِنَّـكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰـذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ، لاَ تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِـلاَدِهِمْ(٢) لَيْسَ بَعْدَكَ مَـرْجِعٌ يَـرْجِعُونَ إِلَيْـهِ ، فَـٱبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُـلاً مُجَـرَّبـاً ، وَٱحْفِـزْ مَعَـهُ أَهْـلَ ٱلْبَـلاَءِ وَٱلنَّصِيحَـةِ(٣) فَـإِنْ أَظْهَـرَ ٱللّٰهُ فَـذَاكَ مَـا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلأُخْـرَىٰ كُنْتَ رِدْءًا لِلنَّاسِ (٤) وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

١٣٣ ومن كلام له عليه السلام(٥)

يَـا ٱبْنَ ٱللَّعِينِ ٱلأَبْتَـرِ ، وَٱلشَّجَـرَةِ ٱلَّتِي لاَ أَصْـلَ لَهَـا ، وَلاَ

---

(١) « تـوكل » أصله بمعنى صار لهم وكيلاً ، والـوكيـل معنـاه الكفيـل الـزعيم بـالشيء ، ويـروى في مكانـه « تكفل » والمعنى واحـد ، والحوزة : النـاحية ، وحـوزة الملك : بيضتـه التي يدافـع عنها . يقـول : إن الـذي نصـرهم في الابتـداء على ضعفهم وقلة عددهم هو الله تعـالى ، وهو حي لا يمـوت فأجـدر به أن ينصـركم ثانيـاً كما نصـرهم أولاً .

(٢) كـانفة : عـاصمة يلجـأون إليها ، من « كنفـه » إذا صانـه وستـره ، والأصـل في هـذا الاستعمـال أنهم يقولـون « كنفت الإبل » أي : جعلت لهـا كنيفاً ؛ وهـو الحظيـرة من الشجر تستتر بها وتلجأ إليها ، وبها تعتصم .

(٣) « رجـلاً مجربـاً » يروى بـالجيم ، ومعناه الـذي أحكمته التجـربة ودلـه الاختيـار على عـواقب الأمور ، ويـروى « محربـاً » بالحـاء المهملة أي : صاحب حـروب ، وقـولـه « احفز » . من «حفزته » ـ كضربتـه ـ إذا دفعته وسقتـه سوقـاً شديـداً ، وأهل البـلاء : أهـل المهارة في الحـرب مع الصـدق في القصد والجرأة في الأقدام ، والبـلاء : هو الاجادة في العمل وإحسانه .

(٤) الردء ـ بالكسر ـ : الملجأ، والمثابة: المرجع.

(٥) قـالـوا : كـان نـزاع بين أميـر المؤمنين وبين عثمـان ، فقـال المغيـرة بن الأخنس بن =

فَـرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ! وَٱللّٰهِ مَا أَعَـزَّ ٱللّٰهُ مَنْ أَنْتَ نَـاصِـرُهُ ، وَلاَ قَـامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ ؛ أُخْرُجْ عَنَّـا أَبْعَدَ ٱللّٰهُ نَـوَاكَ[1] ثُمَّ ٱبْلُغْ جَهْدَكَ فَـلاَ أَبْقَى ٱللّٰهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ[2] .

١٣٤ ومن كلام له عليه السلام

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّـايَ فَلْتَـةً ؛ وَلَيْسَ أَمْـرِي وَأَمْـرُكُمْ وَاحِـداً . إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلّٰهِ ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ ! أَيُّهَا ٱلنَّـاسُ ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَآيْمُ ٱللّٰهِ لَأُنْصِفَنَّ ٱلْمَـظْلُومَ مِنْ ظَـالِمِـهِ ، وَلَأَقُـودَنَّ ٱلظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[3] حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ ٱلْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً .

= شريق لعثمان : أنا أكفيكه! قال علي: يا ابن اللعين الخ ، وإنما قـال ذلك لأن أبـاه كان من رؤوس المنافقين ، ووصفه بالأبتر ـ وهو من لا عقب لـه ـ لأن ولده هـذا كلا ولـد وكان للمغيـرة هذا أخ اسمـه أبو الحكم بن الأخنس ، وكـان قد شهـد مـع كفـار مكـة غـزاة أُحـد ، وفيهـا قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليـه السـلام فمنه تأرثت الضغينة في قلب المغيرة عليه .

(١) النوى ههنا : بمعنى الـدار، ويروى في مكـانه « أبعـد الله نوءك » بـالهمز واحـد انواء السمـاء ، وهي النجوم التي كـان العرب ينسبـون إليهـا المـطر ، والمـراد : أبعـد الله خيرك .

(٢) الجهد ـ بالفتح ـ الغايـة ، ويقال : قـد جهد فـلان جهده ، أي : انتهى إلى غـايته ، وهو بفتح الجيم في هذا الاستعمال لا يجوز فيه غيره .

(٣) الفلتـة : الأمر يقـع عن غير تـدبر ولا رويـة . و« أعينوني على أنفسكم » معنـاه خذوا أنفسكم بـالعدل ،واقمعـوهـا عن اتبـاع الهـوى ، واردعـوهـا بعقـولكم عن المسـالـك التي تـرديهـا ، فـإنكم إذا فعلتم ذلـك أعنتمـوني عليهـا ، ومعنى قـولـه « أريـدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم » أنه لا يريد من طاعتهم لـه إلّا نصرة الله والقيـام بحقوقـه ، =

١٣٥ ومن كلام له عليه السلام

في شَأْنِ طَلْحَةَ والزُّبير

وَٱللّٰهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً ، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً(١) وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ؛ وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلطَّلِبَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ(٢) وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلى أَنْفُسِهِمْ ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي : مَا لَبَسْتُ وَلاَ لُبِسَ عَلَيَّ ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فِيهَا ٱلْحَمَأُ وَٱلْحُمَةُ(٣) وَٱلشُّبْهَةُ ٱلْمُغْدِفَةُ(٤) وَإِنَّ ٱلأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ ٱلْبَاطِلُ

= وليس يريدهم لحظ نفسه ، وأما هم فإنهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا ، والخزامة ـ بالكسر ـ : حلقه من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويسهل قياده .

(١) النصف ـ محركة ـ : اسم من الانصاف ، وربما سكن كما في قول الفرزدق :

ولكن نصفاً لو سببت وسبني   بنو عبد شمس من قريش وهاشم

(٢) الطلبة ـ بالكسر ـ : ما يطالب به من الثأر .

(٣) المراد بالحما هنا : مطلق القريب والنسيب ، وهو كناية عن الزبير ؛ فإنه من قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمته . قالوا : وكان النبي أخبر علياً أنه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته ، والحمة ـ بضم ففتح ـ : كناية عنها ، وأصلها الحية أو الإبرة اللاسعة من الهوام والله أعلم . هكذا قال الأستاذ الإمام ، وفي تفسير « الحما » الذي ذهب إليه بعد ، فإنه لو كان بهذا المعنى الذي ذكره لجاء به مرفوعاً بالواو مضافاً كما هو الأشهر الأعرف في إعراب هذه الكلمة ، وإنما هو « الحمأ » بالهمز في آخره ، وهو الطين الأسود ، وفي التنزيل :﴿من حمإ مسنون﴾ وهو كناية عن اختلاط الأمر واضطرابه ،والحمة كناية عن شدته وعظيم اثره في إيلام جماعة المسلمين .

(٤) أغدفت المرأة قناعها . أرسلته على وجهها ، وأغدف الليل : أرخى سدوله ، يعني =

عَنْ نِصَابِهِ(١) وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ(٢) وَٱيْمُ ٱللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً(٥) أَنَا مَاتِحُهُ : لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ(١) .

ومنها في مبايعتهما له : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ ٱلْعُوذِ ٱلْمَطَافِيلِ عَلَى وِلَادِهَا(٥) تَقُولُونَ: ٱلْبَيعَةَ ٱلْبَيعَةَ!! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا، ٱللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا

= أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق .

(١) زاح يزيح زيحاً وزيحاناً : بعد وذهب ، كانزاح . والنصاب : الأصل ، والمستقر ، أي : قد انقلع الباطل من مغرسه .

(٢) الشغب ـ بالفتح ـ : تهييج الشر ، وفعله شغب ـ كفتح ـ وجاء الشغب بفتحتين في لغة قليلة ، وفعله حينئذٍ شغب ـ بكسر الغين مثل طرب طرباً .

(٣) أفرط الحوض : ملأه حتى فاض ، والمراد حوض المنية . و« ماتحه » أي : نازع مائه لأسقيهم ، والفرق بين الماتح ـ بالتاء المثناة ـ والمائح ـ بالهمز ـ أن الماتح المستقي من فوق ، ومنه قول الراجز * يأيها الماتح دلوي دونك * . أما المائح فهو مالىء الدلاء من تحت .

(٤) عبّ : شرب بلا تنفس ، والحسي ـ بفتح الحاء ، ويكسر ـ : سهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، أو يكون غليظ من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة لتنزع منها ماء ، وكلما نزحت دلواً جمعت أخرى ، فتلك الحفرة حسي ، يريد أنه يسقيهم منها كأساً لا يتجرعون سواها .

(٥) العوذ ـ بالضم ـ : جمع عائذة ، وهي الحديثة النتاج من الظباء والإبل ، أو كل أنثى ، وقد تجمع العائذة على عوذان ، مثل راع ورعيان ، وتقول : هذه عائذة بينة العوذ ، وذلك إذا ولدت عن قريب ، ونقول : ما زالت في عياذها ، إذا كانت في حدثان نتائجها . والمطافيل : جمع مطفل ـ بضم الميم وكسر الفاء ـ : ذات الطفل من الانس والوحش بعد أن يعد عهدها بالنتائج ، هذا هو الأصل ، وربما أطلق على المطافيل اسم العوذ مجازاً كما هنا .

ٱلنَّاسَ عَلَيَّ(١) فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلاَ تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهِمَا ٱلْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلاَ وَعَمِلاَ ، وَلَقَدْ ٱسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ ٱلْقِتَالِ(٢) ، وَٱسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ٱلْوِقَاعِ ، فَغَمَطَا ٱلنِّعْمَةَ ، وَرَدَّا ٱلْعَافِيَةَ(٣) .

١٣٦ ومن خطبة له عليه السلام

في ذكرِ ٱلمَلاحِمِ

يَعْطِفُ ٱلْهَوَى عَلَى ٱلْهُدَى(٤) إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَى عَلَى ٱلْهَوَى ، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ عَلَى ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَى ٱلرَّأْيِ .

---

(١) التأليب: الإفساد.

(٢) استثبتهما : من « ثاب » بالثاء ـ إذا رجع ، أي : استرجعتهما ، أي : طلبت منهما أن يرجعا ، ويقال للمنزل « مثابة » لأن أهله ينصرفون عنه ثم يعودون إليه ، ويروي « استتبتهما » بالتاء المثناة ـ أي : طلبت منهما أن يتوبا إلى الله مما أذنبا بنقض البيعة .

(٣) « استأنيت بهما » من الأناة ، وهي التؤدة في الأمر والانتظار ، والمعنى تأنيت معهما ولم اعاجلهما بالحرب ، أو طلبت منهما أن يتأنيا فيما أقدما عليه من نقض العهد ، وقوله « أمام الوقاع » ـ ككتاب ـ قبل المواقعة بالحرب ، وغمط النعمة : جحدها وحقرها وأزرى بها ، وزانه سمع وضرب ، ويقال إن الكسر أفصح .

(٤) « يعطف الخ » : خبر عن قائم ينادي بالقرآن ، ويطالب الناس باتباعه ، ورد كل رأي إليه ، ومعنى قوله « يعطف الهوى » يهره ويميل به عن جانب الايثار ، فيجعل الهدى ظاهر على الهوى ، وكذلك قوله « ويعطف الرأي على القرآن » أي : يقهر حكم الرأي والقياس ، ويجعل الغلبة للقرآن عليه ، ويحمل الناس على العمل به دونه .

ومنها: حَتَّى تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا(١) ، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا ، حُلْواً رَضَاعُهَا ، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا . أَلاَ وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا(٢) ، وَتُخْرِجُ لَهُ ٱلأَرْضُ مِنْ أَفَالِيذِ(٣) كَبِدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا ، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ ، وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ .

ومنها: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ ، فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ وَفَرَشَ ٱلأَرْضَ بِالرُّؤوسِ(٤)

---

(١) النواجذ : أقصى الأضراس والأنياب والأخلاف : جمع خلف ـ بالكسر ـ وهو الضرع ، وبدو النواجذ : كناية عن شدة الاحتدام ؛ فإنما تبدو من الأسد إذا اشتد غضبه ، وامتلاء الاخلاف : غزارة ما فيها من الشر ، وحلاوة الرضاع : استطابه أهل النجدة واستعذابهم لما ينالهم منها ، ومرارة العاقبة بما يصير إليه الظالمون وبئس المصير ، وتقول : جمع رضع رضاعاً ، مثل سمع سماعاً ، وأهل نجد يقولون : رضع يرضع رضعاً ، مثل ضرب ضرباً .

(٢) إذا انتهت الحرب حاسب الوالي القائم كل عامل من عمال السوء على مساوىء أعمالهم ، وإنما كان الوالي من غيرها لأنه بريء من جرمها .

(٣) أفاليذ : جمع أفلاذ ، جمع فلذة ، وهي القطعة من الذهب والفضة ، وهذا كناية عما يظهر لمن يقوم بالأمر من كنوز الأرض ، وقد جاء ذلك في خبر مرفوع في لفظه « وقاءت له الأرض أفلاذ كبدها » ومن الناس من يفسر قوله تعالى : ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ بذلك ، قاله ابن أبي الحديد .

(٤) انتقال إلى الكلام في قائم الفتنة ، قال ابن أبي الحديد : هذا إخبار عن عبدالملك بن مروان ، وظهوره بالشام ، وملكه بعد ذلك العراق ، وما قتل من العرب فيها أيام عبدالرحمن بن الأشعث ، وقتله أيام مصعب بن الزبير . وتقول نعق الراعي بغنمه ، بالعين المهملة ، وتقول : نغق الغراب ، بالغين المعجمة ، والمعنى فيهما صاح صوت .وفحص : بحث ، وكوفان : الكوفة . والضروس : =

قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتَهُ وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُـهُ ، بَعِيدَ ٱلْجَـوْلَةِ ، عَـظِيمَ ٱلصَّـوْلَةِ(١) . وَٱللّٰهِ لَيُشَـرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْـرَافِ ٱلْأَرْضِ(٢) حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ ؛ فَلَا تَـزَالُونَ كَـذٰلِكَ حَتَّى تَـؤُوبَ إِلَى ٱلْعَـرَبِ عَوَازِبُ أَحْـلَامِهَا(٣) فَـالْزَمُـوا ٱلسُّنَنَ ٱلْقَـائِمَـةَ ، وَٱلْآثَـارَ ٱلْبَيِّنَـةَ ، وَٱلْعَهْـدَ ٱلْقَـرِيبَ ٱلَّـذِي عَلَيْـهِ بَـاقِي ٱلنُّبُــوَّةِ ، وَٱعْلَمُـوا أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ(٤) .

١٣٧ ومن كلام له عليه السلام

في وَقْتِ الشُّورَى

لَنْ يُسْـرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْـوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَعَـائِـدَةِ كَرَمٍ . فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي ،عَسَى أَنْ تَرَوْا(٥)هٰذَا الأمرَ مِن بَعْدِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ ٱلْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ

= الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، وقوله «وفرش الأرض بالرءوس » معناه غطاها بها كما يغطي المكان بالفرش ، وهذا كناية عن كثرة من يقتله .

(١) « فغرت فاغرته » تقول : فغرناه ، بمعنى فتحه ليتكلم مثلاً ، وتقول : فغرفوه ؛ ففغر فعل يتعدى ويلزم ، والكلام استعارة عن كثرة أوامره التي تخالف ما عرفوه من الشرع . وقوله: « ثقلت في الأرض وطأته » كناية عن جوره وظلمه . وقوله : « بعيد الجولة » فالجولة : الجولان ، وهو الطواف ، يريد أن طواف خيله وجيوشه في البلاد طويل جداً قلما تكون معه راحة أو سكون .

(٢) « ليشردنكم » أي : ليفرقنكم .

(٣) عوازب أحلامها : غائبات عقولها .

(٤) يسني : يسهل .

(٥) قوله عسى أن تروا الخ : ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الأمر ، وتنقضي :: تسل .

بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ ٱلضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ ٱلْجَهَالَةِ .

١٣٨ ومن كلام له عليه السلام

في النَّهي عن غيبةِ النَّاس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ ٱلْعِصْمَةِ ، وَٱلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلسَّلَامَةِ (١) أن يَرْحَمُوا أَهْلَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ ٱلشُّكْرُ هُوَ ٱلْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ، وَٱلْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ ٱلَّذِي عَابَ أَخَاهُ ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ ؟! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ ٱلذَّنْبِ ٱلَّذِي عَابَهُ بِهِ(٢)؟! وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ ٱلذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى ٱللّٰهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَآيْمُ ٱللّٰهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي ٱلْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي ٱلصَّغِيرِ لِجَرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ ٱلنَّاسِ أَكْبَرُ .

يَا عَبْدَ ٱللّٰهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ؛ وَلْيَكُنِ ٱلشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ٱبْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ(٣) .

---

(١) الذين أنعم الله عليهم ، وأحسن صنعته إليهم ، بالسلامة من الآثام .

(٢) « مما هو أعظم ـ الخ » بيان للذنوب التي سترها الله عليه .

(٣) « من علم » فاعل « يكفف » و « عيب غيره » مفعول « علم » ومفعول « يكفف » =

١٣٩ ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا آلنَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ ؛ فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ آلرِّجَالِ ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي آلرَّامِي وَتُخْطِىءُ آلسِّهَامُ ، وَيُحِيلُ آلْكَلاَمُ(٢) وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ ، وَآللّٰهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ آلحَقِّ وَآلْبَاطِلِ وَآلْحَقِّ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

قال الشريف : فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عن مَعْنى قولِهِ هذا ، فَجَمَعَ أصابعَه ووضَعَها بين أُذُنِه وعينِه ، ثم قال : آلْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَآلْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ .

= محذوف ، أي : من علم عيب غيره ينبغي أن يكف لسانه عن الخوض فيه للذي يعلمه من عيب نفسه . وقوله « على معافاته » متعلق بالشكر ، و« مما ابتلى » متعلق بمعافاته .

(١) خلاصة هذا الكلام النهي عن التسرع إلى تصديق ما يقال من العيب والقدح في حق الإنسان المستور الظاهر، المهتم بالصلاح والخير، وهو من قوله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ وقد ضرب ذلك مثلاً أن الرامي قد يرمي فلا يصيب غرضه . وكذلك الطاعن قد يطعن فلا يكون طعنه صحيحاً ، وربما كان لغرض فاسد كالتشفي ممن يعيبه حقداً عليه وحسداً له .

(٢) يحيل ـ كيميل ـ يتغير عن وجه الحق ، ومن الشراح من ضبط « يحيل » اسم حرف المضارعة ، من « أحال الرجل في منطقه » إذا جاء بالمحال الذي لا حقيقة له، وفي نسخة « يحيك ـ بالكاف ـ من حاك القول في القلب » أخذ ، و« حاك السيف » اثر ، يعني أن القول يؤثره في العرض وإن كان باطلاً .

١٤٠ ومن كلام له عليه السلام

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنَ ٱلْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ ٱللِّئَامِ ، وَثَنَاءُ ٱلْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ ٱلْجُهَّالِ : ـ مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ـ «مَا أَجْوَدَ يَدَهُ» وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللّهِ بَخِيلٌ ! ! فَمَنْ آتَاهُ ٱللّهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ . وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ ٱلضِّيَافَةَ ؛ وَلْيَفُكَّ بِهِ ٱلْأَسِيرَ وَٱلْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَٱلنَّوَائِبِ ٱبْتِغَاءَ ٱلثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ ٱلْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ ٱلدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ ٱلآخِرَةِ ، إِنْ شَاءَ ٱللّهُ .

١٤١ ومن خطبة له عليه السلام

في ٱلاستِسْقاء

أَلَا وَإِنَّ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَٱلسَّمَاءَ ٱلَّتِي تُظِلُّكُمْ(١) ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ(٢) ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ

---

(١) تظلكم : تعلو عليكم كأنها الظلة ، وتقول : أظلتني الشجرة ، واستظلَلْت بها .

(٢) الزلفة : القربة ، يقول : إن السماء والأرض إذا جاءتا بمنافعكم بالمطر والنبات فإنهما لم تأتيا بذلك تقرباً إليكم ولا رحمة لكم ، ولكنهما أمرتا بنفعكم فامتثلتا الأمر؛ لأنه أمر من تجب طاعته ، ولو أمرتا بغير ذلك لفعلتاه ، والمراد بهذا الكلام تمهيد قاعدة الاستسقاء ؛ كأنه يقول : إذا كانت السماء والأرض أيام الخصب =

فَأَطَاعَتَا ، أُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا .

إِنَّ ٱللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ ـ عِنْدَ ٱلأَعْمَالِ ٱلسَّيِّئَةِ ـ بِنَقْصِ ٱلثَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ(١) ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ ! وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ ٱلرِّزْقِ وَرَحْمَةِ ٱلْخَلْقِ ، فَقَالَ تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ؛ يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ فَرَحِمَ ٱللَّهُ ٱمْرَءًا ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَٱسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ .

ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ ٱلأَسْتَارِ وَٱلأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ .

ٱللَّهُمَّ فَٱسْقِنَا غَيْثَكَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ(٢) ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ .

= والمطر والنبات لم يكن ما كان منهما عن محبة لكم أو رجاء منفعة منكم بل طاعة لأمر الصانع الحكيم فيما سخرهما له ، فكذلك هما في أيام الجدب : ليس ما كان منهما من احتباس المطر وانقطاع النبات ناشئاً عن بعضكم بل هو أيضاً طاعة الصانع الحكيم فيما سخرهما له .

(١) « أقلع عن الذنب » كف عنه ، وأمسك ، وتركه .

(٢) جمع سنة ـ محركة ـ بمعنى الجدب والقحط.

ٱللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا ٱلْمَضَايِقُ ٱلْوَعْرَةُ ، وَأَجَاءَتْنَا ٱلْمَقَاحِطُ ٱلْمُجْدِبَةُ[1] وَأَعْيَتْنَا ٱلْمَطَالِبُ ٱلْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا ٱلْفِتَنُ ٱلْمُسْتَصْعَبَةُ .

ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلاَ تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ[2] وَلاَ تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا[3] وَلاَ تُقَايِسْنَا بِأَعْمَالِنَا .

ٱللَّهُمَّ ٱنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ، وَٱسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً : تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَافِعَةَ ٱلْحَيَا[4] كَثِيرَةَ ٱلْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ[5] وَتُسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ[6] ، وَتَسْتَوْرِقُ ٱلْأَشْجَارَ ، وَتُرْخِصُ ٱلْأَسْعَارَ ؛ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

١٤٣ ومن كلام له عليه السلام

بَعَثَ ٱللّٰهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ لِئَلاَّ تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ،

---

(١) أجاءته إليه : ألجأته .

(٢) واجمين : كاسفين حزنين .

(٣) « لا تخاطبنا » أي : لا تدعنا باسم المذنبين، ولا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا .

(٤) الحيا : الخصب ، والمطر.

(٥) جمع قاع: الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٦) جمع بطن : بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق .

فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ . أَلَا إِنَّ ٱللّٰهَ قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً(١) لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ؛ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ؛ فَيَكُونَ ٱلثَّوَابُ جَزَاءً ، وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً(٢) أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا ؟ كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا ٱللّٰهُ وَوَضَعَهُمْ(٣) وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ ، بِنَا يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَى ، وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَى ، إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ : لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

ومنها: آثَرُوا عَاجِلاً ، وَأَخَّرُوا آجِلاً ؛ وَتَرَكُوا صَافِياً ، وَشَرِبُوا آجِناً(٤) كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَبَسِيءَ بِهِ وَوَافَقَهُ(٥) حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ(٦) ! ثُمَّ

---

(١) كشف الخلق : علم حالهم في جميع أطوارهم .

(٢) بواء: مصدر « باء فلان بفلان » أي : قتل به مكافئاً له ومناظراً ، وقالت ليلى الأخيلية :

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

وتقول : أبأت القاتل بالقتيل ، واستبأته ، إذا قتلته به ، وفي أمثالهم « باءت عرار بكحل » والعقاب : القصاص .

(٣) « أن رفعنا » حرف جر محذوف ، أي : لأن رفعنا ، وهو يتعلق بقوله « بغياً علينا » .

(٤) آثروا : اختاروا. وأخروا : تركوا . والآجن : الماء المتغير اللون والطعم وفعله أجن يأجن ويأجن ، مثل ضرب يضرب ونصر ينصر ، وفيه وجه ثالث مثل فرح .

(٥) بسيء به ـ كفرح ـ استأنس به ، و « ناقة بسوء » ألفت الحالب فلم تمنعه وقوله : « شابت عليه مفارقة » يريد أنه قد طال عهده به منذ زمن الصبا إلى أن صار شيخاً .

(٦) ملكاته الراسخة في نفسه ، يريد أن ذلك قد صار طبعاً له لا يفارقه ولا ينفك عنه .

أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقْعِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ(١)!! أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَى؟ وَٱلأَبْصَارُ ٱللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ ٱلتَّقْوَى(٢) ؟ أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلّٰهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ ٱللّٰهِ ؟ ٱزْدَحَمُوا عَلَى ٱلْحُطَامِ ، وَتَشَاحُّوا عَلَى ٱلْحَرَامِ ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وأَقْبَلُوا إِلَى ٱلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا . وَدَعَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا .

١٤٣ ومن خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا(٣) مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ؛ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ(٤) لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً

---

(١) الزبد ـ محركاً ـ ما يخرج من الفم كالرغوة ، وتقول « أزبد » إذا خرج منه ذلك ، هذا أصله ، وهو يكنى به عن الصائل المقتحم والتيار : معظم اللجة ، ولا يحفل ـ كيضرب ـ لا يبالي .

(٢) أصل المنار ما ينصب في الطريق ليكون علامة لسالكه ، وفي الحديث « إن للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق » وفي بعض النسخ « منازل التقوى » جمع منزل أو منزلة .

(٣) الغرض: ما ينصب ليرمى ، وهو الهدف أيضاً. و « تنتضل فيه » تترامى إليه المنايا للسبق ، ومنه الانتضال بالكلام والشعر ، كأنه جعل المنايا أشخاصاً تتناضل بالسهام : من الناس من يموت قتلاً، ومنهم من يموت غرقاً، أو يتردى في بئر ، أو يسقط عليه حائط .

(٤) الغصص ـ بفتحتين ـ مصدر قولك « غصصت يا فلان » ـ من باب طرب ـ والفرق =

إلاَّ بِفِـرَاقِ أُخْرَىٰ ، وَلاَ يُعَمَّـرُ مُعَمَّـرٌ مِنْكُمْ يَـوْمـاً مِنْ عُمُـرِهِ إلاَّ بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلاَ تُجَـدَّدُ لَهُ زِيَـادَةٌ فِي أَكْلِهِ إلاَّ بِنَفَادِ مَـا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِـهِ ، وَلاَ يَحْيَا لَـهُ أَثَرٌ إلاَّ مَـاتَ لَهُ أَثَـرٌ ، وَلاَ يَتَجَدَّدُ لَـهُ جَدِيـدٌ إلاَّ بَعْـدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَـدِيدٌ(١) ، وَلاَ تَقُـومُ لَـهُ نَـابِتَـةٌ إلاَّ وَتَسْقُطُ مِنْـهُ مَحْصُـودَةٌ . وقَدْ مَضَتْ أُصُـولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَـا ، فَمَا بَقَـاءُ فَـرْعٍ بَعْـدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ؟!!

ومنها : وَمَا أُحْـدِثَتْ بِدْعَـةٌ إلاَّ تُرِكَ بِهَـا سُنَّةٌ ؛ فَـاتَّقُوا ٱلْبِـدَعَ ، وَٱلْـزَمُـوا ٱلْمَهْيَـعَ(٢) إنَّ عَـوَازِمَ ٱلأُمُـورِ أَفْضَلُهَـا(٣) وَإنَّ مُحْـدَثَـاتِهَـا شِرَارُهَا .

= بين الشرق والغصص أن الشرق يكون بالماء ونحوه ، والغصص يكون بالطعام . وروي قوله « غصص » بضم الغين وفتح الصاد على أنه جمع غصة وهي الشجا يعترض في الحلق ، ومراد أمير المؤمنين أن نعيم الدنيا لا يدوم فإذا أحسنت أساءت وإذا أنعمت أخذت بالنقم .

(١) يخلق ـ كيسمع ، وينصر ، ويكرم ـ يبلى .

(٢) المهيع ـ كالمقعد ـ الطريق الواضح ، مأخوذ من قولهم « أرض هيعة » أي : مبسوطة واسعة ، والميم في أوله زائدة ؛ بدليل مثولها فيما ذكرنا .

(٣) عوازم الأمور : ما تقادم منها وكانت عليه ناشئة الدين ، من قولهم « ناقة عوزم » كجعفر ـ أي : عجوز فيها بقية شباب ، وقال الراجز :

لقد غدوت خلق الثياب أحمل عدلين من التراب
لعوزم وصبية سغاب فآكل ولا حس وآبي

وفوعل يجمع على فواعل ، مثل دورق ودوارق وهوجل وهواجل ، ويجوز أن تكون « عوازم » جمع عازمة بمعنى معزوم عليها ـ أي : مقطوع معلوم على وجه اليقين أنها صحيحة ـ عيشة راضية ، والأولى أظهر ، وإن كان مجيء فاعل بمعنى مفعول كثيراً في الكلام المستعمل الفصيح .

١٤٤ ومن كلام له عليه السلام

لعمرَ بنِ الخطَّاب وقد استشارَه في غزوِ الفُرْسِ بنفسه

إنَّ هٰذَا ٱلأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَةٍ وَلاَ قِلَّةٍ ، وَهُوَ دِينُ ٱللّٰهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللّٰهِ ، وَٱللّٰهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ . وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِالأَمْرِ(١) مَكَانُ ٱلنِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ : يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ، فَإِذَا ٱنْقَطَعَ ٱلنِّظَامُ تَفَرَّقَ ٱلْخَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً(٢) . وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلاَمِ ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ ، فَكُنْ قُطْباً ، وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ(٣) ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هٰذِهِ ٱلأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا(٤)

---

(١) القيم بالأمر : هو القائم به ، يريد الخليفة ، والنظام : السلك ينظم فيه الخرز.

(٢) تقول « أخذته كله بحذافيره » أي : بأصله ، وأصل الحذافير أعالي الشيء ونواحيه ، الواحد حذفار وحذفور ، مثل قرطاس وقراطيس وعصفور وعصافير .

(٣) « أصلهم نار الحرب » أي : أجعلهم صالين لها ، تقول « صليت اللحم أصليه صلياً ، مثل رمية ، أرميه رمياً ، أي شويته ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى بشاة مصلية ، أي : مشوية ، وتقول أيضاً « صليت الرجل ناراً » بلا همز ، إذا أدخلته فيها وجعلته يصلاها ، والفرق بين المهموز وغيره أن المهموز يدل على أنك ألقيته فيها كأنك تريد الإحراق ، ويكنى بذلك كله عن مقاسات الشدائد ، وقال الطهوي :

ولا تفنى بسالتهم وإن هم ... صلوا بالحرب حيناً بعد حين

(٤) شخصت : خرجت .

حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ ٱلأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا : هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ؛ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ .

١٤٥ ومن خطبة له عليه ألسلام

فَبَعَثَ ٱللّهُ مُحَمَّداً ، صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بِٱلْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ[١] ، وَمِنْ طَاعَةِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحِدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ[٢] وَٱحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ .

---

(١) الأوثان : جمع وثن ، وهو الصنم وزناً ومعنىً ، وإنما وثناً لانتصابه وثباته على حال واحدة ، مأخوذ من قولك : « وثن فلان بالمكان فهو واثن » إذا ثبت ودام مقامه فيه .

(٢) المثلات ـ بفتح فضم ـ العقوبات .

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ !! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ(١) ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ(٢) وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ !! فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ(٣) !! وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ(٤) وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً(٥) وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .

---

(١) انفق منه : أروج منه .

(٢) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب .

(٣) الزبر ـ بالفتح ـ : الكتب مصدر كتب .

(٤) « ما مثلوا » أي : شنعوا ، و« ما » مصدرية ، وقال ابن أبي الحديد « مثلوا بالتخفيف ـ نكلوا بهم ، مثلت بفلان أمثل بالضم مثلاً بالفتح وسكون الثاء ، والاسم المثلة بالضم . ومن روي مثلوا ـ بالتشديد ـ أراد جدعوهم بعد قتلهم » اهـ .

(٥) فرية ـ بالكسر ـ أي : كذباً ، و« على » في قوله « على الله » لا تتعلق بالمتقدم ـ وهو « صدقهم » وإنما تتعلق بالمتأخر ـ وهو « فرية » ـ أي : سموا صدقهم فرية وكذباً على الله ؛ فإن أبيت أن تعلقه بفرية لكونه مصدراً متأخراً وذهبت إلى أن =

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ(١) ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ وَٱلنِّقْمَةُ(٢) .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللَّهَ وُفِّقَ ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ(٣) ؛ فَإِنَّ جَارَ ٱللَّهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّ ٱللَّهِ خَائِفٌ ، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ؛ فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا(٤) لَهُ ، وَسَلَامَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ ٱلصَّحِيحِ مِنَ

= المصدر لا يعمل في الذي يتقدمه لكونه ضعيف العمل لأنه إنما عمل حملا على الفعل؛ قلنا فليكن العامل فيه فعلاً مقدراً دل عليه هذا المصدر أو ليكن المصدر دالاً على مصدر آخر يقدر متقدماً على الحرف ، وهذا كله من الوضوح بحيث لا يزاد في الدلالة عليه عن هذا المقدار .

(١) الموت الذي لا يقبل فيه عذر ، ولا تفيد بعده توبة .

(٢) القارعة : الداهية المهلكة .

(٣) « من استنصح الله » أي : من أطاعه وعلم أنه يهديه إلى مصالحه ويرده عن مفاسده ويرشده إلى ما فيه نجاته ويصرفه عمّا فيه عطبه و« التي هي أقوم » تقديره : هدى للحالة التي اتباعها أقوم مما عداها ، وقال تعالى: ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ .

(٤) « ما » في قوله: « يعرفون ما عظمة الله » استفهامية مبتدأ ، والاسم الذي بعدها خبر عنها ، وجملتها في محل نصب مفعول للفعل السابق . وقد نص ابن أبي الحديد على أن من الناس من روى هذه الجملة بنصب « عظمة الله » وتقديرها أن تجعل « ما » زائدة ، ومثل هذا يقال في قوله « يعلمون ما قدرته » وقوله « أن يتواضعوا » فالمصدر المنسبك من « أن » والفعل المضارع خبر « إن » في قوله « فإن رفعه ـ الخ » .

ٱلْأَجْـرَبِ ، وَٱلْبَـارِىءِ مِنْ ذِي ٱلسَّقَمِ(١) وَٱعْلَمُـوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْـرِفُـوا ٱلرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّـذِي تَرَكَـهُ ، وَلَنْ تَأْخُـذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّـذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُـوا بِهِ حَتَّى تَعْـرِفُـوا ٱلَّـذِي نَبَـذَهُ ، فَـٱلْتَمِسُـوا ذٰلِـكَ مِنْ عِنْـدِ أَهْلِهِ ؛ فَـإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَـوْتُ ٱلْجَهْـلِ : هُمُ ٱلَّـذِينَ يُخْبِـرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْـطِقِهِمْ ، وَظَـاهِـرُهُمْ عَنْ بَـاطِنِهِمْ : لَا يُخَـالِفُـونَ ٱلـدِّينَ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

١٤٦ ومن كلام له عليه السلام
في ذِكْرِ أهلِ ٱلبَصْرَة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُـهُ عَلَيْهِ دُونَ صَـاحِبِهِ : لَا يَمُتَّـانِ إِلَى ٱللّٰهِ بِحَبْـلٍ ، وَلَا يَمُـدَّانِ إِلَيْـهِ بِسَبَبٍ(٢) ؛ كُـلُّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَا حَامِـلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِـهِ(٣) وَعَمَّا قَلِيـلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُـهُ بِهِ . وَٱللّٰهِ لَئِنْ أَصَـابُوا ٱلَّـذِي يُرِيـدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰـذَا نَفْسَ هٰذَا وَلَيَـأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَىٰ هٰـذَا ؛ قَدْ قَـامَتِ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَـاغِيَةُ فَـأَيْنَ ٱلْمُحْتَسِبُـونَ(٤) فَقَـدْ سُنَّتْ لَهُمُ

---

(١) الباريء : المعافى من المرض .

(٢) ضمير المثنى لطلحة والزبير ، وقوله « لا يمتان » أي : لا يتسولان ، مثل لا يمدان ، والسبب : الحبل أيضاً .

(٣) الضب ـ بالفتح ، ويكسر ـ : الحقد .

(٤) الذين يجاهدون حسبة لله .

آلسُّنَنُ ، وَقُدِّمَ لَهُمُ آلْخَبَرُ ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ ، وَآللّهِ لاَ أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ آللَّدْمِ (١) يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ آلْبَاكِيَ ثُمَّ لاَ يَعْتَبِرُ .

١٤٧ ومن كلام له عليه السلام

قَبْلَ موته

أَيُّهَا آلنَّاسُ ، كُلُّ آمْرِيءٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ، وَآلأَجَلُ مَسَاقُ آلنَّفْسِ (٢) وَآلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمِ آطَّرَدَتِ آلأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا آلأَمْرِ فَأَبَىٰ آللّهُ إِلاَّ إِخْفَاءَهُ . هَيْهَاتَ ؛ عِلْمٌ مَخْزُونٌ . أَمَّا

---

(١) اللدم : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة ، وقال ابن أبي الحديد : « مستمع اللدم : كناية عن الضبع ؛ فإنها تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد فتخذل وتكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها . يقول : لا أكون مقراً بالضيم واهناً أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجمل فلا يكون عندي من التغيير والإنكار لذلك لن أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم » أهـ . و قد روى أبو مخنف قال : لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي عليه السلام لأصحابه : لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكم ، وحتى يبدأوكم بالقتال وبالقتل ، فرمى أصحاب الجمل عسكر علي بالنبل رمياً شديداً متتابعاً ، فضج إليه أصحابه وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين ، وجيء برجل إليه فقيل له : هذا فلان قد قتل ، فقال : اللهم اشهد ، ثم قال : أعذروا إلى القوم ، وتكرر مجيئهم إليه بالقتلى ، ومقالته هذه تتكرر ، ثم لما ضاق بهم ذرعاً قام فاستعد للقتال ولبس درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إلى محمد ابنه رايته السوداء ، وتعرف بالعقاب ، وحمل معه الناس ، واستحر القتل من الفريقين ؛ لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) مساق النفس تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه .

وَصِيَّتِي فَـاللَّهَ لاَ تُشْـرِكُـوا بِـهِ شَيْئـاً ؛ وَمُحَمَّداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ فَـلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَـهُ . أَقِيمُوا هٰـذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِـدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ ، وَخَـلاَكُمْ ذَمٌّ مَـا لَمْ تَشْرُدُوا[1] . حَمَـلَ كُـلُّ ٱمْـرِىءٍ مِنْكُمْ مَجْهُـودَهُ[2] ، وَخَفَّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَـوِيمٌ ، وَإِمَـامٌ عَلِيمٌ . أَنَا بِـالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَـا ٱلْيَوْمَ عِبْـرَةٌ لَكُمْ ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ ، غَفَرَ ٱللَّهُ لِي وَلَكُمْ .

إِنْ تَثْبُتِ ٱلْـوَطْـأَةُ فِي هٰـذِهِ ٱلْمَزَلَّـةِ فَـذَاكَ ، وَإِنْ تَـدْحَضِ ٱلْقَـدَمُ[3] فَإِنَّـا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَبِّ رِيَاحٍ ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَـامٍ ٱضْمَحَـلَّ فِي ٱلْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا ، وَعَفَـا فِي ٱلأَرْضِ مَخَـطُّهَـا[4] ، وَإِنَّمَـا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَـدَنِي أَيَّامـاً وَسَتُعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّـةً خَلاَءً[5] سَـاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْـقٍ لِيَعِـظْكُمْ هُدُوِّي وَخُفُـوتُ إِطْرَاقِي[6]

(١) برئتم من الذم ما لم تشردوا ـ كتنصروا ـ أي : تنفروا وتميلوا عن الحق .

(٢) « حمل كل امرىء ـ الخ » : هذا وما بعده ماض قصد به الأمر .

(٣) قوله « إن ثبت » يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه ، والمزلة : محل الزلل ، و « دحضت القدم » . زلت ، وزلقت ، وبابه منع .

(٤) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة ، واضمحل : ذهب والميم زائدة ، ومنه الضحل وهو الماء القليل . وتقول : اضمحل السحاب ، أي : تقشع وذهب ، ولغة الكلابيين امضحل ـ بتقديم الميم ـ والمتلفق : المنضم بعضه على بعض ، وعفا : اندرس وذهب ، ومخطها : مكان ما خطت في الأرض وضمير « متلفقها » للغمام ، وضمير « مخطها » للرياح ، يريد أنه كان في حال شأنها الزوال فزالت ، وما هو بالعجيب .

(٥) خالية من الروح .

(٦) الخفوت : السكون ، وتقول خفت خفوتاً ، سكن سكوناً في الوزن والمعنى . =

وَسُكُوْنُ أَطْرَافِي ؛ فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ ٱلْمَنْطِقِ ٱلْبَلِيغِ وَٱلْقَوْلِ ٱلْمَسْمُوعِ ، وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ ٱمْرِىءٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي[1] ، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِ مَقَامِي .

١٤٨ ومن خطبة له عليه السلام

في الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً : طَعْناً فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ ٱلرُّشْدِ ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ ، وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ[2] يَا قَوْمِ ، هٰذَا

= وتقول : خفت خفاتاً ـ بضم خاء المصدر ـ إذا مات فجأة ، وأطرافه في الأول : عيناه ، وفي الثاني : يداه ورأسه ورجلاه ، وقد روى ابن أبي الحديد الأول بالقاف المثناة مكسور الهمزة على أنه مصدر أطرق ؛ والثاني بالفاء الموحدة وفتح الهمزة أوله على أنه جمع طرف ، هال : « وأطراقه : إرخاؤه عينه ينظر إلى الأرض لضعفه عن رفع جفنه وسكون أطرافه : هي يداه ورجلاه ورأسه »اهـ.

(١) « وداعيكم » أي : وداعي لكم ، وقد وردت الرواية به أيضاً ، والاستعمال على أن « وداعي لكم » أو « وداعي إيّاكم » أكثر من « وداعيكم » لكون العامل اسما ، وإن كان مستعملاً لانكاره فيه ، ومثله قول الشاعر ـ :

لئن كان حبك لي كاذباً ... لقد كان حبيك حقاً يقينا

و « مرصد » أي : منتظر .

(٢) تباشيره : أوائله .

إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ[1] ، وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ . أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ ٱلصَّالِحِينَ ؛ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[2] وَيُعْتِقَ رِقّاً ، وَيَصْدَعَ شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[3] ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ ، لاَ يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ أَثَرَهُ[4] وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ ، ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ[5] ، تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ[6] ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ ٱلصَّبُوحِ[7] .

ومنها : وَطَالَ ٱلأَمَدُ بِهِمْ[8] لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا

---

(١) إبان ـ بكسر فتشديد ـ : وقت ، والدنو : القرب.

(٢) يحذو : يقتفي ، ويتبع . والربق ـ بكسر فسكون ـ : حبل فيه عدة عرى كل عروة ربقة ـ بكسر الراء ـ تشد فيه البهم .

(٣) يفرق جمع الضلال ، ويجمع متفرق الحق.

(٤) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها.

(٥) « يشحذن » من « شحذ السكين » أي : حددها . والقين : الحداد ، والنصل حديدة السيف والسكين ونحوها ، يريد ليحرضهن قوم في هذه الملاحم على الحرب وقتل أهل الضلال ، وليشحذن عزائمهم كما يشحذ الصقيل السيف ويرقق حده .

(٦) تجلى بالتنزيل : يعودون إلى القرآن وتدبره فينكشف الغطاء عن أبصارهم فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله .

(٧) يغبقون ـ مبني للمجهول ـ يسقون كأس الحكمة بالمساء بعدما شربوه بالصباح ؛ والصبوح : ما يشرب وقت الصباح ، والمراد أنها تفيض عليهم الحكم الإلهية في حركاتهم وسكونهم وسرهم وإعلانهم .

(٨) قوله وطال الخ : انتقال لحكاية أهل الجاهلية وطول الأمد فيها ليزيد الله لهم في العقوبة .

ٱلْغِيَرِ[1] ، حَتَّى إِذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلأَجَلُ[2] ، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى ٱلْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ[3] ،ولَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللّٰهِ بِالصَّبْرِ[4] ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلاَءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ[5] ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ .

حَتَّى إِذَا قَبَضَ ٱللّٰهُ رَسُولَهُ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى ٱلأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ ٱلسُّبُلُ ، وَٱتَّكَلُوا عَلَى ٱلْوَلاَئِجِ[6] وَوَصَلُوا غَيْرَ ٱلرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ[7] فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ،

---

(١) الغير ـ بكسر ففتح ـ أحداث الدهر ونوائبه .

(٢) من قولهم « اخلولق السحاب » إذا استوى وصار خليقاً أن يمطر ، أي : يشرف الأجل على الانقضاء .

(٣) « أشالت الناقة ذنبها » رفعته ، أي : رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على غيرهم ، أي : يسعروها عليهم ، وفي بعض النسخ « اشتالوا » تقول : شال فلان كذا ، أي : رفعه ، و« اشتال الشيء » : ارتفع . و« لقاح حربهم » هو بفتح اللام مصدر قولك « لقحت الناقة » .

(٤) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب ، والجملة جواب إذا .

(٥) من ألطف أنواع التمثيل ، يريد أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم .

(٦) دخائل المكر والخديعة ، وأصل الولائج جمع وليجة ، وهي البطانة يتخذها الإنسان لنفسه ، وقال الله تعالى : **﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾** .

(٧) الرص . مصدر قولك « رصصت الشيء » أي : ألصقت بعضه ببعض ، ومنه قوله تعالى : **﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾** وتقول : تراص القوم في الصف إذا تلاصقوا .

وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[1] ، قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ[2] ، وَذَهِلُوا فِي ٱلسَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

١٤٩ ومن خطبة له عليه السلام

وَأَحْمَدُ ٱللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ ٱلشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ[3] ، وَالإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ، لَا يُوَازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ، أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ ٱلضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ، وَٱلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ[4]، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ[5] وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ ٱقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ ٱلنِّعْمَةِ، وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ ٱلنِّقْمَةِ[6]،

---

(١) الغمرة : الشدة .

(٢) ماروا : تحركوا واضطربوا ، جعلهم كأنهم يسجنون في الحيرة كما يسبح الإنسان في الماء .

(٣) الدحر ـ بالفتح ـ : الطرد ، والمداحر والمزاجر : ما بها يدحر ويزجر ، وهي الأعمال الفاضلة ، ومخاتل الشيطان : مكائده .

(٤) « لا يوازي فضله » : لا يساوي ، و« لا يجبر فقده » لا يسد أحد مسده بعده و« الجفوة الجافية » : غلظ الطبع وبلادة الفهم . « ويستذلون لحكيم » يضيمون العقلاء الداعين إلى الخير لامتلاك الشرور أنفسهم ، وغلبة الهوى عليهم .

(٥) خلو من الشرائع الإلّهية : لا يعرفون منها شيئاً لعدم الرسول المبلغ ، ثم يغيرون ويبدلون ، ويتخذون الأصنام آلهة ، والأهواء شريعة ، فيموتون كفاراً .

(٦) البوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية ، والغائلة . وفي الحديث « لا يدخل الجنة من =

وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعِشْوَةِ[1] وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاهَا : تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ ، شَبَابُهَا كَشَبَابِ ٱلْغُلَامِ [2] وَآثَارُهَا كَآثَارِ ٱلسِّلَامِ . تَتَوَارَثُهَا ٱلظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[3] وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ ٱلتَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِـٱلْبَغْضَاءِ[4] وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ ٱلفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفِ[5]، ٱلْقَاصِمَةِ ٱلزَّحُوفِ ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ ، وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ

= لا يأمن جاره بوائقه » أي : غائلته وشره . وتقول : باقته الداهية ، أي : اصابته .

(١) القتام ـ كسحاب ـ : الغبار ، والعشوة ـ بالضم ، ويكسر ويفتح ـ : ركوب الأمر على غير بيان ، و« اعوجاج الفتنة » أخذها في غير القصد ، وعدولها عن المنهج . والجنين : المستتر . والكمين : مثله .

(٢) شباب كل شيء ـ بفتح الشين ـ أوله ، أي : بداياتها في عنفوان وشدة كشباب الغلام وفتوته ، وقال ابن أبي الحديد : شبابها كشباب الغلام بالكسر ـ مصدر « شب الفرس والغلام يشب ويشب ـ بكسر الشين وضمها ـ شباباً وشبيباء » إذا قمص ولعب ، « وأشببته أنا » أي : هجته وهو السلام ـ بكسر السين ـ : الحجارة ، وآثارها في الأبدان : الرض والحطم .

(٣) مريحة : منتنة ، تقول : راح اللحم ، وأراح ، أي : أنتن ، وقال ابن أبي الحديد : ويجوز أن تكون من « أراح البعير » أي : مات . والأول عندي أحسن وأدق .

(٤) يتزايلون : يتفارقون .

(٥) طالع الفتنة : مقدماتها وأوائلها ، والرجوف : شديدة الرجفان والاضطراب ، أو شديدة إرجافها وزلزالها للناس ، والقاصمة : الكاسرة ، والزحوف : الشديدة الزحف .

ٱلآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا(١) مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ(٢) قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلأَمْرِ ، تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ(٣) ، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ ، وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا(٤) وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا ، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ(٥) وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ ، تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ(٦) ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ(٧) وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ ، تَهْرُبُ مِنْهَا ٱلأَكْيَاسُ(٨) ، وَتُدَبِّرُهَا ٱلأَرْجَاسُ(٩) ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ، تُقْطَعُ فِيهَا ٱلأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلإِسْلَامُ ، بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ(١٠) .

---

(١) نجومها : ظهورها ، وهو مصدر « نجم الشر » أي : ظهر .

(٢) يتكادمون : يعض بعضهم بعضاً كما تكون الحمر في العانة ، أي : الجماعة منها ، وهي خاصة بحمر الوحش .

(٣) تغيض ـ بالغين المعجمة ـ : تنقص وتغور .

(٤) المسحل ـ كمنبر ـ : المبرد أو المنحت ، والمراد بالدق التفتيت ، والرض : التهشيم . والكلكل : الصدر .

(٥) الوحدان : جمع واحد ـ مثل شاب وشبان وراع ورعيان ـ أي : المنفردون ، والركبان : جمع راكب ، ولا يكون إلاّ صاحب بعير .

(٦) عبيط الدماء : الطري الخالص منها .

(٧) ثلم الإناء والسيف أو نحوه يثلمه ـ كضربه يضربه ـ أي : كسر .

(٨) الأكياس : جمع كيس ، وهو الحاذق العاقل .

(٩) الأرجاس : جمع رجس : وهو القذر والنجس ، والمراد الأشرار .

(١٠) « مرعاد مبراق » أي : ذات وعيد وتهديد ، والعرب تقول : أرعد فلان وأبرق ، وأرغى وأزبد ، وتكنى بهما عما ذكرنا . ويجوز أن يعنى بالرعد صوت السلاح =

ومنها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ(١) ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ(٢) وَبِغُرُورِ ٱلإِيْمَانِ ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ(٣) وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ ، وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ ، وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللّٰهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ، وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ ، وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ(٤) فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ(٥) ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ ٱلطَّاعَةِ .

١٥٠ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلدَّالِ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ، لَا تَسْتَلِمُهُ ٱلْمَشَاعِرُ(٦) ،

= وقعقعته ، وبالبرق لونه وضوءه ، على التشبيه . وقوله : « كاشفة عن ساق » أي : عن شدة وهول ومشقة ، وفي التنزيل : ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ وقوله : « بريها سقيم » معناه أن الهارب منها غير ناج ، بل لا بد أن يصيبه شيء من معرتها وضررها ، وقوله « وظاعنها مقيم » أي : ما يفارق الإنسان من اذاها وشركائه غير مفارق له ؛ لأنه قد أبقى عنده عقابيل من غوائلها وأذاها .

(١) طللت دمه : هدرته .

(٢) « يختلون » أي : يخدعهم الظالمون بحلف الأيمان ويغرونهم بظاهر الأيمان وأنهم مؤمنون مثلهم .

(٣) الأنصاب : كل ما ينصب ليقصد .

(٤) اللعق : جمع لعقة ـ بضم اللام ـ وهي ما تأخذه في الملعقة .

(٥) « إنكم بعين ـ الخ » أي : إنه يراكم .

(٦) « لا تستلمه المشاعر » أي : لا تصل إليه الحواس .

وَلَا تَحْجُبُهُ آلسَّوَاتِرُ ؛ لِافْتِرَاقِ آلصَّانِعِ وَآلْمَصْنُوعِ ، وَآلْحَادِّ وَآلْمَحْدُودِ ، وَآلرَّبِّ وَالْمَربُوبِ ، آلأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَآلْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ[1] ، وَآلسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ[2] ، وَآلْبَصِيرِ بِلَا تَفْرِيقِ آلَةٍ[3] ، وَآلشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، وَآلْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ[4] ، وَآلظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَآلْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ ، بَانَ مِنَ آلأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَآلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ آلأَشْيَاءُ مِنْهُ بِآلْخُضُوعِ لَهُ وَآلرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ[5] وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ « كَيْفَ ؟ » فَقَدِ آسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ « أَيْنَ ؟ » فَقَدْ حَيَّزَهُ ، عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

ومنها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَائِحٌ[6] ، وَآعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَآسْتَبْدَلَ آللّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً ، وَبِيَوْمٍ يَوْماً . وَآنْتَظَرْنَا آلْغِيَرَ آنْتِظَارَ آلْمُجْدِبِ آلْمَطَرَ[7] وَإِنَّمَا آلأَئِمَّةُ قُوَّامُ آللّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، لَا يَدْخُلُ آلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا

(١) النصب ـ محركة ـ التعب .

(٢) الأداة : الآلة .

(٣) تفريق الآلة : تفريق الأجفان ، وفتح بعضها عن بعض .

(٤) البائن : المنفصل عن خلقه .

(٥) « من وصفه » أي : من كيفه بكيفيات المحدثين (وانظر الخطبة الأولى ج١).

(٦) لاح : بدا . قالوا : هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان.

(٧) الغير ـ بكسر ففتح ـ صروف الحوادث وتقلباتها ، انتظرها لعلماً يقوم حق وينتكس باطل .

يَدْخُلُ ٱلنَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ .

إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالإِسْلاَمِ ، وَٱسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلاَمَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ[1] ٱصْطَفَى ٱللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكَمٍ ، لاَ تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ[2] ، فِيهِ مَرَابِيعُ ٱلنِّعَمِ [3] وَمَصَابِيحُ ٱلظُّلَمِ ، لاَ تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلاَّ بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلاَ تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِمَصَابِيحِهِ ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ[4] وَأَرْعَى مَرْعَاهُ ، فِيهِ شِفَاءُ ٱلْمُشْتَفِي ، وَكِفَايَةُ ٱلْمُكْتَفِي .

١٥٩ ومن خطبة له عليه السلام

فِي صِفَةِ ٱلضَّالِّ وَالغَافِلِ

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللَّهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ[5] وَيَغْدُو مَعَ

---

(١) جماع الشيء : مجمعه.

(٢) غرائبه : جمع غريبة ، وأراد بها ما يتجدد للقرآن من المعاني التي غفل الناس عنها ؛ لحدوثها باحداث الأفكار والعلوم مع كونها لا تخالف أصول الشريعة ولا تعارضها ، ويروى في مكان هذه اللفظة « عزائمه » وهي جمع عزيمة ، وهي الآية المحكمة ، والبرهان القاطع ، وقوله « ولا تنقضي عجائبه » لأنه مهما تأمله الإنسان استخرج منه بفكره غرائب وعجائب لم تكن عنده من قبل .

(٣) مرابيع : جمع مرباع ـ بكسر الميم ـ وهو المكان ينبت نبته في أول الربيع أو هو المطر أول الربيع .

(٤) أحمى المكان : جعله حمى لا يقرب ، أي : أعز الله الإسلام ، ومنعه من الأعداء ، ومن دخل فيه وصار من أهله متعه الله بخيراته ، وأباحه رعى ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد ، والهمزة في « أرعى » وفي « أحمى » للدلالة على التعريض لأصل الفعل ، مثل : أقتله ، وأضربه ، أي : عرضه للقتل وللضرب .

(٥) قوله « وهو في مهلة » كلام في ضال غير معين ، فهذا الكلام كما تقول : رحم الله =

ٱلْمُذْنِبِينَ ، بِلاَ سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلاَ إِمَامٍ قَائِدٍ .

ومنها : حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمْ ، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً ، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلْبَتِهِمْ ، وَلاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ . إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هٰذِهِ[1] ٱلْمَنْزِلَةِ ، فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ؛ فَإِنَّما ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَٱلضَّلاَلَ فِي ٱلْمَغَاوِي[2] وَلاَ يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ . فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَٱسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ! وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ[3] ، وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلأُمِّيِّ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ ، وَلاَ مَحِيصَ[4] عَنْهُ ،

= امرءًا اتقى ربه ، وخاف ذنبه . أو كما نقول : بئس رجلاً الرجل الذي قل حياؤه ، وغاض وفاؤه . ونحو ذلك ، أنت في كل ذلك لا تقصد واحداً بعينه من الناس ، وإنما تعني من كان فيه هذه الخلال . ويهوى : يسقط ، والسبيل القاصد : المؤدي للغرض .

(١) في بعض الروايات « أحذركم ونفسي هذه المزلة » وهي مفعلة من الزلل .

(٢) المهاوي : جمع مهواة ، وهي الهوة يتردى فيها . والمغاوي : جمع مغواة ؛ وهي الشبهة يذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق .

(٣) أي : لا تكن عجلتك شديدة ، بل إذا كانت لك عجلة فلتكن شيئاً يسيراً . وقوله « أنعم الفكر الخ » معناه دقق بفكرك وأصل هذه العبارة قولك « أنعمت سحق الحجر » من الناس من يجعل « أنعم » مقلوباً عن « أمعن » .

(٤) « لا محيص عنه » أي : لا مفر ولا مهرب منه ، تقول : حاص عنه يحيص ـ من باب باع ـ حيصاً وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحيصاناً ، أي : عدل وحاد وهرب .

وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَضَعْ فَخْرَكَ ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَدْرَكَ ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ؛ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ، وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً ، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ[1] وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ ، وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللّٰهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللّٰهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْس ، أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ[2] ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى ٱلنَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ[3] ، أَوْ يَلْقَى ٱلنَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ ؛ ٱعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ .

إِنَّ ٱلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا ، وَإِنَّ ٱلسِّبَاعَ هَمُّهَا ٱلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ، وَإِنَّ ٱلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْفَسَادُ فِيهَا ، إِنَّ

---

(١) مهد ـ كمنع ـ بسط . وأصله من « مهد الفراش » إذا بسطه ووطأه وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها . وتمهيد العذر : بسطه وقبوله .

(٢) تقول عر فلان فلانا يعره ـ من باب رد ـ أي عابه ولطخه ، وقوله « غيره » مفعول لعر ، وفاعل قوله « فعله » ضمير مستتر ، والمعنى أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو .

(٣) « يستنجح » أي : يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع في الدين .

ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[١] إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، مُشْفِقُونَ إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ .

١٥٢ ومن خطبة له عليه السلام

وَنَاظِرُ قَلْبِ ٱللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ[٢] وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ ، دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَا ، فَٱسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَٱتَّبِعُوا ٱلرَّاعِيَ .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ ٱلْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ ٱلسُّنَنِ ، وَأَرَزَ ٱلْمُؤْمِنُونَ[٣] وَنَطَقَ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ . نَحْنُ ٱلشِّعَارُ[٤] وَٱلْأَصْحَابُ ، وَٱلْخَزَنَةُ وَٱلْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى ٱلْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً .

ومنها في أهل البيت: فِيهِمْ كَرَائِمُ ٱلْقُرْآنِ[٥] ، وَهُمْ كُنُوزُ ٱلرَّحْمٰنِ ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا[٦] ، فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ[٧] .

---

(١) « مستكينون » أي : خاضعون لله عز وجل .

(٢) ناظر القلب : استعاره من « ناظر العين » وهو النقطة السوداء منها ، والمراد بصيرة القلب بها يدرك اللبيب أمده ، أي : غايته ومنتهاه ، والغور : ما انخفض من الأرض ، والنجد : ما ارتفع منها ، أي : يدرك باطن أمره وظاهره .

(٣) أرز يأرز ـ بكسر الراء في المضارع ـ أي : انقبض وثبت ، وأرزت الحية : لاذت بجحرها ورجعت اليه ، وفي الحديث « إن الاسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » أي : ينضم إليها ويجتمع .

(٤) الشعار : ما يلي البدن من الثياب . والمراد بطانة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) الضمير لآل النبي ، والكرائم : جمع كريمة ، والمراد أنه قد أنزلت في مدحهم آيات كريمات ، والقرآن كريم كله ، وهذه كرائم .

(٦) لم يسبقهم أحد إلى الكلام وهم سكوت ، أي : يهاب سكوتهم فلم يجرأ أحد على الكلام فيما سكتوا عنه .

(٧) الرائد : الذاهب من الحي يرتاد لهم المرعى ، وفي أمثالهم « الرائد لا يكذب

وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ(١) فَالنَّاظِرُ بِٱلْقَلْبِ ٱلْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ ، أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلى غَيْرِ طَرِيقٍ ، فَلا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ ، وَٱلْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَسَائِرٍ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ ، وَقَدْ قَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلصَّادِقُ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ ٱلْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » . وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ : فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ(٢) .

= أهله » وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا المثل في خطبه .

(١) لا شك أن الآخرة الآن لعدم وقوعها هي عدم محض ، والانسان قد خلق من العدم ، وهو إلى العدم راجع ، فمن هنا صح قوله إن الانسان قدم من الآخرة وإلى الآخرة ينقلب .

(٢) السَّقي ـ بفتح السين ـ مصدر قولك « سقيت الأرض » ويكسر السين النصيب من الماء ، و « أمر الشيء » صار مرا ، وهذا الكلام مثل في الاخلاص وضده ـ وهو الرياء وحب السمعة ـ فكل عمل يكون مرده الاخلاص لوجهه تعالى فانه يكون زاكيا حلواً جناه طيبة ثمرته ، وكل عمل يكون الباعث عليه الرياء وحب السمعة فانه لا يزكو وتكون ثمرته مرة المذاق .

١٥٣ ومن خطبة له عليه السلام

يَذْكُرُ فيها بَديعَ خِلْقَةِ الخُفَّاش(١)

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ . هُوَ ٱللّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ ، وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ ، وَلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدافِعْ وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ .

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ ؛ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلاَمُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلَ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا ، وَرَدَعَهَا تَلأْلُؤُ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا

(١) الخفاش : واحد جمعه خفافيش ، وهو هذا الطائر الذي يطير ليلا ولا يطير نهاراً ، وهو مأخوذ من الخفش ـ بفتح الخاء والفاء جميعاً ، وفعله مثل تعب ـ وهو صغر العينين وضعف البصر ، ويكون خلقة ، وهو علة لازمة ، وصاحبه يبصر ليلاً أكثر مما يبصر نهاراً ، ويبصر يوم الغيم أكثر مما يبصر يوم الصحو ، والذكر أخفش ، والأنثى خفشاء .

عَنِ ٱلـذَّهَابِ فِي بَلَجِ ٱئْتِـلاَقِهَا فَهِيَ مُسْـدِلَـةُ ٱلْجُفُـونِ بِـالنَّهَـارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْـلِ سِـرَاجاً تَسْتَـدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَـاسِ أَرْزَاقِهَا ، فَـلاَ يَرُدُّ أَبْصَـارَهَا إِسْـدَافُ ظُلْمَتِهِ ، وَلاَ تَمْتَنِـعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ ، فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَـارِهَا ، وَدَخَـلَ مِنْ إِشْـرَاقِ نُورِهَـا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَـارِهَـا أَطْبَقَتِ ٱلأَجْفَـانَ عَلَى مَـآقِيهَـا وَتَبَلَّغَتْ بِمَـا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَـالِيهَـا . فَسُبْحَـانَ مَنْ جَعَـلَ ٱللَّيْلَ لَهَـا نَهَاراً وَمَعَـاشاً ، وَٱلنَّهَـارَ سَكَناً وَقَـرَاراً ، وَجَعَلَ لَهَـا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَـةِ إِلَى ٱلطَّيَـرَانِ كَأَنَّهَـا شَظَايَـا ٱلآذَانِ غَيْـرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ ، إِلاَّ أَنَّكَ تَـرَى مَوَاضِـعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَـةً أَعْلاَماً . لَهَا جَنَـاحَانِ لَمَّـا يَرِقَّـا فَيَنْشَقَّا وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُـلاَ ، تَطِيـرُ وَوَلَـدُهَا لاَصِقٌ بِهَـا ، لاَجِىءٌ إِلَيْهَـا : يَقَـعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَـرْتَفِـعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ ، لاَ يُفَـارِقُهَـا حَتَّى تَشْتَـدَّ أَرْكَـانُـهُ ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُـوضِ جَنَـاحُهُ ، وَيَعْـرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِـهِ وَمَصَالِـحَ نَفْسِهِ ، فَسُبْحَـانَ ٱلْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ .

١٥٤ ومن كلام له عليه السلام

خاطبَ به أهلَ البصرةِ على جهةِ اقتصاصِ الملاحمِ

فَمَنِ ٱسْتَـطَاعَ عِنْدَ ذٰلِـكَ أَنْ يَعْتَقِـلَ نَفْسَـهُ عَلَى ٱللَّهِ عَـزَّ وَجَـلَّ فَلْيَفْعَـلْ ! فَإِنْ أَطَعْتُمُـونِي فَإِنِّي حَـامِلُكُمْ ـ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ ـ عَلَى سَبِيـلِ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ .

وَأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ ٱلنِّسَاءِ ، وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ(١) وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي ، ما أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ . وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلأُولَىٰ ، وَٱلْحِسَابُ عَلَى ٱللهِ تَعالىٰ .

ومنه في ذكر الإيمان : سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ ٱلسِّرَاجِ ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ ٱلْعِلْمُ ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ ٱلْمَوْتُ ، وَبِٱلْمَوْتِ تُخْتَمُ ٱلدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ(٢) ، وَبِالقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ « وتبرّز ٱلجحيمُ لِلْغَاوِينَ » وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ(٣) ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى .

ومنه في وصف حالة أهل القبور يوم القيامة : قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ(٤) ٱلأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا : لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا ، وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا ؛ وَإِنَّ ٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِنَّهُمَا لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلاَ

---

(١) المرجل : القدر ، والقين ـ بالفتح ـ: الحداد ، أي : أن ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فانه يغلي ما دام يصنع ، ولو دعاها أحد لتصيب من غيري غرضاً من الاساءة والعدوان مثل ما أتت إلي ـ أي : فعلت بي ـ لم تفعل ؛ لأن حقدها كان علي خاصة .

(٢) وبالدنيا الخ : أي إنه إذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت الرهبة سبباً في حرص الانسان على الفائدة من حياته فلا يضيع عمره بالباطل وبهذا يحرز الآخرة .

(٣) المقصر ـ كمقعد ـ: المجلس ، أي : لا مستقر لهم دون القيامة فهم ذاهبون إليها مرقلين : أي مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه .

(٤) شخصوا : ذهبوا ، والأجداث : القبور ، والمصائر : الغايات ، جمع مصير ، وهو ما يصير إليه الانسان من شقاء وسعادة . والكلام في القيامة .

يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ ، وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ ، وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ ، وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام إليه رجل وقال : أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عليه السلام : لَمَّا أَنْزَلَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللّٰهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ ، مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللّٰهُ بِهَا[1] ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي « أَبْشِرْ ، فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ

---

(١) « فقلت :يا رسول الله ـ الخ » أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية مكية والسؤال كان بعد أحد وواقعته كانت بعد الهجرة ، وصعب عليهم التوفيق بين كلام الامام وبين ما أجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها ، والذي أراه أن علمه بكون الفتنة لا تنزل والنبي بين أظهرهم كان عند نزول الآية في مكة ، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين واهتمام هؤلاء برد كيد أولئك ، ثم بعد ما خفت الوطأة وصفا الوقت لاستكمال العلم سأل هذا السؤال ، فالفاء لترتب السؤال على العلم ، والعلم كان ممتدا إلى يوم السؤال فهي لتعقيب قوله لعلمه ، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها ، وإن امتد زمن ما قبلها سنين . تقول : تزوج فولد له ، وحملت فولدت .

وَرَائِكَ »؟ فَقَالَ لِي : « إن ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إذاً ؟ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّهِ ؛ لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَى وَٱلشُّكْرِ ، وَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ وَٱلأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَٱلسُّحْتَ بِٱلْهَدِيَّةِ ، وَٱلرِّبَا بِٱلْبَيْعِ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّهِ ؛ بِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

١٥٥ ومن خطبة له عليه السلام

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلاً عَلَى آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ .

عِبَادَ ٱللّهِ ، إِنَّ ٱلدَّهْرَ يَجْرِي بِٱلْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِٱلْمَاضِينَ ، لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ . آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ(١) مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ

---

(١) تتسابق أمور الدهر ـ أي : مصائبه ـ كأن كلا منها يطلب النزول قبل الآخر ، فالسابق منها مهلك ، والمتأخر لاحق له في مثل أثره ، والاعلام : هي الرايات ، كنى بها عن الجيوش وتظاهرها وتعاونها ، والساعة : القيامة ، وحدوها : سوقها وحثها لأهل الدنيا على المسير للوصول إليها . وزاجر الإبل : سائقها . والشول ـ بالفتح جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي من الإبل : ما خف لبنها ، وارتفع =

ٱلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ . فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي ٱلظُّلُمَاتِ ، وَٱرْتَبَكَ فِي ٱلْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّءَ أَعْمَالِهِ ، فَٱلْجَنَّةُ غَايَةُ ٱلسَّابِقِينَ ، وَٱلنَّارُ غَايَةُ ٱلْمُفَرِّطِينَ .

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللَّهِ ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ ، وَٱلْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ : لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ . أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ ٱلْخَطَايَا وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ ٱلْغَايَةُ ٱلْقُصْوَى .

عِبَادَ ٱللَّهِ ؛ ٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي أَعَزِّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ ٱلْفَنَاءِ لِأَيَّامِ ٱلْبَقَاءِ ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ ، لَا تَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ .

أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ؟!

عِبَادَ ٱللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا

= ضرعها ، ومضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر أو ثمانية ، فأما الشائل ـ بغير هاء ـ فهي الناقة تشول بذنبها للقاح ـ أي : ترفعه ـ ولا لبن لها أصلاً ، وجمعها شول ، مثل راكع وركع ، وقال أبو النجم * كأن في أذنابهن الشول * والزاجر : الذي يزجر الابل ويسوقها . وتقول : حدواء ؛ لأنها تحدو السحاب ـ أي : تسوقه ـ والمعنى : إن سائق الشول يعسف بها ولا يتقي سوقها ولا يدارك كما يسوق العشار .

نَهى عَنْـهُ مِنَ آلشَّرِّ مَـرْغَبٌ ! عِبادَ آللّهِ ؛ آحْـذَرُوا يَـوْمـاً تُفْحَصُ فِيـهِ الأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ آلزِّلْزَالُ ، وَتَشِيبُ فِيهِ آلأَطْفَالُ .

آعْلَمُـوا ، عِبَـادَ آللّهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَـداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ(١) ، وَعُيُـوناً مِنْ جَـوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّـاظَ صِـدْقٍ يَحْفَـظُونَ أَعْمَـالَكُمْ وَعَـدَدَ أَنْفَـاسِكُمْ ، لاَ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَـةُ لَيْلٍ داجٍ ، وَلاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ وَإِنَّ غداً مِنَ آلْيَوْمِ قَرِيبٌ .

يَـذْهَبُ آلْيَوْمُ بِمَـا فِيهِ ، وَيَجِيءُ آلْغَـدُ لاَحِقاً بِـهِ ، فَكَـأَنَّ كُـلَّ آمْـرِىءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ آلأَرْضِ مَنْـزِلَ وَحْدَتِـهِ ، وَمَخَطَّ حُفْـرَتِـهِ ، فَيَـا لَـهُ مِنْ بَيْتِ وَحْـدَةٍ ، وَمَنْـزِلِ وَحْشَـةٍ ، وَمُفْـرَدِ غُـرْبَـةٍ ! وَكَـأَنَّ آلصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَآلسَّاعَةَ قَـدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفَصْـلِ آلْقَضَاءِ ، قَـدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ آلأَبَـاطِيـلُ ، وَآضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ آلْعِلَلُ وَآسْتَحَقَّتْ بِكُمُ آلْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ آلأُمُـورُ مَصَادِرَهَـا ، فَاتَّعِـظُوا بِالْعِبَـرِ ، وَآعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَآنْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ .

١٥٦ ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ آلرُّسُـلِ ، وَطُولِ هَجْعَـةٍ مِنَ آلأُمَمِ ،

(١) الرصد : جمع راصد ، مثل حرس في جمع حارس ، يريد به رقيب الذمة وواعظ السر الروحي الذي لا يغفل عن التنبيه ولا يخطىء في الانذار والتحذير ، حتى لا تكون من مخطىء خطيئة إلا ويناديه من سره مناد يعنفه على ما ارتكب ، ويعيبه على ما اقترف ، ويبين له وجه الحق فيما فعل ، ولا تعارضه علل الهوى ، ولا يخفف مرارة نصحه تلاعب الأوهام ؛ وأي حجاب يحجب الانسان عن سره ؟ !.

وَٱنْتِقَاضٍ مِنَ ٱلْمُبْرَمِ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَٱلنُّورِ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ : ذٰلِكَ ٱلْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ ، أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

ومنها ذاكراً حال دولة بني أمية : فَعِنْدَ ذٰلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ وَأَدْخَلَهُ ٱلظَّلَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً ، فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَبْقَى لَكُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ عَاذِرٌ ، وَلاَ فِي ٱلأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ ٱللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ : مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ ٱلْعَلْقَمِ ، وَمَشَارِبِ ٱلصَّبِرِ وَٱلْمَقِرِ ، وَلِبَاسِ شِعَارِ ٱلْخَوْفِ ، وَدِثَارِ ٱلسَّيْفِ . وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا ٱلْخَطِيئَاتِ ، وَزَوَامِلَ ٱلآثَامِ (١) ، فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ ٱلنُّخَامَةُ(٢) ، ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا وَلاَ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَانِ .

١٥٧ ومن خطبة له عليه السلام

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ(٣) ؛

---

(١) الزوامل : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليها الطعام من الإبل ونحوها .

(٢) نخم ـ كفرح أخرج النخامة من صدره فألقاها ، والنخامة بالضم ـ ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد المخاطية .

(٣) « أحطت بجهدي من ورائكم » أي : حميتكم وكنت لكم رداء . والجهد بالضم ـ الطاقة .

وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ آلذُّلِّ(١) ، وَحَلَقِ آلضَّيْمِ(٢) ، شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ آلْقَلِيلِ ! وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ آلْبَصَرُ ، وَشَهِدَهُ آلْبَدَنُ مِنَ آلْمُنْكَرِ آلْكَثِيرِ .

١٥٨ ومن خطبة له عليه السلام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ . أَللَّهُمَّ لَكَ آلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي ، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى آلْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ آلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ آلْحَمْدِ عِنْدَكَ ، حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ ، حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ ، حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكْتَ آلْأَبْصَارَ ، وَأَحْصَيْتَ آلْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَآلْأَقْدَامِ ، وَمَا آلَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَآنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُتُورُ آلْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ

---

(١) الربق : جمع ربقة ـ مثل كسرة وكسر ـ والربقة : عروة من حبل تربق به البهم .

(٢) حلق ـ محركة ـ جمع حلقة ، ويجوز كسر الحاء في الجمع ، ويجوز « حلاق » أيضاً .

أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ ٱلْمَاءِ أَرْضَكَ ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ وَالِهاً ، وَفِكْرُهُ حَائِراً .

ومنها: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو ٱللّٰهَ ! كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ، وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلاَّ رَجَاءَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ، إِلاَّ خَوْفَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ . يَرْجُو ٱللّٰهَ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو ٱلْعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي ٱلرَّبَّ ، فَمَا بَالُ ٱللّٰهِ ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟! أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْداً ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً وَوَعْداً . وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى ٱللّٰهِ فَٱنْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا .

وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللّٰهِ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ(١) وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا(٢) ؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا(٣)

---

(١) الأسوة : القدوة .

(٢) المخازي : جمع مخزاة ، وهي الأمر يستحي من ذكره لقبحه ، والمساوي : جمع مساءة ، وتقول : ساءه يسوءه . سواء ومساءة ومسائية .

(٣) الأكناف : الجوانب ، و « زوى » أي : قبض .

وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا . وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ آللّهِ ، صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، إِذْ يَقُولُ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فقِيرٌ ﴾ وَآللّهِ مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ آلأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ آلْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ[1] وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ ، صَلَّىٰ آللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَاحِبِ آلْمَزَامِيرِ ، وَقَارِىءِ أَهْلِ آلْجَنَّةِ ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ آلْخُوصِ بِيَدِهِ[2] وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ : أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ؟! وَيَأْكُلُ قُرْصَ آلشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ آلسَّلاَمُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ آلْحَجَرَ وَيَلْبَسُ آلْخَشِنَ ، وَيَأْكُلُ آلْجَشِبَ وَكَانَ إِدَامُهُ آلْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ آلْقَمَرَ ، وَظِلاَلُهُ فِي آلْشِّتَاءِ مَشَارِقَ آلأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ آلأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ . دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ .

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ آلأَطْيَبِ آلأَطْهَرِ صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّىٰ ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحبُّ آلْعِبَادِ إِلَى آللّهِ

---

(١) الصفاق ـ ككتاب ـ هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو هو ما بين الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله . وشفيفه : رقيقه الذي يشف عما وراءه والتشذب : التفرق وانهضام اللحم فتحلل الأجزاء وتفرقها .

(٢) السفائف : جمع سفيفة ، وهي وصف من « سف الخوص » إذ تسجه ، أي : منسوجات الخوص .

ٱلْمُتَـأَسِّي بِنَبِيِّهِ ، وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَـرِهِ : قَضَمَ ٱلدُّنْيَـا قَضْمـاً وَلَمْ يُعِـرْهَـا طَـرْفاً . أَهْضَمُ أَهْـلِ ٱلدُّنْيَـا كَشْحـاً وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ ٱلـدُّنْيَا بَـطْناً . عُـرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلـدُّنْيَا فَـأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَـانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَـهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّـرَ شَيْئاً فَصَغَّـرَهُ ، وَلَـوْ لَمْ يَكُنْ فِينَـا إِلَّا حُبُّنَا مَـا أَبْغَضَ ٱللَّهُ وَرَسُولُـهُ ، وَتَعْظِيمُنَـا مَا صَغَّـرَ ٱللَّهُ وَرَسُـولُهُ ؛ لَكَفَى بِـهِ شِقَاقـاً لِلَّهِ ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ ٱللَّهِ . وَلَقَـدْ كَـانَ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَـأْكُلُ عَلَى ٱلْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَـةَ ٱلْعَبْـدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ[1] وَيَـرْقَعُ بِيَـدِهِ ثَوْبَـهُ ، وَيَرْكَبُ ٱلْحِمَـارَ ٱلْعَـارِيَ ، وَيُرْدِفُ خَلْفَـهُ ، وَيَكُونُ ٱلسِّتْـرُ عَلَى بَابِ بَيْتِـهِ فَتَكُونُ فِيـهِ ٱلتَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ : يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْـدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيـهِ عَنِّي ؛ فَإِنِّي إِذَا نَـظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَـرْتُ ٱلدُّنْيَـا وَزَخَارِفَهَـا[2] فَأَعْـرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَـا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَـاتَ ذِكْرَهَـا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَـا عَنْ عَيْنِهِ ؛ لِكَيْـلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَـاشاً[3] ، وَلَا يَعْتَقِـدَهَا قَـرَاراً ، وَلَا يَرْجُـوَ فِيهَا مُقَـاماً ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ ٱلنَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ[4] وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ . وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ .

---

(١) خصف النعل . خرزها . والحمار العاري . ما ليس عليه بردعة ولا إكاف ، وأردف خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه .

(٢) في هذا دليل على أن الرسم على الورق والاثواب ونحوها لا يمنع استعماله ، وإنما يتجافى عنه بالنظر تزهداً وتورعاً .

(٣) الرياش : اللباس الفاخر .

(٤) أشخصها : أبعدها .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللّٰهِ ، صَلّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا ؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ(١) وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ ٱللّٰهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟! فَإِنْ قَالَ : « أَهَانَهُ » فَقَدْ كَذَبَ وَأَتَى بِالإِفْكِ ٱلْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : « أَكْرَمَهُ » فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللّٰهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ ٱلدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ ٱلنَّاسِ مِنْهُ ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ ؛ فَإِنَّ ٱللّٰهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ، صَلّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عَلَماً لِلسَّاعَةِ وَمُبَشِّراً بِٱلْجَنَّةِ ، وَمُنْذِراً بِٱلْعُقُوبَةِ : خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا خَمِيصاً وَوَرَدَ ٱلآخِرَةَ سَلِيماً ، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللّٰهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ . وَٱللّٰهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبُذُهَا عَنْكَ ؟ فَقُلْتُ : ٱغْرُبْ عَنِّي(٢) « فَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَى » .

---

(١) خاصته : اسم فاعل في معنى المصدر ، أي مع خصوصيته وفضله عند ربه وعظيم الزلفة : منزلته العليا من القرب إلى الله ، و « زوى الدنيا عنه » قبضها وأبعدها .

(٢) « أغرب عني » اذهب وابعد ، وقوله « عند الصباح ـ الخ » هذا مثل معناه إذا أصبح النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم ، أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً ، حيث أبلغهم إلى ما قصدوا ، والسرى ـ بضم ففتح ـ السير ليلاً .

١٥٩ ومن خطبة له عليه السلام

ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ ٱلْمُضِيءِ ، وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي وَٱلْكِتَابِ ٱلْهَادِي : أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ : أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ . مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ ، وَٱمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ . أَظْهَرَ بِهِ ٱلشَّرَائِعَ ٱلْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ ٱلْبِدَعَ ٱلْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ ٱلأَحْكَامَ ٱلْمَفْصُولَةَ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ ٱلإِسْلاَمِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى ٱلْحُزْنِ ٱلطَّوِيلِ ، وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ .

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللّهِ تَوَكُّلَ ٱلإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدُهُ ٱلسَّبِيلَ ٱلْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ[1] . أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّهِ بِتَقْوَى ٱللّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا ٱلنَّجَاةُ غَداً ، وَٱلْمَنْجَاةُ أَبَداً . رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ ، وَوَصَفَ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا ، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ ٱللّهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ ٱللّهِ ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ ٱللّهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالاَتِهَا .

---

(١) الإنابة: مصدر « أناب ينيب » أي رجع . والسبيل : الطريق ، يذكر ويؤنث ، وقوله « القاصدة » صفة ثانية للطريق ، ومعناها في الأصل ضد الجائرة ، وأراد منها ههنا المؤدية والمفضية ولذلك عدَّاها بإلى .

فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ ٱلشَّفِيقِ ٱلنَّاصِحِ وَٱلْمُجِدِّ ٱلْكَادِحِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ ٱلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ . قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَٱنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ ٱلْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ ٱلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ ، ٱلنَّاظِرِ بِعَقْلِهِ ؛ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَٱلْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَٱلطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَٱلسَّبِيلَ قَصْدٌ(١) .

١٦٠ ومن كلام له عليه السلام

لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ : كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هَذَا ٱلْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ ؟ فَقَالَ :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ؛ إِنَّكَ لَقَلِقُ ٱلْوَضِينِ(٢) تُرْسِلُ فِي غَيْرِ

---

(١) الجدد ـ بالتحريك ـ: المستوى المسلوك ، والقصد : القويم .

(٢) الوضين : بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج ، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر تململ الجمل وقل ثباته في سيره ، والارسال : الاطلاق والاهمال ، والسدد ـ محركاً ـ: الاستقامة ، أي : تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته ، والذمامة : الحماية والكفاية ، ومثله الذمام ـ بكسر الذال فيهما ـ ويروى « ولك بعد ماتة الصهر » وهو اسم فاعل من « مت إليه يمت » والمعنى واحد ، والصهر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج ، وإنما كان للأسدي حماية الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله=

سَـدَدٍ ! وَلَكَ بَعْـدُ ذِمَـامَـةُ ٱلصِّهْـرِ وَحَقُّ ٱلْمَسْـأَلَـةِ ، وَقَـدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فَـٱعْلَمْ : أَمَّا ٱلإِسْتِبْـدَادُ عَلَيْنَا بِهٰـذَا ٱلْمَقَامِ ـ وَنَحْنُ ٱلأَعْلَوْنَ نَسَبـاً ، وَٱلأَشَـدُّونَ بِرَسُـولِ ٱللّٰهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ وسَلَّمَ ، نَـوْطـاً(١) ـ فَـإِنَّهَا كَـانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَـا نُفُوسُ قَـوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَـا نُفُـوسُ آخَرِينَ . وَٱلْحَكَمُ ٱللّٰهُ وَٱلْمَعْودُ إِلَيْهِ ٱلْقِيَامَةُ .

[وَدَعْ عَنْـكَ نَهْبـاً صِيحَ فِي حَجَـرَاتِـهِ(٢)]

وَهَلُمَّ ٱلْخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ(٣) فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ

= كـانت أسدية . وليس الصهر أن علياً رضي الله عنه قد تزوج من بني أسد ، كما زعم بعض شارحي كلامه .

(١) النوط ـ بالفتح ـ: التعلق ، والأثرة : الاختصاص بالشيء دون مستحقه والمراد بمن سخت نفوسهم عن الأمر أهل البيت .

(٢) البيت لامرىء القيس وتتمته * وهات حديثاً ما حديث الرواحل * قاله عندما كان جاراً لخالد بن سدوس ، فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بأهله ، فشكا لمجيره خالد ، فقال له : أعطني رواحلك ألحق بها القوم فأرد إبلك وأهلك ، فأعطاه ، وأدرك خالد القوم فقال لهم : ردوا ما أخذتم من جاري ، فقالوا : ما هو لك بجار ، فقال : والله إنه جاري وهذه رواحله ، فقالوا : نعم ، ورجعوا اليه ونزلوا عنهن وذهب بهن . والنهب ـ بالفتح ـ: الغنيمة ، و « صيح » أي : صاحوا للغارة « في حجراته » جمع حجرة بفتح الحاء ـ: وهي الناحية ، ووجه التمثيل ظاهر .

(٣) هلم : اذكر ، و « هلم » لفظ يستعمل لازماً ومتعدياً : فاللازم بمعنى تعال ، قال الخليل : أصله « لم » فعل أمر من « لم الله شعثه » أي : جمعه ، كأن المتكلم أراد لم نفسك إلينا ـ أي : اجمعها واقرب منا ـ ثم دخلت « ها » التي للتنبيه ، وحذفت ألف « ها » لكثرة الاستعمال ، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة : ويستوي فيها الواحد والاثنان والجمع والمؤنث في لغة أهل الحجاز ، وبلغتهم جاء قوله تعالى : ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ فأما أهل نجد فإنهم يصلون بها الضمائر فيقولون هلم وهلما وهلموا وهلمي وهلممن . وربما تعدى « هلم » إذا كان لازماً=

بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غَرْوَ وَٱللّٰهِ فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ ٱلْعَجَبَ وَيُكْثِرُ ٱلْأَوَدَ . حَاوَلَ ٱلْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ ٱللّٰهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ . وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً . فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ ٱلْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللّٰهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

١٦١ ومن خطبة له عليه السلام

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ ، وَمُخْصِبِ ٱلنِّجَادِ ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ ، هُوَ ٱلْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ ، وَوَحَّدَتْهُ ٱلشِّفَاهُ . حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ : « مَتَى »؟ وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى ، أَلظَّاهِرُ لَا يُقَالُ « مِمَّا »(١) ، وَٱلْبَاطِنُ لَا يُقَالُ « فِيمَا » ، لَا شَبَحٌ فَيَتَقَضَّى(٢) وَلَا

= باللام فيقال « هلم لك » كما يقال « هيت لك » فأما المتعدي فمعناه « هات » تقول « هلم الكتاب » أي : هاته وقال الله تعالى : ﴿قل هلم شهداءكم الذين يشهدون﴾ والخطب : عظيم الأمر وعجيبه الذي أدى القيام من ذكره لمنازعته في الخلافة ، والأود : الاعوجاج .

(١) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أي شيء ظهر .

(٢) ليس بجسم فيفنى بالانحلال .

مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى . لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْتِصَاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِٱفْتِرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ(١) وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلَا ٱزْدِلَافُ رَبْوَةٍ(٢) ، وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ(٣) وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ(٤) ، وَتَعْقُبُهُ ٱلشَّمْسُ ذَاتُ ٱلنُّورِ ، فِي ٱلْأُفُولِ وَٱلْكُرُورِ(٥) وَتَقَلُّبِ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلدُّهُورِ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ(٦) وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ(٧) ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ ، وَتَأَثُّلِ ٱلْمَسَاكِنِ وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ . فَٱلْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ ، لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ ، مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ؛ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ

---

(١) شخوص لحظه : امتداد بصره .

(٢) ازدلاف الربوة : تقربها من النظر وظهورها له ؛ لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .

(٣) الداجي : المظلم ، والغسق : الليل ، « وساج » أي : ساكن لا حركة فيه .

(٤) أصل التفيؤ للظل ينسخ نور الشمس ، ولما كان الظلام بالليل عاماً كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس ، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه .

(٥) الأفول : المغيب ، والكرور : الرجوع بالشروق .

(٦) قوله « قبل كل غاية » متعلق « بيخفى » على معنى السلب ، أي : لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كل غاية ، أي : يعلمه قبل الخ . ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية ، أي : هو موجود قبل كل غاية الخ .

(٧) نحله القول ـ كمنعه ـ نسبه اليه ، أي : عما ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها من صفات الأقدار ، والأقدار جمع قدر ـ بسكون الدال ـ وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر ، ونهايات الأقطار : هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة .

حَـدَّهُ ، وَصَـوَّرَ مَـا صَـوَّرَ فَـأَحْسَنَ صُـورَتَـهُ(١) . لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْـهُ آمْتِنَاعٌ(٢) ، وَلَا لَهُ بِـطَاعَةِ شَيْءٍ آنْتِفَـاعٌ . عِلْمُهُ بِـالْأَمْوَاتِ الْمَـاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ . وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى .

ومِنها : أَيُّهَـا الْمَخْلُوقُ السَّـوِيُّ(٣) ، وَالْمُنْشَـأُ الْمَـرْعِيُّ فِي ظُلُمَـاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَـاعَفَاتِ الْأَسْتَـارِ ؛ بُدِئْتَ مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ طِينٍ وَوُضِعْتَ فِي قَـرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَـلٍ مَقْسُـومٍ ، تَمُـورُ فِي بَـطْنِ أُمِّـكَ جَنِينـاً : لَا تُحِيرُ دُعَـاءً ، وَلَا تَسْمَـعُ نِـدَاءً ، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْـرِفْ سُبُلَ مَنَـافِعِهَا ، فَمَنْ هَـدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِـذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّـكَ ؟ وَعَرَّفَـكَ عِنْدَ الْحَـاجَةِ مَـوَاضِعَ طَلَبِـكَ وَإِرَادَتِكَ ؟ هَيْهَـاتَ ! إِنَّ مَنْ يَعْجِـزُ عَنْ صِفَـاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ ، فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ؛ وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُـدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ .

---

(١) لم تكن مواد متساوية في القدم والأزلية وكان لـه فيها أثر التصوير والتشكيل فقط ، بـل خلق المادة بجوهـرهـا ، وأقـام لهـا حـدهـا ، أي : مـا بـه امتازت عن سـائـر الموجودات ، وصور منها ما صور من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها .

(٢) أي : لا يمتنع عليه ممكن : اذا قال للشيء كن فيكون .

(٣) مستوى الخلقة : لا نقص فيـه ، وفي التنزيـل : ﴿ فتمثل لها بشراً سوياً﴾ والمنشـأ : المبتـدع ، اسم مفعـول من « أنشـأ » أي : خلق وأوجد . والمـرعى : المحفـوظ المحوط .

١٦٣

ومن كلام له عليه السلام

لَمَّا آجْتَمَعَ آلنَّاسُ عَلَيْهِ وَشَكَوْا مَا نَقِمُوهُ عَلى عُثْمَانَ ، وسَأَلُوهُ مُخاطَبَتَه عنهمْ واَستِعْتابهُ لَهُمْ ، فدخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

إِنَّ آلنَّاسَ وَرَائِي ، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَوَآللّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبْلِغَكَهُ ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ آللّهِ كَمَا صَحِبْنَا . وَمَا آبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ آبْنُ آلْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ آلْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ آللّه ، صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا[١] ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ ، فَآللّهَ آللّهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ ، وَآللّهِ ، مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى ، ولاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ آلطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ آلدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَآعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ آللّهِ عِنْدَ آللّهِ إِمَامٌ عادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ

---

(١) الوشيجة : اشتباك القرابة ، وإنما كان عثمان أقرب وشيجة لرسول الله لأنه من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أما أبو بكر فهو من بني تيم بن مرة سابع أجداد النبي . وعمر من بني عدي ابن كعب ثامن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم . وأما أفضليته عليهما في الصهر فلأنه تزوج ببنتي رسول الله : رقية ، وأم كلثوم ، توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية ولذا سمي ذا النورين . وغاية ما نال الخليفتان أن النبي تزوج من بناتهما.

بِدْعَةً مَجْهُولَةً ، وَإِنَّ ٱلسُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّه ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « يُؤْتَى يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ ٱلْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ ٱلرَّحَى : ثُمَّ يَرْتَبِطَ فِي قَعْرِهَا . وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللَّهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ ٱلْمَقْتُولَ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ فِيهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً ، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً ، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[1] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ ٱلسِّنِّ ، وَتَقَضِّي ٱلْعُمُرِ!!

فَقَالَ لَهُ عُثمانُ رضي الله عَنْهُ : كَلِّمِ النَّاسَ في أَنْ يُؤَجِّلوني حتى أَخرجَ إليهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام :

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

---

(١) السيقة ـ ككيسة ـ: ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان ، وقوله «بعد جلال السن» يجوز أن يكون «جلال» مفتوح الجيم بمعنى العظمة ويجوز أن يكون مضموم الجيم بمعنى العظيم والجليل ، صفة مشبهة مثل شجاع وطوال وإضافته حينئذ من باب إضافة الصفة للموصوف .

١٦٣ ومن خطبة له عليه السلام

يَذْكُرُ فِيهَا عَجِيبَ خِلْقَةِ الطَّاوُوسِ

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلأَطْيَارِ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلاَمِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً. وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلاَفِهَا فِي ٱلأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى ٱلأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ. يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ،

يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ(١) وَيَؤُرُّ بِمُلاَحَقَةٍ أَرَّ ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ فِي ٱلضِّرَابِ ! أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ(٢) لاَ كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ ؛ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى ٱلدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ(٣) مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ . تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ ٱلْعِقْيَانِ وَفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ ؛ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ ٱلأَرْضُ قُلْتَ : جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِٱلْمَلاَبِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِٱلْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِٱللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ(٤) . يَمْشِي مَشْيَ ٱلْمَرِحِ

---

(١) « يفضي » أي : يسافد أنثاه كما تسافد الديكة : جمع ديك . ويؤر ـ كيشد ـ أي : يأتي أنثاه بملاحقة ، أي : مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها في رحم قابل ، والمغتلمة ـ على صيغة اسم الفاعل ـ من « اغتلم » إذا غلب للشهوة ، والضراب : لقاح الفحل لأنثاه .

(٢) أي : إن لم يكفك الخبر فإني أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما أقول .

(٣) « لما كان ذلك بأعجب » أي : لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأنثاه حيث قالوا : ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره ، والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة . ومنشأ الزعم في الغراب إخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم « أخفى من سفاد الغراب » .

(٤) جعل اللجين ـ وهو الفضة ـ منطقة لها ، والمكلل : المزين بالجواهر ، فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها .

ٱلْمُخْتَالِ(١) ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ(٢) ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ .

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ . وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ(٣) وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ(٤) . وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ(٥) وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ ؛ وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ(٦) ،

---

(١) المرح ـ ككتف ـ المعجب ، والمختال : الزاهي بحسنه .

(٢) السربال : اللباس مطلقاً ، أو هو الدرع خاصة . والوضاح : نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر ، بعد عقد طرفه به ، حتى يكونا كدائرتين إحداهما داخل الأخرى : كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ، ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف ، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح .

(٣) زقا يزقو : صاح ، وأعول فهو معول : رفع صوته بالبكاء « يكاد يبين » أي : يفصح عن استغاثته من كراهة قوائمه ، أي : ساقيه ـ حمش : جمع أحمش ، أي : دقيق والديك الخلاسي ـ بكسر الخاء ـ: هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٤) وقد نجمت : نبتت ، « من ظنبوب ساقه » أي : من حرف عظمه الأسفل « صيصية » وهي ههنا : شوكة تكون في رجل الديك ، وهي في الأصل شوكة الحائك التي يسوي بها سدى الثوب ولحمته ، قال الشاعر * كوقع الصياصي في النسيج الممدد * ثم استعملت في المعنى الذي ذكر أولاً على التشبيه ، والظنبوب ـ بالضم ، كعرقوب ـ عظم حرف الساق .

(٥) العرف : الشعر المرتفع من عنقه على رأسه ، والقنزعة ـ بضم القاف والزاي بينهما سكون ـ: الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، وموشاة : منقوشة .

(٦) مغرزها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن ، لونه كلون الوسمة ، وهي ـ بكسر السين وقد تسكن ـ نبات يخضبها به ، أو هي نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة .

أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذاتَ صِقَالٍ(١) ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمَعْجَرٍ أَسْحَمَ(٢) إِلَّا أَنَّهُ يُخِيلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ . وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوانِ(٣) أَبْيَضُ يَقَقٌ . فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ(٤) وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ(٥) . فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ(٦) لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ(٧) وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ ؛ وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ(٨) وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً ، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ ٱلْأَغْصَانِ(٩) ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ .

---

(١) الصقال : الجلاء .

(٢) المعجر ـ كمنبر ـ : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول ، فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها ، وهو معنى التلفع ههنا ، والأسحم : الأسود .

(٣) الأقحوان : البابونج الأبيض ، واليقق ـ محركاً وبزنة كتف ـ : شديد البياض .

(٤) يلمع .

(٥) « علاه » أي : فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه ، والبصيص : اللمعان . والرونق : الحسن .

(٦) الأزاهير : جمع أزهار ، وهو جمع زهرة .

(٧) لم تربها : فعل من التربية ، والقيظ : الحر .

(٨) « ينحسر » وهو من « حسره » أي : كشفه ، أي : وقد يتكشف من ريشه . « وتترى » أي : شيئاً بعد شيء وبينهما فترة غالباً ، ومن الناس من يذكر أن « تترى » للمواصلة والالتصاق . وأصل « تترى » وترى بالواو من الوتر ، ومن الناس من يجعل الألف للالحاق فينون وقوله « تباعاً » أي : لا فترات بينهما ، وكذلك حال الريش الساقط : يسقط شيئاً بعد شيء وينبت جميعاً .

(٩) ينحت : يسقط وينقشر ، وانحتات الأوراق : تناثرها .

لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ . وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً(١) . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ(٢) أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ . وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ ؟ . فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ(٣) عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً ؛ وَأَعْجَزَ ٱلْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ . وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ(٤) وَٱلْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلْفِيَلَةِ ؛ وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ أَلَّا وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ(٥) .

---

(١) ذهبية .

(٢) عمائق : جمع عميقة ، وهي البعيدة الغور ، والقرائح : جمع قريحة ، وهي الخاطر والذهن .

(٣) بهر العقول : قهرها فردها ، وجلاه كحلاه ـ الأول بالتخفيف ، والثاني مضعف الحشو ـ : كشفه .

(٤) الذرة : واحدة الذر ، وهو صغار النمل ، والهمجة ـ محركة ـ واحدة الهمج وهو ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم . وقوائمها : أرجلها ، وأدمجها : أودعها فيها .

(٥) « رميت ببصر قلبك » أي : أفكرت وتأملت تأمل مستبصر ، وتقول : غرفت الإبل ـ كفرح ـ إذا اشتكت بطونها من أكل الغرف ـ كفلس وجمل ـ وهو الثمام ، أي لكرهت بدائع الدنيا كما تكره الإبل الثمام ، أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون الإبل من أكل الثمام ، ويروي « عزفت نفسك » بعين مهملة فزاي ـ ومعناه انصرفت أو ملت ، وبابه جلس .

ومِنْهَا في صِفَةِ ٱلجَنَّة : فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَن بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفَ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتَ بِالْفِكْرِ فِي آصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ ٱلْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ؛ وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ وَٱلْخُمُورِ ٱلْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِٱلْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ آسْتِعْجَالاً بِهَا ؛ جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ ٱلأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال الشريف : تفسيرُ بعضِ ما جاءَ فيها من الغَريبِ :

« يَؤُرُ بِمُلاَحَقَةٍ » الأَرُّ : كِنَايَةٌ عن النِّكَاحِ ، يُقَالُ : أَرَّ المَرأَةَ يَؤُرُّهَا ، أي : نَكَحَهَا ، وَقَولُهُ « كَأَنَّهُ قِلْعُ داريٍّ عَنَجَهُ نوتِيَّةٌ » : القِلْعُ : شِرَاعُ السَّفِينَةِ ، « وَدَارِيٌّ » مَنْسُوبٌ إلى دَارِينَ ، وَهِيَ بَلْدَةٌ على ٱلبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطِّيبُ . و« عَنَجَهُ » أي : عَطَفَه ، يُقَالُ : عَنَجْتُ النَّاقَةَ ـ كنَصَرتُ ـ أَعْنجُهَا عَنْجاً ، إذا عَطَفْتُهَا والنُّوتيُّ : المَلاَّح ، وقولُه « ضَفَّتَيْ جفونِهِ » أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ ، والضَّفَّتَانِ :

الجانبان ، وقوله : « وفِلَذْ الزَّبَرْجَد » الفِلَذْ : جمع فِلذَة ، وهي آلقِطْعَة . وقولُه « كَبَائِس اللُّؤلُؤ الرَّطْبِ » آلْكِبَاسَةُ . العِذْقُ . وآلعَسَالِيجُ : الغُصُونُ واحدُهَا عُسْلوجٌ .

١٦٤ ومن خطبة له عليه السلام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ[١] وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ . وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ آلْجَاهِلِيَّةِ : لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلاَ عَنِ آللّهِ يَعْقِلُونَ ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ[٢] : يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً ، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرًّا !!

ومنها : آفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِم : فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَما مَالَ مَالَ مَعَهُ ، عَلَى أَنَّ آللّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قُزَعُ آلْخَرِيفِ[٣] يُؤَلِّفُ آللّهُ بَيْنَهُمْ

---

(١) « ليتأس » أي ليقتد .

(٢) القيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، والأداحي : جمع أدحيّ ـ كلجيّ ـ وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه ، فإذا مر مارّ بالاداحي فرأى فيها بيضاً أرقط ظن أنه بيض القطا لكثرته ، وإلفه للافاحيص مطلقاً يبيض فيها ، فلا يسوغ للمار أن يكسر البيض، وربما كان في الحقيقة بيض ثعبان ، فينتج حضان الطير له شراً ، وكذلك الانسان الجاهل الجافي : صورته الانسانية تمنع من اتلافه ولا ينتج الابقاء عليه إلا شراً ، فإنه بجهله يكون أشد ضرراً على الناس من الثعبان بسمه .

(٣) القزع ـ محركاً ـ: القطع المتفرقة من السحاب ، واحدته قزعة ـ بالتحريك ـ =

ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ ، ثُمَّ يَفْتَحُ ٱللَّهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ ٱلْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ، وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ . يُزَعْزِعُهُمُ ٱللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي ٱلأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ ٱلأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ ٱلْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ ٱلْبَاطِلِ ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ . لٰكِنَّكُمْ تُهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ !! وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ ٱلْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ ٱلأَدْنَى ، وَوَصَلْتُمُ ٱلأَبْعَدَ !! وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ ٱتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاِعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ ٱلفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ .

= والركام : السحاب المتراكم ، والمستثار : موضع انبعاثهم ثائرين ، وسيل الجنتين : وهو الذي سماه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمر جناتهم وحول نعيمهم شقاء ، والقارة كالقرارة : ما اطمأن من الأرض ، والأكمة ـ محركة ـ غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه ، والسنن : يريد به الجري والطود : الجبل العظيم ، والمقصود الجمع ، والرص : يريد به الارتصاص ، أي : الانضمام والتلاصق أي : لم يمنع جريه تلاصق الجبال ، والحداب : جمع حدب ـ بالتحريك ـ وهو : ما غلظ من الأرض في ارتفاع .

١٦٥ **ومن خطبة له عليه السلام**

فِي أوائِلِ خِلاَفَتِهِ

إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَآصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا . ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ ! أَدُّوهَا إِلَىٰ ٱللّهِ تُـؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُولٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَىٰ ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالإِخْلاَصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا . فَٱلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ . وَلاَ يَحِلُّ أَذَىٰ ٱلْمُسْلِمِ إِلاَّ بِمَا يَجِبُ ، بَادِرُوا أَمْرَ العَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ(١) . فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا!! فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ . آتَّقُوا ٱللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ، وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَلاَ تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

---

(١) بادره : عاجله ، أي : عاجلوا أمر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا ، فإذا انقضى عملكم في شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كي لا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة ، وفي تقديم الامام أمر العامة على أمر الخاصة دليل على أن الأول أهم ، ولا يتم الثاني الا به . وهذا ما تضافرت عليه الأدلة الشرعية وإن غفل عنه الناس في أزماننا هذه .

١٦٦ ومن كلام له عليه السلام

بعدما بُويع بالخِلَافةِ ، وَقد قَالَ لَهُ قومٌ من الصَّحابة :

لو عاقبت قوماً مِمَّنْ أجلبَ على عُثْمانَ ؟ فَقَالَ عَلَيْه السَّلامُ :

يَـا إِخْـوَتَـاهُ ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَـلُ مَـا تَعْلَمُـونَ ، وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ ٱلْمُجْلِبُونَ عَلَىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ ،يَمْلِكُونَنـا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ؟ وَهَا هُمْ هٰؤُلاَءِ قَـدْ ثَـارَتْ مَعَهُمْ عُبْـدَانُكُمْ ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا . وَهَلْ تَـرَوْنَ مَوْضِعـاً لِقُدْرَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هٰذَا الأَمْـرَ أَمْرُ جَـاهِلِيَّةٍ ، وَإِنَّ لِهٰؤُلاَءِ الْقَـوْمِ مَادَّةً . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا الأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَىٰ أُمُـورٍ : فِرْقَـةٌ تَرَى مَـا تَرَوْنَ ، وَفِـرْقَةٌ تَـرَى مَا لاَ تَـرَوْنَ ، وَفِرْقَـةٌ لاَ تَرَىٰ هٰـذَا وَلاَ ذَاكَ . فَـاصْبِـرُوا حَتَّى يَهْـدَأَ النَّـاسُ ، وَتَقَـعَ ٱلْقُلُوبُ مَـوَاقِعَهَـا ، وَتُـؤْخَـذَ ٱلْحُقُـوقُ مُسْمَحَةً، فَاهْدَأُوا عَنِّي ، وَٱنْظُرُوا مَـاذَا يَأْتِيكُمْ بِـهِ أَمْرِي ، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مُنَّـةً وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً . وَسَـأُمْسِكُ الأَمْـرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ .

١٦٧ ومن خطبة له عليه السلام

عندَ مَسيرِ أَصْحَابِ ٱلجَمَلِ إِلى ٱلبَصْرة

إِنَّ ٱللّهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَـاطِقٍ وَأَمْرٍ قَـائِمٍ ، لاَ يَهْلِكُ

عَنْهُ إِلاَّ هَالِكٌ . وَإِنَّ ٱلْمُبْتَدَعَاتِ ٱلْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ ، إِلاَّ مَا حَفِظَ ٱللَّهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ : فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلاَ مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَٱللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلاَمِ ، ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّىٰ يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ .

إِنَّ هٰؤُلاَءِ قَدْ تَمَالأُوا عَلَىٰ سَخْطَةِ إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَىٰ فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ ٱنْقَطَعَ نِظَامُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا ٱلْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللَّهِ ، ﷺ ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .

١٦٨ ومن كلام له عليه السلام

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ ٱلْعَرَبِ ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ ٱلبَصْرَةِ لَمَّا قَرُبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْها لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ ٱلجَمَلِ لِتزولَ الشُّبْهَةُ مِن نفوسِهِم ، فبيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِن أمرِهِ مَعَهُم مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ على الحقِّ ، ثم قالَ لَهُ : بايِعْ ! فَقَالَ : إِنِي رَسُولُ قومٍ وَلاَ أُحدِثُ حَدَثاً حَتَّى أَرجِعَ إِلَيهم ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ

ٱلْغَيْثِ فَـرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَـرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَـلإِ وَٱلْمَـاءِ فَخَـالَفُـوا إِلَى ٱلْمَعَـاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ ، مَـا كُنْتَ صَـانِعـاً؟ قـال : كُنْتُ تَـارِكَهُمْ ومُخالِفَهُمْ إلى الْكَلإِ وَٱلْمَاءِ . فَقَالَ عليهِ السَّلامُ :

فَٱمْدُدْ إِذاً يَـدَكَ ! فَقَالَ الـرَّجُلُ : فَـواللّٰهِ مَا ٱستَـطَعْتُ أَنْ أَمتَنِعَ عِنْدَ قِيامِ الحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ (والرَّجُـلُ يُعْرَفُ بكُلَيْبٍ الجَرْميِّ) .

١٦٩ ومن خطبة له عليه السلام

لَمّا عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ ٱلْقَوْمِ بِصِفّينَ

اللّٰهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ ٱلْمَـرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُـوفِ(١) ، ٱلَّـذِي جَعَلْتَـهُ مَغِيضاً لِلَّيْـلِ وَٱلنَّهارِ ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفـاً لِلنُّجومِ السَّيَّارَةِ ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْـطاً مِنْ مَلاَئِكَتِـكَ ، لاَ يَسْأَمُـونَ

---

(١) الجو: ما بين الأرض والاجرام العالية، وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه ولا يُعد جنسه، وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجوية، ولكنها مكفـوفة عن الأرض لا تسقط عليهـا ، حتى يريـد الله إحداث أمـر فيها ، و « جعلتـه مغيضاً »: من « غـاض الماء » إذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضيـاء والظلام ، وهـو مغيضها كمـا يغيض الماء في البئـر ، والكلام الآتي صـريـح في أن الكـواكب السيـارة كـالشمس والقمـر تختلف ، أي: يخلف بعضها بعضاً في الجو، فهو مجال سيرها وميدان حركاتها. والبسط ـ بـالكسر ـ الأمـة ، و « لا يسأمـون » أي لا يملون . و « قراراً لـلأنـام » أي : مـوضـع استقـرارهم وسكـونهم ، و « مـدرجـاً للهـوام » أي : مـوضعـاً لـدروجهم وسيـرهم وحركاتهم . والهوام : جمع هامة ، وهي ما يخاف من الأحناش والحشرات .

مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هٰذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالأَنْعَامِ ، وَمَا لاَ يُحْصَىٰ مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لاَ يُرَى ؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا ٱلْبَغْيَ ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَٱعْصِمْنَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ .

أَيْنَ ٱلْمَانِعُ لِلذِّمَارِ وَٱلْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِفَاظِ؟! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ ، وَٱلْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ .

١٧٠ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لاَ تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً .

ومنها: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَىٰ هٰذَا الأَمْرِ يَا ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ! فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَٱللّٰهِ لأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ. فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْمَلإِ ٱلْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

---

(١) قيل: قال علي عليه السلام هذا الكلام يوم السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي قال له « إنك على هذا الأمر لحريص » هو أبو عبيدة بن الجراح ، وقيل : بل قال هذا الكلام بعد مقتل عمر عند الشورى ، والقائل له « إنك الخ » سعد بن أبي وقاص .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ (١) فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ، ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ (٢) .

ومنها في ذكر أصحاب الجمل :

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رسول الله(٣) صلىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ : فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللّٰهِ ، صَلَّىٰ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا(٤) فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا :

---

(١) استعينك : استنصرك وأطلب منك المعونة ، ويروى في مكانه « أستعديك » أي : اطلب منك أن تعديني عليهم وأن تنتصف لي منهم .

(٢) « ثم قالوا ـ الخ » أي : إنهم اعترفوا بفضله ، وأنه اجدرهم بالقيام به ففي الحق أن يأخذه ، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر ، وقالوا للإمام : في الحق ان تتركه ، فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توافرت فيه شروطه .

(٣) « حرمة رسول الله » كناية عن زوجته ، وأراد بها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ولا تزال هذه الكناية مستعملة إلى اليوم ، وكذلك قوله « حبيس رسول الله » كناية عنها .

(٤) حبيس : فعيل بمعنى مفعول ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وأم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها في حياته .

فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً[١] وَطَائِفَةً غَدْراً ! فَوَاللّٰهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ[٢] ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ ٱلْجَيْشِ كُلِّهِ ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ ٱلَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ[٣] .

١٧١ ومن خطبة له عليه السلام

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ ٱللّٰهِ فِيهِ : فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَىٰ قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ ، وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ، ثُمَّ لَيسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ .

---

(١) القتل صبراً : ان تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت .

(٢) معتمدين : قاصدين .

(٣) قوله « دع ما انهم » أي : لم يحل لي قتلهم بقتل مسلم واحد عمداً . فدع من اعمالهم ما زاد على ذلك ، وهو انهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم ، فذلك مما يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم ، و « ما » في قوله « ما انهم » مثل « لو » في قولهم « يعجبني لو ان فلاناً يتكلم » أو مثلها في قوله تعالى : ﴿أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ فهي زائدة ، أو مساعدة على سبك الجملة بالمصدر .

أَلاَ وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلاً آدَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَىٰ آللّهِ ، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَىٰ آلْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ آلْأُمُورِ عِنْدَ آللّهِ ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ آلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ آلْقِبْلَةِ وَلاَ يَحْمِلُ هٰذَا آلْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ آلْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَآلْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ آلْحَقِّ . فَآمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً .

أَلاَ وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، أَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلاَ مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلاَ الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلاَ وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ ، وَلاَ تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنها فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا ، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَآنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلاَ يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الأَمةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا[1] . وَآسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ آللّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ آللّهِ ، وَآلْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَا آسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلاَ

---

(١) الخنين ـ بالخاء المعجمة ـ: ضرب من البكاء يتردد به الصوت في الأنف ، واضافه إلى الأمة لأن الاماء كثيراً ما يضربن فيبكين ويسمع منهن الخنين ، ولأن الحرة تأنف من البكاء والخنين . و « زوي » أي : قبض .

وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ ٱللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ .

١٧٣ ومن كلام له عليه السلام

في طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِالله(١)

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَىٰ مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَٱللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ ٱلْأَمْرَ وَيَقَعَ الشَّكُّ ! وَوَٱللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ أَوْ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ ؛ وَلَئِنْ كَانَ

---

(١) في جميع النسخ المطبوعة من الكتاب « طلحة بن عبد الله » وفي النسخة التي شرح عليها ابن أبي الحديد « طلحة بن عبيد الله » وهذا هو الموافق لما في كتب الصحابة في ترجمة طلحة رضي الله عنه ، فإنه طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة : أحد العشرة ، وأحد رجال الشورى الستة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، مات يوم الجمل .

فِي شَكٍّ مِنَ الْخُصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

١٧٣ ومن خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ غَيْرُ ٱلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَٱلتَّارِكُونَ ٱلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ(١) مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَىٰ مَرْعىً وَبِيٍّ ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ(٢) !! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَىٰ، لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا : إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا(٣) وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا ؛ وَٱللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَلَا وَإِنِّي

---

(١) « التاركون ـ الخ » أي إن التاركين لما أمروا به المأخوذة منهم اعمارهم تطويها عنهم يد القدرة ساعة بعد ساعة ، فالمأخوذ منهم صفة للتاركين .

(٢) النعم ـ محركة ـ الإبل ، أو هي والغنم ، و« أراح بها »: ذهب بها ، وأصل الاراحة : الانطلاق في الريح فاستعمله في مطلق الانطلاق ، والسائق : الراعي ، والوبي : الردي ، يجلب الوباء ، والدوي : الوبيل ، يفسد الصحة أصلة من الدوا ـ بالقصر ـ أي : المرض . والمدى : جمع مدية ، وهي السكين ، أي : معلوفة للذبح .

(٣) « تحسب يومها دهرها » أي : لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً لما بعد يومها ، ومتى شبعت ظنت انه لا شأن لها بعد هذا الشبع . هذا كلام كأنه ثوب فصل على اقدار أهل هذا الزمان .

مُفْضِيهِ إِلَىٰ ٱلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ[1] . وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ وَٱصْطَفَاهُ عَلَىٰ ٱلْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً ، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ ، وَمَنْجَىٰ مَنْ يَنْجُو ، ومَآلِ هٰذَا الأَمْرِ ، وَمَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وأَفْضَىٰ بِهِ إِلَيَّ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَٱللّٰهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَتَنَاهَىٰ قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

١٧٤ ومن خطبة له عليه السلام

ٱنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللّٰهِ ، وَٱتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللّٰهِ ، وَٱقْبَلُوا نَصِيحَةَ ٱللّٰهِ . فَإِنَّ ٱللّٰهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُم بِٱلْجَلِيَّةِ[2] ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ، صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ :

---

(١) مفضيه : اصله من « افضى اليه » إذا خلا به ، أو « إلى الأرض » إذا مسها ، والمراد اني موصله إلى أهل اليقين ممن لا تخشى عليهم الفتنة .

(٢) « اعذر اليكم بالجلية » أي : بالاعذار الجلية ، والعذر هنا مجاز سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الإلٰهية ، فإن الله تعالى قد مكنهم من العلم اليقيني ، واوجب عليهم ذلك في عقولهم ، وشرحه لهم على لسان نبيه ثم في كتابه ، فإذا تركوا ما أمروا بإتيانه ، أو اتوا ما امروا بتركه ، ساغ له في الحكمة تعذيبهم وعقوبتهم ؛ فكأنه قد أبان لهم عذره ان لو قال قائل منهم : لم تعذبنا ؟ . ومحابه من الأعمال : هي الطاعات التي أمر الشارع بإتيانها ، وحبه لها : رضاء عن فاعلها . ومكارهه منها المعاصي التي نهى الشارع عن اتيانها ، وكراهيته له : غضبه على فاعلها .

« حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ(١) ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ ٱللَّهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ عَنْ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلنَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى .

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللَّهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ(٢) فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا ، وَمُسْتَزِيداً لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ(٣) ، وَطَوَوْهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ ٱلنَّاصِحُ ٱلَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَٱلْهَادِي ٱلَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَٱلْمُحَدِّثُ

---

(١) أي : لا شيء من طاعة الله إلا وفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية فتكره إتيانه ولا شيء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيواني فتشتهي النفوس إتيانه .

(٢) ظنون ـ كصبور ـ: هو الضعيف والقليل الحيلة ، فيريد ان المؤمن يظن في نفسه النقص والتقصير في الطاعة ، أو هو البئر الظنون التي لا يدري أفيها ماء أم لا ، فتكون هنا بمعنى متهمة ، فهو لا يثق بنفسه إذا وسوست له بإنها أدت حق ما فرض عليها ، فالمؤمن هو الذي لا يصبح ولا يمسي إلا على حذر من نفسه معتقداً فيها التقصير والتضجيج في الطاعة ، غير قاطع بصلاحها وسلامة عاقبتها ، وقوله « زاريا عليها » أي : عائباً ، تقول : زريت عليه ازرى زراية ، مثل حكيت أحكي حكاية ، إذا عبته ، وكذلك تزري عليه ، وقال أبو عمرو : الزاري على الانسان : الذي لا يعده شيئاً وينكر عليه فعله . وقوله « ومستزيداً » أي : طالباً لها الزيادة من طيبات الأعمال .

(٣) التقويض : نزع أعمدة الخيمة وأطنابها ، والمراد أنهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره ، أي : مراحله ومسافاته .

ٱلَّذِي لَا يَكْذِبُ ، وَمَا جَالَسَ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٌ فِي هُدىً ، وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمًى . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ(١) وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ، وَٱسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لأْوَائِكُمْ(٢) فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ ٱلدَّاءِ وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَٱلنِّفَاقُ وَٱلْغَيُّ وَٱلضَّلَالُ . فَٱسْأَلُوا ٱللّٰهَ بِهِ(٣) وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ . إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَىٰ ٱللّٰهِ بِمِثْلِهِ ، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ وَمُصَدَّقٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ(٤) وَمَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآنِ » فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَٱسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ ، وَٱسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، وَٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ(٥) ، وَٱسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

---

(١) أي : فقر وحاجة إلى هاد سواه يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة .

(٢) اللأواء : الشدة .

(٣) فاطلبوا من الله ما تحبون من سعادة الدنيا والآخرة باتباعه ، وأقبلوا على الله بالرغبة في اقتفاء هديه ، وهو المراد من حبه ، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق ؛ لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله .

(٤) شفاعة القرآن : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل ، ومحل به ـ مثلث الحاء ـ كاده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله .

(٥) الحارث . المكتسب ، والحرث : الكسب . وحرثة القرآن : المتاجرون به وقوله « استنصحوه على أنفسكم » أي : إذا أشار عليكم بأمر وأشارت عليكم أنفسكم بأمر يخالفه فاقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم ، وقوله « واتهموا عليه آراءكم » =

ٱلْعَمَلَ ٱلْعَمَلَ ، ثُمَّ ٱلنِّهَايَةَ ٱلنِّهَايَةَ وَٱلِاسْتِقَامَةَ ٱلِاسْتِقَامَةَ ثُمَّ ٱلصَّبْرَ ٱلصَّبْرَ(١) ، وَٱلْوَرَعَ ٱلْوَرَعَ ، إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلَىٰ نِهَايَتِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَٱهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ(٢) ، وَإِنَّ لِلإِسْلَامِ غَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلَىٰ غَايَتِهِ، وَٱخْرُجُوا إِلَىٰ ٱللَّهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ(٣) وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ . أَنَا شَهِيدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ(٤) .

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ ٱلسَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ(٥) وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللَّهِ وَحُجَّتِهِ؛ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ،

= مثله ، أي : إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشوا أهواءكم ، أي : ظنوا فيها الغش وارجعوا الى القرآن .

(١) النصب في هذه الأسماء على الإغراء ، وحقيقته الحث على أمر محمود ليفعله ، وحكمه تقدير فعل ـ أي : الزموا العمل ـ وإنما يكرر الإسم لينوب أحدهما عن ذكر الفعل ، ومن أجل أن أحد الاسمين بدل من التلفظ بالفعل لم يجز ذكر الفعل إذا تكرر .

(٢) العلم ـ محركاً ـ: يريد به القرآن .

(٣) « خرج إلى فلان من حقه » أداه ، فكأنه كان حبيساً في مؤاخذته فانطلق ، إلا أن « من حقه » في العبارة بيان لما افترض ، ومعمول « اخرجوا » مقدر مثله . والوظائف : ما قدر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة .

(٤) حجيج : من « حج » إذا أقنع بحجته ، فهو فعيل بمعنى فاعل . والإمام ـ كرم الله وجهه ـ بعلو منزلته من الله يشهد للمحسنين ويقوم بالحجة عن المخلصين .

(٥) تورد : هو تفعل كتنزل ، أي : ورد شيئاً بعد شيء . والمراد من القضاء الماضي ما قدر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وما تبعها من الحوادث ، وعدة الله ـ بكسر ففتح مخفف ـ: هي وعده ، أي : لا تخرجوا منها .

فَٱسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَىٰ ٱلطَّرِيقَةِ ٱلصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا ؛ فَإِنَّ أَهْلَ ٱلْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ ٱللَّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ ٱلْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا(١) وَٱجْعَلُوا ٱللِّسَانَ وَاحِداً ، وَلْيَخْزُنِ ٱلرَّجُلُ لِسَانَهُ(٢) فَإِنَّ هٰذَا ٱللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَٱللَّهِ مَا أَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ ، وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ(٣) وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . لِأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ : فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ ، وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ : لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ ! !

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : « لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَىٰ ٱللَّهَ وَهُوَ نَقِيُّ ٱلرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ

---

(١) تهزيع الشيء : تكسيره ، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه ، والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه . فهو نهى عن حطم الكمال بمعول النقص . و « تصريف الأخلاق » : من « صرفته » إذا قلبته ، نهى عن النفاق والتلون في الأخلاق ، وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً .

(٢) ليخزن ـ كينصر ـ أي ليحفظ لسانه ، والجموح : من « جمح الفرس » إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه .

(٣) لسان المؤمن تابع لاعتقاده لا يقول إلا ما يعتقد ، والمنافق يقول ما ينال به غايته الخبيثة ، فإذا قال شيئاً أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة أخرى ، فيكون قلبه تابعاً للسانه .

ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ : فَلْيَفْعَلْ .

وَٱعْلَمُوا ، عِبَادَ ٱللَّهِ ، أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ ٱلْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ ٱلْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ[١] ، وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ ٱلنَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ[٢]، وَلَكِنَّ ٱلْحَلَالَ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ ، وَٱلْحَرَامَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا[٣] وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَضُرِبَتْ لَكُمُ ٱلْأَمْثَالُ ، وَدُعِيتُمْ إِلَىٰ ٱلْأَمْرِ ٱلْوَاضِحِ ، فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ وَلَا يَعْمَىٰ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَىٰ !! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَٱلتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ ، وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ[٤] حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ ؛ فَإِنَّ ٱلنَّاسَ رَجُلَانِ : مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللَّهِ بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ ، وَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللَّهِ ٱلْمَتِينُ ،

---

(١) يريد أن الأحكام الشرعية إذا ثبتت بطريق النص لم يجز أن تنقض بالاجتهاد ، بل كل ما ورد فيه نص يتبع معه مورد النص فيه ، فما كان لك حلالاً عاماً أول من هذا الطريق فهو لك حلال في هذا العام ، وكذلك القول في التحريم ، وهذا معنى قول علماء الأصول « أن النص مقدم على الاجتهاد » و « أول » في كلامه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل .

(٢) البدع التي أحدثها الناس لا تغير شيئاً من حكم الله .

(٣) ضرسته الحرب : جربته ، أي : جربتموها .

(٤) الإتيان من الامام : كناية عن الظهور ، كأن التقصير عدو قوي يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يفر ، فيأخذه أخذ العزيز المقتدر ، عند ذلك يعرف من الحق ما كان أنكر وينكر من الباطل ما كان عرف .

وَسَبَبُهُ ٱلأَمِينُ(١) ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ ، وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ أَوِ ٱلْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ ، صَلّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ : « يَا ٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ »(٢) .

أَلاَ وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ : فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لاَ يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ : فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِٱللّٰهِ ، قَالَ ٱللّٰهُ : ﴿ إِنَّ ٱللّٰهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ . وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لاَ يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً . ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ! لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِٱلْمُدَىٰ وَلاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ . فَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللّٰهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ البَاطِلِ(٣) وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ

---

(١) جعل القرآن حبل الله لأن الحبل ينجو من تعلق به من الهوى المردية، والقرآن ينجو من تعلق به من الضلال . و « المتين » القوي ؛ لأنه لا انقطاع له أبداً وتقول : متن الشيء ـ بضم التاء ـ أي : صلب وقوي واشتد .

(٢) مستقيم أو قريب من الله والسعادة . وأصل الجواد القاصد السهل السير الذي ليس بالسريع فيتعب راكبه ولا البطيء فيفوت غرض صاحبه ببطئه .

(٣) من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع ـ وإن ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة ، وشق عليه ما تكلفه به من الحق ـ فذلك الجدير بالسعادة ، دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة وإن نال بذلك حقاً باطلاً وشهوة وقتية ؛ فقد يكون في حظه الوقتي شقاؤه الأبدي . ومتى كانت الفرقة عم الشقاق ، وأحاطت العداوات وأصبح كل واحد عرضة لشرور سواه ، فمحيت الراحة ، وفسدت حال المعيشة .

أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً : مِمَّنْ مَضَىٰ وَلاَ مِمَّنْ بَقِيَ .

يَـا أَيُّهَا آلنَّـاسُ ؛ طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُـهُ عَنْ عُيُوبِ آلنَّـاسِ ، وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُـوتَهُ ، وَآشْتَغَـلَ بِطَاعَـةِ رَبِّهِ ، وَبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، وَآلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ !

١٧٥ ومن كلام له عليه السلام

في مَعْنَى آلحَكَمَيْنِ

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنِ آخْتَـارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَـذْنَا عَلَيْهِمَـا أَنْ يُجَعْجِعَـا عِنْـدَ آلْقُـرْآنِ وَلاَ يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُـونَ أَلْسِنَتُهُمَـا مَعَـهُ ، وَقُلُوبُهُمَـا تَبَعَهُ . فَتَـاهَا عَنْـهُ ، وَتَرَكَـا آلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِـرَانِـهِ ، وَكَـانَ آلْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَآلِاعْوِجَاجُ دَأْبُهُمَا ، وَقَدْ سَبَقَ آسْتِثْنَاؤُنَـا عَلَيْهِمَا فِي آلْحُكْمِ بِـالْعَدْلِ وَآلْعَمَـلِ بِآلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا ، وَجَـوْرَ حُكْمِهِمَـا ! وَآلثِّقَـةُ فِي أَيْدِينَـا لِأَنْفُسِنَـا حِينَ خَـالَفَا سَبِيـلَ آلْحَقِّ ، وَأَتَيَـا بِمَـا لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ آلْحُكْمِ .

١٧٦ ومن خطبة له عليه السلام

لاَ يَشْغَلُهُ شَـأْنٌ ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ زَمَـانٌ ، وَلاَ يَحْوِيـهِ مَكَانٌ(١) ، وَلاَ

(١) شأن : أمر ، ولا يشغله أمر لأن الحي الذي تشغله الأشياء هو العالم ببعض الأشياء =

يَصِفُهُ لِسَانٌ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ ٱلْمَاءِ(١) وَلاَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ ، وَلاَ سَوَافِي ٱلرِّيحِ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلاَ دَبِيبُ ٱلنَّمْلِ عَلَىٰ ٱلصَّفَا ، وَلاَ مَقِيلُ ٱلذَّرِّ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ ٱلأَوْرَاقِ ، وَخَفِيَّ طَرْفِ ٱلأَحْدَاقِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ(٢) وَلاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ ، وَلاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ(٣) شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ(٤) ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلْمُجْتَبَىٰ مِنْ خَلاَئِقِهِ ، وَٱلْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَٱلْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ ، وَٱلْمُصْطَفَىٰ لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ ، وَٱلْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ ٱلْعَمَىٰ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّ ٱلدُّنْيَا تَغُرُّ ٱلْمُؤَمِّلَ لَهَا ، وَٱلْمُخْلِدَ إِلَيْهَا ، وَلاَ تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَأَيْمُ ٱللَّهِ مَا

= دون بعض القادر على بعضها دون بعض ؛ فأما من لا يغيب عنه شيء أصلاً ؛ فكيف يشغله شأن ؟ وكذلك « لا يغيره زمان » لأنه واجب الوجود ، و « لا يحويه مكان » لأنه ليس بجسم ، و « لا يصفه لسان » لأن كنه ذاته غير معلوم ، وإنما المعلوم إضافات .

(١) لا يعزب : لا يخفى عليه ، ولا يفوته علمها ، وسوافي الريح : جمع سافية ، من « سفت الريح التراب والورق » أي : حملته وذرته ، والصفا ـ مقصوراً ـ : جمع صفاة ، وهي الحجر الأملس الضخم ، و « دبيب النمل » أي : حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس ، والذر : صغار النمل ، ومقيلها : محل استراحتها ومبيتها .

(٢) « عدل بالله » : جعل له مثلاً وعديلاً .

(٣) خلقه للخلق جميعاً .

(٤) دخلته ـ بالكسر ـ : باطنه .

كَـانَ قَـوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَـةٍ مِنْ عَيْشٍ فَـزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِـذُنُـوبٍ آجْتَـرَحُوهَـا ، لِأَنَّ آللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيـدِ . وَلَـوْ أَنَّ آلنَّـاسَ ـ حِينَ تَنْـزِلُ بِهِمُ آلنِّقَمُ وَتَـزُولُ عَنْهُمُ آلنِّعَمُ ـ فَـزِعُـوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِصِـدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِم وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ ؛ لَـرَدَّ عَلَيْهِمْ كُـلَّ شَـارِدٍ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُـلَّ فَـاسِـدٍ . وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُـونُـوا فِي فَتْـرَةٍ(١) وَقَـدْ كَـانَتْ أُمُـورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَـا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَـا عِنْـدِي غَيْـرَ مَحْمُـودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ وَمَـا عَلَيَّ إِلَّا آلْجُهْدُ ، وَلَـوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ ، عَفَا آللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

١٧٧ ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلَبُ آليَمَانِيُّ(٢) فَقَال : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَىٰ ؟ فَقَالَ وَكَيْفَ تَرَاهُ ؟ فَقَالَ :

لَا تُـدْرِكُهُ آلْعُيُـونُ بِمُشَـاهَـدَةِ آلْعِيَـانِ ، وَلٰكِنْ تُـدْرِكُـهُ آلْقُلُوبُ

---

(١) كنى بـالفترة عن جهـالة الغـرور ، أو أراد في فترة من عـذاب ينتـظر بكم عقاباً على انحطاط هممكم وتباطؤكم عن جهاد عدوكم .

(٢) الذعلب ـ بكسرتين بينهما سكون ـ في الأصل الناقة السريعـة ، ومثله الذعلبـة ثم نقل إلى العلميـة كما نقلوا بكـراً من الفتيّ من الإبل ، ونحـو ذلـك كثيـر ، و « اليمـاني » بيـاء واحدة مخففـة ، ولا تشـدد إلا في ضـرورة الشعـر ، ومثله الشأمي ، وأصلهمـا يمني وشـأمي ، نسبة إلى اليمن والشـأم ، فحذفـوا إحدى اليـاءين وعوضـوا منها ألفـاً بعد حرفين من الكلمة .

بِحَقَائِقِ ٱلْإِيْمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِسٍ(١) ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ لاَ بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لاَ بِهِمَّةٍ ، صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَةٍ ، لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِٱلْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ(٢) بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِٱلْحَاسَّةِ ، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ . تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ، وَتَجِبُ ٱلْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

١٧٨ ومن خطبة له عليه السلام

في ذمّ العَاصِينَ من أَصْحابه

أَحْمَدُ ٱللّهَ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَىٰ ٱبْتِلاَئِي بِكُمْ أَيَّتُهَا ٱلْفِرْقَةُ ٱلَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ ! وَإِنِ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَىٰ إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَىٰ مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ . لاَ أَبَا

---

(١) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص المواد ، وذات الله مبرأة من المادة وخواصها ، فنسبة الأشياء إليها سواء وهي في تعاليها ، فهي مع كل شيء ، وهي أعلى من كل شيء ، فالبعد : بعد المكانة من التنزيه ، والروية : التفكر والهمة : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب هماً وحزناً ، والجارحة : العضو البدني .

(٢) إذا وصفت العرب شيئاً باللطافة فإنما تعني أنه صغير الحجم والله سبحانه لطيف لكن بمعنى غير هذا المعنى ، فهو لطيف بمعنى أنه لا تراه العيون لعدم صحة رؤيتها إياه ، فلما شابه اللطيف من الاجسام في استحالة رؤيته أطلق عليه لفظ اللطيف إطلاقاً للفظ السبب على المسبب ، وربما أطلق هذا الاسم عليه تعالى بمعنى أنه يفعل مع عباده الألطاف التي تقربهم من الطاعة وتبعدهم من المعصية بمنه وكرمه . والجفاء : الغلظ والخشونة .

لِغَيْرِكُمْ(١) مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ ، وَٱلْجِهَادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ ؟ ٱلْمَوْتَ أَوِ ٱلذُّلَّ لَكُمْ ! فَوَٱللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالٍ(٢) وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . لِلَّهِ أَنْتُمْ!! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ، وَلاَ حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ(٣) ؟ أَوَ لَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ ٱلطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ(٤) عَلَىٰ غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْإِسْلَامِ (٥) ، وَبَقِيَّةُ ٱلنَّاسِ إِلَىٰ ٱلْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي ، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟! إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ(٦) وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ ٱلْمَوْتُ ، قَدْ دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ(٧) وَفَاتَحْتُكُمُ ٱلْحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَىٰ

---

(١) المعروف في التقريع « لا أبا لكم ، ولا أبا لك »! وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذم لغيرهم .

(٢) قال : أي كاره ، وغير كثير بكم : أي إني أفارق الدنيا وأنا في قلة من الأعوان وإن كنتم حولي كثيرين . ويدل عليه قوله فيما بعد : لله أنتم .

(٣) من شحذ السكين كمنع : أي حددها .

(٤) الجفاة : جمع جاف أي غليظ ، والطغام بالفتح : أراذل الناس ، والمعونة : ما يعطى للجند لاصلاح السلاح وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض والأرزاق المعينة لكل منهم .

(٥) التريكة كسفينة : بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها ، والمراد أنتم خلف الاسلام وعوض السلف .

(٦) يريد أنه لا يوافقكم مني شيء لا ما يرضي ولا ما يسخط !!

(٧) أي : قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً ، وفاتحتكم : مجرده « فتح » بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم ، أي : حاكمتكم ، والحجاج : المحاجة ؛ أي قاضيتكم عند الحجة حتى قضت عليكم بالعجز عن الخصام ، وعرفتكم الحق الذي كنتم تجهلونه ، وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه وتطرحونه .

يَلْحَظُ(١) أَوِ ٱلنَّـائِمُ يَسْتَيْقِظُ !! وَأَقْـرِبْ بِقَـوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْـلِ بِـٱللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُم ٱبْنُ ٱلنَّابِغَةِ(٢).

١٧٩ ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ أَحْوَالَ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ ٱلْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِٱللَّحَاقِ بِٱلْخَوارِجِ ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ ـ فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ قَالَ لَهُ : أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا ، أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا ؟؟ فَقَالَ الرجل : بل ظعنوا يا أمير المؤمنين . فقال :

بُعْـداً لَهُمْ كَمَا بَعِـدَتْ ثَمُودُ ، أَمـا لو أُشْـرِعَتِ ٱلأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ، وَصُبَّتِ ٱلسُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَـاتِهِمْ ! لَقَدْ نَـدِمُوا عَلَىٰ مَـا كَانَ مِنْهُمْ ، إِنَّ ٱلشَّيْـطَانَ ٱلْيَـوْمَ قَـدِ ٱسْتَفَلَّهُمْ وَهُـوَ غَـداً مُتَبَـرِّىءٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَـلٍّ عَنْهُمْ ، فَحَسْبُهُمْ بِخُـرُوجِهِمْ مِنَ ٱلْهُدَىٰ ، وَٱرْتِكَـاسِهِمْ فِي ٱلضَّلَالِ وَٱلْعَمَىٰ ، وَصَدِّهِمْ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي ٱلتِّيهِ .

١٨٠ ومن خطبة له عليه السلام

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ ٱلْبِكَالِيِّ(٣) قَالَ : خَطَبَنَا هَذِهِ ٱلْخُطْبَةَ بِـٱلْكُوفَـةِ

---

(١) « لو » للتمني ، كأنه يقول : ليت الأعمى الخ .

(٢) « أقرب بهم » أي : مـا أقـربهم من الجهـل ، وابن النـابغـة : عمرو بن العاص .

(٣) هـو نـوف بن فضـالـة التـابعي البكـالي ، نسبـة إلى بني بكـال ـ ككتـاب ـ بـطن من =

أَمِيـرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْـهِ ٱلسَّـلاَمُ وَهُـوَ قَـائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَـا لَـهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ٱلْمَخْزُومِيُّ ،وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلاَنِ مِنْ لِيفٍ وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ :

الْحَمْدُ لله ٱلَّـذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ ٱلْخَلْقِ وَعَـوَاقِبُ ٱلأَمْرِ ، نَحْمَـدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَٱمْتِنَـانِهِ(٣) حَمْـداً يَكُـونُ لِحَقِّهِ قَضَـاءً ، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَىٰ ثَـوَابِـهِ مُقَـرِّبـاً ، وَلِحُسْنِ مَـزِيدِهِ مُـوجِباً . وَنَسْتَعِينُ بِـهِ ٱسْتِعَانَـةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّـلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِـدَفْعِهِ ، مُعْتَـرِفٍ لَهُ بِـالطَّوْلِ ، مُـذْعِنٍ لَهُ بِـالْعَمَلِ وَٱلْقَـوْلِ .

= حمير ؛ وضبطه بعضهم بتشـديد الكـاف كشداد ، وجعـدة بن هبيـرة : هـو ابن أخت أمير المؤمنين ، وأمه أم هانىء بنت أبي طالب ، كان فارساً ، مقداماً ، فقيهاً .

(١) المدرعة : ثوب يعرف عند بعض العامـة بالـدراعية : قميص ضيق الأكمـام . قال في القـاموس : ولا يكـون إلا من صـوف ، وتـدرع : لبس المـدرعـة ، وربمـا قـالـوا : تمدرع .

(٢) الثفنـة ـ بكسر بعـد فتح ـ: مـا يمس الأرض من البعير عنـد البرك ، ويكـون فيه غلظ من مـلاطمة الأرض ، وكـذلك كـان في جبين أمير المؤمنين من كثـرة السجـود وكنـوا بـذي الثفنات عن علي بن الحسين ، وعلي بن عبـد الله ابن العبـاس ، وعبـد الله بن وهب الـراسي رئيس الخوارج ، لأن طـول السجود كـان قـد أثـر فيهم . وقـال دعبـل الخزاعي :ـ

ديار علي والحسين وجعفر   وحمزة والسجاد ذي الثفنات

(٣) مصائر الأمور : جمع مصيـر ، وهو مصـدر « صار إلى كـذا » ومعناه المـرجع قـال الله تعـالى : ﴿وإلى الله المصير﴾ وإنمـا جمع المصـدر ههنا لأن الخـلائق يـرجعـون إلى ربهم في أحـوال مختلفـة ؛ وعـواقب الأمـور : جمـع عـاقبـة ، وهي آخـر الشيء . والنوامي : جمع نام ، بمعنى زائد .

وَنُـؤْمِنُ بِهِ إِيمَـانَ مَنْ رَجَاهُ مُـوقِناً ، وَأَنَـابَ إِلَيْـهِ مُـؤْمِنـاً ، وَخَنَـعَ لَـهُ مُـذْعِناً ، وَأَخْلَصَ لَـهُ مُـوَحِّـداً ، وَعَـظَّمَـهُ مُمَجِّـداً ، وَلاَذَ بِـهِ رَاغِبـاً مُجْتَهِـداً . لَمْ يُـولَـدْ سُبْحَـانَـهُ فَيَكُـونَ فِي ٱلْعِـزِّ مُشَـارَكـاً ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْـهُ وَقْتٌ وَلاَ زَمَانٌ ، وَلَم يَتَعَـاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلاَ نُقْصَـانٌ ، بَـلْ ظَهَـرَ لِلْعُقُـولِ بِمَـا أَرَانَـا مِنْ عَـلاَمَـاتِ ٱلتَّـدْبِيـرِ ٱلْمُتْقَنِ ، وَٱلْقَضَاءِ ٱلْمُبْرَمِ .

وَمِنْ شَـوَاهِـدِ خَلْقِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَـوَاتِ مُـوَطَّـدَاتٍ بِـلاَ عَمَـدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَـائِعَاتٍ مُـذْعِنَاتٍ ، غَيْـرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلاَ مُبْطِئَاتٍ . وَلَوْلاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ لَـهُ بِالـطَّوَاعِيَةِ لَمَـا جَعَلَهُنَّ مَـوْضِعاً لِعَـرْشِهِ وَلاَ مَسْكَنـاً لِمَـلاَئِكَتِـهِ ، وَلاَ مَصْعَـداً لِلْكَلِمِ ٱلطَّيِّبِ وَٱلعَمَلِ ٱلصَّالِحِ مِنْ خَلْقِـهِ ، جَعَلَ نُجُـومَهَا أَعْـلاَماً يَسْتَـدِلُّ بِهَـا ٱلْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَـاجِ ٱلأَقْـطَارِ ، لَمْ يَمْنَـعْ ضَـوْءَ نُـورِهَـا ٱدْلِهْمَـامُ سِجَفِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُـظْلِمِ (١) ، وَلاَ ٱسْتَطَاعَتْ جَـلاَبِيبُ سَـوَادِ ٱلْحَنَـادِسِ أَنْ تَـرُدَّ مَـا شَـاعَ فِي ٱلسَّمَـوَاتِ مِنْ تَـلأْلُؤِ نُـورِ ٱلْقَمَـرِ ، فَسُبْحَـانَ مَنْ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْـهِ سَـوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ ، وَلاَ لَيْـلٍ سَـاجٍ (٢)

---

(١) ادلهمـام الـظلمـة : كثـافتهـا وشـدتهـا ، والسجف ـ بـالكسـر ، والفتـح ـ: السـتـر ، والجلابيب : جمع جلباب ، وهو ثوب واسع تلبسـه المرأة فـوق ثيابهـا كأنـه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهـر ، والحنادس : جمـع حندس ـ بكسـر الحاء ـ: وهـو الليل المظلم .

(٢) السـاجي : الساكن ، ووصف الليـل بالسكـون وصف له بصفـة المشمولين بـه ، فإن الحيـوانات تسكن بـالليل وتـطلب أرزاقها بـالنهار . والمتـطأطئـات . المنخفضـات ، =

فِي بِقَـاعِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْـمُتَـطَأْطِئَـاتِ ، ولاَ فِـي يَفَـاعِ ٱلـسُّفْـعِ ٱلْمُتَجَاوِرَاتِ ، وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ ٱلرَّعْدُ فِي أُفُقِ ٱلسَّمَـاءِ ، وَمَا تَـلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ ٱلْغَمَـامِ ، وَمَـا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَـةٍ تُـزِيلُهَـا عَنْ مَسْقَـطِهَـا عَوَاصِفُ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱنْهِـطَالُ ٱلسَّمَاءِ ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَـطْرَةِ وَمَقَرَّهَـا ، وَمَسْحَبَ ٱلـذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَـا ، وَمَـا يَكْفِي ٱلْبَعُـوضَـةَ مِنْ قُـوتِهَـا ، وَمَـا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَىٰ فِي بَطْنِهَا .

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلْكَائِنِ قَبْـلَ أَنْ يَكُونَ كُـرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَـاءٌ أَوْ أَرْضٌ ، أَوْ جَـانٌّ أَوْ إِنْسٌ ، لاَ يُـدْرَكُ بِـوَهْمٍ ، وَلاَ يُقَـدَّرُ بِفَهْمٍ ، وَلاَ يَشْغَلُهُ سَـائِـلٌ ، وَلاَ يَنْقُصُـهُ نَـائِـلٌ ، وَلاَ يُنْـظَرُ بِعَيْنٍ ، وَلاَ يُحَـدُّ بِـأَيْنٍ ، وَلاَ يُـوصَفُ بِـالْأَزْوَاجِ ، وَلاَ يُخْلَقُ بِعِـلاَجٍ ، وَلاَ يُـدْرَكُ بِـٱلْحَوَاسِّ ، وَلاَ يُقَـاسُ بِالنَّـاسِ . ٱلَّذِي كَلَّمَ مُـوسَىٰ تَكْلِيماً ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَـاتِهِ عَـظِيماً ، بِـلاَ جَوَارِحَ وَلاَ أَدَوَاتٍ ، وَلاَ نُـطْقٍ وَلاَ لَهَـوَاتٍ .

= واليفـاع : التل ، أو المـرتفـع مـطلقـاً من الأرض ، والسفـع : جمـع سفعـاء ، وهي السوداء تضرب إلى الحمرة ، والمراد منها الجبال ، عبر عنها بلونها فيما يـظهر للنـظر على بعد ، وما يجلجل به الرعد : صوته ، والجلجلة : صـوت الرعـد : وتلاشت : اضمحلت ، وأصله من « لشـا » بمعنى خس بعد رفعة ، وما يضمحـل عنه البـرق هو الأشياء التي ترى عند لمعانه . والعواصف : الرياح الشـديدة ، وإضـافتها لـلأنواء من إضافة الشيء لمصاحبه عادة . والأنواء : جمع نوء ، وهـو أحد منـازل القمر ، يعـدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منهـا عن الأفق في كل ثـلاث عشرة ليلة منـزلة ، ويـظهر عليـه أخرى . والمغيب والـظهور عنـد طلوع الفجـر ، وكـانـوا ينسبـون المـطر لهـذه الانـواء فيقولـون : « مطرنـا بنوء كـذا » لمصادفـة هبوب الـريـاح وهـطول الأمـطار في أوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسـلام فأبـطل الاعتقاد بتـأثير الكـواكب في الحوادث الأرضية تأثيراً روحانياً .

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا ٱلْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ ٱلْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو ٱلْهَيْئَاتِ وَٱلأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِٱلْفَنَاءِ ! فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللّهِ بِتَقْوَىٰ ٱللّهِ ٱلَّذِي أَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعَاشَ وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَىٰ ٱلْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ إِلَىٰ دَفْعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلاً لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، ٱلَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ ، فَلَمَّا ٱسْتَوْفَىٰ طُعْمَتَهُ وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ ٱلدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلسَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ! أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ ٱلرَّسِّ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا ٱلنَّبِيِّينَ . وَأَطْفَأُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ[1]؟ أَيْنَ ٱلَّذِينَ سَارُوا بِٱلْجُيُوشِ ، وَهَزَمُوا بِٱلأُلُوفِ ،

---

(١) سئل أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس ـ فيما رواه الرضي عن آبائه إلى جده الحسين ـ فقال : إنهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة على شفير عين تسمى دوشاب (يقال : غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرة « ساه درخت » وعدة مدائنهم اثنتي عشرة مدينة : اسم الأولى أبان ، والثانية آذر ، والثالثة دي ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندارمز ، والسادسة فروردين ، والسابعة اردي بهشت ، والثامنة خزداد ، والتاسعة مرداد ، والعاشرة تير ، والحادية عشرة

وَعَسْكَرُوا ٱلْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا ٱلْمَدَائِنَ ؟!

ومنها : قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا(١) ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ ٱلإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، وَٱلْمَعْرِفَةِ بِهَا ، وَٱلتَّفَرُّغِ لَهَا ، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ ٱلَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ ٱلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا ٱغْتَرَبَ ٱلإِسْلَامُ(٢) وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ ٱلأَرْضَ بِجِرَانِهِ ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ .

ثم قال عليه السلام :

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ ٱلْمَوَاعِظَ ٱلَّتِي وَعَظَ ٱلأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ ٱلأَوْصِيَاءُ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ ؛ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا ؛ وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ

= مهر ، والثانية عشرة شهر يور . فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله ، فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل : حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ ، ثم نزعوا منها الماء ، واحتفروا حفرة في قعرها ، وألقوا نبيهم فيها حياً ، واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه ، حتى مات ، فعاقبهم الله بإرسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم ، وقذفت عليهم الأرض موادَّ كبريتية متقدة فذابت أجسادهم وهلكوا وانقلبت مدائنهم .

(١) جنة الحكمة : ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع ، والكلام في العارف مطلقاً .

(٢) هو مع الاسلام : فإذا صار الإسلام غريباً اغترب معه لا يضل عنه . عسيب الذنب : يريد أنه ضعف ، والجران ـ ككتاب ـ : مقدم عنق البعير من المذبح إلى المنحر ، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه ، وإلصاق جرانه بالأرض : كناية عن الضعف كسابقه .

تَسْتَوْسِقُوا!! لِلّهِ أَنْتُم ، أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ ٱلطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمْ ٱلسَّبِيلَ ؟!

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً ، وَأَزْمَعَ ٱلتَّرْحَالَ عِبَادُ ٱللّهِ ٱلْأَخْيَارُ ؛ وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ ٱلدُّنْيَا لَا يَبْقَىٰ بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلآخِرَةِ لَا يَفْنَىٰ ، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ ، وَيَشْرَبُونَ ٱلرَّنْقَ؟! قَدْ ـ وَٱللّهِ ـ لَقُوا ٱللّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ ، أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا ٱلطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ(١) ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ ٱلتَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو ٱلشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِم ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَىٰ ٱلْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَىٰ ٱلْفَجَرَةِ؟!

---

(١) عمار بن ياسر من السابقين الأولين ،.وهو.عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس ، العنسي ـ بالنون بعد العين المهملة ـ المذحجي ، حليف بني مخزوم ، وكنيته أبو اليقظان. وكان عمار رضي الله عنه ممن عذب في الله تعالى هو وأبوه وأخوه وأمه في بدء دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد مر بهم النبي وهم يعذبون فبشرهم بالجنة وقال لهم « صبراً آل ياسر » وفي عمار نزل قوله تعالى : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ وقد روى خالد بن الوليد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من أبغض عماراً أبغضه الله » وأبو الهيثم مالك بن التيهان ـ بتشديد الياء وكسرها ـ من أكابر الصحابة ، ذكر أبو نعيم وابن عبد البر أن أبا الهيثم مالك بن التيهان ـ وهو عمرو بن الحارث ـ شهد صفين واستشهد بها . وأنكر ذلك ابن قتيبة وذو الشهادتين : خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري من بني خطمة من الأوس قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة، كلهم قتلوا في صفين. وأبرد برؤوسهم أي : أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم .

قال : ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ ٱلْبُكَاءَ ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ :

أَوْهِ عَلَىٰ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ قَرَأُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ[1] ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوُا ٱلسُّنَّةَ ، وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِٱلْقَائِدِ فَٱتَّبَعُوهُ .

ثُمَّ نادىٰ بِأَعلىٰ صوته :

ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللّٰهِ ! ! أَلاَ وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا ، فَمَنْ أَرَادَ ٱلرَّوَاحَ إِلَىٰ ٱللّٰهِ فَلْيَخْرُجْ .

قَالَ نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ ـ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ ـ فِي عَشْرَةِ آلافٍ ، وَلِقَيْسِ بنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ فِي عَشْرَةِ آلافٍ ، وَلأَبِي أَيُّوبَ ٱلأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلافٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ ، وَهُوَ يُرِيدُ ٱلرَّجْعَةَ إِلى صِفِّينَ ، فَمَا دَارَتِ ٱلْجُمْعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ ٱلْمَلْعُونُ ابن مُلْجَمٍ لَعَنَهُ ٱللّٰهُ ، فَتَرَاجَعَتِ ٱلْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيهَا تَخْتَطِفُهَا ٱلذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

١٨١ ومن خطبة له عليه السلام

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ

(١) أوه ـ بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء ـ كلمة توجع .

خَلَقَ ٱلْخَـلاَئِقَ بِقُدْرَتِـهِ ، وَٱسْتَعْبَدَ ٱلأَرْبَـابَ بِعِزَّتِـهِ ، وَسَادَ ٱلْعُـظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ ٱلَّـذِي أَسْكَنَ ٱلدُّنْيَـا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَىٰ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ رُسُلَهُ ؛ لِيَكْشِفُـوا لَهُمْ عَنْ غِـطَائِهَـا ، وَلِيُحَـذِّرُوهُمْ مِنْ ضَـرَّائِهَـا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَـامِهَا ، وَلِيُبَصِّـرُوهُمْ عُيُوبَهـا وَحَلاَلَهَـا وَحَرَامَهـا ، وَمَا أَعَـدَّ ٱللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَٱلْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ .

أَحْمَدُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ كَمَا ٱسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِـهِ، وَجَعَلَ لِكُـلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً ، وَلِكُلِّ أَجلٍ كِتَاباً .

ومنهـا فـي ذكـر القــرآن : فَـٱلْقُرْآنُ آمِـرٌ زَاجِـرٌ ، وَصَـامِتٌ نَـاطِقٌ ، حُجَّةُ ٱللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِـهِ : أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَـاقَهُ ، وَٱرْتَهَنَ عَلَيْـهِ أَنْفُسَهُمْ ، أَتَمَّ نُـورَهُ ، وَأَكْمَـلَ بِـهِ دِينَـهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّـهُ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ، وَقَـدْ فَـرَغَ إِلَىٰ ٱلْخَلْقِ مِنْ أَحْكَـامِ ٱلْهُـدَىٰ بِـهِ ، فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَـهُ مَا عَـظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَـإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئـاً مِنْ دِينِـهِ ، وَلَمْ يَتْـرُكْ شَيْئـاً رَضِيَـهُ أَوْ كَـرِهَـهُ ، إِلاَّ وَجَعَـلَ لَـهُ عَلَمـاً بَادِياً ، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَـرِضَاهُ فِيمَـا بَقِيَ وَاحِدٌ وَسُخْطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ .

وَٱعْلَمُـوا أَنَّـهُ لَنْ يَـرْضَىٰ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِـطَهُ عَلَىٰ مَنْ كَـانَ قَبْلَكُمْ ؛ وَلَـنْ يَسْـخَطَ عَلَيْكُم بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَـانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيـرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْـعِ قَوْلٍ قَـدْ قَالَـهُ الـرِّجَـالُ مِنْ قَبْلِكُمْ ، قَدْ كَفَاكُمْ مَـؤُونَةَ دُنْيَـاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَىٰ ٱلشُّكْرِ ، وَٱفْتَـرَضَ

مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ ٱلذِّكْرَ ، وَأَوْصَاكُمْ بِٱلتَّقْوَىٰ وَجعلَهَا مُنْتَهَىٰ رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، فَاتَّقُوا ٱللّٰهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ ؛ وَنَواصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ : إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ ، قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِراماً ، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ ٱللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ ٱلْفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ ٱلظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا ٱشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَةَ ٱلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ ٱصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ: ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ . فَبَادِرُوا ٱلْمَعَادَ ، وَسَابِقُوا ٱلآجَالَ ، فَإِنَّ ٱلنَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ ٱلأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ ٱلأَجَلُ ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ ٱلرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَىٰ سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالإِرْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ ، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا ٱلْجِلْدِ ٱلرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَىٰ ٱلنَّارِ ، فَٱرْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ ٱلدُّنْيَا . أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَٱلْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَٱلرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابِقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ؟! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَىٰ ٱلنَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟؟!!

أَيُّهَا ٱلْيَفَنُ ٱلْكَبِيرُ ٱلَّذِي قَدْ لَهَزَهُ ٱلْقَتِيرُ ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا ٱلْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ ٱلنَّارِ بِعِظَامِ ٱلاعْنَاقِ ، وَنَشِبَتِ ٱلْجَوَامِعُ حَتَّىٰ أَكَلَتْ

لُحُومَ ٱلسَّوَاعِدِ؟! فَـٱللَّهَ ٱللَّهَ ، مَعْشَرَ ٱلْعِبَادِ ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي ٱلصِّحَّةِ قَبْلَ ٱلسَّقَمِ !! وَفِي ٱلْفُسْحَةِ قَبْلَ ٱلضِّيقِ ، فَٱسْعَوْا فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا . أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ . وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ، وَٱسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ **إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ **مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾ ، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ؛ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ، ٱسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ، وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ؛ فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللَّهِ فِي دَارِهِ . رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ؛ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَىٰ لُغُوباً وَنَصَباً ﴿ **ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ . وَهُوَ حَسْبِيَ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ .

١٨٢ ومن كلام له عليه السلام

قَالَهُ لِلْبُرْجِ بنِ مِسْهَرِ ٱلطَّائِيِّ(١) وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ «لاَ حُكْمَ إِلاَّ للّهِ» وَكَانَ مِنَ ٱلْخَوارِجِ

أُسْكُتْ! قَبَّحَكَ ٱللّهُ يَا أَثْرَمُ(٢) فَوَٱللّهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ، حَتَّىٰ إِذَا نَعَرَ ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ ٱلْمَاعِزِ.

١٨٣ ومن خطبة له عليه السلام(٣)

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذِي لاَ تُدْرِكُهُ ٱلشَّوَاهِدُ، وَلاَ تَحْوِيهِ ٱلْمَشَاهِدُ ، وَلاَ تَرَاهُ ٱلنَّوَاظِرُ ، وَلاَ تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ ، ٱلدَّالِّ عَلَىٰ قِدَمِهِ بِحُدُوثِ

---

(١) أحد شعراء الخوارج وهو البرج بن مسهر ـ بضم الميم وكسر الهاء بينهما سين ساكنة ـ بن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل .

(٢) «قبحك الله» أي : نحاك وأبعدك عن الخير ، أو فل حدتك وكسر شوكتك نقول : قبحت الجوزة ـ من باب فتح ـ إذا كسرتها . والثرم ـ محركاً ـ سقوط الثنية من الأسنان ، وكان البرج ساقط الثنية فأهانه بأن دعاه به كما يهان الأعور بأن يقال له يا أعور ؛ والضئيل : النحيف المهزول ، كناية عن الضعف . ونعر : أي صاح ، ونجمت : ظهرت وبرزت ، والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرف .

(٣) من هنا إلى آخر الجزء الثاني من هذه المطبوعة اختلف ترتيب النسخ بتقديم بعض الخطب على بعض ، وقد قوبلت كل خطبة على النسخ المتعددة كما صنع بسائر الكتاب .

خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ؛ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَىٰ دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ، دَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ[1] ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ . تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ[2] ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّىٰ لَهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا[3] لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً ، بَلْ كَبُرَ شَأْناً ، وَعَظُمَ سُلْطَاناً .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ[4] وَظُهُورِ الْفَلَجِ ، وَإِيْضَاحِ الْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا ، وَحَمَلَ

---

(١) الأمد : الغاية .

(٢) المشاعرة : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها ، والمرائي : جمع مرآة - بالفتح - وهي المنظر ، أي : تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار .

(٣) أي إنه بعدما تجلى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته ، وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة وحسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه .

(٤) أي : ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم إليه من الحق ، والفلج : الظفر والفوز ، وهو بفتح فسكون ، وتقول فلج على خصمه - من باب نصر - وفي المثل « من يأتِ الحكم وحده يفلج » وتقول : أفلجه الله عليه ، أي : أظفره . والاسم الفلج ، بوزن القفل ، وظهور الفلج : علو كلمة الدين .

عَلَىٰ ٱلْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا ، وَأَقَامَ أَعْلاَمَ ٱلاِهْتِدَاءِ ، وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ ٱلإِسْلاَمِ مَتِينَةً ، وَعُرَىٰ ٱلإِيْمَانِ وَثِيقَةً .

ومنها في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات :

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ ؛ لَرَجَعُوا إِلَىٰ ٱلطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ، وَلٰكِنَّ ٱلْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرَ مَدْخُولَةٌ ! أَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّىٰ لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ ؟

ٱنْظُرُوا إِلَىٰ ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ، وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَىٰ أَرْضِهَا ، وَصَبَتْ عَلَىٰ رِزْقِهَا ! تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَىٰ جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا ؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا ؛ لاَ يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ ، وَلاَ يَحْرِمُهَا ٱلدَّيَّانُ ، وَلَوْ فِي ٱلصَّفَا ٱلْيَابِسِ وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ ، وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا ، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا فِي ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا وَمَا فِي ٱلرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ؛ لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً ، فَتَعَالَىٰ ٱلَّذِي أَقَامَهَا عَلَىٰ قَوَائِمِهَا ؛ وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلاَلَةُ إِلاَّ عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ ٱلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ ٱلنَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ ٱخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ !! وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللَّطِيفُ ، وَٱلثَّقِيلُ

وَٱلْخَفِيفُ ، وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ !! وَكَذٰلِكَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ ، وَٱلرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ . فَٱنْظُرْ إِلَىٰ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَٱلنَّبَاتِ وَٱلشَّجَرِ ، وَٱلْمَاءِ وَٱلْحَجَرِ ، وَٱخْتِلَافِ هٰذَا ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ ٱلْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ ٱلْقِلَالِ ، وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ ٱللُّغَاتِ ، وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ ، فَٱلْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ ٱلْمُقَدِّرَ ، وَأَنْكَرَ ٱلْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ؛ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ٱدَّعَوا ؛ وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعُوا ، وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ؛ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ ؟

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي ٱلْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ ، وَجعلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا ٱلزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا ، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّىٰ تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا ! وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً .

فَتَبَارَكَ ٱللّٰهُ ٱلَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً : وَيَعْنُو لَهُ خَدًّا وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعطِي لَهُ ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً . فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ، أَحْصَىٰ عَدَدَ ٱلرِّيشِ مِنْهَا وَٱلنَّفَسِ ، وَأَرْسَىٰ قَوَائِمَهَا عَلَىٰ ٱلنَّدِيِّ وَٱلْيَبَسِ (١) ،

---

(١) المراد من الندي هنا : مقابل اليبس ـ بالتحريك ـ فيعم الماء ، كأنه يريد أن الله

وَقَـدَّرَ أَقْوَاتَهَـا ، وَأَحْصَىٰ أَجْنَاسَهَـا : فَهٰذَا غُـرَابٌ ، وَهٰـذَا عُقَـابٌ ، وَهٰذَا حَمَامٌ ، وَهٰذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِـاسْمِهِ ، وَكَفَـلَ لَهُ بِـرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ فَأَهْـطَلَ دِيَمَهَا[١] وَعَـدَّدَ قِسَمَهَا ، فَبَـلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

١٨٤ ومن خطبة له عليه السلام

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَـا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَـهُ ؛ وَلَا حَقِيقَتَـهُ أَصَـابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلَا إِيَّـاهُ عَنَىٰ مَنْ شَبَّهَـهُ ، وَلَا صَمَـدَهُ مَنْ أَشَـارَ إِلَيْـهِ وَتَـوَهَّمَـهُ[٢] . كُـلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ[٣] ؛ وَكُلُّ قَـائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُـولٌ : فَاعِـلٌ لَا بِـاضْطِرَابِ آلَـةٍ ، مُقَـدِّرٌ لَا بِجَـوْلِ فِكْـرَةٍ ؛ غَنِيٌّ لَا بِـاسْتِفَـادَةٍ . لَا تَصْحَبُـهُ ٱلْأَوْقَاتُ ، وَلَا تَـرْفِدُهُ ٱلْأَدَوَاتُ[٤] ، سَبَقَ ٱلْأَوْقَـاتَ كَـوْنُـهُ ،

= جعـل من الـطيـر مـا تثبت أرجله في المـاء ، ومنـه من لا يمشي إلا في الأرض اليابسة .

(١) الهطل ـ بالفتح ـ : تتابع المطر والدمع ، والـديم ـ كالهمم ـ جمـع ديمة : وهي مـطر يـدوم في سكون بـلا رعد ولا بـرق ، و « تعديـد القسم » إحصاء مـا قـدر منهـا لكـل بقعة . و « جدوب الأرض » : يبسها لاحتجاب المطر عنها .

(٢) صمده : قصده ، وبابه نصر .

(٣) أي : كل معروف الذات بالكنه مصنوع ، لأن معـرفة الكنـه إنما تكـون بمعرفـة أجزاء الحقيقة . فمعروف الكنه مركب ، والمركب مفتقر في الوجود لغيره ، فهو مصنوع .

(٤) ترفده ـ كتضربه ـ أي : تعينه .

وَٱلْعَدَمَ وُجُودُهُ ، وَٱلاِبْتِدَاءَ أَزَلُهُ .

بِتَشْعِيرِهِ ٱلْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ[1] ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ ٱلْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ، ضَادَّ ٱلنُّورَ بِٱلظُّلْمَةِ ، وَٱلْوُضُوحَ بِٱلْبُهْمَةِ ، وَٱلْجُمُودَ بِٱلْبَلَلِ ، وَٱلْحَرُورَ بِٱلصَّرَدِ[2] . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا[3] ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[4] لَا يَشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ؛ وَإِنَّمَا تَحُدُّ ٱلْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ ٱلْآلَاتُ إِلَىٰ نَظَائِرِهَا .

مَنَعَتْهَا مُنْذُ ٱلْقِدَمِيَّةَ ؛ وَحَمَتْهَا قَدُ ٱلْأَزَلِيَّةَ ؛ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا[5]

---

(١) مشعر ـ كمقعد ـ محل الشعور ، أي : الاحساس ، فهو الحاسة ، و « تشعيرها » : إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد ، هو ما يسمى بالاحساس فالمشعر من حيث هو مشعر منفعل دائماً ، ولو كان لله مشعر لكان منفعلاً ، والمنفعل لا يكون فاعلاً ، وقد قلنا إنه هو الفاعل بتشعير المشاعر ؛ وهذا بمنزلة أن يقال : إن الله فاعل في خلقه فلا يكون منفعلاً عنهم ، كما يأتي التصريح به ، وإنما خص باب الشعور بالذكر رداً على من زعم أن لله مشاعر ، وعقدة التضاد بين الأشياء دليل على استواء نسبتها إليه ، فلا ضد له ، إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئاً لاختص إيجاده بما يلائمها لا ما يضادها ، فلم تكن أضداداً . والمقارنة بين الأشياء في نظام الخلقة دليل أن صانعها واحد ، إذ لو كان له شريك لخالفه في النظام الايجادي فلم تكن مقارنة ، والمقارنة هنا : المشابهة .

(٢) الصرد ـ محركاً ـ : البرد ، أصلها فارسية .

(٣) متعادياتها كالعناصر .

(٤) كالجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج .

(٥) « منذ ، وقد ، ولولا » : فواعل للأفعال قبلها ، ومنذ : لابتداء الزمان ، وقد لتقريبه ، ولا يكون الابتداء والتقريب إلا في الزمان المتناهي ، وكل مخلوق يقال فيه : قد وجد ، ووجد منذ كذا ، وهذا مانع للقدم والأزلية ، وكل مخلوق يقال =

ٱلتَّكْمِلَةَ ؛ بِهَا تَجَلَّىٰ صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ
لَا يَجْرِي عَلَيْهِ ٱلسُّكُونُ وَٱلْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ،
وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيُحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ؟! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ
ذَاتُهُ(١) وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ ٱلْأَزَلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ
وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ! وَلَالْتَمَسَ ٱلتَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ ٱلنُّقْصَانُ! وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ
ٱلْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ
بِسُلْطَانِ ٱلِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ(٢).

ٱلَّذِي لَا يَحُولُ ، وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْأُفُولُ(٣) ؛
وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً(٤) وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً(٥). جَلَّ عَنِ

= فيه : لولا خالقه لما وجد ، فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره ، و « الأدوات » أي : آلات الادراك التي هي حادثة ناقصة ، فكيف يمكن لها أن تحد الأزلي المتعالي عن النهاية في الكمال . وقوله « بها » أي : بتلك الأدوات ، أي : بواسطة ما أدركته من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها ـ أي : بمقتضى طبيعة تلك الأدوات : من أنها لا تدرك إلا مادياً محدوداً ـ امتنع سبحانه عن إدراك العيون ، التي هي نوع من تلك الأدوات .

(١) أي : لاختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ، ولتجزأت حقيقته ؛ فإن الحركة والسكون من خواص الجسم ، وهو منقسم ، ولصار حادثاً ، فإن الجسم بتركبه مفتقر لغيره .

(٢) « وخرج » : عطف على قوله « لا يجري عليه السكون » ، وسلطان الامتناع : هو سلطان العزة الأزلية .

(٣) من « أفل النجم » ـ من بابي دخل وجلس ـ إذا غاب .

(٤) المراد بالمولود المتولد عن غيره ، سواء أكان بطريق التناسل المعروف ، أم كان بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر . ومن ولد له كان متولداً بإحدى الطريقتين .

(٥) تكون بداية وجوده يوم ولادته .

آتخَاذِ ٱلأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ ؛ لاَ تَنَالُهُ ٱلأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ؛ وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ ؛ وَلاَ تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ ، وَلاَ تَلْمِسُهُ ٱلأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لاَ يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلاَ يَتَبَدَّلُ بِالأَحْوَالِ ، وَلاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ ، وَلاَ يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلأَجْزَاءِ[1] وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ ، وَلاَ بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ ، وَلاَ بِٱلْغَيْرِيَّةِ وَٱلأَبْعَاضِ . وَلاَ يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلاَ نِهَايَةٌ ، وَلاَ انْقِطَاعٌ وَلاَ غَايَةٌ . وَلاَ أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيهِ[2] أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يَعْدِلَهُ . وَلَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَلاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوقٍ وأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ ، وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ ، يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ « كُنْ فَيَكُونُ »! لاَ بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ ، وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً .

لاَ يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ ٱلْمُحْدَثَاتُ ، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَٱلْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأَ ٱلْمُبْتَدِعُ وَٱلْبَدِيعُ . خَلَقَ ٱلْخَلاَئِقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَىٰ خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ

---

(١) أي : لا يقال ذو جزء كذا ، ولا ذو عضو كذا .

(٢) « تقله » أي : ترفعه ، و« تهويه » أي : تحطه وتسقطه .

خَلْقِـهِ ، وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَـأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْـرِ اشْتِغَـالٍ ، وَأَرْسَـاهَـا عَلَىٰ غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَـامَهَا بِغَيْـرِ قَوَائِمَ ، وَرَفَعَهَـا بِغَيْرِ دَعَـائِمَ ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ وَٱلِاعْـوِجَاجِ ، وَمَنَعَهَـا مِنَ ٱلتَّهَـافُتِ وَٱلِانْفِـرَاجِ ، أَرْسَىٰ أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا ، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ .

هُوَ الظَّاهِـرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِـهِ وَعَظَمَتِـهِ ، وَهُوَ الْبَـاطِنُ لَهَا بِعِلْمِـهِ وَمَعْـرِفَتِهِ ، وَٱلْعَـالِي عَلَىٰ كُـلِّ شَيْءٍ مِنْهَـا بِجَـلَالِـهِ وَعِـزَّتِـهِ ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْـهِ فَيَغْلِبَهُ ، وَلَا يَفُـوتُهُ السَّـرِيعُ مِنْهَـا فَيَسْبِقَهُ ، وَلَا يَحْتَـاجُ إِلَىٰ ذِي مَالٍ فَيَـرْزُقَـهُ . خَضَعَتِ الأَشْيَـاءُ لَـهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَـظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَـطِيعُ ٱلْهَـرَبَ مِنْ سُلْطَانِـهِ إِلَىٰ غَيْـرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِـهِ وَضَرِّهِ ، وَلَا كُفْءَ لَـهُ فَيُكَافِيَـهُ ، وَلَا نَظِيـرَ لَهُ فَيُسَـاوِيَهُ ، هُـوَ ٱلْمُفْنِي لَهَا بَعْـدَ وُجُـودِهَـا ، حَتَّىٰ يَصِيـرَ مَـوْجُـودُهَـا كَمَفْقُودِهَا .

وَلَيْسَ فَنَـاءُ ٱلـدُّنْيَـا بَعْـدَ ٱبْتِـدَاعِهَـا ، بِـأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَـا وَٱخْتِـرَاعِهَـا ! وَكَـيْفَ لَـوِ اجْتَمَـعَ جَمِيعُ حَيَـوَانِهَـا مِنْ طَيْـرِهَـا وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَـا وَأَجْنَاسِهَـا وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَـا وَأَكْيَـاسِهَـا ، عَلَىٰ إِحْدَاثِ بَعُـوضَـةٍ مَـا قَـدَرَتْ عَلَىٰ إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ إِيجَـادِهَا ، وَلَتَحَيَّـرَتْ عُقُولُهَـا فِي عِلْمِ ذٰلِـكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَـزَتْ قُوَاهَـا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَـاسِئَةً حَسِيـرَةً عَارِفَـةً بِأَنَّهَـا مَقْهُورَةٌ ، مُقِـرَّةً بِالْعَجْـزِ عَنْ إِنْشَائِهَـا ، مُـذْعِنَـةً

بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا .

وَإِنَّ ٱللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ ٱلدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَيْءَ مَعَهُ ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا ، كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِلاَ وَقْتٍ وَلاَ مَكَانٍ ، وَلاَ حِينٍ وَلاَ زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلآجَالُ وَٱلأَوْقَاتُ وَزَالَتِ ٱلسِّنُونَ وَٱلسَّاعَاتُ ، فَلاَ شَيْءَ إِلَّا ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ ٱلأُمُورِ . بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا ، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَىٰ ٱلِامْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلاَ لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلاَ لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَىٰ نِدٍّ مُكَاثِرٍ[1] ، وَلاَ لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ ، وَلاَ لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلاَ لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ ؛ وَلاَ لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لاَ لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلاَ لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلاَ لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَىٰ سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ؛ لٰكِنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلاَ ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلاَ لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَىٰ حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ ، وَلاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَىٰ

---

(١) النِد ـ بالكسر ـ المثل ، والمكاثرة : المغالبة بالكثرة . يقال : كاثره فكثره أي : غلبه ، والمثاور : المواثب المهاجم .

حَالِ عِلْمٍ وَٱلْتِماسٍ ، وَلاَ مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَىٰ غِنًى وَكَثْرَةٍ ، وَلاَ مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَىٰ عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

١٨٥ ومن خطبة له عليه السلام

تختص بذكر الملاحم

أَلاَ بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ ، أَسْمَاؤُهُمَ فِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي ٱلأَرْضِ مَجْهُولَةٌ(١) أَلاَ فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَٱنْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ ، وَٱسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ .

ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ ٱلسَّيْفِ عَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ ٱلدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ ٱلْمُعْطَىٰ أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ ٱلْمُعْطِي ، ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ ٱضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ ، وَذٰلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ غَارِبَ ٱلْبَعِيْرِ . مَا أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ ، وَأَبْعَدَ هٰذَا ٱلرَّجَاءَ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلأَزِمَّةَ ٱلَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَلاَ تَصَدَّعُوا عَلَىٰ سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ ، وَلاَ تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وَخلوا

(١) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل في الأرض فجهلهم أهلها ، وأشرقت بواطنهم فأضاءت بها السموات العلى فعرفهم سكانها .

قَصْدَ آلسَّبِيلِ لَهَا ، فَقَدْ ـ لَعَمْرِي ـ يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا آلْمُؤْمِنُ ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ آلْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ آلسِّرَاجِ فِي آلظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا ؛ فَآسْمَعُوا أَيُّهَا آلنَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا .

١٨٦ ومن خطبة له عليه السلام

أُوصِيكُمْ ، أَيُّهَا آلنَّاسُ ، بِتَقْوَىٰ آللَّهِ ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَىٰ آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ ، وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ آلْمَوْتِ وَإِقْلَالِ آلْغَفْلَةِ عَنْهُ ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؟! فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ ! فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً ، وَكَأَنَّ آلْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً ، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ ، وَآشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ آنْتَقَلُوا ، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ آنْتِقَالاً ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ آزْدِيَاداً ! أَنِسُوا بِآلدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا ، رَحِمَكُمُ آللهُ ، إِلَىٰ مَنَازِلِكُمُ آلَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ، وَآلَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا ، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَآسْتَتِمُّوا نِعَمَ آللَّهِ عَلَيْكُمْ بِآلصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ ، وَآلْمُجَانَبَةِ

لِمَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ ، مَا أَسْرَعَ ٱلسَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ ٱلأَيَّامَ فِي ٱلشُّهُورِ ، وَأَسْرَعَ ٱلشُّهُورَ فِي ٱلسَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ ٱلسِّنِينَ فِي ٱلْعُمْرِ!

١٨٧ ومن كلام له عليه السلام

فَمِنَ ٱلإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي ٱلْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ (١) فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ(٢) ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ . وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا ٱلأَوَّلِ(٣) . مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ ٱلأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ ٱلأُمَّةِ وَمُعْلَنِهَا . لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلأَرْضِ ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلِاسْتِضْعَافِ عَلَىٰ مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ .

---

(١) « عواري ـ الخ » كناية عن كونه زعماً بغير فهم .

(٢) إذا ارتبتم في أحد وأردتم البراءة منه فلا تسارعوا لذلك ، وانتظروا به الموت عسى أن تدركه التوبة .

(٣) أي : لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضي الاسلام ديناً ، وهو المراد بمعرفة الحجة الآتي في الكلام . فلا يجوز لمسلم أن يقيم في بلاد حرب على المسلمين ، ولا أن يقبل سلطان غير المسلم ، بل تجب عليه الهجرة إلا إذا تعذر عليه لمرض أو عدم نفقة ، فيكون من المستضعفين المعفو عنهم . وقول النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، « لا هجرة بعد الفتح » محمول على الهجرة من مكة .

إِنَّ أَمْـرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لاَ يَحْمِلُهُ إِلاَّ عَبْـدٌ مُـؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللّهُ قَلْبَـهُ لِـلإِيمَـانِ ، وَلاَ يَعِي حَـدِيثَنَـا إِلاَّ صُـدُورٌ أَمِينَــةٌ ، وَأَحْـلاَمٌ رَزِينَةٌ .

أَيُّهَـا ٱلنَّاسُ ، سَلُونِي قَبْـلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ! فَـلأَنَا بِـطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِـطُرُقِ ٱلأَرْضِ ، قَبْـلَ أَنْ تَشْغَـرَ بِـرِجْلِهَـا فِتْنَـةٌ تَـطَأُ فِي خِطَامِهَا ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا .

١٨٨ ومن خطبة له عليه السلام

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُـوقِهِ . عَـزِيزُ ٱلْجُنْدِ ، عَظِيمُ ٱلْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُـولُـهُ ، دَعَـا إِلَىٰ طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْـدَاءَهُ جِهَاداً عَلَىٰ دِينِـهِ ، لاَ يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِـكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَىٰ تَكْـذِيبِهِ ، وَٱلْتِمَـاسٌ لإِطْفَاءِ نُـورِهِ ، فَٱعْتَصِمُـوا بِتَقْوَىٰ ٱللّهِ فَـإِنَّ لَهَـا حَبْلاً وَثِيقـاً عُرْوَتُـهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعـاً ذِرْوَتُهُ ، وَبَـادِرُوا ٱلْمَـوْتَ فِي غَمَـرَاتِهِ ، وَٱمْهَـدُوا لَهُ قَبْـلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِـدُّوا لَهُ قَبْـلَ نُـزُولِـهِ ؛ فَـإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيَامَةُ وَكَفَىٰ بِـذٰلِكَ وَاعِـظاً لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَـراً لِمَنْ جَهِلَ . وَقَبْــلَ بُلُوغِ ٱلْغَـايَــةِ مَـا تَعْلَمُـونَ مِنْ ضِيقِ ٱلأَرْمَـاسِ ، وَشِــدَّةِ ٱلإِبْـلاَسِ ، وَهَـوْلِ ٱلْمُـطَّلَعِ ، وَرَوْعَـاتِ ٱلْفَـزَعِ ، وَٱخْتِـلاَفِ ٱلأَضْلاَعِ ، وَٱسْتِكَاكِ ٱلأَسْمَـاعِ ، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْـدِ ، وَخِيفَةِ ٱلْـوَعْدِ ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ .

فَـاللّهَ ٱللّهَ عِبادَ ٱللّهِ! ، فَـإِنَّ ٱلدُّنْيَـا مَـاضِيَـةٌ بِكُمْ عَلَىٰ سَنَنٍ ، وَأَنْتُمْ وَالسَّـاعَـةُ فِي قَـرَنٍ(١) وَكَـأَنَّهَـا قَـدْ جَـاءَتْ بِـأَشْـرَاطِهَـا وَأَزِفَتْ بِـأَفْـرَاطِهَـا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَىٰ صِـرَاطِهَـا . وَكَـأَنَّهَـا قَـدْ أَشْـرَفَتْ بِـزَلَازِلِهَـا ، وَأَنَـاخَتْ بِكَـلَاكِلِهَـا(٢) وَٱنْصَـرَمَتِ ٱلـدُّنْيَـا بِـأَهْلِهَـا ، وَأَخْـرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَـا ، فَكَـانَتْ كَيَـوْمٍ مَضَىٰ ، أَوْ شَهْـرٍ ٱنْقَضَىٰ ، وَصَـارَ جَدِيـدُهَا رَثًّـا(٣) وَسَمِينُهَا غَثًّا ، فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَـامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَـا(٤) ، عَالٍ لَجَبُهَـا ، سَاطِـعٍ لَهَبُهَـا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَـا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَـا ؛ بَعِيدٍ خُمُـودُهَـا ، ذَاكٍ وَقُودُهَا ، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٍّ قَرَارُهَا(٥) ، مُظْلِمَةٍ أَقْـطَارُهَا ، حَـامِيَةٍ قُـدُورُهَا ، فَـظِيعَـةٍ أُمُـورُهَـا ﴿ وَسِيقَ ٱلَّـذِينَ ٱتَّقَـوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ ٱلْجَنَّـةِ زُمَراً ﴾ قَدْ أُمِنَ ٱلْعَـذَابُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَـابُ ، وَزُحْزِحُـوا عَنِ ٱلنَّارِ ، وَٱطْمَـأَنَّتْ بِهِمُ ٱلـدَّارُ ، وَرَضُـوا ٱلْمَثْـوَىٰ وَٱلْقَـرَارَ ، ٱلَّـذِينَ كَـانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَـا زَاكِيَةً . وَأَعْيُنُهُمْ بَـاكِيَةً ، وَكَـانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ

---

(١) « سنن » أي : على طـريق معـروف تفعـل بكم فعلهـا بمن سبـقكـم . والقـرن ـ محركاً ـ : الحبل يقرن بـه البعيران ، كنـاية عن القـرب وأن لا بد منهـا . والأشراط : العـلامات . وأزفت : قـربت ، والافراط : جمـع فرط ـ بسكـون الراء ـ : وهـو العلم المستقيم يهتدي به ، أي : بدلائلها .

(٢) الكلاكل : الصدور ، كناية عن الأثقال .

(٣) الرث : البالي ، والغث : المهزول .

(٤) الكلب ـ محركاً ـ : أكل بلا شبـع ، واللجب : الصياح ، أو الاضـطراب ، والتغيظ : الهيجان ، والزفير : صوت توقد النار ، وذكت النار : اشتد لهيبها .

(٥) « غم » صفة من « غمه » إذا غطاه ،أي : مستور قرارها المستقر فيه أهلها ويروى « عم » بالعين المهملة ، من « عمى » .

نَهاراً تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً ،وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً[1] فَجَعَلَ ٱللّهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآباً ،وَٱلْجَزَاء ثَواباً ،﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ ، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَارْعَوْا ـ عِبَادَ ٱللّهِ ـ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ فَلاَ رَجْعَةً تَنَالُونَ ، وَلاَ عَثْرَةً تُقَالُونَ . اسْتَعْمَلَنَا ٱللّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

إِلْزَمُوا ٱلأَرْضَ وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ ٱلْبَلاَءِ ، وَلاَ تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَىٰ أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلاَ تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللّهُ لَكُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَىٰ فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَىٰ مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ ٱللّهِ ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَىٰ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِهِ ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

١٨٩ ومن خطبة له عليه السلام

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلْفَاشِي فِي ٱلْخَلْقِ حَمْدُهُ ، وَٱلْغَالِبِ جُنْدُهُ ،

(١) لا يريد من التوحش النفرة من الناس والجفوة في معاملتهم ، بل يريد عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون إليها .

وَٱلْمُتَعَـالِي جَدُّهُ ، أَحْمَـدُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ ٱلتُّـؤَامِ (١) ، وَآلاَئِهِ ٱلْعِظَامِ ، ٱلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ، وَعَـدَلَ فِي كُلِّ مَـا قَضَىٰ ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَـا مَضَىٰ ، مُبْتَدِعِ ٱلْخَـلاَئِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِـهِ بِـلاَ ٱقْتِـدَاءٍ وَلاَ تَعْلِيمٍ ، وَلاَ ٱحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَـانِعٍ حَكِيمٍ ، وَلاَ إِصَـابَةِ خَـطَإٍ ، وَلاَ حَضْرَةِ مَـلإٍ . وَأَشْهَـدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْـدُهُ وَرَسُولُـهُ ٱبْتَعَثَـهُ وَٱلنَّـاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ(٢) وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَـدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّـةُ ٱلْحَيْنِ ، وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ ٱلرَّيْنِ .

أُوصِيكُمْ ـ عِبَـادَ ٱللَّهِ ـ بِتَقْـوَىٰ ٱللَّهِ فَـإِنَّهَـا حَقُّ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُـوجِبَةُ عَلَىٰ ٱللَّهِ حَقَّكُمْ(٣) ، وَأَنْ تَسْتَعِينُـوا عَلَيْهَا بِـاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَـا عَلَىٰ ٱللَّهِ ؛ فَإِنَّ ٱلتَّقْـوَىٰ فِي ٱلْيَـوْمِ ٱلْحِـرْزُ وَٱلْجُنَّـةُ ، وَفِي غَـدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ : مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَـالِكُهَا رَابِـحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَـا حَافِظٌ(٤) ، لَمْ تَبْرَحْ عَـارِضَةً نَفْسَهَـا عَلَىٰ ٱلأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْغَـابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً إِذَا أَعَادَ ٱللَّهُ مَا أَبْدَىٰ . وَأَخَـذَ مَا أَعْـطَىٰ . وَسَأَلَ

---

(١) جمع توأم ـ كجعفر ـ وهو المولود مع غيره في بطن ، وهو مجاز عن الكثير ، أو المتواصل .

(٢) ضرب في الماء: سبح، وضرب في الأرض سار بسرعة: أبعد، والغمرة: الماء الكثير ، والشدة ، والمراد هنا إما شدة الفتن وبلاياها ، أو شدة الجهل ورزايله . والأزمة : جمع زمام ، وهو ما تقاد به الدابة ، والخين ـ بفتح الحاء ـ : الهلاك ، والرين ـ بفتح الراء ـ : التغطية والحجاب ، وهو هنا حجاب الضلال .

(٣) جرى في الكلام على نحو قوله تعالى : ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ يريد أن التقوى جعلها الله سبباً لاستحقاق ثوابه ، ومعينة على رضائه . والجنة ـ بضم الجيم ـ : الوقاية ، وبفتحها دار الثواب .

(٤) مستودع التقوى : هو الذي تكون التقوى وديعة عنده ، وهو الله .

عَمَّا أَسْدَىٰ . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ؛ أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللّٰهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ إِذْ يَقُولُ : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَكُظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً ، أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ ، وَٱرْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ . وَدَاوُوا بِهَا ٱلْأَسْقَامَ ، وبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ ، وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا وَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا . وَكُونُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا نُزَّاهاً ، وَإِلَىٰ ٱلآخِرَةِ وُلَّاهاً ، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلتَّقْوَىٰ ، ولَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا ، وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا ، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا ؛ فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[1] وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ ، وأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ ، أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ ٱلْعَنُونُ[2] وَٱلْجَامِحَةُ ٱلْحَرُونُ ، وَٱلْمَائِنَةُ ٱلْخَؤُونُ ، وَٱلْجَحُودُ ٱلْكَنُودُ ، وَٱلْعَنُودُ

---

(١) خالب : خادع ، والمحروبة : المنهوبة .

(٢) المتصدية : المرأة تتعرض للرجال تميلهم إليها ، ومن الدواب : ما تمشي معترضة خابطة . والعنون ـ بفتح فضم ـ : مبالغة من « عن » إذا ظهر ، ومن الدواب : المتقدمة في السير . شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستميلة ، أو بالدابة تسبق الدواب ، وإن لم يدم تقدمها ، أو الخابطة على غير طريق . والجامحة : الصعبة على راكبها ، والحرون : التي إذا طلب بها السير وقفت ، والمائنة : الكاذبة ، والخؤون : مبالغة في الخائنة . والكنود : من « كند » كنصر ـ : كفر النعمة ، وجحد الحق : أنكره وهو به عالم . والعنود : شديد العناد ، والصدود : كثيرة الصد والهجر . والحيود : مبالغة في الحيد بمعنى الميل . والميود : من « ماد » إذا اضطرب . يريد بهذه الأوصاف أن الدنيا في طبيعتها لؤم : فمن سالمها حاربته ، ومن حاربها سالمته ـ

ٱلصَّدُودُ ، وَٱلْحَيُودُ ٱلْمَيُودُ : حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ ، دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ(١) وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ ، أَهْلُهَا عَلَىٰ سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ(٢) قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا . وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ، فَأَسْلَمَتْهُمُ ٱلْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمُ ٱلْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ ٱلْمَحَاوِلُ ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ ، وَعَاضٍّ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ ، وَزَارٍ عَلَىٰ رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ ٱلْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ ٱلدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا : ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ** ﴾ .

١٩٠ ومن خطبة له عليه السلام

تسمى القاصعة(٣)

وَهِيَ تَتَضَمَّنُ ذَمَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ ٱللَّهُ عَلَى ٱسْتِكْبَارِهِ وَتَرْكِهِ ٱلسُّجُودَ

---

(١) الحرب ـ بالتحريك ـ : سلب المال ، والعطب : الهلاك .

(٢) أي : قائمون على ساق استعداداً لما ينتظرون من آجالهم ، والسياق : مصدر « ساق فلاناً » إذا أصاب ساقه ، مثل « رأسه » إذا أصاب رأسه ، و « جلده » أي : أصاب جلده ، و « رآه » أي أصاب رئته ، و « وجهه » أي : أصاب وجهه ، وهذه الأفعال كلها مفتوحة العين ، أي : ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم ، أو هو السياق بمعنى الشروع في نزع الروح ، من « ساق الريض سياقاً » واللحاق : للماضين ، والفراق : للباقين .

(٣) من « قصع فلان فلاناً » أي : حقره ؛ لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين ؛ =

لآدم عَلَيْـهِ السَّـلامُ وَأَنَّـهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَـرَ ٱلْعَصَبِيَّـةَ[1] وَتَبِـعَ ٱلْحَمِيَّـةَ ، وَتَحْذِيرَ ٱلنَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ .

أَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ ، وَٱخْتَارَهُما لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِـهِ ؛ وَجَعَلَهُمَـا حِمًى وَحَـرَمـاً عَلَىٰ غَيْـرِهِ[2] ، وَٱصْـطَفَـاهُمَـا لِجَلاَلِهِ ، وَجَعَـلَ ٱللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَـازَعَهُ فِيهِمَـا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ ٱخْتَبَـرَ بِذَلِكَ مَلاَئِكَتَه ٱلْـمُقَـرَّبِيـنَ لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ وَمَحْجُـوبَاتِ ٱلْغُيُـوبِ : ﴿ **إِنِّي خَـالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَـإِذَا سَـوَّيْتُـهُ وَنَفَخْتُ فِيـهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين * فَسَجَـدَ ٱلْمَلاَئِكَـةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ** ﴾ ٱعْتَرَضَتْهُ ٱلْحَمِيَّـةُ فَٱفْتَخَـرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّب عَلَيْـهِ لأَصْلِهِ ، فَعَـدُوُّ ٱللّهِ إِمَـامُ ٱلْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ ٱلْمُسْتَكْبِـرِينَ ، ٱلَّـذِي وَضَـعَ أَسَاسَ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَنَـازَعَ ٱللّهَ رِدَاءَ ٱلْجَبْرِيَّـةِ ؛ وَٱدَّرَعَ لِبَاسَ ٱلتَّعَـزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ ٱلتَّذَلُّلِ .

أَلاَ تَـرَوْنَ كَيْفَ صَغَّـرَهُ ٱللّهُ بِتَكَبُّـرِهِ ؟ وَوَضَعَـهُ ٱللّهُ بِتَـرَفُّعِـهِ

= أو من « قصع الماء عطشه » إذا أزاله ، لأن سامعها لو كان متكبراً ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش .

(١) العصبية : الاعتزاز بالعصبة ، وهي قوم الرجل الذين يدافعون عنه ، واستعمال قوتهم في الباطل والفساد ؛ فهي هنا عصبية الجهل ، كما أن الحمية حمية الجاهلية . أما التناصر في الحق والحمية عليه فهو أمر محمود في جميع أحواله . والكبر على الباطل تواضع للحق .

(٢) الحمى : ما حميته عن وصول الغير إليه والتصرف فيه . وفي الحديث : « الا وإن لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه » .

فَجَعَلَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَدْحُوراً ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ سَعِيراً ؟

وَلَوْ أَرَادَ ٱللّٰهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَىٰ فِيهِ عَلَىٰ ٱلْمَلاَئِكَةِ ، وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ ٱبْتَلَىٰ خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ .

فَٱعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللّٰهِ بِإِبْلِيسَ ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ ٱلطَّوِيلَ ، وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللّٰهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَىٰ أَمِنْ سِنِي ٱلدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي ٱلآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَىٰ ٱللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلاَّ! مَا كَانَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً ، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلأَرْضِ لَوَاحِدٌ ، وَمَا بَيْنَ ٱللّٰهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ .

فَٱحْذَرُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ عَدُوَّ ٱللّٰهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ(١) ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ

---

(١) « أن يعديكم بدائه » أي : أن يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجرب السليم ، والضمير لابليس ، ويستفزكم : يستنهضكم لما يريد ، فإن تباطأتم عليه أجلب عليكم بخيله ـ أي : ركبانه ـ ورجله ـ أي : مشاته ـ والمراد أعوان السوء .

فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ ٱلْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ ٱلشَّدِيدِ(١) ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ(٢) وَقَالَ : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ ٱلْحَمِيَّةِ(٣) وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّىٰ إِذَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْجَامِحَةُ مِنْكُمْ(٤) ، وَٱسْتَحْكَمَتِ ٱلطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ ٱلْحَالُ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ ، ٱسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ ٱلذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ ٱلْقَتْلِ ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ ٱلْجِرَاحَةِ : طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ ٱلْقَهْرِ إِلَىٰ ٱلنَّارِ ٱلْمُعَدَّةِ لَكُمْ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً(٥) وَأَوْرَىٰ فِي

---

(١) النزع في القوس : مدها ، وأغرق النازع : إذا استوفى مد قوسه .

(٢) لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم .

(٣) صدق إبليس في توعد بني آدم بالإغواء ؛ أولئك الغشماء أبناء الحمية الجاهلية .

(٤) أي : استعان ببعضكم على من لم يطعه منكم ، وهو المراد بالجامحة . والطماعية : الطمع . وقوله « فنجمت الخ » أي : بعد أن كانت وسوسة في الصدور وهمساً في القول ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدي بالسلاح . ودلفت الكتيبة في الحرب : تقدمت ، وأقحموكم : أدخلوكم بغتة ، والولجات : جمع ولجة ـ بالتحريك ـ : وهي كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه ، « أوطأه » : أركبه ، وإثخان الجراحة : المبالغة فيها ، أي أركبوكم الجراحات البالغة ، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا . والخزائم : جمع خزامة ـ ككتابة ـ وهي حلقة توضع في وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام .

(٥) فأصبح : أي إبليس ، ويروي « فأصبحتم أعظم في دينكم حرجاً » وقوله « وأورى ـ الخ » أي : أشد قدحاً للنار في دنياكم لاتلافها . وعلى الجملة فهو أضر عليكم

دُنْيَاكُمْ قَدْحاً ، مِنَ ٱلَّذِين أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ ؛ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جِدَّكُمْ ! فَلَعَمْرُ ٱللّٰهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ؛ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ : يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ ؛ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ ؛ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَأَحْقَادِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَإِنَّمَا تِلْكَ ٱلْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي ٱلْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ ٱلشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[1] وَٱعْتَمِدُوا وَضْعَ ٱلتَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءَ ٱلتَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ ٱلتَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، وَٱتَّخِذُوا ٱلتَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[2] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً ، وَرَجْلاً وَفُرْسَاناً . وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ٱبْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللّٰهُ فِيهِ سِوَىٰ مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ ، وَنَفَخَ ٱلشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ ٱلَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللّٰهُ بِهِ ٱلنَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ .

= بوساوسه من إخوانكم في الانسانية الذين أصبحتم لهم مناصبين ؛ أي : مجاهرين لهم بالعداوة ، ومتألبين : أي مجتمعين .

(١) النخوة : التكبر والتعاظم . والنزغ بمعنى الافساد . والنفثة : النفخة .

(٢) المسلحة : الثغر يدافع العدو عنده ، والقوم ذوو السلاح .

أَلاَ وَقَـدْ أَمْعَنْتُمْ فِـي ٱلْبَغْيِ[(١)] وَأَفْسَـدْتُمْ فِـي ٱلأَرْضِ ، مُصَارَحَةً لِلّهِ بِـٱلْمُنَاصَبَـةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُـؤْمِنِينَ بِـٱلْمُحَـارَبَةِ! فَـاللّهَ ٱللّهَ فِي كِبْرِ ٱلْحَمِيَّةِ ، وَفَخْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ مَلاَقِـحُ ٱلشَّنَآنِ[(٢)] ، وَمَنَـافِخُ ٱلشَّيْـطَانِ ، ٱلَّتِي خَدَعَ بِهَـا ٱلأُمَمَ ٱلْمَـاضِيَـةَ ، وَٱلْقُـرُونَ ٱلْخَـالِيَـةَ ، حَتَّىٰ أَعْنَقُـوا فِي حَنَادِسِ جَهَـالَتِـهِ ! وَمَهَـاوِي ضَـلاَلَتِـهِ ، ذُلُـلاً عَلَىٰ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ ، أَمْراً تَشَابَهَتِ ٱلْقُلُوبُ فِيـهِ ، وَتَتَابَعَتِ ٱلْقُـرُونُ عَلَيْهِ ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ ٱلصُّدُورُ بِهِ .

أَلاَ فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَـرَائِكُمُ ٱلَّذِينَ تَكَبَّـرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَـرَفَّعُوا فَـوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَـوْا ٱلْهَجِينَـةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَجَـاحَـدُوا ٱللّهَ عَلَىٰ مَـا صَنَـعَ بِهِمْ ، مُكَـابَـرَةً لِقَضَـائِـهِ ، وَمُغَـالَبَـةً لآلاَئِـهِ ! فَـإِنَّهُمْ قَـوَاعِدُ أَسَـاسِ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَدَعَـائِمُ أَرْكَـانِ ٱلْفِتْنَـةِ ، وَسُيُـوفُ ٱعْتِزَاءِ ٱلْجَـاهِلِيَّـةِ ، فَـٱتَّقُـوا ٱللّهَ وَلاَ تَكُـونُـوا لِنِعَمِـهِ عَلَيْكُمْ أَضْـدَاداً ، وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّـاداً ! وَلاَ تُـطِيعُـوا ٱلأَدْعِيَـاءَ ٱلَّـذِينَ شَـرِبْتُمْ بِصَفْـوِكُمْ كَـدَرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَـرَضَهُمْ[(٣)] وَأَدْخَلْتُمْ

---

(١) أمعنتم : بالغتم . والمصارحة : التظاهر .

(٢) الملاقح : جمع ملقح كمكرم : الفحول التي تلقح الاناث وتستولد الأولاد ، والشنآن : البغض .

(٣) الأدعياء : جمع دعي ، وهو من ينتسب إلى غير أبيه . والمراد منهم الأخساء المنتسبون إلى الأشراف ، والأشرار المنتسبون الى الأخيار . و « شربتم بصفوكم كدرهم » أي : خلطوا صافي إخلاصكم بكدر نفاقهم ، وبسلامة أخلاقكم مرض أخلاقهم . والأحلاس : جمع حلس ـ بالكسر ـ : وهو كساء رقيق يكون على ظهر

فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ؛ وَهُمْ أَسَاسُ ٱلْفُسُوقِ ، وَأَحْلَاسُ ٱلْعُقُوقِ ؛ ٱتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ ٱسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ ، وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ[1] ، وَمَوْطِىءَ قَدَمِهِ ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ. فَٱعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ ٱلْأُمَمَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللّٰهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ[2] ، وَٱتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ[3] ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ . وَٱسْتَعِيذُوا بِاللّٰهِ مِنْ لَوَاقِحِ ٱلْكِبْرِ[4] كَمَا تَسْتَعِيذُونَ بِهِ مِنْ طَوَارِقِ ٱلدَّهْرِ ؛ فَلَوْ رَخَّصَ ٱللّٰهُ فِي ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَلٰكِنَّهُ ، سُبْحَانَهُ ، كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ ، فَأَلْصَقُوا بِٱلْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ ، وَقَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللّٰهُ بِٱلْمَخْمَصَةِ ، وَٱبْتَلَاهُمْ بِٱلْمَجْهَدَةِ ،

= البعير ملازماً له ، أو هو كساء تبسط تحت حر الثياب ، فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه ، وفي الحديث « كن حلس بيتك » أي : لا تبرحه ، والعقوق : العصيان .

(١) النبل ـ بالفتح ـ : السهام العربية ، وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على نبال ـ كرجال ـ وأنبال .

(٢) المثلات ـ بفتح فضم ـ العقوبات .

(٣) مثاوي : جمع مثوى بمعنى المنزل ، ومنازل الخدود : مواضعها من الأرض بعد الموت ، ويروى « بمثاوي خلودهم » ، ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب .

(٤) لواقح الكبر : محدثاته في النفوس .

وَٱمْتَحَنَهُمْ بِٱلْمَخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمْ بِٱلْمَكَارِهِ ، فَلاَ تَعْتَبِرُوا ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِٱلْمَالِ وَٱلْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَٱلاِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ ٱلْغِنَىٰ وَٱلاِقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ فَإِنَّ ٱللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلاَمُ ، عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ ٱلصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ : « أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوامَ ٱلْعِزِّ وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَٱلذُّلِّ ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ؟! » إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ ٱلذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ ٱلْعِقْيَانِ ، وَمَغَارِسَ ٱلْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ ٱلسَّمَاءِ وَوُحُوشَ ٱلأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ ٱلْبَلاَءُ وَبَطَلَ ٱلْجَزَاءُ ، وَٱضْمَحَلَّتِ ٱلأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ ٱلْمُبْتَلَيْنَ ، وَلاَ ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، وَلاَ لَزِمَتِ ٱلأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا ، وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةٍ فِيمَا تَرَىٰ ٱلأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ ٱلأَبْصَارَ وَٱلأَسْمَاعَ أَذًى .

وَلَوْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ ٱلرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ ٱلرِّحَالِ ؛ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَىٰ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلِاعْتِبَارِ(١) ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً ، وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً ، وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ ، سُبْحَانَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلْاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ ، وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ ، وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ ؛ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ ، وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَىٰ وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمُ ، كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ .

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ إِلَىٰ ٱلآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ(٢) ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ . فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَراً ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَراً . وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْراً ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ،

---

(١) أي : أضعف تأثيراً في القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها ، وأبعد للناس ـ أي : أشد : توغلاً بهم في الاستكبار ـ لأن الأنبياء يكونون قدوة في العظمة والكبرياء حينئذ . وقوله « فكانت النيات مشتركة » أي : لأن الايمان لم يكن خالصاً لله ، بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة .

(٢) الأحجار : هي الكعبة ، والنتائق : جمع نتيقة ، هي البقاع المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط منها من البلدان ، والمدر : قطع الطين اليابس ، أو العلك الذي لا رمل فيه ، وأقل الأرض مدراً لا ينبت إلا قليلاً .

وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمَلْقَى رِحَالِهِمْ . تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ ٱلْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ . وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّىٰ يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ ، وَيَرْمُلُونَ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ ، قَدْ نَبَذُوا ٱلسَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ ٱلشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، ٱبْتِلَاءً عَظِيماً ، وَٱمْتِحَاناً شَدِيداً ، وَٱخْتِبَاراً مُبِيناً ، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً ، جَعَلَهُ ٱللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ ، وَوُصْلَةً إِلَىٰ جَنَّتِهِ . وَلَوْ أَرَادَ ، سُبْحَانَهُ ، أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ، وَمَشَاعِرَهُ ٱلْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ ، جَمَّ ٱلْأَشْجَارِ ، دَانِيَ ٱلثِّمَارِ ، مُلْتَفَّ ٱلْبُنَىٰ ، مُتَّصِلَ ٱلْقُرَىٰ ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ؛ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ عَلَىٰ حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ ، وَلَوْ كَانَ ٱلْإِسَاسُ ٱلْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَٱلْأَحْجَارُ ٱلْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ؛ لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُسَارَعَةَ ٱلشَّكِّ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَلَنَفَىٰ مُعْتَلَجَ ٱلرَّيْبِ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ ٱلشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ ٱلْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ ٱلْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ .

فَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي عَاجِلِ ٱلْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ ٱلظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ ٱلْكِبْرِ ؛ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ ٱلْعُظْمَىٰ وَمَكِيدَتُهُ ٱلْكُبْرَىٰ ، ٱلَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ ٱلرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ ٱلسُّمُومِ ٱلْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً ، وَلَا تُشْوِي أَحَداً ، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلّاً فِي طِمْرِهِ ، وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَٱلزَّكَوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ ٱلصِّيَامِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْمَفْرُوضَاتِ ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ ؛ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً ، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِٱلْأَرْضِ تَصَاغُراً ، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِٱلْمُتُونِ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَذَلُّلاً ، مَعَ مَا فِي ٱلزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَٱلْفَقْرِ .

ٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ .

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ ٱلْجُهَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ ٱلسُّفَهَاءِ ، غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ : أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ . فَقَالَ : « **أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ** » وَأَمَّا ٱلْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ ٱلْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ ٱلنِّعَمِ ؛ فَقَالُوا : ﴿ **نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾ .

فَـإِنْ كَـانَ لَا بُـدَّ مِنَ ٱلْعَصَبِيَّـةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُـمْ لِمَكَـارِمِ ٱلْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ ٱلْأَفْعَالِ ، وَمَحَـاسِنِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي تَفَـاضَلَتْ فِيهَا ٱلْمُجَدَاءُ وَٱلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُـوتَاتِ ٱلْعَـرَبِ وَيَعَاسِيبِ ٱلْقَبَـائِلِ بِـالْأَخْلَاقِ ٱلـرَّغِيبَـةِ ، وَٱلْأَحْـلَامِ ٱلْعَـظِيمَـةِ ، وَٱلْأَخْـطَارِ ٱلْجَلِيلَةِ ، وَٱلْآثَـارِ ٱلْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ ٱلْحَمْدِ : مِنَ ٱلْحِفْظِ لِلْجِوَارِ ، وَٱلْوَفَـاءِ بِالذِّمَـامِ ، وَٱلطَّاعَـةِ لِلْبِرِّ ، وَٱلْمَعْصِيَـةِ لِلْكِبْرِ ، وَٱلْأَخْـذِ بِٱلْفَضْـلِ ، وَٱلْكَفِّ عَنِ ٱلْبَغْيِ ، وَٱلْإِعْـظَامِ لِلْقَتْـلِ ، وَٱلْإِنْـصَـافِ لِلْخَلْقِ ، وَٱلْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَٱجْتِنَابِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ .

وَٱحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْمَثُلَاتِ بِسُوءِ ٱلْأَفْعَـالِ ، وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ ، فَتَذَكَّرُوا فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ ، وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ .

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلْعِزَّةُ بِـهِ شَأْنَهُمْ وَزَاحَتِ ٱلْأَعْـدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَمُـدَّتِ ٱلْعَافِيَـةُ فِيـهِ عَلَيْهِمْ ، وَٱنْقَـادَتِ ٱلنِّعْمَـةُ لَـهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ ٱلْكَـرَامَـةُ عَلَيْـهِ حَبْلَهُمْ : مِنَ ٱلِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَـةِ ، وَٱللُّزُومِ لِلْأُلْفَـةِ ، وَٱلتَّحَاضِّ عَلَيْهَـا ، وَٱلتَّوَاصِي بِهَـا ، وَٱجْتَنِبُوا كُـلَّ أَمْرٍ كَسَـرَ فِقْرَتَهُمْ ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ : مِنْ تَضَـاغُنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَتَشَاحُنِ ٱلصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ ٱلنُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْـدِي ، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُـؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ : كَيْفَ كَانُـوا فِي حَالِ ٱلتَّمْحِيصِ وَٱلْبَلَاءِ ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَـلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْـلِ ٱلـدُّنْيَـا حَـالاً ؟ ٱتَّخَـذَتْهُمُ ٱلْفَـرَاعِنَـةُ عَبِيـداً ،

فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ ، فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ ، وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ : لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي ٱمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلاً إِلَىٰ دِفَاعٍ ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ ٱللَّهُ جِدَّ ٱلصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَىٰ ٱلْأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ ، وَٱلِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجاً ، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً ، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً ، وَقَدْ بَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً(١) ، وَٱلْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَٱلسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً ؟ ! أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ(٢) وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ ؟؟ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ ، حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ ، وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ ، قَدْ خَلَعَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ(٣) وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ .

وَٱعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ -

---

(١) الأملاء : جمع ملأ ، بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة : المتعاونة .
(٢) أرباباً : سادات .
(٣) غضارة النعمة ـ كسحابة ـ سعتها ، وقصص الأخبار : حكايتها وروايتها .

عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ـ فَمَا أَشَدَّ ٱعْتِدَالَ ٱلْأَحْوَالِ[1] ، وَأَقْرَبَ ٱشْتِبَاهَ ٱلْأَمْثَالِ !!!

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لَيَالِيَ كَانَتِ ٱلْأَكَاسِرَةُ وَٱلْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ ٱلْآفَاقِ[2] وَبَحْرِ ٱلْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ ٱلدُّنْيَا ، إِلَىٰ مَنَابِتِ ٱلشِّيحِ ، وَمَهَافِي ٱلرِّيحِ[3] وَنَكَدِ ٱلْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ[4] أَذَلَّ ٱلْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا[5] وَلَا إِلَىٰ ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ عِزِّهَا ، فَٱلْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَٱلْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَٱلْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءِ أَزْلٍ[6] وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ[7] وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ .

فَٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللّٰهِ عَلَيْهِمْ ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ

---

(١) الاعتدال هنا : التناسب ، والاشتباه : التشابه .

(٢) يحتازونهم : يقبضونهم عن الأراضي الخصبة .

(٣) المهافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح ـ أي : تهب ـ والنكد ـ بالتحريك ـ أي : الشدة والعسر .

(٤) الدبر ـ بالتحريك ـ القرحة في ظهر الدابة . والوبر : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة .

(٥) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون إليه ويعتصمون بمناصرة دعوته .

(٦) « بلاء أزل » على الاضافة ، والأزل ـ بالفتح ـ : الشدة .

(٧) من « وأد بنته » كوعد ـ أي : دفنها وهي حية ، وكان بنو إسماعيل من العرب يفعلون ذلك ببناتهم . وشن الغارة عليهم : صبها من كل وجه .

رَسُولاً[1] فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ ، كَيْفَ نَشَرَتِ ٱلنِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَٱلْتَفَّتِ ٱلْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا[2] ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ[3] ؟! قَدْ تَرَبَّعَتِ ٱلْأُمُورُ بِهِمْ[4] فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَآوَتْهُمُ ٱلْحَالُ إِلَىٰ كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ ، وَتَعَطَّفَتِ ٱلْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرَضِينَ : يَمْلِكُونَ ٱلْأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ ، وَيُمْضُونَ ٱلْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ ، لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ[5] ، وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ !!

أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ ٱلطَّاعَةِ ؛ وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ ٱللّٰهِ ٱلْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ[6] ، وَإِنَّ ٱللّٰهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ ٱلْأُلْفَةِ : ٱلَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا بِنِعْمَةٍ لاَ

---

(١) هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) يقال « التف الحبل بالحطب » إذا جمعه ، فملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم جمعتهم بعد تفرقهم وجعلتهم جميعاً في بركاتها العائدة إليهم .

(٣) راضين طيبة نفوسهم .

(٤) تربعت : أقامت .

(٥) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم ، والقناة : الرمح ، وغمزها : جسها باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك . والصفاة : الحجر الصلد ، وقرعها : صدمها لتكسر .

(٦) ثلمتم : خرقتم . وقوله « بأحكام الجاهلية » متعلق بثلمتم .

يَعْـرِفُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ لَهَـا قِيمَةً ؛ لِأَنَّهَـا أَرْجَـحُ مِنْ كُـلِّ ثَمَنٍ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

وَٱعْلَمُـوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْـدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْـرَاباً[1] ، وبَعْـدَ ٱلْمُوَالَاةِ أَحْـزَاباً ، مَـا تَتَعَلَّقُـونَ مِنَ ٱلإِسْلَامِ إِلَّا بِـاسْمِـهِ ، وَلَا تَعْـرِفُـونَ مِنَ ٱلإِيْمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ !!

تَقُـولُـونَ « ٱلنَّـارَ وَلَا ٱلْعَـارَ » ، كَـأَنَّكُمْ تُـرِيـدُونَ أَنْ تُكْفِئُـوا ٱلْإِسْلَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيْثَاقِهِ[2] ٱلَّذِي وَضَعَـهُ ٱللّهُ لَكُمْ حَـرَماً فِي أَرْضِـهِ ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِـهِ ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْـرِهِ حَـارَبَكُمْ أَهْـلُ ٱلْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جَبْـرَائِيـلُ وَلَا مِيكَـائِيـلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ ، إِلَّا ٱلْمُقَارَعَةَ بِـالسَّيْفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللّهُ بَيْنَكُمْ .

وَإِنَّ عِنْـدَكُمُ ٱلأَمْثَالَ مِنْ بَـأْسِ ٱللّهِ وَقَـوَارِعِـهِ ، وَأَيَّـامِـهِ وَوَقَائِعِهِ ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِـهِ ، وَيَأْساً مِنْ بَـأْسِـهِ ؛ فَـإِنَّ ٱللّهَ ،سُبْحَـانَـهُ ، لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَـرْنَ ٱلْمَـاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أَلَّا لِتَرْكِهِمُ ٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، فَلَعَنَ ٱللّهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي ، وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي .

---

(١) أي : صرتم من أعراب البادية الـذين يكتفي في إسلامهم بـذكر الشهـادتين ؛ وإن لم يخـالط الإيمـان قلوبهم ، بعـد أن كنتم من المهـاجـرين الصـادقين ، والمـوالاة : المحبة ، والأحزاب المتفرقون : المتقاطعون .

(٢) هو ميثاق الأخوة الدينية .

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ ، أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللّٰهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ . فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ ، وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ، وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ ، وَرَجَّةُ صَدْرِهِ ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ ، وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللّٰهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّراً .

أَنَا وَضَعْتُ فِي ٱلصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ ٱلْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ ٱلْقُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بِٱلْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ(١) ، وَكَانَ يَمْضَغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ(٢) ، وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللّٰهُ بِهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ(٣) يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً ، وَيَأْمُرُنِي بِٱلْإِقْتِدَاءِ

---

(١) عرفه ـ بالفتح ـ : رائحته الذكية .

(٢) الخطلة : واحدة الخطل ، كالفرحة واحدة الفرح ، والخطل : الخطأ ينشأ من عدم الروية .

(٣) الفصيل : ولد الناقة .

بِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[1] ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَدِيجَةَ ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَىٰ نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ ، وَأَشَمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ ، مَا هٰذِهِ ٱلرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ : « هٰذَا ٱلشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، وَلٰكِنَّكَ وَزِيرٌ ، وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ » . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا : تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَقَالَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم : إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللّٰهُ لَكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِٱلْحَقِّ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَىٰ خَيْرٍ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ ، ثُمَّ قَالَ

---

(١) حراء ـ بكسر الحاء ـ : جبل على القرب من مكة . كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتعبد فيه قبل البعثة .

صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِٱللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللّهِ فَٱنْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللّهِ . وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ لَٱنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ ، حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللّهِ، صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ ، مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللّهِ ، صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم ، فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللّهِ صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم ، فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوًّا : فَمُرْ هٰذَا ٱلنِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ ، صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّهُ ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللّهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ ، فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ! عَجِيبُ ٱلسِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا؟! (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ : سِيمَاهُمْ سِيمَا ٱلصِّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ ٱلأَبْرَارِ ، عُمَّارُ ٱللَّيْلِ وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ(١) ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ ، يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللّهِ وَسُنَنَ

---

(١) عمار : جمع عامر ، أي : يعمرونه بالسهر للفكر والعبادة .

رَسُولِهِ ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يَغُلُّونَ(١) ، وَلَا يُفْسِدُونَ : قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ .

١٩١ ومن خطبة له عليه السلام

رُوِيَ أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، يُقَالُ لَهُ : هَمَّامٌ . كَانَ رَجُلاً عَابِداً ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، صِفْ لِي ٱلْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ! فَتَثَاقَلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا هَمَّامُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَأَحْسِنْ فَـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهٰذَا ٱلْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَحَمِدَ ٱللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّىٰ عَلَى ٱلنَّبِي ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ ، فَٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ ٱلصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ ٱلْإِقْتِصَادُ(٢) ، وَمَشْيُهُمُ

---

(١) يغلون : يخونون ، وفي التنزيل : ﴿ومن يغلل يأت بما غل﴾ يقال : غل في المغنم يغل غلولاً فهو غال ، وكل من خان خفية فقد غل ، وسميت غلولاً لأن الأيدي فيها مغلولة أي : ممنوعة ؛ مجعول فيها غل ، وهو الحديدة التي تجمع يد الاسير إلى عنقه ، وتسمى جامعة أيضاً ـ والأحاديث التي فيها لفظ الغلول كثيرة اهـ.

(٢) « ملبسهم ـ الخ » أي : لا يأتون من شهواتهم إلا بقدر حاجاتهم في تقويم حياتهم ، فكان الانفاق كثوب لهم على قدر أبدانهم ، لكنهم يتوسعون في الخيرات .

ٱلتَّوَاضُعُ ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ ٱلْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ(١) ، وَلَوْلَا ٱلأَجَلُ ٱلَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُم فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَىٰ ٱلثَّوَابِ ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ ، عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا(٢) فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ، وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ : قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ(٣) ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ(٤) يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ ، أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا ٱللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً ، يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ(٥) ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً ، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ

---

(١) « نزلت إلى ـ الخ » أي إنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله كأنهم كانوا في رخاء ، لا يجزعون ولا يهنون ، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنهم في بلاء ، لا يبطرون ولا يتجبرون .

(٢) أي : هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما ، فكأنهم في نعيم الأولى وعذاب الثانية ، رجاء وخوفاً .

(٣) نحافة أجسادهم من الفكر في صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم .

(٤) يقال « أربحت التجارة » إذا أفادت ربحاً .

(٥) استثار الساكن : هيجه ، وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل ، فهو دواؤه .

أَصْغَوا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ[1] ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَىٰ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا ٱلنَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ ، قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ ٱلنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ، وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا ، وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ : لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ؛ وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي . اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَٱغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ : أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْماً فِي لِينٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ ، وَقَصْداً فِي غِنًى ، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ ، وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ ، وَنَشَاطاً فِي هُدىً ، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ ، يَعْمَلُ الأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ ، يُمْسِي وَهَمُّهُ ٱلشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ ٱلذِّكْرُ ، يَبِيتُ حَذِراً ، وَيُصْبِحُ فَرِحاً : حَذِراً

---

(١) زفير النار : صوت توقدها ، وشهيقها الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء أو نهيق الحمار ، أي : إنهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم ، فهم من شدة الخوف قد حنوا ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم . وفكاك الرقاب : خلاصها .

لِمَا حَذِرَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلرَّحْمَةِ . إِنِ ٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَىٰ ، يَمْزُجُ ٱلْحِلْمَ بِٱلْعِلْمِ ، وَٱلْقَوْلَ بِٱلْعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ ، مَيْتَةً شَهْوَتُهُ ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ ، أَلْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَٱلشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ ، إِنْ كَانَ فِي ٱلْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ، لَيِّناً قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ ، فِي ٱلزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، وَفِي ٱلْمَكَارِهِ صَبُورٌ ، وَفِي ٱلرَّخَاءِ شَكُورٌ ، لَا يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِٱلْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا ٱسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِٱلْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِٱلْجَارِ ، وَلَا يَشْمَتُ بِٱلْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ : فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا ، فَقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ :

أَمَا وَٱللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ : أَهٰكَذَا تَصْنَعُ ٱلْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟ فَقَال لـه قـائـل : فَمَا بَالُكَ يا أميرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ ، وَسَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ ، فَمَهْلاً لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا ؛ فَإِنَّمَا نَفَثَ ٱلشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِكَ .

١٩٣ ومن خطبة له عليه السلام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً ، وَبِحَبْلِهِ ٱعْتِصَاماً ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ : خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ ٱللّٰهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ ٱلأَدْنَوْنَ ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ ٱلأَقْصَوْنَ ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ ٱلْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عُدْوَانُهَا : مِنْ أَبْعَدِ ٱلدَّارِ ، وَأَسْحَقِ ٱلْمَزَارِ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللّٰهِ بِتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ ٱلنِّفَاقِ ؛ فَإِنَّهُمُ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُضِلُّونَ ؛ وَٱلزَّالُّونَ ٱلْمُزِلُّونَ : يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً ، وَيَفْتَنُّونَ ٱفْتِنَاناً ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ،

قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ ، وَيَمْشُونَ ٱلْخَفَاءَ ، وَيَدِبُّونَ ٱلضَّرَّاءَ . وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ ٱلدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ ، حَسَدَةُ ٱلرَّخَاءِ ، وَمُؤَكِّدُو ٱلْبَلَاءِ ؛ وَمُقْنِطُو ٱلرَّجَاءِ ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ ، وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ؛ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ ، يَتَقَارَضُونَ ٱلثَّنَاءَ ، وَيَتَرَاقَبُونَ ٱلْجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً .يَتَوَصَّلُونَ إِلَىٰ ٱلطَّمَعِ بِٱلْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ ، قَدْ هَوَّنُوا ٱلطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا ٱلْمَضِيقَ ؛ فَهُمْ لُمَّةُ ٱلشَّيْطَانِ ، وَحُمَةُ ٱلنِّيرَانِ : ﴿ **أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ** ﴾ .

١٩٣ ومن خطبة له عليه السلام

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ ٱلنُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّٰهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ ٱلْهُدَىٰ دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ ٱلدِّينِ طَامِسَةٌ ، فَصَدَعَ بِٱلْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ ، وَهَدَىٰ إِلَىٰ ٱلرُّشْدِ ، وَأَمَرَ

بِٱلْقَصْدِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم .

وَٱعْلَمُوا ، عِبَادَ ٱللّٰهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً . عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَٱسْتَفْتِحُوهُ ، وَٱسْتَنْجِحُوهُ ، وَٱطْلُبُوا إِلَيْهِ وَٱسْتَمْنِحُوهُ ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ ، لَا يَثْلِمُهُ ٱلْعَطَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ ٱلْحِبَاءُ ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا يُجِنُّهُ ٱلْبُطُونُ عَنِ ٱلظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ ٱلظُّهُورُ عَنِ ٱلْبُطُونِ . قَرُبَ فَنَأَىٰ ، وَعَلَا فَدَنَا ، وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ ، لَمْ يَذْرَءِ ٱلْخَلْقَ بِٱحْتِيَالٍ ، وَلَا ٱسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ ٱللّٰهِ ، بِتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ ؛ فَإِنَّهَا ٱلزِّمَامُ وَٱلْقِوَامُ ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا ، وَٱعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ؛ تَؤُلْ بِكُمْ إِلَىٰ أَكْنَانِ ٱلدَّعَةِ ، وَأَوْطَانِ ٱلسَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ ٱلْحِرْزِ ، وَمَنَازِلِ ٱلْعِزِّ ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ ٱلْأَقْطَارُ ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ ٱلْعِشَارِ ، وَيُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ ؛ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتَذِلُّ ٱلشُّمُّ ٱلشَّوَامِخُ ، وَٱلصُّمُّ ٱلرَّوَاسِخُ ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً ، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً ، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ .

١٩٤ ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ ، أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ بِتَقْوَىٰ ٱللَّهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ(١) ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ ٱلسَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا ٱلْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ ٱلْبِحَارِ(٢) ، فَمِنْهُمُ ٱلْغَرِقُ ٱلْوَبِقُ(٣) ، وَمِنْهُمُ ٱلنَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ ٱلْأَمْوَاجِ ، تَحْفِزُهُ ٱلرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلِكٍ !!

عِبَادَ ٱللَّهِ ، ٱلآنَ فَاعْلَمُوا ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَٱلْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ(٤) ، وَٱلْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ، وَٱلْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ ٱلْفَوْتِ(٥) ، وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ

---

(١) بائن : مبتعد منفصل .

(٢) تميد : تضطرب اضطراب السفينة ، تقصفها ـ أي : تكسرها ـ الرياح الشديدة .

(٣) الوبق ـ بكسر الباء ـ : الهالك ، أي : منهم من هلك عند تكسر السفينة ، ومنهم من بقيت فيه الحياة فخلص محمولاً على بطون الأمواج ، كأن الأمواج في انتفاخها كالحيوان المنقلب على ظهره وبطنه لأعلى ، و « تحفزه » أي : تدفعه ، ومصير هذا الناجي أيضاً إلى الهلاك بعد طول العناء .

(٤) اللدن ـ بالفتح ـ اللين ؛ أي : والأعضاء في لين الحياة يمكن استعمالها في العمل ، والمنقلب ـ بفتح اللام ـ مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى في هذه الحياة .

(٥) أرهقه الشيء ؛ أعجله فلم يتمكن من فعله ، والفوت : ذهاب الفرصة بحلول الأجل .

نُزُولَهُ ، وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ!

١٩٥ ومن كلام له عليه السلام

وفاة النبي

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ(١) ، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَىٰ ٱللَّهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي ٱلْمَوَاطِنِ ٱلَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا ٱلْأَبْطَالُ(٢) وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا ٱلْأَقْدَامُ ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي ٱللَّهُ بِهَا(٣) .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللَّهِ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِي ، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي ، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي(٤) ، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَٱلْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ ٱلدَّارُ وَٱلْأَفْنِيَةُ(٥) ، مَلأٌ يَهْبِطُ وَمَلأٌ

---

(١) المستحفظون ـ بفتح الفاء ـ اسم مفعول ، أي : الذين أودعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمانة سره وطالبهم بحفظها ، و « لم يردد على الله ورسوله » . لم يعارضهما في أحكامهما .

(٢) المواساة بالشيء : الاشراك فيه ، فقد أشرك النبي في نفسه ، ولا تكون بالمال إلا أن يكون كفافاً ، فإن أعطيت عن فضل فليس بمواساة . قالوا : والفصيح في الفعل « آسيته » ولكن نطق الامام حجة .

(٣) النجدة ـ بالفتح ـ الشجاعة ، ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف .

(٤) نفسه : دمه . روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاء في مرضه دماً يسيراً فتلقى قيأه أمير المؤمنين في يده ومسح به وجهه .

(٥) ضجيج الدار : كان بالملائكة النازلين والعارجين ، والأفنية : جمع فناء ـ بكسر الفاء ـ وهو ما اتسع أمام الدار .

يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ(١) يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟! فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ(٢) ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ ٱلْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ ٱلْبَاطِلِ(٣) ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ لِي وَلَكُمْ .

١٩٦ ومن خطبة له عليه السلام

يَعْلَمُ عَجِيجَ ٱلْوُحُوشِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ ٱلْعِبَادِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ ، وَٱخْتِلَافَ ٱلنِّينَانِ فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ(٤) ، وَتَلَاطُمَ ٱلْمَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللّٰهِ(٥) ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طِلْبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ

---

(١) الهينمة : الصوت الخفي .

(٢) البصيرة : ضياء العقل ، كأنه يقول . فاذهبوا إلى عدوكم محمولين على اليقين الذي لا ريب فيه .

(٣) المزلة : مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة ، وتقول : زل في طين أو منطق يزل ـ بكسر الزاي في المضارع ـ زليلاً ، وقال الفراء : زل يزل ـ بالفتح ـ زللاً ، والاسم الزلة ـ بالفتح ـ واستزله غيره وأزله .

(٤) النينان : جمع نون ، وهو الحوت ، وفي التنزيل : ﴿وذا النون إذ نادى ربه في الظلمات﴾ وفسر بعضهم به قوله تعالى : ﴿نٓ، والقلم وما يسطرون﴾ وهو قول بعيد .

(٥) النجيب : المختار المصطفى .

قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ[1] ، فَإِنَّ تَقْوَىٰ ٱللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجِلاَءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ[2] ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ ، فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طِلْبَتِكُمْ ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَساً لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ ؛ فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَىٰ عَزَبَتْ عَنْهُ ٱلشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا ، وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ ٱلأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأُسْهِلَتْ لَهُ ٱلصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ ٱلرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ ٱلنِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا .

فَاتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

---

(١) مرمى الفزع : ما يدفع إليه الخوف ، وهو الملجأ ، أي : وإليه ملاجىء خوفكم .

(٢) الجأش : ما يضطرب في القلب عند الفزع أو التهيب أو توقع المكروه ، ويقال : فلان رابط الجأش ، إذ كان لا يضطرب ولا يفزع .

ثُمَّ إِنَّ هٰـذَا ٱلإِسْلَامَ دِينُ اللّهِ ٱلَّـذِي ٱصْـطَفَـاهُ لِنَفْسِـهِ ، وَٱصْـطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَـاهُ خِيـرَةَ خَلْقِـهِ ، وَأَقَـامَ دَعَـائِمَـهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ ، أَذَلَّ ٱلأَدْيَانَ بِعِـزَّتِهِ ، وَوَضَـعَ ٱلْمِلَلَ بِرَفْعِـهِ ، وَأَهَانَ أَعْـدَاءَهُ بِكَـرَامَتِهِ ، وَخَـذَلَ مُحَادِّيـهِ بِنَصْرِهِ ، وَهَـدَمَ أَرْكَانَ ٱلضَّـلَالَةِ بِـرُكْنِهِ ، وَسَقَىٰ مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتْأَقَ ٱلْحِيَـاضَ لِمَوَاتِحِـهِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَـامَ لِعُرْوَتِـهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِـهِ ، وَلَا ٱنْهِـدَامَ لِأَسَاسِـهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا ٱنْقِـطَاعَ لِمُدَّتِـهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَـرَائِعِـهِ ، وَلَا جَـذَّ لِفُـرُوعِـهِ ، وَلَا ضَنْـكَ لِـطُرُقِـهِ ، وَلَا وُعُـوثَـةَ لِسُهُـولَتِهِ، وَلَا سَـوَادَ لِوَضَحِـهِ ، وَلَا عِوَجَ لِٱنْتِصَـابِهِ ، وَلَا عَصَـلَ فِي عُـودِهِ ، وَلَا وَعْثَ لِفَجِّـهِ ، وَلَا ٱنْـطِفَـاءَ لِمَصَـابِيحِـهِ ، وَلَا مَـرَارَةَ لِحَـلَاوَتِـهِ . فَهُـوَ دَعَـائِمُ أَسَـاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَـاخَهَـا[١] ، وَثَبَّتَ لَهَـا أُسُسَهَـا ، وَيَنَابِيـعُ غَزُرَتْ عُيُـونُهَا ، وَمَصَـابِيحُ شَبَّتْ نِيـرَانُهَا ، وَمَنَـارٌ ٱقْتَدَىٰ بِهَا سُفَّـارُهَا[٢] ، وَأَعْـلَامٌ قُصِدَ بِهَـا فِجَاجُهَـا ، وَمَنَاهِـلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا : جَعَلَ ٱللّهُ فِيهِ مُنْتَهَىٰ رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَـائِمِهِ ، وَسَنَـامَ طَـاعَتِـهِ ؛ فَهُـوَ عِنْـدَ ٱللّهِ وَثِيقُ ٱلأَرْكَـانِ ، رَفِيـعُ ٱلْبُنْيَـانِ ، مُنِيـرُ

---

(١) أساخ : أثبت ، وأصل « ساخ » غاص في لين وخاض فيه . والأسناخ : الأصول ، وغزرت : كثرت ، وشبت النار : ارتفعت من الايقاد .

(٢) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى إليها ، والسفار ـ بضم فتشديد ـ ذوو السفر ، أي : يهتدي إليها المسافرون في طريق الحق ، والأعلام : ما يوضع على أوليات الطرق أو وساطها ليدل عليها ، فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها .

ٱلْبُـرْهَانِ ، مُضِيءُ ٱلنِّيـرَانِ ، عَـزِيـزُ ٱلسُّلْطَانِ ، مُشْـرِفُ ٱلْمَنَـارِ[1] ، مُعْـوِزُ ٱلْمَثَـارِ ؛ فَشَــرِّفُـوهُ ، وَٱتَّبِعُــوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْـهِ حَقَّــهُ ، وَضَعُـوهُ مَوَاضِعَهُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّــداً ، صَلَّى ٱللَّهُ عَـلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّم ، بِٱلْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ ٱلـدُّنْيَا ٱلِانْقِـطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلآخِـرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ . وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَـا بَعْدَ إِشْـرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِـأَهْلِهَـا عَلَىٰ سَـاقٍ ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ ، فِي ٱنْقِـطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَـا ، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَٱنْفِصَـامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا ، وَٱنْتِشَـارٍ مِنْ سَبَبِهَـا ، وَعَفَـاءٍ مِنْ أَعْـلَامِهَـا ، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَـوْرَاتِهَـا ، وَقِصَـرٍ مِنْ طُولِهَا . جَعَلَهُ ٱللَّهُ بَـلَاغاً لِـرِسَالَتِـهِ ، وَكَرَامَـةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعـاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ .

ثُمَّ أَنْـزَلَ عَلَيْهِ ٱلْكِتَـابَ نُوراً لَا تُـطْفَأُ مَصَـابِيحُهُ ، وَسِـرَاجـاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ ، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ ، وَتِبْيَانـاً لَا تُهْدَمُ أَرْكَـانُهُ ، وَشِفَـاءً لَا تُخْشَىٰ أَسْقَامُـهُ ، وَعِزّاً لَا تُهْـزَمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقّـاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُـوَ مَعْدِنُ ٱلْإِيمَـانِ وَبُحْبُوحَتُـهُ ، وَيَنَابِيـعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ ٱلْعَدْلِ وَغُـدْرَانُهُ ، وَأَثَـافِيُّ ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَـانُهُ ، وَأَوْدِيَـةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ ،

---

(١) مشـرف المنار : مـرتفعه ، وأعـوزه الشيء : احتاج إليـه فلم ينله ، والمثـار : مصـدر من « ثار الغبار » إذا هاج ، أي : لو طلب أحد إثارة هذا الدين لما استطاع لثباته .

وَمَنَاهِلُ لاَ يُغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلُ لاَ يَضِلُّ نَهْجَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلاَمٌ لاَ يَعْمَىٰ عَنْهَا ٱلسَّائِرُونَ ، وَآكَامٌ لاَ يَجُوزُ عَنْهَا ٱلْقَاصِدُونَ ؛ جَعَلَهُ ٱللّٰهُ رِيّاً لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ ٱلصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدىً لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ[١] ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلأَمَ[٢] ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ .

١٩٧ ومن كلام له عليه السلام

كان يوصي به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ ٱلصَّلاَةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ، أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا :

---

(١) الفلج ـ بالفتح ـ : الظفر والفوز ، وباب فعله نصر .

(٢) الجنة ـ بالضم ـ : ما به يتقى الضرر ، و « استلأم » أي لبس اللأمة ، وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب ، أي : إن من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه والتوقي من الضلالة كان القرآن وقاية له .

لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ . وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ ٱلذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ[1] وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ ٱلرِّبَقِ[2] ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللَّهِ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم بِٱلْحَمَّةِ[3] تَكُونُ عَلَى بَابِ ٱلرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلدَّرَنِ؟! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ . يَقُولُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ﴾ . وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، نَصِباً بِالصَّلاَةِ[4] بَعْدَ ٱلتَّبْشِيرِ لَهُ بِٱلْجَنَّةِ ، لِقَوْلِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱلزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ ٱلصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ ٱلإِسْلاَمِ ، فَمَنْ أَعْطَاهَا ، طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ ٱلنَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً . فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ[5] ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا

---

(١) حت الورق عن الشجرة : قشره .

(٢) الربق ـ بالكسر ـ : حبل فيه عدة عرى كل منها ربقة ، أي : إطلاق الحبل ممن ربط به ، فكأن الذنوب ربق في الأعناق والصلاة تفكها منها .

(٣) الحمة ـ بالفتح وتشديد الميم ـ : كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل ، الدرن : الوسخ . روي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « أيسر أحدكم أن يكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا نعم ، قال : « إنها الصلوات الخمس » .

(٤) نصباً ـ بفتح فكسر ـ أي تعباً .

(٥) أي : من أعطى الزكاة فلا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولهفاً عليه . إذا

لَهْفَهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ ٱلنَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونُ ٱلأَجْرِ ، ضَالُّ ٱلْعَمَلِ ، طَوِيلُ ٱلنَّدَمِ .

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلأَمَانَةِ ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَىٰ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْمَبْنِيَّةِ ، وَٱلأَرَضِينَ ٱلْمَدْحُوَّةِ(١) ، وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ ٱلطُّولِ ٱلْمَنْصُوبَةِ فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَىٰ وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا ، وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ ٱلإِنْسَانُ ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ .

إِنَّ ٱللّٰهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ(٢) لَطُفَ بِهِ خُبْراً ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

١٩٨ ومن كلام له عليه السلام

وَٱللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي ، وَلٰكِنَّهُ يَغْدُرُ وَيَفْجُرُ ، وَلَوْلاَ

= خدعه فأعطاه أقل مما أخذ منه ، وقد غبن ـ مبنياً للمجهول ـ فهو مغبون .

(١) المدحوة : المبسوطة .

(٢) « مقترفون » أي : مكتسبون ، والخبر ـ بضم الخاء ـ : العلم ، والله لطيف العلم بما يكسبه الناس ، أي : دقيقه ، كأنه ينفذ في سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر في مسام الأجسام ، بل هو أعظم من ذلك . والعيان ـ بكسر العين ـ : المعاينة والمشاهدة وهو مصدر « عاين الأمر » إذا شاهده ورآه بعينه .

كَـرَاهِيَةُ ٱلْغَـدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَىٰ ٱلنَّاسِ ، وَلٰكِنْ كُـلُّ غَـدْرَةٍ فَجْـرَةٌ ، وَكُـلُّ فَجْرَةٌ كَفْرَةٌ ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَـوْمَ ٱلْقِيَامَـةِ ، وَٱللّٰهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِٱلْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ(١) .

١٩٩ ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَـرِيقِ ٱلْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَـإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ(٢) ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَـا ٱلنَّاسُ ؛ إِنَّمَـا يَجْمَعُ ٱلنَّـاسَ ٱلرِّضَـا وَٱلسُّخْطُ(٣) ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ ٱللّٰهُ بِٱلْعَذَابِ لَمَّـا عَمُّوهُ بِـالرِّضَـا ، فَقَـالَ سُبْحَانَـهُ : ﴿ فَعَقَـرُوهَـا فَـأَصْبَحُـوا نَـادِمِينَ ﴾ فَمَـا كَـانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِٱلْخَسْفَةِ(٤) خُوَارَ ٱلسِّكَّةِ ٱلْمُحْمَاةِ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخَوَّارَةِ .

---

(١) « لا أستغمز » ـ بالبناء للمجهول ـ أي : لا أستضعف بـالقوة الشـديـدة ، والمعنى لا يستضعفني شديد القوة ، والغمز ـ محركة ـ : الرجل الضعيف .

(٢) المـائدة : هي مـائـدة الـدنيا ، فـلا تغـرنكم رغبـاتهـا فتنضم بكم مـع الضـالين في محبتها ، فذلك متاع قليل .

(٣) أي : يجمعانهم في استحقاق العقـاب ، فإن الـراضي بالمنكـر كفاعله ، ومن لم ينـه عنه فهو به راض .

(٤) خارت : صوتت كخوار الثور ، والسكـة المحماة : حـديدة المحـراث إذا أحميت في النار ، فهي أسرع غوراً في الأرض الخوارة ـ أي : السهلة اللينة ـ وقـد يكون لهـا صوت شـديـد إذا كـان في الأرض شيء من جـذور النبـات : يشتـد الصوت كلمـا اشتـدت السرعة .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ؛ مَنْ سَلَكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَرَدَ ٱلْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي ٱلتِّيهِ .

٢٠٠ ومن كلام له عليه السلام

رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّساءِ فَاطِمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ ، كَٱلْمُنَاجِي بِهِ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمْ عِنْدَ قَبْرِهِ :

أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ ، وَٱلسَّرِيعَةِ ٱللِّحَاقِ بِكَ ، قَلَّ ، يَا رَسُولَ ٱلله ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ لِي فِي ٱلتَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ(١) ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ؛ مَوْضِعَ تَعَزٍّ ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ(٢) إِلَىٰ أَنْ يَخْتَارَ ٱللَّهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ

---

(١) يريد بالتأسي : الاعتبار بالمثال المتقدم ، والفادح : المثقل ، وتقول : فدحه الدين ، إذا أثقله ، وبابه قطع ، وفي حديث ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وعلى المسلمين أن لا يتركوا مفدوحاً في فداء أو عقل » أي : مثقلاً قد حمل فوق طوقه ، والتعزي : التصبر ، وملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه .

(٢) ينقضي بالسهاد : وهو السهر .

هَضْمِهَا(١) ، فَأَحِفْهَا ٱلسُّؤَالَ ، وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ ، هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ (٢) فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللّٰهُ ٱلصَّابِرِينَ .

٢٠١ ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَٱلآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا ٱخْتُبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ ، إِنَّ ٱلْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ ٱلنَّاسُ : مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ لِلّٰهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً ، وَلَا تُخَلِّفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

٢٠٢ ومن كلام له عليه السلام

كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا ، رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقِلُّوا

(١) هضمها : ظلمها ، وإحفاء السؤال : الاستقصاء فيه .

(٢) القالي : المبغض ، والسئم : من السآمة وهي ملال الشيء ، وتقول : سئم من الشيء ـ من باب طرب ـ وسآما وسآمة ، إذا مله ، وهو رجل سؤوم .

ٱلْعُرْجَةَ عَلَىٰ ٱلدُّنْيَا ، وَٱنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ ٱلزَّادِ ؛ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً ، مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً ، لاَ بُدَّ مِنَ ٱلْوُرُودِ عَلَيْهَا ، وَٱلْوُقُوفِ عِنْدَهَا ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ ٱلْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ ٱلأُمُورِ ، وَمُعْضِلاَتُ ٱلْمَحْذُورِ ، فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ ٱلدُّنْيَا ، وَٱسْتَظْهِرُوا بِزَادِ ٱلتَّقْوَىٰ .

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ، بخلاف هذه الرواية .

٢٠٣ ومن كلام له عليه السلام

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً ، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً ، أَلاَ تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وَأَيُّ قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟ .

وَٱللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي ٱلْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ ، وَلاَ فِي ٱلْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللّٰهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرَنَا بِٱلْحُكْمِ بِهِ ؛ فَٱتَّبَعْتُهُ ،

وَمَــا آسْتَنَّ آلنَّبِيُّ ، صَلّى آللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ فَـآقْتَــدَيْتُــهُ . فَلَمْ أَحْتَـجْ فِـي ذٰلِـكَ إِلَىٰ رَأْيِكُمَا ، وَلاَ رَأْيِ غَيْـرِكُمَا ، وَلاَ وَقَـعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْـوَانِي آلْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَـانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَـا ، وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَـا . وَأَمَّا مَـا ذَكَرْتُمَـا مِنْ أَمْرِ آلأُسْـوَةِ ، فَـإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلاَ وُلِّيتُهُ هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَـا وَأَنْتُمَا مَـا جَاءَ بِـهِ رَسُولُ آللّهِ ، صَلّى آللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وسَلَّم ، قَـدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ آللّهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَـهُ ، فَلَيْسَ لَكُمَا ، وَآللّهِ ، عِنْـدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَـا فِي هٰذَا عُتْبَىٰ . أَخَذَ آللّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ آلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ آلصَّبْرَ .

ثم قال عليه السلام : رَحِمَ آللّهُ آمْرَأً رَأَىٰ حَقّـاً فَأَعَـانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَىٰ جَوْراً فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْناً بِآلْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ .

٢٠٤ ومن كلام له عليه السلام

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْـرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُـونُـوا سَبَّـابِينَ ، وَلٰكِنَّكُمْ لَـوْ وَصَفْـتُمْ أَعْمَـالَهُمْ ، وَذَكَـرْتُمْ حَـالَهُمْ ، كَـانَ أَصْـوَبَ فِي آلْقَـوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي آلْعُـذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّـاهُمْ : أَللّٰهُمَّ آحْقِنْ دِمَاءَنَـا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَـا وَبَيْنِهِمْ ، وَأَهْـدِهِمْ مِنْ ضَـلاَلَتِهِم ، حَتَّىٰ يَعْـرِفَ

ٱلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ ٱلْغَيِّ وَٱلْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ .

٢٠٥ ومن كلام له عليه السلام

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب

آمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي(١) فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ (يَعني الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَىٰ ٱلْمَوْتِ ؛ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ الرَّضِيُّ أبو الحَسَن : قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ : «آمْلِكُوا عَنِّي هَذَا ٱلْغُلَامَ » مِن أَعلَى الكَلَامِ وأَفْصَحِهِ .

٢٠٦ ومن كلام له عليه السلام

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ حَتَّىٰ نَهِكَتْكُمُ ٱلْحَرْبُ(٢) ، وَقَدْ ، وَٱللّهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ

---

(١) « املكوا عني » أي : خذوه بالشدة وأمسكوه « لئلا يهدني » أي : يهدمني ويقوض أركان قوتي بموته في الحرب . ونفس به ـ كفرح ـ أي : ضن به ، أي : أبخل بالحسن والحسين على الموت .

(٢) نهكته الحمى ـ من باب نفع وطرب ـ : أضعفته ، أي : كنتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب . =

لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَأْمُوراً ، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَنْهِيًّا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ ٱلْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ .

٢٠٧ ومن كلام له عليه السلام

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ـ وهو من أصحابه ـ يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هٰذِهِ ٱلدَّارِ فِي ٱلدُّنْيَا ؟ أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي ٱلآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟! وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا ٱلآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا ٱلضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيهَا ٱلرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا ٱلْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا[١] فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا ٱلآخِرَةَ .

فَقَالَ لَهُ ٱلْعَلَاءُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَاد . قَالَ : وَمَا لَهُ ؟ قَالَ : لَبِسَ ٱلْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عن ٱلدُّنيا ، قَالَ : عليَّ بِهِ ، فَلَمَا جَاءَ قَالَ :

= فجبنتم ، مع أنها في غيركم أشد تأثيراً . وقد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم بإجابتهم ، فكأنهم أمروه ونهوه فامتثل لهم .

(١) أطلع الحق مطلعه : أظهره حيث يحب أن يظهر .

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ[1] لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكَ ٱلْخَبِيثُ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ، أَتَرَىٰ ٱللَّهَ أَحَلَّ لَكَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَىٰ ٱللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ !

قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ ! قَالَ :

وَيْحَكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ ٱلْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ ٱلنَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِٱلْفَقِيرِ فَقْرُهُ[2] .

٢٠٨ ومن كلام له عليه السلام

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر[3] فقال عليه السلام

إِنَّ فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً ، وَعَامًّا وَخَاصّاً ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ، وَحِفْظاً وَوَهْماً ،

---

(١) عدي : تصغير عدو ، وفي هذا الكلام بيان أن لذائذ الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ، ولكن لسوء القصد فيها .

(٢) « يقدروا أنفسهم » أي : يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغني في الاقتصاد ، وصرف الأموال في وجوه الخير ومنافع العامة ، وتسلية الفقير على فقره ، حتى لا يتبيغ ـ أي : يهيج به ألم الفقر فيهلكه ـ وقد روي المعنى بتمامه بل بأكثر تفصيلاً عنه كرم الله وجهه في عبارة أخرى .

(٣) الخبر : الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، عَلَىٰ عَهْدِهِ حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً ، فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ » .

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِٱلْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِٱلإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ(١) يَكْذِبُ عَلَىٰ رسول الله صَلّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، مُتَعَمِّداً ؛ فَلَوْ عَلِمَ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُول ٱلله صَلّى ٱلله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : رَآهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ ، وَلَقِفَ عَنْهُ(٢) فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللّٰهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ـ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱلسَّلَامُ ـ فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ ٱلضَّلَالَةِ ، وَٱلدُّعَاةِ إِلَىٰ ٱلنَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ ٱلنَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ ٱلدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللّٰهُ ، فَهٰذَا أَحَدُ ٱلأَرْبَعَةِ(٣) .

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ،

---

(١) « لا يتأثم » أي : لا يخاف ، و « لا يتحرج » : لا يخشى الوقوع في الحرج ، وهو الجرم .

(٢) تناول وأخذ عنه .

(٣) فهو ـ أي من عصم الله ـ : أحد الأربعة وهو خيرهم الرابع .

فَـوَهِمَ فِيهِ[١] وَلَمْ يَتَعَمَّـدْ كَذِبـاً ، فَهُوَ فِي يَـدَيْهِ وَيَـرْوِيهِ وَيَعْمَـلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُـهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلّىٰ ٱللهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، فَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَـوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّـهُ كَذٰلِـكَ لَرَفَضَهُ !

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ : سَمِـعَ مِنْ رسول الله صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ شَيْئـاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهىٰ عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَـهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَـرَ بِهِ وَهُـوَ لاَ يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ ٱلنَّاسِـخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

وَآخَـرُ رَابِعٌ : لَمْ يَكْـذِبْ عَلَىٰ ٱللّهِ ، وَلاَ عَلَىٰ رَسُـولِـهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَـذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللّهِ ؛ وَتَعْـظِيمـاً لِـرَسُـولِ ٱللّهِ صَلّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهِمْ[٢] بَـلْ حَفِظَ مَا سَمِـعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَجَـاءَ بِهِ عَلَىٰ مَا سَمِعَهُ: لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ؛ فَحَفِظَ ٱلنَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[٣] وَعَـرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَـامَّ ، فَوَضَـعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ ٱلْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ[٤] .

وَقَـدْ كَـانَ يَكُـونُ مِنْ رَسُـولِ ٱللّهِ ، صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ،

---

(١) وهم : غلط وأخطأ .
(٢) « لم يهم » أي : لم يخطىء ولم يظن خلاف الواقع .
(٣) جنب تجنباً ، أي : تجنب .
(٤) أي : عرف المتشابه من الكلام ، وهو ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم . و« محكم الكلام » أي : صريحه الذي لم ينسخ .

ٱلْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلاَمٌ خَاصٌّ ، وَكَلاَمٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَىٰ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ ، وَلاَ مَا عَنَىٰ رَسُولُ ٱللَّهِ ، صَلّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، فَيَحْمِلُهُ ٱلسَّامِعُ ، وَيُوَجِّهُهُ عَلى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللَّهِ ، صَلّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلأَعْرَابِيُّ وَٱلطَّارِىءُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلاَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ ، فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ فِي ٱخْتِلاَفِهِمْ ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

٢٠٩ ومن خطبة له عليه السلام

وَكَانَ مِنَ ٱقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ؛ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ ٱلْبَحْرِ ٱلزَّاخِرِ ٱلْمُتَرَاكِمِ ٱلْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً ، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بَعْدَ ٱرْتِتَاقِهَا ، فَٱسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ ، وَأَرْسَىٰ أَرْضاً يَحْمِلُهَا ٱلأَخْضَرُ ٱلْمُثْعَنْجِرُ ، وَٱلْقَمْقَامُ ٱلْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ لأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ ٱلْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ ، وَجَبَلَ جَلاَمِيدَهَا ، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا ، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا . فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي ٱلْمَاءِ ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا ، فَأَشْهَقَ

قِلاَلَهَا ؛ وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا ؛ وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرَزَّهَا فِيهَا أَوْتَاداً ، فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا ، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً ؛ وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً ! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي ، وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي ، تُكَرْكِرُهُ ٱلرِّيَاحُ ٱلْعَوَاصِفُ ، وَتَمْخُضُهُ ٱلْغَمَامُ ٱلذَّوَارِفُ ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾ .

٢١٠ ومن خطبة له عليه السلام

أَللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا ٱلْعَادِلَةَ غَيْرَ ٱلْجَائِرَةِ ، وَٱلْمُصْلِحَةَ غَيْرَ ٱلْمُفْسِدَةِ ، فِي ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا فَأَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ ٱلنُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَٱلإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ ٱلشَّاهِدِينَ شَهَادَةً(١) ، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ ٱلْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ، وَٱلآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

٢١١ ومن خطبة له عليه السلام

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ ٱلْمَخْلُوقِينَ(٢) ٱلْغَالِبِ لِمَقَالِ

(١) أكبر الشاهدين هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن ، وفي رواية « نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة » وهي عندي أليق وأنسب لما بعده .

(٢) شبه ـ بالتحريك ـ أي : مشابهة .

ٱلْـوَاصِفِينَ ، ٱلظَّاهِـرِ بِعَجَائِبِ تَـدْبِيرِهِ لِلنَّـاظِرِينَ ، وَٱلْبَـاطِنِ بِجَـلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ ٱلْمُتَوَهِّمِينَ ، ٱلْعَـالِمِ بِلاَ ٱكْتِسَـابٍ ، وَلاَٱزْدِيَـادٍ ، وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، ٱلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ ٱلأُمُورِ بِـلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيـرٍ ، ٱلَّذِي لاَ تَغْشَـاهُ ٱلـظُّلَمُ ، وَلاَ يَسْتَضِيءُ بِـٱلأَنْـوَارِ ، وَلاَ يَـرْهَقُـهُ لَيْـلٌ(١) وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِٱلأَبْصَارِ ، وَلاَ عِلْمُهُ بِالإِخْبَارِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أَرْسَلَهُ بِـالضِّيَاءِ ، وَقَـدَّمَهُ فِي ٱلاِصْـطِفَـاءِ ، فَـرَتَقَ بِـهِ ٱلْمَفَـاتِقَ وَسَاوَرَ بِهِ ٱلْمُغَـالِبَ وَذَلَّلَ بِـهِ ٱلصُّعُوبَـةَ ، وَسَهَّلَ بِـهِ ٱلْحُزُونَـةَ ، حَتَّىٰ سَرَّحَ ٱلضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

٢١٣ ومن خطبة له عليه السلام

يصف جوهر الرسول ويصف العلماء ويعظ بالتقوى

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ ، وَحَكَمٌ فَصَلَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّـداً عَبْدُهُ وَرَسُـولُـهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ ٱللّٰهُ ٱلْخَلْقَ فِـرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا ، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ .

أَلاَ وَإِنَّ ٱللّٰهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْـرِ أَهْلاً ، وَلِلْحَقِّ دَعَـائِمَ ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَمـاً ، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْـدَ كُـلِّ طَـاعَـةٍ عَـوْنـاً مِنَ ٱللّٰهِ : يَقُولُ عَلَىٰ ٱلأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ ٱلأَفْئِدَةَ ، فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ(٢) وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ .

---

(١) رهقه ـ كفرح ـ غشيه .

(٢) الكفاء ـ بالفتح ـ : الكافي أو الكفاية .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ[1] يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ ، يَتَوَاصَلُونَ بِٱلْوِلَايَةِ[2] وَيَتَلَاقَوْنَ بِٱلْمَحَبَّةِ ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ[3] وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ ، لَا تَشُوبُهُمُ ٱلرِّيبَةُ[4] وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ ، عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ[5] فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَىٰ[6] فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَىٰ ، قَدْ مَيَّزَهُ ٱلتَّخْلِيصُ ، وَهَذَّبَهُ ٱلتَّمْحِيصُ[7] فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا ، وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ ، فِي مَنْزِلِهِ حَتَّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ ، فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ ٱلسَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ ، وَبَادَرَ ٱلْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ

---

(١) المستحفظين ـ بصيغة اسم المفعول ـ : الذين أودعوا العلم ليحفظوه .

(٢) الولاية : الموالاة والمصافاة .

(٣) الروية : فعيلة بمعنى فاعلة ، أي يروي شرابها من ظمأ التباعد والنفرة . ورية ـ بكسر الراء وتشديد الياء ـ الواحدة من الري ، وهو زوال العطش .

(٤) لا يخالطهم الريب والشك في عقائدهم ، ولا تسرع الغيبة فيهم بالافساد لامتناعهم من الاغتياب وعدم إصغائهم إليه .

(٥) « عقد خلقهم » أي : إنه وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات وأحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها .

(٦) أي : كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر ، فإن البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان ـ وهو بكسر الزاي أو ضمها حب يخالط البر ـ ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره ، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى في الأرض . فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها .

(٧) التهذيب : التنقية ، والتمحيص : الاختبار .

تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ ، وَٱسْتَفْتَحَ ٱلتَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ ٱلْحَوْبَةَ فَقَدْ أُقِيمَ عَلَىٰ ٱلطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ ٱلسَّبِيلِ .

٢١٣ ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً وَلاَ مَضْرُوباً عَلَىٰ عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي ، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي ، وَلاَ مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي ، وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي ، وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي ، وَلاَ مُلْتَبِساً عَقْلِي ، وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ ٱلأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي ، لَكَ ٱلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلاَ أَتَّقِي إِلاَّ مَا وَقَيْتَنِي .

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَٱلأَمْرُ لَكَ .

أَللَّهُمَّ ٱجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي .

أَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا(١) دُونَ ٱلْهُدَىٰ ٱلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

---

(١) التتابع : ركوب الأمر على خلاف الناس والاسراع إلى الشر ، واللجاجة ، يستعيذ من لجاجة الهوى به فيما دون الهدى .

٢١٤ ومن خطبة له عليه السلام

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، فَٱلْحَقُّ أَوْسَعُ ٱلْأَشْيَاءِ فِي ٱلتَّوَاصُفِ(١) وَأَضْيَقُهَا فِي ٱلتَّنَاصُفِ ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَىٰ لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ ٱلثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

ثُمَّ جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ(٢). وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَىٰ ٱلرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَىٰ ٱلْوَالِي ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ ،

---

(١) يتسع القول في وصفه حتى إذا وجب على الانسان الواصف له فر من أدائه لم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها .

(٢) فحقوق العباد التي يكافىء بعضها بعضاً ولا يستحق أحد منها شيئاً إلا بأدائه مكافأة ما تستحقه هي من حقوقه تعالى أيضاً .

فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ ، وَلَا يَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ ٱلدِّينِ ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَىٰ أَذْلَالِهَا ٱلسُّنَنُ(١) ، فَصَلَحَ بِذٰلِكَ ٱلزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا ، أَوْ أَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ ؛ ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجُورِ ، وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ فِي ٱلدِّينِ ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ ، فَعُمِلَ بِالْهَوَىٰ . وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ . وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ . فَلا يُسْتَوحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ !! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ ، وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ . وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللّٰهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَا ٱللّٰهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللّٰهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ . وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللّٰهِ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ ، وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَىٰ مَا حَمَّلَهُ ٱللّٰهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا ٱمْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ ، وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ

---

(١) ذل الطريق ـ بكسر الذال ـ : محجته . و « جرت أمور الله أذلالها ، وعلى أذلالها » أي : وجوهها ، والسنن : جمع سنة ، وطمع : مبني للمجهول .

ذٰلِكَ ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكلامٍ طَوِيلٍ يَكْثُرُ فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَيهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَه وَطَاعَتَه لَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ ٱللّٰهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذٰلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ(١) ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ(٢) ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ ٱللّٰهِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا ٱزْدَادَ حَقُّ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ عِظَماً ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ ٱلْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ ٱلنَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ ٱلْفَخْرِ(٣) ، وَيُوضَعُ أَمْرُهُمْ عَلَىٰ ٱلْكِبْرِ ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلإِطْرَاءَ ، وَٱسْتِمَاعَ ٱلثَّنَاءِ(٤) ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ ـ كَذٰلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ ٱنْحِطَاطاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ ، وَرُبَّمَا ٱسْتَحْلَىٰ ٱلنَّاسُ ٱلثَّنَاءَ بَعْدَ ٱلْبَلَاءِ(٥) ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَىٰ ٱللّٰهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ ٱلتَّقِيَّةِ فِي

---

(١) « كل » فاعل « يصغر » أي : يصغر عنده كل ما سوى الله لعظم ذلك الجلال الإلهي .

(٢) وأحق المعظمين لله بتصغير ما سواه : هو الذي عظمت نعمة الله عليه .

(٣) أصل السخف رقة العقل وغيره ، أي : ضعفه . والمراد أدنى حالة للولاة أن يظن بهم الصالحون أنهم يحبون الفخر ويبنون أمورهم على أساس الكبر .

(٤) كره الامام أن يخطر ببال قومه كونه يحب الاطراء ، أي : المبالغة في الثناء عليه ، فإن حق الثناء لله وحده ، فهو رب العظمة والكبرياء .

(٥) البلاء : إجهاد النفس في إحسان العمل .

حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدائِهَا(١) ، وَفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةُ ، وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ ، وَلاَ تُخَالِطُونِي بِٱلْمُصَانَعَةِ ، وَلاَ تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلاَ ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ؛ فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشْوَرَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ ، وَلاَ آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ ٱللّٰهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ : يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِٱلْهُدَىٰ ، وَأَعْطَانَا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمَىٰ .

٢١٥ ومن كلام له عليه السلام

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا أَلاَ إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي ٱلْحَقِّ

---

(١) « لإخراجي » متعلق بتثنوا . والتقية : الخوف ، والمراد لازمه ، وهو العقاب . من متعلق بـاخراجي ، أي : إذا أخرجت نفسي من عقاب الله في حق من الحقوق أو قضاء فريضة من الفرائض فلا تثنوا على ذلك ، فإنما وقيت نفسي ، وعملت لسعادتي ، على أني ما أديت الواجب عليّ في ذلك ، وما أجزل هذا القول وأجمعه .

أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلاَ ذَابٌّ ، وَلاَ مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَىٰ ٱلْقَذَىٰ ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَىٰ ٱلشَّجَىٰ ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ ٱلْغَيْظِ عَلَىٰ أَمَرَّ مِنَ ٱلْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِن حَزِّ ٱلشِّفَارِ .

قال الرضي : وَقَدْ مَضَى هَذَا الكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ إِلَّا أَنِي كَرَرْتُه هَهُنَا لِإِخْتِلَافِ ٱلرِّوايتين .

٢١٦ ومن كلام له عليه السلام

في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَىٰ عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَىٰ أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَىٰ بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ؛ وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ؛ وَوَثَبُوا عَلَىٰ شِيعَتِي ؛ فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً ؛ وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَضُّوا عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا ٱللّٰهَ صَادِقِينَ .

٢١٧ ومن كلام له عليه السلام

لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ غَرِيباً ! أَمَا وَٱللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ

أَكْـرَهُ أَنْ تَكُونَ قُـرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَـوَاكِبِ ؛ أَدْرَكْتُ وَتْـرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ[1] وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَىٰ أَمرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ[2] فَوُقِصُوا دُونَهُ .

٢١٨ ومن كلام له عليه السلام

قَـدْ أَحْيَـا عَقْلَهُ[3] وَأَمَـاتَ نَفْسَـهُ ، حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ ، وَلَـطُفَ غَلِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيـرُ ٱلْبَرْقِ ، فَـأَبَانَ لَـهُ ٱلطَّرِيقَ ، وَسَلَكَ بِـهِ

---

(١) الوتر : الثأر ، وهو بفتح الواو في لغة أهل العـالية ، ويكسـرها في لغـة نجد وتميم . وطلحـة كان من بني عبـد مناف كـالزبيـر ، وقاتله مـروان بن الحكم وهما في عسكـر واحد في حرب الجمل : رماه بسهم على غـرة انتقامـاً لعثمان رضي الله عنـه . وأفلته الشيء : خلص منه فجأة ، وجمح : قبيلة عربيـة كان من أعيـانها ـ أي : عـظمائهـا ـ جماعة مع أم المؤمنين في واقعة الجمـل ، ولـم يصبهم ما أصـاب غيرهم ، ومن هـذه القبيلة صفـوان بن أميـة بن خلف ، واسمـه عبـد الله ، وعبـد الـرحمن بن صفـوان ، ويـروى « وأفلتني أعيار بني جمـح » ، جمـع عيـر ـ بفتـح فسكـون ـ وهـو الحمـار أو الوحشي خاصة .

(٢) « أتلعـوا » أي : رفعوا أعنـاقهم ومدوهـا لتناول أمـر ، وهو منـاوأة أميـر المؤمنين على الخـلافة ، فـوقصـوا ، أي : كسـرت أعنـاقهم ، دون الـوصـول إليـه ؛ وتقـول : قـد وقصت الناقة براكبها ـ من باب وعد ـ إذا رمت به فدقت عنقه ، فالعنق موقوصة .

(٣) حكـايـة عن صـاحب التقـوى . وإحيـاء العقـل بـالعلم والفكـر والنفـوذ في الأسـرار الالهية ، وإماتة النفس بكفها عن شهواتها ، والجليـل العظيم ، و « دق » أي : صغـر حتى خفي أو كاد . وبروق الـلامع من نـور المقام الالهي يـوضح طـريق السعادة فـلا يزال السالك يتنقل من مقام عرفان وفضل إلى مقـام آخر من مقـامات الكمـال ، وهذا هـو التدافـع من باب إلى بـاب حتى يصل إلى أعلى مـا يمكن لـه ، وهنـاك سعـادتـه ومقر نعيمه الأبدي .

ٱلسَّبِيلَ ، وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إِلَىٰ بَابِ ٱلسَّلَامَةِ ، وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَٱلرَّاحَةِ : بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ ، وَأَرْضَىٰ رَبَّهُ .

٢١٩ ومن كلام له عليه السلام

بعد تلاوته: ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾(١)

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ(٢) وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ ، وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ ، لَقَدِ ٱسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكَرٍ(٣) وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ !! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ، أَمْ بِعَدِيدِ ٱلْهَلْكَىٰ يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ(٤) وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ ، وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً ، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَىٰ مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ !! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ

---

(١) ألهاه عن الشيء : صرفه عنه باللهو ، أي : صرفكم عن الله اللهو بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزايا أسلافه حتى بعد زيارتكم المقابر .

(٢) المرام : الطلب ، بمعنى المطلوب ، والزور ـ بالفتح ـ : الزائرون ، وهم يرومون نيل الشرف بمن تقدمهم ، وتلك غفلة ، فإنما ينالون الشرف مما يكون من موجباته في ذواتهم ، فما أبعد ما يرومون بغفلتهم .

(٣) « استخلوهم » أي : وجدوهم خالين ، والمدكر : الادكار ، بمعنى الاعتبار ، أي : خلوا أسلافهم من الاعتبار ، ثم قلب المعنى في عبارة الامام ، فكان أخلوا الأدكار من آبائهم مبالغة في تقريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم ، و « أي » صفة محذوف تقديره مدكراً ، وتناوشوهم : تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها .

(٤) خوت : سقط بناؤها وخلت من أرواحها .

ٱلْعُشْوَةِ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ ، وَلَوِ ٱسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ ؛ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ ضُلَّالاً ، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً ، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا ٱلْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ .

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ(١) وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ ، ٱلَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ ٱلْعِزِّ ، وَحَلَبَاتُ ٱلْفَخْرِ ، مُلُوكاً وَسُوَقاً ، سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ سَبِيلاً(٢) سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ ، وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ ، لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ ، غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ ،

---

(١) سلف الغاية : السابق إليها ، وغايتهم : حد ينتهون إليه ، وهو الموت ، والفراط : جمع فارط ، وهو كالفرط ـ بالتحريك ـ : متقدم القوم إلى الماء ليهيىء لهم مواضع ما تشرب الشاربة من النهر مثلاً ، ومقاوم : جمع مقام ، والحلبات : جمع حلبة ـ بالفتح ـ وهي الدفعة من الخيل في الرهان ، أو هي الخيل تجتمع للنصرة من كل أوب . والسوق ـ بضم ففتح ـ جمع سوقة ـ بالضم ـ بمعنى الرعية .

(٢) البرزخ : القبر ، والفجوات : جمع فجوة ، وهي الفرجة ، والمراد منها شق القبر ، و « لا ينمون » من النمو وهو الزيادة من الغذاء ، والضمار ـ ككتاب ـ : المال لا يرجى رجوعه ، وخلاف العيان ، ولا يحفلون ـ بكسر الفاء ـ أي : يبالون ، والرواجف : جمع راجفة وهي الزلزلة توجب الاضطراب ، والقواصف : من « قصف الرعد » إذا اشتدت هدهدته ، وأذن له : استمع .

وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا ، وَأُلَّافاً فَافْتَرَقُوا(١) ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ(٢) ، وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً ، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً ، فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ ٱلصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ ، جِيرَانٌ لَا يَتَآنَسُونَ ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَىٰ ٱلتَّعَارُفِ ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلإِخَاءِ ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ، وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً ، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً ، أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً ، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا ، فَكِلْتَا ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَىٰ مَبَاءَةٍ ، فَأَتَتْ مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا ، وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ ، وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ ٱلنُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ ، وَخَوَتِ ٱلأَجْسَامُ ٱلنَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ٱلْبِلَىٰ ، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ ٱلْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا ٱلرُّبُوعُ ٱلصُّمُوتُ ، فَٱنْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً ! فَلَوْ

---

(١) ألافاً : جمع أليف ، أي : مؤتلف مع غيره .

(٢) صم يصم ـ بالفتح فيهما ـ : خرس عن الكلام ، وخرس الديار : عدم صعود الصوت من سكانها .

مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ ، وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُم بِٱلْهَوَامِ فَٱسْتَكَّتْ ، وَٱكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ ٱلأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا ، وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا ، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ ؛ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ[1] وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ ، وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي[2] .

وَكَمْ أَكَلَتِ ٱلأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ ، كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ[3] ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ[4] ، وَيَفْزَعُ إِلَى ٱلسَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ؟! فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَتَضْحَكُ ٱلدُّنْيَا إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[5] إِذْ وَطِىءَ ٱلدَّهْرُ بِهِ

---

(١) لرأيت : جواب « لو مثلتهم » ، وأشجان القلوب : همومها واحدها شجن - بالتحريك - وأقذاء العيون : ما يسقط فيها فيؤلمها .

(٢) الغمرة : الشدة .

(٣) الأنيق : رائق الحسن ، والغذي : اسم بمعنى المفعول ، أي : مغذى بالنعيم ، والربيب : بمعنى المربي ، ربه يربه ، أي : رباه .

(٤) يتشاغل بأسباب السرور ليتلهى بها عن حزنه ، والسلوة : انصراف النفس عن الألم بتخيل اللذة « ضناً » أي : بخلاً ، وغضارة العيش : طيبه .

(٥) وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئاً يوجبها ، والحسك : نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ورقه كورق الرجلة وأدق ، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب . تمثيل لمس الآلام .

حَسَكَـهُ وَنَقَضَتِ ٱلْأَيَّامُ قُـوَاهُ وَنَـظَرَتْ إِلَيْـهِ ٱلْحُتُـوفُ مِنْ كَثَبٍ[1] فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ، فَفَزِعَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَوَّدَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ ٱلْحَارِّ بِٱلْقَارِّ وَتَحْرِيكِ ٱلْبَارِدِ بِٱلْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً ، وَلَا ٱعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ ٱلطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ ، حَتَّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ ٱلسَّائِلِينَ عَنْهُ ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ : فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَىٰ فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَىٰ ٱلْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَىٰ جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا ، وَتَرْكِ ٱلْأَحِبَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ[2] ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ : مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[3] .

---

(١) الحتوف : المهلكات ، وأصل الحتف الموت ، من كثب ـ بالتحريك ـ أي : قرب ، أي : توجهت إليه المهلكات على قرب منه ، والبث : الحزن ، والنجي : المناجي ، وخالطه الحزن : مازج خواطره .

(٢) عي : عجز لضعف القوة المحركة للسان .

(٣) « تعتدل » أي : تستقيم عليها بالقبول والادراك ، أي : لغفلتهم عنها لا تتناسب عند عقولهم فيدركوها .

٢٢٠ ومن كلام له عليه السلام

قَالَهُ عِنْدَ تِلاَوَتِهِ :

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ ٱلذِّكْرَ جِلاَءَ ٱلْقُلُوبِ(١) ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ ٱلْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ ٱلْعَشْوَةِ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ ٱلْمُعَانَدَةِ ، وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ ، عَزَّتْ آلاَؤُهُ ، فِي ٱلْبُرْهَةِ بَعْدَ ٱلْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ ٱلْفَتَرَاتِ(٢) عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْأَفْئِدَةِ(٣) يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ(٤) ، مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ ٱلطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ ٱلظُّلُمَاتِ ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ ٱلشُّبُهَاتِ ، وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَدَلاً ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ

---

(١) الذكر : استحضار الصفات الإلٰهية ، والوقرة : ثقل في السمع . والعشوة : ـ مثلثة العين ـ ضعف البصر .

(٢) الفترة بين العملين : زمان بينهما يخلو منهما ، والمراد أزمنة الخلو من الأنبياء مطلقاً ، و« ناجاهم » أي : خاطبهم بالالهام .

(٣) استصبح : أضاء مصباحه ، أي : أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة في أبصارهم الخ .

(٤) الفلوات : المفازات والقفار واحدها فلاة .

عَنْهُ ؛ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ ٱلْحَيَاة ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ ٱللَّهِ فِي أَسْمَاعِ ٱلْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ ٱلآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ ، فَكَأَنَّمَا ٱطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ ٱلْبَرْزَخِ فِي طُولِ ٱلْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ ٱلْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا ، فَكَشَفُوا غِطَاء ذٰلِكَ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَىٰ ٱلنَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ ٱلْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ ٱلْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ(١) فَضَعُفُوا عَنِ ٱلْإِسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجاً ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً ، يَعِجُّونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَٱعْتِرَافٍ ؛ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجىً ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ ، فِي مَقَامٍ ٱطَّلَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ ، يَتَنَسَّمُونَ

---

(١) أي : نسبوا ما صدر عنهم إلى تقصير هممهم عن أداء الواجب عليهم ، ولم يحولوه على ربهم ، فجعلوا الأوزار حملاً على ظهورهم ، فأحسوا بالضعف عن الاستقلال بها ، أي : القيام بحملها ، ونشج الباكي ينشج ـ كضرب يضرب ـ نشيجاً : غص بالبكاء في حلقه ، والنحيب : أشد البكاء ، وتجاوبوا به : أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون ، وعج يعج ـ كضرب ومل ـ : صاح ورفع صوته ، فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .

بِدُعَائِهِ رَوْحَ ٱلتَّجَاوُزِ[1] رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ ٱلأَسَىٰ قُلُوبَهُمْ[2] ، وَطُولُ ٱلْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ ، لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَىٰ ٱللّٰهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ٱلْمَنَادِحُ[3] ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ ٱلرَّاغِبُونَ ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ ٱلأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

٢٢١ ومن كلام له عليه السلام

قاله عند تلاوته ﴿ يا أيُّها الإنسان ما غرَّك بِرَبِّك الكريم ﴾

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَرُبَّمَا تَرَىٰ ٱلضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ ٱلشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَىٰ ٱلْمُبْتَلِيَ بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ ، فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَىٰ دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ

---

(١) تنسم النسيم : تشممه ، والروح ـ بالفتح ـ النسيم ، أي : يتوقعون التجاوز بدعائهم له .

(٢) الأسى : الحزن .

(٣) المنادح : جمع مندوحة ، وهي كالندحة ـ بالضم والفتح ـ والمنتدح ـ بفتح الدال ـ : المتسع من الأرض .

بِمُصَـابِـكَ ، وَعَـزَّاكَ عَنِ ٱلْبُكَـاءِ عَلَىٰ نَفْسِـكَ وَهِيَ أَعَـزُّ ٱلأَنْفُسِ عَلَيْكَ ؟ وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ ، وَقَـدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَـاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ ، فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَىٰ ٱلْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقْـظَةٍ[1] وَكُنْ لِلّهِ مُطِيعـاً ، وَبِذِكْـرِهِ آنِساً ، وَتَمَثَّـلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ[2] : يَدْعُـوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّـدُكَ بِفَضْلِهِ ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، فَتَعَالَىٰ مِنْ قَـوِيٍّ مَا أَكْـرَمَهُ[3] ، وَتَـوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَـا أَجْـرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِـهِ ، وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْـرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَـةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْـكَ فَضْلَهُ ، وَلَمْ يَهْتِـكَ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخْـلُ مِنْ لُـطْفِـهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَـةٍ يُحْدِثُهَا لَـكَ[4] ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُـرُهَا عَلَيْـكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْـرِفُهَا عَنْـكَ!! فَمَـا ظَنُّكَ بِـهِ لَـوْ أَطَعْتَـهُ ، وَأَيْمُ ٱللّهِ لَـوْ أَنَّ هٰـذِهِ ٱلصِّفَـةَ كَـانَتْ فِي مُتَّفِقِينَ فِي ٱلْقُـوَّةِ ، مُتَـوَازِنِينَ فِي ٱلْقُـدْرَةِ ؛ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَـاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلأَخْلاَقِ ، وَمَسَاوِىءِ ٱلأَعْمَالِ ، وَحَقًّا أَقُولُ مَا ٱلدُّنْيَا غَـرَّتْكَ[5] وَلٰكِنْ بِهَـا ٱغْتَرَرْتَ ، وَلَقَـدْ كَاشَفَتْـكَ ٱلْعِـظَاتُ ، وَآذَنَتْـكَ

---

(١) الكرى ـ بالفتح والقصر ـ النوم .

(٢) تمثـل : تصور ، أي : واذكـر عند إعـراضك عن الله ، أي : عنـد لهوك ، أنـه مقبل عليك بنعمه ، « ويتغمدك » أي : يغمرك .

(٣) الضمير في « تعالى » لله .

(٤) طـرف عينـه ـ كضـرب ـ اطبق جفنيهـا ، والمـراد من المـطرف اللحـظة يتحـرك فيهـا الجفن « في نعمة » يتعلق بلطفه .

(٥) إن الـدنيا مـا خبأت عن نـظرك شيئاً من تقلباتها المفـزعة ، ولكن غفلت عمـا تـرى ، ولقـد كاشفتـك وأظهرت لـك العـظات ، أي : المـواعظ ، وآذنتـك : أعلمتـك على عدل .

عَلَىٰ سَوَاءٍ ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِـدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَـلَاءِ بِجِسْمِكَ ، وَٱلنَّقْصِ فِي قُـوَّتِـكَ ؛ أَصْـدَقُ وَأَوْفَىٰ مِنْ أَنْ تُكْـذِبَـكَ ، أَوْ تَغُـرَّكَ ، وَلَـرُبَّ نَـاصِحٍ لَهَـا عِنْـدَكَ مُتَّهَمٌ(١) ، وَصَـادِقٍ مِنْ خَبَـرِهَـا مُكَـذَّبٌ ، وَلَئِنْ تَعَـرَّفْتَهَا فِي ٱلـدِّيَارِ ٱلْخَـاوِيَةِ(٢) ، وَٱلـرُّبُوعِ ٱلْخَـالِيَةِ ؛ لَتَجِـدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَـذْكِيـرِكَ ، وَبَـلَاغِ مَـوْعِـظَتِكَ ، بِمَحَلَّةِ ٱلشَّفِيقِ عَلَيْـكَ ، وَٱلشَّحِيحِ بِـكَ(٣) ، وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَـرْضَ بِهَـا دَاراً ، وَمَحَـلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَـلاًّ(٤) ! وَإِنَّ ٱلسُّعَدَاءَ بِـٱلدُّنْيَـا غَداً هُمُ ٱلْهَـارِبُونَ مِنْهَـا ٱلْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ ٱلرَّاجِفَةُ(٥) ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ ، وَلَحِقَ بِكُـلِّ مَنْسَـكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُـودٍ عَبَدَتُـهُ ، وَبِكُلِّ مُـطَاعٍ أَهْلُ طَـاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْـزَ فِي عَـدْلِـهِ وَقِسْـطِهِ يَـوْمَئِذٍ خَـرْقُ بَصَـرٍ فِي ٱلْهَـوَاءِ(٦) ، وَلَا

---

(١) رب حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعبرة فتتهمه وهو مخلص .

(٢) تعرفتها : طلبت معرفتها وعاقبة الركون إليها .

(٣) البخيل بك على الشقاء والهلكة .

(٤) وطنه ـ بالتشديد ـ اتخذه وطناً .

(٥) الـراجفـة : النفخـة الأولى حين تهب ريح الفنـاء فتنسف الأرض نسفـاً ، وحقت القيامة :وقعت وثبتت لعظائمها ،والمنسك ـ بفتح الميم والسين ـ العبادة ، أومكانها .

(٦) يجـز : من الجزاء مبني للمجهـول نائب فـاعله « خـرق بصـر وهمس قـدم » أي : لا تجـازي لمحـة البصـر تنفـذ في الهـواء ولا همسـة القـدم في الأرض إلا بحق وذلـك بعدل الله ويروى « فلم يجـر في عدلـه » من « جار » أي : عـدل عن الطريق ، أي : لم يذهب عنه سبحانه ولم يضـل ولم يشذ عن حسـابه شيء من أمـر محقرات الأمـور إلا بحقـه ، أي : إلا ما لا فـائدة في إثبـاته . ورواه قـوم « لم يجـز » مضـارع « جـاز يجـوز » أي : لم يسـغ ولم يـرخص ذلـك اليـوم لأحـد من المكلفين في حـركـة من الحـركـات المحقـرات المستصغـرات إلا إذا كـانت قـد فعلهـا بحق ، قـالـه ابن أبي الحديد .

هَمْسُ قَدَمٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَىٰ لَهُ ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ، وَشِمْ بَرْقَ ٱلنَّجَاةِ ، وَٱرْحَلْ مَطَايَا ٱلتَّشْمِيرِ .

٢٢٢ ومن كلام له عليه السلام

وَٱللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ ٱلسَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، وَأُجَرَّ فِي ٱلْأَغْلَالِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَىٰ ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ ٱلْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَىٰ قُفُولُهَا ، وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَىٰ حُلُولُهَا؟!

وَٱللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً ، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّىٰ ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ ٱلشُّعُورِ ، غُبْرَ ٱلْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِٱلْعِظْلِمِ ؛ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ مُرَدِّداً ؛ فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ ، مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ؛ فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ ٱلثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟ أَتَئِنُّ مِنَ ٱلْأَذَىٰ وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَىٰ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا

بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ؟؟؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ، فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ ، فَقُلْتُ : هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ ، أَعَنْ دِينِ ٱللّٰهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ ، أَمْ ذُو جِنَّةٍ ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَٱللّٰهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ ٱللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا ، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ ، نَعُوذُ بِٱللّٰهِ مِنْ سُبَاتِ ٱلْعَقْلِ ، وَقُبْحِ ٱلزَّلَلِ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

٢٢٣ ومن دعاء له عليه السلام

أَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِٱلْيَسَارِ ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِٱلْإِقْتَارِ ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَلَىٰ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ ٱلْإِعْطَاءِ وَٱلْمَنْعِ ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

٢٢٤ ومن خطبة له عليه السلام

دَارٌ بِٱلْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِٱلْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا ، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ ، ٱلْعَيْشُ فِيهَا

مَذْمُومٌ ، وَٱلأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا .

وَٱعْلَمُوا ، عِبَادَ ٱللّٰهِ ؛ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً ، وَأَعْمَرَ دِيَاراً ، وَأَبْعَدَ آثَاراً ، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً ، فَٱسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ ٱلْمُشَيَّدَةِ ، وَٱلنَّمَارِقِ ٱلْمُمَهَّدَةِ ، ٱلصُّخُورَ وَٱلأَحْجَارَ ٱلْمُسْنَدَةَ ، وَٱلْقُبُورَ ٱللَّاطِئَةَ ٱلْمُلْحَدَةَ ، ٱلَّتِي قَدْ بُنِيَ بِٱلْخَرَابِ فِنَاؤُهَا ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا ، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ ٱلْجِيرَانِ ، عَلَىٰ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ ٱلْجِوَارِ ، وَدُنُوِّ ٱلدَّارِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ ٱلْبِلَىٰ ، وَأَكَلَتْهُمُ ٱلْجَنَادِلُ وَٱلثَّرَىٰ؟ وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَٱرْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ ٱلْمُسْتَوْدَعُ ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ ٱلأُمُورُ ، وَبُعْثِرَتِ ٱلْقُبُورُ؟ ﴿ **هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوا إِلَى ٱللّٰهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ .

٢٢٥ ومن دعائه عليه السلام

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَأَحْضَرُهُمْ بِٱلْكِفَايَةِ

لِلْمُتَـوَكِّلِينَ عَلَيْـكَ ، تُشَـاهِـدُهُمْ فِي سَـرَائِـرِهِمْ ، وَتَـطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَـائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَـائِـرِهِمْ ، فَـأَسْـرَارُهُمْ لَـكَ مَكْشُـوفَـةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْـكَ مَلْهُوفَـةٌ ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُـرْبَـةُ آنَسَهُمْ ذِكْـرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَصَـائِبُ لَجَأُوا إِلَىٰ ٱلإِسْتِجَـارَةِ بِـكَ عِلْمـاً بِـأَنَّ أَزِمَّـةَ ٱلأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ .

أَللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْـأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي ، فَـدُلَّنِي عَلَى مَصَـالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَـرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذٰلِـكَ بِنُكْـرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ .

أَللَّهُمَّ آحْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ ، وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ .

٢٣٦ ومن كلام له عليه السلام

لِلّهِ بِـلاَدُ فُلاَنٍ(١)، فَقَـدْ قَـوَّمَ ٱلأَوَدَ ، وَدَاوَىٰ ٱلْعَمَـدَ ، وَخَلَّفَ ٱلْفِتْنَـةَ ، وَأَقَامَ ٱلسُّنَّـةَ ، ذَهَبَ نَقِيَّ ٱلثَّـوْبِ ، قَلِيـلَ ٱلْعَيْبِ ، أَصَـابَ خَيْرَهَا ، وَسَبَقَ شَرَّهَا ، أَدَّىٰ إِلَىٰ ٱللّهِ طَـاعَتَهُ ، وَٱتَّقَـاهُ بِحَقِّهِ ، رَحَـلَ

(١) فلان : هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والعرب تقـول « لله بلاد فـلان » و « لله در فلان » و « لله نـادي فلان » و « للهنـائـح فـلان » والمـراد بـالأول لله البلاد التي أنشأته وابتنته ، وبـالثاني لله الثـدي الذي أرضعـه ، وبالثـالـث لله المجلس الذي تربى فيه ، وبالـرابع لله النـائحة التي تنـوح عليه وتنـدبه ، مـاذا تعد ممـا تعهده من محـاسنـه ؟ ويـروى « لله بـلاء فـلان » أي : لله مـا صنـع . وقـوم الأود : عـدل الاعـوجاج ، والعمـد ـ بـالتحـريـك ـ العلة ، وخلف الفتنـة : تـركهـا خلفـاً : لا هـو أدركها ، ولا هي أدركته .

وَتَـرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَـةٍ(١) : لَا يَهْتَدِي فِيهَـا ٱلضَّالُّ ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ ٱلْمُهْتَدِي .

٢٢٧ ومن كلام له عليه السلام

في وصف بيعته بالخلافة ، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة

وَبَسَـطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَـا، وَمَدَدْتُمُـوهَا فَقَبَضْتُهَـا ، ثُمَّ تَـدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ(٢) تَـدَاكَّ ٱلْإِبِـلِ ٱلْهِيمِ عَلَىٰ حِيَـاضِهَا يَـوْمَ وُرُودِهَـا ، حَتَّىٰ ٱنْقَـطَعَتِ ٱلنَّعْـلُ ، وَسَقَطَ ٱلـرِّدَاءُ ، وَوُطِىءَ ٱلضَّعِيفُ ، وَبَـلَغَ مِنْ سُـرُورِ ٱلنَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّـايَ أَنِ ٱبْتَهَـجَ بِهَـا ٱلصَّغِيـرُ ، وَهَـدَجَ إِلَيْهَـا ٱلْكَبِيرُ(٣) ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ .

٢٢٨ ومن خطبة له عليه السلام

فَـإِنَّ تَقْوَىٰ ٱللّٰهِ مِفْتَـاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيـرَةُ مَعَـادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُـلِّ

---

(١) عبارة عن الاختلاف .

(٢) التـداك : الازدحـام ، كـأن كـل واحـد يـدك الآخـر ؛ أي يـدقـه ، « والهيم » أي : العطاش : جمع هيماء ، كعيناء وعين .

(٣) هـدج : مشى مشية الضعيف ، وهـدج الظليم : إذا مشى في ارتعـاش ، والكعـاب ـ كسحاب ـ الجارية حين يبدو ثـديها للنهـود ، وهي الكاعب ـ بـلا هاء ـ و « حسـرت » أي : كشفت عن وجهها متوجهـة إلى البيعـة لتعقـدهـا بـلا استحيـاء لشـدة الـرغبـة والحـرص على إتمـام الأمـر لأميـر المؤمنين ، والغـرض من الكـلام الاحتجاج على المخالفين بأن الأمة بايعته مختارة .

مَلَكَةٍ[1] ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ، بِهَا يَنْجَحُ ٱلطَّالِبُ ، وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ ، وَتُنَالُ ٱلرَّغَائِبُ ، فَٱعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ[2] ، وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَبَادِرُوا بِٱلْأَعْمَالِ عُمراً نَاكِساً ، أَوْ مَرَضاً حَابِساً ، أَوْ مَوْتاً خَالِساً ؛ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[3] ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ[4] ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ ،

---

(١) الملكة ـ بالتحريك ـ الرق ، أي : عتق من رق الشهوات والأهواء ، والهلكة ـ بالتحريك ـ : الهلاك .

(٢) « والعمل الخ » الواو واو الحال و « بادروا » أي : اسبقوا بأعمالكم : حلول آجالكم التي تنكسكم ـ أي : تقلبكم ـ من الحياة إلى الموت ، والحابس : المانع من العمل ، والخالس : الخاطف .

(٣) طياتكم : جمع طية ـ بالكسر ـ وهي القصد ، أي : يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدها ، والقرن ـ بالكسر ـ الكفء في الشجاعة . والتسمية تبكيت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعد له بالصالحات ، كأنه يقول: إذا كنتم أقوياء ، فالموت كفء لكم غير مغلوب ، والواتر : الجاني . والموت لا يطالب بالقصاص على جنايته ، أعلقتكم الحبائل : أوقعتكم فيها ، فاقتنصتكم ، وهي جمع حبالة ـ بكسر الحاء ـ وهي المصيدة من الحبال ، وتقول : حبلته حبلاً ـ من باب قتل ـ واحتبلته أيضاً ، إذا صدته بالحبالة . وتكنفتكم : أحاطتكم ، وأقصده : رماه بسهم فأصاب مقتله ، والمعابل : جمع معبلة ـ كمكنسة : بكسر الميم ـ وهي النصل الطويل العريض .

(٤) العدوة ـ بالفتح ـ العدوان ، والنبوة ـ بالفتح ـ أن يخطىء في الضربة فلا يصيب ، والدواجي : جمع داجية ، أي : مظلمة ، والظلل : جمع الظلة ، أي : السحابة ، والاحتدام : الاشتداد ، والحنادس : جمع حندس ـ بكسر الحاء والدال ـ وهي الظلمة الشديدة ، والغمرات : الشدائد ، والدجو : الاظلام ، والجشوبة : الخشونة .

فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ ، وَآحْتِدَامُ عِلَلِهِ ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ ، فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً ، فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ[1] ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّىٰ آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ ، فَعَلَيْكُمْ بِٱلْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَٱلتَّأَهُّبِ وَٱلِاسْتِعْدَادِ ، وَٱلتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ ٱلزَّادِ ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِيَةِ ، وَٱلْقُرُونِ ٱلْخَالِيَةِ ، ٱلَّذِينَ آحْتَلَبُوا دِرَّتَهَا ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوا عِدَّتَها ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا ، وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ . فَآحْذَرُوا ٱلدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ ، مَنُوعٌ ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا ، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا ، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا .

منها في صفة الزهاد :

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا : عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا

---

(١) النجي : القوم يتناجون ، والندى : الجماعة يجتمعون للمشاورة ، وعفى الآثار : محاها ، والتراث : الميراث ، والحميم : الصديق .

يَحْـذَرُونَ ، تَقَلَّبُ أَبْـدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْـرَانَيْ أَهْـلِ ٱلآخِـرَةِ يَـرَوْنَ أَهْـلَ الـدُّنْيَـا يُعَـظِّمُونَ مَـوْتَ أَجْسَادِهِمْ ، وَهُمْ أَشَـدُّ إِعْظَامـاً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ .

٢٢٩ ومن خطبة له عليه السلام

خطبها بذي قار ، وهو متوجه إلى البصرة ،

ذكرها الواقدي في كتاب الجمل

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ ، وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ ، فَلَمَّ ٱللَّهُ بِـهِ ٱلصَّدْعَ ، وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ ، وَأَلَّفَ بِهِ ٱلشَّمْـلَ بَيْنَ ذَوِي ٱلأَرْحَامِ ، بَعْـدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَٱلضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ .

٢٣٠ ومن كلام له عليه السلام

كلم به عبدالله بن زمعة ، وهو من شيعته ، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً ، فقال عليه السلام:

إِنَّ هٰـذَا ٱلْمَـالَ لَيسَ لِي وَلاَ لَـكَ ، وَإِنَّمَـا هُـوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَـافِهِمْ ، فَإِنْ شَـرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَـانَ لَكَ مِثْـلُ حَظِّهِمْ ؛ وَإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

٢٣١ ومن كلام له عليه السلام

أَلَا إِنَّ ٱللِّسَانَ بِضْعَةٌ مِنَ ٱلإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا آمْتَنَعَ ، وَلاَ يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا آتَّسَعَ ، وَإِنَّا لأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ .

وَٱعْلَمُوا ، رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ ، أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِٱلْحَقِّ قَلِيلٌ ، وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ ، وَٱللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَىٰ ٱلْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَىٰ ٱلإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ ؛ وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ ، لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ .

٢٣٢ ومن كلام له عليه السلام

روى ذَعْلَبُ اليَمَانِي عَنْ أحمدَ بنِ قُتَيْبَةَ عَن عبدالله بنِ يَزِيدٍ عَن مالكٍ بنِ دُحْيَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اختلافُ النَّاسِ فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ(١) ، وَذَٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ

---

(١) جمع طينة : يريد عناصر تركيبهم ، والفلقة ـ بكسر الفاء ـ القطعة من الشيء ، وسبخ الأرض : مالحها ، والحزن ـ بفتح الحاء ـ الخشن ، ضد السهل ، فتقارب الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبناهم . وكذلك تباعدهم بتباعدها .

سَبْخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا ، فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَىٰ قَدْرِ ٱخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ، فَتَامُّ ٱلرُّوَاءِ[1] ، نَاقِصُ ٱلْعَقْلِ ، وَمَادُّ ٱلْقَامَةِ ، قَصِيرُ ٱلْهِمَّةِ ، وَذَاكِي ٱلْعَمَلِ ، قَبِيحُ ٱلْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ ٱلْقَعْرِ ، بَعِيدُ ٱلسَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ ٱلضَّرِيبَةِ ، مُنْكَرُ ٱلْجَلِيبَةِ ، وَتَائِهُ ٱلْقَلْبِ ، مُتَفَرِّقُ ٱللُّبِّ ، وَطَلِيقُ ٱللِّسَانِ ، حَدِيدُ ٱلْجَنَانِ .

٢٣٣ ومن كلام له عليه السلام

قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ لَقَدِ ٱنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱلْأَنْبَاءِ ، خَصَّصْتَ[2] حَتَّىٰ صِرْتَ مُسْلِياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّىٰ صَارَ ٱلنَّاسُ فِيكَ سَوَاءً .

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ ٱلْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ ٱلشُّئُونِ[3] ، وَلَكَانَ ٱلدَّاءُ مُمَاطِلاً ، وَٱلْكَمَدُ مُحَالِفاً ،

---

(١) الرواء ـ بالضم والمد ـ حسن المنظر ، وماد القامة : طويلها ، والقعر : يريد به قعر البدن ، أي : إنه قصير الجسم ، لكنه داهي الفؤاد ، والضريبة : الطبيعة والجليبة : ما يتصنعه الانسان على خلاف طبعه .

(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم خص أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة عن جميع من سواه ، وهو برسالته عام للخلق : فالناس في النسبة إلى دينه سواء .

(٣) « لأنفدنا » أي : لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه ، وهي منابع الدمع من الرأس .

وَقلاَّ لَكَ(١)، وَلٰكِنَّـهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ(٢) وَلاَ يُسْتَـطَاعُ دَفْعُهُ ، بِـأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، آذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، وَآجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ .

٢٣٤ ومن كلام له عليه السلام

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتْبَـعُ مَأْخَـذَ رَسُـولِ آللّٰهِ صَلّى آللّٰهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّىٰ آنْتَهَيْتُ إِلَىٰ آلْعَرَجِ(٣) .

قال الشريفُ ـ فِي كَلامٍ طَويلٍ ـ : قَوْلُـهُ عَلَيْهِ السَّـلامُ « فَأَطَـأُ ذِكْرَهُ » من الكلامِ آلذِي رَمَى بِهِ إلى غَايتيْ الإيجَازِ وَالفَصَاحَةِ ، أَرَادَ إني كُنْتُ أُعْطِي خَبَره(٤) صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلّمَ مِنْ بَـدْءِ خُروجِي إِلَى أَنْ آنْتَهَيْتُ إِلى هَـذا الموضـعِ ، فَكَنّى عَنْ ذٰلِكَ بِهَـذِهِ الكِنَـايَـةِ العَجِيبةِ .

٢٣٥ ومن خطبة له عليه السلام

فَآعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ آلْبَقَـاءِ ، وَآلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَآلتَّـوْبَةُ

---

(١) مماطلاً بـالشفاء ، والكمـد : الحزن ، ومحـالفته : مـلازمته ؛ و « قـلا » فعل مـاضي متصل بألف التثنية ، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان بك .

(٢) « مـا » خبر « لكن » أي : لكنـه الموت لا يملك رده الـخ ، وما حتم وقعـه فـلا يفيـد الأسف عليه ؛ لأن الأسف وضع في النفوس لمداركة الفائت والحذر من الآتي .

(٣) العرج ـ بالتحريك ـ موضع بين مكة والمدينة .

(٤) أعطي : بالبناء للمجهول .

مَبْسُوطَةٌ ، وَٱلْمُدْبِرُ يُدْعَىٰ ، وَٱلْمُسِيءُ يُرْجَىٰ ، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ ٱلْعَمَلُ ، وَيَنْقَطِعَ ٱلْمَهَلُ ، وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ ، وَتَصْعَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ .

فَأَخَذَ ٱمْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ ، ٱمْرُؤٌ خَافَ ٱللّٰهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَىٰ عَمَلِهِ ، ٱمْرُؤٌ لَجَّمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي ٱللّٰهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَىٰ طَاعَةِ ٱللّٰهِ .

٢٣٦ ومن خطبة له عليه السلام

في شأن الحكمين ، وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ ، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّىٰ عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، لَيْسُوا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّأُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيْمَانَ .

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ ، وَإِنَّكُمُ ٱخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقاً[1] فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ

(١) إن صح قول أبي موسى « إنها فتنة » ولم يكره أحد على الدخول فيها ، فقد أخطأ =

مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ آلتُّهَمَةُ ، فَآدْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ آلْعَاصِ بِعَبْدِ آللّهِ بْنِ العَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ آلأَيَّامِ ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ آلإِسْلَامِ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ .

٢٣٧ ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُمْ عَيْشُ آلْعِلْمِ ، وَمَوْتُ آلْجَهْلِ ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ آلْحَقَّ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، هُمْ دَعَائِمُ آلإِسْلَامِ ، وَوَلَائِجُ آلِاعْتِصَامِ[١] ، بِهِمْ عَادَ آلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ[٢] ، وَآنْزَاحَ

= بمسيره إليها ، وكان عمله خلاف عقيدته ، ومن كان من شأنه ذلك فلا يصلح للحكم ، وإن كان كاذباً فيما يقول ، فقد كان عارفاً بالحق ونطق بالباطل فهو متهم . ويخشى أن يكون منه مثل ذلك في الحكم ، وقوله : « فادفعوا ـ الخ » أي : اختاروا ابن عباس حكماً فإنه كفء لعمرو بن العاص ، وخذوا مهل الأيام ـ أي : فسحتها ـ فاستعدوا فيها بجمع قواكم ، وتوفير عددكم ، وتجنيد جيوشكم ، وحوطوا قواصي الاسلام ، أي : احفظوها من غارة أهل الفتنة عليها ، واجعلوا كل قاصية لكم لا عليكم ، وقواصي الاسلام : أطرافه ، ورمى الصفاة ـ بفتح الصاد ـ كناية عن طمع العدو فيما باليد . وأصل الصفاة : الحجر الصلد ، يراد منها القوة . وما يحميه الانسان .

(١) ولائج : جمع وليجة ، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد ، أو توقياً من مفترس .

(٢) نصاب الحق : أصله ، والأصل في معنى النصاب : مقبض السكين ، فكأن الحق =

ٱلْبَـاطِلُ عَنْ مَقَـامِهِ ، وَٱنْقَـطَعَ لِسَانُـهُ عَنْ مَنْبِتِهِ ، عَقَلُوا ٱلـدِّينَ عَقْـلَ وِعَـايَةٍ وَرِعَـايَةٍ[1] لَا عَقْـلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَـةٍ ، فَـإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيـرٌ ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ .

٢٣٨ ومن كلام له عليه السلام

قَالَهُ لِعَبْدِالله بنِ عَبّاسٍ ، وَقَـدْ جَاءَهُ بِـرِسَالَـةٍ مِن عثمانَ وَهُـوَ محصورٌ يَسْأَلُهُ فِيها الخروجَ إلى مالِه بِيَنْبُع لِيَقِـلَّ هَتْفُ النَّاسِ بِـآسْمِهِ لِلْخِلَافَةِ[2] بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا ٱبْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيـدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَـلاً نَاضِحـاً بِـٱلْغَـرْبِ[3] أُقْبِــلُ وَأُدْبِـرُ : بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْــرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ

= نصـل ينفصل عن مقبضـه ويعود إليـه ، وانـزاح : زال ، وانقـطاع لسـان البـاطـل عن منبتـه ـ بكسر البـاء ، وقياسـه الفتـح ، وورد بـه أيضـاً ـ أي : عن أصله ، مجـاز عن بطلان حجته ، وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه .

(١) عقل الوعـاية : حفظ في فهم ، والـرعايـة : ملاحـظة أحكام الـدين وتطبيق الأعمـال عليهـا ؛ وهذا هـو العلم بالـدين حقيقـة ؛ أمـا السمـاع والـروايـة مجـردين عن الفهم والرعاية فمنزلتهما لا تخالف منزلة الجهل إلا في الاسم .

(٢) كان الناس يهتفون بإسم أمير المؤمنين للخلافـة ، أي : ينادون بـه وعثمان رضي الله عنـه محصور ؛ فـأرسل إليـه عثمان يـأمره أن يخـرج إلى ينبع ـ وكـان فيها رزق لأميـر المؤمنين ـ فخرج ، ثم استدعاه لينصره فحضر ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية .

(٣) نضـح الجمـل المـاء ـ من بـاب نفـع ـ حمله من بئـر أو نهـر ليسقي بـه الـزرع فهـو نـاضح ، والأنثى نـاضحة بـالهـاء ، سمي نـاضحـاً لأنـه ينضـح العـطش ، أي : يبله

أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً .

٢٣٩ ومن كلام له عليه السلام

يحث أصحابه على الجهاد

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ(١) وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ(٢) لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ . فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ(٣) وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ(٤) مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ(٥) وَأَمْحَىٰ الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ !!

= بالماء الذي يحمله ، هذا أصله ، ثم استعمل الناضح في كل بعير وإن لم يحمل الماء ؛ وفي الحديث « أطعمه ناضحك » أي : بعيرك ، والجمع نواضح ؛ والغرب ـ بفتح فسكون ـ : الدلو العظيمة ، والكلام تمثيل للتسخير .

(١) مستأديكم : طالب منكم أداء شكره ، وأمره : سلطانه في الأرض يورثه الصالحين المحافظين على رعاية أوامره ونواهيه .

(٢) « ممهلكم » أي : معطيكم مهلة في مضمار الحياة المحدود بالأجل ؛ وأصل المضمار : المكان تضمر فيه الخيل ، أي : تحضر للسباق ، « لتتنازعوا » أي : تتنافسوا في سبقه ، والسبق ـ بالتحريك ـ : الخط يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم ، وهو هنا الجنة .

(٣) العقد : جمع عقدة ، والمآزر : جمع مئزر ، وشد عقد المآزر : كناية عن الجد والتشمير ؛ فإن من شد العقدة أمن من انحلالها فيمضي في عمله غير خائف ، و« اطووا فضول الخواصر » أي : ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تخفوا في العمل ، ولا يعوقكم شيء عن الاسراع في عملكم .

(٤) أي : لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ .

(٥) « ما » تعجبية ، أي : ما أشد النوم نقضاً لعزيمة النهار : يعزم السائر على قطع جزء=

وَصَلّى اللَّهُ عَلَى سَيِدِنا محمدٍ آلنَّبيِّ الأُمِي وَعَلى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى ، والعُرْوَةِ آلْوُثْقى ، وَسلَّم تَسْليماً كَثِيراً .

= من الليل في السير ، فـإذا جاء الليـل غلبه النـوم ، فنقض عزيمتـه . والظلم : جمـع ظلمـة ، متى دخلت محت تـذكـار الهمـة التي كـانت في النهـار والله أعلم .

الباب الثاني

المختار من كتب امير المؤمنين
عليه السلام ووصاياه وعهوده

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ المُختارِ منْ كُتُبِ[1] مَوْلانا أَميرِ المُؤمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلى أَعدائِهِ وأُمراءِ بلادِه

وَيَدْخُلَ فِي ذَلِكَ ما اختيرَ من عُهودِهِ[2] إلى عمّالِه ، ووصاياهُ لأَهله وأَصحابِهِ

من كتاب له عليه السلام

لأَهْلِ ٱلكُوفَةِ ، عِنْدَ مَسيرِهِ مِن ٱلمَدينَةِ إِلى ٱلبصرة

مِنْ عَبْدِ ٱللّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ جَبْهَةِ ٱلأَنْصَارِ[3] وَسَنَامِ ٱلْعَرَبِ .

---

(١) قال ابن أبي الحديد : وقد أورد في هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه : نحو كلامه عليه السلام لشريح القاضي لما اشترى دارا ، وكلامه لشريح بن هانىء لما جعله على مقدمته إلى الشام اه.

(٢) قال ابن أبي الحديد : وسمي ما يكتب للولاة عهداً اشتقاقاً من قولهم « عهدت إلى فلان » أي : اوصيته .

(٣) شبههم بالجبهة من حيث الكرم ، وبالسنام من حيث الرفعة ، وقال ابن أبي الحديد : قوله « جبهة الأنصار » يمكن أن يريد به جماعة الأنصار ؛ فإن الجبهة في اللغة الجماعة ، ويمكن أن يريد به سادة الأنصار ، لأن جبهة الانسان أعلى اعضائه ، وليس يريد بالأنصار ههنا الأوس والخزرج ، بل الأنصار ههنا الأعوان ، وقوله « وسنام العرب » أي أهل الرفعة والعلو منهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير اه.

أَمَّا بَعدُ ؛ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ ؛ إِنَّ ٱلنَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ[1] وَأُقِلُّ عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ ٱلْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا ٱلْعَنِيفُ ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ[2] ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي ٱلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ ٱلْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا[3] ، وَجَاشَتْ جَيْشَ ٱلْمِرْجَلِ ، وَقَامَتِ ٱلْفِتْنَةُ عَلَىٰ ٱلْقُطْبِ ؛ فَأَسْرِعُوا إِلَىٰ أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

---

(١) استعتابه : استرضاؤه ، والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل سريع وجملة « أهون سيرهما الوجيف » خبر « كان » أي : إنهما سارعا لاثارة الفتنة عليه والحداء : زجر الأبل وسوقها .

(٢) قيل : إن أم المؤمنين أخرجت نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقميصه من تحت ستارها ، وعثمان رضي الله عنه على المنبر ، وقالت هذان نعلا رسول الله وقميصه لم تبل ، وقد بدلت من دينه وغيرت من سنته وجرى بينهما كلام المخاشنة ، فقالت : اقتلوا نعثلاً ، تشبهه برجل معروف « فأتيح » أي قدر له قوم فقتلوه .

(٣) دار الهجرة : المدينة ، وقلع المكان بأهله : نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم وجاشت : غلت ، والجيش : الغليان والمرجل ـ كمنبر ـ : القدر ، أي : فعليكم أن تقتدوا بأهل دار الهجرة فقد خرجوا جميعاً لقتال اهل الفتنة . القطب : هو نفس الامام قامت عليه فتنة اصحاب الجمل .

٢ **ومن كتاب له عليه السلام**

إِلَيْهِمْ ، بَعْدَ فَتْحِ ٱلبَصْرَة

وَجَـزَاكُمُ ٱللّٰهُ مِنْ أَهْـلِ مِصْـرٍ(١) عَنْ أَهْـلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَـا يَجْزِي ٱلْعَـامِلِينَ(٢) بِطَاعَتِـه ، وَٱلشَّاكِـرِينَ لِنِعْمَتِـهِ ؛ فَقَـدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

٣ **ومن كتاب له عليه السلام**

لِشُرَيْحِ بنِ ٱلحَارِثِ(٣) قاضِيهِ

رُوِيَ أَنَّ شريحَ بنَ الحارثَ قاضيَ أميـرِ المؤمنينَ عليه السَّـلامُ

---

(١) قال ابن أبي الحديد : موضع قوله « من أهل مصـر » نصب على التمييـز ، ويجـوز ان يكون حالاً ، فـإن قلت كيف يكون تمييـزاً وتقديـره : وجزاكم الله متمـدنين أحسن ما يجـزي المطيـع ، والتمييـز لا يكـون إلا جـامـداً ؟ قلت : إنهم أجـازوا كـون التمييـز مشتقاً في قولهم « يا جارتا ما أنت جارة » وقولهم « يا سيداً ما أنت من سيد » اه.

(٢) قـال ابن أبي الحـديـد : و « مـا » يجـوز ان تكـون مصـدريـة ، أي : أحسن جـزاء العـاملين ، ويجوز ان تكـون بمعنى الذي، ويكون قد حـذف العائـد إلى الموصـول ، وتقـديره : أحسن الـذي يجزي بـه العاملين اه. قلت : وتقـديـره غيـر صحيـح ، فـإن العائد المجـرور بالحـرف لا يحذف إلا أن يكـون الموصـول قد جـربه والصـواب في تقديره : جزاكم الله أحسن ما يجزيه .

(٣) هو شريـح بن الحارث المنتجـع بن معاويـة بن جهم بن ثور ، الكنـدي ، وقيل : إنـه حليف لكنـدة من بني الرائش ، وقـال ابن الكلبي : ليس اسم أبيـه الحـارث ، وإنمـا هو شريح بن معاوية بن ثور ، وقال قوم : هـو شريـح بن هانيء وقـال قوم هـو شريـح

اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك ، فاستدعاه وقال له : بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً ، فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له :

يَا شُرَيْحُ ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ ، حَتَّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً[1] وَيُسْلِمَكَ إِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً ، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ٱبْتَعْتَ هٰذِهِ ٱلدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ ٱلثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ ٱلدُّنْيَا وَدَارَ ٱلآخِرَة ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا ٱشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلنُّسْخَةِ ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ ٱلدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ ؛ وَٱلنُّسْخَةُ :

هٰذَا مَا ٱشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ ، ٱشْتَرَىٰ مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ ٱلْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ ٱلْفَانِينَ ، وَخِطَّةِ ٱلْهَالِكِينَ[2] ، وَتَجْمَعُ هٰذِهِ ٱلدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ : ٱلْحَدُّ ٱلأَوَّلُ :

= ابن شراحيل ، والصحيح ما قدمناه أولاً : استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع فيها من القضاء ، ثم استعفى الحجاج من العمل فأعفاه ولزم داره إلى أن مات .

(١) ذاهباً مبعداً . وتقول « شخص » « من بلد إلى بلد » إذا ذهب ، وبابه خضع وأشخصه غيره .

(٢) خطة ـ بكسر الخاء ـ هي في الأصل الأرض التي يختطها الانسان لنفسه ، أي : يعلم عليها علامة بالخط ليعمرها .

يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الآفَـاتِ ، وَالْـحَـدُّ الثَّـانـي يَنْـتَهِـي إِلَىٰ دَوَاعِـي ٱلْمُصِيبَاتِ ، وَٱلْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَىٰ ٱلْهَوَىٰ ٱلْمُرْدِي ، وَٱلْحَدُّ الـرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَىٰ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْمُغْوِي ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ ٱلدَّارِ[1] .

ٱشْتَرَىٰ هٰذَا ٱلْمُغْتَرُّ بِٱلأَمَلِ ، مِنْ هٰذَا ٱلْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ ، هٰذِهِ ٱلدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ ٱلْقَنَاعَةِ ، وَٱلدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَٱلضَّرَاعَةِ ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا ٱلْمُشْتَرِي فِيمَا ٱشْتَرَىٰ مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ ٱلْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ ٱلْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ عَلَىٰ ٱلْمَالِ فَأَكْثَرَ ، وَمَنْ بَنَىٰ وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَٱدَّخَرَ وَٱعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَىٰ مَوْقِفِ ٱلْعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ ، إِذَا وَقَعَ ٱلأَمْرُ بِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ شَهِدَ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٱلْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ ٱلْهَوَىٰ ، وَسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ ٱلدُّنْيَا .

٤ ومن كتاب له عليه السلام

إِلى بَعْضِ أُمَراءِ جَيْشِهِ

فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ ٱلطَّاعَةِ فَذٰلِكَ ٱلَّذِي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوَافَتِ

---

(١) « يشرع » أي : يفتح في الحد الرابع .

ٱلْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَىٰ ٱلشِّقَاقِ وَٱلْعِصْيَانِ فَٱنْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ ، وَٱسْتَغْنِ بِمَنِ ٱنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ ٱلْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَىٰ مِنْ نُهُوضِهِ .

٥ ومن كتاب له عليه السلام

إلى ٱلأَشْعَث بن قَيْسٍ ، وهو عاملُ أَذْرِبيجَان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ .

لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ ، وَٱلسَّلَامُ .

٦ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعَاوِيَةَ

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، عَلَىٰ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا ٱلشُّورَىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ . فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضاً ؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ

بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ : فَإِنْ أَبَىٰ قَاتَلُوهُ عَلَىٰ ٱتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ ٱللَّهُ مَا تَوَلَّىٰ .

وَلَعَمْرِي ، يَا مُعَاوِيَةُ ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ ٱلنَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّىٰ(١) فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ؛ وَٱلسَّلَامُ .

٧ ومن كتاب له عليه السلام

إِلَيْه أَيضاً

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ(٢) ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ! وَكِتَابُ ٱمْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ؛ قَدْ دَعَاهُ ٱلْهَوَىٰ فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ ٱلضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَاغِطاً وَضَلَّ خَابِطاً .

منه : لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّىٰ فِيهَا ٱلنَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا ٱلْخِيَارُ ؛ ٱلْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَٱلْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

---

(١) تجنى ـ كتولى ـ : ادعى الجناية على من لم يفعلها ، و « تجن ما بدا لك » أي : تستره وتخفيه .

(٢) موصلة ـ بصيغة المفعول ـ : ملفقة من كلام مختلف ، وصل بعضه ببعض على التباين ، كالثوب المرقع ، و « محبرة » أي : مزينة ، ونمقتها : حسنت كتابتها ، وأمضيتها : أنفذتها وبعثتها ، و « كتاب » عطف على « موعظة » .

٨ ومن كتاب له عليه السلام

إلى جَريرِ بنِ عبدِاللهِ البَجَلِيِّ ، لمَّا أُرسَلَهُ إلى مُعاوِيَةَ

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فاحْمِلْ مُعَاوِيَـةَ عَلَىٰ ٱلْفَصْلِ ، وَخُـذْهُ بِٱلْأَمْرِ ٱلْجَزْمِ ؛ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْـزِيَةٍ ؛ فَـإِنِ ٱخْتَـارَ ٱلْحَـرْبَ فَـٱنْبِـذْ إِلَيْـهِ ، وَإِنِ ٱخْتَـارَ ٱلسِّلْمَ فَخُـذْ بَيْعَتَـهُ ، وَٱلسَّلَامُ .

٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعاوِيَةَ

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَٱجْتِيَاحَ أَصْلِنَا(١) وَهَمُّوا بِنَـا ٱلْهُمُومَ ، وَفَعَلُوا بِنَـا ٱلْأَفَـاعِيـلَ ، وَمَنَعُـونَـا ٱلْعَـذْبَ ، وَأَحْلَسُـونَـا ٱلْخَـوْفَ ، وَٱضْطَرُّونَا إِلَىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ ، وَأَوْقَـدُوا لَنَا نَـارَ ٱلْحَرْبِ ، فَعَـزَمَ ٱللَّهُ لَنَا

---

(١) يحكي معاملة قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول البعثة ، والاجتياح : الاستئصال والإهلاك و « هموا الهموم » : قصدوا نزولها ، والأفاعيل : جمع أفعولة ، وهي الفعلة الرديئة ، والعذب : هني العيش ، وأحلسونا : ألزمونا ، واضطرونا : ألجأونا ، والجبل الوعر : الصعب الذي لا يرقى إليه ، كناية عن مضايقة قريش لشعب أبي طالب حيث جاهروهم بالعداوة وحلفوا لا يزوجونهم ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم وكتبوا على ذلك عهدهم عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

عَلَىٰ الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِـه[1] ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُـرْمَتِهِ : مُـؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ ٱلأَجْرَ ، وَكَافِرُنَا يُحَـامِي عَنِ ٱلأَصْلِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُـرَيْشٍ خِلْـوٌ مِمَّـا نَحْنُ فِيـهِ بِحِلفٍ يَمْنَعُـهُ أَوْ عَشِيـرَةٍ تَقُـومُ دُونَـهُ فَهُـوَ مِنَ ٱلْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ[2] .

وَكَـانَ رَسُـولُ الله ، صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّم ، إِذَا ٱحْمَـرَّ ٱلْبَـأْسُ[3] ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَـدَّمَ أَهْلَ بَيْتِـهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَـابَـهُ حَـرَّ ٱلأَسِنَّةِ وَٱلسُّيُوفِ ، فَقُتِـلَ عُبَيْدَةُ بْنُ ٱلْحَـارِث يَوْمَ بَـدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْـزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِـلَ جَعْفَرٌ يَـوْم مُؤْتَةَ ، وَأَرَادَ مَنْ لَـوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ ٱسْمَـهُ مِثْـلَ ٱلَّـذِي أَرَادُوا مِنَ ٱلشَّهَـادَةِ وَلٰـكِنْ آجَـالُهُمْ عُجِّلَتْ ، وَمَنِيَّتُـهُ أُجِّلَتْ ، فَيَـا عَجَباً لِلدَّهْـرِ إِذْ صِـرْتُ يُقْـرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْـعَ بِقَـدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَـهُ كَسَابِقَتِي ، الَّتِي لاَ يُـدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَـا إِلاَّ أَنْ يَـدَّعِيَ مُـدَّعٍ مَا لاَ أَعْـرِفُـهُ ، وَلاَ أَظُنُّ ٱللّهَ يَعْـرِفُـه ، وَٱلْحَمْـدُ لِلّهِ عَلَىٰ كُـلِّ حَالٍ .

---

(١) عزم الله : أراد لنا أن نذب عن حوزته ، والمراد من الحوزة هنا : الشريعة الحقة ، ورمى من وراء الحرمة : جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أو هي من ورائه .

(٢) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على أنفسهم : إما بتحالفهم مع بعض القبائل ، أو بالاستناد إلى عشائرهم .

(٣) احمرار البأس : اشتداد القتال ، والوصف لما يسيل فيه من الدماء . وحر الأسنة ـ بفتح الحاء ـ : شدة وقعها .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا ٱلأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلاَ إِلَىٰ غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ ، وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوؤُكَ وِجْدَانُهُ ، وَزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ وَالسَّلاَمُ لأَهْلِهِ .

١٠ ومن كتاب له عليه السلام

إليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا ؛ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتْكَ فَٱتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا . وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَٱقْعَسْ عَنْ هٰذَا ٱلأَمْرِ ، وَخُذْ أُهْبَةَ ٱلْحِسَابِ ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلاَ تُمَكِّنِ ٱلْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ؛ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ ٱلشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَىٰ ٱلرُّوحِ وَالدَّمِ .

وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلاَةَ أَمْرِ ٱلأُمَّةِ ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ، وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ ؛ وَنَعُوذُ بِٱللّٰهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ ! وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ ٱلأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ ٱلْعَلاَنِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَىٰ ٱلْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانباً وَٱخْرُجْ إِلَيَّ ، وَٱعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَٱلْمُغَطَّىٰ عَلَىٰ بَصَرِهِ ، فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي ، وَبِذٰلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَىٰ عَدُوِّي ! مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلَا ٱسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا ؛ وَإِنِّي لَعَلَىٰ ٱلْمِنْهَاجِ ٱلَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَٱطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ ٱلْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ ٱلْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ ٱلْمُتَتَابِعِ ، وَٱلْقَضَاءِ ٱلْوَاقِعِ ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ـ إِلَىٰ كِتَابِ ٱللّٰهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ .

١١ ومن وصية له عليه السلام

وصّى بها جَيْشاً بَعَثَهُ إلى العَدُوّ

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ ٱلأَشْرَافِ[1] وَسِفَاحِ ٱلْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ ٱلأَنْهَارِ ؛ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدًّا ، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ ٱثْنَيْنِ ،

---

(١) « قبل الأشراف » قدام الجبال ، والأشراف : جمع شرف ـ محركة ـ وهو : العلو =

وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ(١) وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ ؛ لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ ، وَعُيُونَ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَٱرْتَحِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمُ ٱللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً(٢) وَلاَ تَذُوقُوا ٱلنَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً .

١٢ ومن وصية له عليه السلام

لِمَعْقِلِ بنِ قَيْسٍ الرِّيَاحِيّ حينَ أنفذَهُ إلى الشَّامِ في ثلاثَةِ آلافٍ مقدِّمةً له :

إِتَّقِ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلاَ مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ ، وَلاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ ، وَسِرِ ٱلْبَرْدَيْنِ(٣) وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ ، وَرَفِّهْ فِي ٱلسَّيْرِ ، وَلاَ تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ(٤) فَإِنَّ ٱللّٰهَ جَعَلَهُ سَكَناً ، وَقَدَّرَهُ

= والعالي ، وسفاح الجبال : أسفلها ، والأثناء : منعطفات الأنهار ، والردء ـ بكسر فسكون ـ العون ، والمرد ـ بتشديد الدال ـ مكان الرد والدفع .

(١) صياصي : أعالي ، والمناكب : المرتفعات ، والهضاب : جمع هضبة ـ بفتح فسكون ـ : الجبل لا يرتفع عن الأرض كثيراً مع انبساط في أعلاه .

(٢) مثل كفة الميزان ، فانصبوها مستديرة حولكم محيطة بكم كأنها كفة الميزان ، والغرار ـ بكسر الغين ـ : النوم الخفيف ، والمضمضة : أن ينام ثم يستيقظ ثم ينام ، تشبهاً بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجه .

(٣) الغداة والعشي .

(٤) و « غور » أي : انزل بهم في الغائرة ، وهي القائلة . ونصف النهار ، أي : وقت شدة الحر ، « ورفه » أي : هون ولا تتعب نفسك ولا دابتك ، والظعن : السفر .

مُقاماً لاَ ظَعْناً ، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ ٱلْفَجْرُ ؛ فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ ٱللّٰهِ ، فَإِذَا لَقِيتَ ٱلْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً ، وَلاَ تَدْنُ مِنَ ٱلْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ ٱلْحَرْبَ ، وَلاَ تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ ٱلْبَأْسَ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَٱلإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

١٣ ومن كتاب له عليه السلام

إلى اميرَيْنِ من أمراءِ جيْشِهِ

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَىٰ مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا ، وَٱجْعَلاَهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً ؛ فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ ، وَلاَ سَقْطَتُهُ ، وَلاَ بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَلاَ إِسْرَاعُهُ إِلَىٰ مَا ٱلْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ .

١٤ ومن وصية له عليه السلام

لِعَسْكرِهِ قبلَ لِقاءِ ٱلْعدوِّ بصفّينَ

لاَ تُقَاتِلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأُوكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ ـ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ ـ عَلَىٰ حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللّٰهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً ، وَلاَ تُصِيبُوا

مُعْـوِراً[1] ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَـرِيحٍ ، وَلَا تَهِيجُـوا ٱلنِّسَـاءَ بِـأَذَىٰ ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْـرَاضَكُمْ ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ؛ فَـإِنَّهُنَّ ضَعِيفَـاتُ ٱلْقُـوَىٰ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُـقُـولِ ، إِنْ كُنَّـا لَنُـؤْمَـرُ بِـٱلْكَفِّ عَنْـهُنَّ وَإِنَّـهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ[2] وَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَـرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِٱلْفِهْـرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ[3] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

١٥ وكان عليه السلام يقول

إذَا لَقِيَ العدوُّ مُحارِباً :

الـلَّهُمَّ إِلَيْـكَ أَفْضَتِ ٱلْـقُـلُوبُ[4] وَمُـدَّتِ ٱلْأَعْـنَـاقُ ، وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ ٱلْأَبْدَانُ .

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنَآنِ ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ ٱلْأَضْغَانِ .

اللَّهُمَّ إِنَّـا نَشْكُـو إِلَيْـكَ غَيْبَـةَ نَبِيِّنَـا ، وَكَثْـرَةَ عَـدُوِّنَـا ، وَتَشَتُّتَ

---

(١) المعور ـ كمجرم ـ الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها ، و « أعور » أي : أبدى عورته ، وأجهز على الجريح : تمم أسباب موته .

(٢) هذا حكم الشريعة الاسلامية ، لا ما يتوهمه جاهلوها من إباحتها التعرض لأعراض الأعداء ، نعوذ بالله .

(٣) الفهر ـ بالكسر ـ : الحجر على مقدار ما يدق به الجوز أو يملأ الكف والهراوة ـ بالكسر ـ : العصا أو شبه الدبوس من الخشب ، و « عقبه » عطف على الضمير المستتر في « يعير » ، وقد وقع الفصل بالجار والمجرور وذلك كاف .

(٤) أفضت : انتهت ، ووصلت . وأنضيت : أبليت بالهزال والضعف في طاعتك .

أَهْـوَائِنَا ﴿ رَبَّنَـا ٱفْتَـحْ بَيْنَنَـا وَبَيْنَ قَـوْمِنَـا بِـٱلْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْـرُ ٱلْفَاتِحِينَ ﴾ .

١٦ وكان يقول عليه السلام

لأصحابه عند الحرب

لَا تَشْتَـدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَـرَّةٌ بَعْـدَهَـا كَـرَّةٌ(١) ، وَلَا جَـوْلَـةٌ بَعْـدَهَـا حَمْلَةٌ ، وَأَعْـطُوا السُّيُـوفَ حُقُـوقَهَـا ، وَوَطِّئُـوا لِلْجُنُـوبِ مَصَـارِعَهَـا وَٱذْمُـرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ ٱلطَّعْنِ ٱلـدَّعْسِيِّ(٢) ، وَٱلضَّرْبِ ٱلـطِّلَحْفِي . وَأَمِيتُـوا ٱلأَصْوَاتَ فَـإِنَّهُ أَطْـرَدُ لِلْفَشَلِ ، فَـوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّـةَ ، وَبَـرَأَ ٱلنَّسَمَـةَ ، مَـا أَسْلَمُـوا ، وَلٰكِنِ ٱسْتَسْلَمُـوا ، وَأَسَـرُّوا ٱلْكُفْـرَ ، فَلَمَّـا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

---

(١) لا يشق عليكم الأمر إذا انهزمتم متى عـدتم للكرة ، ولا تثقـل عليكم الدورة من وجـه العدو إذا كانت بعدها حملة وهجوم عليه .

(٢) الدعسي : اسم من الدعس ، أي : الـطعن الشـديـد ، وتقول : دعست الـوعاء ـ من باب منع ـ إذا حشوته ، أي : الطعن الذي يحشى بـه اجواف الأعـداء وذكر أن الـلام زائـدة ، والضبطان صحيحـان ، وقـال في القـامـوس : كبـرطيـل وسمنـد وجـردحـل وسبحـل وحبـركى وقـرطـاس ، أي : ضـربـاً شـديـداً . . . والـلام أصلية لـذكـرهم الطلحفي في باب فعلي مع حبركى ، ووهم الجوهري اهـ/ : أشد الضرب . وإماتة الأصوات : انقطاعها بالسكـوت ، وانما أمـرهم بامـاتة الأصـوات لأن شدة الضـوضاء في الحرب امارة الخوف والوجل والاضطراب .

١٧ **ومن كتاب له عليه السلام**

إلى مُعَاوِيَةَ ، جَواباً عن كتابٍ منهُ إليْهِ

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ[١] ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ ٱلْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ : « إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ » أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَىٰ ٱلنَّارِ . وَأَمَّا ٱسْتِوَاؤُنَا فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ عَلَىٰ الشَّكِّ مِنِّي عَلَىٰ ٱلْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَىٰ الآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : « إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ » فَكَذٰلِكَ نَحْنُ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ، وَلَا المُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ[٢] ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ، وَلَا ٱلْمُحِقُّ كَٱلْمُبْطِلِ ، وَلَا

---

(١) كتب معاوية إلى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس ، جمع حشاشة ـ بالضم ـ : وهي بقية الروح ويخوفه باستواء العدد في رجال الفريقين ، ويفتخر بأنه من أمية وهو وهاشم من شجرة واحدة ، فأجابه أمير المؤمنين بما ترى . ويقال طلبت إلى فلان كذا ، والتقدير كذا راغباً إلى فلان ، كما قال تعالى :﴿ في تسع آيات إلى فرعون ﴾ أي : مرسلاً إليه ، وقوله « ألا ومن أكله الحق فالى الجنة » هكذا هو الذي عرضه لأكل الباطل إياه ، فنسب الأكل إليه تجوزا ، وجعله ابن أبي الحديد بتقدير « من أكله اعداء الحق » وفي بعض النسخ « من اكله الحق فالى النار » ولا تجوز .

(٢) الطليق : الذي أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية ، وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح ، والمهاجر : من آمن في المخافة وهاجر تخلصاً منها ، والصريح : صحيح النسب في ذوي الحسب ، واللصيق : من ينتمي إليهم وهو =

ٱلْمُـؤْمِنُ كَالمُـدْغِلِ ، وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَـلَـفٌ يَتْبَعُ سَلَفـاً هَـوَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْـدُ فَضْلُ ٱلنُّبُـوَّةِ ٱلَّتِي أَذْلَلْنا بِهَـا ٱلْعَزِيـزَ ، وَنَعَشْنَا بِهَا ٱلذَّلِيلَ(٢) . وَلَمَّا أَدْخَـلَ اللّٰهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِـهِ أَفْوَاجـاً ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةُ طَوْعـاً وَكَرْهـاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي ٱلـدِّينِ إِمَّا رَغْبَـةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَىٰ حِينِ فَـازَ أَهْـلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ ٱلْمُهَـاجِـرُونَ ٱلأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ للشَّيْـطَانِ فِيكَ نَصِيبـاً ، وَلَا عَلَىٰ نَفْسِكَ سَبِيلاً ، والسَّلَام .

١٨ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عَبْدِالله بنِ عَبّاسٍ ، وهو عَامِلهُ عَلَى ٱلبصرَةِ(١)

ٱعْـلَمْ أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ ٱلْفِتَنِ(٢) فَحَـادِثْ أَهْلَهَا

= أجنبي عنهم ، والصـراحة والالتصـاق ههنا بـالنسبة إلى الـدين ؛ فالصـريح فيـه : من أسلم اعتقـاداً وإخـلاصـاً لـم يلجئـه إلى ذلك ملجـىء من خـوف أو نحـوه ، واللصيق فيـه : من أسلم تحت السيف أو رغبة في الـدنيا ، وقـد صرح بـذلك في قـوله « كنتم ممن دخـل في الدين إمـا رغبة وإمـا رهبـة » والمـدغـل : المفسـد ؛ وقـولـه « ولبئس الخلف خلفاً » فان «خلفاً» ساقط من أكثر النسخ ، وذكـره من باب الجمـع بين فاعـل « نعم وبئس » والتمييز ، والجمهور على منعه : وأجازه المبـرد وجماعـة « ومثله : نعم ، الفتاة هند لو بذلت » وكثير من أمثاله .

(١) كـان عبدالله بن عبـاس قد اشتـد على بني تميم ؛ لأنهم كانـوا مع طلحـة والزبيـر يوم الجمل : فأقصى كثيراً منهم ، فعظم على بعضهم من شيعة الامام ،فشكا له .

(٢) « مهبط » مـوضع هبـوطه . و « معـرس » يروى بـالغين المعجمة من الغـرس ، أي : =

بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ ٱلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ(١) .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ بِبَنِي تَمِيمٍ(٢) وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ(٣) ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا لِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً ، وَقَرَابَةً خَاصَّةً ، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَىٰ صِلَتِهَا ، وَمَأْزُورُونَ عَلَىٰ قَطِيعَتِهَا ، فَأَرْبَعْ(٤) أَبَا ٱلْعَبَّاسِ ، رَحِمَكَ ٱللَّهُ ، فِيمَا جَرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ ، وَالسَّلَامُ .

= موضع غرس الفتن ، ويروى « بميم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فراء مشددة ، من التعريس ، وهو نزول القوم ليلاً للاستراحة ، والمعرس : مكان ذلك .

(١) « حادث أهلها » أي : تعهدهم بالاحسان من قولك « حادثت السيف بالصقال » .

(٢) « تنمرك » أي : تنكر أخلاقك .

(٣) غيبوبة النجم : كناية عن الضعف ، وطلوعه : كناية عن القوة ، والوغم ـ بفتح فسكون ـ : الحرب والحقد ، والثأر ، أي : لم يسبقهم احد في البأس ، وكان بين بني تميم وهاشم مصاهرة ، وهي تستلزم القرابة بالنسل .

(٤) أربع : ارفق وقف عند حد ما تعرف ، وتقول : اربع عليك ، وأربع على نفسك ، وأربع على ظلعك ـ كل ذلك من باب منع ـ أي : قف وانتظر ولا تزد على ذلك . يريد عليه السلام أمره بالتثبت في جميع ما يعتمده فعلاً وقولاً من خير وشر والا يعجل به لأنه شريكه فيه ؛ فانه عامله ونائب عنه . وقوله « كن عند صالح ظني فيك » معناه كن واقفاً عنده كأنك تشاهده فتمنعك مشاهدته من فعل ما لا يجوز ، وفال رأيه : ضعف .

١٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى بَعْضِ عُمّالِهِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً وَاحْتِقَارًا وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ وَلاَ أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالإِدْنَاءِ ، وَالإِبْعَادِ وَالإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٢٠ ومن كتاب له عليه السلام

إلىٰ زيادِ بنِ أبيهِ ، وهُوَ خليفَةُ عامِله عبدِالله بنِ عبَّاسٍ عَلى البصرَةَ ، وعبدُالله عاملُ أميرِ المؤمنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ يومئذٍ عليها وعلى كُورِ الأَهوازِ وفارسَ وكَرْمان .

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ ، ضَئِيلَ الأَمْرِ ، وَالسَّلاَمُ .

٣١ ومن كتاب له عليه السلام

إِلَيْهِ أَيْضاً

فَدَعِ ٱلإِسْرَافَ مُقْتَصِداً ، وَٱذْكُرْ فِي ٱلْيَوْمِ غَداً ، وَأَمْسِكْ مِنَ ٱلْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ أَجْرَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ ، وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَٱلأَرْمَلَةَ ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ ٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ ، وَالسَّلَامُ .

٣٢ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبدالله بن العبّاس رحمه الله

وكَانَ ابن العباسِ يقول : مَا آنتفعتُ بِكلامٍ بعدَ كلامِ رسول الله كآنتفاعي بهذا آلكَلامِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ(١) ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ

---

(١) قد يسر الإنسان بشيء وقد حتم في قضاء الله أنه له ، ويحزن بفوات شيء محتوم عليه أن يفوته ، والمقطوع بحصوله لا يصح الفرح به ، كالمقطوع بفواته لا يصح الحزن له ، لعدم الفائدة في الثاني ، ونفي الغائلة في الأول . و« لا تأس » أي لا تحزن .

آخِـرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسَفُـكَ عَلَىٰ مَا فَـاتَكَ مِنْهَـا ، وَمَـا نِلْتَ مِنْ دُنْيَـاكَ فَـلاَ تُكْثِرْ بِـهِ فَرَحـاً ، وَمَا فَـاتَكَ مِنْهَـا فَلاَ تَـأْسَ عَلَيْهِ جَـزَعاً ؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

٢٣ ومن كلام له عليه السلام

قَالَ قبلَ مَوْتِهِ على سبيلِ الوصيَّةِ لمَّا ضَرَبَهُ ابنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لاَ تُشْـرِكُـوا بِـاللّهِ شَيْئـاً ؛ وَمُحَمَّـدٌ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ[١] فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَـهُ : أَقِيمُوا هٰـذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ[٢] .

أَنَا بِالأَمْسِ صَـاحِبُكُمْ ، وَٱلْيَوْمَ عِبْـرَةٌ لَكُمْ ؛ وَغَداً مُفَـارِقُكُمْ . إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَ فَٱلْفَنَاءُ مِيعَـادِي ؛ وَإِنْ أَعْفُ فَٱلْعَفْـوُ لِي قُـرْبَةٌ ، وَهُـوَ لَكُمْ حَسَنَـةٌ ؛ فَـاعْفُـوا ﴿ **أَلاَ تُحِبُّـونَ أَنْ يَغْفِـرَ ٱللّهُ لَكُمْ** ﴾ ؟

وَٱللّهِ مَا فَجَئَنِي مِنَ ٱلْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُـهُ ؛ وَلاَ طَالِـعٌ أَنْكَرْتُـهُ ؛ وَمَـا كُنْتُ إِلاَّ كَقَـارِبٍ وَرَدَ ، وَطَالِبٍ وَجَـدَ ﴿ **وَمَـا عِنْـدَ ٱللّهِ خَيْـرٌ لِلأَبْرَارِ** ﴾ .

---

(١) « ومحمد » عطف على « أن لا تشركوا » مرفوع .

(٢) « خلاكم ذم » أي : عداكم الذم ، والمراد جاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية .

قال الرضي : أقول : وقد مضى بعضُ هذا الكلامِ فيمـا تقدَّمَ مِن آلخطبِ ، إلاَّ أنَّ فيه ههنا زيادةً أَوْجبتْ تكريرَه .

٢٤ ومن وصية له عليه السلام

بما يُعملُ في أَموالهِ ، كَتَبها بَعدَ منصرَفِهِ من صِفِّينَ

هٰذَا مَا أَمَـرَ بِهِ عَبْـدُ آللّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِـبٍ أَمِيـرُ آلْمُؤْمِنِيـنَ فِي مَالِهِ آبْتِغَاءَ وَجْهِ آللّهِ ، لِيولِجَهُ بِهِ آلْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ آلأَمَنَةَ .

منهـا : وَإِنَّـهُ يَقُـومُ بِـذٰلِـكَ آلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : يَـأْكُـلُ مِنْـهُ بِـآلْمَعْـرُوفِ ، وَيُنْفِقُ فِي آلْمَعْـرُوفِ ؛ فَـإِنْ حَـدَثَ بِحَسَنٍ حَـدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِآلأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ .

وَإِنَّ لِبَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ آلَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ ؛ وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ آلْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَىٰ آبْنَيْ فَاطِمَةَ آبْتِغَاءَ وَجْهِ آللّهِ ، وَقُرْبَةً إِلَىٰ رَسُولِ آللّهِ ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ(١) .

وَيَشْتَـرِطُ(٢) عَلَىٰ آلَّـذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْـهِ أَنْ يَتْـرُكَ آلْمَـالَ عَلَىٰ أُصُـولِهِ ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَـرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِـهِ وَهُدِيَ لَـهُ ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ

---

(١) الوصلة ـ بالضم ـ : الصلة ، وهي هنا القرابة .

(٢) ضمير الفعل إلى علي أو الحسن ، و « الذي يجعله إليه » : هو من يتولى المال بعد علي أو الحسن بوصيته ، و « ترك المال على أصوله » : ألا يباع منه شيء ، ولا يقطع منه غرس .

أَوْلَادِ نَخِيلِ هٰذِهِ ٱلْقُرَىٰ وَدِيَّةً[1] حَتَّىٰ تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً .

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَىٰ وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ : قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرِّقُّ ، وَحَرَّرَهَا ٱلْعِتْقُ .

قال الرضي : قولهُ عليهِ السَّلامُ في هذهِ الوصيّةِ « أنْ لا يبيعَ من نَخْلِهَا وَدِيَّةً » : الوَدِيَّةُ : الفَسيلَةُ ، وجمعها وَدِيٌّ ، وقوله عليه السَّلام : « حتى تُشكِلَ أرضُها غِراساً » هو من أفصحِ الكَلامِ ، والمرادُ به أن الأرضَ يكثُرُ فيها غِراسُ النَّخْلِ حتّى يراها الناظرُ على غير تلكَ الصِّفةِ التي عرَفَها بها فيُشكلُ أمرُها عَلَيْهِ ويحسبُها غيرَها .

٢٥ ومن وصية له عليه السلام

كان يكتبُها لِمَن يستعملُه على الصّدقاتِ ، وإنّما ذكْرنا هُنا جُمَلاً منها لِيُعلمَ بها أنّه كانَ يقيمُ عِمادَ الحقِّ ، وَيَشْرَعُ أمثلةَ العدلِ : في صَغيرِ الأُمورِ وكبيرِها ، ودقيقِها وجليلِها .

ٱنْطَلِقْ عَلَىٰ تَقْوَىٰ ٱللّٰهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً ؛ وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ ٱللّٰهِ

---

(١) الودية ـ كهدية ـ : واحدة الودى ، أي : صغار النخل ، وهو هنا الفسيل والسر في النهي أن النخلة في صغرها لم يستحكم جذعها في الأرض فقلع فسيلها يضرّ بها .

فِي مَـالِـهِ ؛ فَـإِذَا قَـدِمْتَ عَلَىٰ ٱلْحَيِّ فَـٱنْـزِلْ بِمَـائِهِمْ ، مِنْ غَيْـرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ؛ ثُمَّ ٱمْضِ إِلَيهِمْ بِـالسَّكِينَةِ وَٱلْـوَقَارِ حَتَّىٰ تَقُـومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ؛ وَلاَ تُخْـدِجْ بِـٱلتَّحِيَّـةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُـولَ : عِبَـادَ ٱللّهِ ، أَرْسَلَنِي إِلَـيْكُـمْ وَلِيُّ ٱلـلّهِ وَخَلِيـفَتُـهُ لآخُـذَ مِـنْكُـمْ حَقَّ ٱلـلّهِ فِي أَمْـوَالِكُمْ ؛ فَهَلْ لِلّهِ فِي أَمْـوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَىٰ وَلِيِّـهِ؟ فَإِنْ قَـالَ قَائِلٌ : لاَ ! فَلاَ تُرَاجِعْـهُ وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ[1] فَـٱنْطَلِقْ مَعَـهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وَتُوعِدَهُ ، أَوْ تَعْسِفَه ، أَوْ تُرْهِقَهُ! فَخُـذْ مَا أَعْـطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّـةٍ ؛ فَإِنْ كَـانَ لَهُ مَـاشِيَةٌ أَوْ إِبِـلٌ فَلاَ تَـدْخُلْهَا إِلاَّ بِـإِذْنِـهِ ؛ فَـإِنَّ أَكْثَـرَهَا لَـهُ ؛ فَإِذَا أَتَيْتَهَـا فَلاَ تَـدْخُـلْ عَلَيْهَـا دُخُـولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْـهِ وَلاَ عَنِيفٍ بِهِ ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلاَ تُفْزِعَنَّهَـا ، وَلاَ تَسُوءَنَّ صَـاحِبَهَا فِيهَـا وَٱصْـدَعِ ٱلْمَالَ صَـدْعَيْنِ[2] ثُمَّ خَيِّرْهُ : فَـإِذَا ٱخْتَارَ فَـلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَـا ٱخْتَـارَهُ ، ثُمَّ ٱصْدَعِ ٱلْبَـاقِي صَدْعَيْنِ ، ثُمَّ خَيِّـرْهُ : فَـإِذَا ٱخْتَـارَ فَـلاَ تَعَرَّضَنَّ لِما ٱخْتَـارَهُ ، فَلاَ تَـزَالُ كَذٰلِـكَ حَتَّىٰ يَبْقَىٰ مَا فِيـهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ ٱللّهِ فِي مَالِهِ ، فَـٱقْبِضْ حَقَّ ٱللّهِ مِنْهُ فَـإِنِ ٱسْتَقَـالَـكَ فَـأَقِلْهُ[3] ، ثُمَّ ٱخْلِطْهُمَـا ، ثُمَّ ٱصْنَعْ مِثْـلَ ٱلَّـذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّىٰ تَـأْخُـذَ حَقَّ ٱللّهِ فِي مَـالِـهِ . وَلاَ تَـأْخُـذَنَّ عَـوْداً[4] وَلاَ هَـرِمَـةً ، وَلاَ مَكْسُـورَةً ، وَلاَ

(١) « انعم لك منعم » أي : قال لك « نعم » أو تعسفه : تـأخذه بشـدة ، وترهقـه : تكلفه ما يصعب عليه .

(٢) أي : اقسمه قسمين ، ثم خير صاحب المال في أيهما .

(٣) أي : فان ظن في نفسه سوء الاختيار ، وأن ما اخذت منه الزكاة أكرم مما في يده ، وطلب الاعفاء من هذه القسمة فأعفه منها ، واخلط ، وأعد القسمة .

(٤) العـود ـ بفتـح بسكـون ـ : المسنـة من الإبـل ، والهـرمـة : أسن من العـود ، =

مَهْلُوسَـةً ، وَلاَ ذَاتَ عَوَارٍ ، وَلاَ تَـأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِـدِينِهِ رَافِقـاً بِمَـالِ ٱلْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ يُوَصِّلَهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَـهُ بَيْنَهُمْ ، وَلاَ تُوَكِّـلْ بِهَـا إِلاَّ نَاصِحـاً شَفِيقـاً وَأَمِينـاً حَفِيـظاً ، غَيْـرَ مُعَنِّفٍ وَلاَ مُجْحِفٍ وَلاَ مُلْغِبٍ وَلاَ مُتْعِبٍ ، ثُمَّ احْـدُرْ إِلَيْنَا مَـا ٱجْتَمَـعَ عِنْـدَكَ ، نُصَيِّـرْهُ حَيْثُ أَمَرَ ٱللّٰهُ بِهِ. فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَـا وَلاَ يُمَصِّرَ لَبَنَهَـا فَيَضُرَّ ذٰلِـكَ بِوَلِيدِهَا وَلاَ يَجْهَـدَنَّهَا رُكُـوبـاً . وَلْيَعْـدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَـاتِهَا فِي ذٰلِـكَ وَبَيْنَهَا ، وَلْيُـرَفِّـهْ عَلَىٰ الـلاَّغِبِ ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَٱلظَّالِعِ ، وَلْيُـورِدْهَا مَـا تَمُرُّ بِـهِ مِنَ ٱلْغُدُرِ ، وَلاَ يَعْدِلْ بِهَـا عَنْ نَبْتِ ٱلأَرْضِ إِلَىٰ جَوَادِّ ٱلـطُّرُقِ ، وَلْيُرَوِّحْهَـا فِي السَّاعَـاتِ ، وَلْيُمْهِلْهَـا عِنْدَ ٱلنِّـطَافِ وَٱلأَعْشَابِ حَتَّىٰ تَـأْتِيَنَـا ، بِـإِذْنِ ٱللّٰهِ ، بُـدُنـاً مُنْقِيَاتٍ ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلاَ مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَـا عَلَىٰ كِتَابِ ٱللّٰهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّـهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ ؛ فَـإِنَّ ذٰلِـكَ أَعْـظَمُ لأَجْـرِكَ ، وَأَقْـرَبُ لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

٢٦ ومن عهد له عليه السلام

إلى بعضِ عُمّالِهِ ، وقدْ بعثَهُ على الصدَّقةِ

آمُـرُهُ بِتَقْـوَىٰ ٱللّٰهِ فِي سَـرَائِـرِ أَمْـرِهِ وَخَفِيَّـاتِ عَمَلِهِ ، حَيْثُ لاَ

= والمهلوسه : الضعيفة ، تقـول : هلسـه المـرض ، أي اضعفـه . والعـوار ـ بفتح العين ، وتضم ـ : العيب .

شَاهِدَ غَيْرُهُ ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ .

وَآمُرُهُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِشْيءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللّٰهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَىٰ غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ ؛ فَقَدْ أَدَّىٰ ٱلْأَمَانَةَ ، وَأَخْلَصَ ٱلْعِبَادَةَ .

وَآمُرُهُ أَنْ لَا يَجْبَهَهُمْ وَلَا يَعْضَهَهُمْ ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمُ ٱلإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ ، وَالْأَعْوَانُ عَلَىٰ ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْحُقُوقِ .

وَإِنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ ٱلصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً ، وَحَقّاً مَعْلُوماً ، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ ؛ وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ! وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللّٰهِ ٱلْفُقَرَاءُ ، وَٱلْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ ، وَٱلْمَدْفُوعُونَ ، وَالْغَارِمُونَ ، وَٱبْنُ السَّبِيلِ !! وَمَنِ ٱسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ ، وَرَتَعَ فِي ٱلْخِيَانَةِ ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا ؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ وَٱلْخِزْيَ فِي ٱلدُّنْيَا وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَىٰ . وَإِنَّ أَعْظَمَ ٱلْخِيَانَةِ خِيَانَةُ ٱلْأُمَّةِ ، وَأَفْظَعَ ٱلْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ ؛ وَالسَّلَامُ .

---

(١) جمع خزية ـ بفتح الخاء ـ أي : بلية ، والجمع بضم ففتح كنوبة ونوب .

٢٧ **ومن عهد له عليه السلام**

إلى مُحَمَّدِ بنِ أبي بَكْرٍ رَضيَ الله عنهُما حينَ قلَّدهُ مِصرَ

فَٱخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ (١) بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ ، حَتَّىٰ لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ ٱلصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَٱلْكَبِيرَةِ ، وَٱلظَّاهِرَةِ وَٱلْمَسْتُورَةِ : فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ .

وَٱعْلَمُوا ، عِبَادَ ٱللَّهِ أَنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ ٱلدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ ، فَحَظُوا منَ ٱلدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ ٱلْمُتْرَفُونَ(٢) وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ . ثُمَّ ٱنْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ ٱلْمُبَلِّغِ ، وَٱلْمَتْجَرِ الرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ ٱلدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ

---

(١) آس : أمر من « آسى » بمد الهمزة ـ أي : سَوّى ، يريد اجعل بعضهم أسوة بعض ، أي : مستوين ، و « حيفك لهم » أي ظلمك لأجلهم . يطمعون في ذلك إذا خصصتهم بشيء من الرعاية .

(٢) المترفون المنعمون ، فان المتقي يؤدي حق الله وحقوق العباد ويتلذذ مما آتاه الله من النعمة ، وينفق ماله فيما يرفع شأنه ويعلي كلمته فيعيش سعيداً مترفاً ، كما عاش الجبابرة ، ثم ينقلب بالزاد ـ وهو الأجر ـ الذي يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتها الصحيحة فيما اوتي من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهداً في الدنيا وهي مغدقة عليه .

جِيرَانُ آللّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ ، فَآحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ آلْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ : بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً ، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً ! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَىٰ آلْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَىٰ النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا(١) ؟ وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ آلْمَوْتِ ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ . آلْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ(٢) ، وَآلدُّنْيَا تُطْوَىٰ مِنْ خَلْفِكُمْ ، فَآحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ: دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ . وَإِنِ آسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ آللّهِ ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ : فَآجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ آلْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَىٰ قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ(٣) ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِآللّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلّهِ .

وَآعْلَمْ ، يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي . أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَىٰ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ

---

(١) استفهام بمعنى النفي ، أي : لا أقرب إلى الجنة ممن يعمل لها الخ .

(٢) النواصي : جمع ناصية وهي مقدم شعر الرأس .

(٣) فان من خاف ربه عمل لطاعته ، وانتهى عن معصيته ، فرجا ثوابه ، بخلاف من لم يخفه ، فان رجاءه يكون طمعاً في غير مطمع ، نعوذ بالله منه .

الـدَّهْرِ ، وَلاَ تُسْخِطِ ٱللّهَ بِـرِضَا أَحَـدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، فَـإِنَّ فِي ٱللّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ مِنَ ٱللّهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَـلِّ الصَّلاَةَ لِـوَقْتِهَا ٱلْمُؤَقَّتِ لَهَـا ، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَـا لِفَرَاغٍ ، وَلاَ تُؤَخِّـرْهَـا عَنْ وَقْتِهَـا لاِشْتِغَـالٍ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ كُـلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ .

ومنـه : فَـإِنَّـهُ لاَ سَـوَاءٌ ، إِمَـامُ ٱلْهُـدَىٰ وَإِمَـامُ الـرَّدَىٰ ، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ ، وَعَـدُوُّ النَّبِيِّ . وَلَقَـدْ قَـالَ لِي رَسُـولُ ٱللّهِ صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ: «إِنِّي لاَ أَخَـافُ عَلَىٰ أُمَّتِي مُـؤْمِنـاً وَلاَ مُشْـرِكـاً . أَمَّـا ٱلْمُـؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ ٱللّهُ بِإِيمانِهِ ، وَأَما ٱلْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُـهُ ٱللّهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ ٱلْجَنَانِ عَالِمِ ٱللِّسَانِ ، يَقُولُ مَـا تَعْرِفُـونَ ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ » .

٢٨ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعاوِيَةَ جَواباً . وهُوَ مِن مَحاسِنِ ٱلكُتُبِ

أَمَّـا بَعْدُ ، فَقَـدْ أَتَانِي كِتَـابُكَ تَـذْكُرُ فِيـهِ ٱصْطِفَـاءَ ٱللّهِ مُحَمَّداً صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ لِـدِينِهِ ، وَتَـأْيِيدَهُ إِيَّـاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَـابِـهِ ، فَلَقَـدْ خَبَّـأَ لَنَـا الـدَّهْـرُ مِنْـكَ عَجَباً(١) إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِـرُنَـا بِبَـلاَءِ ٱللّهِ

(١) أخفى أمراً عجيباً ثم اظهره ، وطفقت ـ بفتح فكسر ـ أخذت . وعطف النعمة على البلاء عطف تفسير وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً .

تَعَالَىٰ عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَىٰ هَجَرَ[١] أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَىٰ النِّضَالِ . وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ[٢] وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ[٣] ؟ هَيْهَاتَ ! لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا[٤] وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَىٰ ظَلْعِكَ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ! وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَىٰ - غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ ، وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ - أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَلِكُلٍّ

---

(١) هجر : مدينة بالبحرين كثيرة النخيل ، والمسدد : معلم رمي السهام ، والنضال : المراماة ، أي : كمن يدعو أستاذه في فن الرمي إلى المناضلة ، وهما مثلان لناقل الشيء إلى معدنه والمتعالم على معلميه .

(٢) إن صح ما ادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه ، فانت عنه بمعزل ، وثلمه : عيبه .

(٣) يريد : أي حقيقة تكون لك مع هؤلاء ؟ أي : ليست لك ماهية تذكر بينهم ، والطلقاء : الذين أسروا بالحرب ثم اطلقوا ، وكان منهم أبو سفيان ومعاوية . والمهاجرون : من نصروا الدين في ضعفه ولم يحاربوه .

(٤) حن : صوت. والقدح - بالكسر - السهم ، وإذا كان سهم يخالف السهام كان له عند الرمي صوت يخالف أصواتها ، وهو مثل يضرب لمن يفتخر بقوم ليس منهم . وأصل المثل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال له عقبة بن أبي معيط « أأقتل من بين قريش ؟ » فأجابه « حن قدح ليس منها » .

فَضْـلٌ ! حَتَّىٰ إِذَا آسْتُشْهِدَ شَهِيـدُنَـا قِيـلَ « سَيِّـدُ الشُّهَـدَاءِ » وَخَصَّـهُ رَسُــولُ آللّهِ ، صَلّى آللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ ، بِسَبْعِينَ تَكْبِيـرَةً عِنْـدَ صَـلاَتِهِ عَلَيْـهِ ! أَوَ لاَ تَرَىٰ أَنَّ قَـوْمـاً قُـطِّعَتْ أَيْـدِيهِمْ فِي سَبِيـلِ آللّهِ وَلِكُـلٍّ فَضْلٌ ! حَتَّىٰ إِذَا فُعِـلَ بِـوَاحِـدِنَـا مَـا فُعِـلَ بِـوَاحِـدِهِمْ قِيـلَ : « الـطَّيَّـارُ فِي آلْجَنَّـةِ ، وَذُو آلْجَنَـاحَيْنِ » وَلَـوْلاَ مَـا نَهَىٰ آللّهُ عَنْـهُ مِنْ تَـزْكِيَـةِ آلْمَـرْءِ نَفْسَـهُ لَـذَكَـرَ ذَاكِـرٌ فَضَـائِـلَ جَمَّـةً[1] تَعْـرِفُهَـا قُلُوبُ آلْمُـؤْمِنِينَ ، وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّـامِعِينَ ، فَـدَعْ عَنْـكَ مَنْ مَـالَتْ بِـهِ الـرَّمِيَّةُ[2] فَـإِنَّا صَنَـائِعُ رَبِّنَـا[3] وَالنَّاسُ بَعْـدُ صَنَائِـعُ لَنَـا ، لَمْ يَمْنَعْنَـا قَـدِيمُ عِزِّنَـا[4] وَلاَ عَادِيُّ طَـوْلِنَا عَلَىٰ قَـوْمِـكَ أَنْ خَلَطْنَـاكُمْ بِـأَنْفُسِنَـا فَنَكَحْنَـا وَأَنْكَحْنَا فِعْـلَ آلأَكْفَاءِ ، وَلَسْتُمْ هُنَـاكَ ! وَأَنَّىٰ يَكُـونُ ذٰلِـكَ ، وَمِنَّـا آلنَّبِيُّ وَمِنْكُمُ آلْمُكَـذِّبُ[5] ؟ وَمِنَّـا أَسَـدُ آللّهِ ، وَمِنْكُمْ أَسَـدُ

---

(١) ذاكر : هو الامام نفسه .

(٢) الرمية : الصيد يرميه الصائد، ومالت بـه : خالفت قصده فأتبعها ، مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه .

(٣) آل النبي : أسراء إحسان الله عليهم ، والنـاس أسراء فضلهم بعد ذلك وأصل الصنيع : من تصنعه لنفسك بالاحسان حتى خصصته بك كأنه عمل يدك .

(٤) « قديم » : مفعول « يمنع » ، والعادي : الاعتيادي المعروف ، والطول ـ بفتح فسكون ـ : الفضل : و « أن خلصناكم » : فاعل « يمنع » ، والأكفاء : جمع كفء ـ بالضم ـ وهو النظير في الشرف .

(٥) المكذب : أبو جهل . وأسد الله : حمزة ، وأسد الأحلاف : أبو سفيان ، لأنه حزب الأحزاب ، وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق، وسيدا شباب أهل الجنة : الحسن والحسين بنص قول الرسول . وصبية النار : قيل : هم أولاد مروان بن الحكم ، أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار ، ومرقوا عن

ٱلْأَحْـلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ ٱلْجَنَّـةِ ، وَمِنْكُمْ صِبْيَـةُ النَّـارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ، وَمِنْكُمْ حَمَّـالَةُ ٱلْحَـطَبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِمَّـا لَنَا وَعَلَيْكُمْ[1] .

فَـإِسْـلَامُنَـا قَـدْ سُمِعَ وَجَـاهِلِيَّتُنَـا لَا تُـدْفَـعُ[2] ، وَكِتَـابُ ٱللَّهِ يَجْمَـعُ لَنَا مَـا شَذَّ عَنَّـا وَهُوَ قَـوْلُهُ : ﴿ وَأُولُـو ٱلْأَرْحَـامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ ﴾ وَقَوْلُهُ تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ ٱلنَّـاسِ بِإِبْـرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُـوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّـذِينَ آمَنُـوا ، وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُـؤْمِنِينَ ﴾ فَنَحْنُ مَـرَّةً أَوْلَىٰ بِـالْقَـرَابَـةِ ، وَتَـارَةً أَوْلَىٰ بِـالـطَّاعَـةِ . وَلَمَّا ٱحْتَـجَّ ٱلْمُهَـاجِرُونَ عَلَىٰ ٱلْأَنْصَـارِ يَـوْمَ السَّقِيفَـةِ بِـرَسُـولِ ٱللَّهِ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَجُـوا عَلَيْهِمْ[3] فَـإِنْ يَكُنِ ٱلْفَلَجُ بِـهِ فَـٱلْحَقُّ لَنَـا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَٱلْأَنْصَارُ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ !

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُـلِّ ٱلْخُلَفَـاءِ حَسَـدْتُ ؛ وَعَلَىٰ كُلِّهِمْ بَغَيْتُ !

= الدين في كبرهم . وخير النساء : فـاطمة . وحمـالة الحـطب : أم جميل بنت حـرب عمة معاوية وزوجة أبي لهب .

(١) أي : هذه الفضائل المعدودة لنا ، وأضدادهـا المسرودة لكم ، قليـل في كثير ممـا لنا وعليكم .

(٢) شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد .

(٣) يـوم السقيفة : عنـدما اجتمعوا في سقيفة بني سـاعدة بعـد موت النبي صلى الله عليـه وسلم ليختـاروا خليفة لـه ، وطلب الأنصار أن يكـون لهم نصيب في الخلافـة فاحتـج المهـاجرون عليهم بـأنهم شجرة الـرسول ففلجـوا ـ أي ظفروا بهم . فظفر المهاجرين بهذه الحجة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية ، لأن الإمام من ثمرة شجـرة الرسـول ، فان لم تكن حجة المهاجرين بالنبي صحيحة فـالأنصار قـائمون على دعـواهم من حق الخلافة ، فليس لمثل معاوية حق فيها ، لأنه اجنبي منهم .

فَإِنْ يَكُنْ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ ٱلْجِنَايَةُ عَلَيْكَ ،فَيَكُونَ ٱلْعُذْرُ إِلَيْكَ

« وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا »(١).

وَقُلْتَ : إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ ٱلْجَمَلُ ٱلْمَخْشُوشُ حَتَّىٰ أُبَايِعَ(٢) ، وَلَعَمْرُ ٱللّٰهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَٱفْتَضَحْتَ ! وَمَا عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً(٣) مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ ، وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَىٰ غَيْرِكَ قَصْدُهَا(٤) ، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ(٥) فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَىٰ لَهُ(٦) ، وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ مَقَاتِلِهِ ! أَمَّنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ(٧) ؟ أَمَّنِ ٱسْتَنْصَرَهُ

---

(١) شكاة ـ بالفتح ـ أي : نقيصة ، وأصلها المرض ، وظاهر : من « ظهر » اذا صار ظهراً ـ أي : خلفاً ، أي بعيداً ـ والشطر لأبي ذؤيب ، وأول البيت : وعيرها الواشون اني أحبها .

(٢) الخشاش ـ ككتاب ـ : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد ، وتقول : خششت البعير ، إذا جعلت في أنفه الخشاش ، طعن معاوية على الامام بأنه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء .

(٣) الغضاضة : النقص .

(٤) يحتج الامام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق ، أما معاوية فهو منقطع عن جرثومة الأمر فلا حاجة للاحتجاج عليه . و « سنح » أي : ظهر وعرض .

(٥) لقرابتك منه يصح الجدال معك فيه .

(٦) أعدى : أشد عدواناً ، والمقاتل : وجوه القتل .

(٧) من بذل النصرة هو الامام ، و « استقعده عثمان » أي : طلب قعوده ولم يقبل نصره .

فَتَـرَاخَىٰ عَنْـهُ وَبَثَّ آلْمَنُـونَ إِلَيْـهِ(١) حَتَّىٰ أَتَىٰ قَـدَرُهُ عَلَيْـهِ ؟! كَـلَّا وَٱللَّهِ : لَـ ﴿ قَـدْ يَعلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَٱلْقَـائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

وَمَـا كُنْتُ لِأَعْتَـذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْـهِ أَحْـدَاثاً فَـإِنْ كَـانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

[وَقَدْ يَسْتَفِيدُ ٱلظِّنَّةَ ٱلْمُتَنَصِّحُ(*)] وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَـابِي عِـنْدَكَ إِلَّا السَّيْـفُ ! فَلَقَـدْ أَضْحَكْتَ بَعْـدَ ٱسْتِعْبَارٍ ! مَتَىٰ أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِٱلْمُـطَّلِبِ عَنِ ٱلْأَعْـدَاءِ نَـاكِلِينَ وَبِـالسَّيْفِ مُخَـوَّفِينَ . لَبِّثْ قَلِيـلاً يَلْحَقِ ٱلْهَيْجَا حَمَـلْ(*) فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْـكَ مَا تَسْتَبْعِـدُ ، وَأَنَا مُـرْقِلٌ نَحْـوَكَ فِي جَحْفَـلٍ مِنَ ٱلْمُهَـاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَـارِ وَٱلتَّـابِعِينَ لَهُمْ بِـإِحْسَـانٍ ، شَدِيدٍ زِحَـامُهُمْ ، سَاطِـعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَـرْبِلِينَ سِرْبَـالَ ٱلْمَوْتِ أَحَبُّ اللِّقَـاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، قَـدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّـةٌ بَـدْرِيَّـةٌ ، وَسُيُـوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيـكَ وَخَالِـكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

---

(١) استنصر عثمان بعشيرته من بني أمية كمعاوية فخذلوه وخلوا بينه وبين الموت فكأنما بثوا المنون ، أي : افضوا بها إليه .

* عجز بيت وصدره : وكم سقت في آثاركم من نصيحةٍ .

* وعجزه : لا بأس بالموت إذا الموت نزل .

٢٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ

وَقَـدْ كَـانَ مِنَ ٱنْتِشَـارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَـاقِكُمْ مَـا لَمْ تَغْبُـوا عَنْـهُ ، فَعَفَـوْتُ عَنْ مُجْـرِمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ ٱلسَّيْفَ عَنْ مُـدْبِـرِكُمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ ، فَـإِنْ خَطَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُـورُ ٱلْمُرْدِيَـةُ ، وَسَـفَهُ الآراءِ ٱلْجَـائِرَةِ إِلَىٰ مُنَـابَـذَتي وَخِـلَافِي فَهَـا أَنَـا ذَا قَـدْ قَـرَّبْتُ جِيَـادِي ، وَرَحَّلْتُ رِكَـابِي ، وَلَئِنْ أَلْجَـأْتُمُـونِي إِلى ٱلْمَسِيْـرِ إِلَيْكُمْ لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَـةً لَا يَكُـونُ يَـوْمُ ٱلْجَمَـلِ إِلَيْهَـا إِلَّا كَلَعْقَـةِ لَاعِقٍ ، مَـعَ أَنِّي عَـارِفٌ لِـذِي ٱلطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ ، وَلِذِي ٱلنَّصِيحَةِ حَقَّـهُ ، غَيْرَ مُتَجَـاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَىٰ بَرِيءٍ ، وَلَا نَاكِثاً إِلَىٰ وَفِيٍّ .

٣٠ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعَاوِيَةَ

فَـاتَّقِ ٱللّهَ فِيما لَـدَيْكَ ، وَٱنْـظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْـكَ ، وَٱرْجِعْ إِلَىٰ مَعْـرِفَةِ مَـا لَا تُعْذَرُ بِجَهَـالَتِهِ ، فَـإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْـلَاماً وَاضِحَـةً ، وَسُبُلاً نَيِّرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً ، وَغَايَةً مَطْلُوبَـةً ، يَرِدُهَـا ٱلْأَكْيَاسُ ، وَيُخَـالِفُهَا ٱلْأَنْكَـاسُ، مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَـارَ عَنِ ٱلْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ(١) ، وَغَيَّـرَ

---

(١) نكب : عدل ، وجار : مال ، وخبط : مشى على غير هداية ، والتيه الضلال .

ٱللّهُ نِعْمَتَـهُ ، وَأَحلَّ بِـهِ نِقْمَتَهُ . فَنَفْسَـكَ نَفْسَكَ ، فَقَـدْ بَيَّنَ ٱللّهُ لَكَ سَبِيلَكَ ، وَحَيْثُ تَنَـاهَتْ بِكَ أُمُـورُكَ فَقَدْ أَجْـرَيْتَ إِلَىٰ غَايَـةِ خُسْـرٍ ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ[1] ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَـدْ أَوْلَجَتْكَ شَـرًّا ، وَأَقْحَمَتْكَ[2] غَيًّـا ، وَأَوْرَدَتْكَ ٱلْمَهَالِكَ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيكَ ٱلْمَسَالِكَ[3]

٣١ ومن وصية له عليه السلام

لِلْحَسَنِ بن عَلي عَلَيْهِما السَّلاَمُ ،

كَتَبها إِلَيْهِ بِحاضِرِينَ

عِنْدَ انصرافِهِ من صِفِّينَ[4]

مِنَ ٱلْـوَالِـدِ ٱلْفَـانِي ، ٱلْمُقِـرِّ لِلزَّمَـانِ[5] ٱلْمُـدْبِـرِ ٱلْعُمُـرِ ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْـرِ ، الـذَّامِّ لِلدُّنْيَـا ، السَّـاكِنِ مَسَـاكِنِ ٱلْمَـوْتَىٰ ، وَٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً . إِلَىٰ ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُـدْرِكُ[6] ، السَّالِـكِ سَبِيـلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَـرَضِ ٱلأَسْقَـامِ ، وَرَهِينَـةِ ٱلأَيَّـامِ ، وَرَمِيَّـةِ

---

(١) أجريت مطيتك مسرعاً إلى غاية خسران .

(٢) أولجتك : أدخلتك ، وأقحمتك : رمت بك في الغي ، ضد الرشاد .

(٣) أوعرت : أخشنت وصعبت .

(٤) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفين .

(٥) المعترف له بالشدة .

(٦) يؤمل البقاء ، وهو مما لا يدركه أحد .

ٱلْمَصَائِبِ[1] ، وَعَبْدِ ٱلدُّنْيَا ، وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ ، وَغَرِيمِ ٱلْمَنَايَا ، وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ ، وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ ، وَقَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ ، وَنُصْبِ ٱلآفَاتِ ، وَصَرِيعِ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ ٱلدُّنْيَا عَنِّي ، وَجُمُوحِ ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ ، وَإِقْبَالِ ٱلآخِرَةِ إِلَيَّ ، مَا يُرَغِّبُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ ، وَٱلِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي ، دُونَ هُمُومِ النَّاسِ ، هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَقَنِي رَأْيِي ، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَفْضَىٰ بِي إِلَىٰ جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ . وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي ، حَتَّىٰ كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ .

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ ٱللَّهِ ، أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَٱلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ ؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِٱلْمَوْعِظَةِ ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ ، وَنَوِّرْهُ بِٱلْحِكْمَةِ ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ ، وَقَرِّرْهُ بِٱلْفَنَاءِ ، وَبَصِّرْهُ

---

(١) هدفها ترمي اليه سهامها ، والرهينة : المرهونة ، أي : إنه في قبضتها وحكمها والرمية : ما اصابه السهم .

فَجَائِعَ ٱلدُّنْيَا ، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ ٱللَّيَالِي وَٱلأَيَّامِ ، وَٱعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ ٱلْمَاضِينَ ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ ٱلأَوَّلِينَ ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ ، فَٱنْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا ، وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا ، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ ٱلأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دِيَارَ ٱلْغُرْبَةِ ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ . فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ، وَدَعِ ٱلْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ ، وَٱلْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ ، فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلأَهْوَالِ . وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنْكِرِ ٱلْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ . وَجَاهِدْ فِي ٱللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي ٱللّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ ، وَخُضِ ٱلْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ[1] ، وَتَفَقَّهْ فِي ٱلدِّينِ ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلتَّصَبُّرَ عَلَىٰ ٱلْمَكْرُوهِ ، وَنِعْمَ ٱلْخُلُقِ ٱلتَّصَبُّرُ فِي ٱلْحَقِّ . وَأَلْجِىءْ نَفْسَكَ فِي ٱلأُمُورِ كُلِّهَا إِلَىٰ إِلٰهِكَ ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَىٰ كَهْفٍ حَرِيزٍ[2] ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ ، وَأَخْلِصْ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ ٱلْعَطَاءَ وَٱلْحِرْمَانَ . وَأَكْثِرِ ٱلاِسْتِخَارَةَ[3] ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ، وَلاَ تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً[4] ، فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْقَوْلِ مَا نَفَعَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَلاَ

---

(١) الغمرات : الشدائد .

(٢) الكهف : الملجأ ، والحريز : الحافظ .

(٣) الاستخارة : إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .

(٤) « صفحاً » أي : جانباً ، أي لا تعرض عنها .

يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ[1] .

أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي لَمَّـا رَأَيْتُنِي قَـدْ بَلَغْتُ سِنّـاً[2] ، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً ، بَادَرْتُ بِـوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأَوْرَدْتُ خِصَـالاً مِنْهَا قَبْـلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْـكَ بِمَـا فِي نَفْسِي[3] ، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَـا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي[4] ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْـكَ بَعْضُ غَلَبَـاتِ ٱلْهَـوَىٰ ، أَوْ فِتَنِ ٱلدُّنْيَـا[5] ، فَتَكُونَ كَـالصَّعْبِ النَّفُـورِ . وَإِنَّمَـا قَلْبُ ٱلْحَدَثِ كَـالأَرْضِ ٱلْخَـالِيَةِ مَـا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْـهُ . فَبَادَرْتُـكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِـلَ لُبُّكَ ، لِتَسْتَقْبِـلَ بِجِدِّ رَأْيِـكَ مِنَ ٱلأَمْـرِ مَا قَـدْ كَفَاكَ أَهْـلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَـهُ وَتَجْرِبَتَـهُ فَتَكُـونَ قَـدْ كُفِيتَ مَؤُنَةَ الطَّلَبِ ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِـلاَجِ التَّجْرِبَـةِ ، فَأَتَـاكَ مِنْ ذٰلِكَ مَـا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ ، وَٱسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّـي وَإِنْ لَـمْ أَكُنْ عُمِّـرْتُ عُمُـرَ مَنْ كَـانَ قَبْلِي ، فَقَـدْ نَـظَرْتُ فِي أَعْمَـالِهِمْ ، وَفَكَّـرْتُ فِي أَخْبَـارِهِمْ ، وَسِـرْتُ فِي آثَـارِهِمْ ، حَتَّىٰ عُـدْتُ كَـأَحَـدِهِمْ ، بَـلْ كَـأَنِّي بِمَـا ٱنْتَهَىٰ إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّـرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِـرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْـوَ ذٰلِكَ مِنْ

---

(١) لا يحق ـ بكسر الحاء وضمها ـ أي : لا يكون من الحق كالسحر ونحوه .

(٢) أي : وصلت النهاية من جهة السن ، والوهن : الضعف .

(٣) أفضي : ألقي اليك .

(٤) « وأن أنقص » : عطف على « أن يعجل » .

(٥) أي : يسبقني بالاستيلاء على قلبك غلبات الأهواء ، فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ الى فؤادك ، فتكون كالفرس الصعب غير المذلل ، والنفور : ضد الأنس .

كَـدَرِهِ ، وَنَفْعَـهُ مِنْ ضَـرَرِهِ ، فَـٱسْتَخْلَصْتُ لَـكَ مِنْ كُـلِّ أَمْـرٍ نَخِيلَهُ وَتَـوَخَّيْتُ لَـكَ جَمِيلَهُ ، وَصَـرَفْتُ عَنْـكَ مَجْهُـولَـهُ ، وَرَأَيْـتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي ٱلْوَالِدَ الشَّفِيقَ ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ ، أَنْ يَكُـونَ ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِـلُ ٱلْعُمُرِ ، وَمُقْتَبِـلُ ٱلدَّهْـرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَـةٍ وَنَفْسٍ صَـافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَـدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَـابِ ٱللّٰهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَـرَائِعِ ٱلْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَلَا أُجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ(١) ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ(٢) أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا ٱخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ(٣) ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذٰلِـكَ عَلَىٰ مَا كَـرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَىٰ أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ ٱلْهَلَكَةَ(٤) ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ ٱللهُ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ .

وَٱعْـلَمْ ، يَـا بُنَيَّ ، أَنَّ أَحَبَّ مَـا أَنْـتَ آخِـذٌ بِـهِ إِلَـيَّ مِـنْ وَصِيَّتِي ، تَقْوَىٰ ٱللّٰهِ وَٱلِاقْتِصَارُ عَلَىٰ مَا فَرَضَـهُ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ ، وَٱلْأَخْـذُ بِمَـا مَضَىٰ عَلَيْهِ ٱلْأَوَّلُـونَ مِنْ آبَائِكَ ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْـلِ بَيْتِـكَ ؛

---

(١) لا اتعدى بك كتاب الله الى غيره ، بل اقف بك عنده .

(٢) « أشفقت » أي : خشيت وخفت .

(٣) « مثل » : صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي : التباسا مثل الذي كان لهم .

(٤) أي : إنك وإن كنت تكره إن ينبهك أحد لما ذكرت لـك فاني أعـد إتقان التنبيـه على كـراهتـك لـه أحب إليَّ من إسلامـك ـ أي : إلقـائـك ـ إلى أمـر تخشى عليـك بـه الهلكة .

فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ(١) ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَىٰ ٱلْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَٱلْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا . فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ ، وَعُلُوِّ ٱلْخُصُوصِيَّاتِ(٢) وَٱبْدَأْ ، قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ ، بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ(٣) ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَىٰ ضَلَالَةٍ . فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَٱجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمًّا وَاحِداً فَٱنْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ ، فَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ ٱلْعَشْوَاءَ(٤) ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ ! وَٱلْإِمْسَاكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ(٥) .

فَتَفَهَّمْ ، يَا بُنَيَّ ، وَصِيَّتِي ، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ ٱلْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ ٱلْحَيَاةِ ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ هُوَ ٱلْمُمِيتُ ، وَأَنَّ ٱلْمُفْنِيَ هُوَ ٱلْمُعِيدُ ،

---

(١) لم يتركوا النظر لأنفسهم في اول أمرهم بعين لا ترى نقصاً ولا تحذر خطراً ثم ردتهم آلام التجربة إلى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته وإمساك أنفسهم عن عمل لم يكلفهم الله إتيانه .

(٢) يروى « وعلو الخصومات » .

(٣) الشائبة : ما يشوب الفكر من شك وحيرة ، وأولجتك : أدخلتك .

(٤) العشواء : الضعيفة البصر : أي خبط الناقة العشواء : لا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه ، وتورط في الأمر : دخل فيه على صعوبة في التخلص منه .

(٥) حبس النفس عن الخلط والخبط في الدين أحسن .

وَأَنَّ ٱلْمُبْتَلِيَ هُوَ ٱلْمُعَافِي ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَىٰ مَا جَعَلَهَا ٱللّٰهُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ وَالإِبْتِلاَءِ وَٱلْجَزَاءِ فِي ٱلْمَعَادِ ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لاَ نَعْلَمُ . فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ ذٰلِكَ فَٱحْمِلْهُ عَلَىٰ جَهَالَتِكَ بِهِ ، فَإِنَّكَ أَوَّلَ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ ٱلأَمْرِ ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ . فَٱعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ .

وَٱعْلَمْ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ ٱللّٰهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَٱرْضَ بِهِ رَائِداً وَإِلَىٰ النَّجَاةِ قَائِداً ، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ، وَإِنِ ٱجْتَهَدْتَ ،مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

وَٱعْلَمْ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَلٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ، لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً. وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ ٱلأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ وَآخِرٌ بَعْدَ ٱلأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَٱفْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ،وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَٱلْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ .

يَـا بُنَيَّ ، إِنِّي قَـدْ أَنْبَـأْتُـكَ عَنِ الـدُّنْيَـا وَحَـالِهَـا ، وَزَوَالِهَـا وَٱنْتِقَالِهَا ، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلآخِـرَةِ وَمَا أُعِـدَّ لِأَهْـلِهَـا فِيهَـا ، وَضَرَبْتُ لَـكَ فِيهِمَا ٱلأَمْثَـالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَـا ، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَـا . إِنَّمَـا مَثَـلُ مَنْ خَبَـرَ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً ، وَجَنَاباً مَـرِيعـاً ، فَـاحْتَمَلُوا وَعْثَـاءَ الـطَّرِيقِ ، وَفِـرَاقَ الصَّـدِيقِ ، وَخُشُـونَـةَ السَّفَـرِ ، وَجُشُوبَـةَ ٱلْمَطْعَمِ ، لِيَـأْتُوا سَعَـةَ دَارِهِمْ وَمَنْـزِلَ قَـرَارِهِمْ ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً ، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَـةً فِـيهِ مَغْـرَماً ، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّـا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْـزِلِهِمْ وَأَدْنَـاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ . وَمَثَـلُ مَنِ ٱغْتَرَّ بِهَـا كَمَثَلِ قَـوْمٍ كَانُـوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَـا بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلٍ جَدِيبٍ ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَـةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ(١) وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ ، ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَـكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَـأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِـكَ ، وَٱكْرَهْ لَـهُ مَا تَكْـرَهُ لَهَا ، وَلاَ تَـظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُـظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَـا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْـكَ ، وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَٱرْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ(٢) ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ ، وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

---

(١) هجم عليه ـ من باب دخل ـ إنتهى إليه بغتة .

(٢) إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فأرض بذلك ، ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم .

وَٱعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ ، وَآفَةُ ٱلأَلْبَابِ[١] ؛ فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[٢] وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[٣] ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[٤] وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ . وَأَنَّهُ لاَ غِنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ[٥] . وَقَدِّرْ بَلاَغَكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ ، فَيَكُونَ ثِقَلُ ذٰلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَىٰ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غداً ، حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَٱغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ[٦] وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ . وَٱغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

---

(١) الاعجاب : استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً ، وهو خلق من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه : ومن أشد الآفات ضرراً لقلبه .

(٢) الكدح : أشد السعي .

(٣) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك ، بل أنفق فيما يجلب رضا الله لك .

(٤) هو طريق السعادة الأبدية .

(٥) الارتياد : الطلب ، وحسنه : إتيانه من وجهه ، والبلاغ ـ بالفتح ـ الكفاية .

(٦) الفاقة : الفقر ، وإذا أسعفت الفقراء بالمال كان أجر الاسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة ، فكأنهم حملوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك يؤدونه إليك وقت الحاجة ، وهذا الكلام من أفصح ما قيل في الحث على الصدقة .

وَآعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً(١) آلْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ آلْمُثْقِلِ ، وَآلْبَطِيءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ آلْمُسْرِعِ ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لاَ مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَىٰ نَارٍ . فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ(٢) ، وَوَطِّىءِ آلْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ آلْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ(٣) ، وَلاَ إِلَىٰ الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

وَآعْلَمْ أَنَّ آلَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَآلأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ (٤) ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ آلْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَىٰ ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِآلْجَرِيمَةِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ آلرَّحْمَةِ . بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً(٥) ، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ

---

(١) كَؤُوداً : صعبة المرتقى شاقة المصعد ، والمخف ـ بضم فكسر ـ : الذي خفّف حمله ، والمثقل : بعكسه ، وهو من أثقل ظهره بالأوزار .

(٢) ابعث رائداً من طيبات الأعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل .

(٣) المستعتب والمنصرف : مصدران ، والاستعتاب : الاسترضاء ، ولا انصراف إلى الدنيا بعد الموت حتى يمكن استرضاء الله بعد إغضابه باستئناف العمل .

(٤) الإنابة ـ بالنون الموحدة : الرجوع إلى الله ، والله لا يعير الراجع إليه برجوعه ، ويروى « الاثابة » بالثاء المثلثة ـ وتحتمل أن تكون بمعنى الثواب وأن تكون بمعنى الرجوع أيضاً ، من نحو قولهم « ثاب إلى رشده » أي : رجع .

(٥) نزوعك : رجوعك .

حَسَنَتَكَ عَشراً ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ ٱلْمَتَابِ وَبَابَ ٱلإِسْتِعْتَابِ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ(١) فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ(٢) ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ(٣) ، وَٱسْتَعَنْتَهُ عَلَىٰ أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ : مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ ، وَصِحَّةِ ٱلأَبْدَانِ ، وَسَعَةِ ٱلأَرْزَاقِ . ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَمَتَىٰ شِئْتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ ، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ(٤) ، فَلاَ يُقَنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ(٥) ، فَإِنَّ ٱلْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ . وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ . فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ ، وَيُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ ، فَالْمَالُ لا يَبْقَىٰ لَكَ ، وَلاَ تَبْقَىٰ لَهُ .

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ ،

---

(١) المناجاة : المكالمة سراً ؛ والله يعلم السر كما يعلم العلن .

(٢) أفضيت : ألقيت ، وأبثثته : كاشفته ، وذات النفس : حالتها .

(٣) طلبت كشفها .

(٤) الشؤبوب ـ بالضم ـ الدفعة من المطر ، وجمعه شآبيب . وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها ، وما أشبه نوباتها بدفعات المطر .

(٥) القنوط : اليأس .

وَلِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ[1] ، وَدَارِ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقٍ إِلَىٰ الآخِرَةِ ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ، وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَىٰ حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ ؛ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ ، وَتُفْضِي بَعْدَ ٱلْمَوْتِ إِلَيْهِ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[2] وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[3] . وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَىٰ مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا إِلَيْهَا[4] وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا ؛ فَقَدْ نَبَّأَكَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا[5] وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا ، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً[6] وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا . نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[7] وَأُخْرَىٰ

---

(١) قلعة ـ بضم القاف وسكون اللام ، وبضمتين ، وبضم ففتح ـ يقال : منزل قلعة ؛ أي : لا يملك لنازله ، ولا يدري متى ينتقل عنه . ويجوز فيه وجهان : الوصفية مع تنوين الأول ، والاضافة . والبلغة : الكفاية ، أي : دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة .

(٢) الحذر ـ بالكسر ـ الاحتراز والاحتراس ، والأزر ـ بالفتح : القوة .

(٣) بهر ـ كمنع ـ غلب ، أي : يغلبك على أمرك .

(٤) إخلاد أهل الدنيا : سكونهم إليها ، والتكالب : التواثب .

(٥) نعاه أخبر بموته ، والدنيا تخبر بحالها عن فنائها .

(٦) ضارية : مولعة بالافتراس ، يهر ـ بكسر الهاء ، وضمها ـ أي : يمقت ويكره بعضها بعضاً .

(٧) عقل البعير ـ بالتشديد ـ شد وظيفه إلى ذراعه ، والنعم ـ بالتحريك ـ الابل ، أي : =

مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا[١] وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا ، سُرُوحُ عَاهَةٍ[٢] بِوَادٍ وَعْثٍ. لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ، وَلاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا[٣] . سَلَكَتْ بِهِمُ ٱلدُّنْيَا طَرِيقَ ٱلْعَمَىٰ ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ ٱلْهُدَىٰ ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا ، وَٱتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلاَمُ[٤] كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ[٥] ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ٱللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً ، وَيَقْطَعُ ٱلْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[٦] .

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ

= إبل منعها عن الشر عقالها : وهم الضعفاء ، وأخرى مهملة تأتي من السوء ما تشاء ؛ وهم الأقوياء .

(١) أضلت : أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها .

(٢) السروح ـ بالضم ـ جمع سرح ـ بفتح فسكون ـ وهو المال السائم من إبل ونحوها ، والعاهة : الآفة ، أي : إنهم يسرحون لرعي الآفات في وادي المتاعب، والوعث : الرخو ، ويصعب السير فيه .

(٣) أسام الدابة : سرحها إلى المرعى .

(٤) « يسفر » أي : يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية .

(٥) الأظعان جمع ظعينة ، وهو الهودج تركب فيه المرأة ، عبر به عن المسافرين في طريق الدنيا إلى الآخرة كأن حالهم أن وردوا على غاية سيرهم .

(٦) الوادع : الساكن المستريح .

فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَك . فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ[١] وَأَجْمِلْ فِي آلْمُكْتَسَبِ ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَىٰ حَرَبٍ[٢] . فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَىٰ آلرَّغَائِبِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً[٣] وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ آللّٰهُ حُرًّا . وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ[٤] ، وَيُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟![٥] .

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ[٦] فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ آلْهَلَكَةِ ، وَإِنِ آسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آللّٰهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ آللّٰهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ آلْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ .

وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ

---

(١) خفض : أمر من « خفض » بالتشديد ـ أي : أرفق ، و « أجمل في كسبه » أي : سعى سعياً جميلاً : لا يحرص فيمنع الحق ، ولا يطمع فيتناول ما ليس يحق .

(٢) الحرب ـ بالتحريك ـ : سلب المال .

(٣) ان رغائب المال إنما تطلب لصون النفس عن الابتذال فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال ؛ فكان جمع المال عبثاً ولا عوض لما ضيع .

(٤) يريد أي خير في شيء سماه الناس خيراً وهو مما لا يناله الإنسان إلا بالشر ، فإن كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً .

(٥) إن العسر الذي يخشاه الإنسان هو ما يضطره لرذيل الفعال ، فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه ، فإن جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر ـ أي : السعة ـ فقد وقع أول الأمر فيما يهرب منه ، فما الفائدة في يسره وهو لا يحميه من النقيصة ؟ .

(٦) توجف : تسرع ، والمناهل : ما ترده الابل ونحوها للشرب .

مَنْطِقِكَ(١) وَحِفْظُ مَا فِي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكَاءِ ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ(٢) . وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلَىٰ النَّاسِ ، وَٱلْحِرْفَةُ مَعَ ٱلْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْغِنَىٰ مَعَ ٱلْفُجُورِ ، وَٱلْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ(٣) . وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ(٤) ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ(٥) ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ ٱلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ . بِئْسَ الطَّعَامُ ٱلْحَرَامُ ، وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ . إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ ٱلْخُرْقُ رِفْقاً(٦) . رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَٱلدَّاءُ دَوَاءً ، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ ٱلْمُسْتَنْصَحُ(٧) . وَإِيَّاكَ وَٱتِّكَالَكَ عَلَىٰ ٱلْمُنَىٰ فَإِنَّهَا بَضَائِعُ ٱلْمَوْتَىٰ(٨)

---

(١) التلافي : التدارك لاصلاح ما فسد أو كاد ، و « ما فرط » أي : قصر عن اعادة الغرض أو إنالة الوطر ، وإدراك ما فات : هو اللحاق به لأجل استرجاعه ، و«فات» أي : سبق إلى غير صواب ، وسابق الكلام لا يدرك فتسترجع ، بخلاف تقصير السكوت فسهل تداركه ، وإنما يحفظ الماء في القربة مثلاً بشد وكائها ـ أي : رباطها ـ وإن لم يشد الوكاء صب في الوعاء ولم يمكن إرجاعه ، فكذلك اللسان .

(٢) إرشاد للاقتصاد في المال .

(٣) فالأولى عدم إباحته لشخص آخر وإفشائه .

(٤) قد يسعى الإنسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده .

(٥) أهجر إهجاراً وهجراً ـ بالضم ـ هذى في كلامه ، وكثير الكلام لا يخلو من الاهجار .

(٦) إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبداله بالرفق عنفاً ، ويكون العنف من الرفق ، وذلك كمقام التأديب وإجراء الحدود مثلاً ، والخرق ـ بالضم ـ العنف .

(٧) المستنصح ـ على زنة اسم المفعول ـ المطلوب منه النصح ، فيلزم التفكر والتروي في جميع الأحوال ؛ لئلا يروج غش أو تنبذ نصيحة .

(٨) المنى : جمع منية ـ بضم فسكون ـ وهي ما يتمناه الشخص لنفسه ويعلل نفسه =

وَٱلْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ[1] . بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ . وَمِنَ ٱلْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ[2] وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ . التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَىٰ مِنْ كَثِيرٍ ، وَلاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مُهِينٍ[3] ، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ . سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[4] . وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ[5] . ٱحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَىٰ الصِّلَةِ[6] ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَىٰ

= باحتمال الوصول إليه ، وهي بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولا يصل إلى شيء ! فإن تمنيت فاعمل لأمنيتك ، ويروى « فانها بضائع النوكى » لجمع أنوك ، وهو الأحمق الضعيف العقل .

(١) أفضل التجربة ما زجرت عن سيئة وحملت على حسنة ، وتلك الموعظة .

(٢) زاد الصالحات والتقوى ، أو المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات ، وهو أظهر .

(٣) مهين : إما بفتح الميم بمعنى حقير ، فان الحقير لا يصلح لأن يكون معيناً ، أو بضمها بمعنى فاعل الاهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح ، والظنين ـ بالظاء ـ المتهم ، وبالضاد : البخيل ، وبهما يروى .

(٤) القعود ـ بالفتح ـ من الابل : ما يقتعد الراعي في كل حاجته ، ويقال للبكر إلى أن يثنى ، وللفصيل ، أي : ساهل الدهر ما دام منقاداً ، وخذ حظك من قياده .

(٥) اللجاج ـ بالفتح ـ مصدر « لج في الأمر يلج » بفتح لام المضارع مثل ظل يظل ، وبكسرها مثل خف يخف ـ لجاجاً ولجاجة ـ بفتح اللام في المصدرين فهو لجوج ولجوجة ، والهاء للمبالغة ، وذلك أن يتمادى فيه ، أي : أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها .

(٦) صرمه : قطيعته ، أي : ألزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك الخ .

اللُّطفِ وَٱلْمُقَارَبَةِ ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَىٰ ٱلْبَذْلِ[1] . وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَىٰ الدُّنُوِّ ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَىٰ اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَىٰ ٱلْعُذْرِ ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ .وَٱمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً ، وَتَجَرَّعِ ٱلْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً[2] ، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ[3] فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَن يَلِينَ لَكَ . وَخُذْ عَلَىٰ عَدُوِّكَ بِٱلْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَىٰ الظَّفَرَيْنِ[4] وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَٱسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَا[5] . وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[6] ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالاً عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ . وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَىٰ ٱلْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلَىٰ مُقَاطَعَتِكَ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلَىٰ صِلَتِهِ[7] وَلَا تَكُونَنَّ عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ

---

(١) جموده : بخله .

(٢) المغبة ـ بفتحتين ثم باء مشددة ـ : بمعنى العاقبة ، وكظم الغيظ وإن صعب على النفس في وقته إلا أنها تجد لذته عند الافاقة من الغيظ ، فللعفو لذة إن كان في محله ، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى .

(٣) لن : أمر من اللين ضد الغلظة والخشونة .

(٤) ظفر الانتقام وظفر التملك بالاحسان ، والثاني أحلى وأربح فائدة ، ويروى « فانه أحد الظفرين » .

(٥) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليك إذا ظهر له حسن العودة .

(٦) صدقه بلزوم ما ظن بك من الخير .

(٧) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ، ولا يصح =

أَقْـوَىٰ مِنْكَ عَلَىٰ ٱلْإِحْسَـانِ ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَـكَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَىٰ فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ .

وَٱعْلَمْ ، يَـا بُنَيَّ ، أَنَّ الـرِّزْقَ رِزْقَـانِ : رِزْقٌ تَـطْلُبُـهُ ، وَرِزْقٌ يَـطْلُبُكَ ، فَـإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِـهِ أَتَاكَ . مَـا أَقْبَحَ ٱلْخُضُـوعَ عِنْدَ ٱلْحَـاجَةِ وَٱلْجَفَـاءَ عِنْدَ ٱلْغِنَىٰ . إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ[1] ؛ وَإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَىٰ مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ[2] فَٱجْزَعْ عَلَىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِـلْ إِلَيْكَ . ٱسْتَدِلَّ عَلَىٰ مَـا لَمْ يَكُنْ بِمَـا قَـدْ كَـانَ ، فَـإِنَّ ٱلْأُمُـورَ أَشْبَـاهٌ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ ٱلْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ ؛ فَإِنَّ ٱلْعَاقِـلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ ، وَٱلْبَهَـائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّـرْبِ . ٱطْرَحْ عَنْـكَ وَارِدَاتِ ٱلْهُمُـومِ بِعَـزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ ٱلْيَقِينِ . مَنْ تَـرَكَ ٱلْقَصْدَ جَارَ[3] ؛ وَالصَّـاحِبُ مُنَاسِبٌ[4] وَالصَّـدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[5] . وَٱلْهَـوَىٰ شَرِيـكُ ٱلْعَنَاءِ[6] . وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْـرَبُ مِنْ قَـرِيبٍ ، وَقَـرِيبٍ

= أن يكون أقدر على ما يوجب القـطيعة منـك على ما يـوجب الصلة ، وهذا أبلغ قـول في لزوم حفظ الصداقة .

(١) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة .

(٢) تفلت ـ بتشـديد الـلام ـ أي : تملص من اليد فلم تحفـظه . فـالـذي يجـزع على مـا فـاته كـالذي يجزع على مالم يصله . والثـاني لا يحصر فينـال ، فالجزع عليه غيـر لائق ، فكذا الأول .

(٣) القصد : الاعتدال ، وجار : مال عن الصواب .

(٤) يراعي فيه ما يراعي في قرابة النسب .

(٥) الغيب : ضد الحضور ، أي : من حفظ لك حقك وهو غائب عنك .

(٦) الهوى : شهوة غير منضبطة ولا مملوكـة بسلطان الشرع والأدب .

أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ . وَٱلْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّىٰ ٱلْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ . وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّهِ . وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ(١) قَدْ يَكُونُ ٱلْيَأْسُ إِدْرَاكاً، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً . لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ ٱلْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَأَصَابَ ٱلأَعْمَىٰ رُشْدَهُ . أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ(٢) وَقَطِيعَةُ ٱلْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ ٱلْعَاقِلِ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ(٣) . لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَىٰ أَصَابَ . إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ . سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ ٱلْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ ٱلْكَلاَمِ مَا كَانَ مُضْحِكاً ، وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَىٰ أَفْنٍ ،وَعَزْمَهُنَّ إِلَىٰ وَهْنٍ(٤) . وَٱكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ ٱلْحِجَابِ أَبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ(٥) وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَٱفْعَلْ . وَلاَ تُمَلِّكِ ٱلْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ، فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ

---

(١) « لم يبالك » أي : لم يهتم بأمرك باليته ، و« باليت به » أي : راعيته واعتنيت به .

(٢) لأن فرص الشر لا تنقضي لكثرة طرقه وطريق الخير واحد ، وهو أحق .

(٣) من هاب شيئاً سلطه على نفسه .

(٤) الأفن ـ بالفتح وبالتحريك ـ : ضعف الرأي ، والوهن : الضعف .

(٥) أي : إذا أدخلت على النساء من لا يوثق بأمانته فكأنك أخرجتهن إلى مختلط العامة ، فأي فرق بينهما ؟ .

بِقَهْـرَمَانَـةٍ[1] وَلاَ تَعْدُ بِكَـرَامِتِهَا نَفْسَهَـا ، وَلاَ تُـطْمِعْهَـا فِي أَنْ تَشْفَـعَ بِغَيْرِهَا . وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُـرَ فِي غَيْرِ مَـوْضِعِ غَيْـرَةٍ[2] ، فَإِنَّ ذٰلِـكَ يَدْعُـو الصَّحِيحَةَ إِلَىٰ السَّقَمِ ، وَٱلْبَرِيئَـةَ إِلَىٰ الرِّيَبِ . وَٱجْعَـلْ لِكُلِّ إِنْسَـانٍ مِنْ خَـدَمِـكَ عَمَـلاً تَـأْخُـذُهُ بِـهِ ، فَـإِنَّـهُ أَحْـرَىٰ أَنْ لاَ يَتَـوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ[3] وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَـاحُكَ الَّـذِي بِهِ تَـطِيرُ ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ .

أَسْتَـوْدِعُ ٱللّهَ دِينَكَ وَدُنْيَـاكَ ، وَأَسْأَلُـهُ خَيْرَ ٱلْقَضَـاءِ لَـكَ فِـي ٱلْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ ، وَٱلدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَالسَّلاَمُ .

٣٢ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعَاوِيَةَ

وَأَرْدَيْتَ جِيـلاً[4] مِنَ ٱلنَّـاسِ كَثِيـراً : خَـدَعْتَهُمْ بِغَيِّـكَ[5] وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَـوْجِ بَحْـرِكَ ، تَغْشَـاهُمُ الـظُّلُمَـاتُ ، وَتَتَـلاَطَمُ بِهِمُ

---

(١) القهرمان : الـذي يحكم في الأمور ويتصـرف فيها بـأمره ، ولا تعـد ـ بفتح فسكـون ـ أي : لا تجـاوز باكـرامها نفسهـا فتكرم غيـرها بشفاعتها ، أين هـذه الوصيـة من حـال الذين يصرفون النساء في مصالح الأمة ؟ بل ومن يختص بخدمتهن كرامة لهن ؟ .

(٢) التغاير : إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب .

(٣) يتواكلوا : يتكل بعضهم على بعض .

(٤) أرديت : أهلكت جيلاً أي : قبيلاً وصنفاً .

(٥) الغي : الضلال ، ضد الرشاد .

الشُّبُهَاتُ ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ(١) وَنَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ ، وَتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَىٰ أَحْسَابِهِمْ(٢) ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ ، وَهَرَبُوا إِلَىٰ ٱللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ(٣) ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَىٰ الصَّعْبِ ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ ٱلْقَصْدِ . فَاتَّقِ ٱللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ(٤) ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ ، وَٱلآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ ، وَٱلسَّلَامُ .

٣٣ ومن كتاب له عليه السلام

إلى قُثَمَ بنِ العبّاسِ ، وَهُوَ عامِلُه على مَكَّةَ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ(٥) كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَىٰ ٱلْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ(٦) ، ٱلْعُمْيِ ٱلْقُلُوبِ ،

---

(١) بعدوا عن وجهتهم ـ بكسر الواو ـ أي : جهة قصدهم ، كانوا يقصدون حقاً فمالوا إلى باطل ، ويروى « جاروا » بالراء المهملة ـ والمراد واحد . ونكصوا : رجعوا .

(٢) « عولوا » أي : اعتمدوا على شرف قبائلهم فتعصبوا تعصب الجاهلية ونبذوا نصرة الحق ، إلا من فاء ، أي : رجع إلى الحق .

(٣) الموازرة : المعاضدة .

(٤) القياد : ما تقاد به الدابة ، أي : إذا جذبك الشيطان بهواك فجاذبه ، أي : امنع نفسك من متابعته .

(٥) « عيني » أي : رقيبي في البلاد الغريبة .

(٦) وجه ـ مبني للمجهول ـ أي وجههم معاوية ، والموسم : الحج .

ٱلصُّمِّ ٱلأَسْمَاعِ ، ٱلْكُمْهِ ٱلأَبْصَارِ(١) ، ٱلَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَيُطِيعُونَ ٱلْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ ، وَيَحْتَلِبُونَ ٱلدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ(٢) وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ ٱلأَبْرَارِ وَٱلْمُتَّقِينَ . وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ ، وَلاَ يُجْزَىٰ جَزَاءَ ٱلشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ ، فَأَقِمْ عَلَىٰ مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ ٱلْحَازِمِ ٱلصَّلِيبِ(٣) ، وَٱلنَّاصِحِ ٱللَّبِيبِ ، وَٱلتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ ٱلْمُطِيعِ لإِمَامِهِ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعتَذَرُ مِنْهُ(٤) ، وَلاَ تَكُنْ عِنْدَ ٱلنَّعْمَاءِ بَطِراً(٥) وَلاَ عِنْدَ ٱلْبَأْسَاءِ فَشِلاً ، وَٱلسَّلاَمُ .

٣٤ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُحمَّدِ بنِ أبي بكرٍ ، لمّا بلَغَهُ توجُّدُه من عَزْلِهِ (٦) بالأشترِ عن مِصرَ ثمّ توفِّيَ الأشترُ في توجُّهِهِ إلى مصرَ قبلَ وصولِهِ إليها

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ ٱلأَشْتَرِ إِلَىٰ

---

(١) الكمه : جمع أكمه ، وهو من ولد أعمى .

(٢) يحتلبون الدنيا : يستخلصون خيرها ، والدر ـ بالفتح ـ اللبن ، أي : ويجعلون الدين وسيلة لما ينالون من حطامها .

(٣) الصليب : الشديد ، ويروى « قيام الحازم الطبيب » وكل حاذق عند العرب فهو طبيب .

(٤) احذر أن تفعل شيئاً يحتاج إلى الاعتذار .

(٥) البطر : شدة الفرح مع ثقة بدوام النعمة ، والبأساء : الشدة ، كما أن النعماء الرخاء والسعة .

(٦) توجده : تكدره .

عَمَلِكَ[1] ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱسْتِبْطَاءً لَكَ فِي ٱلْجُهْدِ ، وَلاَ ٱزْدِيَاداً فِي ٱلْجِدِّ[2] وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلاَيَةً .

إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً وَعَلَىٰ عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً[3] ، فَرَحِمَهُ ٱللّٰهُ فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ ، وَلاَقَىٰ حِمَامَهُ[4] وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ ، أَوْلاَهُ ٱللّٰهُ رِضْوَانَهُ ، وَضَاعَفَ ٱلثَّوَابَ لَهُ . فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ ، وَٱمْضِ عَلَىٰ بَصِيرَتِكَ[5] ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ ، وَٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ، وَأَكْثِرِ ٱلاِسْتِعَانَةَ بِٱللّٰهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ ، وَيُعِنْكَ عَلَىٰ مَا نَزَلَ بِكَ ، إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

٣٥ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبدالله بن العبّاس ، بعدَ مقتَلِ مُحمّد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ ، فَعِنْدَ ٱللّٰهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً[6] وَعَامِلاً

(١) « موجدتك » أي : غيظك ، والتسريح : الارسال ، والعمل : الولاية .

(٢) أي : ما رأيت منك تقصيراً فأردت أن أعاقبك بعزلك لتزداد جداً .

(٣) « ناقماً » أي : كارهاً .

(٤) الحمام ـ بالكسر ـ : الموت .

(٥) « أصحر له » أي : أبرز له ، من « أصحر » إذا برز للصحراء .

(٦) أحتسبه عند الله : سأل الأجر على الرزية فيه ، وسماه ولداً لأنه كان ربيباً له وأمه

كَادِحاً ، وَسَيْفاً قَاطِعاً ، وَرُكْناً دَافِعاً . وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ لِحَاقِهِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ ٱلْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْراً ، وَعَوْداً وَبَدْءاً . فَمِنْهُمُ ٱلآتِي كَارِهاً ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُعْتَلُّ كَاذِباً ، وَمِنْهُمُ ٱلْقَاعِدُ خَاذِلاً . وَأَسْأَلُ ٱللّٰهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً ، فَوَٱللّٰهِ لَوْلاَ طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَىٰ ٱلْمَنِيَّةِ ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَبْقَىٰ مَعَ هٰؤُلاَءِ يَوْماً وَاحِداً ، وَلاَ أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً .

٣٦ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أخيه عَقِيل بن أَبي طالب ، في ذِكرِ جيشٍ أَنفَذَه إلى بَعْضِ الأعداءِ وهُوَ جوابُ كتابٍ كتبُهُ إليهِ عَقيلُ

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ هَارِباً وَنَكَصَ نَادِماً فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ طَفَّلَتِ ٱلشَّمْسُ لِلإِيَابِ(١) فَٱقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلاَ وَلاَ(٢) فَمَا كَانَ إِلاَّ كَمَوْقِفِ

= أسماء بنت عميس : كانت مع جعفر بن أبي طالب وولدت لـه محمداً وعوناً وعبدالله بالحبشة أيام هجرتها معه إليها ، وبعد قتله تزوجها أبو بكر فولدت لـه محمداً هـذا . وبعد وفاته تزوجها علي فولدت له يحيى . والكادح : المبالغ في سعيه .

(١) « طفلت تطفيلاً » أي : دنت وقربت ، والاياب : الرجوع إلى مغربها .

(٢) كلا ولا : كناية عن السرعة التامة ، فإن حرفين ثانيهما حرف لين سريع الانقضاء عند السمع ، قال أبو برهان المغربي :

وأسرع في العين من لحظة　　　وأقصر في السمع من لا ولا

سَاعَةٍ حَتَّىٰ نَجا جَريضاً(١) بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِٱلْمُخَنَّقِ(٢) ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ . فَلأياً بِلأْيٍ مَا نَجا(٣) فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ(٤) وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ . فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ ٱللّٰهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي ٱلْجَوَازِي(٥) فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ٱبْنِ أُمِّي(٦) .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي ٱلْقِتَالِ ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ ٱلْمُحِلِّينَ حَتَّىٰ أَلْقَىٰ ٱللّٰهَ(٧) ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً . وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ(٥) ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ ٱلْمُتَقَعِّدِ ، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو

---

(١) الجريض ـ بالجيم ـ المغموم ، وبالحاء : الساقط لا يستطيع النهوض .

(٢) المخنق ـ بضم ففتح فنون مشددة ـ الحلق محل ما يوضع الخناق ، والرمق ـ بالتحريك ـ بقية النفس .

(٣) لأياً : مصدر محذوف العامل ، ومعناه الشدة والعسر ، و « ما » بعده : مصدرية . و « نجا » في معنى المصدر ؛ أي ؛ عسرت نجاته عسراً بعسر .

(٤) التركاض : مبالغة في الركض ، واستعارة لسرعة خواطرهم في الضلال ، وكذلك التجوال من الجول والجولان ، والشقاق : الخلاف ، وجماحهم : استعصاؤهم على سابق الحق ، والتيه : الضلال والغواية .

(٥) الجوازي : جمع جازية بمعنى المكافأة ، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم .

(٦) يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ربت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها : « فاطمة أمي بعد أمي » .

(٧) المحلون : الذين يحلون القتال ويجوزونه . السلس ـ بفتح فكسر : السهل . والوطيء : اللين ، والمتقعد : الذي يتخذ الظهر قعوداً يستعمله للركوب في كل =

بَنِي سُلَيْمٍ : -

فَـإِنْ تَسْـأَلِينِي : كَيْفَ أَنْتَ؟ فَـإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَىٰ رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ(١)

يَعِـزُّ عَلَيَّ أَنْ تُـرَىٰ بِي كَـآبَـةٌ(٢) فَيَشْمَـتَ عَـادٍ أَوْ يُسَـاءَ حَبِيـبُ

٣٧ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعَاوِيَةَ

فَسُبْحَانَ ٱللّٰهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ ٱلْمُبْتَدَعَـةِ، وَٱلْحَيْرَةِ(٣) ٱلْمُتْعِبَـةِ مَـعَ تَضْيِيـعِ ٱلْحَقَـائِقِ ، وَٱطِّـرَاحِ ٱلْـوَثَـائِقِ ، ٱلَّتِي هِيَ لِلّٰهِ طِلْبَـةٌ ، وَعَلَىٰ عِبَادِهِ حُجَّةٌ(٤) . فَـأَمَّـا إِكْثَـارُكَ ٱلْحِجَـاجَ فِي عُثْمَـانَ وَقَتَلَتِـهِ(٥) فَـإِنَّـكَ إِنَّمَـا نَصَـرْتَ عُثْمَـانَ حَيْثُ كَـانَ النَّصْـرُ لَـكَ(٦) ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ ، وَالسَّلَامُ .

= حاجاته ، ويروي « للراكب المقتعد » اسم فاعل من الاقتعاد .

(١) شديد .

(٢) يعـز عليَّ : يشق عليَّ ، والكآبـة : ما يـظهر على الـوجه من أثـر الحـزن ، « وعـاد » أي : عدوه .

(٣) ويروى « والحيرة المتبعة ، اسم مفعول من « أتبعه » .

(٤) طلبة ـ بالكسر ، ويفتح فكسر ـ : مطلوبة .

(٥) الحجاج ـ بالكسر ـ الجدال .

(٦) حيث كان الانتصار له فائـدة لك تتخـذه ذريعة لجمـع الناس إلى غـرضك ، أمـا وهو حي وكان النصر يفيده فقد خذلته وأبطأت عنه .

٣٨ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أَهْلِ مِصْرَ ، لمّا ولّى عَلَيْهِمُ الأَشْتَرَ

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، إِلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ غَضِبُوا لِلّٰهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضَرَبَ ٱلْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَىٰ ٱلْبَرِّ وَٱلْفَاجِرِ[1] ، وَٱلْمُقِيمِ وَٱلظَّاعِنِ ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ[2] ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَىٰ عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ ٱللّٰهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ ٱلْخَوْفِ ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ ٱلرَّوْعِ[3] ، أَشَدَّ عَلَىٰ ٱلْكُفَّارِ مِنْ حَرِيقِ ٱلنَّارِ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ[4] ، فَٱسْمَعُوا لَهُ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ ٱلْحَقَّ ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللّٰهِ لَا كَلِيلُ ٱلظُّبَةِ[5] ، وَلَا نَابِي ٱلضَّرِيبَةِ[6]. فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ

---

(١) السرادق ـ بضم السين ـ : الغطاء الذي يمد فوق صحن البيت اتقاء الغبار والدخان، والبر ـ بفتح الباء ـ النقي ، والظاعن : المسافر .

(٢) يعمل به : وأصله « استراح إليه » بمعنى سكن واطمأن ، والسكون إلى المعروف يستلزم العمل به .

(٣) نكل عنه ـ كضرب ونصر وعلم ـ نكص وجبن ، والروع : الخوف .

(٤) مذحج ـ كمجلس ـ قبيلة مالك ، وأصله اسم أكمة ولد عندها أبو القبيلتين طيء ومالك ، فسميت قبيلتاهما به ويروى « أشد على الفجار » جمع فاجر .

(٥) الظبة ـ بضم ففتح مخفف ـ : حد السيف والسنان ونحوهما ، والكليل : الذي لا يقطع .

(٦) الضريبة : المضروب بالسيف ، ونبا عنها السيف : لم يؤثر فيها ، وإنما دخلت التاء في ضريبة ـ وهي بمعنى المفعول ـ لذهابها مذهب الأسماء كالنطيحة والذبيحة .

تَنْفِـرُوا فَانْفِـرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُـوا فَأَقِيمُـوا ، فَإِنَّـهُ لاَ يُقْـدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَـدِّمُ ، إِلاَّ عَنْ أَمْرِي . وَقَـدْ آثَرْتُكُمْ بِـهِ عَلَىٰ نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ(١) .

٣٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عمرو بنِ ٱلعَاصِ

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعـاً لِدُنْيَـا ٱمْرِىءٍ ظَـاهِرٍ غَيُّـهُ ، مَهْتُوكٍ سِتْـرُهُ ، يَشِينُ ٱلْكَرِيمَ بِمَجْلِسِـهِ ، وَيُسَفِّهُ ٱلْحَلِيمَ بِخِلْطَتِـهِ ، فَـٱتَّبَعْتَ أَثَرَهُ ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْكَلْبِ لِلضِّـرْغَامِ(٢) : يَلُوذُ إِلَىٰ مَخَـالِبِـهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَىٰ إِلَيْـهِ مِنْ فَضْلِ فَـرِيسَتِهِ ، فَـأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِـرَتَكَ ! وَلَوْ بِٱلْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ ، فَـإِنْ يُمَكِّنِي ٱللَّهُ مِنْكَ وَمِنَ ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تُعْجِزَا(نِي) وَتَبْقَيَا فَمَـا أَمَامَكُمَـا شَرٌّ لَكُمَا ؛ وَالسَّلاَمُ(٣) .

---

(١) « آثـرتكم » . خصصتكم بـه وأنـا في حاجـة إليه ، تقـديمـاً لنفعكم على نفعي والشكيمـة في اللجام : الحـديدة المعـرضة في فم الفـرس ، ويعبر بشـدتهـا عن قـوة النفس وشدة البأس .

(٢) الضرغام : الأسد .

(٣) وإن تعجزاني عن الايقاع بكما ، وتبقيا في الدنيا بعدي ، فأمـامكما حسـاب الله على أعمالكما .

٤٠ ومن كتاب له عليه السلام

إلى بَعْضِ عُمّالِهِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ(١) .

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ ٱلْأَرْضَ ، فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ . فَٱرْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ ٱللّٰهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ ؛ وَٱلسَّلَامَ .

٤١ ومن كتاب له عليه السلام

إلى بَعْضِ عُمّالِهِ(٢)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي ؛ وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي(٣) وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ إِلَيَّ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ عَلَىٰ ٱبْنِ عَمِّكَ

---

(١) الصقت بأمانتك خزية ـ بالفتح ـ أي : رزية أفسدتها ، وكان هذا العامل أخذ ما عنده من مخزون بيت المال .

(٢) هو العامل السابق بعينه .

(٣) المواساة : من « آساه » إذا أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل ، أو مطلقاً وقالوا : ليست مصدراً لواساه فإنه غير فصيح ، وتقدم للامام استعماله ، وهو حجة والموازرة : المناصرة .

قَدْ كَلِبَ ؛ وَٱلْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ ، وَأَمَانَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ(١) ، وَهٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ(٢) ، قَلَبْتَ لِٱبْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ(٣) فَفَارَقْتَهُ مَعَ ٱلْمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ ٱلْخَاذِلِينَ ، وَخُنْتَهُ مَعَ ٱلْخَائِنِينَ فَلَا ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ(٤) ، وَلَا ٱلْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ(٥) وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ . فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ ٱلشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ ٱلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلْكَرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ ٱلْوَثْبَةَ ، وَٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ ٱخْتِطَافَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَزَلِّ دَامِيَةَ ٱلْمِعْزَىٰ ٱلْكَسِيرَةِ(٦) فَحَمَلْتَهُ إِلَىٰ ٱلْحِجَازِ رَحِيبَ ٱلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ(٧) كَأَنَّكَ ـ لَا

---

(١) كلب ـ كفرح ـ : اشتد وخشن ، والكلبة ـ بالضم ـ : الشدة والضيق وحرب ـ كفرح ـ اشتد غضبه ، أو كطلب : بمعنى سلب مالنا ، وخزيت ـ كرضيت ـ وقعت في بلية الفساد الفاضح .

(٢) من « فنكت الجارية » إذا صارت ماجنة ، ومجون الأمة أخذها بغير الحزم في أمرها كأنها هازلة ، وشغرت : لم يبق فيها من يحميها .

(٣) آسيت : ساعدت وشاركت في الملمات .

(٤) المجن : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه .

(٥) كاده عن الأمر : خدعه حتى ناله منه ، والغرة : الغفلة ، والفيء : مال الغنيمة والخراج .

(٦) الأزل : السريع الجري ، أو الخفيف لحم الوركين ، والدامية : المجروحة والكسيرة : المكسورة ، والمعزى ، أخت الضأن ، اسم الجنس كالمعز والمعيز .

(٧) التأثم : التحرز من الإثم ، بمعنى الذنب . و « لا ابا لغيرك » : تقال للتوبيخ مع التحامي من الدعاء عليه ، وحدرت : أسرعت إليهم ، بتراث أو ميراث ، أو هو من « حدره » بمعنى حطه من أعلى لأسفل .

أَبَـا لِغَيْرِكَ - حَـدَرْتَ إِلَىٰ أَهْلِكَ تُرَاثـاً مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّـكَ فَسُبْحَانَ آللّٰهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِٱلْمَعَادِ؟ أَوَ مَـا تخَافُ نِقَـاشَ ٱلْحِسَابِ[1]؟ أَيُّهَـا ٱلْمَعْدُودُ - كَـانَ ، عِنْدَنَـا مِنْ ذَوِي ٱلأَلْبَابِ[2] كَيْفَ تُسِيـغُ شَرَاباً وطَعَـاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُـلُ حَراماً وَتَشْرَبُ حَـرَاماً؟ وَتَبْتَـاعُ ٱلإِمَاءَ وَتَنْكِـحُ ٱلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ ٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدِينَ ٱلَّـذِينَ أَفَاءَ آللّٰهُ عَلَيْهِمْ هٰـذِهِ ٱلأَمْوَالَ وَأَحْـرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ ٱلْبِـلاَدَ ! فَـاتَّقِ آللّٰهَ وَٱرْدُدْ إِلَىٰ هٰـؤُلاَءِ ٱلْقَـوْمِ أَمْـوَالَهُمْ ، فَـإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَـلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي آللّٰهُ مِنْـكَ لأُعْـذِرَنَّ إِلَىٰ آللّٰهِ فِيكَ[3] ، وَلأَضْـرِبَنَّكَ بِسَيْفِي ٱلَّـذِي مَا ضَـرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ ٱلنَّارَ ! وَآللّٰهِ لَوْ أَنَّ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ فَعَـلاَ مِثْلَ ٱلَّـذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَـا عِنْدِي هَـوَادَةٌ[4] ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِـإِرَادَةٍ ، حَتَّىٰ آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُمَا ، وَأُزِيلَ ٱلْبَاطِـلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَـا . وَأُقْسِمُ بِاللّٰهِ رَبِّ ٱلْعَـالَمِينَ : مَا يَسُـرُّنِي أَنَّ مَـا أَخَـذْتَـهُ مِـنْ أَمْـوَالِهِمْ حَـلاَلٌ لِي[5] أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي ، فَضَحِّ رُوَيْداً ، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ ٱلْمَدَىٰ[6] ،

---

(١) النقاش - بالكسر - : المناقشة ، بمعنى الاستقصاء في الحساب .

(٢) « كـان » ههنا زائدة لإفـادة معنى المضي فقط ، لا تامة ، ولا نـاقصة ، و « سغت الشراب ، أسيغه » كبعته أبيعه - : بلعته بسهولة .

(٣) لأعاقبنك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه .

(٤) الهوادة - بالفتح : - الصلح والاختصاص بالميل .

(٥) أي : لا تعتمـد على قرابتـك مني ؛ فـأني لا أسـر بـأن تكـون لي ؛ فضـلاً عن ذوي قرابتي .

(٦) فضح : من « ضحيت الغنم » إذا رعيتها في الضحى ، أي : فارع نفسك على مهل فـإنما أنت على شـرف المـوت . وكـأنك قـد بلغت المدى - بـالفتـح - : مفـرد بمعنى الغاية ، أو بالضم : جمع مدية - بالضم أيضاً - بمعنى الغاية والثرى : التراب

وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَىٰ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ ٱلَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَمَنَّىٰ ٱلْمُضَيِّعُ فِيهِ ٱلرَّجْعَةَ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (١) .

٤٢ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عُمرَ بن أبي سَلمَةَ المَخزوميِّ ، وكانَ عاملَهُ على ٱلبَحْرينِ فَعزَلَهُ ، واستعملَ النُّعْمانَ بنَ عَجْلانَ الزُّرَقيَّ مكانَه

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ ٱلنُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ ٱلزُّرَقِيَّ عَلَىٰ ٱلْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ(٢) ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْوِلَايَةَ ، وَأَدَّيْتَ ٱلْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ(٣) وَلَا مَلُومٍ ، وَلَا مُتَّهَمٍ ، وَلَا مَأْثُومٍ . فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَىٰ ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ(٤) ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ(٥) ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ ٱلدِّينِ ، إِنْ شَاءَ ٱللّٰه .

---

(١) ليس الوقت وقت فرار .
(٢) التثريب : اللوم .
(٣) الظنين : المتهم . وفي التنزيل : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ .
(٤) الظلمة ـ بالتحريك ـ : جمع ظالم .
(٥) أستظهر به : أستعين .

٤٣ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مَصْقَلَةَ بنِ هُبَيْرَةَ الشّيبانيِّ ، وهو عاملُه على أَرْدشيرَ خُرَّهَ[١]

بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ[٢] فَيْءَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنِ ٱعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ[٣] . فَوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً ، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً ،فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ ، فَتَكُونَ مِنَ ٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً .

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا[٤] مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا ٱلْفَيْءِ سَوَاءٌ : يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ .

---

(١) أردشير خرة ـ بضم الخاء وتشديد الراء ـ : بلدة من بلاد العجم .

(٢) « أنك ـ الخ » بدل من « أمر » .

(٣) اعتامك : اختارك ، وأصله أخذ العيمة ـ بالكسر ـ وهي : خيار المال .

(٤) قبل ـ بكسر ففتح ـ : ظرف بمعنى عند .

٤٤

ومن كتاب له عليه السلام

إلى زيادِ بنِ أبيهِ ، وقد بلغَهُ أَنَّ معاويةَ كتبَ إليهِ يريدُ خديعَتَهُ باستِلْحاقِهِ

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ[(١)] ؛ فَاحْذَرْهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ : يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ[(٢)] وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ[(٣)] وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ : لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ .

---

(١) « يستزل » أي : يطلب به الزلل ، وهو الخطأ ، واللب : القلب ، ويستفل ـ بالفاء ـ أي : يتطلب فل غربك ؛ أي : ثلم حدتك ، والغرب ـ بفتح فسكون ـ الحدة والنشاط .

(٢) يدخل غفلته بغتة فيأخذه فيها . وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن أنواع التشبيه . والغرة ـ بالكسر ـ : خلو العقل من ضروب الحيل . والمراد منها العقل الغر ، أي : يسلب العقل الساذج .

(٣) فلتة أبي سفيان : قوله في شأن زياد : « إني أعلم من وضعه في رحم أمه » يريد نفسه .

فَلمّا قرأ زِيادُ الكتابَ قال : شهِدَ بها وربِّ آلكَعْبَةِ ، وَلَمْ يَزل فِي نفسهِ حتَّى ادَّعاهُ معاويةُ .

قال الرضي : قولُهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ « الواغِلُ » هُوَ آلذي يهجُمُ على الشُّرَّب لِيشربَ معهُمْ ، وَلَيسَ منْهُمْ ، فَلا يزال مُدَفَّعاً محاجَزاً . و « النَّوْط المُذَبْذَبْ » : هو ما يُناط بِرَحْلِ الرَّاكبِ من قَعْبٍ أو قَدَح أو أَشبَهَ ذٰلك ، فَهُو أَبداً يَتقَلْقَلُ إذا حثَّ ظهرَه واستعجلَ سيرَهُ .

٤٥ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عُثمانَ بنُ حُنَيْفٍ الأَنْصاريِّ ، وهو عامِلُهُ على البَصرَةِ وقَدْ بلغَهُ أنه دُعيَ إلى وليمةِ قومٍ من أَهلِها فَمضى إليها

أَمَّا بَعْدُ يَا آبْنَ حُنَيْفٍ : فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ آلْبَصْرَةِ دَعاكَ إِلَىٰ مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ آلأَلْوَانُ : وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ آلْجِفَانُ[١]! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَىٰ طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ[٢] ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ . فَآنْظُرْ إِلَىٰ مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا

---

(١) المأدبة ـ بفتح الدال وضمها ـ : الطعام يصنع لدعوة أو عرس ، تستطاب : يطلب لك طيبها ، والألوان : أصناف الطعام : والجفان ـ بكسر الجيم ـ : جمع جفنة ، وهي القصعة .

(٢) عائلهم : محتاجهم : « مجفو » أي : مطرود ، من الجفاء .

ٱلْمَقْضَمِ(١) فَمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَٱلْفِظْهُ(٢) ؛ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ(٣) فَنَلْ مِنْهُ .

أَلاَ وَإِنَّ لِكلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ ، أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ ٱكْتَفَىٰ مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ(٤) ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ . أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَٱجْتِهَادٍ ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ(٥) . فَوَٱللّٰهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً ، وَلاَ ٱدَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً(٦) وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً(٧) . وَلاَ حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً ؛ وَلاَ أَخَذْتُ مِنْهُ إِلاَّ كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَىٰ وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ . بَلَىٰ ! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ . وَنِعْمَ ٱلْحَكَمُ ٱللّٰهُ ! وَمَا أَصْنَعُ

---

(١) قضم ـ كسمع ـ : أكل بطرف أسنانه ، والمراد الأكل مطلقاً . والقضم ـ بالقاف ـ دون ذلك ، وقولهم : يبلغ الخضم بالقضم ، أي الشبعة قد تدرك بالأكل بأطراف الفم ، وهم يريدون بذلك أن الغاية البعيدة قد تدرك بالرفق .

(٢) اطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمته .

(٣) بطيب وجوهه : بالحل في طرق كسبه .

(٤) الطمر ـ بالكسر ـ : الثوب الخلق .

(٥) إن ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على إصلاح شؤون الرعية .

(٦) التبر ـ بكسر فسكون ـ : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ ، والوفر : المال .

(٧) أي : ما كان يهيء لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى ، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر . والثوب هنا عبارة عن الطمرين ، فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً فيهما يكسو البدن لا بأحدهما .

بِفَـدَكٍ وَغَيـرِ فَـدَكٍ وَٱلنَّفْسُ مَـظَانُّهَـا فِي غَـدٍ جَـدَثٌ[1] ؟ تَنْقَـطِعُ فِي ظُلْمَتِـهِ آثَارُهَـا ، وَتَغِيبُ أَخْبَـارُهَـا ، وَحُفْـرَةٌ لَـوْ زِيـدَ فِي فُسْحَتِهَـا ، وَأَوْسَعَتْ يَـدَا حَافِـرِهَا لَأَضْغَـطَهَا ٱلْحَجَـرُ وَٱلْمَدَرُ[2] ، وَسَـدَّ فُرَجَهَـا ٱلتُّـرَابُ ٱلْمُتَرَاكِمُ . وَإِنَّمـا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِـالتَّقْوَىٰ[3] لِتَـأْتِيَ آمِنَةً يَـوْمَ ٱلْخَـوْفِ ٱلْأَكْبَـرِ ، وَتَثْبُتَ عَلَىٰ جَـوَانِبِ ٱلْمَـزْلَقِ[4] . وَلَـوْ شِئْتُ لَاهْتَـدَيْتُ ٱلطَّرِيقَ[5] إِلَىٰ مُصَفَّى هٰـذَا ٱلْعَسَـلِ وَلُبَـابِ هٰـذَا ٱلْقَمْـحِ وَنَسَـائِجِ هٰـذَا ٱلْقَـزِّ ، وَلٰكِنْ هَيْهَـاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَـوَايَ ، وَيَقُـودَنِي جَشَعِي[6] إِلَىٰ تَخَيُّرِ ٱلْأَطْعِمَةِ . وَلَعَـلَّ بِٱلْحِجَـازِ أَوِ ٱلْيَمَـامَـةِ[7] مَنْ لَا

---

(١) فدك ـ بالتحريك ـ : قرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد خيبر ؛ وإجماع الشيعة على أنه كان أعطاها فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته ، إلا أن أبا بكر ـ رضيَ الله عنه ـ ردها لبيت المال قائلاً : « إنها كانت مالاً في يد النبي يحمل به الرجال ، وينفقه في سبيل الله ، وإنا إليه كما كان عليه » . والقوم الآخرون الذين سخت نفوسهم عنها هم بنو هاشم . والمظان : جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء ، وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه . في غد جدث ـ بالتحريك ـ أي : قبر .

(٢) أضغطها : جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها .

(٣) أروضها : أذللها .

(٤) المزلق ـ ومثله المزلقة ، وهو الصراط ، وتقول : زلقت رجله ـ من باب طرب ـ وأزلقها غيره .

(٥) كان ـ كرم الله وجهه ـ إماماً عالي السلطان واسع الامكان ، فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم يمنعه مانع ، وهو قوله « لو شئت لاهتديت الخ » والقز : الحرير .

(٦) الجشع : شدة الحرص .

(٧) جملة « ولعل ـ الخ » : حالية عمل فيها تخير الأطعمة ، أي : هيهات أن يتخير الأطعمة لنفسه والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص ؛ أي : الرغيف ، ولا طمع له في وجوده لشدة الفقر ، ولا يعرف الشبع . وهيهات أن يبيت =

طَمَعَ لَهُ فِي ٱلْقُرْصِ ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ ، وَأَكْبَادٌ حَرَّىٰ ، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ ٱلْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[١] وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَىٰ ٱلْقِدِّ!

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ ٱلدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ ٱلْعَيْشِ[٢] ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ ٱلطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ ٱلْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا ، أَوِ ٱلْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا[٣] تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا ، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا . أَوْ أُتْرَكَ سُدًى وَأُهْمَلَ عَابِثاً ، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ ٱلضَّلاَلَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ ٱلْمَتَاهَةِ[٤] . وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ هٰذَا قُوتَ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ ٱلأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ ٱلشُّجْعَانِ » . أَلاَ وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً ، وَٱلرَّوَائِعَ ٱلْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً[٥] ، وَٱلنَّبَاتَاتِ ٱلْبَدَوِيَّةَ أَقْوَىٰ وُقُوداً[٦] وَأَبْطَأُ خُمُوداً ! وَأَنَا مِنْ

= مبطاناً ـ أي : ممتلىء البطن ـ والحال أن حوله بطوناً غرثى ـ أي : جائعة ـ وأكباداً حرى ، مؤنث حران ، أي : عطشان .

(١) البطنة ـ بكسر الباء ـ : البطر والأشر والكظة ؛ والقد ـ بالكسر ـ سير من جلد غير مدبوغ ، أي : إنها تطلب أكلاً ولا تجده .

(٢) الجشوبة : الخشونة ، وتقول : جشب الطعام ـ كنصر وسمع ـ فهو جشب وجشب ـ كشهم وبطر ـ وجشيب ومجشاب ومجشوب ، أي : غلظ فهو غليظ ، بلا أدم ؛ وجشبه : طحنه جريشاً .

(٣) التقاطها للقمامة ؛ أي : الكناسة ، و« تكترش » أي : تملأ كرشها .

(٤) اعتسف : ركب الطريق على غير قصد ، والمتاهة : موضع الحيرة .

(٥) الروائع الخضرة : الأشجار ، والأعشاب الغضة : الناعمة الحسنة .

(٦) الوقود : اشتعال النار ، أي : إذا وقدت بها النار تكون أقوى اشتعالاً من النباتات =

رَسُولِ ٱللّٰهِ كَالصِّنْوِ مِنَ ٱلصِّنْوِ ، وَٱلذِّراعِ مِنَ ٱلْعَضُدِ(١) . وَٱللّٰهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ العَرَبُ عَلَىٰ قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَلَوْ أَمْكَنَتِ ٱلْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا . وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ ٱلْأَرْضَ مِنْ هٰذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْمَعْكُوسِ ، وَٱلْجِسْمِ ٱلْمَرْكُوسِ(٢) حَتَّىٰ تَخْرُجَ ٱلْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ ٱلْحَصِيدِ(٣) .

ومن هذا الكتاب ، وهو آخره :

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَىٰ غَارِبِكِ(٤) ، قَدِ ٱنْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ ، وَٱجْتَنَبْتُ ٱلذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ . أَيْنَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ(٥) أَيْنَ ٱلْأُمَمُ

= غير البدوية وأبطأ منها خموداً ، ويروى « والنباتات العذية أقوى وقوداً » وهي النباتات التي لا يسقيها إلا ماء المطر .

(١) الصنوان : النخلتان يجمعهما أصل واحد ، فهو من جرثومة الرسول يكون في حاله ، كما كان شديد البأس وإن كان خشن المعيشة ويروى « كالضوء من الضوء » .

(٢) جهد ـ كمنع ـ : جد : والمركوس : من الركس ، وهو رد الشيء مقلوباً وقلب آخره على أوله ، والمراد مقلوب الفكر .

(٣) المدرة ـ بالتحريك ـ : قطعة الطين اليابس ، وحب الحصيد : حب النبات المحصود كالقمح ونحوه ، أي : حتى يطهر المؤمنين من المخالفين .

(٤) إليك عني : اذهبي عني ، والغارب : الكاهل وما بين السنام والعنق . والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت . وانسل من مخالبها : لم يعلق به شيء من شهواتها ، والحبائل : جمع حبالة ، وهي شبكة الصياد، وأفلت منها : خلص ، والمداحض : المساقط .

(٥) والمداعب : جمع مدعبة ، من الدعابة ، وهي المزاح ، والتاءات والكافات كلها بالكسر خطاباً للدنيا .

ٱلَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ هَا هُمْ رَهَائِنُ ٱلْقُبُورِ ، وَمَضَامِينُ ٱللُّحُودِ ! وَٱللّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيًّا ، وَقَالَباً حِسِّيّاً ، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ ٱللّهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِٱلْأَمَانِي وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَىٰ ٱلتَّلَفِ وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ ٱلْبَلَاءِ ، إِذْ لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ(١) . هَيْهَاتَ مَنْ وَطِىءَ دَحْضَكِ زَلِقَ(٢) ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ ، وَمَنِ ٱزْوَرَّ عَنْ حِبَالِكِ وُفِّقَ(٣) . وَٱلسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ ، وَٱلدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ ٱنْسِلَاخُهُ(٤) .

أُعْزُبِي عَنِّي(٥) فَوَٱللّهِ لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي ، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي ، وَأَيْمُ ٱللّهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللّهِ - لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَىٰ ٱلْقُرْصِ(٦) إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً ، وَتَقْنَعُ بِٱلْمِلْحِ مَأْدُوماً ، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا(٧) مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِىءُ ٱلسَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟

---

(١) الورد - بكسر الواو - : ورود الماء ، والصدر - بالتحريك - : الصدور عنه بعد الشرب .

(٢) مكان دحض - بفتح فسكون - أي : زلق لا تثبت فيه الأرجل .

(٣) « أزور » أي : مال وتنكب .

(٤) حان : حضر ، وانسلاخه : زواله .

(٥) « عزب يعزب » أي : بعد ، « ولا أسلس » أي : لا أنقاد .

(٦) « تهش » أي : تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها ، و « مطعوماً » : حال من « القرص » كما أن « مأدوماً » حال من الملح ؛ أي : مأدوماً به الطعام .

(٧) أي : لأتركن مقلتي - أي : عيني - وهي كعين ماء نضب - أي : غار - معينها - بفتح فكسر ، أي : ماؤها الجاري - : أي : أبكي حتى لا يبقى دمع .

وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[1]؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ[2] ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ[3] إِذَا ٱقْتَدَىٰ بَعْدَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ ٱلْهَامِلَةِ[4] وَٱلسَّائِمَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ !

طُوبَىٰ لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَىٰ رَبِّهَا فَرْضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا[5] ، وَهَجَرَتْ فِي ٱللَّيْلِ غُمْضَهَا[6] ، حَتَّىٰ إِذَا غَلَبَ ٱلْكَرَىٰ عَلَيْهَا ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا ، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا ، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ[7] ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ ٱسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿ **أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ .

فَاتَّقِ ٱللَّهَ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ ، لِيَكُونَ مِنَ ٱلنَّارِ خَلَاصُكَ .

---

(١) الربيضه : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها ، والربوض للغنم : كالبروك للابل .

(٢) « يهجع » أي : يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها .

(٣) دعاء على نفسه ببرود العين ـ أي : جمودها ـ من فقد الحياة . تعبير باللازم .

(٤) الهاملة : المسترسلة ، والهمل من الغنم ترعى نهاراً بلا راع .

(٥) البؤس : الضر . وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه . ويقال : فلان يعرك بجنبه الأذى ، إذا كان صابراً عليه .

(٦) الغمض ـ بالضم ـ : النوم ، والكرى ـ بالفتح ـ : كذلك .

(٧) الهمهمة : الصوت يردد في الصدر ، وأراد منه الأعم ، وتقشع الغمام : انجلى .

٤٦ ومن كتاب له عليه السلام

إلى بَعْضِ عُمّالِهِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ إِقَامَةِ ٱلدِّينِ(١) ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ ٱلأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ ٱلثَّغْرِ ٱلْمَخُوفِ(٢) . فَٱسْتَعِنْ بِاللّهِ عَلَىٰ مَا أَهَمَّكَ ، وَٱخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ(٣) ، وَٱرْفُقْ مَا كَانَ ٱلرِّفْقُ أَرْفَقَ ، وَٱعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي ٱللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ(٤) وَٱلإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيْأَسَ ٱلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَٱلسَّلَامُ .

٤٧ ومن وصية له عليه السلام

لِلْحَسَنِ وَٱلْحُسَيْنِ عَلَيْهِما السَّلامُ لمّا ضَرَبَهُ ابنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللّهُ

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَىٰ ٱللّهِ ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا ٱلدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا(٥) وَلَا

---

(١) أستظهر : أستعين به ، « وأقمع » أي : أكسر ، والنخوة ـ بالفتح ـ : الكبر ، والأثيم : فاعل الخطايا .

(٢) الثغر : مظنة طروق الأعداء في حدود الممالك ، واللهاة : قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق ، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الإنسان .

(٣) بضعث : بخلط ، أي : شيء تخلط به الشدة من اللين .

(٤) « آس » أي : شارك وسوّ بينهم .

(٥) لا تطلباها وإن طلبتكما .

تَأْسَفَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا[1] . وَقُولاَ لِلْحَقِّ ، وَٱعْمَلاَ لِلأَجْرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً .

أُوصِيكُمَا ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي ، بِتَقْوَىٰ ٱللّٰهِ ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « صَلاَحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ » . ٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي ٱلأَيْتَامِ ؛ فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ[2] وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ ، وَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي جِيرَانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ[3] وَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي ٱلْقُرْآنِ ، لاَ يَسْبِقُكُمْ بِٱلْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ . وَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي الصَّلاَةِ ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ . وَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُم ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا[4] وَٱللّٰهَ ٱللّٰهَ فِي ٱلْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ . وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَٱلتَّبَاذُلِ[5] ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ . لاَ تَتْرُكُوا ٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) « زوي » أي : قبض ونحي عنكما .

(٢) أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ، أي : صلوا أفواههم بالاطعام ولا تقطعوه عنها .

(٣) يجعل لهم حقاً في الميراث .

(٤) لم تناظروا ـ مبني للمجهول ـ أي : لا ينظر إليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس لإهمالكم فرض دينكم .

(٥) مداولة البذل ، أي : العطاء .

وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَـرِ فَيُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ شِـرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُـونَ فَلاَ يُسْتَجَـابُ لَكُمْ . ثم قال :

يَـا بَنِي عَبْدِ ٱلْمُـطَّلِبِ لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ[١] تَخُوضُـونَ دِمَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ : « قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ » أَلاَ ، لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي .

أُنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَـرْبَتِهِ هٰـذِهِ فَاضْـرِبُوهُ ضَـرْبَةً بِضَـرْبَةٍ ، وَلاَ يُمَثَّـلُ بِالـرَّجُلِ[٢] ، فَـإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللّٰهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْمُثْلَةَ ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ ٱلْعَقُورِ » .

٤٨ ومن كتاب له عليه السلام

إِلَى مُعَاوِيَةَ

وَإِنَّ ٱلْبَغْيَ وَٱلـزُّورَ يُذِيعَـانِ بِالْمَـرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَـاهُ[٣] وَيُبْدِيَـانِ خَلَلَهُ عِنْـدَ مَنْ يَعِيبُـهُ . وَقَـدْ عَلِمْتُ أَنَّـكَ غَيْـرُ مُـدْرِكٍ مَـا قُضِيَ فَـوَاتُـهُ[٤] ، وَقَـدْ رَامَ أَقْـوَامٌ أَمْـراً بِغَيْـرِ ٱلْحَقِّ فَتَـأَوَّلُـوا عَلَىٰ ٱللّٰهِ

---

(١) لا أجدنكم ، نفي في معنى النهي ، أي : لا تخوضـوا دمـاء المسلمين بـالسفـك انتقاماً منهم بقتلي .

(٢) أي لا تمثلوا به ، والتمثيل : التنكيل والتعذيب ، أو هو التشويه بعد القتل أو قبله : بقطع الأطراف مثلاً .

(٣) « يذيعان بالمرء » : يشهرانـه ويفضحانه ، ويروى « يوتغـان بالمـرء » أي : يهلكانـه ، والوتغ ـ بالتحريك ـ الهلاك ، وقد وتغ كوجل يوتغ كيوجل .

(٤) مـا قضى فواته : هو دم عثمـان والانتصار لـه ، ومعاويـة يعلم أنه لا يـدركه لانقضـاء الأمر بموت عثمان رضي الله عنه .

فَأَكْذَبَهُمْ(١) . فَاحْذَرْ يَوماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ(٢) ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ .

وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَىٰ حُكْمِ القُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا ، وَلٰكِنَّا أَجَبْنَا ٱلْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ ، وَالسَّلاَمُ .

٤٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى غَيْرِه(٣)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا ، وَلَهَجاً بِهَا(٤) وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا . وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ ! وَلَو ٱعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَىٰ حَفِظْتَ مَا بَقِيَ . وَالسَّلاَمُ .

---

(١) أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان ؛ يريد بهم أصحاب الجمل ، وتأولوا على الله ، أي : تطاولوا على أحكامه بالتأويل ، فأكذبهم : حكم بكذبهم .

(٢) يغتبط : يفرح من جعل عاقبة عمله محمودة باحسان العمل ، أو من وجد العاقبة حميدة . و « أمكن الشيطان » أي : مكنه من زمامه ولم ينازعه .

(٣) في رواية ابن أبي الحديد « إلى معاوية أيضاً » .

(٤) « لهجاً » أي : ولوعاً وشدة حرص ، وتقول : قد لهج بالشيء ـ من باب طرب ـ إذا أغرى به فثابر عليه .

٥٠ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أُمرائِهِ عَلى ٱلجُيوشِ

مِنْ عَبْدِ ٱللّهِ عَليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَصْحَابِ ٱلْمَسَالِحِ (١) :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ حَقًّا عَلَىٰ ٱلْوَالِي أَنْ لاَ يُغَيِّرَهُ عَلَىٰ رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ ، وَلاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ(٢) وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ ٱللّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ ، وَعَطْفاً عَلَىٰ إِخْوَانِهِ .

أَلاَ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لاَ أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلاَّ فِي حَرْبٍ(٣) وَلاَ أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلاَّ فِي حُكْمٍ(٤) . وَلاَ أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلاَ أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ(٥) . وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً ؛ فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لِلّهِ عَلَيْكُمُ ٱلنِّعْمَةُ وَلِي

---

(١) جمع مسلحة ؛ أي : الثغور ، لأنها مواضع السلاح ، وأصل المسلحة : قوم ذوو سلاح .

(٢) الطول ـ بفتح الطاء ـ : عظيم الفضل ، أي : من الواجب على الوالي إذا خصه الله بفضل أن يزيده فضله قرباً من العباد وعطفاً على الإخوان ، وليس من حقه أن يتغير .

(٣) لا أكتم عنكم سراً إلا في الحرب فانها خدعة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حرباً ورّى بغيرها .

(٤) طواه عنه : لم يجعل له نصيباً فيه ، أي : لا أدع مشاورتكم في أمر إلا في حكم صرح به الشرع في حد من الحدود مثلاً ، فحكم الله النافذ دون مشورتكم .

(٥) دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم .

عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ ؛ وَأَنْ لاَ تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ[1] وَلاَ تُفَرِّطُوا فِي صَلاَحٍ ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ[2] . فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَىٰ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ ٱعْوَجَّ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ ٱلْعُقُوبَةَ ، وَلاَ يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً . فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحِ ٱللّٰهُ بِهِ أَمْرَكُمْ[3] .

٥١ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عُمَّالِهِ عَلَى ٱلخَرَاجِ

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَصْحَابِ ٱلْخَرَاجِ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ[4] لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَىٰ ٱللّٰهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ ٱجْتِنَابِهِ مَا لاَ عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ . فَأَنْصِفُوا النَّاسَ

---

(١) أي : لا تتأخروا إذا دعوتكم .

(٢) الغمرات : الشدائد .

(٣) أي : خذوا حقكم من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم الحق الواجب عليكم وهو ما يصلح الله به أمركم .

(٤) من لم يحذر العاقبة التي يصير إليها لم يعمل عملاً لنفسه يحفظها من سوء المصير .

مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَٱصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ[1] وَوُكَلاَءُ ٱلْأُمَّةِ ، وَسُفَرَاءُ ٱلْأَئِمَّةِ ، ولاَ تَحْسِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ[2] وَلاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طِلْبَتِهِ ، وَلاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي ٱلْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلاَ صَيْفٍ وَلاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا[3] وَلاَ عَبْداً ، وَلاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ، وَلاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ مُصَلٍّ وَلاَ مُعَاهَدٍ، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاَحاً يُعْدَىٰ بِهِ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْإِسْلاَمِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ ٱلْإِسْلاَمِ ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ . وَلاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً[4] ، وَلاَ ٱلْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، وَلاَ الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ، وَلاَ دِينَ ٱللّٰهِ قُوَّةً ، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ مَا ٱسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ[5] فَإِنَّ ٱللّٰهَ ، سُبْحَانَهُ ، قَدِ ٱصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ

---

(١) الخزان ـ بضم فزاي مشددة ـ جمع خازن ، والولاة يخزنون أموال الرعية في بيت المال لتنفق في مصالحها .

(٢) لا تحسموا : لا تقطعوا ، ويروي « ولا تحشموا » بالشين المعجمة ، ويجوز ضم حرف المضارعة وفتحه قال ابن الأعرابي : حشمه أخجله ، وأحشمه أغضبه والطلبة ـ بالكسر وبفتح الطاء وكسر اللام ـ : المطلوب .

(٣) أي : لا تضطروا الناس لأن يبيعوا لأجل أداء الخراج شيئاً من كسوتهم ، ولا من الدواب اللازمة لأعمالهم في الزرع والحمل ، مثلاً ، ولا تضربوهم لأجل الدراهم ، ولا تمسوا مال أحد من المصلين ـ أي : المسلمين ـ أو المعاهدين بالمصادرة الا ما كان عدة للخارجين على الاسلام يصولون بها على أهله .

(٤) ادخر الشيء : استبقاه ، لا يبذل منه لوقت الحاجة ، وضمن « ادخر » هاهنا معنى « منع » فعداه بنفسه لمفعولين ، أي لا تمنعوا انفسكم شيئاً من النصيحة بدعوى تأخيره لوقت الحاجة . بل حاسبوا انفسكم على اعمالكم كل وقت . ومثل هذا يقال في المعطوفات .

(٥) « وأبلوا » أي : أدوا ، يقال : أبليته عذراً ؛ أي : أديته إليه .

أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا[1] ، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللّٰهِ الْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ .

٥٢ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أُمَرَاءِ ٱلبِلادِ في مَعْنى ٱلصَّلاةِ

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّىٰ تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبَضِ ٱلْعَنْزِ[2] ، وصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عِضْوٍ مِنَ ٱلنَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ[3] وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ ٱلْحَاجُّ إِلَىٰ مِنىً[4] ، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَىٰ الشَّفَقُ إِلَىٰ ثُلُثِ ٱللَّيْلِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ ٱلْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ[5] .

---

(١) يقال : اصطنعت عنده ، أي طلبت منه أن يصنع لي شيئاً . فالله سبحانه طلب منا أن نصنع له الشكر بطاعتنا له ورعاية حقوق عباده ، وفاء بحق ماله علينا من النعمة .

(٢) « تفيء » أي : تصل في ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها فيء، أي : ظل : من حائط المربض على قدر طوله ، وذلك حيث يكون ظل كل شيء مثله .

(٣) أي: لا تزالون تصلون بهم العصر من نهاية وقت الظهر ما دامت الشمس بيضاء حية لم تصفر ، وذلك في جزء من النهار يسع السير فرسخين والضمير في « فيها » للعضو باعتبار كونه مدة .

(٤) « يدفع الحاج » أي : يفيض من عرفات .

(٥) أي : لا يكون الامام موجباً لفتنة المأمومين ، ونفرتهم من الصلاة بالتطويل .

٥٣ ومن كتاب له عليه السلام

كَتَبهُ للأَشْتَرِ النَّخَعيِّ ، لمّا وَلّاه عَلَى مِصْرَ وأعمالِها حينَ اضْطرَبَ أمرُ مُحَمّدِ بنِ أبي بَكْرٍ ، وَهُوَ أطوَلُ عَهْدٍ وأَجْمَعُ كُتُبِهِ لِلمَحاسِنِ

٥٤ بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُـؤْمِنِينَ مَالِـكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ : جِبَايَةَ خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَٱسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا .

أَمَـرَهُ بِتَقْـوَىٰ ٱللّهِ ، وَإِيثَـارِ طَـاعَتِـهِ ، وَٱتِّبَـاعِ مَـا أَمَـرَ بِـهِ فِي كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ ، وَسُنَنِهِ ، ٱلَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِٱتِّبَـاعِهَا ، وَلاَ يَشْقَىٰ إِلَّا مَـعَ جُحُودِهَـا وَإِضَاعَتِهَـا ، وَأَنْ يَنصُرَ ٱللّهَ سُبْحَـانَـهُ بِقَلْبِـهِ وَيَـدِهِ وَلِسَانِـهِ ، فَإِنَّـهُ ، جَلَّ ٱسْمُـهُ ، قَـدْ تَكَفَّـلَ بِنَصْـرِ مَنْ نَصَـرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمَـرَهُ أَنْ يَكْسِـرَ نَـفْسَـهُ مِـنَ ٱلشَّـهَـوَاتِ وَيَـزَعَهَـا عِـنْـدَ ٱلْجَمَحَاتِ(١) ؛ فَإِنَّ ٱلنَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ ٱللّهُ .

ثُمَّ ٱعْلَمْ ، يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَىٰ بِلاَدٍ قَـدْ جَرَتْ عَلَيْهَا

---

(١) و « يزعها » أي : يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح .

دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ ٱلْوُلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي ٱللَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ أَلْسُنِ عِبَادِهِ . فَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ ٱلْعَمَلِ الصَّالِحِ ، فَٱمْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ[1] فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ ٱلإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ . وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ ٱلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَٱلْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَٱللُّطْفَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي ٱلدِّينِ ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ ٱلزَّلَلُ[2] ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْعِلَلُ ، وَيُؤْتَىٰ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ[3] فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ ٱلَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي ٱلأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَٱللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ . وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ[4] وَٱبْتَلَاكَ بِهِمْ ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللَّهِ[5] فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا

---

(١) شح : ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل ، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب ، بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق فرب محبوب يعقب هلاكاً ، ومكروه تحمد عاقبته .

(٢) يفرط : يسبق ، والزلل : الخطأ .

(٣) يؤتى - مبني للمجهول - نائب فاعله « على أيديهم » وأصله « تأتي السيئات على أيديهم - الخ » .

(٤) استكفاك : طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم .

(٥) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور ، و« لا يد لك بنقمته ، » أي : ليس لك يد أن تدفع نقمته ، أي : لا طاقة لك بها .

تَنْـدَمَنَّ عَلَىٰ عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَـةٍ[1] ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَىٰ بَـادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً ، وَلَا تَقُـولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّـرٌ آمُرُ فَـأُطَاعُ[2] فَـإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي ٱلْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَـكَ مَا أَنْتَ فِيـهِ مِنْ سُلْطَانِـكَ أُبَّهَـةً أَوْ مَخِيلَةً[3] فَـٱنْـظُرْ إِلَىٰ عِـظَـمِ مُلْكِ ٱللّٰهِ فَـوْقَكَ وَقُـدْرَتِهِ مِنْـكَ عَلَىٰ مَا لَا تَقْـدِرُ عَلَيْـهِ مِنْ نَفْسِـكَ ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَـاحِكَ[4] ، وَيَكُفُّ عَنْـكَ مِنْ غَرْبِـكَ ، وَيَفِي إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ ٱللّٰهِ فِي عَظَمَتِهِ[5] وَالتَّشَبُّهَ بِـهِ فِي جَبَرُوتِـهِ ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ ٱللّٰهَ وَأَنْصِفِ النَّـاسَ مِنْ نَفْسِـكَ وَمِنْ خَـاصَّـةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَـكَ فِيهِ هَـوًىٰ مِنْ رَعِيَّتِـكَ[6] ، فَـإِنَّـكَ إِلَّا تَفْعَـلْ تَـظْلِمْ ! وَمَنْ

---

(١) بجح به ـ كفرح لفظاً ومعنى ـ والبادرة : ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل ، والمندوحة : المتسع ، أي : المخلص .

(٢) مؤمر ـ كمعظم ـ أي : مسلط ، والادغال : إدخال الفساد ، ومنهكة : مضعفة ، وتقول « نهكه » أي : أضعفه . وتقول « نهكه السلطان » ـ من باب فهم ـ أي : بالغ في عقوبته ، والغير ـ بكسر ففتح ـ : حادثات الدهر بتبدل الدول ، والاغترار بالسلطة تقرب منها ، أي : تعرض للوقوع فيها .

(٣) الأبهة ـ بضم الهمزة وتشديد الباء مفتوحة ـ : العظمة والكبرياء والمخيلة ـ بفتح فكسر : الخيلاء والعجب .

(٤) الطماح ـ ككتاب ـ : النشوز والجماح ، و « يطامن » أي : يخفض منه ، والغرب ـ بفتح فسكون ـ : الحدة ، ويفيء : يرجع إليك . بما عزب ـ أي : غاب ـ من عقلك .

(٥) المساماة : المباراة في السمو ، أي : العلو .

(٦) من لك فيه هوى ؛ أي : لك إليه ميل خاص .

ظَلَمَ عِبَادَ ٱللَّهِ كَانَ ٱللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ(١) وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّىٰ يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَىٰ ظُلْمٍ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ ٱلأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي ٱلْحَقِّ ، وَأَعَمَّهَا فِي ٱلْعَدْلِ وَأَجْمَعَهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى ٱلْخَاصَّةِ(٢) وَإِنَّ سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى ٱلْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَىٰ ٱلْوَالِي مَؤونَةً فِي ٱلرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ(٣) وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ ٱلإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ ٱلْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ ٱلْخَاصَّةِ(٤) . وَإِنَّما عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ(٥) وَٱلْعِدَّةُ لِلأَعْدَاءِ ، ٱلْعَامَّةُ مِنَ ٱلأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ

---

(١) أدحض : أبطل ، و « حرباً » أي : محارباً ، و « ينزع » ـ كيضرب ـ أي : يقلع عن ظلمه .

(٢) « يجحف » أي : يذهب برضا الخاصة فلا ينفع الثاني معه . أما لو سخط الخاصة ورضي العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر .

(٣) الالحاف : الالحاح والشدة في السؤال .

(٤) « من اهل الخاصة » متعلق بأثقل ، وما بعده من أفاعل التفضيل .

(٥) جماع الشيء ـ بالكسر ـ جمعه ، أي : جماعة الاسلام . والعامة خير عماد وما بعده .

ٱلنَّـاسِ [١] فَإِنَّ فِي ٱلنَّـاسِ عُيُوباً، ٱلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَـرَهَـا [٢] ، فَـلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْـكَ تَطْهِيـرُ مَا ظَهَـرَ لَكَ ، وَٱللَّهُ يَحْكُمُ عَلَىٰ مَـا غَابَ عَنْـكَ ، فَاسْتُرِ ٱلْعَوْرَةَ مَـا ٱسْتَـطَعْتَ يَسْتُـرِ ٱللَّهُ مِنْـكَ مَا تُحِبُّ سَتْـرَهُ مِنْ رَعِيَّتِـكَ . أَطْلِقْ عَنِ النَّـاسِ عُقْـدَةَ [٣] كُـلِّ حِقْـدٍ ، وَٱقْطَعْ عَنْـكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْـرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُـلِّ مَـا لَا يَصِـحُّ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَىٰ تَصْدِيقِ سَـاعٍ ، فَإِنَّ السَّـاعِيَ غَاشٌّ ، وَإِنْ تَشَبَّـهَ بِـالنَّـاصِحِينَ . وَلَا تُـدْخِلَنَّ فِي مَشُـورَتِـكَ بَخِيـلاً يَعْـدِلُ بِـكَ عَنِ ٱلْفَضْـلِ [٤] وَيَعِـدُكَ ٱلْفَقْـرَ ، وَلَا جَبَـانـاً يُضْعِفُـكَ عَنِ ٱلْأُمُـورِ ، وَلَا حَـرِيصاً يُـزَيِّنُ لَكَ الشَّـرَهَ بِٱلْجَـوْرِ ، فَـإِنَّ ٱلْبُخْـلَ وَٱلْجُبْنَ وَٱلْحِـرْصَ غَرَائِزُ شَتَّىٰ [٥] يَجْمَعَهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ !

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَـانَ لِلْأَشْـرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً ، وَمَنْ شَـرِكَهُمْ فِي ٱلْآثَـامِ فَلَا يَكُـونَنَّ لَكَ بِـطَانَةً [٦] فَـإِنَّهُمْ أَعْوَانُ ٱلْأَثَمَـةِ ، وَإِخْوَانُ

---

(١) أشنأهم : أبغضهم ، والأطلب للمعائب : الأشد طلباً لها .

(٢) « ستر » فعل ماض صلة « من » أي : أحق الساترين لها بالستر .

(٣) احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم ، واقطع عنك أسباب الأوتار ـ أي : العداوات ـ بترك الاساءة إلى الرعية ، والوتر ـ بالكسر ـ العداوة ، و « تغاب » أي : تغافل ، والساعي هو النمام بمعائب الناس .

(٤) الفضل هنا : الاحسان بالبذل . ويعدك : يخوفك من الفقر لو بذلت . والشره ـ بالتحريك ـ : أشد الحرص .

(٥) غرائز : طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله .

(٦) بطانة الرجل ـ بالكسر ـ : خاصته ، وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته . والأثمة : جمع آثم ، وهو فاعل الإثم ، أي : الذنب . والظلمة : جمع ظالم .

الظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنهُمْ خَيْرَ ٱلْخَلَفِ[1] مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ[2] مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَىٰ ظُلْمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَىٰ إِثْمِهِ : أُولٰئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْنَىٰ عَلَيْكَ عَطْفاً ، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[3] . فَاتَّخِذْ أُولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ ٱلْحَقِّ لَكَ[4] وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ ٱللّٰهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ[5] . وَٱلْصَقْ بِأَهْلِ ٱلْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَىٰ أَنْ لاَ يُطْرُوكَ[6] وَلاَ يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ ٱلْعِزَّةِ .

وَلاَ يَكُونَنَّ ٱلْمُحْسِنُ وَٱلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ ٱلإِحْسَانِ فِي ٱلإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ ٱلإِسَاءَةِ

---

(١) « منهم » متعلق « بالخلف » أو متعلق « بواجد » ، ومن مستعملة في المعنى الإسمي بمعنى يدل .

(٢) الآصار : جمع إصر ـ بالكسر ـ وهو الذنب والإثم ، وكذلك الأوزار .

(٣) الإلف ـ بالكسر ـ : الألفة والمحبة .

(٤) ليكن أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحق المر ، ومرارة الحق : صعوبته على نفس الوالي .

(٥) « واقعاً » : حال مما « كره الله » ، أي : لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ميلك إليه أي منزلة ؛ أي : وإن كان أشد مرغوباتك .

(٦) « رضهم » . أي : عودهم على أن لا يطروك ـ أي : يزيدوا في مدحك ـ ولا يبجحوك ـ أي : يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته ، والزهو ـ بالفتح ـ : العجب . و« تدني » أي : تقرب من العزة ، أي : الكبر .

عَلَىٰ ٱلإِسَاءَةِ ! وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ(١) . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ(٢) وَتَخْفِيفِهِ ٱلْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ ٱسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ(٣) فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً(٤) وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ(٥) .

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ ، وَٱجْتَمَعَتْ بِهَا ٱلأُلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ . وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ ٱلأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا ، وَٱلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَمُنَافَثَةَ ٱلْحُكَمَاءِ(٦) فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ ٱلنَّاسُ قَبْلَكَ .

---

(١) فان المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب ، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة .

(٢) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له ؛ فان الاحسان قياد الإنسان فيحسن ظنه بهم ، بخلاف ما لو أساء إليهم ، فان الاساءة تحدث العداوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم .

(٣) قبلهم ـ بكسر ففتح ـ أي : عندهم .

(٤) النصب ـ بالتحريك ـ : التعب .

(٥) البلاء هنا : الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً ، وتفسير العبارة واضح مما قدمنا .

(٦) المنافثة : المحادثة .

وَٱعْلَمْ أَنَّ الـرَّعِيَّـةَ طَبَقَـاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَـا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غِنَىٰ بِبَعْضِهَـا عَنْ بَعْضٍ . فَمِنْهَا جُنُـودُ ٱللَّهِ ، وَمِنْهَـا كُتَّـابُ ٱلْعَـامَّـةِ وَٱلْخَاصَّةِ[1] ، وَمِنْهَا قُضَاةُ ٱلْعَـدْلِ وَمِنْهَا عُمَّـالُ ٱلإِنْصَافِ وَالـرِّفْقِ ، وَمِنْهَـا أَهْلُ ٱلْجِـزْيَةِ وَٱلْخَـرَاجِ مِنْ أَهْـلِ الـذِّمَّـةِ وَمُسْلِمَـةِ النَّـاسِ : وَمِنْهَـا التُّجَّارُ وَأَهْـلُ الصِّنَـاعَـاتِ ، وَمِنْهَـا الـطَّبَقَـةُ السُّفْلَىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْحَـاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَـةِ ، وَكُلٌّ قَـدْ سَمَّىٰ ٱللَّهُ لَـهُ سَـهْمَـهُ[2] . وَوَضَعَ عَلَىٰ حَـدِّهِ فَـرِيضَـةً فِي كِتَـابِـهِ أَوْ سُنَّـةِ نَبِيِّـهِ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ ـ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً .

فَـٱلْجُنُودُ ، بِـإِذْنِ ٱللَّهِ ، حُصُونُ الـرَّعِيَّةِ ، وَزَيْنُ ٱلْـوُلَاةِ ، وَعِزُّ ٱلـدِّينِ ، وَسُبُـلُ ٱلأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقُـومُ الـرَّعِيَّـةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِـوَامَ لِلْجُنُـودِ إِلَّا بِمَا يُخْـرِجُ ٱللَّهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّـذِي يَقْـوَوْنَ بِـهِ عَلَىٰ جِهَـادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِـدُونَ عَلَيْـهِ فِيمَـا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُـونُ مِنْ وَرَاءِ حَـاجَتِهِمْ[3] . ثُمَّ لَا قِـوَامَ لِهٰـذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِـالصِّنْفِ الثَّـالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَٱلْعُمَّالِ وَٱلْكُتَّابِ ، لِمَا يُحْكِمُـونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِـدِ[4] وَيَجْمَعُونَ

---

(١) كتاب ـ كرمان ـ : جمع كاتب ، والكتبة منهم عـاملون للعامـة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصـون بالحاكـم : يفضي إليهم بـأسراره ، ويـوليهم النظر فيمـا يكتب لأوليائـه وأعـدائـه ، ومـا يقـرر في شؤون حربه وسلمه مثلاً .

(٢) سهمه : نصيبه من الحق .

(٣) أي : يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها .

(٤) هـو وما بعـده نشـر على تـرتيب اللف ، والمعـاقـد : العقـود في البيـع والشـراء ومـا شابههما مما هو شأن القضاة ، وجمـع المنافـع : من حفظ الأمن ، وجبايـة الخراج ، =

مِنَ ٱلْمَنَـافِعِ ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَـوَاصِّ الأُمُورِ وَعَـوَامِّهَا وَلَا قِـوَامَ لَهُمْ جَمِيعـاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَـاتِ فِيمَـا يَجْتَمِعُـونَ عَلَيْـهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[1] وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَـا لَا يَبْلُغُـهُ رِفْقُ غَيْـرِهِمْ . ثُمَّ الـطَّبَقَـةُ السُّفْلَىٰ مِنْ أَهْـلِ ٱلْحَـاجَـةِ وَٱلْمَسْكَنَـةِ ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْـدُهُمْ وَمَعُـونَتُهُمْ[2] وَفِي ٱللّٰهِ لِكُـلٍّ سَعَـةٌ ، وَلِكُـلٍّ عَلَىٰ الْوَالِي حَقٌّ بِقَـدْرِ مَا يُصْلِحُـهُ . وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْـوَالِي مِنْ حَقِيقَـةِ مَا أَلْـزَمَـهُ ٱللّٰهُ مِنْ ذٰلِـكَ إِلَّا بِـٱلاهْتِمَـامِ وَالإِسْتِعَـانَـةِ بِـاللّٰهِ ، وَتَـوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَىٰ لُـزُومِ ٱلْحَقِّ ، وَٱلصَّبْرِ عَلَيْـهِ فِيمَـا خَفَّ عَلَيْـهِ أَوْ ثَقُلَ . فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ ، وَأَنْقَـاهُمْ جَيْبـاً[3] وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمـاً : مِمَّنْ يُبْـطِىءُ عَنِ ٱلْغَضَبِ ، وَيَسْتَـرِيحُ إِلَىٰ ٱلْعُـذْرِ ، وَيَرْأَفُ بِـالضُّعَفَاءِ ، وَيَنْبـو عَلَىٰ ٱلأَقْـوِيَـاءِ[4] وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ ٱلْعُنْفُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ .

= وتصريف الناس في منافعهم العامة ؛ ذلك شأن العمال . والمؤتمنون : هم الكتاب .

(١) الضمير للتجار وذوي الصناعات ، أي : إنهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق أي : المنافع التي يجتمعون لأجلها ، ولها يقيمون الأسواق ، ويكفون سائر الطبقات ، من الترفق ـ أي : التكسب ـ بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

(٢) رفدهم : مساعدتهم وصلتهم .

(٣) جيب القميص : طوقه ، ويقال « نقي الجيب » أي : طاهر الصدر والقلب ، والحلم : العقل .

(٤) ينبو : يشد ويعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء .

ثُمَّ ٱلْصَقْ بِذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ وَٱلْأَحْسَابِ(١) وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ ٱلْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ . ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ(٢) وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ(٣) وَإِنْ قَلَّ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ ٱتِّكَالاً عَلَىٰ جَسِيمِهَا ؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ(٤) مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ؛ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ

---

(١) « ثم الصق الخ » : تبيين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه ، وشرح لأوصافهم . وجماع من الكرم : مجموع منه ، وشعب ـ بضم ففتح ـ : جمع شعبة ، والعرف : المعروف .

(٢) تفاقم الأمر : عظم ، أي : لا تعد شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون ، فكل شيء قويتهم به واجب عليك إتيانه ، وهم مستحقون لنيله .

(٣) أي : لا تعد شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته ، بل كل تلطف ـ وإن قل ـ فله موقع من قلوبهم .

(٤) « آثر » أي : أفضل وأعلى منزلة ، فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند ـ أي : ساعدهم ـ بمعونته لهم ، وأفضل عليهم ـ أي : أفاض ـ وجاد من جدته : والجدة ـ بكسر ففتح ـ : الغنى ؛ والمراد ما بيده من أرزاق الجند ، وما سلم إليه من وظائف المجاهدين ، لا يفتر عليهم في الفرض ، ولا ينقصهم شيئاً فرض لهم ، بل يجعل العطاء شاملاً لمن تركوهم في الديار من خلوف الأهلين : جمع خلف ـ بفتح فسكون ـ وهو من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال .

خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ(١) يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي ٱلْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَىٰ وُلَاةِ الْأُمُورِ(٢) وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ ، وَتَرْكِ ٱسْتِبْطَاءِ ٱنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ ؛ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوُو ٱلْبَلَاءِ مِنْهُمْ(٣) فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ .

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ ٱمْرِىءٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ(٤) ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً ، وَلَا ضَعَةُ ٱمْرِىءٍ إِلَىٰ إِنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً .

وَٱرْدُدْ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ(٥) وَيَشْتَبِهُ

---

(١) « عليهم » أي : على الرؤساء .

(٢) حيطة ـ بكسر الحاء ـ : من مصادر « حاطه » بمعنى حفظه وصانه ، أي : بمحافظتهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم ، وأن لا يستثقلوا دولتهم ولا يستبطئوا انقطاع مدتهم ، بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله .

(٣) ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم ، فتعديد ذلك يهز الشجاع ـ أي : يحركه للاقدام ـ ويحرض الناكل ، أي : المتأخر القاعد .

(٤) لا تنسبن عمل امرىء إلى غيره ، ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجميل .

(٥) ضلع فلاناً ـ كمنع ـ : ضرب في ضلعه ، والمراد ما يشكل عليك .

عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ فَالرَّدُّ إِلَىٰ ٱللَّهِ : ٱلْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ[١] ، وَالرَّدُّ إِلَىٰ ٱلرَّسُولِ : ٱلْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ[٢] .

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ[٣] فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ ٱلْأُمُورُ وَلَا تُمْحِكُهُ ٱلْخُصُومُ[٤] وَلَا يَتَمَادَىٰ فِي ٱلزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ ٱلْفَيْءِ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ[٥] ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَىٰ طَمَعٍ[٦] وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ[٧] ،

---

(١) محكم الكتاب : نصه الصريح .

(٢) سنة الرسول كلها جامعة ، ولكن رويت عنه سنن افترقت بها الآراء ، فاذا أخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبته إليه .

(٣) « ثم اختر ـ الخ » انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة .

(٤) أمحكه : جعله محكان ، أي : عسر الخلق ، أو أغضبه ، وتقول : محك ـ كمنع ـ أي : لج في الخصومة ، فهو محك ـ ككتف ـ ومماحك ومحكان ـ بفتح فسكون ـ ومتمحك ، و « تماحكا » أي : تلاجا ، و « رجل محكان » أي : عسر الخلق لجوج . أي : لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه . والزلة ـ بالفتح ـ : السقطة في الخطأ .

(٥) حصر ـ كفرح ـ : ضاق صدره ، أي : لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق .

(٦) الاشراف على الشيء : الاطلاع عليه من فوق ، فالطمع من سفالات الأمور ، من نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة ، فما ظنك بمن هبط إليه وتناوله ؟ .

(٧) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه ، دون أن يأتي على أقصى الفهم بعد التأمل .

وَأَوْقَفَهُمْ فِي ٱلشُّبُهَاتِ(١) وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ ٱلْخَصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ تَكَشُّفِ ٱلْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ ٱتِّضَاحِ ٱلْحُكْمِ ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ(٢) ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ ، وَأُولٰئِكَ قَلِيلٌ . ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ(٣) وَٱفْسَحْ لَهُ فِي ٱلْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ(٤) ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ النَّاسِ ، وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ(٥) ، لِيَأْمَنَ بِذٰلِكَ ٱغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ . فَٱنْظُرْ فِي ذٰلِكَ نَظَراً بَلِيغاً ، فَإِنَّ هٰذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلْأَشْرَارِ : يُعْمَلُ فِيهِ بِٱلْهَوَىٰ ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَٱسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِبَاراً(٦) ، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ

---

(١) هذا وما بعده إتباع لأفضل رعيتك ، والشبهات : ما لا يتضح الحكم فيها بالنص ؛ فينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح . والتبرم : الملل والضجر ، وأصرمهم : أقطعهم للخصومة .

(٢) لا يزدهيه : لا يستخفه زيادة الثناء عليه .

(٣) تعاهده : تتبعه بالاستكشاف والتعرف ، وضمير « قضائه » لأفضل الرعية الموصوف بالاوصاف السابقة .

(٤) البذل : العطاء ، أي : أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته .

(٥) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة ، فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لمن أجللته .

(٦) ولهم الأعمال بالامتحان ، لا محاباة ، أي : اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم ، وأثرة ـ بالتحريك ـ أي : استبداداً بلا مشورة ، فانهما ـ أي : المحاباة والأثرة ـ يجمعان الجور والخيانة .

أَهْـلَ التَّجْرِبَـةِ وَٱلْحَيَـاءِ مِنْ أَهْـلِ ٱلْبُيُـوتَـاتِ الصَّـالِحَـةِ وَٱلْقَـدَمِ فِي ٱلإِسْلَامِ [1] ٱلْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقـاً ، وَأَصَحُّ أَعْـرَاضـاً ، وَأَقَـلُّ فِي ٱلْمَـطَامِـعِ إِشْـرَافـاً ، وَأَبْلَغُ فِي عَـوَاقِـبِ ٱلأُمُـورِ نَظَراً . ثُمَّ أَسْبِـغْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْزَاقَ[2] فَـإِنَّ ذٰلِـكَ قُـوَّةٌ لَهُمْ عَلَىٰ ٱسْتِصْـلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُـوا أَمَانَتَكَ[3] . ثُمَّ تَفَقَّـدْ أَعْمَـالَهُمْ وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُـونَ مِنْ أَهْـلِ الصِّـدْقِ وَٱلْوَفَـاءِ عَلَيْهِمْ[4] ، فَإِنَّ تَعَـاهُدَكَ فِي السِّـرِّ لِأُمُورِهِمْ حَـدْوَةٌ لَهُمْ[5] عَلَىٰ ٱسْتِعْمَـالِ ٱلأَمَانَـةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ . وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلأَعْوَانِ فَـإِنْ أَحَـدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَـدَهُ إِلَىٰ خِيَـانَـةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَـا عَلَيْـهِ[6] عِنْـدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ٱكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَأَخَذْتَهُ بِمَـا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَـهُ بِمَقَامِ ٱلْمَـذَلَّةِ ، وَوَسَمْتَـهُ بِٱلْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ .

وَتَفَقَّـدْ أَمـرَ ٱلْخَـرَاجِ بِمَـا يُصْلِحُ أَهْلَهُ ، فَـإِنَّ فِي صَـلَاحِـهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحـاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَـلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ ،

---

(١) « توخ » أي اطلب وتحر اهل التجربة الخ . والقدم ـ بالتحريك ـ : واحده الأقدام ، أي : الخطوة السابقة . وأهلها هم الأولون .

(٢) أسبغ عليه الرزق : أكمله واوسع له فيه .

(٣) نقصوا في أدائها أو خانوا .

(٤) العيون : الرقباء .

(٥) « حدوة » أي سوق لهم وحث .

(٦) « اجتمعت ـ الخ » : أي اتفقت عليها أخبار الرقباء .

لِأَنَّ النَّـاسَ كُلَّهُمْ عِيَـالٌ عَلَىٰ ٱلْخَـرَاجِ وَأَهْلِهِ . وَلْيَكُنْ نَـظَرُكَ فِي عِمَـارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْـلَابِ ٱلْخَرَاجِ لِأَنَّ ذٰلِـكَ لَا يُـدْرَكُ إِلَّا بِٱلْعِمَـارَةِ ، وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَرَاجَ بِغَيْـرِ عِمَارَةٍ أَخْـرَبَ ٱلْبِـلَادَ وَأَهْلَكَ ٱلْعِبَـادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيـلاً . فَإِنْ شَكَـوْا ثِقَلاً[١] أَوْ عِلَّةً أَوِ ٱنْقِـطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ، أَوْ إِحَـالَةَ أَرْضٍ ٱغْتَمَـرَهَا غَـرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَـا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَـا تَرْجُـو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْـرُهُمْ . وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْـرٌ يَعُودُونَ بِـهِ عَلَيْكَ فِي عِمَـارَةِ بِـلَادِكَ ، وَتَـزْيِينِ وِلَايَتِـكَ مَـعَ ٱسْتِجْـلَابِـكَ حُسْنَ ثَنَـائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِـكَ بِاسْتِفَـاضَةِ ٱلْعَـدْلِ فِيهِمْ[٢] مُعْتَمِـداً فَضْـلَ قُـوَّتِهِمْ[٣] بِمَـا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَـوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِـكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِـكَ بِهِمْ ، فَرُبَّمـا حدَثَ مِنَ ٱلْأُمُـورِ مَا إِذَا عَـوَّلْتَ فِيهِ

---

(١) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته ، أو انقطاع شرب بالكسر ، أي : ماء في بلاد تسقي بالانهار ـ أو انقطاع بالة ـ أي : مايبل الأرض من ندى ومطر فيما تسقي بالمطر ـ أو احالة أرض ـ بكسر همزة إحالة ؛ أي : تحويلها البذر إلى فساد بالتعفن لما اغتمرها ، أي : عمها من الغرق فصارت غمقة ـ كفرحة ـ أي : غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذر فيها غمقاً ـ ككتف ـ أي : له رائحه خمة وفساد ، ونقصت لذلك غلاتهم أو أجحف العطش ـ أي : ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم ينبت ؛ فعليك عند الشكوى أن تخفف عنهم .

(٢) التبجح : السرور بما يرى من حسن عمله في العدل .

(٣) أي : متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة ، وأنهم يكونون سنداً بما ذخرت عندهم من إجمامك ؛ أي : إراحتك لهم ، « والثقة » منصوب بالعطف على « فضل » .

عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ ٱحْتَمَلُوهُ طِيبَةَ أَنْفُسِهِمْ بِـهِ(١) فَإِنَّ ٱلْعُمْـرَانَ مُحْتَمِلٌ مَـا حَمَّلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ ٱلْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ ٱلْوُلَاةِ عَلَىٰ ٱلْجَمْعِ (٢) وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَقِلَّةِ ٱنْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ .

ثُمَّ ٱنْـظُرْ فِي حَـالِ كُتَّابِـكَ(٣) فَـوَلِّ عَلَىٰ أُمُـورِكَ خَيْـرَهُمْ ؛ وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ ٱلَّتِي تُدْخِـلُ فِيهَـا مَكَـائِـدَكَ وَأَسْـرَارَكَ بِـأَجْمَعِهِمْ لِـوُجُوهِ صَالِحِ ٱلْأَخْـلَاقِ(٤) مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ ٱلْكَـرَامَـةُ فَيَجْتَـرِىءَ بِهَـا عَلَيْـكَ فِي خِـلَافٍ لَـكَ بِحَضْـرَةِ مَـلإٍ ، وَلَا تُقَصِّـرُ بِـهِ ٱلْغَفْلَةُ(٥) عَنْ

---

(١) طيبة ـ بكسر الطاء ـ : مصدر طاب ، وهو علة لاحتملوه ، أي : لطيب أنفسهم باحتماله فان العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا ، كذا قال الاستاذ الامام رحمه الله ، وعندي أن « طيبة » بتشديد الياء ـ منصوب على الحالية ، و « أنفسهم » مرفوع على أنه فاعل بطيبة ، ويجوز أن يكون « طيبة » مرفوعاً على أنه خبر مقدم ، و « أنفسهم » مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال ، وأي هذين الوجهين أقرب مما ذكره ، والاعواز : الفقر والحاجة .

(٢) لتطلع أنفسهم إلى جمع المال ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا .

(٣) « ثم انظر ـ الخ » انتقال من الكلام في أهل الخراج إلى الكلام في الكتاب : جمع كاتب .

(٤) بأجمعهم : متعلق باخصص ، أي : ما يكون من رسائلك حاوياً لشيء من المكائد للاعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة ، ولا تبطره ـ أي : لا تطغيه ـ الكرامة فيجرأ على مخالفتك في حضور ملأ وجماعة من الناس فيضر ذلك بمنزلتك منهم .

(٥) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من اعمالك ، ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب ، بل يكون من النباهة والحذق بحيث لا يفوته شيء من ذلك .

إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَىٰ ٱلصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ . وَلاَ يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ[١] ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلأُمُورِ ؛ فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ ، ثُمَّ لاَ يَكُنِ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ فِرَاسَتِكَ وَٱسْتِنَامَتِكَ[٢] وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ ٱلرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ ٱلْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ[٣] ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ : فَٱعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً ، وَأَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً ، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَىٰ نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ . وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ[٤] لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ[٥] .

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ[٦] وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً :

---

(١) أي : يكون خبيراً بطرق المعاملات بحيث إذا عقد لك عقداً في أي نوع منها لا يكون ضعيفاً ؛ بل يكون محكماً جزيل الفائدة لك ، وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد .

(٢) الفراسة ـ بالكسر ـ : قوة الظن وحسن النظر في الأمور، والاستنامة : السكون والثقة ، أي لا يكون انتخاب الكتّاب تابعاً لميلك الخاص .

(٣) « يتعرفون للفراسات » أي : يتوسلون إليها لتعرفهم .

(٤) أي اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الأعمال ، ولا يخرج عن ضبطه كثيرها .

(٥) إذا تغابيت ـ أي : تغافلت ـ عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقاً بك .

(٦) « ثم استوص » انتقال من الكلام في الكتاب إلى الكلام في التجار والصناع .

ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ[1] ، وَٱلْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ ٱلْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ وَجُلاَّبُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ ٱلنَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا[2] وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ[3] وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَىٰ غَائِلَتُهُ . وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ . وَٱعْلَمْ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً ، وَشُحّاً قَبِيحاً[4] وَٱحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّماً فِي ٱلْبِيَاعَاتِ ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَىٰ ٱلْوُلاَةِ . فَٱمْنَعْ مِنَ ٱلاِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَنَعَ مِنْهُ ، وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً : بِمَوَازِينِ عَدْلٍ ، وَأَسْعَارٍ لاَ تُجْحِفُ بِٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ[5] فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ[6] فَنَكِّلْ بِهِ ، وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ .

---

(١) المضطرب : المتردد بأمواله بين البلدان ، والمترفق : المكتسب ، والمرافق : تقدم تفسيرها بالمنافع ، وحقيقتها ـ وهي والمراد هنا ـ ما به يتم الانتفاع كالآنية والأدوات وما يشبه ذلك .

(٢) أي : ويجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة .

(٣) فانهم : علة لاستوص وأوص ؛ والبائقة : الداهية ، والتجار والصناع مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان .

(٤) الضيق : عسر المعاملة والشح : البخل ، والاحتكار : حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة .

(٥) المبتاع : المشتري .

(٦) « قارف » أي : خالط ، والحكرة ـ بالضم : الاحتكار ، فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهي عنه فنكل به ـ أي : أوقع به النكال والعذاب ـ عقوبة له ، لكن من غير إسراف في العقوبة ، ولا تجاوز عن حد العدل فيها .

ثُمَّ آللّهَ آللّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ آلَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ آلْمَسَاكِينِ وَآلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ آلْبُؤْسَىٰ وَالزَّمْنَىٰ(١) فَإِنَّ فِي هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرًّا(٢) . وَآحْفَظْ لِلّهِ مَا آسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَآجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي آلْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ(٣) ؛ فَإِنَّ لِلْأَقْصَىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ آلَّذِي لِلْأَدْنَىٰ . وَكُلٌّ قَدِ آسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ . فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ(٤) فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ(٥) لِإِحْكَامِكَ آلْكَثِيرَ آلْمُهِمَّ ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ(٦) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ آلْعُيُونُ(٧) وَتَحْقِرُهُ آلرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأُولٰئِكَ ثِقَتَكَ(٨) مِنْ أَهْلِ آلْخَشْيَةِ وَآلتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ

---

(١) البؤسى ـ بضم أوله ـ : شدة الفقر ، والزمنى ـ بفتح أوله ـ : جمع زمين ، وهو المصاب بالزمانة ـ بفتح الزاي ـ أي : العاهة ، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب .

(٢) القانع : السائل ، من « قنع » كمنع ، أي : سأل وخضع وذل ، وقد تبدل القاف كافاً فيقال كنع . والمعتر ـ بتشديد الراء ـ : المتعرض للعطاء بلا سؤال : واستحفظك : طلب منك حفظه .

(٣) صوافي الاسلام : جمع صافية ، وهي أرض الغنيمة ، وغلاتها : ثمراتها .

(٤) طغيان بالنعمة .

(٥) التافه : القليل لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت وأنفقت الكثير المهم .

(٦) « لا تشخص » أي لا تصرف همك ـ أي : اهتمامك ـ عن ملاحظة شؤونهم ، و« صعر خده » أماله إعجاباً وكبراً .

(٧) تقتحمه العين : تكره أن تنظر إليه احتقاراً .

(٨) « فرغ » أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم ، يخافون الله ويتواضعون لعظمته لا يأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها إليك .

بِالإعْذَارِ إِلَىٰ ٱللّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ[1] ، فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَىٰ الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَىٰ ٱللّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ . وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي[2] ٱلسِّنِّ مِمَّن لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ ٱلْوُلَاةِ ثَقِيلٌ وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ . وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللّهُ عَلَىٰ أَقْوَامٍ طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللّهِ لَهُمْ .

وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً[3] تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ[4] مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّىٰ يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ[5] فَإِنِّي سَمِعْتُ رسول الله ، صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ[6] : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ[7] لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ »

---

(١) « بالاعذار إلى الله » أي : بما يقدم لك عذراً عنده .

(٢) « ذوو اليتم » : الأيتام . وذوو الرقة في السن : المتقدمون فيه .

(٣) « لذوي الحاجات » أي : المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم .

(٤) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ ، والأحراس : جمع حرس ـ بالتحريك ـ وهو من يحرس الحاكم من وصول المكروه ، والشرط ـ بضم ففتح ـ طائفة ـ : من أنواع الحاكم ، وهم المعروفون الآن بالضابطة ، واحده شرطة ـ بضم فسكون .

(٥) التعتعة في الكلام : التردد فيه من عجز وعي ، والمراد غير خائف ، تعبيراً باللازم .

(٦) أي في مواطن كثيرة .

(٧) التقديس ، التطهير ؛ أي : لا يطهر الله أمة الخ .

ثُمَّ احْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ[1] وَنَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ وَٱلأَنَفَ[2] يَبْسُطِ ٱللَّهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً[3] ، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا : مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ[4] ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ[5] ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ عَمَلَهُ ، وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِيتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ ٱلأَقْسَامِ[6] وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا ٱلنِّيَّةُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ .

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ : إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأَعْطِ ٱللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ

---

(١) الخرق ـ بالضم ـ العنف ضد الرفق ، والعي ـ بالكسر ـ العجز عن النطق ، أي : لا تضجر من هذا ولا تغضب لذاك .

(٢) الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق ،، والانف ـ محركة ـ : الاستنكاف والاستكبار وأكناف الرحمة : أطرافها .

(٣) سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به ، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر .

(٤) يعيا : يعجز .

(٥) حرج يحرج ـ من باب تعب ـ : ضاق ، والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ، ويحبون المماطلة في قضائها : استجلاباً للمنفعة ، أو إظهاراً للجبروت .

(٦) أجزلها : أعظمها .

مَا تَقَرَّبْتَ بِـهِ إِلَىٰ ٱللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ كَـامِـلاً غَيْـرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُـوصٍ[1] بَالِغاً مِنْ بَـدَنِكَ مَـا بَلَغَ . وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِـكَ لِلنَّاسِ فَـلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلَا مُضَيِّعاً[2] فَـإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِـهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَهُ ٱلْحَـاجَةُ . وَقَـدْ سَـأَلْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّم ، حِينَ وَجَّهَنِي إِلَىٰ ٱلْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَـالَ « صَـلِّ بِهِمْ كَصَـلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

وَأَمَّا بَعْدُ ، فَلَا تُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجَـابَكَ عَنْ رَعِيَّتِـكَ ، فَإِنَّ ٱحْتِجَـابَ ٱلْـوُلَاةِ عَنِ ٱلـرَّعِيَّـةِ شُعْبَـةٌ مِنَ ٱلضِّيقِ ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِـٱلْأُمُـورِ ، وَٱلِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَـا ٱحْتَجَبُوا دُونَـهُ فَيَصْغُرُ عِنْـدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيـحُ ، وَيُشَابُ ٱلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ . وَإِنَّما ٱلْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَـوَارَىٰ عَنْهُ النَّـاسُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُـورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَىٰ ٱلْحَقِّ سِمَـاتٌ[3] تُعْـرَفُ بِهَـا ضُـرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ ٱلْكَـذِبِ ، وَإِنَّمَـا أَنْتَ أَحَـدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّـا ٱمْـرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِٱلْبَـذْلِ فِي ٱلْحَقِّ فَفِيمَ ٱحْتِجَابُـكَ[4] مِنْ وَاجِبِ حَـقٍّ تُعْطِيـهِ

(١) « غـير مثلوم » : أي : غـير مخـدوش بشيء من التقصـير ولا مخـروق بـالـريـاء ؛ و « بالغاً » حال بعد الأحوال السابقة، أي: وإن بلغ من إتعاب بدنك أي مبلغ .

(٢) التنفير : بالتطويل ، والتضييع : بالنقص في الاركان ، والمطلوب التوسط .

(٣) سمات : جمع سمة ـ بكسر ففتح ـ وهي العلامة ، أي : ليس للحق علامـات ظاهـرة يتميز بهـا الصدق من الكـذب ، وإنمـا يعرف ذلـك بـالامتحـان ، ولا يكـون إلا بالمحافظة .

(٤) فلأي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم ، أو في عمل تمنحه إياهم ؟ .

أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ ؟ أَوْ مُبْتَلىً بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ[1] مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَةٍ[2] أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً ، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ ، وَتَطَاوُلٌ ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ[3] وَلاَ تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً[4] وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ[5] وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ،

---

(١) البذل : العطاء ، فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك ، فلا حاجة للاحتجاب .

(٢) شكاة ـ بالفتح ـ شكاية .

(٣) « فاحسم » أي : اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم ، وإنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة .

(٤) الاقطاع : المنحة من الأرض . والقطيعة : الممنوح منها ، والحامة ـ كالطامة ـ الخاصة والقرابة . والاعتقاد : الامتلاك ، والعقدة ـ بالضم ـ : الضيعة ، واعتقاد الضيعة : اقتناؤها ، وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها ؛ أي : يقرب منها ، من الناس في شرب ـ بالكسر ـ وهو النصيب في الماء .

(٥) مهناه : منفعته الهَنيئة .

وَٱبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ(١) .

وَإِنْ ظَنَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ(٢) وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى ٱلْحَقِّ .

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضىً ، فَإِنَّ فِي ٱلصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ(٣) وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْناً لِبِلَادِكَ ، وَلٰكِنِ ٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ(٤) فَخُذْ بِٱلْحَزْمِ ، وَٱتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ ٱلظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً ، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً(٥) ، فَحُطْ عَهْدَكَ بِٱلْوَفَاءِ ، وَٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِٱلأَمَانَةِ ، وَٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا

---

(١) المغبة ـ كمحبة ـ : العاقبة ، وإلزام الحق لمن لزمهم وان ثقل على الوالي وعليهم فهو محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة .

(٢) وإن فعلت فعلاً ظنت الرعية أن فيه حيفاً ـ أي : ظلماً ـ فاصحر ـ أي : ابرز لهم ـ وبين عذرك فيه. وعدل عنه كذا: نحاه عنه ، والأصحار : الظهور ، من « اصحر » إذا برز في الصحراء ، و « رياضة » أي : تعويداً لنفسك على العدل . والاعذار تقديم العذر أو إبداؤه .

(٣) الدعة ـ محركة ـ : الراحة .

(٤) « قارب » أي : بقرب منك بالصلح ليلقي عليك عنه غفلة فيغدرك فيها .

(٥) أصل معنى الذمة وجدان مودع في جبلة الانسان ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها ، ثم أطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً لمشابهته له في الرقابة من الضرر ، حاطه : حفظه .

أَعْـطَيْتَ[١] ، فَـإِنَّـهُ لَيْسَ مِنْ فَـرَائِضِ ٱللّٰهِ شَيْءٌ النَّـاسُ أَشَـدُّ عَلَيْهِ آجْتِمَـاعـاً مَـعَ تَفَـرُّقِ أَهْـوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَـاءِ بِـالْعُهُودِ[٢] وَقَـدْ لَزِمَ ذٰلِـكَ ٱلْمُشْرِكُـونَ فِيمَـا بَيْنَهُمْ دُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ[٣] لِمَـا آسْتَوْبَلُوا مِنْ عَـوَاقِبِ ٱلْغَدْرِ[٤] فَـلَا تَغْـدِرَنَّ بِـذِمَّتِـكَ وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْـدِكَ[٥] وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ ، فَـإِنَّهُ لَا يَجْتَـرِىءُ عَلَىٰ اللّٰهِ إِلَّا جَاهِـلٌ شَقِيٌّ . وَقَـدْ جَعَـلَ ٱللّٰهُ عَهْـدَهُ وَذِمَّتَـهُ أَمْنـاً أَفْضَـاهُ بَيْنَ ٱلْعِبَـادِ بِـرَحْمَتِـهِ[٦] ، وَحَـرِيمـاً يَسْكُنُـونَ إِلَىٰ مَنَعَتِـهِ ، وَيَسْتَفِيضُـونَ إِلَىٰ جِوَارِهِ[٧] . فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ[٨] وَلَا خِدَاعَ فِيـهِ ، وَلَا تَعْقِدْ عَقْـداً

---

(١) الجنة ـ بالضم ـ : الوقاية ، أي : حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك .

(٢) « الناس » مبتدأ ، و « أشد » خبر ، والجملة خبر ليس ، يعني أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم ، حتى إن المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم ، فأولى أن يلتزمه المسلمون ، كذا قال الامام ، ولنا في إعرابه توقف عظيم ، فجملة المبتدأ والخبر صفة لشيء وهو اسم ليس ، أو مبتدأ خبره الظرف قبله واسم ليس ضمير الشأن .

(٣) أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد .

(٤) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة ـ أي ـ مهلكة ـ وما والفعل بعدها في تأويل مصدر ، أي : استيبالهم .

(٥) خاس بعهده : خان ونقضه . والختل : الخداع .

(٦) الأمن : الأمان ، و « أفضاه » هنا بمعنى أفشاه وأصله المزيد من « فضا فضوا » ـ من باب قعد ـ أي : اتسع ، فالرباعي بمعنى وسعه ، والسعة مجازية يراد بها الافشاء والانتشار . والحريم : ما حرم عليك أن تمسه ، والمنعة ـ بالتحريك ـ ما تمتنع به من القوة .

(٧) « يستفيضون » أي : يفزعون إليه بسرعة .

(٨) الادغال : الافساد . والمدالسة : الخيانة .

تُجَـوِّزُ فِيـهِ ٱلْعِلَلَ(١) ، وَلاَ تُعَـوِّلَنَّ عَلَىٰ لَحْنِ قَـوْلٍ بَعْـدَ التَّـأْكِيـدِ وَالتَّـوْثِقَةِ ، وَلاَ يَـدْعُوَنَّـكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَـزِمَـكَ فِيـهِ عَهْـدُ ٱللّهِ إِلَىٰ طَلَبِ ٱنْفِسَـاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ؛ فَإِنَّ صَبْـرَكَ عَلَىٰ ضِيقِ أَمْرٍ تَـرْجُـو ٱنْفِـرَاجَـهُ وَفَضْـلَ عَاقِبَتِـهِ خَيْرٌ مِنْ غَـدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَـهُ ، وَأَنْ تُحِيطَ بِـكَ مِنَ ٱللّهِ فِيهِ طِلْبَةٌ(٢) ، فَلاَ تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ .

إِيَّـاكَ وَالـدِّمَـاءَ وَسَفْكَهَـا بِغَيْـرِ حِلِّهَـا ، فَـإِنَّـهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَىٰ لِنِقْمَةٍ ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ، وَلاَ أَحْرَىٰ بِـزَوَالِ نِعْمَةٍ وَٱنْقِـطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا . وَٱللّهُ سُبْحَانَـهُ مُبْتَدِئٌ بِـٱلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ فِيمَـا تَسَافَكُـوا مِنَ الدِّمَـاءِ يَوْمَ ٱلْقِيَـامَةِ . فَـلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَـكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَـرَامٍ ، فَإِنَّ ذٰلِـكَ مِمَّا يُضْعِفُـهُ وَيُوهِنُـهُ بَـلْ يُـزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ . وَلاَ عُـذْرَ لَـكَ عِنْـدَ ٱللّهِ وَلاَ عِنْـدِي فِي قَتْـلِ ٱلْعَمْـدِ : لأَنَّ فِيـهِ قَـوَدَ ٱلْبَدَنِ(٣) . وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْـرَطَ عَلَيْكَ سَـوْطُكَ(٤) أَوْ سَيْفُـكَ أَوْ

---

(١) العلل : جمع علة ، وهي في النقد والكلام ، بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد ، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته . ولحن القول : ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض ، فاذا تعلل بهذا المقاعد لك وطلب شيئاً لا يوافق ما أكدته وأخذت عليه الميثاق فلا تعول عليه . وكذلك لو رأيت ثقلاً من التزام العهد فلا تركن إلى لحن القول لتتملص منه ، فخذ بأصرح الوجوه لك وعليك .

(٢) و « أن تحيط » : عطف على « تبعة » أي : وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته ويأخذ الطلب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقيلك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض .

(٣) القود ـ بالتحريك ـ : القصاص ، وإضافته للبدن لأنه يقع عليه .

(٤) أفرط عليك : عجل بما لم تكن تريده : أردت تأديباً فأعقب قتلاً . وقوله « فان في =

يَدُكَ بِٱلْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَٱلإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ ٱلإِطْرَاءِ(١) فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ ٱلشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ ٱلْمُحْسِنِينَ .

وَإِيَّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلَىٰ رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ(٢) أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلإِحْسَانَ ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَالنَّاسِ(٣) قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وَإِيَّاكَ وَٱلْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ

= الوكزة » تعليل لأفرط ، والوكزة ـ بفتح فسكون ـ الضربة بجمع الكف ـ بضم الجيم ، أي : قبضته ـ وهي المعروفة باللكمة . وقوله « فلا تطمحن » أي ترتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية إليهم في القتل الخطأ ، جواب الشرط .

(١) الاطراء : المبالغة في الثناء والفرصة ـ بالضم ـ : حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك ، والعجب في الإنسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده ـ وهو محق الاحسان ـ بما يتبعه من الغرور والتعلي بالفعل على من وصل اليه أثره .

(٢) التزيد ـ كالتقيد ـ إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار .

(٣) المقت : البغض والسخط .

إِمْكَانِهَا[1] أَوِ ٱللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ[2] أَوِ ٱلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ .

وَإِيَّاكَ وَٱلِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[3] ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ ٱلأُمُورِ ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ . ٱمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[4] ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ؛ وَٱحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ ٱلْبَادِرَةِ[5] ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ ٱلِاخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ ٱلْمَعَادِ إِلَىٰ رَبِّكَ .

وَٱلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ

---

(١) التسقط : من قولهم « تسقط في الخبر يتسقط » إذا أخذه قليلاً ، يريد به هنا : التهاون . وفي نسخة « التساقط » بمد السين ـ من « ساقط الفرس عدوه » إذا جاء مسترخياً .

(٢) تنكرت : لم يعرف وجه الصواب فيها ، واللجاجة : الاصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه ؛ والوهن : الضعف .

(٣) احذر أن تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس ، وهو مما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة . والتغابي : التغافل . « وما يعنى به » مبني للمجهول ـ أي : يهتم به .

(٤) يقال « فلان حمي الأنف » إذا كان أبياً يأنف الضيم ، أي املك نفسك عند الغضب والسورة بفتح السين وسكون الواو . والحد ـ بالفتح ـ : البأس . والغرب ـ بفتح فسكون ـ : الحد تشبيهاً بحد السيف ونحوه .

(٥) البادرة : ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه ، وإطلاق اللسان يزيد الغضب اتقاداً ، والسكوت يطفيء من لهبه .

عَـادِلَـةٍ ؛ أَوْ سُنَّـةٍ فَـاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَـرٍ عَنْ نَبِيِّنَـا صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَـا شَاهَـدْتَ مِمَّا عَمِلْنَـا بِـهِ فِيـهَا(١) وَتَجْتَـهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِـدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْـدِي هٰذَا ، وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْـكَ ، لِكَيْلَا تَكُـونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْـدَ تَسَرُّعِ نَفْسِـكَ إِلَىٰ هَـوَاهَـا .

وَأَنـا أَسْـأَلُ ٱللّهَ بِسَعَـةِ رَحْمَتِـهِ وَعَـظِيمِ قُدْرَتِـهِ عَلَىٰ إِعْطَاءِ كُـلِّ رَغْبَةٍ(٢) أَنْ يُـوَفِّقَنِي وَإِيَّـاكَ لِمَـا فِيـهِ رِضَـاهُ مِنَ ٱلإِقَامَـةِ عَلَىٰ ٱلْعُذْرِ ٱلْـوَاضِـحِ إِلَيْـهِ وَإِلَىٰ خَلْقِـهِ(٣) ، مَـعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ وَجَمِيلِ ٱلأَثَرِ فِي ٱلْبِـلَادِ ، وَتَمَامِ النِّعمَـةِ ، وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ(٤) ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَـكَ بِالسَّعَـادَةِ وَالشَّهَادَةِ ، «إِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُونَ » .

وَالسَّـلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللّهِ ـ صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ ـ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً ؛ وَالسَّلَامُ .

---

(١) ضمير « فيها » يعود إلى جميع ما تقدم ، أي : تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل ، واحذر التأويل حسب الهوى .

(٢) « على » متعلقة بقدرة .

(٣) يريد من العذر الواضح العدل ؛ فانه عذر لك عند من قضيت عليه ، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة .

(٤) أي : زيادة الكرامة أضعافاً .

٥٥ ومن كتاب له عليه السلام

إلى طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ ، مع عمران بن الحصينِ الخُزاعي ذكرهُ أبو جعفرِ الإسكافيُّ فِي كتاب « ٱلمَقَاماتِ » فِي مناقبِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السَّلامُ

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمَا ـ وَإِنْ كَتَمْتُمَا ـ أَنِّي لَمْ أُرِدِ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ أَرَادُونِي ، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَإِنَّ ٱلْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ[١] ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَىٰ ٱللّهِ مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ[٢] بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ ، وَإِسْرَارِكُمَا ٱلْمَعْصِيَةَ .

وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَٱلْكِتْمَانِ ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا ٱلأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ[٣] كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِقَدْرِ مَا

---

(١) العرض ـ بفتح فسكون ، أو بالتحريك ـ هو المتاع وما سوى النقدين من المال ، أي : ولا لطمع في مال حاضر . وفي نسخة « ولا لحرص حاضر » .

(٢) السبيل الحجة .

(٣) الأمر : هو خلافته .

آحْتَمَلَ[1] . فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَالنَّارُ ؛ وَالسَّلَامُ[2] .

٥٦ ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعَاوِيَةَ

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ ٱلدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا[3] ، وَآبْتَلَىٰ فِيهَا أَهْلَهَا ؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ، وَلاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا ، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَىٰ بِهَا ، وَقَدِ آبْتَلاَنِي ٱللّٰهُ بِكَ وَآبْتَلاَكَ بِي : فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَىٰ الآخَرِ ، فَعَدَوْتَ عَلَىٰ ٱلدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ ٱلْقُرْآنِ[4] ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي[5] ، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ

---

(١) أي : نرجع في الحكم لمن تقاعد عن نصري ونصركما من أهل المدينة : فان حكموا قبلنا حكمهم ، ثم ألزمت الشريعة كل واحد منا بقدر مداخلته في قتل عثمان .

(٢) قوله « من قبل أن يتجمع » متعلق بفعل محذوف ، أي : راجعنا من قبل الخ .

(٣) وهو الآخرة .

(٤) فعدوت : أي وثبت ، ويروى « فغدوت » وتأويل القرآن : صرف قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ﴾ و ﴿ لكم في القصاص حياة ﴾ وتحويله إلى غير معناه ، حيث أقنع أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب بدم عثمان أمير المؤمنين .

(٥) أي : إنك وأهل الشام عصبتم ـ أي : ربطتم ـ دم عثمان بي ، وألزمتموني ثأره ، وألب ـ بفتح الهمزة وتشديد اللام ـ أي : حرض . قالوا : يريد بالعالم أبا هريرة رضي الله عنه ، وبالقائم عمرو بن العاص .

وَقَـائِمُكُمْ قَـاعِـدُكُمْ ، فَـاتَّقِ ٱللَّهَ فِي نَفْسِـكَ ، وَنَـازِعِ ٱلشَّيْـطَانَ قِيَـادَكَ[1] ، وَٱصْرِفْ إِلَىٰ ٱلآخِـرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَـرِيقُنَـا وَطَـرِيقُـكَ . وَٱحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ ٱللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَـةٍ تَمَسُّ ٱلأَصْلَ[2] ، وَتَقْـطَعُ ٱلدَّابِرَ ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَـاجِرَةٍ[3] : لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّـاكَ جَـوَامِعُ ٱلأَقْـدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِـكَ ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُـوَ خَيْـرُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾ .

٥٧ ومن وصية له عليه السلام

وَصَّى بها شُرَيْحَ بنَ هَانِئٍ لمّا جَعَلَهُ على مُقَدِّمَتِهِ إلى الشّامِ

ٱتَّقِ ٱللَّهَ فِي كُـلِّ صَبَـاحٍ وَمَسَـاءٍ ، وَخَفْ عَلَىٰ نَفْسِكَ ٱلـدُّنْيَا ٱلْغَـرُورَ ، وَلاَ تَأْمَنْهَـا عَلَىٰ حَـالٍ ، وَٱعْلَمْ أَنَّـكَ إِنْ لَمْ تَـرْدَعْ نَفْسَـكَ عَنْ كَثِيـرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَـافَةَ مَكْـرُوهٍ سَمَتْ بِكَ ٱلأَهْـوَاءُ إِلَىٰ كَثِيـرٍ مِنَ ٱلضَّرَرِ[4] . فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً ، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ ٱلْحَفِيـظَةِ وَاقِماً قَامِعاً[5] .

---

(١) القياد ـ بالكسر ـ : الزمام ، و « نازعه القياد » إذا لم يسترسل معه .

(٢) القارعة : البلية والمصيبة تمس الأصل ـ أي : تصيبه ـ فتقلعه ، والدابر : هو الآخر ، ويقال للأصل أيضاً ، أي : لا تبقى لك أصلاً ولا فرعاً .

(٣) « أولى » أي : أحلف بالله حلفة غير حانثة ، والباحة كالساحة وزناً ومعنى .

(٤) « سمت » أي : ارتفعت ، والأهواء : جمع هوى ، وهو الميل مع الشهوة حيث مالت .

(٥) النزوة : من « نزا ينزو نزوا » أي : وثب ، والحفيظة : الغضب ، و « وقمه فهو واقم » أي : قهره ؛ وقمعه : رده وكسره .

٥٨ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أَهْلِ الكوفَةِ ، عِنْدَ مَسيرِهِ منَ المدينةِ إلى البصرةِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هٰذَا[١] ، إِمَّا ظَالِماً ، وَإِمَّا مَظْلُوماً ، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللّٰهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا[٢] لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي ، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ٱسْتَعْتَبَنِي .

٥٩ ومن كتاب له عليه السلام

كَتَبَهُ إلى أَهْلِ الأمصارِ ، يَقصُّ فيهِ ما جَرَى بينَهُ وبَيْنَ أَهلِ صفّينَ

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ[٣] ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ ، وَدَعْوَتَنَا فِي ٱلإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي ٱلإِيمَانِ بِاللّٰهِ وَٱلتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا :

---

(١) الحي : موطن القبيلة أو منزلها .

(٢) « من بلغه » مفعول « اذكر » . وقوله « لما نفر إلي » إن كانت مشددة فلما بمعنى إلا ، وإن كانت مخففة فهي زائدة واللام للتأكيد ، واستعتبني : طلب مني العتبى أي الرضا ، أي طلب مني أن أرضيه بالخروج عن إساءتي .

(٣) « والظاهر ـ الخ » : الواو للحال ، أي : كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أننا متحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا الا في دم عثمان ، و « لا نستزيدهم » أي : لا نطلب منهم زيادة في الايمان ؛ لأنهم كانوا مؤمنين . وقوله « الأمر واحد » جملة مستأنفة لبيان الاتحاد في كل شيء إلا دم عثمان .

ٱلْأَمْـرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَـا ٱخْتَلَفْنَا فِيـهِ مِنْ دَمِ عُثْمَـانَ ، وَنَحْنُ مِنْـهُ بَـراءٌ ! فَقُلْنَـا : تَعَالَـوْا نُدَاوِ مَـا لَا يُـدْرَكُ ٱلْيَـوْمَ بِـإِطْفَـاءِ النَّـائِـرَةِ[1] وَتَسْكِينِ ٱلْعَـامَّـةِ ، حَتَّىٰ يَشْتَـدَّ ٱلْأَمْـرُ وَيَسْتَجْمِـعَ فَنَقْـوَىٰ عَلَىٰ وَضْـعِ ٱلْحَقِّ مَوَاضِعَهُ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ! فَـأَبَوْا حَتَّىٰ جَنَحَتِ ٱلْحَـرْبُ وَرَكَـدَتْ ، وَوَقَدَتْ نِيـرَانُهَا وَحَمِسَتْ . فَلَمَّـا ضَـرَّسَتْنَـا وَإِيَّـاهُمْ[2] ، وَوَضَعَتْ مَخَـالِبَهَـا فِينَـا وَفِيهِمْ ، أَجَـابُـوا عِنْـدَ ذٰلِـكَ إِلَىٰ ٱلَّـذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَـاهُمْ إِلَىٰ مَا طَلَبُـوا ، حَتَّىٰ ٱسْتَبَـانَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْحُجَّةُ ، وَٱنْقَـطَعَتْ مِنْهُمُ ٱلْمَعْـذِرَةُ . فَمَنْ تَمَّ عَـلَىٰ ذٰلِـكَ مِنْهُمْ فَهُـوَ ٱلَّـذِي أَنْقَـذَهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْهَلَكَـةِ ، وَمَنْ لَـجَّ وَتَمَـادَىٰ فَهُوَ ٱلـرَّاكِسُ[3] ٱلَّذِي رَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِـهِ ، وَصَـارَتْ دَائِـرَةُ السُّوءِ عَلَىٰ رَأْسِهِ .

---

(١) الثائرة : اسم فاعل من « ثارت الفتنة تثور » إذا انتشرت ، والثائرة أيضاً العداوة والشحناء . والمكابرة : المعاندة ، أي : دعاهم للصلح حتى يسكن الاضطراب ثم يوفيهم طلبهم فأبوا إلا الاصرار على دعواهم . وجنحت الحرب : مالت ، أي : مال رجالها لإيقادها ، وركدت : استقرت وقامت ، ووقدت ـ كوعدت ـ أي : اتقدت والتهبت ، وحمس ـ كفرح ـ : اشتد وصلب ، ويروى « حمشت » .

(٢) ـ ضرستنا : عضتنا بأضراسها .

(٣) الراكس : الناكث الذي قلب عهده ونكثه . والراكس أيضاً الثور الذي يكون في وسط البيدر حين يداس والثيران حواليه وهو يرتكس ، أي : يدور مكانه ، وران على قلبه : غطى .

٦٠

ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأَسْوَدِ بن قَطِيبَةَ صَاحب جُنْدِ حُلْوانَ(١)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْوَالِيَ إِذَا ٱخْتَلَفَ هَـوَاهُ(٢) مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيراً مِنَ ٱلْعَـدْلِ . فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّـاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَـوَاءً ، فَـإِنَّـهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ . فَاجْتَنِبْ مَـا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ(٣) ، وَٱبْتَـذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا ٱفْتَرَضَ ٱللّهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلـدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلاَّ كَانَتْ فَرْغَتُـهُ عَلَيْهِ حَسْـرَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـامَةِ(٤) . وَأَنَّـهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَـداً . وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْـكَ حِفْظُ نَفْسِـكَ ، وَٱلِاحْتِسَـابُ عَلَىٰ ٱلـرَّعِيَّةِ بِجُهْـدِكَ(٥) ؛ فَـإِنَّ ٱلَّـذِي يَصِـلُ إِلَيْـكَ مِنْ ذٰلِـكَ أَفْضَـلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ ، وَالسَّلاَمُ .

---

(١) إيالة من إيالات فارس .

(٢) اختلاف الهوى : جريانه مع الأغراض النفسية حيث تذهب . ووحدة الهوى : توجهه إلى أمر واحد ، وهو تنفيذ الشريعة العادلة على من يصيب حكمها .

(٣) أي : ما لا تستحسن مثله لو صدر من غيرك .

(٤) الفراغ الذي يعقب حسرة يوم القيامة : هو خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمة ، فعلى الإنسان أن يكون عاملاً دائماً فيما ينفع أمته ويصلح رعيته إن كان راعياً .

(٥) الاحتساب على الرعية : مراقبة أعمالها وتقويم ما اعوج وإصلاح ما فسد . والأجر الذي يصل إليه العامل من الله والكرامة التي ينالها من الخليفة هما أفضل وأعظم من الصلاح الذي يصل إلى الرعية بسببه .

٦١ ومن كتاب له عليه السلام

إلى ٱلعُمّالِ ٱلَّذِينَ يطأُ ٱلجَيْشُ عَمَلَهُمْ(١)

مِنْ عَبْدِ ٱللّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ ٱلْخَرَاجِ وَعُمَّالِ ٱلْبِلَادِ.

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللّهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ ٱلْأَذَىٰ وَصَرْفِ الشَّذَىٰ(٢) . وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ ٱلْجَيْشِ(٣) إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ ٱلْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَىٰ شِبَعِهِ. فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ(٤) وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ(٥). وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ ٱلْجَيْشِ(٦) فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَا لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللّهِ وَبِي ، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللّهِ ، إِنْ شَاءَ ٱللّهُ .

---

(١) أي يمر بأراضيهم .

(٢) الشذى : الشر .

(٣) معرة الجيش : أذاه ، والامام يتبرأ منها لأنها من غير رضاه . وجوعة ـ بفتح الجيم ـ : الواحدة من مصدر جاع ، يستثني حالة الجوع المهلك ، فان للجيش فيها حقاً أن يتناول سد رمقه .

(٤) « نكلوا » أي : أوقعوا النكال والعقاب بمن تناول شيئاً من أموال الناس غير مضطر ، وافعلوا ذلك جزاء بظلم عن ظلمهم ، وتسمية الجزاء ظلماً نوع من المشاكلة .

(٥) الذي استثناه هو حالة الاضطرار .

(٦) أي : إنني موجود فيه ، فما عجزتم عن دفعه فردوه إليّ اكفكم ضره وشره .

٦٣ ومن كتاب له عليه السلام

إلى كُميْلِ بنِ زِيادٍ ٱلنُّخعي ، وَهُوَ عاملُه على هَيْتَ ، يُنكرُ عليهِ تركه دفعَ من يجتازُ به من جيشِ العدوِّ طالباً ٱلغَارةَ

أَمَّـا بَعْدُ ، فَـإِنَّ تَضْييعَ ٱلْمَـرْءِ مَا وُلِّيَ ، وَتَكَلُّفَـهُ مَـا كُفِيَ[١] ، لَعَجْزٌ حَـاضِـرٌ ، وَرَأْيٌ مُتَبَّـرٌ . وَإِنَّ تَعَـاطِيـكَ ٱلْغَـارَةَ عَلَىٰ أَهْـلِ قِرْقِيسِيَا[٢] ، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَـكَ ٱلَّتي وَلَّيْنَاكَ ، لَيْسَ بِهَـا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلَا يَـرُدُّ ٱلْجَيْشَ عَنْهَا ، لَـرَأْيٌ شَعَاعٌ . فَقَـدْ صِـرْتَ جِسْـراً لِمَنْ أَرَادَ ٱلْغَارَةَ مِنْ أَعْـدَائِـكَ عَلَىٰ أَوْلِيَائِـكَ غَيْرَ شَـدِيدِ ٱلْمَنْكِبِ[٣] وَلَا مَهِيبِ ٱلْجَانِبِ ، وَلَا سَادٍّ ثُغْرَةً ، وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً ، وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ[٤] ، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ .

---

(١) تضييع الانسان الشأن الذي تولى حفظه وتجشمه الامر الذي لم يطلب منه وكفاه الغير ثقله عجز عن القيام بما تولاه ، ورأى متبر ـ كمعظم ـ من « تبره تتبيراً » إذا اهلكه ، أي : هالك صاحبه .

(٢) قرقيسياً ـ بكسر القافين بينهما ساكن ـ : بلد على الفرات ، والمسالح : جمع مسلحة وهي موضع الحامية على الحدود. ورأى شعاع ـ كسحاب ـ ، أي : متفرق ، أما الرأي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد .

(٣) المنكب ـ كمسجد ـ مجتمع الكتف والعضد ، وشدته كناية عن القوة والمتعة ، والثغرة : الفرجة يدخل منها العدو .

(٤) أغنى عنه : ناب منابه ، وقائد المسالح ينبغي أن ينوب عن أهل المصر في كفايتهم غارة عدوهم ، وأجزى عنه : قام مقامه وكفى عنه .

٦٣ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أَهْلِ مِصرَ ، مَعَ مَالِكِ ٱلأَشتَرِ لمّا وَلّاهُ إمارَتها

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ آللّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ، صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَمُهَيْمِناً عَلَىٰ آلْمُرْسَلِينَ(١) فَلَمَّا مَضَىٰ عَلَيْهِ السَّلاَمُ تَنَازَعَ آلْمُسْلِمُونَ آلأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَاللّهِ مَا كَانَ يُلْقَىٰ فِي رُوعِي(٢) وَلاَ يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ آلْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا آلأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ـ صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ـ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إلاَّ آنْثِيَالُ النَّاسِ عَلَىٰ فُلاَنٍ(٣) يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي(٤) حَتَّىٰ رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ آلإِسْلاَمِ يَدْعُونَ إِلَىٰ مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ ، صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ آلإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَىٰ فِيهِ ثَلْماً(٥) أَوْ

---

(١) المهيمن : الشاهد ، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأولين .

(٢) الروع ـ بضم الراء ـ القلب : اوموضع الروع منه بفتح الراء ـ أي : الفزع ـ أي : ما كان يقذف في قلبي هذا الخاطر ، وهو أن العرب تزعج ـ أي : تنقل ـ هذا الأمر ـ أي : الخلافة ـ عن آل بيت النبي عموماً ، ولا أنهم ينحونه ـ أي : يبعدونه ـ عني خصوصاً .

(٣) راعني : أفزعني ، وانثيال الناس : انصبابهم .

(٤) كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم ، حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما امر الله ، وإهمالهم حدوده ، وعدولهم عن شريعته ، يريد بهم عمال عثمان وولاته على البلاد ، ومحق الدين : محوه وإزالته .

(٥) « ثلما » أي : خرقاً ، ولو لم ينصر الاسلام بازالة أولئك الولاة وكشف بدعهم لكانت المصيبة على أمير المؤمنين بالعقاب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية =

هَدْماً ، تَكُونُ ٱلْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ ٱلْأَحْدَاثِ حَتَّىٰ زَاحَ ٱلْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَٱطْمَأَنَّ ٱلدِّينُ وَتَنَهْنَهَ .

ومنه : إِنِّي وَٱللّٰهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلَاعُ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا(١) مَا بَالَيْتُ وَلَا ٱسْتَوْحَشْتُ ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ وَٱلْهُدَىٰ ٱلَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي . وَإِنِّي إِلَىٰ لِقَاءِ ٱللّٰهِ لَمُشْتَاقٌ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ . وَلٰكِنَّنِي آسَىٰ أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا(٢) فَيَتَّخِذُوا مَالَ ٱللّٰهِ دُوَلاً ، وَعِبَادَهُ خَوَلاً ، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً ، وَٱلْفَاسِقِينَ حِزْباً فَإِنَّ مِنْهُمُ ٱلَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ ٱلْحَرَامَ(٣) وَجُلِدَ حَدًّا فِي ٱلْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ

= في الأمصار : فالولاية يتمتع بها أياماً قلائل ثم تزول كما يزول السراب . فنهض الامام بين تلك البدع فبددها حتى زاح ـ أي : ذهب ـ الباطل ، و « زهق » أي : خرجت روحه ومات ، مجاز عن الزوال التام . ونهنهه عن الشيء : كفه فتنهنه ، أي كف ، وكان الدين منزعجاً من تصرف هؤلاء نازعاً إلى الزوال ، فكفه أمير المؤمنين ومنعه ، فاطمأن وثبت .

(١) « وهم طلاع الخ ـ » حال من مفعول « لقيتهم » ، والطلاع ـ ككتاب ـ : ملء الشيء ، أي : لو كنت واحداً وهم يملأون الأرض للقيتهم غير مبال بهم .

(٢) آسى : مضارع « أسيت عليه » كرضيت ـ أي : حزنت ، أي : إنه يحزن لأن يتولى أمر الأمة سفهاؤها الخ . والدول ـ بضم ففتح ـ جمع دولة ـ بالضم ـ أي : شيئاً يتداولونه بينهم ، يتصرفون فيه بغير حق الله . والخول ـ محركة ـ : العبيد ، و « حرباً » أي محاربين .

(٣) يريد الخمر ، و « الشارب » قالوا : عتبة بن أبي سفيان ، حده خالد بن عبدالله في الطائف ، وذكروا رجلاً آخر لا أذكره .

مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّىٰ رُضِخَتْ لَـهُ عَلَىٰ ٱلإِسْلامِ ٱلـرَّضَـائِـخُ[1] ، فَلَوْلاَ ذٰلِكَ مَا أَكْثَـرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[2] وَتَـأْنِيبَكُمْ ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلاَ تَـرَوْنَ إِلَىٰ أَطْرَافِكُمْ قَـدِ ٱنْتَقَصَتْ[3] ، وَإِلَىٰ أَمْصَـارِكُمْ قَـدِ ٱفْتُتِحَتْ ، وَإِلَىٰ مَمَـالِكِكُمْ تُزْوَىٰ ، وَإِلَىٰ بِـلاَدِكُمْ تُغْـزَىٰ ، ٱنْفِـرُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ ـ إِلَىٰ قِتَـالِ عَـدُوِّكُمْ وَلاَ تَثَّـاقَلُوا إِلَىٰ ٱلأَرْضِ فَتَقِـرُّوا بِـٱلْخَسْفِ ، وَتَبُوءُوا بِـالذُّلِّ[4] ، وَيَكُـونَ نَصِيبُكُمُ ٱلأَخَسَّ ، وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلأَرِقُ[5] ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ ، وَالسَّلاَمُ .

٦٤ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي مُوْسى الأَشعري ، وهو عامِلُه على الكوفَةَ ، وقدْ بَلَغَهُ عَنْهُ تثبيطُهُ ٱلنَّاسَ عنِ الخروج إليه[6] لمّا ندبَهُم لحَرْبِ أصحابِ ٱلْجَمَل

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ قَيْسٍ .

---

(١) تأليبكم : تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم ، والتأنيب : اللوم ، و« ونيتم » أي : أبطأتم عن إجابتي .

(٢) أطراف البلاد : جوانبها قد حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليها . وتزوى ـ مبني للمجهول ـ من « زواه » إذا قبضه عنه .

(٣) قر ـ من باب منع ، أو ضرب ـ : سكن ، أي : فتقيموا بالخسف ، أي : الضيم ؛ وتبوءوا ـ أي تعودوا ـ بالذل .

(٤) الأرق ـ بفتح فكسر ـ أي : الساهر ، وصاحب الحرب لا ينام ، والذي ينام لا ينام الناس عنه .

(٥) التثبيط : الترغيب في القعود والتخلف .

(٦) « لتكفين » بلام التأكيد ونونه ؛ أي : إنا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ(١) وَآشْدُدْ مِئْزَرَكَ ، وَآخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَآنْدُبْ مَنْ مَعَكَ . فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ! وَأَيْمُ آللّهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّىٰ يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ(٢) وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّىٰ تُعْجَلَ عن قِعْدَتِكَ(٣) وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ . وَمَا هِيَ بِآلْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو(٤) ، وَلٰكِنَّهَا آلدَّاهِيَةُ آلْكُبْرَىٰ يُرْكَبُ جَمَلُهَا ، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا ، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا . فَاعْقِلْ عَقْلَكَ(٥) وَآمْلِكْ أَمْرَكَ ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ . فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَىٰ غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ(٦) حَتَّىٰ لَا يُقَالَ : أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَآللّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ آلْمُلْحِدُونَ . وَالسَّلَامُ .

= لا اسم لك ولا يسأل عنك ؛ نفعل ذلك بالوجه الحري ـ أي : الجدير ـ بنا أن نفعله

(١) رفع الذيل وشد المئزر : كناية عن التشمير للجهاد ، وكني بجحره عن مقره ، و« أندب » أي ادع من معك . فان حققت ـ أي : أخذت بالحق والعزيمة ـ فانفذ ، أي : امض ، إلينا ، وإن تفشلت ـ أي جبنت ـ فابعد عنا .

(٢) الخاثر : الغليظ ، والكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة . وأصل المثل « لا يدري أيخثر أم يذيب » قالوا : إن المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره برقيقه فتقع في حيرة : إن أوقدت النار حتى يصفو احترق ، وإن تركته بقي كدراً .

(٣) القعدة ـ بالكسر ـ : هيئة القعود ، وأعجله عن الأمر : حال دون إدراكه أي : يحال بينك بين جلستك في الولاية ، ويحيط الخوف بك حتى تخشاه من أمام كما تخشاه من خلف .

(٤) الهوينى : تصغير الهوني ـ بالضم ـ مؤنث أهون .

(٥) قيده بالعزيمة ، ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .

(٦) « لتكفين » بلام التأكيد ونونه ؛ أي : إنا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لا اسم لك ولا يسأل عنك ؛ نفعل ذلك بالوجه الحرى ـ أي : الجدير ـ بنا أن نفعله .

٦٥

ومن كتاب له عليه السلام

إلى مُعاوية ، جَوَاباً

أَمَّـا بَعْـدُ ، فَـإِنَّـا كُنَّـا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ مَـا ذَكَـرْتَ مِنَ ٱلأُلْفَـةِ وَٱلْجَمَـاعَةِ فَفَـرَّقَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّـا آمَنَّـا وَكَفَـرْتُمْ ، وَٱلْيَـوْمَ أَنَّـا ٱسْتَقَمْنَـا وَفُتِنْتُمْ . وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كُـرْهـاً(١) ، وَبَعْـدَ أَنْ كَـانَ أَنْـفُ ٱلإِسْلاَمِ كُلُّهُ لِرَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم حِزْباً .

وَذَكَـرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَـةَ وَٱلـزُّبَيْـرَ ، وَشَـرَّدْتُ بِعَـائِشَـةَ(٢) ، وَنَزَلْتُ ٱلْمِصْرَيْنِ ! وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَـلَيْـكَ ، وَلاَ ٱلْعُـذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي المُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ ، وَقَـدِ ٱنْقَطَعَتِ ٱلْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ(٣) ، فَإِنْ كَانَ فِيـهِ عَجَلٌ فَـاسْتَرْفِـهْ(٤) فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ إِنَّما بَعَثَني إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ

---

(١) فإن أبا سفيان إنما أسلم قبـل فتح مكـة بليلة ؛ خوف القتـل ، وخشية من جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم البالغ عشـرة آلاف ونيف ، وأنف الإسلام : أشـراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح .

(٢) شرد به : سمع الناس بعيوبه ، أو اطرده وفرق أمره ، والمصران : الكوفة والبصرة .

(٣) أخوه : عمرو بن أبي سفيان ، أسر يوم بدر.

(٤) فاسترفه : فعل أمر ، أي: استح ولا تستعجل ، ويروى « فـاسترقـه » بالقـاف المثناة ـ فإن لم يكن تصحيفاً عن الرواية بالفاء التي أثبتنـاها كـان المعنى فإن كـان فيك عجـل فأخفه ولا تظهره .

تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ   بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ [١]

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ [٢] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّكَ - وَٱللّٰهِ - مَا عَلِمْتُ [٣] ٱلاغْلَفُ ٱلْقَلْبِ ، ٱلْمُقَارِبُ ٱلْعَقْلِ ، وَٱلأَوْلَىٰ أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لاَ لَكَ ، لأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ [٤] وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلاَ فِي مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ [٥] مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي ٱلْبَاطِلِ عَلَىٰ ٱلْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا

---

(١) الجلمود - بالضم - : الصخر ، والأغوار : جمع غور - بالفتح - وهو الغبار ، والحاصب : ريح تحمل التراب والحصى .

(٢) جده : عتبة بن ربيعة ؛ وخاله : الوليد بن عتبة ، وأخوه : حنظلة ، قتلهم أمير المؤمنين يوم بدر . و « اعضضته به » جعلته يعضه ، والباء زائدة .

(٣) « ما » خبر « إن » أي : أنت الذي أعرفه ، و« الأغلف » خبر بعد خبر ، وأغلف القلب : الذي لا يدرك كأن قلبه في غلاف لا تنفذ إليه المعاني ، ومقارب العقل : ناقصه ضعيفه ، كأنه يكاد يكون عاقلاً وليس به .

(٤) الضالة : ما فقدته من مال ونحوه ، ونشد الضالة : طلبها ليردها ، مثل يضرب لطالب غير حقه ، والسائمة : الماشية من الحيوان.

(٥) « ما » وما بعدها في معنى المصدر ، أي: شبهك قريب من أعمامك وأخوالك وصرعوا مصارعهم : سقطوا قتلى في مطارحهم حيث تعلم ، أي : في بدر وحنين وغيرهما من المواطن.

عَظِيماً ، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلاَ مِنْهَا ٱلْوَغَىٰ[1] ، وَلَمْ تُمَاشِهَا ٱلْهُوَيْنَى .

وقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَاسُ[2] ، ثُمَّ حَاكِمِ ٱلْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَىٰ كِتَابِ ٱللّٰهِ تَعَالَىٰ ، وَأَمَّا تِلْكَ ٱلَّتِي تُرِيدُ[3] فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبيِّ عَنِ ٱللبَنِ فِي أَوَّلِ ٱلْفِصَالِ ؛ وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ .

٦٦ ومن كتاب له عليه السلام

إليهِ أيضاً

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ ٱلْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ ٱلْأُمُورِ[4] فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلاَفِكَ بِٱدِّعَائِكَ ٱلْأَبَاطِيلَ ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ ٱلْمَيْنِ وَٱلْأَكَاذِيبِ[5] ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلاَ

---

(١) الوغى : الحرب، أي: لم تزل تلك السيوف تلمع في الحروب ما خلت منها ولم تصحبها الهوينا ، أي : لم ترفقها المساهلة .

(٢) وهو البيعة.

(٣) من إبقائك والياً في الشام ، وتسليمك قتلة عثمان ، والخدعة ـ مثلثة الخاء ـ ما تصرف به الصبي عن اللبن وطلبه أول فطامه، وما تصرف به عدوك عن قصدك به في الحروب ونحوها.

(٤) يقال « لأرينك لمحاً باصراً » أي : أمراً واضحاً ، أيْ : ظهر الحق فلك أن تنتفع بوضوحه من مشاهدة الأمور.

(٥) إقحامك : إدخالك في أذهان العامة غرور المين ، أين : الكذب ، وعطف الأكاذيب للتأكيد.

عَنْكَ[1] ، وَآبْتِزَازِكَ لِمَا آخْتُزِنَ دُونَكَ ، فِرَاراً مِنَ آلْحَقِّ ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ[2] ؛ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِىءَ بِهِ صَدْرُكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ آلْحَقِّ إِلَّا آلضَّلَالُ آلْمُبِينُ ، وَبَعْدَ آلْبَيَانِ إِلَّا آللَّبْسُ[3] . فَاحْذَرِ آلشُّبْهَةَ وَآشْتِمَالَهَا عَلَىٰ لُبْسَتِهَا ، فَإِنَّ آلْفِتْنَةَ طَالَما أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا[4] ، وَأَغْشَتِ آلْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا .

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ آلْقَوْلِ[5] ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ ، وأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَآلْخَائِضِ فِي آلدَّهَاسِ[6] وَآلْخَابِطِ فِي آلدِّيمَاسِ ، وَتَرَقَّيْتَ

---

(١) انتحالك : ادعاؤك لنفسك ما هو أرفع من مقامك و « ابتزازك » أي : سلبك أمراً اختزن ـ أي: منع ـ دون الوصول إليك ، وذلك أمر الطلب بدم عثمان والاستبداد بولاية الشام ؛ فإنهما من حقوق الإمام لا من حقوق معاوية .

(٢) الذي هو ألزم له من لحمه ودمه البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين.

(٣) اللبس ـ بالفتح ـ : مصدر « لبس عليه الأمر يلبس » كضرب يضرب ـ أي: خلطه ، وفي التنزيل : ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ ، واللبسة ـ بالضم ـ : الأشكال كاللبس، بالضم.

(٤) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها فسترته ، وأغدف الليل : أرخى سدوله ـ أي: أغطيته ـ من الظلام. والجلابيب: جمع جلباب ، وهو الثوب الأعلى يغطي ما تحته ، أي : طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخفت الحقيقة ، وأعشت الأبصار : أضعفتها ومنعتها النفوذ إلى المرئيات الحقيقة .

(٥) أفانين القول : ضروبه وطرائقه ، والسلم : ضد الحرب ، والأساطير : جمع أسطورة ، بمعنى الخرافة لا يعرف لها منشأ ، وحاكه يحوكه : نسجه ، نسج الكلام تأليفه ، والحلم ـ بالكسر ـ : العقل .

(٦) الدهاس ـ كسحاب ـ : أرض رخوة لا هي تراب ولا رمل ، ولكن منهما ، يعسر فيها السير ، والديماس ـ بفتح فسكون ـ : المكان المظلم ، خبط في سيره : لم يهتد.

إِلَىٰ مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ (١) نَازِحَةِ ٱلأَعْلَامِ ، تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلأَنُوقُ (٢) وَيُحَاذَىٰ بِهَا ٱلْعَيُّوقُ .

وَحَاشَ لِلّٰهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً (٣) أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً !! فَمِنَ ٱلآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَٱنْظُرْ لَهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّىٰ يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللّٰهِ (٤) أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ ٱلأُمُورُ ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ . وَالسَّلَامُ (٥) .

---

(١) المرقبة ـ بفتح فسكون ـ : مكان الارتقاب ، وهو العلو والإشراف ، أي : رفعت نفسك إلى منزلة بعيد عنك مطلبها ، و« نازحة » أي : بعيدة ، والأعلام : جمع علم ، وهو ما ينصب ليهتدي به ، أي : خفية المسالك .

(٢) الأنوق ـ كصبور ـ : طير أصلع الرأس أصفر المنقار، يقال: أعز من بيض الأنوق ؛ لأنها تحرزه فلا تكاد تظفر به ؛ لأن أوكارها في القلل الصعبة . ولهذا الطائر خصال عدها صاحب القاموس ، والعيوق ـ بفتح فضم مشدد ـ : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها.

(٣) الورد ـ بالكسر ـ الإشراف على الماء، والصدر ـ بالتحريك ـ : الرجوع بعد الشراب ، أي : لا يتولاهم في جلب منفعة ولا ركون إلى راحة .

(٤) ينهد : ينهض عباد الله لحربك ، وأرتجت : أغلقت ، وتقول : أرتج الباب كرتجه ، أي : أغلقه .

(٥) ذلك الأمر هو حقن دمه باظهار الطاعة .

٦٧ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبدالله بنِ العبّاسِ ، وقد تقدَّم ذكرُهُ بخلافِ هذهِ الرِّوايةِ

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ(١) وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلُ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ، وَلٰكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَأَسَفُكَ عَلَىٰ مَا خَلَّفْتَ ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ(١) .

٦٨ ومن كتاب له عليه السلام

إلى قُثَمِ بنِ العَبّاسِ ، وهو عاملهُ على مَكّةَ

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللّهِ(٢) ، وَاجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ ٱلْمُسْتَفْتِيَ ، وَعَلِّمِ ٱلْجَاهِلَ ، وَذَاكِرِ ٱلْعَالِمَ . وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ ، وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّها إِنْ ذِيدَتْ

---

(١) قد يفرح الإنسان بنيل مقدور له يفوته، ويحزن لحرمانه ما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه، فإذا وصل إليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به إن كان لذة أو شفاء غيظ ، بل عد ذلك في عداد الحرمان ، وإنما تفرح بما كان إحياء حق وإبطال باطل ، وعليك الأسف والحزن بما خلفت ـ أي : تركت ـ من أعمال الخير ، والفرح بما قدمت منها لآخرتك.

(٢) أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم ، والعصران : الغداة والعشي ، تغليب .

عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا[1] لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَىٰ قَضَائِهَا .

وَٱنْظُرْ إِلَىٰ مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ فَاصْرِفْهُ إِلَىٰ مَنْ قِبَلَكَ[2] مِنْ ذَوِي ٱلْعِيَالِ وَٱلْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ ٱلْفَاقَةِ وَٱلْخَلاَّتِ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا .

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لاَ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ فَٱلْعَاكِفُ : ٱلْمُقِيمُ بِهِ ، وَٱلْبَادِي : ٱلَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَّقَنَا ٱللّٰهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ[3] وَٱلسَّلاَمُ .

٦٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّما مَثَلُ ٱلدُّنْيَا مَثَلُ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا ، فَاعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالاَتِهَا وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ

---

(١) فإنها ـ أي : الحاجة ـ إن ذيدت ـ أي : دفعت ومنعت، مبني للمجهول من «ذاده يذوده» إذا طرده ودفعه ، ووردها ـ بالكسر ـ : ورودها وعدم الحمد على قضائها بعد الذود لأن حسنة القضاء لا تذكر في جانب سيئة المنع .

(٢) قبلك ـ بكسر ففتح ـ أي : عندك ، و« مصيبا » حال . والفاقة : الفقر الشديد. والخلة ـ بالفتح ـ : الحاجة.

(٣) محابه ـ بفتح الميم ـ : مواضع محبته من الأعمال الصالحة .

بِهَا(١) أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا آطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَحْذُورٍ(٢) ! أَوْ إِلَىٰ إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَىٰ إِيحَاشٍ ، وَٱلسَّلَامُ .

٧٠ ومن كتاب له عليه السلام

إلى الحارث الهمذاني

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ وَٱسْتَنْصِحْهُ ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ ٱلْحَقِّ ، وَٱعْتَبِرْ بِمَا مَضَىٰ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا(٣) فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً ، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا ! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ(٤) وَعَظِّمِ ٱسْمَ ٱللّٰهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَىٰ حَقٍّ(٥) ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَلَا تَتَمَنَّ ٱلْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ(٦) وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي ٱلسِّرِّ وَيُسْتَحَىٰ مِنْهُ فِي ٱلْعَلَانِيَةِ

---

(١) « آنس » حال من اسم « كن » ، أو من الضمير في « أحذر » . و « أحذر » خبر ، أي : فليكن أشد حذرك منها في حال شدة أنسك بها.

(٢) « أشخصته » أي : أذهبته.

(٣) « ما بقي » مفعول « اعتبر » بمعنى قس ، أي : قس الباقي بالماضي.

(٤) « حائل » : أي : زائل.

(٥) لا تحلف به إلّا على الحق تعظيماً له وإجلالاً لعظمته.

(٦) أي : لا تقدم الموت رغبة فيه إلّا إذا علمت أن الغاية أشرف من بذل الروح والمعنى لا تخاطر بنفسك فيما لا يفيد من سفاسف الأمور.

وَٱحْـذَرْ كُلَّ عَمَـلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْـهُ صَاحِبُـهُ أَنْكَرَهُ أَوِ ٱعْتَـذَرَ مِنْـهُ . وَلَا تَجْعَـلْ عِرْضَـكَ غَرَضاً لِنِبَالِ ٱلْقَـوْلِ ، وَلَا تُحَدِّثِ ٱلنَّـاسَ بِكُلِّ مَـا سَمِعْتَ بِهِ ، فَكَفَىٰ بِذٰلِكَ كَذِباً وَلَا تَرُدَّ عَلَىٰ ٱلنَّـاسِ كُلَّ مَـا حَدَّثُـوكَ بِـهِ فَكَفَىٰ بِذٰلِـكَ جَهْـلاً ، وَٱكْـظِمِ ٱلْغَيْظَ وَتَجَـاوَزْ عِنْـدَ ٱلْمَقْـدِرَةِ . وَٱحْلُمْ عِنْـدَ ٱلْغَضَبِ ، وَٱصْفَحْ مَـعَ ٱلدَّوْلَـةِ[1] تَكُنْ لَكَ ٱلْعَـاقِبَـةُ ، وَٱسْتَصْلِحْ كُـلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَـا ٱللّٰهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَـةً مِنْ نِعَمِ ٱللّٰهِ عِنْدَكَ ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ ٱللّٰهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَـلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْـدِمَةً مِنْ نَفْسِـهِ[2] وَأَهْلِهِ وَمَـالِهِ ، فَـإِنَّكَ مَـا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْـرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْـرُهُ ، وَمَـا تُـؤَخِّـرْهُ يَكُنْ لِغَيْـرِكَ خَيْرُهُ ، وَٱحْـذَرْ صَحَابَـةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُـهُ[3] وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ ، فَـإِنَّ ٱلصَّـاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَـاحِبِهِ . وَٱسْكُنِ ٱلْأَمْصَـارَ ٱلْعِظَامَ فَـإِنَّهَـا جِمَـاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱحْـذَرْ مَنَازِلَ ٱلْغَفْلَةِ وَٱلْجَفَـاءِ وَقِلَّةَ ٱلْأَعْوَانِ عَلَىٰ طَـاعَةِ ٱللّٰهِ ، وَٱقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَىٰ مَـا يَعْنِيكَ ، وَإِيَّـاكَ وَمَقَاعِـدَ ٱلْأَسْوَاقِ فَـإِنَّهَا مَحَـاضِـرُ ٱلشَّيْـطَانِ وَمَعَـارِيضُ ٱلْفِتَنِ[4] ، وَأَكْثِـرْ أَنْ تَنْـظُرَ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ[5] ، فَإِنَّ ذٰلِـكَ مِنْ أَبْوَابِ ٱلشُّكْـرِ ، وَلَا تُسَافِـرْ فِي يَوْمِ

---

(١) أي : عندما تكون لك السلطة .

(٢) تقدمه ـ كتجربة ـ : مصدر قدم ـ بالتشديد ـ أي : بذلاً وإنفاقاً .

(٣) « فال الرأي يفيل » أي : ضعف .

(٤) المعاريض : جمع معارض ـ كمحارب ـ وهو سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده ، والأسواق كذلك ؛ لكثرة ما يمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات .

(٥) أي : إلى من دونك ممن فضلك الله عليه .

جُمُعَةٍ حَتَّىٰ تَشْهَدَ ٱلصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ(١) أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ ، وَأَطِعِ ٱللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَىٰ مَا سِوَاهَا ، وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي ٱلْعِبَادَةِ ، وَٱرْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا ، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا(٢) إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ ٱلْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ ٱلْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا(٣) ، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ ٱلْفُسَّاقِ فَإِنَّ ٱلشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، وَٱحْذَرِ ٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ؛ وَٱلسَّلَامُ(٤) .

٧١ ومن كتاب له عليه السلام

إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ(٥) يَتَسَلَّلُونَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَىٰ مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ

---

(١) « فاصلاً » أي : خارجاً ذاهباً .

(٢) « خذ عفوها » أي : وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة . وأصله العفو بمعنى ما لا أثر فيه لأحد يملك ، عبر به عن الوقت الذي لا شاغل للنفس فيه.

(٣) « آبق » أي : هارب منه متحول عنه إلى طلب الدنيا.

(٤) إن الغضب يوجب الاضطراب في ميزان العقل، ويدفع النفس للانتقام أياً كان طريقه ، وهذا أكبر عون للمضل على إضلاله .

(٥) قبلك ـ بكسر ففتح ـ أي : عندك ، ويتسللون: يذهبون واحد بعد واحد .

مَـدَدِهِمْ ، فَكَفَىٰ لَهُمْ غَيًّا وَلَـكَ مِنْهُمْ شَـافِيـاً[1] فِـرَارُهُمْ مِنَ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْحَقِّ ، وَإِيضَـاعُهُمْ إِلَىٰ ٱلْعَمَىٰ وَٱلْجَهْلِ[2] ، وَإِنَّمـا هُمْ أَهْلُ دُنْيَـا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَـا ، وَمُهْـطِعُـونَ إِلَيْهَـا[3] ، وَقَـدْ عَـرَفُـوا ٱلْعَـدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلنَّاسَ عِنْـدَنَا فِي ٱلْحَقِّ أُسْـوَةٌ ، فَهَرَبُـوا إِلَىٰ ٱلأَثَرَةِ[4] ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً !

إِنَّهُمْ ـ وَٱللّهِ ـ لَمْ يَنْفِـرُوا مِنْ جَـوْرٍ ، وَلَمْ يَلْحَقُـوا بِعَــدْلٍ ، وَإِنَّـا لَنَـطْمَعُ فِي هٰـذَا ٱلأَمْـرِ أَنْ يُـذَلِّلَ ٱللّهُ لَنَـا صَعْبَهُ ، وَيُسهِّـلَ لَنَا حَزْنَهُ[5] إِنْ شَاءَ ٱللّهُ ، وَٱلسَّلاَمُ .

٧٢ ومن كتاب له عليه السلام

إلى المنذر بن الجارود العبدي ، وقد خان في بعض ما ولّاه من أعماله

أَمَّـا بَعْدُ ، فَـإِنَّ صَلاَحَ أَبِيـكَ مَـا غَـرَّنِي مِنْـكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّـكَ

---

(١) غياً : ضلالاً ، وفرارهم كاف في الدلالة على ضلالهم ، والضالـون مرض شـديد في بنيـة الجماعـة ربما يسـري ضرره فيفسـدها : ففـرارهم كاف في شفـاها من مـرضهـا ورئيس الجماعة كأنه كلها-لهذا نسب الشفاء إليه .

(٢) الإيضاع : الإسراع .

(٣) مهطعون : مسرعون .

(٤) الأثـرة ـ بالتحـريك ـ : اختصـاص النفس بالمنفعـة وتفضيلها على غيـرها بـالفائـدة، والسحق ـ بضم السين ـ : البعد أيضاً.

(٥) حزنه ـ بفتح فسكون ـ أي : خشنه .

تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ[١] ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ[٢] لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ ٱنْقِيَاداً ، وَلاَ تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً[٣] ، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ[٤] ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَىٰ خِيَانَةٍ[٥] فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

قَالَ الرضي : وَٱلْمُنْذِرُ هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ : « إِنَّهُ لَنَظَّارٌ فِي عِطْفَيْهِ ، مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ[٦] تَفَّالٌ فِي شِرَاكَيْهِ » .

---

(١) الهدى ـ بفتح فسكون ـ : الطريقة والسيرة.

(٢) رقي إلى : رفع وأنهى إلى.

(٣) العتاد ـ بالفتح ـ : الذخيرة المعدودة لوقت الحاجة.

(٤) الجمل يضرب به المثل في الذلة والجهل، والشسع ـ بالكسر ـ : سير بين الاصبع الوسطى والتي تليها في النعل العربي ، كأنه زمام ويسمى قبالاً ـ ككتاب.

(٥) أي على دفع خيانة ، ويروى « على جباية » وهي تحصيل أموال الخراج ونحوه ، عمل من أعمال الدولة ، ولعلّ هذه الرواية أظهر معنى .

(٦) العطف ـ بالكسر ـ : الجانب، أي : كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء والبردان : تثنية برد ـ بضم الباء ـ وهو ثوب مخطط والمختال : المعجب ، والشراكان : تثنية شراك ـ ككتاب ـ وهو سير النعل كله ، وتفال : كثير التفل ، أي : النفخ فيهما لينفضهما من التراب .

٧٣ ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبدالله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ ، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَآعْلَمْ بِأَنَّ آلدَّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ . وَأَنَّ آلدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ(١) ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَىٰ ضَعْفِكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

٧٤ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي عَلَىٰ آلتَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ(٢) ، وَآلِاسْتِمَاعِ إِلَىٰ كِتَابِكَ لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي ، وَمُخْطِىءٌ فِرَاسَتِي ، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي آلْأُمُورَ(٣) وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلاَمُهُ ،

---

(١) جمع دولة ـ بالضم ـ : ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد إلى يد.

(٢) من قولك « ترددت إلى فلان » أي : رجعت إليه مرة بعد أخرى ، أي : إني في ارتكابي للرجوع إلى مجاوبتك واستماع ما تكتبه موهن ـ أي : مضعف ـ رأيي ، ومخطىء فراستي ـ بالكسر ـ أي صدق : ظني ، وكان الأجدر بي السكوت عن إجابتك .

(٣) حاول الأمر : طلبه ورامه، أي: تطالبني ببعض غاياتك كولاية الشام ونحوها ، وتراجعني ـ أي تطلب مني أن أرجع ـ إلى جوابك بالسطور. يقول : أنت في محاولتك كالنائم الثقيل نومه : يحلم أنه نال شيئاً ، فإذا انتبه وجد الرؤيا كذبت ، =

وَٱلْمُتَحَيِّرِ ٱلْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ ؛ لاَ يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ ، وَلَسْتَ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ ، وَأُقْسِمُ بِاللّهِ إِنَّهُ لَوْلاَ بَعْضُ ٱلاِسْتِبْقَاءِ(١) لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ : تَقْرَعُ ٱلْعَظْمَ ، وَتَهْلِسُ ٱللَّحْمَ! وَٱعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ (٢) ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ ، [وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ] .

٧٥ ومن حلف له عليه السلام

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام بن الكلبي

هٰذَا مَا ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا(٣) أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللّهِ : يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لاَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَلاَ يَرْضَوْنَ بِهِ

= أي : عليه، فأمانيك فيما تطلب شبيهة بالأحلام ، إن هي إلّا خيالات باطلة ، وأنت أيضاً كالمتحير في أمره القائم في شكه لا يخطو إلى قصده. « يبهظه » أي : يثقله ويشق عليه مقامه من الحيرة ، وإنك لست بالمتحير لمعرفتك الحق معنا ولكن المتحير شبيه بك ، فأنت أشد منه عناء وتعباً.

(١) الاستبقاء : الابقاء ، أي : لولا إبقائي لك وعدم إرادتي لإهلاكك لأوصلت إليك قوارع ـ أي: دواهي ـ تقرع العظم ، أي : تصدمه فتكسره ، و« تهلس اللحم » أي : تذيبه وتنهكه.

(٢) « ثبطك » أي : أقعدك عن مراجعة أحسن الأمور لك ، وهو الطاعة لنا ، وعن أن تأذن ـ أي : تسمع ـ لمقالنا في نصيحتك.

(٣) الحاضر : ساكن المدينة ، والبادي : المتردد في البادية.

بَـدلاً ، وَأَنَّهُمْ يَـدٌ وَاحِـدَةٌ عَلَىٰ مَنْ خَـالَفَ ذٰلِـكَ وَتَـرَكَـهُ ، أَنْصَـارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَعْـوَتُهُمْ وَاحِـدَةٌ ، لَا يَنْقُضُـونَ عَهْـدَهُمْ لِمَعْتَبَـةِ عَـاتِبٍ ، وَلَا لِغَضَبِ غَـاضِبٍ(١) ، وَلَا لِاسْتِـذْلَالِ قَـوْمٍ قَـوْماً ، وَلَا لِمَسَبَّةِ قَـوْمٍ قَـوْماً ! عَلَىٰ ذٰلِـكَ شَـاهِـدُهُمْ وَغَـائِبُهُمْ ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَـالِمُهُمْ ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُم . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِـذٰلِـكَ عَهْـدَ ٱللّٰهِ وَمِيثَاقَهُ ؛ ﴿ إِنَّ عَهْدَ ٱللهِ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ وكتب : علي بن أبي طالب .

٧٦ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية في أول ما بويع له
ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَـدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْـرَاضِي عَنْكُمْ ، حَتَّىٰ كَانَ مَا لَا بُـدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْـعَ لَهُ ، وَٱلْحَـدِيثُ طَوِيـلٌ ، وَٱلْكَلَامُ كَثِيـرٌ ، وَقَـدْ أَدْبَرَ مَـا أَدْبَرَ ، وَأَقْبَـلَ مَا أَقْبَـلَ ، فَبَايِـعْ مَنْ قِبَلَكَ وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ .

---

(١) المعتبة ـ كالمصطبة ـ : الغيظ، والعـاتب : المغتاظ ، أي : لا يعـودون للتقاتـل عند غضب بعضهم من بعض ، أو استـذلال بعضهم لبعض ، أو سب بعضـهم لبعض ، وعلى المعتدي أن يؤدي الحق للمظلوم بلا قتال.

٧٧ ومن وصية له عليه السلام

لعبدالله بن العباس ، عند استخلافه إيّاه على البصرة

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ وَٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ طِيَرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ ٱللّٰهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ ٱللّٰهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ .

٧٨ ومن وصية له عليه السلام

لعبدالله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج

لا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ حَمَّالٌ(١) ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ ؛ وَلٰكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً(٢) .

٧٩ ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين
ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ(٣) ، فَمَالُوا

(١) « حمال » أي : يحمل معاني كثيرة إن أخذت بأحدها احتج الخصم بالآخر.

(٢) « محيصاً » أي : مهربا.

(٣) أي : إن كثيراً من الناس قد انقلبوا عن حظوظهم الحقيقية ، وهي حظوظ السعادة الأبدية بنصرة الحق.

مَعَ ٱلدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوىٰ ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا ٱلأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً(١) ٱجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً(٢) وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ عَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَأُلْفَتِهَا مِنِّي(٣) أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ الثَّوابِ وَكَرَمَ ٱلْمَآبِ . وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَىٰ نَفْسِي ، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلتَّجْرِبَةِ ، وَإِنِّي لأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ . وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللَّهُ ؛ فَدَعْ مَا لاَ تَعْرِفُ ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ ، وَالسَّلاَمُ .

٧٥ ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ ٱلْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ .

---

(١) أي : موجباً للتعجب ، والأمر هو الخلافة ، ومنزله من الخلافة بيعة الناس له ثم خروج طائفة منهم عليه .

(٢) القرح : مجاز عن فساد بواطنهم ، والعلق ـ بالتحريك ـ : الدم الغليظ الجامد ، ومتى صار في الجرح الدم الغليظ الجامد صعبت مداواته وضرب فساده في البدن كله .

(٣) « أحرص » خبر « ليس » وجملة « فاعلم » معترضة .

الباب الثالث

المختار من حكم وغريب كلام امير المؤمنين
الامام علي بن ابي طالب عليه السلام

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله
والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

١ ـ قال عليه السلام : كُنْ في الفِتْنَةِ كَـآبْنِ آللَّبُونِ[١] لَا ظَهْـرٌ فَيُرْكَبَ ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ .

٢ ـ وقـال عليـه السـلام : أَزْرَىٰ بِنَفْسِـهِ مَنِ آسْتَشْعَـرَ الطَّمَعَ[٢] ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُـرِّهِ ، وَهَانَتْ عَلَيْـهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ .

٣ ـ وقـال عليـه السـلام : أَلْبُخْـلُ عـارٌ ، وَآلْجُبْنُ مَنْقَصَـةٌ ، وَآلْفَقْـرُ يُخْرِسُ آلْفَـطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ ، وَآلْمُقِـلُّ غَـرِيبٌ فِي بَلْدَتِـهِ[٣] ، وَآلْعَجْزُ آفَةٌ ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ ، وَآلزُّهْدُ ثَرْوَةٌ ، وَآلْوَرَعُ جُنَّةٌ .

٤ ـ وقـال عليه السـلام : نِعْمَ آلْقَرِينُ الـرِّضَا ، وَآلْعِلْمُ وِرَاثَـةٌ كَرِيمَةٌ ، وَآلآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ ، وَآلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ .

---

(١) ابن اللبون ـ بفتح آللام وضم الباء: ابن النـاقة إذا استكمـل سنتين ، لا له ظهـر قوي فيركبونه ، ولا له ضرع فيحلبونه ، يريد تجنب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك.

(٢) أزرى بها: حقرها ، واستشعره : تبـطنه وتخلق بـه ، ومن كشف ضره للنـاس ودعاهم للتهاون به فقد رضي بالذل . وأمر لسانه : جعله أميراً .

(٣) المقل ـ بضم فكسر وتشديد اللام ـ : الفقير ، والجنة ـ بالضم ـ الوقاية .

٥ ـ وقال عليه السلام : صَدْرُ ٱلْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ[١] ، وَٱلْبَشَاشَةُ حُبَالَةُ ٱلْمَوَدَّةِ ، وَٱلاِحْتِمَالُ قَبْرُ ٱلْعُيُوبِ أَوْ : وَٱلْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ ٱلْعُيُوبِ . وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ ٱلسَّاخِطُ عَلَيْهِ .

٦ ـ وقال عليه السلام : أَلصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ ، وَأَعْمَالُ ٱلْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ .

٧ ـ وقال عليه السلام : آعْجَبُوا لِهٰذَا ٱلإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ[٢] ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خُرْمٍ !

٨ ـ وقال عليه السلام : إِذَا أَقْبَلَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ .

٩ ـ وقال عليه السلام : خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ .

١٠ ـ وقال عليه السلام : إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ ٱلْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

١١ ـ وقال عليه السلام : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ

---

(١) لا يفتح الصندوق فيطلع الغير على ما فيه ، والحبالة ـ بكسر الحاء كتابة ـ : شبكة الصيد ، ومثله الأحبول والأحبولة ـ بضم الهمزة فيهما ـ وتقول : حبل الصيد واحتبله إذا أخذه بها ، والبشوش يصيد مودات القلوب ، والاحتمال : تحمل الأذى خفيت عيوبه كأنها دفنت في قبر.

(٢) الشحم : شحم الحدقة . واللحم : اللسان . والعظم : عظام في الأذن يضربها الهواء فتقرع عصب الصماخ فيكون السماع .

ٱكْتِسَابِ ٱلإِخْوَانِ وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ .

١٢ ـ وقال عليه السلام : إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ ٱلنِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ ٱلشُّكْرِ .

١٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ ضَيَّعَهُ ٱلأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ ٱلأَبْعَدُ .

١٤ ـ وقال عليه السلام : مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ .

١٥ ـ وقال عليه السلام : تَذِلُّ ٱلأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱلْحَتْفُ فِي ٱلتَّدْبِيرِ .

١٦ ـ وسئل عليه السلام عن قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم « غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِٱلْيَهُودِ » فقال عليه السلام : إِنَّمَا قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذٰلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ ؛ فَأَمَّا ٱلآنَ وَقَدِ ٱتَّسَعَ نِطَاقُهُ ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَٱمْرُؤٌ وَمَا ٱخْتَارَ .

١٧ ـ وقال عليه السلام فِي ٱلَّذِينَ ٱعْتَزَلُوا ٱلْقِتَالَ مَعَهُ : خَذَلُوا ٱلْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا ٱلْبَاطِلَ .

١٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ جَرَىٰ فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ(١) .

---

(١) أي : من كان جريه إلى سعادته بعنان الأمل يمني نفسه بلوغ مطلبه بلا عمل سقط في أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئاً مما يريد . والعنان ـ ككتاب : ـ سير اللجام تمسك به الدابة.

١٩ ـ وقال عليه السلام : أَقِيلُوا ذَوِي ٱلْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ(١) ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلاَّ وَيَدُ ٱللّٰهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ .

٢٠ ـ وقال عليه السلام : قُرِنَتِ ٱلْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ(٢) ، وَٱلْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ ، وَٱلْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ ٱلْخَيْرِ .

٢١ ـ وقال عليه السلام : لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ ٱلإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَىٰ .

قَالَ الرضيُّ : وَهٰذَا مِن لَطِيفِ ٱلْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ ، وَمَعْنَاهُ أَنَّا إِنْ لَمْ نُعْطَ حَقَّنَا كُنَّا أَذِلَّاءَ(٣) وَذَلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجُزَ البَعِيرِ كالْعَبْدِ وَٱلأَسِيرِوَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمَا .

٢٢ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .

٢٣ ـ وقال عليه السلام : مِنْ كَفَّارَاتِ ٱلذُّنُوبِ ٱلْعِظَامِ إِغَاثَةُ ٱلْمَلْهُوفِ وَٱلتَّنْفِيسُ عَنِ ٱلْمَكْرُوبِ .

٢٤ ـ وقال عليه السلام : يَا ٱبْنَ آدَمَ ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ

---

(١) العثرة السقطة، وأقاله عثرته : رفعه من سقطته. والمروءة ـ بضم الميم ـ : صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير . وقوله « يرفعه » جملة حالية من لفظ الجلالة ، وإن كان مضافاً إليه لوجود شرطه .

(٢)) أي : من تهيب أمراً خاب من إدراكه ، ومن أفرط به الخجل من طلب شيء حرم منه ، والإفراط في الحياء مذموم كطرح الحياء ، والمحمود الوسط .

(٣) وقد يكون المعنى إن لم نعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه وإن طالت الشقة. وركوب مؤخرات الإبل مما يشق احتماله والصبر عليه .

سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ .

٢٥ ـ وقال عليه السلام : مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ .

٢٦ ـ وقال عليه السلام : إِمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَىٰ بِكَ[١] .

٢٧ ـ وقال عليه السلام : أَفْضَلُ ٱلزُّهْدِ إِخْفَاءُ ٱلزُّهْدِ .

٢٨ ـ وقال عليه السلام : إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَٱلْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ[٢] فَمَا أَسْرَعَ ٱلْمُلْتَقَىٰ .

٢٩ ـ وقال عليه السلام : ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ ! فَوَاللّٰهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ[٣] .

٣٠ ـ وَسُئِلَ عَنِ ٱلإِيمَانِ فَقَالَ : ٱلإِيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَىٰ الصَّبْرِ ، وَٱلْيَقِينِ ، وَٱلْعَدْلِ ، وَٱلْجِهَادِ . وَٱلصَّبْرُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ الشَّوْقِ ، وَالشَّفَقِ[٤] ، وَٱلزُّهْدِ وَٱلتَّرَقُّبِ : فَمَنِ ٱشْتَاقَ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ سَلَا عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ ٱلنَّارِ ٱجْتَنَبَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهِدَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱسْتَهَانَ بِٱلْمُصِيبَاتِ ، وَمَنِ ٱرْتَقَبَ

---

(١) أي : ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل ؛ فإن أعياك فاسترح له .

(٢) يطلبك الموت من خلفك ليلحقك وأنت مدبر إليه تقرب عليه المسافة .

(٣) الضمير لله ستر مخازي عباده حتى ظن أنه غفرها لهم ويوشك أن يأخذهم بمكره .

(٤) الشفق ـ بالتحريك ـ : الخوف .

ٱلْمَوْتَ سَارَعَ إِلَىٰ ٱلْخَيْرَاتِ . وَٱلْيَقِينُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَب : عَلَىٰ تَبْصِرَةِ ٱلْفِطْنَةِ ، وَتَأَوُّلِ ٱلْحِكْمَةِ[1] ، وَمَوْعِظَةِ ٱلْعِبْرَةِ ، وَسُنَّةِ ٱلْأَوَّلِينَ : فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي ٱلْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ فَكَأَنَّما كَانَ فِي ٱلْأَوَّلِينَ . وَٱلْعَدْلُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ غَائِصِ ٱلْفَهْمِ ، وَغَوْرِ ٱلْعِلْمِ وَزُهْرَةِ ٱلْحُكْمِ[2] وَرَسَاخَةِ ٱلْحِلْمِ : فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ ٱلْحُكْمِ[3] ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي ٱلنَّاسِ حَمِيداً . وَٱلْجِهَادُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَٱلصِّدْقِ فِي ٱلْمَوَاطِنِ[4] وَشَنَآنِ ٱلْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِٱلْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ نَهَىٰ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ ٱلْمُنَافِقِينَ ، وَمَنْ صَدَقَ فِي ٱلْمَوَاطِنِ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ شَنِىءَ ٱلْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لِلّٰهِ غَضِبَ ٱللّٰهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

٣١ ـ وقال عليه السلام : أَلْكُفْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَىٰ

---

(١) تأول الحكمة : الوصول إلى دقائقها ، والعبرة : الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأولين ، وما رزئوا به عند الغفلة ، وما حظوا به عند الانتباه.

(٢) غور العلم : سره وباطنه ، وزهرة الحكم ـ بضم الزاي ـ أي : حسنه.

(٣) الشرائع : جمع شريعة ، وهي الظاهر المستقيم من المذاهب ، ومورد الشاربة ، و« صدر عنها » أي : رجع عنها بعدما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف فيحسن حكمه .

(٤) مواطن القتال في سبيل الحق. والشنآن ـ بالتحريك ـ : البغض.

ٱلتَّعمُّقِ ، وَٱلتَّنَـازُعِ ، وَٱلزَّيْغِ (1) وَٱلشِّقَاقِ: فَمَنْ تَعمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ (2) ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُـهُ بِٱلْجَهْـلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَمَنْ زَاغَ سَـاءَتْ عِنْدَهُ ٱلْحَسَنَـةُ ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ ٱلسَّيِّئَـةُ ، وَسَكِـرَ سُكْـرَ ٱلضَّـلاَلَةِ ؛ وَمَنْ شَـاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْـهِ طُرُقُـهُ ، وَأَعْضَلَ عَلَيْـهِ أَمْرُهُ (3) ، وَضَـاقَ عَلَيْهِ مَخْـرَجُهُ . وَٱلشَّـكُّ عَلَىٰ أَرْبَـعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ ٱلتَّمَـارِي وَٱلْهَـوْلِ ، وَٱلتَّـرَدُّدِ ، وَٱلاِسْتِسْـلاَمِ : فَمَنْ جَعَـلَ ٱلْمِـرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِـحْ لَيْلُهُ ، وَمَنْ هَالَـهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْـهِ ، وَمَنْ تَـرَدَّدَ فِي ٱلـرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَـابِكُ ٱلشَّيَـاطِينِ ، وَمَنِ ٱسْتَسْلَمَ لِهَلَكَـةِ ٱلـدُّنْيَـا وَٱلآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا .

قَالَ الرضي : وَبَعْدَ هٰذَا كَلاَمٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ خَوْفَ ٱلْإِطَالَةِ وَٱلْخُروجِ عَنِ ٱلْغَرَضِ ٱلْمَقْصُودِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ .

٣٢ ـ وقـال عليه السـلام : فَاعِـلُ ٱلْخَيْرِ خَيْـرٌ مِنْـهُ ؛ وَفَـاعِـلُ ٱلشَّرِّ شَرٌ مِنْهُ .

٣٣ ـ وقـال عليه السـلام : كُنْ سَمْحـاً وَلاَ تَكُنْ مُبَـذِّراً ، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلاَ تَكُنْ مُقَتِّراً .

---

(1) التعمق : الـذهاب خلف الأوهـام على زعم طلب الأسرار ، والـزيـغ : الحيـدان عن مذاهب الحق والميل مع الهوى الحيواني ، والشقاق : العناد.

(2) « لم ينب » أي : لم يرجع ، أناب ينيب : رجع .

(3) وعر الطريق ـ ككرم ، ووعد وولع ـ : خشن ولـم يسهل السير فيه ، وأعضل : اشتد وأعجزت صعوبته .

٣٤ ـ وقال عليه السلام : أَشْرَفُ ٱلْغِنَىٰ تَرْكُ ٱلْمُنىٰ .

٣٥ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَسْرَعَ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .

٣٦ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَطَالَ ٱلامَلَ أَسَاءَ ٱلْعَمَلَ(١) .

٣٧ ـ قَالَ عَلَيْهِ السَّلام وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ(٢) ٱلأَنْبَارِ ، فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَٱشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هٰذَا ٱلَّذِي صَنَعْتُمُوهُ ؟ فَقَالُوا : خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا ، فَقَالَ : وَٱللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهٰذَا أُمَرَاؤُكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ(٣) ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ ، وَمَا أَخْسَرَ ٱلْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا ٱلْعِقَابُ ، وَأَرْبَحَ ٱلدَّعَةَ مَعَهَا ٱلأَمَانُ مِنَ ٱلنَّارِ .

٣٨ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن :

يَا بُنَيَّ ؛ ٱحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً ؛ وَأَرْبَعاً ، لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ : إِنَّ أَغْنَىٰ ٱلْغِنَىٰ ٱلْعَقْلُ ، وَأَكْبَرُ ٱلْفَقْرِ ٱلْحُمْقُ ، وَأَوْحَشُ

---

(١) طول الأمل: الثقة بحصول الأماني بدون عمل لها ، أو استطالة العمر والتسويف بأعمال الخير.

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم الفلاحين في العجم والأنبار من بلاد العراق ، و « ترجلوا » أي : نزلوا عن خيولهم مشاة ، واشتدوا : أسرعوا.

(٣) تشقون ـ بضم الشين ، وتشديد القاف ـ : من المشقة ، وتشقون الثانية بسكون الشين من الشقاوة والدعة ـ بفتحات ـ : الراحة.

ٱلْوَحْشَةِ ٱلْعُجْبُ[1] ، وَأَكْرَمُ ٱلْحَسَبِ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ .

يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ[2] ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ[3] ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ ٱلْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ : يُقَرِّبُ عَلَيْكَ ٱلْبَعِيدَ ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ ٱلْقَرِيبَ .

٣٩ ـ وقال عليه السلام : لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ[4] .

٤٠ ـ وقال عليه السلام : لِسَانُ ٱلْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ ٱلأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ .

قَالَ الرضي : وَهَذَا مِنَ ٱلْمَعَانِي ٱلْعَجِيبَةِ ٱلشَّرِيفَةِ ، وَٱلْمُرَادُ بِهِ أَنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يُطْلِقُ لِسَانَهُ إِلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَةِ ٱلرَّوِيَّةِ وَمُؤَامَرَةِ ٱلْفِكْرَةِ ، وَٱلأَحْمَقُ تَسْبِقُ حَذَفَاتُ لِسَانِهِ وَفَلَتَاتُ كَلَامِهِ مُرَاجَعَةَ فِكْرِهِ[5]

---

(١) العجب ـ بضم فسكون ـ ومن أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس فهو في وحشة دائماً .

(٢) أحوج : حال من الكاف في عنك ، ويروى « يقعد عنك أحوج ـ الخ » .

(٣) التافه القليل .

(٤) كمن ينقطع للصلاة والذكر ويفر من الجهاد .

(٥) « مراجعة » وما بعده مفعول « تسبق » ، و« حذفات » فاعله . وممَاخضة الرأي تحريكه حتى يظهر زبده ، وهو الصواب » .

وَمُمَاخَضَةِ رَأْيِهِ ، فَكَأَنَّ لِسَانَ ٱلْعَاقِلِ تَابِعٌ لِقَلْبِهِ ، وَكَأَنَّ قَلْبَ ٱلأَحْمَقِ تَابِعٌ لِلِسَانِهِ .

٤١ ـ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ هٰذَا ٱلمَعْنَى بِلَفْظٍ آخَرَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ـ قَلْبُ ٱلأَحْمَقِ فِي فِيهِ ، وَلِسَانُ ٱلْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِد .

٤٢ ـ وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي عِلَّةٍ آعْتَلَّهَا : جَعَلَ ٱللّٰهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ ، فَإِنَّ ٱلْمَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ ، وَلٰكِنَّهُ يَحُطُّ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَحُتُّهَا حَتَّ ٱلأَوْرَاقِ[١] . وَإِنَّمَا ٱلأَجْرُ فِي ٱلْقَوْلِ بِاللِّسَانِ ، وَٱلْعَمَلِ بِالأَيْدِي وَٱلأَقْدَامِ ، وَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ ٱلنِّيَّةِ وَٱلسَّرِيرَةِ ٱلصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْجَنَّةَ .

قَالَ الرضي : وَأَقُولُ صَدَقَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، إِنَّ المَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ مَا يُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ ٱلعِوَضُ[٢] لأَنَّ ٱلعِوَضَ يُسْتَحَقُّ عَلَى مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ ٱللّٰهِ تَعَالَى بِٱلْعَبْدِ مِنَ ٱلآلاَمِ وَٱلأَمْرَاضِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذٰلِكَ ، وَٱلأَجْرُ وَٱلثَّوَابُ يُسْتَحَقَّانِ عَلَى

---

(١) حت الورق عن الشجرة : قشر . والصبر على العلة رجوع إلى الله واستسلام لقدره ، وفي ذلك خروج إليه من جميع السيئات وتوبة منها ، لهذا كان يحت الذنوب أما الأجر فلا يكون إلّا على عمل بعد التوبة .

(٢) الضمير في « لأنه » للمرض ، أي : إن المرض ليس من أفعال العبد لله حتى يؤجر عليها ، وإنما هو من أفعال الله بالعبد التي ينبغي أن الله يعوضه عن آلامها . والذي قلناه في المعنى أظهر من كلام الرضي .

مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةَ فِعْلِ ٱلْعَبْدِ ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ قَدْ بَيَّنَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَمَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ ٱلثَّاقِبُ وَرَأْيُهُ ٱلصَّائِبُ .

٤٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ خَبَّابِ بن الأرت : يَرْحَمُ ٱللّٰهُ خَبَّابَ بْنَ ٱلْأَرَتِّ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً ، وَهَاجَرَ طَائِعاً ، وَقَنِعَ بِٱلْكَفَافِ ، وَرَضِيَ عَنِ ٱللّٰهِ ، وَعَاشَ مُجَاهِداً .

٤٤ ـ وقال عليه السلام : طُوبَىٰ لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَقَنِعَ بِٱلْكَفَافِ ، وَرَضِيَ عَنِ ٱللّٰهِ .

٤٥ ـ وقال عليه السلام : لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ ٱلْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هٰذَا عَلَىٰ أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي ، وَلَوْ صَبَبْتُ ٱلدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَىٰ ٱلْمُنَافِقِ عَلَىٰ أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَىٰ لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « يَا عَلِيُّ ؛ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ » .

٤٦ ـ وقال عليه السلام : سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ ٱللّٰهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ .

٤٧ ـ وقال عليه السلام : قَدْرُ ٱلرَّجُلِ عَلَىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصِدْقُهُ عَلَىٰ قَدْرِ مُرُوءَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ أَنَفَتِهِ ، وَعِفَّتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

٤٨ ـ وقال عليه السلام : الظَّفَرُ بِٱلْحَزْمِ ؛ وَٱلْحَزْمُ بِإِجَالَةِ ٱلرَّأْيِ ، وَٱلرَّأْيُ بِتَحْصِينِ ٱلْأَسْرَارِ .

٤٩ ـ وقال عليه السلام : ٱحْذَرُوا صَوْلَةَ ٱلْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَٱللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ .

٥٠ ـ وقال عليه السلام : قُلُوبُ ٱلرِّجَالِ وحْشِيَّةٌ ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ .

٥١ ـ وقال عليه السلام : عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ .

٥٢ ـ وقال عليه السلام : أَوْلَىٰ ٱلنَّاسِ بِٱلْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَىٰ ٱلْعُقُوبَةِ .

٥٣ ـ وقال عليه السلام : ٱلسَّخَاءُ مَا كَانَ ٱبْتِدَاءً ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ[1] .

٥٤ ـ وقال عليه السلام : لَا غِنَىٰ كَٱلْعَقْلِ ، وَلَا فَقْرَ كَٱلْجَهْلِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَٱلْأَدَبِ ، وَلَا ظَهِيرَ كَٱلْمُشَاوَرَةِ .

٥٥ ـ وقال عليه السلام : ٱلصَّبْرُ صَبْرَان : صَبْرٌ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ .

٥٦ ـ وقال عليه السلام : ٱلْغِنَىٰ فِي ٱلْغُرْبَةِ وَطَنٌ ، وَٱلْفَقْرُ فِي ٱلْوَطَنِ غُرْبَةٌ .

٥٧ ـ وقال عليه السلام : ٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

---

(١) التذمم : الفرار من الذم ، كالتأثم والتحرج.

قال الرضي : وَقَدْ رُوِيَ هٰذَا ٱلْكَلَامُ عَنِ ٱلنَّبِيِ صَلّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ .

٥٨ ـ وقال عليه السلام : أَلْمَالُ مَادَّةُ ٱلشَّهَوَاتِ .

٥٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ .

٦٠ ـ وقال عليه السلام : أَللِّسَانُ سَبْعٌ إنْ خُلِّيَ عَنْهُ عقَرَ .

٦١ ـ وقال عليه السلام : أَلْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ ٱللِّبْسَةِ[١] .

٦٢ ـ وقال عليه السلام : إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا ، وَٱلْفَضْلُ مَعَ ذٰلِكَ لِلْبَادِي .

٦٣ ـ وقال عليه السلام : ٱلشَّفِيعُ جَنَاحُ ٱلطَّالِبِ .

٦٤ ـ وقال عليه السلام : أَهْلُ ٱلدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ .

٦٥ ـ وقال عليه السلام : فَقْدُ ٱلأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ .

٦٦ ـ وقال عليه السلام : فَوْتُ ٱلْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهَا .

---

(١) اللبسة ـ بالكسر ـ : حالة من حالات اللبس ـ بالضم ـ يقال : لبست فلانة ، أي : عاشرتها زمناً طويلاً ، والعقرب لا تحل لبستها ، أما المرأة فهي هي الإيذاء ، لكنها حلوة اللبسة.

٦٧ ـ وقال عليه السلام : لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ ٱلْقَلِيلِ ؛ فَإِنَّ ٱلْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ .

٦٨ ـ وقال عليه السلام : ٱلْعَفَافُ زِينَةُ ٱلْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَىٰ .

٦٩ ـ وقال عليه السلام : إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلْ مَا كُنْتَ(١) .

٧٠ ـ وقال عليه السلام : لَا تَرَىٰ ٱلْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً .

٧١ ـ وقال عليه السلام : إِذَا تَمَّ ٱلْعَقْلُ نَقَصَ ٱلْكَلَامُ .

٧٢ ـ وقال عليه السلام : أَلدَّهْرُ يُخْلِقُ ٱلْأَبْدَانَ ، وَيُجَدِّدُ ٱلآمَالَ ، وَيُقَرِّبُ ٱلْمَنِيَّةَ ، وَيُبَاعِدُ ٱلْأُمْنِيَّةَ : مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ .

٧٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ

---

(١) إذا كان لك مرام لم تنله فاذهب في طلبه كل مذهب ، ولا تبال إن حقروك أو عظموك ، فإن محط السير الغاية وما دونها فداء لها ، وقد يكون المعنى إذا عجزت عن مرادك فارض بأي حال ، على رأي القائل : ـ

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

آلنَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ .

٧٤ ـ وقال عليه السلام : نَفَسُ ٱلْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَىٰ أَجَلِهِ .

٧٥ ـ وقال عليه السلام : كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ .

٧٦ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ ٱلْأُمُور إِذَا ٱشْتَبَهَتْ ٱعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا .

٧٧ ـ وَمِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ ضَمْرَةَ الضُّبَابِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ : فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ وَيَبكِي بُكَاءَ الحَزِينِ ، ويقول :

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا ، إِلَيْكِ عَنِّي ؛ أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ لَا حَانَ حِينُكَ هَيْهَاتَ ! غُرِّي غَيْرِي ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا ! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ . آهِ مِنْ قِلَّةِ ٱلزَّادِ ، وَطُولِ ٱلطَّرِيقِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَعَظِيمِ ٱلْمَوْرِدِ[١] .

٧٨ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلسَّائِلِ الشَّامِي لَمَّا سَأَلَهُ : أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَى ٱلشَّامِ بِقَضَاءٍ مِنَ ٱللَّهِ وَقَدرٍ ؟ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ هٰذَا مُخْتَارُهُ :

---

(١) المورد : موقف الورود على الله في الحساب.

وَيْحَكَ ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِماً ، وَقَدَراً حَاتِماً ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ لَبَطَلَ الثَّوابُ وَٱلْعِقَابُ ، وَسَقَطَ ٱلْوَعْدُ وَٱلْوَعِيدُ[1] إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً ، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً ، وَكَلَّفَ يَسِيراً ، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً ، وَأَعْطَىٰ عَلَىٰ ٱلْقَلِيلِ كَثِيراً ، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً ، ولَمْ يُطَعْ مُكْرَهاً ، وَلَمْ يُرْسِلِ ٱلْأَنْبِيَاءَ لَعِباً ، وَلَمْ يُنْزِلِ ٱلْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً ، وَلَا خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً وَ ﴿ **ذٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ** ﴾ .

٧٩ ـ وقال عليه السلام : خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّىٰ كَانَتْ فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ ٱلْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ[2] حَتَّىٰ تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَىٰ صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ .

٨٠ ـ وقال عليه السلام : ٱلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، فَخُذِ ٱلْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ .

٨١ ـ وقال عليه السلام : قِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ .

قال الرضي : وَهِيَ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي لَا تُصَابُ لَهَا قِيمَةٌ ، وَلَا

---

(١) القضاء : علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها . والقدر : إيجاده لها عند وجود أسبابها ، ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله ؛ فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل ، والله يعلمه فاعلاً باختياره : إما شقياً به ، وإما سعيداً . والدليل ما ذكره الإمام .

(٢) « تلجلج » أي : تتحرك .

تُوزَنُ بِهَا حِكْمَةٌ ، وَلاَ تُقْرَنُ بِهَا كَلِمَةٌ .

٨٢ ـ وقال عليهَ السلام : أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ[١] لَكَانَتْ لِذٰلِكَ أَهْلاً : لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ رَبَّهُ ، وَلاَ يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ ، وَلاَ يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لاَ أَعْلَمُ ، وَلاَ يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ ٱلشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ ٱلإِيْمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ ، وَلاَ خَيْرَ فِي جَسَدٍ لاَ رَأْسَ مَعَهُ ، وَلاَ فِي إِيمَانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ .

٨٣ ـ وقال عليه السلام لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ لَهُ مُتَّهِماً : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

٨٤ ـ وقال عليه السَّلام : بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَىٰ عَدَداً وَأَكْثَرُ وَلَداً .

٨٥ ـ وقال عليه السلام : مَنْ تَرَكَ قَوْلَ « لاَ أَدْرِي» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ .

٨٦ ـ وقال عليه السلام: رَأْيُ ٱلشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلاَمِ .

وَرُوِي « مِنْ مَشْهَدِ ٱلْغُلاَمِ » .

---

(١) الآباط : جمع إبط ، وضرب الآباط : كناية عن شد الرحال وحث المسير.

٨٧ ـ وقال عليه السلام : عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ آلِاسْتِغْفَارُ .

٨٨ ـ وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال :

كَانَ فِي آلْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ آللّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ آلآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ : أَمَّا آلْأَمَانُ آلَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ آللّهِ صَلّى آللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم، وَأَمَّا آلْأَمَانُ آلْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ ؛ قَالَ آللّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَمَا كَانَ آللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ آللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ .

قال الرضي : وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ آلْإِسْتِخْرَاجِ وَلَطَائِفِ آلْإِسْتِنْبَاطِ .

٨٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آللّهِ أَصْلَحَ آللّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلنَّاسِ ؛ وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ آللّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ آللّهِ حَافِظٌ.

٩٠ ـ وقال عليه السلام : أَلْفَقِيهُ كُلُّ آلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ آلنَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ آللّهِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ آللّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ آللّهِ.

٩١ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ هٰذِهِ آلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ

ٱلْأَبْدَانُ ؛ فَٱبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ ٱلْحِكَمِ .

٩٢ ـ أَوْضَعُ ٱلْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَىٰ ٱللِّسَانِ ؛ وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَرْكَانِ .

٩٣ ـ وقال عليه السلام : لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ « أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ » لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ فِتْنَةٍ ، وَلٰكِنْ مَنِ ٱسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ ٱلْفِتَنِ ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ وَٱعْلَمُوا إِنَّما أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وَمَعْنَىٰ ذٰلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ ٱلسَّاخِطَ لِرِزْقِهِ ، وَٱلرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلٰكِنْ لِتَظْهَرَ ٱلْأَفْعَالُ ٱلَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ ٱلثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ ٱلذُّكُورَ وَيَكْرَهُ ٱلإِنَاثَ ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ ٱلْمَالِ وَيَكْرَهُ ٱنْثِلَامَ ٱلْحَالِ .

قال الرضي : وَهٰذَا مِنْ غَرِيبِ مَا سُمِعَ مِنْهُ فِي ٱلتَّفْسِيرِ .

٩٤ ـ وَسُئِلَ عَنِ ٱلْخَيْرِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ : لَيْسَ ٱلْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلٰكِنَّ ٱلْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ تُبَاهِيَ ٱلنَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ ٱللَّهَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ ٱللَّهَ ، وَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ : رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي ٱلْخَيْرَاتِ .

٩٥ ـ وقال عليه السلام : لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَىٰ ، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟

٩٦ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَوْلَىٰ آلنَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ، ثُمَّ تَلَىٰ : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ آلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ آتَّبَعُوهُ وَهٰذَا آلنَّبِيُّ وَآلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ آللّٰهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَىٰ آللّٰهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ .

٩٧ ـ وَقَدْ سَمِعَ رَجُلاً مِنَ آلْحَرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ ، فَقَالَ : نَوْمٌ عَلَىٰ يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ .

٩٨ ـ وقال عليه السلام : اعْقِلُوا آلْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عقل رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ رِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رُوَاةَ آلْعِلْمِ كَثِيرٌ ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ .

٩٩ ـ وَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : ﴿ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فقَال عَلَيْهِ آلسَّلاَمُ :

إِنَّ قولنا ﴿ إِنَّا لِلّٰهِ ﴾ إِقْرَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ ، وقَوْلَنَا ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ إِقْرَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بِآلْهُلْكِ .

١٠٠ ـ وَمَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللَّهُمَّ آجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَآغْفِرْ لَنَا مَا لاَ يَعْلَمُونَ .

١٠١ ـ وقال عليه السلام : لاَ يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ آلْحَوَائِجِ إِلاَّ بِثَلاثٍ : بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ ، وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ ، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ .

١٠٢ ـ وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَىٰ ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ آلَّا ٱلْمَاحِلُ[١] ، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْفَاجِرُ ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمُنْصِفُ : يَعُدُّونَ ٱلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً ، وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنًّا ، وَٱلْعِبَادَةَ ٱسْتِطَالَةً عَلَىٰ ٱلنَّاسِ ! فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَكُونُ ٱلسُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ ٱلنِّسَاءِ وَإِمَارَةِ ٱلصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ ٱلْخِصْيَانِ .

١٠٣ ـ وَرُئِي عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرْقُوع فَقِيلَ لَهُ فِي ذَٰلِكَ ، فقال : يَخْشَعُ لَهُ ٱلْقَلْبُ ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ ، وَيَقْتَدِي بِهِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ : فَمَنْ أَحَبَّ ٱلدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ ٱلآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا : كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ ٱلآخَرِ ، وَهُمَا بعدُ ضَرَّتَانِ .

١٠٤ ـ وَعَنْ نَوْفٍ البَكَالِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ فِي ٱلنُّجومِ فَقَالَ لِي : يَا نَوْفُ ، أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ رَامِقٌ[٢] قَالَ : يَا نَوْفُ : طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلرَّاغِبِينَ فِي ٱلآخِرَةِ ، أُولَئِكَ قَوْمٌ

---

(١) الماحل : الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان ، و« لا يظرف » أي : لا يعد ظريفاً . و« لا يضعف » أي : لا يعد ضعيفاً ، والغرم ـ بالضم ـ أي : الغرامة والمن : ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه ، والاستطالة على الناس : التفوق عليهم والتزيد عليهم في الفضل.

(٢) أراد بالرامق منتبه العين ، في مقابلة الراقد بمعنى النائم ، يقال : رمقه ، إذا لحظه لحظاً خفيفاً.

آتَّخَذُوا آلْأَرْضَ بِسَاطاً ، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً ، وَمَاءَهَا طِيباً ، وَآلْقُرْآنَ شِعَاراً وَآلدُّعَاءَ دِثَاراً ، ثُمَّ قَرَضُوا آلدُّنْيَا قَرْضاً عَلَىٰ مِنْهَاجِ آلْمَسِيحِ .

يَا نَوْفُ ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ آلسَّلَامُ قَامَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ آلسَّاعَةِ مِنَ آللَّيْلِ فَقَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا آسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيًّا ، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وهي الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ (وهي الطبل . وقد قيل أيضاً : إن العرطبة : الطبل ، والكوبة : الطنبور) .

١٠٥ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ آللّٰهَ آفْتَرَضَ عَلَيْكُمُ آلْفَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا ؛ وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا .

١٠٦ ـ وقال عليه السلام : لَا يَتْرُكُ آلنَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ آللّٰهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ .

١٠٧ ـ وقال عليه السلام : رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ(١) وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ .

١٠٨ ـ وقال عليه السلام: لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هٰذَا آلْإِنْسَانِ

---

(١) وهذا هو العالم الذي يحفظ ولا يدري ، أو يعلم ولا يعمل ، أو ينقل ولا بصيرة له.

بِضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ[١] وَذٰلِكَ ٱلْقَلْبُ ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلاَفِهَا : فَإِنْ سَنَحَ لَهُ ٱلرَّجَاءُ[٢] أَذَلَّهُ ٱلطَّمَعُ ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ ٱلطَّمَعُ أَهْلَكَهُ ٱلْحِرْصُ ، وَإِنْ مَلَكَهُ ٱلْيَأْسُ قَتَلَهُ ٱلأَسَفُ ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ ٱلْغَضَبُ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْغَيْظُ ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ ٱلرِّضَا نَسِيَ ٱلتَّحَفُّظَ[٣] ، وَإِنْ نَالَهُ ٱلْخَوفُ شَغَلَه ٱلْحَذَرُ ، وَإِنِ ٱتَّسَعَ لَهُ ٱلأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ ٱلْغِرَّةُ[٤] ، وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ ٱلْغِنَىٰ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ ٱلْجَزَعُ ، وَإِنْ عَضَّتْهُ ٱلْفَاقَةُ شَغَلَهُ ٱلْبَلاَءُ ، وَإِنْ جَهَدَهُ ٱلْجُوعُ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ ٱلشِّبَعُ كَظَّتْهُ ٱلْبِطْنَةُ ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

١٠٩ ـ وقال عليه السلام : نَحْنُ النُّمْرُقَةُ ٱلْوُسْطَىٰ[٦] بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ ٱلْغَالِي .

---

(١) النياط ـ ككتاب ـ : عرق معلق به القلب.

(٢) سنح له : بدا وظهر.

(٣) التحفظ: هو التوقي والتحرز من المضرات.

(٤) الغرة ـ بالكسر ـ الغفلة، و« استلبته » أي : سلبته وذهبت به عن رشده وأفاد المال: استفاده ، والفاقة الفقر.

(٥) « كظته » أي كربته وآلمته . والبطنة ـ بالكسر ـ : امتلاء البطن حتى يضيق النفس ، ويروى « وإن جهده الجوع قعدت به الضعة » .

(٦) النمرقة ـ بضم فسكون فضم ففتح ـ الوسادة : وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين ، كما يستند إلى الوسادة : لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء ، ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها ، فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما يجانبه ، وآل البيت على الصراط الوسطى العدل : يلحق بهم من قصر ، ويرجع إليهم من غلا وتجاوز.

١١٠ ـ وقال عليه السلام : لَا يُقِيمُ أَمْرَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ(١) وَلَا يُضَارِعُ ، وَلَا يَتَّبِعُ ٱلْمَطَامِعَ .

١١١ ـ وقال عليه السلام : « وَقَدْ تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيفٍ الأَنْصَارِيُّ بِالكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ :

لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ(٢) .

مَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْمِحْنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ فَتُسْرِعُ ٱلْمَصَائِبُ إِلَيْهِ ، وَلَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْأَتْقِيَاءِ ٱلْأَبْرَارِ وَٱلْمُصْطَفِينَ ٱلْأَخْيَارِ ، وَهٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

١١٢ ـ مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً .

« وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذٰلِكَ عَلَى مَعْنًى آخَرَ(٣) لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ » .

١١٣ ـ وقال عليه السلام : لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ ٱلْعَقْلِ ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ ٱلْعُجْبِ ، وَلَا عَقْلَ كَٱلتَّدْبِيرِ ، وَلَا كَرَمَ كَٱلتَّقْوَىٰ ، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَٱلْأَدَبِ ، وَلَا قَائِدَ

---

(١) « لا يصانع » أي : لا يداري في الحق والمضارعة : المشابهة ، والمعنى أنه لا يتشبه في عمله بالمبطلين ، واتباع المطامع : الميل معها وإن ضاع الحق .

(٢) تهافت : تساقط بعد ما تصدع .

(٣) هو أن من أحبهم فليخلص لله حبهم ، فليست الدنيا تطلب عندهم .

كَٱلتَّوْفِيقِ ، وَلَا تِجَارَةَ كَٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ ، وَلَا رِبْحَ كَٱلثَّوَابِ ، وَلَا وَرَعَ كَٱلْوُقُوفِ عِنْدَ ٱلشُّبْهَةِ ، وَلَا زُهْدَ كَٱلزُّهْدِ فِي ٱلْحَرَامِ ، وَلَا عِلْمَ كَٱلتَّفَكُّرِ ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ ٱلْفَرَائِضِ ، وَلَا إِيمَانَ كَٱلْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ ، وَلَا حَسَبَ كَٱلتَّوَاضُعِ ، وَلَا شَرَفَ كَٱلْعِلْمِ وَلَا عِزَّ كَٱلْحِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ ٱلْمُشَاوَرَةِ .

١١٤ ـ وقال عليه السلام : إِذَا ٱسْتَوْلَىٰ ٱلصَّلَاحُ عَلَىٰ ٱلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ ٱلظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ ! وَإِذَا ٱسْتَوْلَىٰ ٱلْفَسَادُ عَلَىٰ ٱلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ ٱلظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ .

١١٥ ـ وقيل له عليه السلام : كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؟ فقال عليه السلام : كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ ، وَيُؤْتَىٰ مِنْ مَأْمَنِهِ!

١١٦ ـ وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ(١) وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ ؛ وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ ! وَمَا ٱبْتَلَىٰ ٱللَّهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلإِمْلَاءِ لَهُ .

١١٧ ـ وقال عليه السلام : هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ

---

(١) استدرجه الله : تابع نعمته عليه وهو مقيم على عصيانه ؛ إبلاغاً للحجة وإقامة للمعذرة في أخذه . والاملاء له : الامهال .

غَالٍ [1] وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

١١٨ ـ وقال عليه السلام : إِضَاعَةُ ٱلْفُرْصَةِ غُصَّةٌ .

١١٩ ـ وقال عليه السلام : مَثَلُ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا : يَهْوِي إِلَيْهَا ٱلْغِرُّ ٱلْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا ذُو ٱللُّبِّ ٱلْعَاقِلُ !

١٢٠ ـ وسئل عليه السلام عن قريش فقال : أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ [2] فَأَبْعَدُهَا رَأْياً ، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا ، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا ، وَأَسْمَحُ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ ، وَنَحْنُ أَفصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ .

١٢١ ـ وقال عليه السلام : شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ .عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَىٰ تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَىٰ أَجْرُهُ.

١٢٢ ـ وقال عليه السلام : وَتَبِعَ جَنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلاً يَضْحَكُ ، فَقَالَ : كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ ٱلْحَقَّ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي نَرَىٰ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا

---

(١) الغالي : المتجاوز الحد في حبه بسبب غيره ، أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك ؛ والقالي : المبغض الشديد البغض .

(٢) ومنهم بنو أمية ، أي : وهم ـ أي : بنو عبد شمس ـ أكثر الخ ، « ونحن » أي : بنو هاشم .

قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ ، وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ!!

١٢٣ ـ وقال عليه السلام : طُوبَىٰ لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَطَابَ كَسْبُهُ ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَأَنْفَقَ ٱلْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَىٰ ٱلْبِدْعَةِ .

قال الرضي : أَقُولُ : وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَنْسِبُ هَذَا ٱلْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَكَذَلِكَ ٱلَّذِي قَبْلَهُ .

١٢٤ ـ وقال عليه السلام : غَيْرَةُ ٱلْمَرْأَةِ كُفْرٌ وَغَيْرَةُ ٱلرَّجُلِ إِيمَانٌ .

١٢٥ ـ وقال عليه السَّلام : لَأَنْسُبَنَّ ٱلإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي : أَلإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ ٱلْيَقِينُ ، وَٱلْيَقِينُ هُوَ ٱلتَّصْدِيقُ ، وَٱلتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلإِقْرَارُ ، وَٱلإِقْرَارُ هُوَ ٱلأَدَاءُ ، وَٱلأَدَاءُ هُوَ ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ .

١٢٦ ـ وقال عليه السلام : عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ ٱلْفَقْرَ(١) ٱلَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَفُوتُهُ ٱلْغِنَىٰ ٱلَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ

---

(١) الفقر : ما قصر بك عن درك حاجتك ، والبخيل تكون له الحاجة فلا يقضيها ، ويكون عليه الحق فلا يؤديه فحاله حال الفقراء يحتمل ما يحتملون ؛ فقد استعجل الفقر وهو يهرب منه بجمع المال.

فِي آلـدُّنْيَا عَيْشَ آلْفُقَـرَاءِ ، وَيُحَاسَبُ فِي آلآخِـرَةِ حِسَابَ آلأَغْنِيَـاءِ ، وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّـرِ آلَّذِي كَـانَ بِـالامْسِ نُـطْفَـةً وَيَكُـونُ غَـداً جِيفَـةً ، وَعَـجِـبْـتُ لِـمَـنْ شَـكَّ فِـي آلـلَّهِ وَهُـوَ يَـرَىٰ خَـلْقَ الـلَّهِ وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ آلْمَـوْتَ وَهُوَ يَـرَىٰ آلْمَـوْتَىٰ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَـرَ آلنَّشْـأَةَ آلأُخْرَىٰ وَهُـوَ يَرَىٰ آلنَّشْـأَةَ آلأُولَىٰ ، وَعَجِبْتُ لِعَامِـرِ دَارِ آلْفَنَاءِ وَتَارِكِ دَارِ آلْبَقَاءِ.

١٢٧ ـ وقـال عليـه السـلام : مَنْ قَصَّـرَ فِي آلْعَمَـلِ آبْتُلِيَ بِالْهَمِّ[١] وَلاَ حَاجَةَ لِلَّهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ .

١٢٨ ـ وقال عليه السلام : تَوَقَّـوا آلْبَرْدَ فِي أَوَّلِـهِ ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِـرِهِ فَإِنَّـهُ يَفْعَلُ فِي آلأَبْـدَانِ كَفِعْلِهِ فِي آلأَشْجَـارِ : أَوَّلُـهُ يُحْـرِقُ ، وَآخِرُهُ يُورِقُ .

١٢٩ ـ وقـال عليـه السـلام : عِـظَمُ آلْخَـالِقِ عِنْـدَكَ يُصَغِّـرُ آلْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ .

١٣٠ ـ وقال عليه السلام : وَقَدْ رَجَعَ مِن صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى آلْقُبُورِ بِظَاهِرِ آلْكُوفَةِ :

يَـا أَهْـلَ آلدِّيَـارِ آلْمُـوحِشَـةِ وَآلْمَحَـالِّ آلْمُقْفِـرَةِ ، وَآلْقُبُـورِ آلْمُظْلِمَةِ ، يَا أَهْلَ آلتُّرْبَةِ ، يَا أَهْلَ آلْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ آلْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ

---

(١) الهم : هم الحسرة على فوات ثمـراته، ومن لم يجعـل الله نصيبه في مـاله بـالبذل في سبيله ، ولا في روحه باحتمـال التعب في إعزاز دينـه ؛ فلا يكـون له رجـاء في فضل الله ، فإنه لا يكون في الحقيقة عبدالله بل عبد نفسه والشيطان .

ٱلْـوَحْشَةِ ، أَنْتُمْ لَنَـا فَرَطٌ سَـابِقٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَـعٌ لَاحِقٌ ، أَمَّـا ٱلـدُّورُ فَقَـدْ سُكِنَتْ وَأَمَّا ٱلْأَزْوَاجُ فَقَـدْ نُكِحَتْ ، وَأَمَّا ٱلْأَمْـوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ . هٰذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ ؟ .

ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلى أَصْحَـابِهِ فَقَـالَ : أَمَـا لَـوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي ٱلْكَـلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ .

١٣١ ـ وقال عليه السلام ، وَقَدْ سَمِعَ رَجُلاً يَـذُمُّ ٱلدُّنْيَـا : أَيُّهَا ٱلذَّامُّ لِلدُّنْيَا ٱلْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا ٱلْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا ؛ أَنْتَ ٱلْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا(١) أَمْ هِيَ ٱلْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ؟ مَتَىٰ ٱسْتَهْـوَتْـكَ(٢) أَمْ مَتَىٰ غَـرَّتْـكَ ؟ أَبِمَصَـارِعِ آبَـائِـكَ مِنَ ٱلْبِلَىٰ(٣) ؟ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ ٱلثَّـرَىٰ ؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ(٤) ! وَكَمْ مَـرَّضْتَ بِيَـدَيْكَ ؟ تَبْغِي لَهُمُ ٱلشِّفَـاءَ(٥) ، وَتَسْتَـوْصِفُ لَهُمُ ٱلْأَطِبَّـاءَ ، غَـدَاةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ ، وَلَا يُجْـدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ لَمْ يَنْفَـعْ أَحَـدَهُمْ إِشْفَاقُكَ(٦) وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطِلْبَتِكَ ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ بِقُوَّتِكَ !!

---

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم ـ بالضم ـ أي : الذنب.

(٢) استهواه : ذهب بعقله وأذله فحيره.

(٣) البلى ـ بكسر البـاء ـ : الفنـاء بـالتحلل ، والمصـرع : مكـان الانصـراع ، أي : السقوط ، أي : مكان سقوط آبائك من الفناء، والثرى: التراب .

(٤) علل المريض: خدمه في علته ، كمرضه : خدمه في مرضه.

(٥) الضمير في « لهم » يعود على الكثير المفهوم من كم. واستوصف الطبيب. طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء.

(٦) إشفاقك: خوفك: والطلبة ـ بالكسر، وبفتح فكسر ـ المطلوب، وأسعفة بمطلوبه: أعطاه إيّاه على ضرورة إليه .

وَقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ ٱلدُّنْيَا نَفْسَكَ[1] ! وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ . إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا[2] ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ ٱتَّعَظَ بِهَا ، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ ٱللّهِ ، وَمُصَلَّىٰ مَلَائِكَةِ ٱللّهِ ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ ٱللّهِ ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ ٱللّهِ ، ٱكْتَسَبُوا فِيهَا ٱلرَّحْمَةَ ، وَرَبِحُوا فِيهَا ٱلْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا ٱلْبَلَاءَ ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَىٰ ٱلسُّرُورِ؟ رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ ، وَٱبْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ ؛ تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً ، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً ، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ ٱلنَّدَامَةِ ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؛ ذَكَّرَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا ؛ وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا ، وَوَعَظَتْهُمْ فَٱتَّعَظُوا .

١٣٢ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ : لِدُوا لِلْمَوْتِ ، وَٱجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ ، وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ .

١٣٣ ـ وقال عليه السلام : أَلدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ ، وَٱلنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا ، وَرَجُلٌ ٱبْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا .

١٣٤ ـ وقال عليه السلام : لَا يَكُونُ ٱلصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّىٰ يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ : فِي نَكْبَتِهِ ، وَغَيْبَتِهِ ، وَوَفَاتِهِ[3] .

---

(١) أي : إن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالاً لنفسك تقيسها عليه .

(٢) أي : أخذ منها زاده لِلآخرة .

(٣) أي : لا يضيع شيئاً من حقوقه في الأحوال الثلاثة .

١٣٥ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً : مَنْ أُعْطِيَ ٱلدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ(١) ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلتَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلاِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلْمَغْفِرَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ ٱلشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ ٱلزِّيَادَةَ .

قال الرضي : وَتَصْدِيقُ ذٰلِكَ كِتَابُ ٱللّٰهِ ، قَالَ ٱللّٰهُ فِي ٱلدُّعَاءِ : ﴿ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَالَ فِي ٱلاِسْتِغْفَارِ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللّٰهَ يَجِدِ ٱللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ وقال في ٱلشُّكْرِ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وقال في ٱلتَّوبَةِ : ﴿ إِنَّما التَّوْبَةُ عَلَى اللّٰهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ .

١٣٦ ـ وقال عليه السلام: الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَٱلْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ ٱلْبَدَنِ الصِّيَامُ ، وَجِهَادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ(٢) .

١٣٧ ـ وقال عليه السلام : ٱسْتَنْزِلُوا ٱلرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ .

١٣٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَيْقَنَ بِٱلْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ .

---

(١) المراد بالدعاء المجاب: ما كان مقروناً باستعداد بأن يصحبه العمل لنيل المطلوب. وبالتوبة والاستغفار: ما كانا ندماً على الذنب يمنع من العود إليه ، وبالشكر : تصريف النعم في وجوهها المشروعة .

(٢) حسن التبعل : إطاعة الزوج.

١٣٩ ـ وقال عليه السلام : تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ .

١٤٠ ـ وقال عليه السلام : مَا أَعالَ مَنِ ٱقْتَصَدَ .

١٤١ ـ وقال عليه السلام : قِلَّةُ ٱلْعِيَالِ أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ .

١٤٢ ـ وقال عليه السلام : التَّوَدُّدُ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ .

١٤٣ ـ وقال عليه السلام : الْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ .

١٤٤ ـ وقال عليه السلام : يَنْزِلُ ٱلصَّبْرُ عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْمُصِيبَةِ ، وَمنْ ضَرَبَ عَلَىٰ فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ .

١٤٥ ـ وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا ٱلْجُوعُ وَٱلظَّمأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا ٱلسَّهَرُ وَٱلْعَنَاءُ حَبَّذَا نَوْمُ ٱلأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ .

١٤٦ ـ وقال عليه السلام : سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ(١) وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكاةِ وَٱدْفَعُوا أَمْوَاجَ ٱلْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ .

١٤٧ ـ ومن كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي :

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ : أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْرَجَنِي إِلَى الجَبَّانِ(٢) فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءُ ؛ ثُمَّ قَالَ :

---

(١) السياسة : حفظ الشيء بما يحوطه من غيره ، فسياسة الرعية حفظ نظامها بقوة الرأي والأخذ بالحدود . والصدقة تستحفظ الشفقة ، والشفقة تستزيد الإيمان وتذكر الله . والزكاة : أداء حق الله من المال ، وأداء الحق حصن النعمة .

(٢) الجبان كالجبانة : المقبرة، و« أصحر » أي : صار في الصحراء .

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ[1] ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ[2] ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ ٱلْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ .

يَا كُمَيْلُ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَالِ ، وَالْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ ٱلْمَالَ وَٱلْمَالُ تَنْقُصُهُ ٱلنَّفَقَةُ ، وَٱلْعِلْمُ يَزْكُو عَلَىٰ ٱلإِنْفَاقِ ، وَصَنِيعُ ٱلْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ .

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ ، مَعْرِفَةُ ٱلْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ، بِهِ يَكْسِبُ ٱلإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ ٱلأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَٱلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَٱلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ .

يَا كُمَيْلُ ؛ هَلَكَ خُزَّانُ ٱلأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَٱلْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ ٱلدَّهْرُ ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي ٱلْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا إِنَّ ها هُنَا لَعِلْماً جَمًّا (وَأَشَارَ بِيده إلى صدره) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَىٰ أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلاً آلَةَ ٱلدِّينِ لِلدُّنْيَا ،

---

(١) أوعية : جمع وعاء ، وأوعاها : أحفظها.

(٢) العالم الرباني : هو المتأله العارف بالله والمتعلم على طريق النجاة إذا أتم علمه نجا ، والهمج ـ محركة ـ : الحمقى من الناس ، والرعاع ـ كسحاب ـ : الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس ، والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق.

وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ ٱللّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَبِحُجَجِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ ٱلْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْنَائِهِ ، يَنْقَدِحُ ٱلشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ . أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ! أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ ٱلْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ ، أَوْ مُغْرَماً بِٱلْجَمْعِ وَٱلِادِّخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ ٱلدِّينِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا ٱلْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ ! كَذٰلِكَ يَمُوتُ ٱلْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

اللَّهُمَّ بَلَىٰ ! لَا تَخْلُو ٱلْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلّهِ بِحُجَّةٍ : إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ ٱللّهِ وَبَيِّنَاتُهُ . وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولٰئِكَ ؟؟ أُولٰئِكَ ـ وَٱللّهِ ـ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً ، وَٱلْأَعْظَمُونَ عِنْدَ ٱللّهِ قَدْراً يَحْفَظُ ٱللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّىٰ يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ ٱلْعِلْمُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ ٱلْبَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رُوحَ ٱلْيَقِينِ ، وَٱسْتَلَانُوا مَا ٱسْتَوْعَرَهُ ٱلْمُتْرَفُونَ ، وَأَنِسُوا بِمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ ٱلْجَاهِلُونَ ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِٱلْمَحَلِّ ٱلْأَعْلَىٰ . أُولٰئِكَ خُلَفَاءُ ٱللّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَٱلدُّعَاةُ إِلَىٰ دِينِهِ . آهِ آهِ شَوْقاً إِلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ! إِنْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ .

١٤٨ ـ وقال عليه السلام : أَلْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ(١) .

١٤٩ ـ وقال عليه السلام : هَلَكَ ٱمْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ .

---

(١) إنما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه ، فكأنه قد خبيء تحت لسانه ، فإذا تحرك اللسان انكشف .

١٥٠ ـ وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو ٱلآخِرَةَ بِغَيْرِ ٱلْعَمَلِ ، وَيُرَجِّي ٱلتَّوْبَةَ(١) بِطُولِ ٱلأَمَلِ ، يَقُولُ فِي ٱلدُّنْيَا بِقَوْلِ ٱلزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ ٱلرَّاغِبِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي ٱلزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهَىٰ وَلَا يَنْتَهِي ، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ ، وَيُبْغِضُ ٱلْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ، وَيُقِيمُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ ٱلْمَوْتَ لَهُ(٢) ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً(٣) ، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً ، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ ، وَيَقْنَطُ إِذَا ٱبْتُلِيَ ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا ، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَىٰ مَا يَسْتَيْقِنُ(٤) ، يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ ، إِنِ ٱسْتَغْنَىٰ بَطِرَ وَفُتِنَ(٥) ، وَإِنِ ٱفْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيُبَالِغُ إِذَا

---

(١) يرجى ـ بالتشديد ـ أي يؤخر التوبة .

(٢) الذي يكره الموت لأجله هو الذنوب ، وأقام عليها : داوم على إتيانها .

(٣) إن أصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة ، فإذا عادت له الصحة غره الأمن وغرق في اللهو.

(٤) هو على يقين من أن السعادة في الزهادة ، والشرف في الفضيلة ؛ ثم لا يقهر نفسه على اكتسابهما ، وإذا ظن بل توهم لذة حاضرة أو منفعة عاجلة دفعته نفسه إليها وإن هلك .

(٥) بطر ـ كفرح ـ : اغتر بالنعمة ، والغرور فتنة ، والقنوط : اليأس ، والوهن : الضعف .

سَأَلَ ، إنْ عَرَضَتْ لَـهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ ٱلْمَعْصِيَـةَ[1] ، وَسَوَّفَ ٱلتَّـوْبَةَ ، وَإنْ عَـرَتْـهُ مِحْنَـةٌ ٱنْفَـرَجَ عَنْ شَـرَائِطِ ٱلْمِلَّةِ[2] ، يَصِفُ ٱلْعِبْـرَةَ وَلاَ يَعْتَبِـرُ[3] ، وَيُبَالِـغُ فِي ٱلْمَوْعِـظَةِ وَلاَ يَتَّعِظُ ، فَهُوَ بِـٱلْقَوْلِ مُـدِلٌّ[4] ، وَمِنَ ٱلْعَمَـلِ مُقِلٌّ ، يُنَـافِسُ فِيمَا يَفْنَىٰ ، وَيُسَـامِحُ فِيمَـا يَبْقَىٰ ، يَرَى ٱلْغُنْمَ مَغْـرَمـاً[5] ، وَٱلْغُـرْمَ مَغْنَمـاً ، يَخْشَىٰ ٱلْمَـوْتَ ، وَلاَ يُبَـادِرُ ٱلْفَوْتَ[6] ، يَسْتَعْـظِمُ مِنْ مَعْصِيَـةِ غَيْـرِهِ مَـا يَسْتَقِـلُّ أَكْثَـرَ مِنْـهُ مِنْ نَفْسِـهِ ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَـاعَتِهِ مَـا يَحْقِرُهُ مِنْ طَـاعَةِ غَيْـرِهِ ، فَهُـوَ عَلَىٰ ٱلنَّـاسِ طَاعِنٌ ، وَلِنَفْسِـهِ مُدَاهِنٌ ، أَللَّهْـوُ مَعَ ٱلأَغْنِيَـاءِ أَحَبُّ إلَيْهِ مِنَ ٱلـذِّكْـرِ مَـعَ ٱلْفُقَـرَاءِ ، يَحْكُمُ عَلَىٰ غَيْـرِهِ لِنَفْسِـهِ ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهَـا لِغَيْرِهِ ، وَيُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْـوِي نَفْسَهُ . فَهُـوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي ، وَيَسْتَـوْفِي وَلاَ يُوفِي ، وَيَخْشَىٰ ٱلْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَلاَ يَخْشَىٰ رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ .

قـال الرضي : وَلَـوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الكِتَـابِ إلاَّ هٰـذَا الكَـلاَمُ لَكَفَى بِهِ مَوعِظَةً نَاجِعَـةً ، وَحِكْمَةً بَـالِغَةً ، وَبَصِيـرَةً لِمُبْصِرٍ ، وَعِبْـرَةً لِنَاظِرٍ مُفَكِّرٍ .

---

(١) أسلف : قدم ، وسوف : أخر .

(٢) شرائط الملة : الثبات والصبر ، واستعانة الله على الخلاص عند عروض المحن ، أي : طروق البلايا . و« انفرج عنها » أي : انخلع وبعد.

(٣) العبرة ـ بالكسر ـ تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من إتيان أسبابه .

(٤) أدل على أقرانه : استعلى عليهم.

(٥) الغنم . بالضم : الغنيمة ، والمغرم : الغرامة ، والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء ، والشهوات خسارة الأعمار.

(٦) الفوت : فوات الفرصة وانقضاؤها ، وبادره : عاجله قبل أن يذهب.

١٥١ ـ وقال عليه السلام : لِكُلِّ آمْرِىءٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ .

١٥٢ ـ وقال عليه السلام: لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

١٥٣ ـ وقال عليه السلام: لَا يَعْدَمُ آلصَّبُورُ آلظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ آلزَّمَانُ .

١٥٤ ـ وقال عليه السلام : أَلرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ ، وَعَلَىٰ كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ : إِثْمُ آلْعَمَلِ بِهِ ، وَإِثْمُ آلرِّضَا بِهِ .

١٥٥ ـ وقال عليه السلام : اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا .

١٥٦ ـ وقال عليه السلام : عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ .

١٥٧ ـ وقال عليه السلام : قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ(١) وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ آهْتَدَيْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ آسْتَمَعْتُمْ .

١٥٨ ـ وقال عليه السلام : عَاتِبْ أَخَاكَ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَآرْدُدْ شَرَّهُ بِالإِنْعَامِ عَلَيْهِ .

١٥٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ آلتُّهْمَةِ

---

(١) كشف الله لكم عن الخير والشر، فإن كانت لكم أبصاراً فابصروا ؛ وكذا يقال فيما بعده.

فَلا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ .

١٦٠ ـ وقال عليه السلام : مَنْ مَلَكَ ٱسْتَأْثَرَ[١] .

١٦١ ـ وقال عليه السلام : مَنِ ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

١٦٢ ـ وقال عليه السلام : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ ٱلْخِيَرَةُ بِيَدِهِ[٢] .

١٦٣ ـ وقال عليه السلام : أَلْفَقْرُ ٱلْمَوْتُ ٱلأَكْبَرُ .

١٦٤ ـ وقال عليه السلام : مَنْ قَضَىٰ حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ[٣] .

١٦٥ ـ وقال عليه السلام : لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ .

١٦٦ ـ وقال عليه السلام : لَا يُعَابُ ٱلْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ .

١٦٧ ـ وقال عليه السلام : أَلْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الإِزْدِيَادَ .

---

(١) « استأثر » أي : استبد.

(٢) مثلاً لو أسر عزيمة فله الخيار في إنفاذها أو فسخها ، بخلاف ما لو أفشاها فربما ألزمته البواعث على فعلها ، أو أجبرته العوائق التي تعرض له في إفشائها على فسخها ، وعلى هذا القياس.

(٣) لأن العبادة خضوع لمن لا تطالبه بجزائه اعترافاً بعظمته .

١٦٨ ـ وقال عليه السلام : أَلْأَمْرُ قَرِيبٌ وَٱلِاصْطِحَابُ قَلِيلٌ .

١٦٩ ـ وقال عليه السلام : قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ .

١٧٠ ـ وقال عليه السلام : تَرْكُ ٱلذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ ٱلتَّوْبَةِ .

١٧١ ـ وقال عليه آلسلام : كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاتٍ!

١٧٢ ـ وقال عليه السلام : أَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

١٧٣ ـ وقال عليه السلام : مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ ٱلْخَطإِ .

١٧٤ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ ٱلْغَضَبِ لِلّهِ قَوِيَ عَلَىٰ قَتْلِ أَشِدَّاءِ ٱلْبَاطِلِ .

١٧٥ ـ وقال عليه السلام : إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ .

١٧٦ ـ وقال عليه السلام : آلَةُ ٱلرِّيَاسَةِ سَعَةُ ٱلصَّدْرِ .

١٧٧ ـ وقال عليه السلام : أُزْجُرِ ٱلْمُسِيءَ بِثَوَابِ ٱلْمُحْسِنِ .

١٧٨ ـ وقال عليه السلام : أُحْصُدِ ٱلشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ .

١٧٩ ـ وقال عليه السلام : أَللَّجَاجَةُ تَسُلُّ ٱلرَّأْيَ .

١٨٠ ـ وقال عليه السلام : أَلطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ .

١٨١ ـ وقال عليه السلام : ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وَثَمَرَةُ ٱلْحَزْمِ السَّلاَمَةُ .

١٨٢ ـ وقال عليه السلام : لاَ خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ ؛ كَمَا أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ .

١٨٣ ـ وقال عليه السلام : مَا ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلاَّ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلاَلَةً(١) .

١٨٤ ـ وقال عليه السلام : مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ .

١٨٥ ـ وقال عليه السلام : مَا كَذَبْتُ وَلاَ كُذِّبْتُ ؛ وَلاَ ضَلَلْتُ وَلاَ ضُلَّ بِي .

١٨٦ ـ وقال عليه السلام : لِلظَّالِمِ ٱلْبَادِي غَداً فِي كَفِّهِ عَضَّةٌ(٢) .

١٨٧ ـ وقال عليه السلام : الرَّحِيلُ وَشِيكٌ(٣) .

١٨٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَبْدَىٰ لِلْحَقِّ صَفْحَتَهُ هَلَكَ(٤) .

---

(١) لأن الحق واحد.

(٢) يعض الظالم على يده ندماً يوم القيامة.

(٣) الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب .

(٤) من ظهر بمقاومة الحق هلك . وإبداء الصفحة : إظهار الوجه ، وقد يكون المعنى : من أعرض عن الحق ، والصفحة تظهر عند الاعراض بالجانب.

١٨٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ .

١٩٠ ـ وقال عليه السلام : وَاعَجَبَاهُ أَتَكُونُ ٱلْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ وَٱلْقَرَابَةِ؟ .

قال الرضي : وروي له شعر في هذا المعنى :

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّوْرَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ　فَكَيْفَ بِهٰذَا وَٱلْمُشِيرُونَ غُيَّبُ؟ ![1]

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَىٰ حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ[2]　فَغَيْرُكَ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

١٩١ ـ وقال عليه السلام : إِنَّمَا ٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا[3] وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ ٱلْمَصَائِبُ ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ[4] ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَلاَ يَنَالُ ٱلْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ ، وَلاَ يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ . فَنَحْنُ أَعْوَانُ ٱلْمَنُونِ[5] وَأَنْفُسُنَا نَصْبُ ٱلْحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو

---

(١) جمع غائب : يريد بالمشيرين أصحاب الرأي في الأمر ، وهم علي وأصحابه من بني هاشم .

(٢) يريد احتجاج أبي بكر رضي الله عنه على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) الغرض ـ بالتحريك ـ : ما ينصب ليصيبه الرامي ، و« تنتضل فيه » أي : تصيبه وتثبت فيه : والمنايا ، جمع منية ؛ وهي الموت ، والنهب ـ بفتح فسكون ـ : ما ينهب .

(٤) الشرق ـ بالتحريك ـ : وقوف الماء في الحلق ، أي : مع كل لذة ألم .

(٥) المنون ـ بفتح الميم ـ الموت : وكلما تقدمنا في العمر تقربنا منه فنحن بمعيشتنا =

ٱلْبَقَاءَ وَهٰذَا ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً[1] إِلَّا أَسْرَعَا ٱلْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!

١٩٢ ـ وقال عليه السلام : يَا ٱبْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ .

١٩٣ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

١٩٤ ـ وكان عليه السلام يقول : مَتَىٰ أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ ٱلانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي لَوْ عَفَوْتَ .

١٩٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَذَرٍ عَلَىٰ مَزْبَلَةٍ : هٰذَا مَا بَخِلَ بِهِ ٱلْبَاخِلُونَ .

وَرَوى في خَبَرٍ آخر أَنَّهُ قَالَ : هٰذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالأَمْسِ .

١٩٦ ـ وقال عليه السلام : لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .

١٩٧ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ ٱلأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ ٱلْحِكْمَةِ .

= أعوانه على أنفسنا ، وأنفسنا نصب الحتوف ـ أي : تجاهها ـ والحتوف : جمع حتف ؛ أي : هلاك.

(١) الشرف: المكان العالي ؛ والمراد به هنا كل ما علا من مكان وغيره.

١٩٨ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الخَوارِجِ « لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ » : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ .

١٩٩ ـ وقال عليه السلام فِي صِفَةِ الغَوْغَاءِ : هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، وقيل : بل قال عليه السلام : هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا ضَرُّوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا ، قد عرفنا مضرة اجتماعهم ، فما منفعة افتراقهم؟ فقال : يَرْجِعُ أَصْحَابُ ٱلْمِهَنِ إِلَىٰ مِهْنَتِهِمْ ، فَيَنْتَفِعُ ٱلنَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ ٱلْبَنَّاءِ إِلَىٰ بِنَائِهِ ، وَٱلنَّسَّاجِ إِلَىٰ مِنْسَجِهِ ، وَٱلْخَبَّازِ إِلَىٰ مَخْبَزِهِ .

٢٠٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَأُتِيَ بِجَانٍ وَمَعَهُ غَوْغَاءُ ، فَقَالَ : لاَ مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لاَ تُرَىٰ إِلاَّ عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ .

٢٠١ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّ ٱلأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ .

٢٠٢ ـ وقال عليه السلام ، وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ : نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هٰذَا الأَمْرِ : لاَ ، وَلٰكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي ٱلْقُوَّةِ وَٱلإِسْتِعَانَةِ ، وَعَوْنَانِ عَلَىٰ ٱلْعَجْزِ وَٱلأَوْدِ .

٢٠٣ ـ وقال عليه السلام : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ ٱلَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ .

٢٠٤ ـ وقال عليه السَّلام : لاَ يُزْهِدَنَّكَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لاَ يَشْكُرُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ ٱلشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ ٱلْكَافِرُ ، وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ .

٢٠٥ ـ وقال عليه السلام : كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلاَّ وِعَاءَ ٱلْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ(١) .

٢٠٦ ـ وقال عليه السلام : أَوَّلُ عِوَضِ ٱلْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ ٱلنَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَىٰ ٱلْجَاهِلِ .

٢٠٧ ـ وقال عليه السلام إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلاَّ أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ .

٢٠٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ ، وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ .

٢٠٩ ـ وقال عليه السلام : لَتَعْطِفَنَّ ٱلدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ عَلَىٰ وَلَدِهَا(٢) . وتلا عقيب ذلك : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ

---

(١) وعاء العلم : هو العقل ، وهو يتسع بكثرة العلم .

(١) الشماس ـ بالكسر ـ : امتناع ظهر الفرس من الركوب ، والضروس ـ بفتح فضم ـ : الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، أي : إن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها ، كما تنعطف الناقة على ولدها ، وإن أبت على الحالب .

نَمُنَّ عَلَىٰ ٱلَّـذِينَ ٱسْتُضْعِفُـوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ .

٢١٠ ـ وقـال عليه السـلام : ٱتَّقُوا ٱللهَ تَقِيَّـةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْـرِيـداً وَجَدَّ تَشْمِيراً ؛ وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ(١) وَبَادَرَ عَنْ وَجَـلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَـرَّةِ ٱلْمَوْئِلِ ، وَعَاقِبَةِ ٱلْمَصْدَرِ ، وَمَغَبَّةِ ٱلْمَرْجِعِ .

٢١١ ـ وقـال عليـه السـلام : أَلْجُـودُ حَـارِسُ ٱلْأَعْـرَاضِ ، وَالْعِلْمُ فِدَامُ ٱلسَّفِيهِ(٢) ، وَٱلْعَفْـوُ زَكَاةُ ٱلـظَّفَرِ ، وَٱلسُّلُوُّ عِـوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ(٣) ، وَٱلإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَـرَ مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ بِرَأْيِـهِ ، وَالصَّبْـرُ يُنَاضِـلُ ٱلْحِدْثَـانَ ، وَٱلْجَزَعُ مِنْ أَعْـوَانِ ٱلـزَّمَـانِ ، وَأَشْـرَفُ ٱلْغِنَىٰ تَـرْكُ ٱلْمُنَىٰ ، وَكَمْ مِنْ عَقْـلٍ أَسِيـرٍ تَحْتَ هَـوًى أَمِيـرٍ ، وَمِنَ ٱلتَّوْفِيقِ حِفْظُ ٱلتَّجْرِبَةِ ، وَٱلْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً .

---

(١) كمش ـ بتشديد الميم ـ : جد في السوق ، أي : وبـالغ في حث نفسـه على المسير إلى الله ، لكن مع تمهل البصيـرة . والوجـل: الخوف . والمـوئل : مستقـر المسير ، يـريد بـه هنا مـا ينتهي إليه الإنسـان : من سعادة وشقـاء ، وكرت ، : حملته وإقبـاله . والمغبـة ـ بفتح الميم والغين وتشـديد البـاء ـ : العاقبـة أيضـاً ، إلَّا أنـه يـلاحظ فيهـا مجرد كونها بعد الأمر . أما العـاقبة ففيهـا أنها مسببـة عنه ، والمصـدر : عملك الذي يكون عنه ثوابك وعقابك ، والمرجع : ما ترجـع إليه بعـد الموت ويتبعـه إما السعـادة أو الشقاوة .

(٢) الفـدام ـ ككتاب ، وسحـاب ، وتشدد الـدال أيضاً مـع الفتـح ـ : شيء تشـده العجم على أفـواههـا عنـد السقي ، أي : وإذا حلمت فكـأنـك ربطت فم السفيـه بـالفـدام فمنعته عن الكلام .

(٣) أي : من غدرك فلك خلف عنه ، وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن .

٢١٢ ـ وقال عليه السلام : عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ .

٢١٣ ـ وقال عليه السلام : أَغْضِ عَلَىٰ ٱلْقَذَىٰ وَٱلأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً .

٢١٤ ـ وقال عليه السلام : مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ .

٢١٥ ـ وقال عليه السلام : الْخِلاَفُ يَهْدِمُ ٱلرَّأْيَ .

٢١٦ ـ وقال عليه السلام : مَنْ نَالَ ٱسْتَطَالَ .

٢١٧ ـ وقال عليه السلام : فِي تَقَلُّبِ ٱلأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ ٱلرِّجَالِ .

٢١٨ ـ وقال عليه السلام : حَسَدُ ٱلصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ ٱلْمَوَدَّةِ .

٢١٩ ـ وقال عليه السلام : أَكْثَرُ مَصَارِعِ ٱلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ ٱلْمَطَامِعِ .

٢٢٠ ـ وقال عليه السلام : لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضَاءُ عَلَىٰ ٱلثِّقَةِ بِالظَّنِّ .

٢٢١ ـ وقال عليه السلام : بِئْسَ ٱلزَّادُ إِلَىٰ ٱلْمَعَادِ ، ٱلْعُدْوَانُ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ .

٢٢٢ ـ وقال عليه السلام : مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

٢٢٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ ٱلنَّاسُ عَيْبَهُ .

٢٢٤ ـ وقال عليه السلام : بِكَثْرَةِ ٱلصَّمْتِ تَكُونُ ٱلْهَيْبَةُ ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ ٱلْمُوَاصِلُونَ ، وَبِالإِفْضَالِ تَعْظُمُ ٱلأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ ٱلنِّعْمَةُ ، وَبِاحْتِمَالِ ٱلْمُؤَنِ يَجِبُ ٱلسُّؤْدَدُ(١) ، وَبِالسِّيرَةِ ٱلْعَادِلَةِ يُقْهَرُ ٱلْمُنَاوِىءُ(٢) ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ ٱلسَّفِيهِ تَكْثُرُ ٱلأَنْصَارُ عَلَيْهِ .

٢٢٥ ـ وقال عليه السلام : أَلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ ٱلْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ ٱلأَجْسَادِ(٣) .

٢٢٦ ـ وقال عليه السلام : الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ ٱلذُّلِّ .

٢٢٧ ـ وسئل عن الإيمان فقال : أَلإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِٱلْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ .

٢٢٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ أَصْبَحَ عَلَى ٱلدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ ٱللّٰهِ سَاخِطاً ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ ، وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا

---

(١) المؤن ـ بضم ففتح ـ : جمع مؤنة ، وهي القوت ، أي ان السؤدد والشرف باحتمال المؤنات عن الناس.

(٢) المناوىء : المخالف المعاند.

(٣) أي : من العجيب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلاً ، ولا يحسدون الناس على سلامة أجسادهم ، مع أنها من أجل النعم .

دِينِهِ[١] ، وَمَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ ٱلنَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ ٱللّٰهِ هُزُواً ؛ وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ ٱلدُّنْيَا ٱلْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ[٢] : هَمٌّ لَا يُغِبُّهُ ، وَحِرْصٌ لَا يَتْرُكُهُ وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ .

٢٢٩ ـ وقال عليه السلام : كَفَىٰ بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً ، وَبِحُسْنِ ٱلْخُلُقِ نَعِيماً .

وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ فَقَالَ : هِيَ ٱلْقَنَاعَةُ .

٢٣٠ ـ وقال عليه السلام : شَارِكُوا ٱلَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلرِّزْقُ ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَىٰ وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ ٱلْحَظِّ عَلَيْهِ[٣] .

٢٣١ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللّٰهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ ﴾ ٱلْعَدْلُ : ٱلإِنْصَافُ ، وَٱلإِحْسَانُ : التَّفَضُّلُ .

٢٣٢ ـ وقال عليه السلام : مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ ٱلْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ ٱلطَّوِيلَةِ .

قال الرضي : أَقُولُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ ٱلْمَرْءُ مِنْ مَالِهِ

---

(١) لأن استعظام المال ضعف في اليقين بالله ، والخضوع : أداة عمل لغير الله ، فلم يبق إلّا الإقرار باللسان.

(٢) التاط : التصق.

(٣) أي إذا رأيتم شخصاً أقبل عليه الرزق فاشتركوا معه في عمله من تجارة أو زراعة أو غيرهما فإنه مظنة الربح .

فِي سَبِيلِ الخَيْرِ وَالبِرِّ وَإِنْ كَانَ يَسِيراً فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الجَزَاءَ عَلَيْهِ عَظِيماً كَثِيراً ، وَاليَدَانِ هٰهُنَا : عِبَارَتَانِ عَنِ النِّعْمَتَيْنِ ، فَفَرَقَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَيْنَ نِعْمَةِ العَبدِ وَنِعمةِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكره فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وهَذِهِ طَوِيلَةً ، لأَنَّ نِعَمَ اللهِ أَبَداً تُضْعَفُ عَلَى نِعَمِ المَخْلُوقِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً(١) إذ كَانَتْ نِعَمُ اللهِ أَصْلَ النِّعَمِ كُلِّهَا ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْهَا تَرجِعُ وَمِنهَا تُنْزَعُ .

٢٣٣ ـ وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام : لَا تَدْعُوَنَّ إِلىٰ مُبَارَزَةٍ(٢) وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ ٱلدَّاعِيَ بَاغٍ وَٱلْبَاغِي مَصْرُوعٌ .

٢٣٤ ـ وقال عليه السلام : خِيَارُ خِصَالِ ٱلنِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ ٱلرِّجَالِ : الزَّهْوُ ، وَٱلْجُبْنُ ، وَٱلْبُخْلُ . فَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا .

٢٣٥ ـ وقيل له : صِفْ لَنَا العَاقِلَ ، فَقَالَ عليه السلام : هُوَ ٱلَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ، فقيل : فصف لنا الجاهل ، فقال : قَدْ فَعَلْتُ .

قال الرضي : يَعْنِي أَنَّ الجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لاَ يَضَعُ الشَّيءَ

---

(١) تضعف ـ مجهول ـ : من « أضعفه » إذا جعله ضعفين.

(٢) المبارزة : بروز كل للآخر ليقتتلا ، ومصروع : مغلوب مطروح.

مَـوَاضِعَـهُ فَكَـأَنَّ تَـرْكَ صِفَتِــهِ صِفَـةٌ لَــهُ ؛ إِذْ كَـانَ بِخِــلَافِ وَصْفِ العَاقِلِ .

٢٣٦ ـ وقـال عليـه السـلام : وَٱللّهِ لَـدُنْيَـاكُمْ هٰـذِهِ أَهْـوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ .

٢٣٧ ـ وقـال عليه السـلام : إِنَّ قَوْمـاً عَبَـدُوا ٱللّهَ رَغْبَـةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ ، وَإِنَّ قَـوْماً عَبَـدُوا ٱللّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَـادَةُ ٱلْعَبِيـدِ(١) ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ ٱلأَحْرَارِ(٢) .

٢٣٨ ـ وقـال عليه السـلام : الْمَرْأَةُ شَـرٌّ كُلُّهَا ، وَشَـرٌّ مَا فِيهَـا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا!

٢٣٩ ـ وقـال عليــه الســلام : مَنْ أَطَـاعَ التَّــوَانِـي ضَيَّـعَ ٱلْحُقُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِي ضَيَّعَ الصَّدِيقَ .

٢٤٠ ـ وقـال عليه السـلام : الحَجَرُ ٱلْغَصِيبُ فِي ٱلـدَّارِ رَهْنٌ عَلَىٰ خَرَابِهَا(٣) .

قـال الرضي : وَيُـرْوَى هٰذَا الكَـلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبِـهَ الكَـلَامَـانِ ، لِأَنَّ مُسْتَقَـاهُمَـا مِنْ

---

(١) لأنهم ذلوا للخوف.

(٢) لأنهم عرفوا حقاً عليهم فأدوه ، وتلك شيمة الأحرار.

(٣) « الغصيب » أي : المغصوب ، أي إن الاغتصاب قاض بالخراب كما يقضي الرهن بأداء الدين المرهون عليه.

قَلِيبٍ ، وَمفْرَغهُمَا مِنْ ذَنُوبٍ[1] .

٢٤١ ـ وقال عليه السلام : يَوْمُ ٱلْمَظْلُومِ عَلَىٰ ٱلظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلىٰ ٱلْمَظْلُومِ .

٢٤٢ ـ وقال عليه السلام : ٱتَّقِ ٱللّهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وَإِنْ قَلَّ ؛ وَٱجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ سِتْراً وَإِنْ رَقَّ .

٢٤٣ ـ وقال عليه السلام : إِذَا ٱزْدَحَمَ ٱلْجَوَابُ خَفِيَ ٱلصَّوَابُ .

٢٤٤ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا ؛ فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوالِ نِعْمَتِهِ .

٢٤٥ ـ وقال عليه السلام : إِذَا كَثُرَتِ ٱلْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ ٱلشَّهْوَةُ .

٢٤٦ ـ وقال عليه السلام : احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ .

٢٤٧ ـ وقال عليه السلام : الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ ٱلرَّحِمِ .

٢٤٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ .

---

(١) القليب ـ بفتح فكسر ـ : البئر ، والذنوب ـ بفتح فضم ـ : الدلو الكبير ، فإن الإمام يستقي من بئر النبوة ويفرغ من دلوها .

٢٤٩ ـ وقال عليه السلام: أَفْضَلُ ٱلْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

٢٥٠ ـ وقال عليه السلام: عَرَفْتُ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ ٱلْعَزَائِمِ، وَحَلِّ ٱلْعُقُودِ، وَنَقْضِ ٱلْهِمَمِ.

٢٥١ ـ وقال عليه السلام: مَرَارَةُ ٱلدُّنْيَا حَلَاوَةُ ٱلآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ ٱلدُّنْيَا مَرَارَةُ ٱلآخِرَةِ(١).

٢٥٢ ـ وقال عليه السلام: فَرَضَ ٱللّهُ ٱلإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ ٱلشِّرْكِ، وَٱلصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ ٱلْكِبْرِ، وَٱلزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، وَٱلصِّيَامَ ٱبْتِلَاءً لإِخْلَاصِ ٱلْخَلْقِ، وَٱلْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ(٢)، وَٱلْجِهَادَ عِزًّا لِلإِسْلَامِ، وَٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ(٣)، وَٱلْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ ٱلْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ ٱلزِّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ ٱللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَةَ

---

(١) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات، ومرارتها بالعفاف عنها. وفي الأول مرارة العذاب في الآخرة، وفي الثاني حلاوة الثواب فيها.

(٢) أي: سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض؛ إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد. وفي نسخة «تقوية» فإن تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الإسلام.

(٣) فإنه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار.

آسْتِظْهَاراً عَلَىٰ ٱلْمُجَاحَدَاتِ(١) ، وَتَرْكَ ٱلْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلاَمَ أَمَاناً مِنَ ٱلْمَخَاوِفِ ، وَٱلامَانَاتِ نِظَاماً لِلأُمَّةِ(٢) ، وَٱلطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلإِمَامَةِ .

٢٥٣ ـ وكان عليه السلام يقول : أَحْلِفُوا ٱلظَّالِمَ ـ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ ٱللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ ٱلْعُقُوبَةَ ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ ٱلَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ ؛ لأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ ٱللَّهَ تَعالَىٰ .

٢٥٤ ـ وقال عليه السلام : يَا ابْنَ آدَمَ ؛ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ ، وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ(٣) .

٢٥٥ ـ وقال عليه السلام : الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْجُنونِ ، لأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ .

٢٥٦ ـ وقال عليه السلام : صِحَّةُ ٱلْجَسَدِ ؛ مِنْ قِلَّةِ ٱلْحَسَدِ .

٢٥٧ ـ وقال عليه السلام لِكُمَيْلِ بْنُ زِيَادَ النَخْعِي : يَا

---

(١) إنما فرضت الشهادة ـ وهي الموت في نصر الحق ـ ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده .

(٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدى كل عامل ما يجب عليه فتنتظم شؤون الأمة . أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت وكثر الإهمال فاختل النظام .

(٣) أي : اعمل في مالك وأنت حي ما تؤثر ـ أي : تحب ـ أن يعمل فيه خلفاؤك . ولا حاجة أن تدخر ثم توصي ورثتك أن يعملوا خيراً بعدك .

كُمَيْلُ ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ ٱلْمَكَارِمِ ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ(١) فَوَٱلَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ ٱلْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ ٱللَّهُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً ؛ فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَىٰ إِلَيْهَا(٢) كَٱلْمَاءِ فِي ٱنْحِدَارِهِ حَتَّىٰ يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ ٱلإِبِلِ .

٢٥٨ ـ وقال عليه السلام : إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا ٱللَّهَ بِالصَّدَقَةِ(٣) .

٢٥٩ ـ وقال عليه السلام : الْوَفَاءُ لِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ ٱللَّهِ ؛ وَٱلْغَدْرُ بِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ ٱللَّهِ .

٢٦٠ ـ وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ . وَمَا ٱبْتَلَىٰ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ ٱلإِمْلَاءِ لَهُ .

قال الرضي : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ هٰهُنَا زِيَادَةً جَيِّدَةً مُفِيدَةً .

---

(١) الرواح: السير من بعد الظهر، والادلاج: السير من أول الليل، والمراد من المكارم : المحامد ، وكسبها بعمل المعروف ، وكأنه يقول : أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير فرواحهم في الإحسان وإدلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها.

(٢) الضمير في « جرى » للطف ، وفي « إليها » للنائبة ، وغريبة الإبل لا تكون من مال صاحب المرعى فيطردها من بين ماله.

(٣) أي : إذا افتقرتم فتصدقوا فإن الله يعطف الرزق عليكم بالصدقة فكأنكم عاملتم الله بالتجارة. وهٰهنا سر لا يعلم.

فصل نذكر فيه شيئاً من اختيار
غريب كلامه المحتاج إلى التفسير

١ ـ في حديثه عليه السلام :

فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينَ بِذَنَبِهِ ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ .

قال الرضي ـ اليعسوب : السَّيِّدُ العَظِيمُ المَالِكُ لأُمُورِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ ، وَالقَزَعُ : قِطَعُ الغَيْمِ الَّتِي لاَ مَاءَ فِيهَا .

٢ ـ وفي حديثه عليه السلام :

هٰذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ .

يُرِيدُ الماهر بِالخُطْبَةِ **الْمَاضِي** فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلاَمٍ أَو سَيْرٍ فَهُوَ شَحْشَحٌ ، وَالشَّحْشَحُ فِي غَيرِ هٰذَا المَوْضِعِ : البَخِيلُ المُمْسِكُ .

٣ ـ وفي حَدِيثِهِ عَلَيه السلام :

إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً .

يُرِيدُ بِالقُحَم المَهَالِكَ ، لأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي المَهَالِكِ وَالمَتَالِفِ فِي الأَكْثَرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ « قُحْمَةُ الأعْرَابِ » وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَتَعَرَّقَ أَمْوَالَهُمْ[1] فَذَلِكَ تَقَحُّمُهَا فِيهِم . وَقِيلَ فِيهِ

---

(١) تتعرق أموالهم : من قولهم « تعرق فلان العظم » أي : أكل جميع ما عليه من اللحم .

وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّهَا تُقْحِمُهُم بِلَادَ الرِّيفِ ، أي تُحْوِجُهُمْ إِلَى دُخُولِ الحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ البَدْوِ .

٤ ـ وفي حديثه عليه السلام :

إِذَا بَلَغَ ٱلنِّسَاءُ نَصَّ ٱلْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَىٰ .

والنص : مُنْتَهَى الأَشْيَاءِ وَمَبْلَغُ أَقْصَاهَا كَالنَّصِّ فِي السَّيْرِ لأَنَّهُ أَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الدَّابَّةُ . وَتَقُولُ : نَصَصْتَ الرَّجُلَ عَنِ الأَمْرِ ؛ إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنْهُ لِتَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ فِيهِ . فَنَصُّ الحِقَاقِ يُرِيدُ بِهِ الإِدرَاكَ لأَنَّهُ مُنتهَى الصِّغَرِ وَالوَقْتُ الذِي يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّغِيرُ إِلَى حَدِّ الكَبِيرِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الكِنَايَاتِ عَنْ هَذَا الأمرِ وَأَغْرَبُهَا . يقول : فَإِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ ذَلِكَ فَالعَصَبَةُ أَولَى بِالمَرأَةِ مِنْ أُمِّهَا إِذَا كَانُوا مَحْرَماً مِثْلَ الإِخْوَةِ وَالأَعمَامِ ، وَبتَزْوِيجِهَا إِنْ أَرَادُوا ذَلِكَ وَالحِقَاقُ مُحَاقَّةُ الأُمِّ لِلعَصَبَةِ فِي المَرأَةِ وَهُوَ الجِدَالُ وَالخُصُومَةُ وَقَوْلُ كلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلآخَرِ : « أَنَا أَحَقُّ مِنْكَ بِهَذَا » يُقَالُ مِنْهُ : حَاقَقْتُهُ حِقَاقاً ، مِثْلَ جَادَلْتُهُ جِدَالاً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ « نَصَّ الحِقَاقِ » بُلُوغُ العَقْلِ ، وَهُوَ الإِدرَاكُ ؛ لأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِنَّمَا أَرَادَ مُنْتَهَى الأَمْرِ الَّذِي تَجِبُ فِيهِ الحُقُوقُ وَالأَحْكَامُ ، وَمَنْ رَوَاهُ « نصَّ الحقَائِقِ » فَإِنَّمَا أَرَادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ .

هٰذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيدٍ القَاسِمْ بن سَلَام وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ المُرَادَ بِنَصِّ الحِقَاقِ هٰهُنَا بُلُوغُ المَرأَةِ إِلَى الحَدِّ الَّذِي يَجُوزُ فِيهِ تَزْوِيجُهَا وَتَصَرُّفُهَا فِي حُقُوقِهَا ، تَشْبِيهاً بالحِقَاقِ مِنَ الإِبِلِ ، وَهِيَ

جَمْعُ حِقَّةٍ وَحِقٍ(١) وَهُوَ الَّذِي استَكْمَلَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَدَخَلَ فِي الرَّابِعَةِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَبْلُغُ إِلَى الحَدِّ الَّذِي يُتَمَكَّنُ فِيهِ مِنْ رُكُوبِ ظَهْرِهِ ، وَنَصِّهِ فِي السَّيرِ ، وَالحقَائِقُ أَيضاً : جَمْعُ حِقَّةٍ . فَالرِّوَايتَانِ جَمِيعاً تَرْجِعَانِ إِلَى مَعنىً وَاحِدٍ ، وَهَـذَا أَشبَهُ بِطَرِيقَةِ العَرَبِ مِنَ المَعنَى المَذكُورِ .

٥ ـ وفي حديثه عليه السلام :

إِنَّ ٱلإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي ٱلْقَلْبِ كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلإِيمَانُ ٱزْدَادَتِ ٱللُّمْظَةُ(٢) .

واللُّمظَةُ مِثْلُ النُّكتَةِ أو نَحوِهَا مِنَ البَيَاضِ . وَمِنْهُ قِيلَ : فَرَسٌ أَلمَظُ ، إِذَا كَانَ بِجَحفَلَتِهِ شَيءٌ مِنَ البَيَاضِ(٣) .

٦ ـ وفي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَىٰ إِذَا قَبَضَهُ .

فَالظَّنُونُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيقْضِيهُ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ، فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ فَمرةً يَرْجُوهُ وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ . وَهَـذَا مِنْ

---

(١) بكسر الحاء فيهما.

(٢) اللمظة : بضم اللام وسكون الميم.

(٣) الجحفلة ـ بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة ـ للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للإنسان.

أفصَح الكَلَامِ ؛ وَكَذَلِكَ كُلُّ أمرٍ تطلُبُهُ وَلَا تدرِي عَلَى أيِّ شَيءٍ أنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُونٌ(١) وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الأعشَى :

مَا يُجْعَلُ ٱلْجُدُّ الظَّنُونُ ٱلَّذِي جُنِّبَ صَوْبَ ٱللَّجِبِ الْمَاطِرِ
مِثْلَ ٱلْفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَٱلْمَاهِرِ

وَالجُدُّ : البِئْرُ(٢) العَادِيَةُ فِي الصَّحْرَاءِ وَالظَّنُونُ : الَّتِي لَا يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَم لَا .

٧ ـ وفي حديثه عليه السلام :

أَنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً يُغْزِيهِ فَقَالَ : **أَعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** .

وَمَعْنَاهُ اصدِفُوا عَنْ ذِكرِ النِّسَاءِ(٣) وَشُغلِ القَلْبِ بِهِنَّ ، وَامتَنِعُوا مِنَ المُقَارَبَةِ لَهُنَّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَفُتُّ فِي عَضُدِ الحَمِيَّةِ(٤) وَيقْدَحُ فِي مَعَاقِدِ العزِيمَةِ ، وَيكْسِرُ عَنِ العَدْوِ ، وَيلْفِتُ عَنِ الإِبْعَادِ فِي الغَزْوِ ، وَكُلُّ مَنِ امْتَنَعَ مِنْ شَيءٍ فَقَدْ أعْذَبَ عَنْهُ . وَالعَاذِبُ وَالعَذُوبُ المُمتَنِعُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّربِ .

٨ ـ وفي حديثه عليه السلام :

كَٱلْيَاسِرِ ٱلْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ .

---

(١) هو بفتح الظاء.

(٢) الجد ـ بضم الجيم ـ وتقدم تفسير الأبيات في الخطبة الشقشقية فراجعه.

(٣) اعذبوا واصدفوا بكسر عين الفعل: أي أعرضوا واتركوا.

(٤) الفت : الدق والكسر ، وفت في ساعده ـ من باب نصر ـ أي : أضعفه كأنه كسره، ومعاقد العزيمة : مواضع انعقادها وهي القلوب، وقدح فيها بمعنى خرقها كناية عن أوهنها. والعدو ـ بفتح فسكون ـ : الجري ، و « يكسر عنه » أي : يقعد عنه .

اليَاسِرُونَ : هُمُ الَّـذِينَ يَتضَارَبُـونَ بِالقِـدَاحِ عَلَى الجُزُور[1] ، والفَـالِجُ : القَـاهِـرُ والغَـالِبُ ، يُقَـالُ : فَلَجَ عَلَيْهِم وَفَلَجَهُم ، وَقَـالَ الزَّاجِزُ :

(لما رأيت فالجاً قد فلجا)

٩ ـ وفي حديثه عليه السلام :

كُنَّـا إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَـأْسُ ٱتَّقَيْنَا بِـرَسُولِ اللّهِ صَلّى ٱللّهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَىٰ ٱلْعَدُوِّ مِنْهُ .

وَمَعْنَى ذَلِـكَ أَنَّهُ إِذَا عَـظُمَ الْخَوْفُ مِنَ العَـدُوِّ واشتَـدَّ عِضَـاضُ الحَربِ[2] فَزِعَ المُسلِمُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُـولِ الله صَلَى الله عَلَيهِ وَآلِـهِ وَسَلَّم بِنَفْسِـهِ ، فَيُنزِلُ الله عَلَيْهِمُ النَّصْـرَ بِـهِ ، وَيَـأْمَنُـونَ مِمَّـا كَـانُـوا يَخافُونَهُ بِمَكَانِهِ .

وَقَـولُهُ : « إِذَا احمَـرَّ البَأْسُ » كِنَـايَةٌ عَنِ اشتِـدَادِ الأَمـرِ ، وَقَـدْ قِيـلَ فِي ذَلِكَ أَقـوَالٌ أَحسَنُهَا : أَنَّـهُ شَبَّـه حَمْيَ الحـربِ بِـالنَّـارِ الَّتي تَجمَـعُ الحرَارَةَ والحُمـرَةَ بِفِعْلِهَـا وَلَـونَهـا ، ومِمَّـا يُقَـوِّي ذَلِـكَ قَـولُ رَسُـولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمْ وَقَـدْ رَأَى مُجْتَلَدَ النَّـاسِ يَـوْمَ حُنَينٍ وَهِيَ حَـربُ هَـوَازِنَ : « الآن حَمِيَ الـوَطِيسُ » فَـالـوَطِيسُ :

---

(١) الجزور ـ بفتح الجيم ـ : النـاقة المجـزورة ، أي المنحورة . والمضـاربة بـالسهام : المقامرة على النصيب من الناقة ، وفلج : من باب ضرب ونصر.

(٢) العضاض ـ بكسر العين ـ : أصله عض الفرس، مجاز عن إهلاكها للمتحاربين .

مُسْتَوْقَدُ النَّارِ ، فَشَبَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وآلِـهِ وَسَلَّمْ مَا استَحَـرَّ مِنْ جِلاَدِ القَومِ بِاحتِدَامِ النَّارِ وَشِدَّةِ التِهَابِهَا .

انقضى هذا الفصل ، ورجعنا إلى سنن الغرض الأول من هذا الباب

٢٦١ ـ وقـال عليه السـلام : لَمَّا بَلَغَـهُ إغَارَةُ أصحَـابِ مُعَاوِيَـةَ عَلَى الأنبَارِ ، فَخَرَجُ بِنَفْسِهِ مَاشِياً حَتَى أتى النُخَيْلَةَ فَأدرَكَـهُ النَّاسُ ، وَقَـالُوا : يَـا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ ، نَحنُ نَكفِيكَهُمْ ، فَقَـالَ : مَـا تَكْفُـونَني أنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكفُـونَني غَيْـرَكُمْ ؟ إنْ كَـانَتِ آلـرَّعَـايَـا قَبْلِي لَتَشْكُـو حَيْفَ رُعَـاتِهَـا ، وَإنَّني آلْيَـوْمَ لأشْكُـو حَيْفَ رَعِيَّتي ، كَـأنَّني آلْمَقُـودُ وَهُمُ آلْقَادَةُ ، أوِ آلْمَوْزُوعُ وَهُمُ آلْوَزَعَةُ !

فَلَمَا قَالَ عَلَيْـهِ السَّلامُ هَـذَا القَوْلَ فِي كَـلاَمٍ طَويـلٍ قَدْ ذَكَـرْنَا مُخْتَـارَهُ فِي جُمْلَةِ الخُطَبِ ، تَقَـدَّمَ إليـهِ رَجُـلاَنِ مِنْ أصحَـابِـهِ فَقَـالَ أَحَـدُهُمَـا : إنِّي لاَ أملِكُ إلاَّ نَفسِي وَأخِي فَمُـرنَـا بِـأمـرِكَ يَـا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ نُنَفِّذْ لَهُ فَقَالَ عَلَيهِ السَّلام : وَأيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ[١] ؟ .

٢٦٢ ـ وقيـل إنَّ الحَارِثَ بنَ حُـوتٍ أتَـاهُ فَقَـالَ : أتُـرَانِي أظُنُّ أصحَابَ الجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلاَلَةٍ[٢] ؟ .

فقال عليه السلام : يَا حَـارِثُ ، إنَّكَ نَـظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنـظُرْ

---

(١) أي : أين أنتما وما هي منزلتكما من الأمر الذي أريـده وهو يحتـاج إلى قوة عظيمة فلا موقع لكما منه .

(٢) أتراني ـ بضم التاء، مبني للمجهول ـ أي أتظنني .

فَوْقَكَ فَحِرْتَ[1] ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ ٱلْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ ٱلْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ ، فَقَالَ ٱلْحَارِثُ : فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعيدِ ابنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَر ، فقال عليه السلام : إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا ٱلْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلاَ ٱلْبَاطِلَ .

٢٦٣ ـ وقال عليه السلام : صَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ كَرَاكِبِ ٱلأَسَدِ : يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ[2] .

٢٦٤ ـ وقال عليه السلام : أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ .

٢٦٥ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ كَلاَمَ ٱلْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً .

٢٦٦ ـ وسأله رجل أن يعرفه الإيمان فقال عليه السلام : إِذَا كَانَ ٱلْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ عَلَىٰ أَسْمَاعِ ٱلنَّاسِ ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ ، فَإِنَّ الكَلاَمَ كَالشَّارِدَةِ يَنْقُفُهَا[3] هٰـذَا وَيُخْطِئُهَا هٰذَا .

وَقَدْ ذَكَرْنَا ما أَجَابَهُ بِهِ فِيمَا تَقَدَّم مِنْ هَذَا البَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ : « الإِيمَانُ عَلَى أَربَعِ شُعَبٍ » .

---

(١) نظرت الخ : أي : أصاب فكرك أدنى الرأي ولم يصب أعلاه ؛ و« حار » أي : تحيّر ، وأتى الحق : أخذ به.

(٢) يغبط ـ مبني للمجهول ـ أي : يغبطه الناس ويتمنون منزلته لعزته ، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر، فهو وإن أخاف بمركوبه إلاّ أنه يخشى أن يغتاله.

(٣) نقفه : ضربه ، اي يصببها واحد فيصيدها ، ويخطئها الآخر فتنفلت منه .

٢٦٧ ـ وقال عليه السلام : يَا آبْنَ آدَمَ ، لاَ تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ آلَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَىٰ يَوْمِكَ آلَّذِي قَدْ أَتَاكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ آللّٰهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

٢٦٨ ـ وقال عليه السلام : أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَّا ، عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَّا ، وَآبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَّا ، عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً .

٢٦٩ ـ وقال عليه السلام : النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلاَنِ : عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَخْلُفُهُ آلْفَقْرَ وَيَأْمَنُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ ، وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي آلدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ آلَّذِي لَهُ مِنَ آلدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ آلْحَظَّيْنِ مَعاً ، وَمَلَكَ آلدَّارَيْنِ جَمِيعاً ، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ آللّٰهِ[1] ، لاَ يَسْأَلُ آللّٰهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ .

٢٧٠ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ ، فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزتَ بِهِ جُيُوشَ المُسلِمِينَ كَانَ أَعظَمَ لِلأَجرِ وَمَا تَصنَعُ الكَعْبَةُ بالحَليِ ؟ فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ عَلَيهِ السَّلامُ فَقَالَ عَلَيهِ السَّلاَمُ : إِنَّ آلْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى آللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَآلأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ : أَمْوَالُ آلْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ آلْوَرَثَةِ فِي آلْفَرَائِضِ ، وَآلْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَىٰ

---

(١) « وجيهاً » أي : ذا منزلة علية من القرب إليه سبحانه .

مُسْتَحِقِّيهِ ، وَٱلْخُمسُ فَوَضَعَهُ ٱللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ، وَٱلصَّدَقَاتُ فَجعَلَهَا ٱللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ حَلْيُ ٱلْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ، فَتَرَكَهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ حَالِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً ، وَلَمْ يَخفَ عَلَيْهِ مَكَاناً[1] ، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْلاَكَ لاَفْتَضَحْنَا ، وترك الحلي بِحَالِه .

٢٧١ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلاَنِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ : أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَالآخَرُ مِنْ عُرُوضِ النَّاسِ[2] فقال عليه السلام : أَمَّا هٰذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ وَلاَ حَدَّ عَلَيْهِ ، مَالُ ٱللَّهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَأَمَّا ٱلآخَرُ فَعَلَيْهِ ٱلْحَدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ .

٢٧٢ ـ وقال عليه السلام : لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ[3] .

٢٧٣ ـ وقال عليه السلام : ٱعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ ، وَٱشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ ، وَقَوِيَتْ

---

(١) أي لم يكن مكان حلي الكعبة خافياً على الله فمكاناً تميز نسبة الخفاء إلى الحلي .

(٢) أي إن السارقين كانا عبدين أحدهما عبد لبيت المال والآخر عبد لأحد الناس، من عروضهم : جمع عرض ـ بفتح فسكون ـ وهو المتاع غير الذهب والفضة وكلاهما سرق من بيت المال.

(٣) المداحض : المزالق ، يريد بها الفتن التي ثارت عليه ، ويقول : إنه لو ثبتت قدماه في الأمر وتفرغ لغير أشياء من عادات الناس وأفكارهم التي تبعد عن الشرع الصحيح .

مَكِيدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلحَكِيمِ (١) ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ . وَٱلْعَارِفُ لِهٰذَا ٱلْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ ؛ وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ (٢) ، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِٱلْبَلْوَىٰ ، فَزِدْ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ (٣) ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ رِزْقِكَ .

٢٧٤ ـ وقال عليه السلام : لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً ، وَيَقِينَكُمْ شَكّاً (٤) إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا ، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا .

٢٧٥ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ (٥) ،

---

(١) الذكر الحكيم : القرآن ، وليس لإنسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق ما نص عليه القرآن ، ولن يحول الله بين أحد وبين ما عين في القرآن وإن اشتد طلب الأول وقويت مكيدته الخ ، وضعف حال الثاني ؛ فكل مكلف مستطيع أن يؤدي ما فرض الله في كتابه وينال الكرامة المحمودة له ، وقد يراد من الذكر الحكيم علم الله ، أي : ما قدر لك فلن تعدوه ولن تقصر عنه .

(٢) أي : لا يغتر المنعم عليه بالنعمة فربما تكون استدراجاً من الله له يمتحن بها قلبه ثم يأخذه من حيث لا يشعر ، ولا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعاً من الله له يرفع بها منزلته عنده .

(٣) أي : قصر من العجلة في طلب الدنيا .

(٤) من لم يظهر أثر علمه في عمله فكأنه جاهل وعلمه لم يزد على الجهل ؛ ومن لم يظهر أثر يقينه في عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد ؛ إذ لو صح اليقين ما مرض العزم .

(٥) أي : من ورده هلك فيه ، ولم يصدر عنه .

وَضَامِنٌ غَيْـرُ وَفِيٍّ ، وَرُبَّمـا شَرِقَ شَـارِبُ ٱلْمَاءِ قَبْـلَ رِيِّهِ[1] ، وَكُلَّمـا عَـظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ ٱلْمُتَنَـافَسِ فِيهِ عَـظُمَتِ ٱلرَّزِيَّـةُ لِفَقْدِهِ ، وَٱلأَمَـانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ ٱلْبَصَائِرِ ، وَٱلْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لا يَأْتِيهِ .

٢٧٦ ـ وقـال عليه السـلام : أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُـوذُ بِـكَ مِـنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لاَمِعَةِ ٱلْعُيُونِ عَلاَنِيَتِي ، وَتُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي ، مُحَـافِظاً عَلَىٰ رِئَـاءِ النَّـاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيـعِ مَـا أَنْتَ مُـطَّلِعٌ عَلَيْـهِ مِنِّي ، فَأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِـرِي ، وَأُفْضِي إِلَيْكَ بِسُـوءِ عَمَلِي ، تَقَرُّباً إِلَىٰ عِبَادِكَ ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ .

٢٧٧ ـ وقال عليه السلام : لاَ وَٱلَّذِي أَمْسَيْنَـا مِنْهُ فِي غُبْـرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ ، تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا .

٢٧٨ ـ وقـال عليه السـلام : قَلِيلٌ تَـدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَىٰ مِنْ كَثِيـرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ .

٢٧٩ ـ وقـال عليه السـلام : إِذَا أَضَرَّتِ ٱلنَّـوَافِلُ بِـالفَـرَائِضِ فَارْفُضُوهَا .

٢٨٠ ـ وقال عليه السلام : مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ ٱلسَّفَرِ ٱسْتَعَدَّ .

٢٨١ ـ وقـال عليه السـلام : لَيْسَتِ ٱلـرُّوِيَّـةُ كَـٱلْمُعَـايَنَـةِ مَـعَ

---

(١) شـرق ـ كتعب ـ أي : غص ، تمثيل لحالة الـطامع بحـال الظمـآن : فـربمـا يشـرق بالماء عند الشرب قبـل أن يرتـوي به ، وربمـا هلك الطامـع في الطلب قبـل الانتفاع بالمطلوب .

ٱلْإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ ٱلْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَغُشُّ ٱلْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ.

٢٨٢ ـ وقال عليه السلام: بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ ٱلْغِرَّةِ[١].

٢٨٣ ـ وقال عليه السلام: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ[٢].

٢٨٤ ـ وقال عليه السلام: قَطَعَ ٱلْعِلْمُ عُذْرَ ٱلْمُتَعَلِّلِينَ.

٢٨٥ ـ وقال عليه السلام: كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ ٱلْإِنْظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ[٣].

٢٨٦ ـ وقال عليه السلام: مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ «طُوبَىٰ لَهُ» إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ ٱلدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ.

٢٨٧ ـ وسئل عن القدر فقال: طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ، وَسِرُّ ٱللّٰهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ[٤].

---

(١) الغرة ـ بالكسر ـ الغفلة.

(٢) أي: جاهلكم يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة، وعالمكم يسوف بعمله ـ أي: يؤخره عن أوقاته ـ وبئست الحال هذه.

(٣) «كل» بالتنوين في الموضعين ـ مبتدأ خبره «معاجل» بفتح الجيم ـ في الأولى، و«مؤجل» بفتح كذلك في الثاني؛ أي: كل واحد من الناس يستعجله أجله ولكنه يطلب الأنظار ـ أي: التأخير ـ وكل منهم قد أجل الله عمره وهو لا يعمل تعللاً بتأخير الأجل والفسحة في مدته وتمكنه من تدارك الفائت في المستقبل.

(٤) فليعمل كل عمله المفروض عليه، ولا يتكل في الأعمال على القدر.

٢٨٨ ـ وقال عليه السلام : إِذَا أَرْذَلَ ٱللّٰهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ ٱلْعِلْمَ .

٢٨٩ ـ وقال عليه السلام : كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ أَخٌ فِي ٱللّٰهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ؛ وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ، فَإِنْ قَالَ بَذَّ ٱلْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ ٱلسَّائِلِينَ ؛ وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً ؟ فَإِنْ جَاءَ ٱلْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ قَاضِياً ؛ وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَىٰ مَا يَجِدُ ٱلْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّىٰ يَسْمَعَ ٱعْتِذَارَهُ ؛ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ ؛ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَىٰ ٱلْكَلَامِ لَا يُغْلَبُ عَلَىٰ ٱلسُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَىٰ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَىٰ ٱلْهَوَىٰ فَخَالَفَهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ ٱلْخَلَائِقِ فَٱلْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ ٱلْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ ٱلْكَثِيرِ .

٢٩٠ ـ وقال عليه السلام : لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ ٱللّٰهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ[١] لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَىٰ شُكْراً لِنِعَمِهِ .

٢٩١ ـ وقال عليه السلام : وقد عزّى الأشعث بن قيس عن ابن له :

---

(١) التوعد : الوعيد . أي : لو لم يوعد على معصيته بالعقاب.

يَـا أَشْعَثُ ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَىٰ آبْنِـكَ فَقَـدِ آسْتَحَقَّتْ مِنْـكَ ذٰلِـكَ آلـرَّحِمُ ، وَإِنْ تَصْبِـرْ فَفِي ٱللَّهِ مِنْ كُـلِّ مُصِيبَـةٍ خَلَفٌ . يَـا أَشْعَثُ ، إِنْ صَبَـرْتَ جَرَىٰ عَلَيْـكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَـأْجُـورٌ ، وَإِنْ جَـزِعْتَ جَـرَىٰ عَلَيْـكَ ٱلْقَدَرُ وَأَنْتَ مَـأْزُورٌ(١) ، يَا أَشْعَثُ آبْنُـكَ سَرَّكَ وَهُـوَ بَـلاَءٌ وَفِتْنَةٌ(٢) وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ .

٢٩٢ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّـلاَمُ عَلَى قَبْرِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم سَاعَةَ دُفِنَ :

إِنَّ ٱلصَّبْـرَ لَجَمِيلٌ إِلاَّ عَنْـكَ ، وَإِنَّ ٱلْجَزَعَ لَقَبِيـحٌ إِلاَّ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ ٱلْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ(٣) .

٢٩٣ ـ وقال عليه السلام : لاَ تَصْحَبِ ٱلْمَائِقَ(٤) فَـإِنَّهُ يُـزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

٢٩٤ ـ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ ما بَيْنَ المَشرِقِ والمَغرِبِ ، فقال عَلَيْهِ السَّلاَمُ : مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

٢٩٥ ـ وقـال عليـه السـلام : أَصْـدِقَـاؤُكَ ثَـلاَثَـةٌ ، وَأَعْـدَاؤُكَ

---

(١) أي : مقترف للوزر ، وهو الذنب.

(٢) « سرك » أي أكسبك سروراً ، وذلك عند ولادته ، وهو إذ ذاك بلاء بتكـاليف تربيتـه ، وفتنة بشاغل محبته ، وحزنك : أكسبك الحزن . وذلك عند الموت.

(٣) أي : إن المصائب قبل مصيبتـك وبعدهـا هينة حقيـرة ، والجلل ـ بالتحـريك ـ الهين الصغير . وقد يطلق على العظيم ، وليس مراداً هنا.

(٤) المائق : الأحمق.

ثَلاثَةٌ ، فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ ، وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ . وَأَعْدَاؤُكَ : عَدُوُّكَ ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .

٢٩٦ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ** لِرَجُلٍ رَآهُ يَسْعَى عَلَى عَدُوٍ لَهُ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ : إِنَّما أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ[١] .

٢٩٧ ـ **وقال عليه السلام** : مَا أَكْثَرَ ٱلْعِبَرَ وَأَقَلَّ ٱلِاعْتِبَارَ!

٢٩٨ ـ **وقال عليه السلام** : مَنْ بَالَغَ فِي ٱلْخُصُومَةِ أَثِمَ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ[٢] ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ ٱللّهَ مَنْ خَاصَمَ .

٢٩٩ ـ **وقال عليه السلام** : مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّىٰ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ[٣] وَأَسْأَلُ ٱللّهَ ٱلْعَافِيَةَ .

٣٠٠ ـ وسئل عليه السلام : كَيفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الخَلقَ عَلَى كَثرَتهم ؟ فَقَالَ عليه السلام : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ ، فقيل : كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلاَ يَرَونَهُ ؟ فقال عليه السلام : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلاَ يَرَوْنَهُ .

٣٠١ ـ **وقال عليه السلام** : رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ !

---

(١) الردف ـ بالكسر ـ : الراكب خلف الراكب.

(٢) قد يصيب الظلم من يقف عند حقه في المخاصمة فيحتاج للمبالغة حتى يرد إلى الحق ، وفي ذلك إثم الباطل، وإن كان لنيل الحق.

(٣) كان إذا كسب ذنباً فأحزنه وأعطى مهلة من الأجل بعده صلى ركعتين تحقيقاً للتوبة.

٣٠٢ ـ وقال عليه السلام : مَا ٱلْمُبْتَلَىٰ ٱلَّذِي قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْبَلاَءُ بِأَحْوَجَ إِلَىٰ ٱلدُّعَاءِ مِنَ ٱلْمُعَافَىٰ ٱلَّذِي لاَ يَأْمَنُ ٱلْبَلاَءَ!

٣٠٣ ـ وقال عليه السلام : النَّاسُ أَبْنَاءُ ٱلدُّنْيَا ، وَلاَ يُلاَمُ ٱلرَّجُلُ عَلَىٰ حُبِّ أُمِّهِ .

٣٠٤ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ ٱلْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللّهِ(١) فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ ٱللّهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَىٰ ٱللّهِ .

٣٠٥ ـ وقال عليه السلام : مَا زَنَىٰ غَيُورٌ قَطُّ .

٣٠٦ ـ وقال عليه السلام : كَفَىٰ بِالأَجَلِ حَارِساً .

٣٠٧ ـ وقال عليه السلام : يَنَامُ ٱلرَّجُلُ عَلَىٰ ٱلثُّكْلِ وَلاَ يَنَامُ عَلَىٰ ٱلْحَرْبِ .

قال الرضي : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَصبِرُ عَلَى قَتْلِ الأَولاَدِ وَلاَ يَصبِرُ عَلَى سَلْبِ الأَموالِ .

٣٠٨ ـ وقال عليه السلام : مَوَدَّةُ ٱلآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ ٱلأَبْنَاءِ، وَٱلْقَرَابَةُ إِلَىٰ ٱلْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ إِلَىٰ ٱلْقَرَابَةِ .

٣٠٩ ـ وقال عليه السلام : ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ ٱللّهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ .

٣١٠ ـ وقال عليه السلام : لاَ يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ

---

(١) لأن الله هو الذي حرمه الرزق فكأنه أرسله إلى الغني ليمتحنه به .

يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ ٱللّٰهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ .

٣١١ ـ **وقال عليه السلام** : لِأَنَسِ بنِ مَالِكٍ ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلحَةَ وَالزُّبَيرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى البَصرةِ **يُذَكِّرُهُمَا** شيئاً مِمَا سَمِعَهُ مِن رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ **وَسَلَّمْ** فِي مَعْنَاهُمَا ، فَلَوى عَنِ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ إِنِّي أُنْسِيتُ ذٰلِكَ ٱلأَمْرَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ ٱللَّهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا ٱلْعِمَامَةُ .

قال الرضي : يَعْنِي البَرَصَ ، فَأَصَابَ أَنساً هَـذَا الدَّاءُ فِيمَا بَعدُ فِي وَجهِهِ فَكَانَ لَا يُرى إِلَّا مُبرقَعاً .

٣١٢ ـ **وقال عليه السلام** : إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً(١) : فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَىٰ النَّوَافِلِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَىٰ ٱلْفَرَائِضِ .

٣١٣ ـ **وقال عليه السلام** : وَفِي ٱلْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ(٢) .

٣١٤ ـ **وقال عليه السلام** : رُدُّوا ٱلْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَإِنَّ

---

(١) إقبال القلوب : رغبتها في العمل، وإدبارها : مللها منه.

(٢) « نبأ ما قبلنا » أي : خبرهم في قصص القرآن ، و« نبأ ما بعدنا » الخبر عن مصير أمورهم ، وهو يعلم من سنة الله فيمن قبلنا ، و« حكم ما بيننا » في الأحكام التي نص عليها.

آلشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ[1] .

٣١٥ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِكَاتِبِهِ عَبْدِالله بن أبي رَافِع : أَلِقِ دَوَاتَكَ ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ[2] ، وَفَرِّجْ بَيْنَ آلسُّطُورِ ، وَقَرْمِطْ بَيْنَ آلْحُرُوفِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ آلْخَطِّ .

٣١٦ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : أَنَا يَعْسُوبُ آلْمُؤْمِنِينَ ، وَآلْمَالُ يَعْسُوبُ آلْفُجَّارِ .

قال الرضي : ومعنى ذلك أن المؤمنين يَتَّبعونني والفجار يَتَّبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها ، وهو رئيسها .

٣١٧ ـ وَقَالَ لَهُ بَعْضُ آلْيَهُودِ : مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ آلسَّلامُ : إِنَّمَا آخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ ، وَلٰكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ آلْبَحْرِ حَتَّىٰ قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ **آجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ .

٣١٨ ـ وقيل له : بأي شيء غلبت الأقران؟ فقال عليه السلام : مَا لَقِيتُ رَجُلاً إِلَّا أَعَانَنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ .

قال الرضي : يومىء بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب .

---

(١) رد الحجر: كناية عن مقابلة الشر بالدفع على فاعله ليرتدع عنه ، وهذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن .

(٢) جلفة القلم ـ بكسر الجيم ـ : ما بين مبراه وسنته ، وإلاقة الدواة : وضع الليقة فيها ، والقرمطة بين الحروف : المقاربة بينها وتضييق فواصلها.

٣١٩ ـ وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ ٱلْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنْهُ فَإِنَّ ٱلْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ .

٣٢٠ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مَعْضِلَةٍ : سَلْ تَفَقُّهاً ، وَلَا تَسَلْ تَعَنُّتاً ، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ ٱلْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِٱلْعَالِمِ ، وَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِٱلْجَاهِلِ ٱلْمُتَعَنِّتِ .

٣٢١ ـ وقال عليه السَّلامُ لعبدالله بْنِ ٱلْعَبَّاسِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِق رَأْيَهُ : لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرىٰ ، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي[1] .

٣٢٢ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ ٱلْكُوفَةَ قَادِماً مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِٱلشَّبَامِيِّينَ[2] فَسَمِعَ بُكَاءَ ٱلنِّسَاءِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبِيلَ ٱلشَّبَامِيُّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ : أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَىٰ مَا أَسْمَعُ[3] ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هٰذَا ٱلرَّنِينِ . وَأَقْبَل حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رَاكِبٌ فَقَالَ

---

(١) وذلك عندما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة، ولابن الزبير بولاية الكوفة ، ولمعاوية بإقراره في ولاية الشام حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانيها ، فقال أمير المؤمنين : لا أفسد ديني بِدُنْيا غيري ، ولك أن تشير الخ .

(٢) شبام ـ ككتاب ـ اسم حي .

(٣) على ما أسمع ، أي : البكاء ، وتغلبكم عليه أي : يأتينه قهراً عنكم ، والرنين : صوت البكاء.

عليه السلام : آرْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ(١) .

٣٢٣ ـ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام ، وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى آلْخَوَارِجِ يَوْمَ آلنهْرَوَانِ : بُؤساً لَكُمْ ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ ، فَقِيلَ لَه: من غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ آلْمُؤمِنِينَ ؟ فقال : آلشَّيْطَانُ آلْمُضِلُّ وَآلأَنْفُسُ آلأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ آلإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ آلنَّارَ .

٣٢٤ ـ وقال عليه السَّلام : آتَّقُوا مَعَاصِيَ آللّهِ فِي آلْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ آلشَّاهِدَ هُوَ آلْحَاكِمُ .

٣٢٥ ـ **وقال عليه السَّلامُ** لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ : إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً وَنَقَصْنَا حَبِيباً .

٣٢٦ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ** : الْعُمْرُ آلَّذِي أَعْذَرَ آللّهُ فِيهِ إِلَىٰ آبْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً .

٣٢٧ ـ **وَقَال عَلَيْهِ السَّلَامُ** : مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ آلإِثْمُ بِهِ ، وَآلْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ .

٣٢٨ ـ **وَقَالَ عَلَيْهِ آلسَّلامُ** : إِنَّ آللّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ

---

(١) أي : مشيك وأنت من وجوه القوم معي وأنا راكب فتنة للحاكم تنفخ فيه روح الكبر ، ومذلة ، أي موجبة لذل المؤمن ، ينزلونه منزلة العبد والخادم .

ٱلْأَغْنِيَاء أَقْوَاتَ ٱلْفُقَرَاءِ : فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ ، وَٱللّهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذٰلِكَ .

٣٢٩ ـ وقال عليه السلام : الإِسْتِغْنَاءُ عَنِ ٱلْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ ٱلصِّدْقِ بِهِ .

٣٣٠ ـ وقال عليه السلام : أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلّهِ أَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ .

٣٣١ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ ٱللّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ ٱلطَّاعَةَ غَنِيمَةَ ٱلْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ ٱلْعَجَزَةِ(١) .

٣٣٢ ـ وقال عليه السلام : السُّلْطَانُ وَزَعَةُ ٱللّهِ فِي أَرْضِهِ(٢) .

٣٣٣ ـ وقال عليه السلام في صفة المؤمن : ٱلْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ(٣) وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً ، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً(٤) ، يَكْرَهُ ٱلرِّفْعَةَ ، وَيَشْنَأُ ٱلسُّمْعَةَ ، طَوِيلٌ غَمُّهُ ، بَعِيدٌ هَمُّهُ ،

---

(١) العجزة : جمع عاجز ، وهم المقصرون في أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم ، والأكياس : جمع كيس ، وهم العقلاء ، فإذا منع الضعيف إحسانه على فقير مثلاً كان ذلك غنيمة للعاقل في الإحسان إليه ، وعلى ذلك بقية الأعمال الخيرية .

(٢) الوزعة ـ بالتحريك ـ : جمع وازع ، وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة ، والأخبار بالجمع لأن أل في السلطان للجنس .

(٣) البشر ـ بالكسر ـ : البشاشة والطلاقة ، أي : لا يظهر عليه إلاّ السرور وإن كان في قلبه حزيناً ، كناية عن الصبر والتحمل .

(٤) ذل نفسه لعظمة ربه وللمتضعين من خلقه ، وللحق إذا جرى عليه ، وكراهته =

كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ ، شَكُورٌ صَبُورٌ ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ[1] ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ[2] ، سَهْلُ ٱلْخَلِيقَةِ لَيِّنُ ٱلْعَرِيكَةِ، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ ٱلْعَبْدِ .

٣٣٤ ـ **وقال عليه السلام** : لَوْ رَأَىٰ ٱلْعَبْدُ ٱلأَجَلَ وَمَصِيرَهُ لأَبْغَضَ ٱلأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

٣٣٥ ـ **وقال عليه السلام** : لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ : ٱلْوَارِثُ ، وَٱلْحَوَادِثُ .

٣٣٦ ـ **وقال عليه السلام** : الْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّىٰ يَعِدَ .

٣٣٧ ـ **وقال عليه السلام** : الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ .

٣٣٨ ـ **وقال عليه السلام** : الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلاَ يَنْفَعُ ٱلْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَطْبُوعُ .

٣٣٩ ـ **وقال عليه السلام** : صَوَابُ ٱلرَّأْيِ بِالدُّوَلِ : يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا ، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا .

= للرفعة : بغضه للتكبر على الضعفاء ، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله فهو يشنأ ـ أي : يبغض ـ السمعة ، وطول غمه خوفاً مما بعد الموت ، وبعد همه لأنه لا يطلب إلّا معالي الأمور .

(١) « مغمور » أي : غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته .

(٢) الخلة ـ بالفتح ـ الحاجة . أي : بخيل باظهار فقره للناس ، والخليقة : الطبيعة ، والعريكة : النفس .

٣٤٠ ـ وقال عليه السلام : ٱلْعَفَافُ زِينَةُ ٱلْفَقْرِ ، وَٱلشُّكْرُ زِينَةُ ٱلْغِنَىٰ .

٣٤١ ـ وقال عليه السلام : يَوْمُ ٱلْعَدْلِ عَلَىٰ ٱلظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ ٱلْجَوْرِ عَلَىٰ ٱلْمَظْلُومِ !

٣٤٢ ـ وقال عليه السلام : الغِنَىٰ ٱلأَكْبَرُ ٱلْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

٣٤٣ ـ وقال عليه السلام : الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ ، وَٱلسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ(١) ، وَ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ وَٱلنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ(٢) إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللَّهُ : سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطُ(٣) ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ ٱللَّحْظَةُ ، وَتَسْتَحِيلُهُ ٱلْكَلِمَةُ ٱلْوَاحِدَةُ(٤) ! .

---

(١) بلاها الله واختبرها وعلمها ؛ يريد أن ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله ، والأنفس مرهونة بأعمالها : فإن كانت خيراً خلصتها ، وإن كانت شراً حبستها .

(٢) المدخول : المغشوش ، مصاب بالدخل ـ بالتحريك وهو مرض العقل والقلب، والمنقوص: المأخوذ عن رشده وكماله ، كأنه نقص منه بعض جوهره .

(٣) لو كان فيهم ذو رأي غلب على رأيه رضاه وسخطه : فإذا رضي حكم لمن استرضاه بغير حق ، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل.

(٤) أصلبهم عوداً : أشدهم بدينهم تمسكاً ، واللحظة: النظرة إلى مشتهى ، وتنكؤه ـ كتمنعه ـ أي : تسيل جرحه وتأخذ بقلبه ، وتستحيله : تحوله عما هو عليه ، أي : نظرة إلى مرغوب تجذبه إلى مواقعة الشهوة ، وكلمة من عظيم تميله إلى موافقة الباطل.

٣٤٤ ـ وقال عليه السلام : مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ ، ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ ، وبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍ مَنَعَهُ : أَصَابَهُ حَرَاماً ، وَٱحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً ، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَقَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ آسِفاً لَاهِفاً ، قَدْ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ ، ذٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ .

٣٤٥ ـ وقال عليه السلام : مِنَ ٱلْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ ٱلْمَعَاصِي(١) .

٣٤٦ ـ وقال عليه السلام : مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ ، فَٱنْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ .

٣٤٧ ـ وقال عليه السلام : الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ ٱلاِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ(٢) ، وَٱلتَّقْصِيرُ عَنِ ٱلاِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ .

٣٤٨ ـ وقال عليه السلام : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ .

٣٤٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ ٱشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ؛ وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ ٱللّٰهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ ٱلْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ ٱلأُمُورَ عَطِبَ(٣) ، وَمَنِ ٱقْتَحَمَ ٱللُّجَجَ غَرِقَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ ٱلسُّوءِ ٱتُّهِمَ ، وَمَنْ كَثُرَ

---

(١) هو من قبيل قولهم « إن من العصمة ألا تجد » وروي حديثاً .

(٢) ملق ـ بالتحريك ـ : تملق ، والعي ـ بالكسر ـ : العجز.

(٣) كابدها : قاساها بلا إعداد أسبابها ، فكأنه يحاذيها وتطارده.

كَلامُهُ كَثُـرَ خطَؤُهُ ، وَمَنْ كَثُـرَ خطَؤُهُ قَـلَّ حَياؤُهُ ، وَمَنْ قَـلَّ حَياؤُهُ قَـلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُـهُ دَخَلَ النَّـارَ . وَمَنْ نَـظَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّـاسِ فَأَنْكَـرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَـا لِنَفْسِـهِ فَـذٰلِكَ ٱلأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ[1] . وَٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَـدُ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْـرِ ٱلْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ ٱلـدُّنْيَا بِـالْيَسِيرِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَـلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَـلَّ كَلامُـهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ .

٣٥٠ ـ **وقـال عليـه السـلام :** لِلظَّالِمِ مِنَ ٱلـرِّجَـالِ ثَـلاَثُ عَـلاَمَـاتٍ : يَـظْلِمُ مَنْ فَـوْقَـهُ بِـٱلْمَعْصِيَـةِ[2] ، وَمَنْ دُونَـهُ بِـٱلْغَلَبَـةِ ، وَيُظَاهِرُ ٱلْقَوْمَ الظَّلَمَةَ .

٣٥١ ـ وقـال عليـه السـلام : عِنْدَ تَنَـاهِي ٱلشِّـدَّةِ تَكُـونُ ٱلْفُرْجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ ٱلْبَلاَءِ يَكُونُ ٱلرَّخَاءُ .

٣٥٢ ـ **وقـال عليـه السلام لِبَعْضِ أَصْحَابِـهِ :** لاَ تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِـأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ : فَـإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَـاءَ ٱللّٰهِ فَإِنَّ ٱللّٰهَ لاَ يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْـدَاءَ ٱللّٰهِ فَمَا هَمُّـكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْـدَاءِ ٱللّٰهِ ؟! .

٣٥٣ ـ **وقـال عليه السـلام :** أَكْبَـرُ ٱلْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَـا فِيـكَ مِثْلُهُ .

---

(١) لأنه أقام الحجة لغيره على نفسه ، ورضي برجوع عيبه على ذاته.

(٢) معصية أوامره ونواهيه ، أو خـروجه عليـه ورفضه لسلطتـه ، وذلك ظلم ؛ لأنـه عدوان على الحق ، والغلبة : القهر ، و« يظاهر » أي : يعاون ، والظلمة : جمع ظالم.

٣٥٤ ـ وَهَنَّأَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلاً بِغُلَامٍ وُلِدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ : لِيُهْنِئْكَ الْفَارِسُ، فقال عليه السلام : لَا تَقُلْ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ قُلْ شَكَرْتَ ٱلْوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي ٱلْمَوْهُوبِ ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ .

٣٥٥ ـ وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْماً فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام : أَطْلَعَتِ الوَرِقُ رُؤُوسَهَا إِنَّ ٱلْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ ٱلْغِنَىٰ .

٣٥٦ ـ وقيل له عليه السلام : لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتُرِكَ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ ؟ فَقَال عليه السَّلام : مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ .

٣٥٧ ـ وَعَزَّى قَوْماً عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَال عليه السلام : إِنَّ هٰذَا ٱلأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ ، وَلَا إِلَيْكُمُ ٱنْتَهَىٰ ؛ وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

٣٥٨ ـ وقال عليه السلام : أَيُّهَا النَّاسُ ، لِيَرَكُمُ ٱللّٰهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ! إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ ٱسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً ، وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ ٱخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً .

٣٥٩ ـ وقال عليه السلام : يَا أَسْرَىٰ ٱلرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا(١) فَإِنَّ

---

(١) أسرى : جمع أسير ، والرغبة : الطمع ، وأقصروا : كفوا.

ٱلْمُعَرِّجَ عَلَىٰ ٱلدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ ٱلْحِدْثَانِ[1] . أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ، وَٱعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا[2] .

٣٦٠ ـ **وقال عليه السلام** : لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي ٱلْخَيْرِ مُحْتَمَلاً .

٣٦١ ـ **وقال عليه السلام** : إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَىٰ ٱللَّهِ ، سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ ، فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ ٱلصَّلَاةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ[3] فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ ٱلْأُخْرَىٰ .

٣٦٢ ـ **وقال عليه السلام** : مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ ٱلْمِرَاءَ[4] .

٣٦٣ ـ **وقال عليه السلام** : مِنَ ٱلْخُرْقِ ٱلْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ ٱلْإِمْكَانِ وَٱلْأَنَاةُ بَعْدَ ٱلْفُرْصَةِ .

---

(١) المعرج : المائل إليها أو المعول عليها أو المقيم بها ، ويروعه : يفزعه والصريف : صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك . والحدثان ـ بالكسر ـ النوائب.

(٢) الضراوة : اللهج بالشيء والولوع به ، كفوا أنفسكم عن اتباع ما تدفع إليه عاداتها.

(٣) الحاجتان : الصلاة على النبي وحاجتك ، والأولى مقبولة مجابة قطعاً.

(٤) ضن : بخل ، والمراء : الجدال في غير حق ، وفي تركه صون للعرض عن الطعن.

٣٦٤ ـ وقال عليه السلام : لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَكُونُ فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ .

٣٦٥ ـ وقال عليه السلام : الْفِكَرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ ، وَالإِعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ وَكَفَىٰ أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ .

٣٦٦ ـ وقال عليه السلام : الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ : فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ : فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ .

٣٦٧ ـ وقال عليه السلام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ! قُلْعَتُهَا أَحْظَىٰ مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا ؛ وَبُلْغَتُهَا أَزْكَىٰ مِنْ ثَرْوَتِهَا . حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرٍ بِهَا بِالْفَاقَةِ ، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ . وَمَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً ، وَمَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً ، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَىٰ سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ هَمٌّ يَشْغَلُهُ ، وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ ، كَذٰلِكَ حَتَّىٰ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَىٰ بِالْفَضَاءِ مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ ، هَيِّناً عَلَىٰ اللهِ فَنَاؤُهُ ، وَعَلَىٰ الإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ ؛ وَإِنَّما يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالإِبْغَاضِ ، إِنْ قِيلَ أَثْرَىٰ قِيلَ أَكْدَىٰ! وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ! هٰذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ .

٣٦٨ ـ وقال عليه السَّلام : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ ، وَالْعِقَابَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ

وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ .

٣٦٩ ـ وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ ٱلْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ ٱلإِسْلَامِ إِلَّا ٱسْمُهُ ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ ٱلْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ ٱلْهُدَىٰ ، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ ٱلأَرْضِ : مِنْهُمْ تَخْرُجُ ٱلْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي ٱلْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ : فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولٰئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ ٱلْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ ٱللَّهَ عَثْرَةَ ٱلْغَفْلَةِ .

٣٧٠ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَلَمَا ٱعْتَدَلَ بِهِ ٱلْمِنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ ٱلْخُطْبَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، ٱتَّقُوا ٱللَّهَ فَمَا خُلِقَ ٱمْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ ؛ وَلَا تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُوَ ! وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ ٱلآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ ٱلنَّظَرِ عِنْدَهُ ؛ وَمَا ٱلْمَغْرُورُ ٱلَّذِي ظَفِرَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِأَعْلَىٰ هِمَّتِهِ كَٱلآخِرِ ٱلَّذِي ظَفِرَ مِنَ ٱلآخِرَةِ بِأَدْنَىٰ سُهْمَتِهِ[1] .

٣٧١ ـ وقال عليه السلام : لَا شَرَفَ أَعْلَىٰ مِنَ ٱلإِسْلَامِ ؛ وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ ٱلتَّقْوَىٰ ؛ وَلَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْوَرَعِ ؛ وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ؛ وَلَا كَنْزَ أَغْنَىٰ مِنَ ٱلْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ ٱلرِّضَا بِٱلْقُوتِ ، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَىٰ بُلْغَةِ ٱلْكَفَافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ

---

(١) السهمة ـ بالضم ـ : النصيب، وأدنى حظ من الآخرة أفضل من أعلاه في الدنيا، والفرق بين الباقي والفاني ـ وإن كان الأول قليلاً والثاني كثيراً ـ لا يخفى.

ٱلـرَّاحَةَ(١) وَتَبـوَّأَ خَفْضَ ٱلدَّعَـةِ . وَٱلرَّغْبَـةُ مِفْتَاحُ ٱلنَّصَبِ(٢) وَمَـطِيَّةُ ٱلتَّعَـبِ ، وَٱلْحِـرْصُ وَٱلْـكِبْـرُ وَٱلْـحَسَـدُ دَوَاعٍ إِلَىٰ ٱلتَّـقَحُّـمِ فِي ٱلذُّنوبِ ، وَٱلشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِي ٱلْعُيُوبِ .

٣٧٢ ـ **وقـال عليه السـلام** لِجَابِـرِ بْنِ عَبْدِالله ٱلأَنْصَـارِي : يَـا جَـابِرُ ، قِـوَامُ الدِّينِ وَٱلـدُّنْيَا بِـأَرْبَعَةٍ : عَـالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَـهُ ، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَـهُ بِدُنْيَـاهُ ، فَإِذَا ضَيَّـعَ ٱلْعَالِمُ عِلْمَـهُ ٱسْتَنْكَفَ ٱلْجَاهِـلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ(٣) ، وَإِذَا بَخِلَ ٱلْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ ٱلْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ(٤) .

يَـا جَابِـرُ ، مَنْ كَثُـرَتْ نِعَمُ ٱللّهِ عَلَيْـهِ كَثُـرَتْ حَـوَائِـجُ ٱلنَّـاسِ إِلَيْـهِ ، فَمَنْ قَـامَ لِلّهِ فِيهَـا بِمَـا يَجِبُ فِيهَـا عَـرَّضَهـا لِلدَّوَامِ وَٱلْبَقَاءِ(٥) ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَٱلْفَنَاءِ .

٣٧٣ ـ وَرَوَى ٱبْـنُ جَـرِيـرِ ٱلـطَّبَـرِيُّ فِي تَـارِيـخِـهِ عَـنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبي لَيْلَى ٱلْفَقِيهِ ـ وَكَانَ مِمَّنْ خَـرَجَ لِقِتَالِ ٱلْحَجَّاجِ مَعَ ٱبْنِ ٱلأَشْعَثِ ـ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ ٱلنَّاسَ عَلَى ٱلْجِهَادِ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِياً عَلَيْه السَّلامُ يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ :

---

(١) من قولك « انتظمه بالرمح » أي : أنفذه فيه كأنه ظفر بالراحة وتبوأ نزل الخفض ـ أي : السعة ـ والدعة ـ بالتحريك ـ كالخفض ، والإضافة على حد « كرى النوم » .

(٢) الرغبة : الطمع ، والنصب ـ بالتحريك ـ : أشد التعب .

(٣) لاستواء العلم والجهل في نظره .

(٤) لأنه يضطر للخيانة أو الكذب حتى ينال بهما من الغنى شيئاً .

(٥) « عرضها » أي : جعلها عرضة ، أي : نصبها له .

أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَىٰ عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعَىٰ إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِىءَ[1] ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللّٰهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَىٰ فَذٰلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ ٱلْهُدَىٰ، وَقَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ ٱلْيَقِينُ .

٣٧٤ ـ وفِي كَلامٍ آخَرَ لَهُ يَجْرِي هَـٰذَا ٱلْمَجْرَىٰ : فَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذٰلِكَ ٱلْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ ٱلْخَيْرِ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذٰلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً ؛ وَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَٱلتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذٰلِكَ ٱلَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ[2] ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لإِنْكَارِ ٱلْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلأَحْيَاءِ . وَمَا أَعْمَالُ ٱلْبِرِّ كُلُّهَا وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ عِنْدَ ٱلأَمْرِ بِـٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ[3] ، وَإِنَّ ٱلأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يُنْقِصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ .

---

(١) برىء من الإثم وسلم من العقاب، إن كان عاجزاً.

(٢) « أشرف الخصلتين » : من إضافة الصفة للموصوف ، أي الخصلتين الفائقتين في الشرف عن الثالثة، وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدد.

(٣) النفثة كالنفحة : يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ .

٣٧٥ ـ وعن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ[١] عَلَيْهِ مِنَ ٱلْجِهَادِ ٱلْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلاَهُ .

٣٧٦ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ ٱلْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ ٱلْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ[٢] .

٣٧٧ ـ وقال عليه السلام : لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَىٰ خَيْرِ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ عَذَابَ ٱللّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴾ وَلاَ تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هٰذِهِ ٱلأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ ٱللّهِ[٣] لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ ٱللّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ .

٣٧٨ ـ وقال عليه السلام : ٱلْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِىءِ ٱلْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَىٰ كُلِّ سُوءٍ .

٣٧٩ ـ وقال عليه السلام : ٱلرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ، فَلاَ تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَىٰ هَمِّ يَوْمِكَ ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَىٰ مَا فِيهِ ، فَإِنْ تَكُنِ ٱلسَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ ٱللّهَ تَعَالَىٰ سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ

---

(١) تغلبون عليه : بمعنى يحدث اثراً شديداً عليكم إذا قمتم به .

(٢) مريء : من « مرأ الطعام » ـ مثلثة الراء ـ مراءة ، فهو مريء ، أي : هنيّ حميد العاقبة ، والحق وإن ثقل إلاّ أنه حميد العاقبة ، والباطل وإن خف فهو وبيء وخيم العاقبة ؛ وتقول : أرض وبيئة ، أي : كثيرة الوباء وهو المرض العام.

(٣) روح الله ـ بالفتح ـ : رحمته.

السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَىٰ رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَلَنْ يُبْطِىءَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ .

قال الرضي : وَقَدْ مَضَى هَذَا ٱلْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا ٱلْبَابِ ، إِلَّا أَنَّهُ هَهُنَا أَوْضَحُ وَأَشْرَحُ ، فَلِذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى ٱلْقَاعِدَةِ ٱلْمُقَرَّرَةِ فِي أَوَّلِ ٱلْكِتَابِ .

٣٨٠ ـ **وقال عليه السلام** : رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ[١] .

٣٨١ ـ **وقال عليه السلام** : الْكَلَامُ فِي وِثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ[٢] فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً .

٣٨٢ ـ **وقال عليه السلام** . لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ فَرَضَ عَلَىٰ جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ .

---

(١) ربما يستقبل شخص يوماً فيموت ، ولا يستدبره ، أي : لا يعيش بعده فيخلفه وراءه. والمغبوط : المنظور إلى نعمته ، وقد يكون المرء كذلك في أول الليل فيموت في آخره فتقوم بواكيه : جمع باكية.

(٢) الوثاق ـ كسحاب ـ : ما يشد به ويربط، أي: أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنك ، فإذا تكلمت به صرت مملوكاً له ؛ فأما نفعك أو ضرك، وخزن ـ كنصر ـ : حفظ ومنع الغير من الوصول إلى مخزونه ، والورق ـ بفتح فكسر ـ الفضة.

٣٨٣ ـ وقال عليه السلام : إِحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ ٱللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ(١) فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَىٰ طَاعَةِ ٱللَّهِ ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ ٱللَّهِ .

٣٨٤ ـ وقال عليه السلام : الرُّكُونُ إِلَىٰ ٱلدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ(٢) وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ ٱلْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ ٱلاِخْتِبَارِ عَجْزٌ .

٣٨٥ ـ وقال عليه السلام : مِنْ هَوَانِ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ ٱللَّهِ أَنَّهُ لاَ يُعْصَىٰ إِلاَّ فِيهَا ، وَلاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِتَرْكِهَا .

٣٨٦ ـ وقال عليه السلام : مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ(٣) .

٣٨٧ ـ وقال عليه السلام : مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ ٱلنَّارُ ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ ٱلْجَنَّةُ(٤) ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ ٱلْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ بَلاَءٍ

---

(١) فقده يفقده؛ أي : عدمه فلم يجده ، والكلام من الكناية : أي: إن الله يراك في الحالين فاحذر أن تعصيه ولا تطيعه.

(٢) تعاين من الدنيا تقلباً وتحولاً لا ينقطع ولا يختص بخير ولا شر، فالثقة بها عمى عما تشاهد منها ، والغبن ـ بالفتح ـ الخسارة الفاحشة ، وعند اليقين بثواب الله لا خسارة أفحش من الحرمان بالتقصير في العمل مع القدرة عليه.

(٣) أي : إن الذي يطلب ويعمل لما يطلبه ويداوم على ذلك لا بد أن يناله أو ينال بعضاً منه.

(٤) « ما » استفهامية إنكارية ؛ أي : لا خير فيما يسميه أهل الشهوة خيراً: من الكسب بغير الحق، والتغلب بغير شرع، حيث إن وراء ذلك النار. ولا شر فيما يدعوه الجهلة شراً: من الفقر، أو الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة ، فوراء ذلك جنة ، والمحقور: الحقير المحقر.

دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ .

٣٨٨ ـ **وقال عليه السلام** : أَلَا وَإِنَّ مِنَ ٱلْبَلَاءِ ٱلْفَاقَةَ ؛ وَأَشَدُّ مِنَ ٱلْفَاقَةِ مَرَضُ ٱلْبَدَنِ ؛ وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ ٱلْبَدَنِ مَرَضُ ٱلْقَلْبِ ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنَ ٱلنِّعَمِ سَعَةُ ٱلْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ ٱلْمَالِ صِحَّةُ ٱلْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ ٱلْبَدَنِ تَقْوَىٰ ٱلْقَلْبِ .

٣٨٩ ـ **وقال عليه السلام** : مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ . وفي رواية أُخْرَىٰ: منْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبَائِهِ .

٣٩٠ ـ **وقال عليه السلام** : لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يَرِمُّ مَعَاشَهُ[1] ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ .

٣٩١ ـ **وقال عليه السلام** : ٱزْهَدْ فِي ٱلدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ ٱللّٰهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ!

٣٩٢ ـ **وقال عليه السلام** .: تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا ، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

---

(١) يرم ـ بكسر الراء وضمها ـ أي : يصلح ، والمرمة ـ بالفتح ـ الاصطلاح المعاد: ما تعود إليه في القيامة.

٣٩٣ ـ وقال عليه السلام : خُذْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّىٰ عَنْكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي ٱلطَّلَبِ(١).

٣٩٤ ـ وقال عليه السلام : رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ(٢).

٣٩٥ ـ وقال عليه السلام : كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ(٣).

٣٩٦ ـ وقال عليه السلام : الْمَنِيَّةُ وَلَا ٱلدَّنِيَّةُ! وَٱلتَّقَلُّلُ وَلَا التَّوَسُّلُ(٤)، ومَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً(٥) ، وَٱلدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ!

٣٩٧ ـ وقال عليه السلام : نِعْمَ الطِّيبُ ٱلْمِسْكُ خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ ، عَطِرٌ رِيحُهُ .

٣٩٨ ـ وقال عليه السلام : ضَعْ فَخْرَكَ ، وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ .

٣٩٩ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَىٰ ٱلْوَالِدِ حَقّاً ،

---

(١) أي: فإن رغبت في طلب ما تولى وذهب عنك منها فليكن طلبك جميلاً واقفاً بك عند الحق.

(٢) الصول ـ بالفتح ـ السطوة.

(٣) مقتصر ـ بفتح الصاد ـ اسم مفعول، وإذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك.

(٤) « المنية » أي : الموت ؛ يكون ولا يكون ارتكاب الدنية كالتذلل والنفاق. و« التقلل » أي : الاكتفاء بالقليل يرضى به الشريف ولا يرضى بالتوسل إلى الناس.

(٥) كني بالقعود عن سهولة الطلب ، وبالقيام عن التعسف فيه.

وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَىٰ ٱلْوَلَدِ حَقًّا ، فَحَقُّ ٱلْوَالِدِ عَلَىٰ ٱلْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِلاَّ فِي مَعْصِيَةِ ٱللّهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ ٱلْوَلَدِ عَلَىٰ ٱلْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ ٱسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ ٱلْقُرْآنَ .

٤٠٠ ـ **وقال عليه السلام** : ٱلْعَيْنُ حَقٌّ ، وَٱلرُّقَىٰ حَقٌّ ، وَٱلسِّحْرُ حَقٌّ ، وَٱلْفَأْلُ حَقٌّ ، وَٱلطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ، وَٱلْعَدْوَىٰ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ، وَٱلطِّيبُ نُشْرَةٌ ، وَٱلْعَسَلُ نُشْرَةٌ ، وَٱلرُّكُوبُ نُشْرَةٌ ؛ وَٱلنَّظَرُ إِلَىٰ ٱلْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ .

٤٠١ ـ **وقال عليه السلام** : مُقَارَبَةُ ٱلنَّاسِ فِي أَخْلاَقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ(١) .

٤٠٢ ـ **وقال عليه السلام** : لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ ـ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهَا(٢) : لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً ، وَهَدَرْتَ سَقْباً .

قال الرضي : وَٱلشَّكِيرُ هٰهُنَا : أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ ٱلطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ(٣) وَٱلسَّقْبُ : ٱلصَّغِيرُ مِنَ ٱلإِبِلِ ، وَلاَ يَهْدِرُ إِلاَّ بَعْدَ إِنْ يَسْتَفْحِلَ .

---

(١) المنافرة في الأخلاق والمباعدة فيها مجلبة للعداوات ، ومن عاداه الناس وقع في غوائلهم ، فالمقاربة لهم في أخلاقهم حافظة لمودتهم ، لكن لا تجوز الموافقة في غير حق .

(٢) كلمة عظيمة : مثله في صغره قاصر عن قول مثلها.

(٣) كأنه قال : لقد طرت وأنت فرخ لم تنهض.

٤٠٣ ـ **وقال عليه السلام** : مَنْ أَوْمَأَ إِلَىٰ مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ آلْحِيَلُ(١).

٤٠٤ ـ **وقال عليه السلام** : وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ » : إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ آللّهِ شَيْئاً ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنا فَمَتَىٰ مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنا(٢) وَمَتَىٰ أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا .

٤٠٥ ـ **وقال عليه السلام** لِعَمَّار بنِ يَاسِرٍ ، وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ آلْمُغِيرةَ بنَ شُعْبَةَ كَلاماً : دَعْهُ يَا عَمَّارُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ آلدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ آلدُّنْيَا ، وَعَلَىٰ عَمْدٍ لَبَّسَ عَلَىٰ نَفْسِهِ(٣) لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ .

٤٠٦ ـ **وقال عليه السلام** : مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ آلأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ آللّهِ ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ آلْفُقَرَاءِ عَلَىٰ آلأَغْنِيَاءِ آتِّكَالاً عَلَىٰ آللّهِ(٤).

---

(١) أومأ : أشار ، والمراد طلب وأراد ، والمتفاوت : المتباعد ، أي من طلب تحصيل المتباعدات وضم بعضها إلى بعض خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه .

(٢) أي : متى ملكنا القوة على العمل ـ وهي في قبضته أكثر مما هي في قبضتنا ـ فرض علينا العمل .

(٣) « على عمد » متعلق بلبس ، أي : أوقع نفسه في الشبهة عامداً لتكون الشبهة عذراً له في زلاته .

(٤) لأن تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله ، فإنه بذلك قد أمات طمعاً ومحا خوفاً ؛ وصابر في يأس شديد ، ولا شيء من هذا في تواضع الغني .

٤٠٧ ـ وقال عليه السلام : مَا آسْتَوْدَعَ آللّٰهُ أمْرأً عَقْلاً إلاَّ آسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا[١] !

٤٠٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ صَارَعَ آلْحَقَّ صَرَعَهُ .

٤٠٩ ـ وقال عليه السلام : الْقَلْبُ مُصْحَفُ آلْبَصَرِ[٢].

٤١٠ ـ وقال عليه السلام : التُّقَىٰ رَئِيسُ آلأَخْلاَقِ .

٤١١ ـ وقال عليه السلام : لاَ تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَىٰ مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلاَغَةَ قَوْلِكَ عَلَىٰ مَنْ سَدَّدَكَ[٣] .

٤١٢ ـ وقال عليه السلام : كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ آجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

٤١٣ ـ وقال عليه السلام : مَنْ صَبَرَ صَبْرَ آلأَحْرَارِ ، وَإِلاَّ سَلاَ سُلُوَّ آلأَغْمَارِ[٤].

٤١٤ ـ وفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ لِلأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ مُعَزِّياً : إنْ صَبَرْتَ صَبْرَ آلأَكَارِمِ ، وَإِلاَّ سَلَوْتَ سُلُوَّ آلْبَهَائِمِ .

---

(١) أي : إن الله لا يهب العقل إلاّ حيث يريد النجاة ، فمتى أعطى شخصاً عقلاً خلصه به من شقاء الدارين.

(٢) أي : ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه.

(٣) الذرب: الحدة ، والتسديد : التقويم والتثقيف ، أي : لا تطل لسانك على من علمك النطق ، ولا تظهر بلاغتك على من ثقفك وقوم عقلك.

(٤) الأغمار: جمع غمر ـ مثلث الأول ـ وهو الجاهل لم يجرب الأمور، ومن فاته شرف الجلد والصبر فلا بد يوماً أن يسلو بطول المدة، فالصبر أولى.

٤١٥ ـ وقال عليه السلام في صِفةِ آلدُّنْيا : تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ ، إِنَّ آللّهَ تَعالَىٰ لَمْ يَرْضَهَا ثَواباً لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلاَ عِقاباً لِأَعْدَائِهِ ، وَإِنَّ أَهْلَ آلدُّنْيا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا[١] .

٤١٦ ـ وقال لابْنِهِ الحَسَنِ **عليه السلام** : لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ آلدُّنْيا ، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ آللّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ آللّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ ،وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ .

قال الرضي : ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ آلَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ آلدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَىٰ أَهْلٍ بَعْدَكَ ، وَإِنَّما أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ آللّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ آللّهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَلاَ أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَىٰ ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَىٰ رَحْمَةَ آللّهِ ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ آللّهِ .

٤١٧ ـ وقال **عليه السلام** لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ « أَسْتَغْفِرُ آللّهَ » ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَتَدْرِي مَا آلِاسْتِغْفَارُ؟ أَلِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ آلْعِلِّيِّينَ ، وَهُوَ

---

(١) أي : بينما هم قد حلوا يفاجئهم صائح الأجل وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا.

آسْمٌ وَاقِعٌ عَلَىٰ سِتَّةِ مَعَانٍ : أَوَّلُهَا آلنَّدَمُ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ ، وَآلثَّانِي : آلْعَزْمُ عَلَىٰ تَرْكِ آلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً ، وَآلثَّالِثُ : أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ آلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ آللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ ، وَآلرَّابِعُ : أَنْ تَعْمِدَ آلَىٰ آللَّحْمِ آلَّذِي نَبَتَ عَلَىٰ آلسُّحْتِ(١) فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ حَتَّىٰ تُلْصِقَ آلْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ ، وَآلسَّادِسُ : أَنْ تُذِيقَ آلْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ آلْمَعْصِيَةِ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ : « أَسْتَغْفِرُ آللَّهَ » .

٤١٨ ـ **وقال عليه السلام** : أَلْحِلْمُ عَشِيرَةٌ(٢) .

٤١٩ ـ **وقال عليه السلام** : مِسْكِينٌ آبْنُ آدَمَ : مَكْتُومُ آلأَجَلِ ، مَكْنُونُ آلْعِلَلِ ، مَحْفُوظُ آلْعَمَلِ ، تُؤْلِمُهُ آلْبَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ ، وَتُنْتِنُهُ آلْعَرْقَةُ(٣) .

٤٢٠ ـ وَرُوِيَ أَنَّهُ عليه السَّلامُ كَانَ جَالِساً فِي أَصْحَابِهِ ، فَمَرَّتْ بِهِمُ آمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا آلْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ أَبْصَارَ هٰذِهِ آلْفُحُولِ طَوَامِحُ(٤) ، وَإِنَّ ذٰلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا ، فَإِذَا

---

(١) السحت ـ بالضم ـ : المال من كسب حرام.

(٢) خلق الحلم يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجتمع لك بالعشيرة، لأنه يوليك محبة الناس فكأنه عشيرة.

(٣) « مكنون » أي : مستور العلل والأمراض لا يعلم من أين تأتيه : إذا عضته بقة تألم ، وقد يموت بجرعة ماء إذا شرق بها ، ونتن ريحه إذا عرق عرقه .

(٤) جمع طامح أو طامحة وتقول : طمح البصر ، إذا ارتفع ، وطمح : أبعد في الطلب. « وإن ذلك » أي : طموح الأبصار سبب هبابها ـ بالفتح ـ : أي : هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى.

نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ آمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ آمْرَأَةٌ كَآمْرَأَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ آلْخَوَارِجِ « قاتَله اللهُ كَافِراً ما أَفْقَهَهُ » فَوَثَبَ القَومُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقالَ عليه السَّلام : رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ(١) !

٤٢١ ـ **وقال عليه السلام** : كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ .

٤٢٢ ـ**وقال عليه السلام** : افْعَلُوا آلْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَىٰ بِفِعْلِ آلْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَآللّهِ كَذٰلِكَ . إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلاً فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ(٢) .

٤٢٣ ـ **وقال عليه السلام** : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ آللّهُ عَلَانِيَتَهُ ،وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ آللّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آللّهِ أَحْسَنَ آللّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلنَّاسِ .

٤٢٤ ـ **وقال عليه السلام** : آلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ ، وَآلْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَآسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .

٤٢٥ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِلّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ آللّهُ بِالنِّعَمِ

---

(١) إن الخارجي سب أمير المؤمنين بالكفر في الكلمة السابقة، فأمير المؤمنين لم يسمح بقتله ويقول: إما أن أسبه أو أعفو عن ذنبه .

(٢) ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم ، وما تركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله . فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلاً ، ولا أن يكون عنكم في الخير بدلاً .

لِمَنافِعِ ٱلْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا (١) ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .

٤٢٦ ـ **وقال عليه السلام** : لاَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : ٱلْعَافِيَةِ ، وَٱلْغِنَى ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافىً إِذْ سَقِمَ ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذِ ٱفْتَقَرَ .

٤٢٧ ـ **وقال عليه السلام** : مَنْ شَكَا ٱلْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى ٱللهِ ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّما شَكَا ٱللّٰهَ .

٤٢٨ ـ **وقال عليه السلام** في بَعْضِ الأَعْيَادِ : إِنَّما هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ ٱللّٰهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَىٰ ٱللّٰهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ .

٤٢٩ ـ **وقال عليه السلام** إن أَعْظَمَ ٱلْحَسَرَاتِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ ٱللّٰهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ ٱلْجَنَّةَ وَدَخَلَ ٱلأَوَّلُ بِهِ ٱلنَّارَ .

٤٣٠ ـ **وقال عليه السلام** : إِنَّ أَخْسَرَ ٱلنَّاسِ صَفْقَةً (٢) وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ ٱلْمَقَادِيرُ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَىٰ ٱلآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

---

(١) « يقرها » أي : يبقيها ويحفظها مدة بذلهم لها.

(٢) « الصفقة » أي : البيعة ، أي : أخسرهم بيعاً وأشدهم خيبة في سعيه ذلك الرجل الذي أخلق بدنه : أي أبلاه ونهكه في طلب المال ولم يحصله ، والتبعة ـ بفتح فكسر ـ حق الله وحق الناس عنده يطالب به .

٤٣١ ـ وقال عليه السلام : أَلرِّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ ، وَمَطْلُوبٌ ؛ فَمَنْ طَلَبَ آلدُّنْيَا طَلَبَهُ آلْمَوْتُ حَتَّىٰ يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ آلآخِرَةَ طَلَبَتْهُ آلدُّنْيَا حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا .

٤٣٢ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ أَوْلِيَاءَ آللَّهِ هُمُ آلَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ آلدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا ، وَآشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا(١) إِذَا آشْتَغَلَ آلنَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ(٢) ؛ وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَرَأَوْا آسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا آسْتِقْلاَلاً ؛ وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً ، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ آلنَّاسُ وَسِلْمُ مَا عَادَىٰ آلنَّاسُ(٣) ! بِهِمْ عُلِمَ آلْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا ؛ وَبِهِمْ قَامَ آلْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا ؛ لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ، وَلاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ(٤) .

٤٣٣ ـ وقال عليه السلام : اذْكُرُوا آنْقِطَاعَ آللَّذَاتِ ، وَبَقَاءَ آلتَّبِعَاتِ .

---

(١) إضافة « الآجل » إلى « الدنيا » لأنه يأتي بعدها ، أو لأنه عاقبة الأعمال فيها والمراد منه ما بعد الموت .

(٢) أماتوا قوة الشهوة والغضب التي يخشون أن تميت فضائلهم ، وتركوا اللذات العاجلة التي ستتركهم ، ورأوا أن الكثير من هذه اللذات قليل في جانب الأجر على تركه ، وإدراكه فوات ؛ لأنه يعقب حسرات العقاب.

(٣) الناس يسالمون الشهوات ، وأولياء الله يحاربونها ، والناس يحاربون العفة والعدالة ، وأولياء الله يسالمونهما وينصرونهما.

(٤) أي مرجو فوق ثواب الله ، وأي مخوف أعظم من غضب الله؟ .

٤٣٤ ـ وقال عليه السلام : أَخْبُرْ تَقِلْهُ(١) .

قال الرضي : وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْوِي هٰذَا لِلرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم وَمِمَّا يُقَوِّي أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَكَاهُ ثَعْلَبُ عن ٱبْنِ ٱلأَعْرَابِيِّ ، قَالَ ٱلْمَأْمُونُ : لَوْلَا أَنَّ عَلِياً قَالَ « أَخْبُرْ تَقْلِه » لَقُلْتُ : أَقْلِهْ تَخْبُرْ .

٤٣٥ ـ وقال عليه السلام : مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلزِّيَادَةِ ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ ٱلدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ ٱلإِجَابَةِ(٢) وَلَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ ٱلتَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَاب ٱلْمَغْفِرَةِ .

٤٣٦ ـ وقال عليه السلام : أَوْلَىٰ ٱلنَّاسِ بِٱلْكَرَمِ مَنْ عُرِفَتْ بِهِ ٱلْكِرَامُ .

٤٣٧ ـ وَسُئِلَ عليه السلام : أَيّمَا أَفْضَلَ : ٱلْعَدْلُ ، أو ٱلْجُودُ؟ فَقَالَ عليه السلام : الْعَدْلُ يَضَعُ ٱلأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَٱلْجودُ

---

(١) أخبر ـ بضم الباء ـ أمر من « خبرته » من باب قتل ـ أي : علمته ، و « تقله » مضارع مجزوم بعد الأمر ، وهاؤه للوقف من « قلاه يقليه » كرماه يرميه ـ بمعنى أبغضه ، : إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره فربما وجدت فيه ما لا يسرك فتبغضه ، ووجه ما اختاره المأمون أن المحبة ستر للعيوب، فإذا أبغضت شخصاً أمكنك أن تعلم حاله كما هو .

(٢) تكرر الكلام في أن الدعاء والإجابة والاستغفار والمغفرة إذا صدقت النيات وطابق الرجاء العمل، وإلاّ فليست من جانب الله في شيء ، إلاّ أن تخرق سعة فضله سوابق سنته .

يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا . وَٱلْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ ، وَٱلْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ، فَٱلْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا .

٤٣٨ ـ **وقال عليه السلام** : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

٤٣٩ ـ **وقال عليه السلام** : الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ : قَالَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ ٱلْمَاضِي(١) وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي فَقَدْ أَخَذَ ٱلزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .

٤٤٠ ـ **وقال عليه السلام** : مَا أَنْقَضَ ٱلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ(٢) .

٤٤١ ـ **وقال عليه السلام** : الْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ ٱلرِّجَالِ(٣) .

٤٤٢ ـ **وقال عليه السلام** : لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ(٤) ، خَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ .

٤٤٣ ـ **وقال عليه السلام** ، وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ ٱلْأَشْتَرِ رَحِمَهُ

---

(١) أي : لم يحزن على ما نفذ به القضاء .

(٢) تقدمت هذه الجملة بنصها ، ومعناها قد يجمع العازم على أمر فإذا نام وقام وجد الانحلال في عزيمته ، أو ثم يغلبه النوم عن إمضاء عزيمته .

(٣) المضامير : جمع مضمار ، وهو المكان الذي تضمر فيه الخيل للسباق، والولايات أشبه بالمضامير؛ إذ يتبين فيها الجواد من البرذون .

(٤) يقول : كل البلاد تصلح سكناً، وإنما أفضلها ما حملك ، أي : كنت فيه على راحة فكأنك محمول عليه .

اللهِ : مَـالِكٌ وَمَـا مَالِـكٌ[1] وَٱللهِ لَو كَـانَ جَبَلاً لَكَـانَ فِنْداً ، وَلَـو كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً لاَ يَرْتَقِيهِ ٱلْحَافِرُ ، وَلاَ يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ .

قال الرضي : والفِنْدُ : ٱلْمُنْفَرِدُ مِنَ ٱلْجِبَالِ .

٤٤٤ ـ **وقـال عليه السـلام** : قَلِيلٌ مَـدُومٌ عَلَيْـهِ خَيْـرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ .

٤٤٥ ـ **وقـال عليه السـلام** : إِذَا كَـانَ فِي رَجُـلٍ خَلَّةٌ رَائِقَـةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا[2] .

٤٤٦ ـ **وقـال عَلَيهِ السَّلامُ** لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَـةَ أَبِي ٱلْفَرَزْدَقِ ، فِي كَـلاَمٍ دَارَ بَيْنَهُمَا : مَـا فَعَلَتْ إِبِلُكَ ٱلْكَثِيـرَةُ ؟ قَـالَ : ذَعْـذَعَتْهَـا ٱلْحُقُـوقُ[3] يَـا أَمِيـرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَـالَ عليـه السَّـلامُ : ذٰلِـكَ أَحْمَـدُ سُبُلِهَا .

٤٤٧ ـ **وقال عليه السلام** : مَنِ ٱتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ٱرْتَطَمَ فِي ٱلرِّبا[4] .

---

(١) مـالك : هـو الأشتر النخعي ، والفنـد ـ بكسر الفـاء ـ : الجبل العـظيم ، والجملتـان بعده كناية عن رفعته وامتناع همته ، و« أوفى عليه » وصل إليه .

(٢) الخلة ـ بالفتح ـ : الخصلة ، أي : إذا أعجبـك خلق من شخص فلا تعجـل بالـركون إليه وانتظر سائر الخلال .

(٣) ذعذع المال : فرقه وبدده ؛ أي : فرق إبلي حقوق الزكـاة والصدقـات ، وذلك أحمـد سبلها ـ جمع سبيل ـ أي : أفضل طرق إفنائها .

(٤) ارتطم : وقع في الورطة فلم يمكنـه الخلاص ، والتـاجر إذا لم يكن على علم بـالفقه لا يأمن الوقوع في الربا جهلاً .

٤٤٨ ـ وقال عليه السلام : مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ ٱلْمَصَائِبِ ٱبْتَلَاهُ ٱللَّهُ بِكِبَارِهَا(١) .

٤٤٩ ـ وقال عليه السلام : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ .

٤٥٠ ـ وقال عليه السلام : مَا مَزَحَ ٱمْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً(٢) .

٤٥١ ـ وقال عليه السلام : زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ(٣) ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ .

٤٥٢ ـ وقال عليه السلام : الْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرُ بَعْدَ ٱلْعَرْضِ عَلَىٰ ٱللَّهِ(٤) .

٤٥٣ ـ وقال عليه السلام : مَا زَالَ ٱلزُّبَيْرُ رَجُلاً مِنَّا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ حَتَّىٰ نَشَأَ ٱبْنُهُ ٱلْمَشْؤُومُ عَبْدُ ٱللَّهِ .

---

(١) من تفاقم به الجزع ولم يجمل منه الصبر عند المصائب الخفيفة حمله الهم إلى ما هو أعظم منها.

(٢) المزح والمزاحة والمزاح : بمعنى واحد ، وهو المضاحكة بقول أو فعل ، وأغلبه لا يخلو عن سخرية ، ومج الماء من فيه : رماه ، وكأن المازح يرمي بعقله ويقذف به في مطارح الضياع.

(٣) بعدك عمن يتقرب منك ويلتمس مودتك تضييع لحظ من الخير يصادفك وأنت تلوى عنه ، وتقربك لمن يبتعد عنك ذل ظاهر.

(٤) العرض على الله يوم القيامة ،ـ وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية والفقر بالشقاء الحقيقي .

٤٥٤ ـ وقال عليه السلام: مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَلاَ يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلاَ يَدْفَعُ حَتْفَهُ.

٤٥٥ ـ وَسُئِلَ مَنْ أَشْعَرَ الشُّعَرَاءِ؟ فقال عليه السلام: إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا(١) فَإِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ يُرِيدُ امْرأَ الْقَيْسِ.

٤٥٦ ـ وقال عليه السلام: أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا(٢)؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ الْجَنَّةَ، فَلاَ تَبِيعُوهَا إِلاَّ بِهَا.

٤٥٧ ـ وقال عليه السلام: مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ(٣): طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا.

٤٥٨ ـ وقال عليه السلام: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَأَنْ لاَ يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ(٤) وَأَنْ تَتَّقِيَ اللّٰهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ.

---

(١) الحلبة ـ بالفتح ـ: القطعة من الخيل تجتمع للسباق، عبر بها عن الطريقة الواحدة، والقصبة: ما ينصبه طلبة السباق حتى إذا سبق سابق أخذه ليعلم بلا نزاع، وكانوا يجعلون هذا من قصب؛ أي: لم يكن كلامهم في مقصد واحد، بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب، وآخر مذهب الترهيب، وثالث مذهب الغزل والتشبيب، والضليل: من الضلال؛ لأنه كان فاسقاً.

(٢) اللماظة ـ بالضم ـ بقية الطعام في الفم، يريد بها الدنيا، أي: لا يوجد حر يترك هذا الشيء الدنيء لأهله.

(٣) المنهوم: المفرط في الشهوة، وأصله في شهوة الطعام.

(٤) أي: لا تقول أزيد مما تفعل، وحديث الغير: الرواية عنه، والتقوى فيه: عدم الافتراء، أو حديث الغير: التكلم في صفاته، نهى عن الغيبة.

٤٥٩ ـ وقال عليه السلام : يَغْلِبُ ٱلْمِقْدَارُ عَلَىٰ التَّقْدِيرِ[١] حَتَّىٰ تَكُونَ ٱلآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ .

قال الرضي : وَقَدْ مَضَى هَذَا ٱلْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ بِرِوَايَةٍ تُخَالِفُ هَذِهِ ٱلْأَلْفَاظَ .

٤٦٠ ـ وقال عليه السلام : الْحِلْمُ وَٱلْأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ ٱلْهِمَّةِ[٢] .

٤٦١ ـ وقال عليه السلام : ٱلْغِيبَةُ جُهْدُ ٱلْعَاجِزِ[٣] .

٤٦٢ ـ وقال عليه السلام : رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ .

٤٦٣ ـ وقال عليه السلام : الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا[٤].

٤٦٤ ـ وقال عليه السلام : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوداً يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ ٱلضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ[٥] .

---

(١) المقدار : القدر الإلهي ، والتقدير : القياس .

(٢) الحلم ـ بالكسر ـ حبس النفس عند الغضب ، والأناة : يريد بها التأني ، والتوأمان : المولودان في بطن واحد ، والتشبيه في الاقتران والتولد من أصل واحد

(٣) الغيبة ـ بالكسر ـ : ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب ، وهي سلاح العاجز ينتقم به من عدوه، وهي جهده؛ أي: غاية ما يمكنه.

(٤) خلقت الدنيا سبيلاً إلى الآخرة ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد.

(٥) مرود ـ بضم فسكون ففتح ـ : فسره صاحب الكتاب بالمهلة ، وهي مدة اتحادهم ، فلو اختلفوا ثم كادتهم ـ أي: مكرت بهم ، أو حاربتهم ـ الضباع دون الأسود لقهرتهم.

قال الرضي : وَٱلْمُـرْوَدُ هُنَا مُفْعَـلٌ مِنَ الإِرْوَادِ ، وَهُوَ ٱلإِمْهَـالُ وَالإِنْـظَارُ ، وَهَذَا مِنْ أَفْصَـحِ ٱلْكَلَامِ وَأَغْـرَبِهِ ، فَكَـأَنَّهُ عَلَيْـهِ السَّلامُ شَبَّهَ ٱلْمُهْلَةَ ٱلَّتِي هُمْ فِيها بِٱلْمِضْمَارِ ٱلَّـذِي يَجْرُونَ فِيـهِ إِلى ٱلْغَايَـةِ ، فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطَعَها ٱنْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا .

٤٦٥ ـ وقـال عليه السـلام في مَدْحِ ٱلْأَنْصَـارِ : هُمْ وَٱللّٰهِ رَبَّـوا ٱلإِسْـلَامَ كَمَـا يُـرَبَّىٰ ٱلْفِلْوُ مَـعَ غَنَائِهِمْ ، بِـأَيْـدِيهِمُ ٱلسِّبَـاطِ وَأَلْسِنَتِهِمُ ٱلسِّلَاطِ[1] .

٤٦٦ ـ وقال عليه السلام : ٱلْعَيْنُ وِكَاءُ ٱلسَّـهِ[2] .

قـال الرضي : وَهَـذِهِ مِنَ ٱلاسْتِعَارَاتِ ٱلْعَجِيبَـةِ ، كَـأَنَّـهُ يُشْبِـهُ

---

(١) « ربـوا » من التربـة والانماء، والفلو ـ بـالكسر، أو بفتـح فضم فتشـديـد، أو بضمتين فتشـديد ـ المهـر إذا فطم أو بلغ السنـة ، والغناء ـ بـالفتح ممـدوداً ـ : الغنى ، أي : مع استغنائهم ، و« بـأيديهم » متعلق بـربوا ، ويقـال : رجل سبط اليـدين ـ بالفتـح ـ أي : سخي والسبـاط ـ ككتـاب ـ جمعـه ، والسـلاط: جمـع سليط وهـو الشـديـد واللسان الطويل.

(٢) السـه ـ بفتح السين وتخفيف الهـاء ـ : العجز ، ومؤخـر الإنسان ، والعين البـاصـرة. وإنمـا جعـل العجـز وعـاء لأن الشخص إذا حفظ من خلفـه لم يصب من أمـامـه في الأغلب ، فكأنه وعاء الحياة والسلامة إذا حفظ حفظنا ، والباصرة وكـاء ذلك الـوعاء ؛ أي : رباطه ؛ لأنها تلحظ ما عساه يصل إليه فتنبه العزيمة لـدفعه والتـوقي عنه . فـإذا أهمل الإنسان النظر إلى مؤخرات أحواله أدركـه العطب. والكـلام تمثيل لفـائدة العين في حفظ الشخص مما قد يعرض عليه من خلفه، وأنها لا تختلف عن فائدتها في حفظه ممـا يستقبله من أمامـه وإرشاده إلى وجـوب التبصر في مـظنـات الغفلة، وهـذا هـو المحمل اللائق بمقام النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم أو مقـام أميـر المؤمنين عليـه السلام .

ٱلسَّهَ بِالْوِعَاءِ ؛ وَٱلْعَيْنَ بِالْوِكَاءِ ، فَإِذَا أُطْلِقَ الوِكَاءُ لَمْ يَنضَبِط ٱلْوِعَاءُ ، وَهَذَا ٱلْقَوْلُ فِي ٱلْأَشْهَرِ ٱلْأَظْهَرِ مِنْ كَلامِ ٱلنَّبِيِ صَلّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمْ ، وَقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيهِ ٱلسَّلاَمُ ، وَذَكَرِ ذَلِكَ المُبَرِّدُ فِي كِتَابِ « ٱلْمُقْتَضَبِ » فِي بَابِ « ٱللَّفْظِ بِٱلْحُرُوفِ » وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ ٱلاسْتِعَارَةِ فِي كِتَابِنَا ٱلْمَوْسُومِ بِـ « بمجازات ٱلآثـار ٱلنَّبَوِيَةِ » .

٤٦٧ ـ **وقـال عليه السلام** في كَلامٍ لَـهُ : وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَـأَقَـامَ وَٱسْتَقَامَ، حَتَّىٰ ضَرَبَ ٱلدِّينُ بِجِرَانِهِ[1] .

٤٦٨ ـ **وقــال عليـه السـلام** : يَـأْتِيَ عَلَىٰ ٱلـنَّـاسِ زَمَـانٌ عَضُـوضٌ[2] يَعَضُّ ٱلْمُوسِرُ فِيهِ عَلَىٰ مَـا فِي يَدَيْـهِ وَلَـمْ يُؤْمَرْ بِـذَٰلِكَ . قَـالَ ٱللَّهُ سُبْحَـانَـهُ: ﴿ وَلاَ تَنْسَـوُا ٱلْفَضْـلَ بَيْنَكُمْ ﴾ تَنْهَـدُ فِيـهِ ٱلْأَشْـرَارُ[3] وَتُسْتَذَلُّ ٱلْأَخْيَـارُ ، وَيُبَايِـعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ وَقَـدْ نَهَىٰ رَسُـولُ ٱللَّهِ صَلىٰ ٱلله عليه وآله وسلم عَنْ بَيْعِ ٱلْمُضْطَرِّينَ[4] .

---

(١) الجران ـ ككتاب ـ مقدم عنق البعير، يضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكن . والولي يريد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وليهم » أي : تولى أمورهم وسياسة الشريعة فيهم ، وقال قائل : يريد به عمر بن الخطاب.

(٢) العضوض ـ بالفتح ـ الشديد ، والموسر: الغني، ويعض على ما في يده: يمسكه بخلاً على خلاف ما أمره الله في قوله: ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أي : الإحسان .

(٣) « تنهد » أي : ترتفع .

(٤) بيع ـ بكسر ففتح ـ : جمع بيعة ـ بالكسر ـ هيئة البيع كالجلسة لهيئة الجلوس.

٤٦٩ ـ وقال عليه السلام : يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ(١) .

قال الرضي : وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

٤٧٠ ـ وَسُئِلَ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْعَدْلِ فَقَالَ عليه السَّلام : التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ ، وَٱلْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ(٢) .

٤٧١ ـ وقال عليه السلام : لَا خَيْرَ فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ .

٤٧٢ ـ وَقَالَ عليه السلام في دُعَاءٍ ٱسْتَسْقَى بِهِ : اللَّهُمَّ ٱسْقِنَا ذُلَلَ ٱلسَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا .

قال الرضي : وَهَذَا مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلْعَجِيبِ ٱلْفَصَاحَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عليه السَّلامُ شَبَّهَ ٱلسَّحَابَ ذَوَاتِ ٱلرُّعُودِ وَٱلْبَوَارِقِ وَٱلرِّيَاحِ وَٱلصَّوَاعِقِ بِٱلإِبِلِ ٱلصِّعَابِ ٱلَّتِي تَقْمِصُ بِرِحَالِهَا(٣) وَتَقِصُ

---

(١) بهته ـ كمنعه ـ : قال عليه ما لم يفعل ، ومفتر : اسم فاعل من الافتراء.

(٢) الضمير المنصوب لله ؛ فمن توحيده ألّا تتوهمه ، أي : لا تصوره بوهمك، فكل موهوم محدود، والله لا يحد بوهم. واعتقادك بعدله : ألّا تتهمه في أفعال يظن عدم الحكمة فيها.

(٣) قمص الفرس وغيره ـ كضرب ونصر ـ : رفع يديه وطرحهما معاً وعجن برجليه ، والرحال : جمع رحل ؛ أي : إنها تمتنع حتى على رحالها فتقمص لتلقيها. ووقصت به راحلته تقص ـ كوعد يعد ـ تقحمت به فكسرت عنقه.

بِرُكْبَانِهَا ، وَشَبَّهَ ٱلسَّحَابَ خَالِيَةً مِنْ تِلْكَ ٱلرَّوَائِعِ (١) بِٱلْإِبِلِ ٱلذُّلُلِ ٱلَّتِي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً وَتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً(٢) .

٤٧٣ ـ **وقيل له عليه السلام** : لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عليه السلام : ٱلْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ ! يُرِيدُ وَفاةَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ .

٤٧٤ ـ **وقال عليه السلام** : مَا ٱلْمُجَاهِدُ ٱلشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَكَادَ ٱلْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ .

٤٧٥ ـ **وقال عليه السلام** : ٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ .

قال الرضي : وَقَدْ رَوى بَعْضُهُمْ هَـذَا الكَلاَمَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٤٧٦ ـ **وقال عليه السلام** لِزِيَادِ بنِ أَبِيهِ ـ وَقَدْ ٱسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِالله بنِ ٱلْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسَ وَأَعْمَالِهَا ، فِي كَلاَمٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاهُ فِيهِ عَنْ تَقَدّمِ ٱلْخَرَاجِ (٣) : اسْتَعْمِلِ ٱلْعَدْلَ ، وَٱحْذَرِ

---

(١) جمع رائعة ، أي : مفزعة.

(٢) طيعة ـ بتشديد الياء ـ : شديدة الطاعة، والاحتلاب : استخراج اللبن من الضرع ، وتقتعد ـ مبني للمجهول ـ من اقتعده: اتخذه قعدة ـ بالضم ـ يركبه في جميع حاجاته ، ومسمحة : اسم فاعل « أسمح » أي : سمح ـ ككرم ـ بمعنى جاد ، وسماحها مجاز عن إتيان ما يريده الراكب من حسن السير.

(٣) تقدم الخراج : الزيادة فيه.

ٱلْعَسْفَ وَٱلْحَيْفَ ، فَإِنَّ ٱلْعَسْفَ يَعُودُ بِـالْجَلاَءِ(١) وَٱلْحَيْفَ يَـدْعُو إِلَىٰ السَّيْفِ .

٤٧٧ ـ وقـال عليـه السـلام : أَشَـدُّ ٱلـذُّنُـوبِ مَـا اسْتَخَفَّ بِـهِ صَاحِبُهُ .

٤٧٨ ـ وقـال عليه السـلام : مَا أَخَـذَ ٱللَّهُ عَلَى أَهْلِ ٱلْجَهْـلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّىٰ أَخَذَ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا(٢) .

٤٧٩ ـوقال عليه السلام : شَرُّ ٱلإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ .

قـال الرضي : لأَنَّ ٱلتَّكْلِيفَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَشَقَّـةِ ، وَهُوَ شَرٌ لاَزِمٌ عَنْ ٱلأَخِ ٱلْمُتَكَلِّفِ لَهُ ؛ فَهُوَ شَرُّ الإِخوانِ .

٤٨٠ ـ وقـال عليـه السـلام : إِذَا ٱحْتَشَمَ ٱلْمُـؤْمِنُ أَخَـاهُ فَقَـدْ فَارَقَهُ .

قـال الرضي : يُقَـالُ : حَشَمَهُ وَأَحْشَمَـهُ إِذَا أَغْضَبَهُ ، وَقِيـلَ : أَخْجَلَهُ ، « وَٱحْتَشَمَهُ » طَلَبَ ذٰلِكَ لَهُ ، وَهُوَ مَظِنَّةُ مُفَارَقَتِهِ .

وَهَذَا حِينُ ٱنْتِهَاءِ ٱلْغَايَةِ بِنَـا إِلَى قَطْعِ ٱلْمُخْتَـارِ مِنْ كَلاَمِ أَمِيـرِ ٱلْمُؤْمِنينَ عَلَيْـهِ السَّلاَمُ ، حَـامِـدِينَ اللهَ سُبْحَـانَـه عَلَى مَـا مَنَّ بِـهِ مِنْ

---

(١) العسف ـ بـالفتح ـ : الشـدة في غير حق ، والجـلاء ـ بالفتـح ـ : التفـرق والتشتت ، والحيف : الميـل عن العدل إلى الظلم ، وهو ينـزع بـالمـظلومين إلى القتـال لانقـاذ أنفسهم .

(٢) كما أوجب الله على الجاهل أن يتعلم أوجب على العالم أن يعلم .

تَـوْفِيقِنَا لِضَمِّ مَـا ٱنْتَشَر مِنْ أَطْـرَافِهِ ، وَتَقْـرِيبِ مَـا بَعُـدَ من أَقْـطَارِهِ ، وَتَقَـرَّرَ ٱلْعَزْمُ كَمَـا شَرَطْنَـا أَوْلاً عَلَى تَفْضِيـلِ أَوْرَاقٍ مِنَ ٱلْبَيَـاضِ فِي آخِـرِ كُلّ بَـابٍ مِنَ ٱلْأَبْوابِ لِيَكُـونَ لاِقْتِنَـاصِ ٱلشَّـارِدِ ، وَٱسْتِلْحَـاقِ ٱلْـوَارِدِ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَـظْهَرَ لَنَا بَعْضَ ٱلْغُمُوضِ ، وَيَقَـعَ إِلَيْنَـا بَعْـدَ ٱلشُّـذُوذِ ، وَمَا تَـوْفِيقُنَا إِلَّا بِـاللَّهِ : عَلَيْهِ تَـوَكَّلْنَـا ، وَهُـوَ حَسْبُنَـا وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ .

وَذَلِـكَ فِي رَجَبٍ سَنَـةَ أَرْبعمَـائَـةٍ مِن الهِجْـرَةِ(١) ، وصلَّى اللهُ عَلَى سيدِنا محمَّدٍ خاتِمَ ٱلرُّسُلِ ، وَٱلْهَـادِي إِلَىٰ خَيْرِ ٱلسُّبُـلِ ، وآلِهِ ٱلطَّاهِرَين ، وأَصْحَابِهِ يَوْمِ ٱلْيَقِينَ .

---

(١) انتهى من جمعـه في سنة أربعمـائة ، وأبقى أوراقـاً بيضاً في آخـر كل بـاب رجـاء أن يقف على شيء ينـاسب ذلـك البـاب فيـدرجـه فيـه . وجـامـع الكتـاب هـو الشـريف الحسيني الملقب بـالرضي ، وذكـر في تاريخ أبي الفدا أنـه : محمـد بن الحسين بن مـوسى بن إبـراهيم المـرتضى بن مـوسى الكـاظم وقـد يلقـب « بـالمـرتـضى » تعريفـاً له بلقب جده إبراهيم ، ويعرف أيضـاً بالمـوسوي . وهـو صـاحب ديـوان الشعر المشهور ، ولد سنـة تسع وخمسين وثـلاثمائـة ، وتوفي سنـة ست وأربعمائـة ، رحمه الله رحمة واسعة ، والحمد لله في البدايـة والانتهاء، والشكـر له في السـراء والضراء. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، وعلى آله وصحبه أصـول الكرم وفـروع العلاء، آمين .

قد تَمّ بحمد الله وحسن تيسيره طبع كتاب «نهج البلاغة» وهو يشتمل على ثلاثة أبواب: باب المختار من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وباب المختار من كتبه ، وباب المختار من حكمه وأجوبة مسائله وكلامه القصير في سائر أغراضه ، وبتمام هذا الباب تم مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي من كلام أمير المؤمنين ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . نسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعل عملنا فيه سبباً لبلوغ مرضاته ، آمين .

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

(أ)

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(ذ)

(ر)

(س)

(ظ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

| ٣ |

فهرس الأحاديث النّبويّة الشريفة

*

(أ)

(ح)

(ص)

(ط)

| ٣ |

فهرس الدلالات العامة ، والمسائل الدينية في الفقه وعلم الكلام ، وأركان الاسلام

*

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٤

الفهرس الجامع

*

ويشتمل على أسماء الأعلام من الرجال والنساء وأسماء الأقوام والقبائل ، والشعوب والأمم ، وأسماء المذاهب والنِّحل والجماعات والطوائف ، والحيوان والنبات ، والكواكب والأجرام السماوية وسائر الأفلاك ، وأسماء الأماكن والبلدان ، والحجارة الكريمة والوقائع والأيام .

الرموز المستعملة . . .

- الأعلام من الرجال والنساء ، والملائكة والجنّ (أ) .
- أسماء الجماعات من الأقوام والقبائل (ق) .
- أسماء الأمم والشعوب (ش) .
- أسماء النّحل والطوائف من دينيّة وسياسيّة (ط) .
- أسماء الحيوان (حـ) .
- أسماء النبات (ن) .
- أسماء الكواكب والأجرام والأفلاك (ف) .
- أسماء الأماكن والبلدان والأعلام الجغرافيّة (ب) .

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

| ٥ |

فهرس أبواب الكتاب

●

| ٦ |

فهرس موضوعات الأبواب

أولا ـ موضوعات الخطب(١)

---

(١) إن الأرقام في هذا التسلسل مطابقة لأرقام الخطب كما هي واردة في هذه الطبعة.

●●●

ثانياً ـ موضوعات الكتب والوصايا

●●●

ثالثاً - موضوعات الحكم والأمثال

*

| ٦٨١ |

(١) - تجنّب الظالمين في الفتنة . (٢) - الطمع ، والكشف عن الضرّ وتسليط اللسان سبيل إلى الهوان . (٣) - في صفة البخل والجبن والفقر والعجز والصبر والزهد والورع . (٤) - في قيمة الرضى والعلم والآداب والفكر .

| ٦٨٢ |

(٥) - في صدر العاقل ، وأثر البشاشة والاحتمال والمسالمة والرضى عن النفس .
(٦) - في أهمية الصدقة ، وأثر الأعمال . (٧) - عجائب تكوين الإنسان .
(٨) - في إقبال الدنيا وإدبارها . (٩) - في أصول مخالطة الناس . (١٠) - في القدرة على العدو . (١١) - في أعجز الناس .

(أ) حدّدنا موضوعات الحكم الواردة بالتركيز على العناصر الأساسية في كلّ حكمة لا على مدلولها . ويلاحظ أن الرقم الوارد في الوسط هو رقم الصفحة المشترك بين أرقام الحكم الواردة في الصفحة المذكورة .

٦٨٣

(١٢) ـ بالشكر تَنالِ النعم . (١٣) ـ بالأبعد تعويض عن الأقرب . (١٤) ـ الأمور بين المقادير والتدبير . (٥) ـ في تفسير قول رسول الله(ﷺ) في الشيب . (١٧) ـ خذل الحق قد لا ينصر الباطل . (١٨) ـ الأمل آفة بغير العمل .

٦٨٤

(١٩) ـ إقالة عثرة ذوي المروءات . (٢٠) ـ في الخيبة والحرمان وانتهاز الفرص . (٢١) ـ منع الحق يوجب الجدّ في طلبه . (٢٢) ـ العمل قبل النسب . (٢٣) ـ إغاثة الملهوف تكفير للذنوب . (٢٤) ـ الحذر من ذهاب النعمة بالمعصية .

٦٨٥

(٢٥) ـ اللسان مرآة الضمير . (٢٦) ـ إمكان العمل منوط بالاحتمال . (٢٧) ـ الزهد الأمثل . (٢٨) ـ الموت أقرب مع الإدبار . (٢٩) ـ وجوب الحذر من المخازي . (٣٠) ـ دعائم الإيمان بالصبر واليقين والعدل والجهاد .

٦٨٦

(٣١) ـ دعائم الكفر بالتعمّق فيه والتنازع والزّيَغ والشقاق .

٦٨٧

(٣٢) ـ فاعل الخير وفاعلَ الشرّ . (٣٣) ـ في السماحة دون تبذير ، والتقدير دون تقتير .

٦٨٨

(٣٤) ـ شرف الغنى . (٣٥) ـ الإكراه يوجب الكره . (٣٦) ـ التمادي في الأمل

يمنع العمل . (٣٧) ـ المشقة شقاء والدعة أمان . (٣٨) ـ الغنى في العقل ، والفقر في الحمق ، والوحشة في العجب ، والحسب حسن الخلق .

٦٨٩

(٣٩) ـ الفرائض قبل النوافل . (٤٠) ـ لسان العاقل وقلب الأحمق .

٦٩٠

(٤١) ـ في لسان العاقل وقلب الأحمق أيضاً . (٤٢) ـ ضرورة الصبر على العلّة ، وارتباط الأجر بالتوبة .

٦٩١

(٤٣) ـ خبّاب بن الأرت في إسلامه ومهاجرته وقناعته ورضاه وجهاده . (٤٤) ـ من سبل السعادة ذكر المعاد والحذر من الحساب . (٤٥) ـ المؤمن لا يكره على البغض ، والمنافق لا يغرى بالحب . (٤٦) ـ معيار الخير عند الله . (٤٧) ـ أقدار الرجال موازية بقدراتهم في أمور فصدقُهم على قَدْر مروءتهم ، وشجاعتهم على قَدْر أنفتهم . . (٤٨) ـ أمور لا تحصّل إلا بشروط ، فشرط الظفر الحزم .

٦٩٢

(٤٩) ـ في صولة الكريم واللئيم . (٥٠) ـ قلوب الرجال تكتسب بالمؤالفة . (٥١) ـ العيب يستره الجَدّ . (٥٢) ـ صلة ما بين العفو والعقوبة . (٥٣) ـ السخاء الأمثل بالعطاء لا بالحياء . (٥٤) ـ غنى العاقل وفقر الجاهل . (٥٥) ـ الصبر ضربان . (٥٦) ـ الغنى في الغربة والفقر في الوطن . (٥٧) ـ القناعة غنى .

بالذمم . (١٥٦) - الطاعة غير المتجاهلة . (١٥٧) - الإبصار بالأبصار . (١٥٨) - العتاب بالإحسان . (١٥٩) - موضع الإتهام وسوء الظن .

٧١٨

(١٦٠) - الملك والاستئثار . (١٦١) - الاستبداد بالرأي . (١٦٢) - كتمان السر ، . (١٦٣) - الفقر والموت . (١٦٤) - قضاء الحق . (١٦٥) - الطاعة ومعصية الخالق . (١٦٦) - من يعاب ومن لا يعاب . (١٦٧) - الاعجاب العائق .

٧١٩

(١٦٨) - القريب والقليل . (١٦٩) - الصبح المضيء . (١٧٠) - ترك الذنب أهون . (١٧١) - الأكلة المانعة . (١٧٢) - عداوة المجهول . (١٧٣) - تمحيص الآراء . (١٧٤) - الغضب لله . (١٧٥) - تهيّب الأمور . (١٧٦) - آلة الرياسة . (١٧٧) - زجر المسيء . (١٧٨) - حصد الشرّ بقلعه . (١٧٩) - في اللجاجة . (١٨٠) - في الطمع .

٧٢٠

(١٨١) ثمرة التفريط (١٨٢) الصمت عن الحكم (١٨٣) اختلاف الدعوتين (١٨٤) لا شك في الحق (١٨٥) ما كذب عليه السلام (١٨٦) الظالم البادي (١٨٧) الرحيل (١٨٨) مقاومة الحق هلاك .

٧٢١

(١٨٩) النجاة بالصبر (١٩٠) رأيه عليه السلام في الخلافة (١٩١) المرء غرض في الدنيا .

تحد للقضاء .

٧٢٨

(٢٢٩) القناعة ملك (٢٣٠) مشاركة ذوي الرزق (٢٣١) العدل والاحسان (٢٣٢) العطاء القليل والكسب الكثير .

٧٢٩

(٢٣٣) الداعي الباغي (٢٣٤) خيار خصال النساء شرار خصال الرجال (٢٣٥) في وصف العاقل .

٧٣٠

(٢٣٦) الدنيا الهينة (٢٣٧) مراتب العبادة (٢٣٨) المرأة شرّ لا بدّ منه (٢٣٩) إطاعة التواني (٢٤٠) الاغتصاب والخراب .

٧٣١

(٢٤١) يوم المظلوم ويوم الظالم (٢٤٢) تقوى الله (٢٤٣) ازدحام الجواب (٢٤٤) حق الله (٢٤٥) المقدرة والشهوة (٢٤١) الحذر من شرود النعم (٢٤٧) عطف الكرم (٢٤٨) الظن بالخير .

٧٣٢

(٢٤٩) أفضل الأعمال (٢٥٠) معرفة الله (٢٥١) مرارة الدنيا وحلاوتها (٢٥٢) في الفرائض وأسبابها .

٧٣٣

(٢٥٣) الحلف الكاذب بالله (٢٥٤) وصاية النفس في المال (٢٥٥) الحدة من

الجنون (٢٥٦) الصحة والحسد .

٧٣٤

(٢٥٨) الصدقة تجلب الرزق في حال الفقر (٢٥٩) الوفاء لأهل الغدر غدر (٢٦٠) في الاستدراج بالاحسان .

٧٣٥ — ٧٣٩

فصل في غريب كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

٧٤٠

(٢٦١) قوله عليه السلام بعد إغارة أصحاب معاوية على الأنبار (٢٦٢) قوله عليه السلام للحارث بن حوت .

٧٤١

(٢٦٢) صاحب السلطان كراكب الأسد (٢٦٤) الإحسان يولد الحفظ (٢٦٥) كلام الحكماء دواء وداء (٢٦٦) قوله عليه السلام في الإيمان .

٧٤٢

(٢٦٧) الله يأتي برزق الغد (٢٦٨) الاعتدال في الحب والبغض (٢٦٩) العاملان : للدنيا ولما بعدها (٢٧٠) حلي الكعبة على حاله .

٧٤٣

(٢٧١) قوله عليه السلام في أمر عبدين سرقا (٢٧٢) قوله عليه السلام في أثر الفتن (٢٧٣) الله لم يجعل للعبد . . أكثر مما سمي له .

٧٤٤

(٢٧٤) النهي عن جعل العلم جهلاً . . (٢٧٥) الطمع قد يشرق بصاحبه قبل الريّ .

٧٤٥

(٢٧٦) من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام (٢٧٧) الليلة الدهماء تكشر عن يوم أغرّ (٢٧٨) القليل الدائم خير من الكثير (٢٧٩) رفض النوافل (٢٨٠) الاستعداد للسفر (٢٨١) روية العقل لا تغش كالبصر .

٧٤٦

(٢٨٢) الغفلة حجاب دون الموعظة (٢٨٣) الجاهل يغالي والعالم يسوف (٢٨٤) بالعلم تقطع العلل (٢٨٥) المعاجَل والمؤجّل (٢٨٦) الدهر يخبّ يوم السوء (٢٨٧) القدر طريق مظلم .

٧٤٧ (أ)

(٢٨٩) الله تعالى يحظر العلم على من أرذله من عباده .

٧٤٨

(٢٩٢) ان الصبر لجميل .

(أ) إقتصرنا في الصفحات الباقية على مأثور واحد .

٧٤٩

(٢٩٧) ما أكثر العبر وأقل الاعتبار .

٧٥٠

(٣٠٢) المبتلى ليس أحوج للدعاء من المعافى .

٧٥١

(٣١٢) ان القلوب إقبالاً وإدباراً .

٧٥٢

(٣١٥) أمير المؤمنين عليه السلام يوصي كاتبه عبد الله بن أبي رافع .

٧٥٣

(٣١٩) قوله عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

٧٥٤

(٣٦٣) قوله عليه السلام حين مرّ بقتلى الخوارج .

٧٥٥

(٣٢٩) في الاستغناء عن العذر .

٧٥٦

(٣٣٤) رؤيا الأجل تبغض الأمل والغرور .

٧٥٧

(٣٤٠) العفاف زينة الفقر .

٧٦٧

(٣٨٠) المرء لا يملك نهاية يومه ولا غبطة ليله .

٧٦٨

(٣٨٣) الله يرى الانسان في حالي الطاعة والمعصية

٧٦٩

(٣٨٨) الفاقة في البلاء .

٧٧٠

(٣٩٣) خذ من الدنيا ما أتاك .

٧٧١

(٤٠٠) العين حق . . . والطِّيَرَة ليست بحق .

٧٧٢

(٤٠٣) من طلب المتَباعد خذلته الحيل .

٧٧٣

(٤٠٨) الحق يصرع من صارعه .

٧٧٤

(٤١٥) قوله عليه السلام في صفة الدنيا .

٧٧٥

(٤١٨) الحلم عشيرة .

٧٧٦

(٤٢٢) افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً .

٧٧٧

(٤٢٦) عدم الوثوق بالعافية والغنى .

٧٧٨

(٤٣١) الرزق رزقان : طالب ومطلوب .

٧٧٩

(٤٣٤) اختبر ظاهر الشخص فربما وجدت ما لا يسرك .

٧٨٠

(٤٣٨) الناس أعداء ما جهلوا .

٧٨١

(٤٤٤) قليل مدوم عليه خير من كثير محلول منه .

٧٨٢

(٤٤٨) من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها .

٧٨٣

(٤٥٤) نهي ابن آدم عن الفخر .

٧٨٤

(٤٥٩) يغلب المقدار على التقدير .

٧٨٥

(٤٦٥) ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في مدح الأنصار .

٧٨٦

(٤٦٨) الزمان العضوض الذي يأتي على الناس .

٧٨٧

(٤٧٠) قوله عليه السلام في التوحيد والعدل .

٧٨٨

(٤٧٣) قوله عليه السلام في الخضاب .

٧٨٩

(٤٧٧) أشد الذنوب ما استخفّ به صاحبه .

(٧)

الفهرس العام

مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد [illegible]

[illegible]